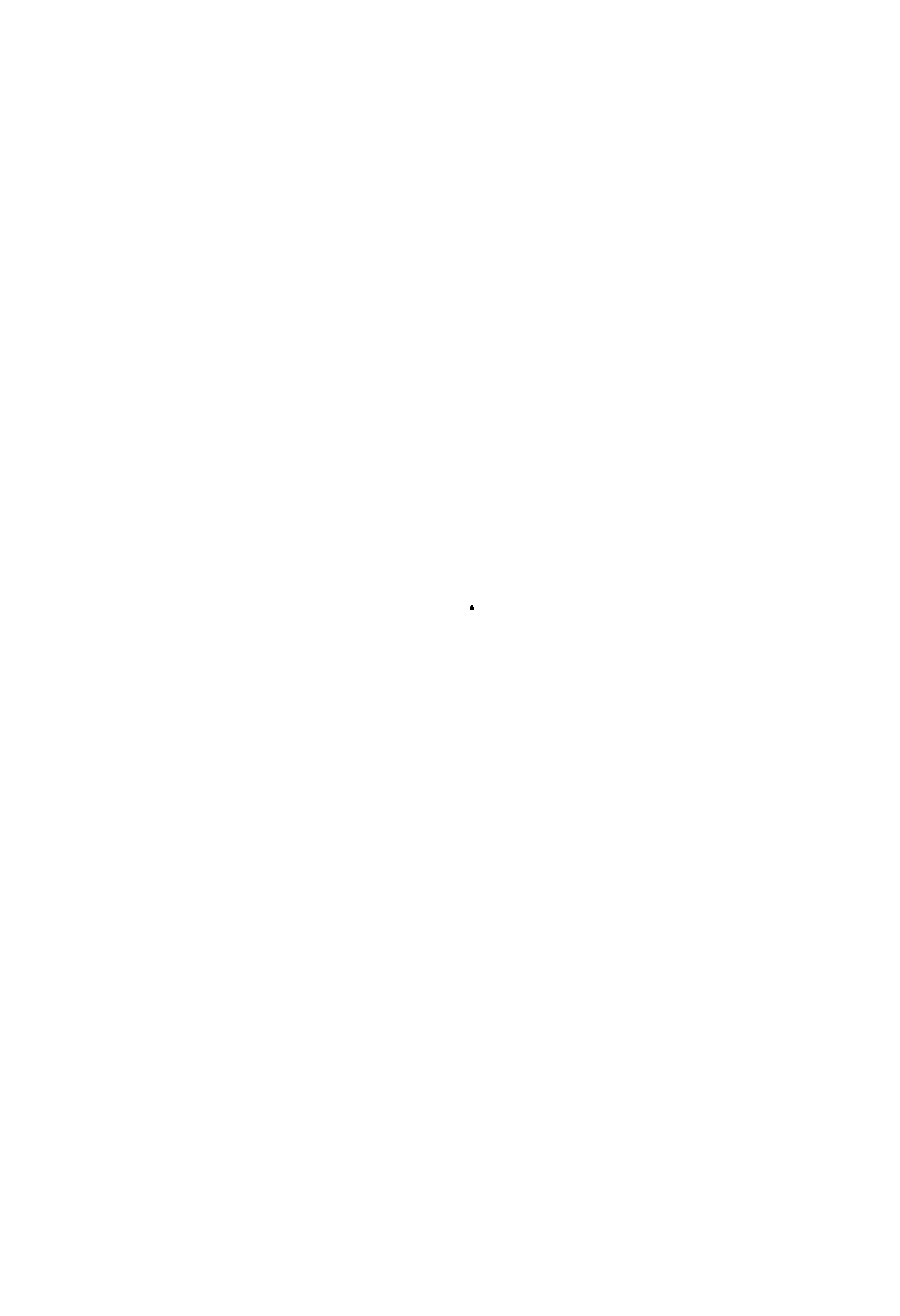


4642
S1A

الجزء الثالث

من التفسير المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل تأليف امام المحققين وقدوة المدققين القاضي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله ابن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي وهو نسبة الى قرية يقال لها البيضاء من أعمال شيراز توفي سنة احدى وتسعين وسبعمائة

رحمه الله وأسكنه من

الفردوس أعلاه

آمين

﴿ وبهامشه حاشية العلامة الفاضل أبي الفضل القرشي الصديقي الخطيب المشهور بالكازروني رحمه الله آمين ﴾

﴿ قد قرر المجلس الاعلى بالازهر تدريس هذا الجزء ﴾
﴿ لطلبة السنة الثامنة ﴾

(طبع بمطبعة)

دار الكتب العربية الكبرى

﴿ على نفقة أصحابها ﴾

﴿ مصطفى البابي الحلبي وأخويه بكرى وعيسى ﴾

﴿ بمصر ﴾

(قوله شك فان الشاك حرج الصدر) يدل على ان الحرج ليس بالمعنى الحقيقي الذى هو الضيق بل مجاز فى الشك المستلزم له (قوله أو ضيق قلب من تبليغه) يريد انه اذا قدر مضاف يصح ان يراد المعنى الحقيقي وانما كان كذلك لانه لم يصح ان يحصل من نفس الكتاب الحرج حتى ينهى عنه بقوله فلا يكن فى صدرك حرج اما اذا قدر المضاف المذكور وهو التبليغ فيصح ان يحمل على معناه الحقيقي اذ التبليغ يصدر منه الحرج وضيق الصدر لما ذكر (قوله وتوجه النهى اليه للمبالغة الخ) يعنى كان الظاهر ان يقال فلا يحرج صدرك بدل فلا يكن فى صدرك حرج (٢) فتوجيه النهى الى الحرج يوجب المبالغة لانه استدلال فانه اذا نفى الحرج من الشئ تحقق عدمه فى الخارج فلا يكون فى الصدر الحرج (قوله والفاء يحتمل العطف والجواب) ان قيل يلزم من العطف عطفه الانشاء على الاخبار قلنا يمكن ان يقال النهى ههنا بمعنى النفى والمعنى فلا يكون فى صدرك حرج وعلى هذا لا يلزم ماذكر واما اذا كان على الاصل فيكون معطوفا على محذوف والتقدير أثبت واستقر فى أخذ القرآن فلا يكن فى صدرك حرج منه (قوله اذا أنزل اليك لتنذر الخ) توضيح الكلام انه اذا كان الفاء للجواب يجب تعليق لتنذر بما أنزل اليك فان كان لتنذر المذكور فى القرآن متعلقا بأنزل فذلك والا يجب ان يقدر لتنذر حتى يكون المعنى اذا أنزل اليك لتنذر فلا يكون فى صدرك حرج منه لتنذر (قوله يعم القرآن والسنة لقوله ومما ينطق عن الهوى الخ) هذا اذا كان الضمير راجعا الى ما ينطق اما اذا كان راجعا الى القرآن فلا يلزم ماذكر (قوله أى تذكرا قليلا أو زمانا قليلا) الظاهر ان المراد من تأكيد القلة نفى التذكر لان عدم التذكير يناسب الكفرة لا التذكر القليل (قوله وان جعلت مصدرية لم ينتصب قليلا بتذكرون) لان معمول ما دخل عليه ما المصدرية لا يتقدم عليها وفى كلامه اشعار بانه يجوز ان تكون ما مصدرية ويكون معمولا لفعل محذوف لكن العلامة الطيبى نقل عن أبى البقاء انه لا يجوز ان تكون ما مصدرية اذ لا يبقى لقليلا ناصب (قوله على ان الخطاب مع النبى بعد) لان قراءته بالياء ثم التاء فيكون المخاطب بهذا الكلام النبى صلى الله عليه وسلم فيلزم تقدير قل على قوله اتبعوا حتى يكون الخطاب من أول الكلام الى ههنا مع النبى صلى الله عليه وسلم

﴿ سورة الاعراف مكية غير ثمان آيات من قوله واسئلهم الى قوله واذ نتقنا الجبل محكمة كلها وقيل الا قوله وأعرض عن الجاهلين وآيها مائتان وخمس أو ست آيات ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

(المص) سبق الكلام فى مثله (كتاب) خبر مبتدأ محذوف أى هو كتاب أو خبر المص والمراد به السورة أو القرآن (أنزل اليك) صفته (فلا يكن فى صدرك حرج منه) أى شك فان الشاك حرج الصدر أو ضيق قلب من تبليغه مخافة أن تكذب فيه أو تقصر فى القيام بحقه وتوجيه النهى اليه للمبالغة كقولهم لا أرينك ههنا والفاء تحتمل العطف والجواب فكأنه قيل اذا أنزل اليك لتنذر به فلا يحرج صدرك (لتنذر به) متعلق بانزل أو بلا يكن لانه اذا أيقن أنه من عند الله جسر على الانذار وكذا اذا لم يخفهم أو علم أنه موفق للقيام بتبليغه (وذكرى للمؤمنين) يحتمل النصب باضمار فعلها أى لتنذر به وتذكر ذكرى فانها بمعنى التذكير والجر عطفا على محل تنذر والرفع عطفا على كتاب أو خبر المحذوف (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم) يعم القرآن والسنة لقوله سبحانه وتعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى (ولا تتبعوا من دونه أولياء) يضلونكم من الجن والانس وقيل الضمير فى من دونه لما أنزل أى ولا تتبعوا من دون دين الله دين أولياء وقرئ ولا تبتغوا (قليلا ما تذكرون) أى تذكرا قليلا أو زمانا قليلا تذكرون حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره وما مزيدة لتأكيد القلة وان جعلت مصدرية لم ينتصب قليلا بتذكرون وقرأ حمزة والكسائى وحفص عن عاصم تذكرون بحذف التاء وابن عامر يتذكرون على أن الخطاب بعد مع النبى

النبي صلى الله عليه وسلم (وكم من قرية) وكثيرا من القرى (أهلكناها) أردنا اهلاك أهلها أو أهلكناها بالخذلان (فجاءها) فجاء أهلها (بأسنا) عذابنا (بياتا) بائتين كقوم لوط مصدر وقع موقع الحال (أوهم قائلون) عطف عليه أى قائلين نصف النهار كقوم شعيب وانما حذفت واو الحال استثقالا لاجتماع حرفى عطف فانها واو عطف استعيرت للوصل لا اكتفاء بالضمير فانه غير فصيح وفى التعبيرين مبالغة فى غفلتهم وأمنهم من العذاب ولذلك خص الوقتين ولانهما وقت دعة واستراحة فيكون مجىء العذاب فيهما أفظع (فما كان دعواهم) أى دعاؤهم واستغاثتهم أو ما كانوا يدّعونه من دينهم (اذ جاءهم بأسنا الا أن قالوا انا كنا ظالمين) الا اعترافهم بظلمهم فيما كانوا عليه و بطلانه تحسرا عليهم (فلنسألن الذين أرسل اليهم) عن قبول الرسالة واجابتهم الرسل (ولنسألن المرسلين) عما أجيبوا به والمراد من هذا السؤال توبيخ الكفرة وتقريعهم والمنفى فى قوله ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون سؤال استعلام أو الاول فى موقف الحساب وهذا عند حصولهم على العقوبة (فلنقصن عليهم) على الرسل حين يقولون لا علم لنا انك أنت علام الغيوب أو على الرسل والمرسل اليهم ما كانوا عليه (بعلم) عالمين بظواهرهم و بواطنهم أو بمعلومنا منهم (وما كنا غائبين) عنهم فيخفى علينا شئ من أحوالهم (والوزن) أى القضاء أو وزن الاعمال وهو مقابلتها بالجزاء والجمهور على أن صحائف الاعمال توزن بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلائق اظهارا للمعدلة وقطعا للمعذرة كما يسألهم عن أعمالهم فتعترف بها ألسنتهم وتشهد بها جوارحهم و يؤيده ما روى أن الرجل يؤتى به الى الميزان فينشر عليه تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر فيخرج له بطاقة فيها كلمتا الشهادة فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة وقيل توزن الاشخاص لما روى أنه عليه الصلاة والسلام قال انه ليأتى العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة (يومئذ) خبر المبتدأ الذى هو الوزن (الحق) صفته أو خبر محذوف ومعناه العدل السوى (فمن ثقلت موازينه) حسناته أو ما يوزن به حسناته فهو جمع موزون أو ميزان وجمعه باعتبار اختلاف الموزونات وتعدد الوزن (فأولئك هم المفلحون) الفائزون بالنجاة والثواب (ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم) بتضييع الفطرة السليمة التى فطرت عليها واقتراف ما عرضها للعذاب (بما كانوا بآياتنا يظلمون) فيكذبون بدل التصديق (ولقد مكناكم فى الارض) أى مكناكم من سكناها وزرعها والتصرف فيها (وجعلنا لكم فيها معايش) أسبابا تعيشون بها جمع معيشة وعن نافع أنه همزه تشبيها بما الياء فيه زائدة كصحائف (قليلا ما تشكرون) فيما صنعت اليكم (ولقد خلقناكم ثم صورناكم) أى خلقنا أباكم آدم طينا غير مصور ثم صورناه نزل خلقه وتصويره منزلة خلق الكل وتصويره

ولك ان تقول يمكن ان يكون قراءة ابن عامر بطريق الالتفات (قوله أردنا اهلاكها الخ) انما وجه بهذين التوجيهين لما سيجىء من بعد من قوله تعالى فجاءها بأسنا بياتا لان مجىء البأس مقدم على الاهلاك ولو كان أهلكنا بالمعنى الحقيقى لوهم عكس ما ذكر (قوله لا اكتفاء بالضمير وحده فانه غير فصيح) فان قيل قد وقع فى القرآن العزيز مثل قوله تعالى وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو قلنا وقوعه بدون الواو بسبب صحة جعله فى تأويل المفرد فان بعضكم لبعض عدو فى تأويل متعادين بخلاف ما نحن فيه وذكر بعض المحققين ان الضمير اذا كان فى صدر الجملة كما هو المثال يحسن ترك الواو (قوله وفى التعبيرين مبالغة فى غفلتهم) اما الاول فبالتعبير عن البائتين بالبيات الذى هو المصدر ففيه مبالغة كما فى زيد عدل واما الثانى فلتقوى الاسناد بتكرره (قوله الى دعائهم واستغاثتهم الخ) أى يصح ان تكون الدعوى بمعنى الدعاء فيكون مصدرا حقيقة وان تكون بمعنى ما يدعى به فتكون بمعنى المفعول (قوله أو ما كانوا يدعونه من دينهم) فالمعنى ما كان فائدة دينهم واعتناقه الا هذا القول المخصوص وهو الاعتراف بالظلم (قوله تعالى فما كان دعواهم الآية) لم يتعرض لاعراب هذه الجملة وذكر صاحب الكشاف ان دعواهم خبر لكان حملا على ما هو الراجح فى نظائره كما قال تعالى فما كان جواب قومه الا ان قالوا وما كان حجتهم الا ان قالوا (قوله و يؤيده ما روى ان الرجل الحديث) فان قلت ما فى الحديث وهو انه طاشت السجلات و تغلب البطاقة يدل على فلاح كل مؤمن فلزم ان لا يعذب أحد منهم أصلا وهو خلاف النصوص قلنا يمكن ان يكون المراد من الفلاح عدم خلود العذاب بقرينة مقابله فى سورة المؤمنين وهو قوله تعالى ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون و يمكن ان يقال لا يلزم من غلبة البطاقة على السجلات غلبتها على كل معصية لكل مؤمن بل يحتمل ان تكون السجلات سجلات لبعض المعاصى (قوله صفته أو خبر محذوف) لم يقل بكونه خبرا العلامة التفتازانى لما انه ليس المعنى على ان

الوزن في ذلك اليوم هو الحق وغيره الباطل بل على ان الوزن العدل في الاعمال يكون في ذلك اليوم لا في أيام الدنيا ثم انه يفهم مما ذكر جواز الفصل بين الموصوف والصفة بالاجنبي (قوله أو ابتدأنا خلقكم) أي خلق جمعكم و يمكن ايراد معنى آخر وهو ان يكون المراد خلقنا مادتكم ثم صورناه فيفيدان مادة كل واحد مقدمة على صورته وعلى هذا يكون ثم في قوله تعالى ثم قلنا التأخير الاخبار (قوله تعالى لم يكن من الساجدين) ان قيل قد علم من قوله تعالى الا ابليس انه لم يسجد لآدم فما فائدة لم يكن من الساجدين قلت المعلوم من قوله تعالى الا ابليس انه لم يسجد عقيب الأمر واما عدم سجوده له مطلقا فغير معلوم منه بل يمكن ان يتوهم انه يسجد في غير ذلك الحين واما اذا قيل انه لم يكن من الساجدين اندفع ذلك التوهم فيكون تكميلا (قوله وقيل الممنوع من الشيء مضطر الى خلافه) فيكون منعك بمعنى اضطرك بالعلامة المذكورة (قوله جواب من حيث المعنى) أي الجواب الصريح المانع كوني خيرا منه (قوله وقال بالحسن والقبح العقليين) يفهم منه ان القول بالحسن والقبح العقليين اللذين قال بهما ابليس مردود لانه ذكره في معرض الذم لكنهما بهذين المعنيين اللذين (٤) ذكرهما ليسا بمردودين فان معنى الحسن على ما ذكره هو حكم العقل بكونه شيأ يستحسنه الطبع لا بمعنى ترتب الثواب عليه في الآخرة والقبيح ما يكرهه الطبع لا بمعنى ترتب العقاب وهما بهذين المعنيين مما أثبته الكل وليس بمردود نعم اثباتهما بمعنى ترتب الثواب والعقاب مردود ولا يلزم من كلامه ذلك (قوله كما أشار اليه بقوله مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدي) فيكون المراد من اليدين القدرة الكاملة الواصلة الى الغاية لان ما حصل من اليدين معا يكون أقوى مما حصل من يد واحد فلهذا استعمل لفظ المثنى وقد قالوا في توجيه الأمر معان أخر والله أعلم (قوله و باعتبار الصورة كما نبه عليه الخ) فان الصورة هي الجزء الذي حصل به الشخص بالفعل والروح كذلك والتنبيه الذي يفهم منه هو اضافة الروح الى ذاته تعالى فهذه الاضافة تشريفية تدل على شرف الانسان بحسب الصورة (قوله والآية دليل الكون والفساد) فيه ان الكون وجود عنصر بعد ما لم يكن والفساد عدمه بعد وجوده والكلام المذكور دل على وجود الانسان والشيطان بعد ما لم يكن فهو دليل الكون واما الفساد فغير معلوم منه فان قيل خلقهما من الطين والنار دليل على ذهاب صورة الطين والنار قلنا ممنوع لم لا يجوز ان يكونا باقيين على صورتيهما مع زوال خواصهما ولذا قال محققو الفلاسفة ان العناصر الأربعة تتحقق بصورها في بدن الانسان وتبقى مع الصورة الانسانية و يدل عليه قوله باعتبار الجزء الغالب فان كون الطين جزء الانسان وكون النار جزء الشيطان دليل بقائهما الا ان يقال جزئيتهما باعتبار مادتهما تخلع الصورة الطينية والنارية وتلبس صورتين أخريين (قوله لكنه محمول على ما جاء مقيدا بقوله الى يوم الوقت المعلوم وهو النفخة الأولى) ذكر في سورة الحجرات يوم الوقت المعلوم هو النفخة الأولى عند الجمهور ولم يذكر دليلا عليه ولعل دليله

يوم

أو ابتدأنا خلقكم ثم تصويركم بان خلقنا آدم ثم صورناه (ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) وقيل ثم لتأخير الاخبار (فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين) ممن سجد لآدم (قال ما منعك ألا تسجد) أي أن تسجد ولا صلة مثلها في لئلا يعلم مؤكدة معنى الفعل الذي دخلت عليه ومنبهة على أن الموبخ عليه ترك السجود وقيل الممنوع عن الشيء مضطر الى خلافه فكأنه قيل ما اضطرك الى ألا تسجد (اذ أمرتك) دليل على أن مطلق الامر للوجوب والفور (قال أنا خير منه) جواب من حيث المعنى استأنف به استبعادا لأن يكون مثله مأمورا بالسجود لمثله كأنه قال المانع أني خير منه ولا يحسن للفاضل أن يسجد للمفضول فكيف يحسن أن يؤمر به فهو الذي سن التكبر وقال بالحسن والقبح العقليين أولا (خلقتني من نار وخلقته من طين) تعليل لفضله عليه وقد غلط في ذلك بان رأى الفضل كله باعتبار العنصر وغفل عما يكون باعتبار الفاعل كما أشار اليه بقوله تعالى مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدي أي بغير واسطة و باعتبار الصورة كما نبه عليه بقوله ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين و باعتبار الغاية وهو ملاكه ولذلك أمر الملائكة بسجوده لما بين لهم أنه أعلم منهم وأن له خواص ليست لغيره والآية دليل الكون والفساد وأن الشياطين أجسام كائنة ولعل اضافة خلق الانسان الى الطين والشيطان الى النار باعتبار الجزء الغالب (قال فاهبط منها) من السماء أو الجنة (فما يكون لك) فما يصح (أن تتكبر فيها) وتعصى فانها مكان الخاشع والمطيع وفيه تنبيه على أن التكبر لا يليق باهل الجنة وأنه سبحانه وتعالى انما طرده وأهبطه لتكبره لا لمجرد عصيانه (فاخرج انك من الصاغرين) ممن أهانه الله لتكبره قال عليه الصلاة والسلام من تواضع رفعه الله ومن تكبر وضعه الله (قال أنظرني الى يوم يبعثون) أمهلني الى يوم القيامة فلا تمتني أو لا تعجل عقوبتي (قال انك من المنظرين) يقتضي الاجابة الى ما سأله ظاهرا لكنه محمول على ما جاء مقيدا بقوله تعالى الى

يوم الوقت المعلوم وهو النفخة الاولى أو وقت يعلم الله انتهاء أجله فيه وفي اسعافه اليه ابتلاء العباد وتعريضهم للثواب بمخالفته (قال فبما أغويتني) أي بعد أن أمهلتني لاجتهدن في اغوائهم بأي طريق يمكنني بسبب اغوائك اياي بواسطتهم تسمية أو حملا على الغي أو تكليفا بما غويت لاجله والباء متعلقة بفعل القسم المحذوف لا بأقعدن فان اللام تصد عنه وقيل الباء للقسم (لأقعدن لهم) ترصدا بهم كما يقعد القطاع للسابلة (صراطك المستقيم) طريق الاسلام ونصبه على الظرف كقوله

لدن بهز الكف يعسل متنه * فيه كما عسل الطريق الثعلب

وقيل تقديره على صراطك كقولهم ضرب زيد الظهر والبطن (ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم) أي من جميع الجهات الاربع مثل قصده اياهم بالتسويل والاضلال من أي وجه يمكنه باتيان العدو من الجهات الاربع ولذلك لم يقل من فوقهم ومن تحت أرجلهم وقيل لم يقل من فوقهم لان الرحمة تنزل منه ولم يقل من تحتهم لان الاتيان منه يوحش الناس وعن ابن عباس رضي الله عنهما من بين أيديهم من قبل الآخرة ومن خلفهم من قبل الدنيا وعن أيمانهم وعن شمائلهم من جهة حسناتهم وسيآتهم ويحتمل أن يقال من بين أيديهم من حيث يعلمون ويقدرون على التحرز عنه ومن خلفهم من حيث لا يعلمون ولا يقدرون وعن أيمانهم وعن شمائلهم من حيث يتيسر لهم أن يعلموا ويتحرزوا ولكن لم يفعلوا لعدم تيقظهم واحتياطهم وانما عدى الفعل الى الاولين بحرف الابتداء لانه منهما متوجه اليهم والى الأخيرين بحرف المجاوزة فان الآتي منهما كالمنحرف عنهم المار على عرضهم ونظيره قولهم جلست عن يمينه (ولا تجد أكثرهم شاكرين) مطيعين وانما قاله ظنا لقوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه لما رأى فيهم مبدأ الشر متعددا ومبدأ الخير واحدا وقيل سمعه من الملائكة (قال اخرج منها مذؤما) مذموما من ذأمه اذا ذمه وقرئ مذوما كمسول في مسؤل أو كمكول في مكيل من ذامه يذيمه ذيما (مدحورا) مطرودا (لمن تبعك منهم) اللام فيه لتوطئة القسم وجوابه (لأملأن جهنم منكم أجمعين) وهو ساد مسد جواب الشرط وقرئ لمن بكسر اللام على أنه خبر لأملأن على معنى لمن تبعك هذا الوعيد أو علة لاخرج ولأملأن جواب قسم محذوف ومعنى منكم منك ومنهم فغلب المخاطب (ويا آدم) أي وقلنا يا آدم (اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة) وقرئ هذي وهو الاصل لتصغيره على ذيا والهاء بدل من الياء (فتكونا من الظالمين) فتصيرا من الذين ظلموا أنفسهم وتكونا يحتمل الجزم على العطف والنصب على الجواب (فوسوس لهما الشيطان) أي فعل الوسوسة لاجلهما

ان الملعون سأل انظاره الى يوم يبعثون فاجيب بانك تنظر الى يوم الوقت المعلوم فهذا يدل على تغايرهما اذ لو كان المراد هو البعث لكان الظاهر ان يقال انك من المنظرين اليه (قوله تسمية أو حملا على الغي) فمعنى قوله فبما أغويتني على الأول بتسميتك اياي غاويا وعلى الثاني معناه بحملك اياي على الغي وجعلك اياي غاويا (قوله والباء متعلقة بفعل القسم المحذوف) والمعنى اقسم بالله لأجتهدن بسبب اغوائك اياي فالمراد بفعل القسم هو أقسم فيكون علة القسم اغواء الله تعالى اياه (قوله فان اللام تصد عنه) لان للام القسم الصدارة (قوله كما عسل الطريق الثعلب) عسلان الثعلب عدوه واسراعه والتقدير (٥) كما عسل الثعلب الطريق أي فيه ولم يجعله من النصب على نزع الخافض لان الظرفية مرادة (قوله لان الاتيان منه يوحش) أي يوجب الوحشة والتنفر ومن يريد اغواء أحد بالحيلة لا يفعل ما يوقعه في التنفر عنه ولك ان تقول الاتيان من جانب السفل انما يوجب التوحش اذا اطلع المأتي اليه على الآتي المذكور وأما اذا لم يطلع عليه كما في صورة تيان الشيطان فلزوم التوحش ممنوع (قوله ويحتمل ان يقال الخ) ويحتمل ان يقال من بين أيديهم من جهة آبائهم ومن تقدم عليهم ومن خلفهم من جهة أولادهم والمتأخرين وعن ايمانهم أي من جانب الذين على حواشي أنسابهم كالاعمام والأخوال وعن شمائلهم أي عن جانب الاجانب يعني لاوسوسنهم بان يقولوا ويفعلوا في حق آبائهم وأمهاتهم ما يستحقون العقاب به وقس على هذا (قوله فان الآتي منهما كالمنحرف عنهم) أي ليس في مرتبة من جاء من بين أيديهم ومن خلفهم في التوجه اليهم لان من توجه الى أحد فاما ان يريد علمه بتوجهه اليه فيجيء اليه من بين يديه والا فيجيء من خلفه وقال صاحب الكشاف وتبعه غيره ان المفعول فيه عدي اليه الفعل نحو تعديته الى المفعول به فكما اختلفت التعدية في ذلك اختلفت في هذا وكانت لغة تؤخذ ولا تقاس هذا كلامه وهو خال عن التكلف وقال بعض المفسرين خص اليمين والشمال بكلمة عن لانها تفيد البعد وعلى جهتي اليمين والشمال ملكان لقوله عن اليمين وعن الشمال قعيد والشيطان لا بد ان يتباعد عن الملك هذا كلامه فتأمل (قوله لقوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه) في كثير من النسخ لقوله باللام ويرد انه لا يلزم من هذا الكلام ما ادعاه من ان قوله

ابليس على أكثر بنى آدم ظنا لان هذا الكلام ورد فى أهل سبأ وفى بعض النسخ بالكاف وهو الوجه ويدل عليه قوله

وهى فى الاصل الصوت الخفى كالهينمة والخشخشة ومنه وسوس الحلى وقدسبق فى سورة البقرة
كيفية وسوسته (ليبدى لهما) ليظهر لهما واللام للعاقبة أو للغرض على أنه أراد أيضا بوسوسته أن
يسوأهما بانكشاف عورتيهما ولذلك عبر عنهما بالسوأة وفيه دليل على أن كشف العورة فى الخلوة
وعند الزوج من غير حاجة قبيح مستهجن فى الطباع (ماورى عنهما من سوآتهما) ماغطى عنهما
من عوراتهما وكانا لايريانها من أنفسهما ولا أحدهما من الآخر وانما لم تقلب الواو المضمومة همزة فى
المشهور كما قلبت فى أويصل تصغير واصل لان الثانية مدة وقرئ سواتهما بحذف الهمزة والقاء
حركتها على الواو وسوّتهما بقلبها واوا وادغام الواو الساكنة فيها (وقال مانهاكما ربكما عن هذه
الشجرة الا أن تكونا) الا كراهة أن تكونا (ملكين أو تكونا من الخالدين) الذين لايموتون
أو يخلدون فى الجنة واستدل به على فضل الملائكة على الانبياء عليهم الصلاة والسلام وجوابه أنه كان
من المعلوم أن الحقائق لاتنقلب وانما كانت رغبتهما فى أن يحصل لهما أيضا ماللملائكة من الكمالات
الفطرية والاستغناء عن الاطعمة والاشربة وذلك لايدل على فضلهم مطلقا (وقاسمهما انى لكما
لمن الناصحين) أى أقسم لهما على ذلك وأخرجه على زنة المفاعلة للمبالغة وقيل أقسما له بالقبول وقيل
أقسما عليه بالله انه لمن الناصحين فأقسم لهما فجعل ذلك مقاسمة (فدلاهما) فنزلهما الى الاكل من
الشجرة نبه به على أنه أهبطهما بذلك من درجة عالية الى رتبة سافلة فان التدلية والادلاء ارسال
الشئ من أعلى الى أسفل (بغرور) بما غرهما به من القسم فانهما ظنا أن أحدا لايحلف بالله
كاذبا أو ملتبسين بغرور (فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما) أى فلما وجدا طعمها آخذين
فى الاكل منها أخذتهما العقوبة وشؤم المعصية فتهافت عنهما لباسهما وظهرت لهما عوراتهما
واختلف فى أن الشجرة كانت السنبلة أو الكرم أو غيرهما وأن اللباس كان نورا أو حلة أو ظفرا
(وطفقا يخصفان) أخذا يرقعان ويلزقان ورقة فوق ورقة (عليهما من ورق الجنة) قيل كان
ورق التين وقرئ يخصفان من أخصف أى يخصفان أنفسهما ويخصفان من خصف ويخصفان
وأصله يختصفان (وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين)
عتاب على مخالفة النهى وتوبيخ على الاغترار بقول العدو وفيه دليل على أن مطلق النهى للتحريم
(قالا ربنا ظلمنا أنفسنا) أضررناها بالمعصية والتعريض للاخراج من الجنة (وان لم تغفر لنا وترحمنا
لنكونن من الخاسرين) دليل على أن الصغائر معاقب عليها ان لم تغفر وقالت المعتزلة لاتجوز المعاقبة
عليها مع اجتناب الكبائر ولذلك قالوا انما قالا ذلك على عادة المقربين فى استعظام الصغير من السيآت
واستحقار العظيم من الحسنات (قال اهبطوا) الخطاب لآدم وحواء وذريتهما أولهما ولابليس
كرر الامر له تبعا ليعلم أنهم قرناء أبدا وأخبر عما قال لهم متفرقا (بعضكم لبعض عدو) فى موضع
الحال أى متعادين (ولكم فى الارض مستقر) استقرار أو موضع استقرار (ومتاع) وتمتع
(الى حين) الى تقضى آجالكم (قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون) للجزاء وقرأ حمزة
والكسائى وابن ذكوان ومنها تخرجون وفى الزخرف كذلك تخرجون بفتح التاء وضم الراء (يابنى
آدم قد أنزلنا عليكم لباسا) أى خلقناه لكم بتدبيرات سماوية وأسباب نازلة ونظيره قوله تعالى وأنزل
لكم من الانعام وقوله تعالى وأنزلنا الحديد (يوارى سوآتكم) التى قصد الشيطان ابداءها ويغنيكم
عن خصف الورق روى أن العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ويقولون لانطوف فى ثياب عصينا

لما رأى الخ (قوله وفيه
دليل على ان كشف العورة
الخ) انما استفيد ذلك من
قوله تعالى لهما اذ يعلم منه
ان كشف عورة كل
منهما لنفسه قبيح وكذا
لزوجه (قوله وقرئ
سواتهما الخ) فى هذه
العبارة اختلال اذ لايخلو
اما ان تكون سواتهما
فى قوله وقرئ سواتهما
بتخفيف الواو أو بتشديدها
وعلى الأول لايصح قوله
و بقلبها واوا الخ وعلى
الثانى لايصح قراءة الاول
وحق العبارة ان يقال
وقرئ سواتهما بحذف
الهمزة والقاء حركتها
وقرى سواتهما بقلبها واوا
الخ (قوله وجوابه انه كان
من المعلوم ان الحقائق لا
تنقلب) أى من المعلوم ان
آدم لايصير ملكا حتى
يستدل بتمنى صيرورته
ملكا على أشرفية الملك
(قوله وقيل أقسماله) أى
يمكن ان يجعل قاسم بالمعنى
الذى هو القسم من الجانبين
فيكون قسم ابليس ماذكر
صريحا وهو قسمه بانه من
الناصحين وقسمهما ضمنى
بان كانا يقسمان بما ذكر
من القبول (قوله وفيه
دليل على أن مطلق النهى
للتحريم) الحرمة على مافسر وهابه هو الفعل الذى يستحق به الفاعل العذاب الاخروى وليس فيما ذكر
مايدل على ذلك (قوله أى خلقناه لكم بتدبيرات سماوية) فالتدبير السماوى يناسب الانزال

(قوله ولباس التقوى المشار اليه) توجيه كونه مشارا اليه بان يقال ان لباس التقوى داخل فى الريش الذى هو لباس الجمال فيجعل الجمال شاملا للتقوى وانما قال ولباس التقوى المشار اليه لدفع سؤال هو أن ذلك اسم اشارة وهو أعرف من المضاف الى المعرف باللام والجواب أنه جعله صفة بتأويل المشار اليه فكأنه قيل ولباس التقوى المشار اليه فيكون الموصوف والصفة متساويين فى رتبة التعريف (قوله والآية مقصود القصة وفذلكة الحكاية) أى مضمون هذه الآية مقصود من قصة أمر الملائكة بالسجود

الله فيها فنزلت ولعله ذكر قصة آدم مقدمة لذلك حتى يعلم أن انكشاف العورة أول سوء أصاب الانسان من الشيطان وانه أغواهم فى ذلك كما أغوى أبويهم (وريشا) ولباسا تتجملون به والريش الجمال وقيل مالا ومنه تريش الرجل اذا تمول وقرئ رياشا وهو جمع ريش كشعب وشعاب (ولباس التقوى) خشية الله وقيل الايمان وقيل السمت الحسن وقيل لباس الحرب ورفعه بالابتداء وخبره (ذلك خير) أو خبر وذلك صفته كأنه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير وقرأ نافع وابن عامر والكسائى ولباس التقوى بالنصب عطفا على لباسا (ذلك) أى انزال اللباس (من آيات الله) الدالة على فضله ورحمته (لعلهم يذكرون) فيعرفون نعمته أو يتعظون فيتورعون عن القبائح (يابنى آدم لا يفتننكم الشيطان) لا يمحننكم بأن يمنعكم دخول الجنة باغوائكم (كما أخرج أبويكم من الجنة) كما محن أبويكم بأن أخرجهما منها والنهى فى اللفظ للشيطان والمعنى نهيهم عن اتباعه والافتتان به (ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما) حال من أبويكم أو من فاعل أخرج واسناد النزع اليه للتسبب (انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم) تعليل للنهى وتأكيد للتحذير من فتنته وقبيله جنوده ورؤيتهم ايانا من حيث لا نراهم فى الجملة لا تقتضى امتناع رؤيتهم وتمثلهم لنا (انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون) بما أوجدنا بينهم من التناسب أو بارسالهم عليهم وتمكينهم من خذلانهم وحملهم على ما سولوا لهم والآية مقصود القصة وفذلكة الحكاية (واذا فعلوا فاحشة) فعلة متناهية فى القبح كعبادة الصنم وكشف العورة فى الطواف (قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها) اعتذروا واحتجوا بأمرين تقليد الآباء والافتراء على الله سبحانه وتعالى فأعرض عن الاول لظهور فساده ورد الثانى بقوله (قل ان الله لا يأمر بالفحشاء) لان عادته سبحانه وتعالى جرت على الامر بمحاسن الافعال والحث على مكارم الخصال ولا دلالة فيه على أن قبح الفعل بمعنى ترتب الذم عليه آجلا عقلى فان المراد بالفاحشة ما ينفر عنه الطبع السليم ويستنقصه العقل المستقيم وقيل هما جوابا سؤالين مترتبين كأنه قيل لهم لما فعلوها لم فعلتم فقالوا وجدنا عليها آباءنا فقيل ومن أين أخذ آباؤكم فقالوا الله أمرنا بها وعلى الوجهين يمتنع التقليد اذا قام الدليل على خلافه لا مطلقا (أتقولون على الله ما لا تعلمون) انكار يتضمن النهى عن الافتراء على الله تعالى (قل أمر ربى بالقسط) بالعدل وهو الوسط من كل أمر المتجافى عن طرفى الافراط والتفريط (وأقيموا وجوهكم) وتوجهوا الى عبادته مستقيمين غير عادلين الى غيرها أو أقيموها نحو القبلة (عند كل مسجد) فى كل وقت سجود أو مكانه وهو الصلاة أو فى أى مسجد حضرتكم الصلاة ولا تؤخروها حتى تعودوا الى مساجدكم (وادعوه) واعبدوه (مخلصين له الدين) أى الطاعة فان

وإباء ابليس عن السجود وباقى ما ذكر (قوله لظهور فساده) لان مجرد تقليد الغير بلا سبب معتبر عند العقل مذموم ظاهرا لفساده عند العقلاء (قوله ولا دلالة فيه على أن قبح الفعل بمعنى ترتب الذم عليه آجلا عقلى فان المراد بالفاحشة الخ) يفهم منه أنه لو أريد بالفحشاء غير ما ذكر بل ما يترتب عليه العقاب آجلا كان فيه الدلالة ووجهه أنه اذا أريد بها أى بالفحشاء ما يترتب عليه العقاب آجلا لزم أن يكون القبح بحسب العقل لا بحسب الشرع اذ لو كان الفحشاء ما يترتب عليه العقاب آجلا بحسب الشرع وهو فى قوة ما نهى عنه الشرع للزم خلو المذكور وهو قوله ان الله لا يأمر بالفحشاء عن الفائدة اذ يؤل الى أن يكون المعنى ان الله لا يأمر بما نهى عنه مطلقا (قوله

اذا قام الدليل على خلافه لا مطلقا) لان الكلام انما يفيد أن التقليد فى فعل الفحشاء مذموم فيلزم ما ذكر من أن التقليد فيما ثبت الدليل على خلافه مذموم ولا يلزم ذم التقليد مطلقا من الكلام المذكور (قوله تعالى وأقيموا) ليس معطوفا على قل اذ المناسب أن يخاطب الرسول صلى الله عليه وسلم بان يقال لهم أقيموا بل يكون معطوفا على أمر ربى وان لزم عطف الانشاء على الاخبار لان مثله يجوز اذا كان تحت القول كما قال صاحب الكشاف انه يجوز قال زيد نودى للصلاة وصل فى المسجد (قوله انكار يتضمن النهى عن الافتراء على الله) أى انكار لما قالوه من أن الله أمرنا بها على وجه يتضمن النهى عن الافتراء على الله مطلقا

(قوله يدل على ان الكافر المخطئ والمعاند سواء فى استحقاق الذم) أى الكافر الذى أخطأ بالاجتهاد والكافر الذى علم وعاند متساويان فى استحقاق الذم والدخول فى خلود العذاب لان ماذكروهو اتخاذ الشياطين أولياء وحسبان الهداية مشتركان بين الفريقين فان قيل كيف يكون للمعاند العارف بحقيقة الاسلام حسبان كونه على الاهتداء قلنا يحتمل أن يكون حسبانه على الاهتداء فى بعض الامور كما قال بعض محقق المفسرين يحسبون أنهم مهتدون معناه يحسبون أنهم يتوصلون بالشياطين الى الله ولا يعلمون أن ذلك لا يأتى أعداء الله أصلا ومما حسبوا أنهم مهتدون فيه بمبالغة الشيطان تركهم التزين والتلذذ مع العبادة فطافوا عراة وتركوا اللحم والدسم مع الاحرام انتهى وينبغى حمل الكلام على المعنى الذى ذكرناه حتى تكون الضمائر باسرها راجعة الى مطلق الكفار كما هو ظاهر العبارة وأما القول بان ضمير انهم اتخذوا الشياطين راجع الى مطلق الكفار وضمير يحسبون راجع الى بعضهم فلا يخفى ما فيه (قوله وللفارق أن يحمله على المقصر فى النظر) أى لمن فرق بين الكافر المخطئ والمعاند فى استحقاق الذم أن يتشبث بان المراد بالضمير المذكور فى انهم اتخذوا الكافر المقصر فى النظر وهم الذين حق عليهم الضلالة وأما الذين اجتهدوا وبذلوا الوسع فمعذورون كما هو مذهب البعض (قوله وتنبيه على تحريم اتباع) هذا فائدة قوله ما لم ينزل به سلطانا

(٨)

اليه مصيركم (كما بدأكم) كما أنشأكم ابتداء (تعودون) باعادته فيجازيكم على أعمالكم فأخلصوا له العبادة وانما شبه الاعادة بالابداء تقرير الامكانها والقدرة عليها وقيل كما بدأكم من التراب تعودون اليه وقيل كما بدأكم حفاة عراة غرلا تعودون وقيل كما بدأكم مؤمنا وكافرا يعيدكم (فريقا هدى) بأن وفقهم للايمان (وفريقا حق عليهم الضلالة) بمقتضى القضاء السابق وانتصابه بفعل يفسره ما بعده أى وخذل فريقا (انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله) تعليل لخذلانهم أو تحقيق لضلالهم (ويحسبون أنهم مهتدون) يدل على أن الكافر المخطئ والمعاند سواء فى استحقاق الذم وللفارق أن يحمله على المقصر فى النظر (يابنى آدم خذوا زينتكم) ثيابكم لمواراة عورتكم (عند كل مسجد) لطواف أو صلاة ومن السنة أن يأخذ الرجل أحسن هيئة للصلاة وفيه دليل على وجوب ستر العورة فى الصلاة (وكلوا واشربوا) ماطاب لكم روى أن بنى عامر فى أيام حجهم كانوا لا يأكلون الطعام الا قوتا ولا يأكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فهم المسلمون به فنزلت (ولا تسرفوا) بتحريم الحلال أو بالتعدى الى الحرام أو بافراط الطعام والشره عليه وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان سرف ومخيلة وقال على بن الحسين بن واقد قد جمع الله الطب فى نصف آية فقال كلوا واشربوا ولا تسرفوا (انه لا يحب المسرفين) أى لا يرتضى فعلهم (قل من حرم زينة الله) من الثياب وسائر ما يتجمل به (التى أخرج لعباده) من النبات كالقطن والكتان والحيوان كالحرير والصوف والمعادن كالدروع (والطيبات من الرزق) المستلذات من المآكل والمشارب وفيه دليل على أن الاصل فى المطاعم والملابس وأنواع التجملات الاباحة لان الاستفهام فى من للانكار (قل هى للذين آمنوا فى الحيوة الدنيا) بالاصالة والكفرة وان شاركوهم فيها فتبع (خالصة يوم القيامة) لا يشاركهم فيها غيرهم وانتصابها على الحال وقرأ نافع بالرفع على أنها خبر بعد خبر (كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون) أى كتفصيلنا هذا الحكم نفصل سائر الاحكام لهم (قل انما حرم ربى الفواحش) ما تزايد قبحه وقيل ما يتعلق بالفروج (ما ظهر منها وما بطن) جهرها وسرها (والاثم) وما يوجب الاثم تعميم بعد تخصيص وقيل شرب الخمر (والبغى) الظلم أو الكبر أفرده بالذكر للمبالغة (بغير الحق) متعلق بالبغى مؤكد له معنى (وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا) تهكم بالمشركين وتنبيه على تحريم اتباع ما لم يدل عليه برهان (وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) بالالحاد فى صفاته سبحانه وتعالى والافتراء عليه كقولهم الله أمرنا بها (ولكل أمة أجل) مدة أو وقت لنزول العذاب بهم وهو وعيد لاهل مكة (فاذا جاء أجلهم) انقرضت مدتهم أو حان وقتهم (لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) أى لا يتأخرون ولا يتقدمون أقصر وقت أو لا يطلبون التأخر والتقدم لشدة الهول (يابنى آدم اما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى) شرط ذكره بحرف الشك للتنبيه على أن اتيان الرسل أمر جائز غير واجب كما ظنه أهل التعليم وضمت

(قوله ولا يتقدمون أقصر وقت) ههنا اشكال لم يلتفت اليه المصنف اذ لقائل أن يقول اذا جاء وقت الهلاك لا معنى لتقدمهم على ذلك وأجيب عنه باجوبة أحدها أن لا يستقدمون كلام مستأنف ليس معطوفا على لا يستأخرون الثانى أن المراد بلا يستقدمون أنه لا يتجاوز أجلهم عن وقته المعين حتى لو أرادوا أن يكون مقدما عليه لم يتيسر ففيه تأكيد لعدم التأخر

اليها

(قوله وادخال الفاء فى الخبر الاول دون الثانى الخ) هذا الايلاء ثم هذا الكلام فان كلا من الوعد والوعيد المذكورين يترتب على ما تقدم عليه فان وعيد الكافر متحقق البتة كما أن وعد المؤمن متحقق أيضا ويمكن أن يقال ان ايراد الفاء مشعر بان ماقبلها سبب لما بعدها والظاهر من حال المسبب أن يلزم السبب ففيه ايماء الى أن عدم الخوف (٩) لازم الايمان والعمل الصالح وليس فى

اليها مالتأكيد معنى الشرط ولذلك أكد فعلها بالنون وجوابه (فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) والمعنى فمن اتقى التكذيب وأصلح عمله منكم والذين كذبوا بآياتنا منكم وادخال الفاء فى الخبر الاول دون الثانى للمبالغة فى الوعد والمسامحة فى الوعيد (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته) ممن تقول على الله مالم يقله أو كذب ماقاله (أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب) مما كتب لهم من الارزاق والآجال وقيل الكتاب اللوح المحفوظ أى مما أثبت لهم فيه (حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم) أى يتوفون أرواحهم وهو حال من الرسل وحتى غاية لنيلهم وهى التى يبتدأ بعدها الكلام (قالوا) جواب اذا (أينما كنتم تدعون من دون الله) أى أين الآلهة التى كنتم تعبدونها وماوصلت باين فى خط المصحف وحقها الفصل لانها موصولة (قالوا ضلوا عنا) غابوا عنا (وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين) اعترفوا بانهم كانوا ضالين فيما كانوا عليه (قال ادخلوا) أى قال الله تعالى لهم يوم القيامة أو أحد من الملائكة (فى أمم قد خلت من قبلكم) أى كائنين فى جملة أمم مصاحبين لهم يوم القيامة (من الجن والانس) يعنى كفار الامم الماضية من النوعين (فى النار) متعلق بادخلوا (كلما دخلت أمة) أى فى النار (لعنت أختها) التى ضلت بالاقتداء بها (حتى اذا اداركوا فيها جميعا) أى تداركوا وتلاحقوا واجتمعوا فى النار (قالت أخراهم) دخولا أو منزلة وهم الاتباع (لاولاهم) أى لاجل أولاهم اذ الخطاب مع الله لامعهم (ربنا هؤلاء أضلونا) سنوا لنا الضلال فاقتدينا بهم (فآتهم عذابا ضعفا من النار) مضاعفا لانهم ضلوا وأضلوا (قال لكل ضعف) أما القادة فبكفرهم وتضليلهم وأما الاتباع فبكفرهم وتقليدهم (ولكن لاتعلمون) مالكم أو مالكل فريق وقرأ عاصم بالياء على الانفصال (وقالت أولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل) عطفوا كلامهم على جواب الله سبحانه وتعالى لاخراهم ورتبوه عليه أى فقد ثبت أن لافضل لكم علينا وانا واياكم متساوون فى الضلال واستحقاق العذاب (فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون) من قول القادة أو من قول الفريقين (ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها) أى عن الايمان بها (لاتفتح لهم أبواب السماء) لأدعيتهم وأعمالهم أولارواحهم كما تفتح لاعمال المؤمنين وأرواحهم لتتصل بالملائكة والتاء فى تفتح لتأنيث الابواب والتشديد لكثرتها وقرأ أبو عمرو بالتخفيف وحمزة والكسائى به وبالياء لان التأنيث غير حقيقى والفعل مقدم وقرئ على البناء للفاعل ونصب الابواب بالتاء على أن الفعل للآيات وبالياء على أن الفعل لله (ولايدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط) أى حتى يدخل ماهو مثل فى عظم الجرم وهو البعير فيما هو مثل فى ضيق المسلك وهو ثقبة الابرة وذلك مما لا يكون فكذا مايتوقف عليه وقرئ الجمل كالقمل والجمل كالنغر والجمل كالقفل والجمل كالنصب والجمل كالحبل وهو الحبل الغليظ من القنب وقيل حبل السفينة وسم بالضم والكسر وفى سم المخيط وهو والخياط مايخاط به كالحزام والمحزم (وكذلك) ومثل ذلك الجزاء الفظيع (نجزى المجرمين) لهم من جهنم

الآية الاخرى اشعار بلزوم الوعيد ففيها ايماء الى الفرق بين الوعد والوعيد وأن يقال أيضا ان لفظة من شرطية ههنا فتدخل الفاء على جوابه وأما الذين كذبوا بآياتنا فليس بكلمة الشرط بل متضمن معناه فادخال الفاء على الاول دون الثانى لهذا التفاوت (قوله تعالى كلما دخلت أمة لعنت أختها) فان قيل يلزم التسلسل اذ يلزم أن يكون كل أمة تقدمت عليها طائفة أخرى على مافسرها المصنف والجواب أن المراد كلما دخلت أمة مقتدية بالغير لعنت أختها التى ضلت بالاقتداء بها فلا يلزم التسلسل اذ يمكن أن يكون أمة دخلت فى النار ولا تكون مقتدية بالغير بل هى ابتدعته بطريق الاستقلال من غير الاقتداء بالغير (قوله وأما الاتباع فبكفرهم وتقليدهم) فان قلت ماوجه كون التقليد المذكور موجبا مستقلا بمرتبة من العذاب غير ما

يوجبه الكفر قلنا لما كان مجرد التقليد لا يصلح أن يكون مسببا للاتباع فهم مقصرون فيلزم تعذيبهم وأيضا التقليد مما يقدر المتبوعين على الضلال والاضلال فلذا صار سببا للعذاب (قوله وقرأ عاصم بالياء على الانفصال) أى على انفصال القادة من الاتباع بخلاف قراءة التاء فانها شاملة للفريقين بتغليب المخاطبين الذين هم الاتباع على الغيب الذين هم القادة اذ على قراءة عاصم لايمكن القول بالتغليب اذ لايغلب الغائب على المخاطب (قوله عطفوا كلامهم على كلام الله)

كلامهم هو فما كان لكم علينا من فضل (قوله للبدل عن الاعلال عند سيبويه) أي العوض عن اللام المحذوفة كما فصل في كتب النحو (قوله وذكر الجرم مع الحرمان من الجنة الخ) أي تنبيها على أن الظلم أعظم الاجرام يعني ذكر الخاص الذي هو الظلم بعد ذكر الجرم الذي هو العام وذكر معه التعذيب بالنار الذي هو أشد من الحرمان من الجنة تنبيها على ماذكر (قوله أرجو أن أكون أنا وعثمان الخ) يدل على أن في صدر كل منهم غلا من الآخرين ثم نزع ولعل هذا من مقتضى الطباع البشرية ثم نزع بتوفيق الله تعالى وعصمته والاولى أن يقال المراد من التطهير عدم اتصافهم به من أول الامر رضي الله عنهم وانما خص كرم الله وجهه الاصحاب

مهاد) فراش (ومن فوقهم غواش) أغطية والتنوين فيه للبدل عن الاعلال عند سيبويه وللصرف عند غيره وقرئ غواش على الغاء المحذوف (وكذلك نجزي الظالمين) عبر عنهم بالمجرمين تارة وبالظالمين أخرى اشعارا بانهم بتكذيبهم الآيات اتصفوا بهذه الاوصاف الذميمة وذكر الجرم مع الحرمان من الجنة والظلم مع التعذيب بالنار تنبيها على أنه أعظم الاجرام (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) على عادته سبحانه وتعالى في أن يشفع الوعيد بالوعد ولا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض بين المبتدا وخبره للترغيب في اكتساب النعيم المقيم بما يسعه طاقتهم ويسهل عليهم وقرئ لا تكلف نفس (ونزعنا ما في صدورهم من غل) أي نخرج من قلوبهم أسباب الغل أو نطهرها منه حتى لا يكون بينهم الا التوادّ وعن علي كرم الله وجهه اني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم (تجري من تحتهم الانهار) زيادة في لذتهم وسرورهم (وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا) لما جزاؤه هذا (وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله) لولا هداية الله وتوفيقه واللام لتوكيد النفي وجواب لولا محذوف دل عليه ما قبله وقرأ ابن عامر ما كنا بغير واو على انها مبينة للاولى (لقد جاءت رسل ربنا بالحق) فاهتدينا بارشادهم يقولون ذلك اغتباطا وتبجحا بان ما علموه يقينا في الدنيا صار لهم عين اليقين في الآخرة (ونودوا أن تلكم الجنة) اذا رأوها من بعيد أو بعد دخولها والمنادى له بالذات (أورثتموها بما كنتم تعملون) أي أعطيتموها بسبب أعمالكم وهو حال من الجنة والعامل فيها معنى الاشارة أو خبر والجنة صفة تلكم وأن في المواقع الخمسة هي المخففة أو المفسرة لان المناداة والتأذين من القول (ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا) انما قالوه تبجحا بحالهم وشماتة بأصحاب النار وتحسيرا لهم وانما لم يقل ما وعدكم كما قال ما وعدنا لان ما ساءهم من الموعود لم يكن باسره مخصوصا وعده بهم كالبعث والحساب ونعيم أهل الجنة (قالوا نعم) وقرأ الكسائي بكسر العين وهما لغتان (فأذن مؤذن) قيل هو صاحب الصور (بينهم) بين الفريقين (أن لعنة الله على الظالمين) وقرأ ابن كثير في رواية البزي وابن عامر وحمزة والكسائي أن لعنة الله بالتشديد والنصب وقرئ ان بالكسر على ارادة القول أو اجراء أذن مجرى قال (الذين يصدون عن سبيل الله) صفة للظالمين مقررة أو ذم مرفوع أو منصوب (ويبغونها عوجا) زيغا وميلا عما هو عليه والعوج بالكسر في المعاني والاعيان مالم تكن منتصبة وبالفتح ما كان في المنتصبة كالحائط والرمح (وهم بالآخرة كافرون وبينهما حجاب) أي بين الفريقين لقوله تعالى فضرب بينهم بسور أو بين الجنة والنار ليمنع

المذكورة لما جرى من خلافة عثمان ومحاربة طلحة والزبير في حرب الجمل مع علي رضي الله عنه أو يقال معنى كلامه كرم الله وجهه اخراج أسباب الغل فلا يلزم منه سبق وجود الغل في صدورهم (قوله دل عليه ما قبله) وهو قوله تعالى وما كنا لنهتدي أي لولا أن هدانا الله ما كنا لنهتدي وانما لم يجعل المقدم جوابا للو لانها بصدارتها لا يتقدم عليها جوابها (قوله مبينة للاولى) أي الحمد لله الذي هدانا لهذا (قوله والمنادى له بالذات أورثتموها) أي ما نودوا له ولاجله هو أورثتموها بما كنتم تعملون وانما قال والمنادى له بالذات لان الظاهر أن المنادى له ان تلكموا الجنة فاشار الى أنه ليس بمنادى بالذات بل هو مقدمة والمنادى له بالذات أورثتموها الآية لانهم بعد دخولهم الجنة يعلمون أنهم في الجنة فلا فائدة في مجرد أن يقال لهم ان تلكمو الجنة فظهر بما ذكرنا أن قوله وصول

والمنادى له بالذات الخ متعلق بقوله الاخير وهو بعد دخولها ثم يمكن أن يقال انه متعلق بالاحتمالين الا أن أورثتموها مقصد الدلالة بالذات (قوله وأن في المواقع الخمسة) الاول ان تلكموا الجنة والثاني أن قد وجدنا والثالث أن لعنة الله والرابع أن سلام عليكم والخامس أن أفيضوا علينا من الماء (قوله لان ما ساءهم من الموعود لم يكن باسره مخصوصا بهم وعده) أي لو قيل فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا لفهم أن كل ما وعدوا فهو مخصوص بهم وليس كذلك لما ذكر (قوله والاعيان مالم تكن منتصبة) قال في الصحاح قال ابن السكيت كل ما كان ينتصب كالحائط والعود قيل فيه عوج بالفتح والعوج بالكسر ما كان في أرض أو دين ومعاش

وصول أثر احداهما الى الأخرى (وعلى الاعراف) وعلى أعراف الحجاب أى أعاليه وهو السور المضروب بينهما جمع عرف مستعار من عرف الفرس وقيل العرف ما ارتفع من الشئ فانه يكون لظهوره أعرف من غيره (رجال) طائفة من الموحدين قصروا فى العمل فيحبسون بين الجنة والنار حتى يقضى الله سبحانه وتعالى فيهم ما يشاء وقيل قوم علت درجاتهم كالانبياء عليهم الصلاة والسلام أو الشهداء رضى الله تعالى عنهم أو خيار المؤمنين وعلماؤهم أو ملائكة يرون فى صورة الرجال (يعرفون كلا) من أهل الجنة والنار (بسيماهم) بعلامتهم التى أعلمهم الله بها كبياض الوجه وسواده فعلى من سام ابله اذا أرسلها فى المرعى معلمة أو من وسم على القلب كالجاه من الوجه وانما يعرفون ذلك بالالهام أو تعليم الملائكة (ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم) أى اذا نظروا اليهم سلموا عليهم (لم يدخلوها وهم يطمعون) حال من الواو على الوجه الاول ومن أصحاب على الوجوه الباقية (واذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا) نعوذ بالله (ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين) أى فى النار (ونادى أصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم) من رؤساء الكفرة (قالوا ما أغنى عنكم جمعكم) كثرتكم أو جمعكم المال (وما كنتم تستكبرون) عن الحق أو على الخلق وقرئ تستكثرون من الكثرة (أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة) من تتمة قولهم للرجال والاشارة الى ضعفاء أهل الجنة الذين كانت الكفرة يحتقرونهم فى الدنيا ويحلفون أن الله لا يدخلهم الجنة (ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون) أى فالتفتوا الى أصحاب الجنة وقالوا لهم ادخلوا وهو أوفق للوجوه الاخيرة أو فقيل لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة بفضل الله سبحانه وتعالى بعد أن حبسوا حتى أبصروا الفريقين وعرفوهم وقالوا لهم ما قالوا وقيل لما عيروا أصحاب النار أقسموا أن أصحاب الاعراف لا يدخلون الجنة فقال الله سبحانه وتعالى أو بعض الملائكة أهؤلاء الذين أقسمتم وقرئ ادخلوا ودخلوا على الاستئناف وتقديره دخلوا الجنة مقولا لهم لا خوف عليكم (ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء) أى صبوه وهو دليل على أن الجنة فوق النار (أو مما رزقكم الله) من سائر الاشربة ليلائم الافاضة أو من الطعام كقوله * علفتها تبنا وماء باردا * (قالوا ان الله حرمهما على الكافرين) منعهما عنهم منع المحرم عن المكلف (الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا) كتحريم البحيرة والتصدية والمكاء حول البيت واللهو صرف الهم بما لا يحسن أن يصرف به واللعب طلب الفرح بما لا يحسن أن يطلب به (وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم) نفعل بهم فعل الناسين فنتركهم فى النار (كما نسوا لقاء يومهم هذا) فلم يخطروه ببالهم ولم يستعدوا له (وما كانوا بآياتنا يجحدون) وكما كانوا منكرين أنها من عند الله (ولقد جئناهم بكتاب فصلناه) بينا معانيه من العقائد والاحكام والمواعظ مفصلة (على علم) عالمين بوجه تفصيله حتى جاء حكيما وفيه دليل على أنه سبحانه وتعالى عالم بعلم أو مشتملا على علم فيكون حالا من المفعول وقرئ فضلناه أى على سائر الكتب عالمين بأنه حقيق بذلك (هدى ورحمة لقوم يؤمنون) حال من الهاء (هل ينظرون) ينتظرون (الا تأويله) الا ما يؤول اليه أمره من تبين صدقه

الاول هو أول الوجوه التى ذكرت فى تفسير رجال يعنى اذا كان المراد بالرجال جماعة من الموحدين قصروا فى العمل فيحبسون بين الجنة والنار كانت الجملة المذكورة حالا من الواو لان عدم الدخول فى الجنة مع طمعهم فيه مناسبة لهم وأما اذا كان المراد من الرجال الانبياء والشهداء أو خيار المؤمنين فلا يناسبهم ماذكر بل على كل من الوجوه يصلح أن تكون الجملة المذكورة حالا من الاصحاب (قوله وهو أوفق للوجوه الاخيرة) وهى من وقيل قوم علت درجاتهم الخ وانما كان أوفق لان هذا القول وهو الامر بدخول الجنة غير مناسب لمقام هؤلاء المحبوسين فى الاعراف الممنوعين من دخول الجنة لان المناسب للمحبوسين ادخال أنفسهم فى الجنة لا أمر غيرهم بالدخول فيها (قوله أدخلوا) بصيغة المجهول (قوله ليلائم الافاضة) أى انما خصصنا ما رزقكم الله بالاشربة لما ذكر لان الافاضة تحصيل السيلان ولا تكون الا للاشربة (قوله علفتها تبنا وماء باردا) أى علفتها تبنا وسقيتها ماء باردا (قوله منعهما عنهم الخ) انما فسر بذلك لان الآخرة ليست بدار تكليف حتى يكون فيها حرمة شئ (قوله وفيه دليل على أنه تعالى عالم بعلم) أى فيه دليل على أنه تعالى عالم بعلم زائد على نفس ذاته لا كما قاله الفلاسفة من أن العلم أى علمه تعالى عين ذاته

(قوله فعلى الاول المسؤل أحد الامرين الخ) أى على قراءة الرفع المسؤل أحد الامرين من وجود الشفعاء والرد وعلى الثانى وهو قراءة النصب المسؤل وجود الشفعاء ألبتة لكن اما الاحد الامرين وهما الشفاعة والرد وذلك على أن يكون نرد عطفا على يشفعوا أو الامر الواحد وهو الرد (قوله جواب الاستفهام (١٢) الثانى) وهو على تقدير أن يكون أو بمعنى أو هل نرد فان قلت انه صحيح على أن يكون أو نرد بمعنى الاستفهام وأما اذا كان أو فيه بمعنى الى أن فما وجه اعرابه ولم يذكره المصنف قلنا يكون عطفا عليه (قوله دليل الاختيار) فيه نظر لانه لو سلم القدرة على الايجاد دفعة يستلزم ثبوت الاختيار فلا حاجة الى اعتبار خلقها بالتدريج بل يكفى أن يقال لما ثبتت القدرة على ايجادها دفعة ثبت الاختيار الا أن يقال المراد من القدرة قوة الايجاد مطلقا سواء كان بطريق الارادة والاختيار أو بطريق الايجاب ثم ان كون التدريج دليل الاختيار فيه خفاء كما يظهر للمتأمل (قوله استوى أمره) يمكن أن يكون استوى على العرش كناية عن استواء الملك (قوله وقيل الملك) فيكون المعنى استوى على الملك (قوله ولم يذكر عكسه للعلم به) أى يعلم من يغشى الليل النهار عكسه و هو يغشى النهار الليل وانما لم يذكر الثانى

بظهور ما نطق به من الوعد والوعيد (يوم يأتى تأويله يقول الذين نسوه من قبل) تركوه ترك الناسى (قد جاءت رسل ربنا بالحق) أى قد تبين أنهم جاؤا بالحق (فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا) اليوم (أو نرد) أو هل نرد الى الدنيا وقرئ بالنصب عطفا على فيشفعوا أو لان أو بمعنى الى أن فعلى الاول المسؤل أحد الامرين الشفاعة أو ردهم الى الدنيا وعلى الثانى أن يكون لهم شفعاء اما لاحد الامرين أو لامر واحد وهو الرد (فنعمل غير الذى كنا نعمل) جواب الاستفهام الثانى وقرئ بالرفع أى فنحن نعمل (قد خسروا أنفسهم) بصرف أعمارهم فى الكفر (وضل عنهم ما كانوا يفترون) بطل عنهم فلم ينفعهم (ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام) أى فى ستة أوقات كقوله ومن يولهم يومئذ دبره أو فى مقدار ستة أيام فان المتعارف باليوم زمان طلوع الشمس الى غروبها ولم يكن حينئذ و فى خلق الاشياء مدرجا مع القدرة على ايجادها دفعة دليل للاختيار واعتبار للنظار وحث على التأنى فى الامور (ثم استوى على العرش) استوى أمره أو استولى وعن أصحابنا أن الاستواء على العرش صفة لله بلا كيف والمعنى أن له تعالى استواء على العرش على الوجه الذى عناه منزها عن الاستقرار والتمكن والعرش الجسم المحيط بسائر الاجسام سمى به لارتفاعه أو للتشبيه بسرير الملك فان الامور والتدابير تنزل منه وقيل الملك (يغشى الليل النهار) يغطيه به ولم يذكر عكسه للعلم به أو لان اللفظ يحتملهما ولذلك قرئ يغشى الليل النهار بنصب الليل و رفع النهار وقرأ حمزة والكسائى و يعقوب وأبو بكر عن عاصم بالتشديد فيه وفى الرعد للدلالة على التكرير (يطلبه حثيثا) يعقبه سريعا كالطالب له لا يفصل بينهما شئ والحثيث فعيل من الحث وهو صفة مصدر محذوف أو حال من الفاعل بمعنى حاثا أو المفعول بمعنى محثوثا (والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره) بقضائه وتصريفه ونصبها بالعطف على السموات ونصب مسخرات على الحال وقرأ ابن عامر كلها بالرفع على الابتداء والخبر (ألا له الخلق والامر) فانه الموجد والمتصرف (تبارك الله رب العالمين) تعالى بالوحدانية فى الالوهية وتعظم بالتفرد فى الربوبية وتحقيق الآية والله سبحانه وتعالى أعلم أن الكفرة كانوا متخذين أربابا فبين لهم أن المستحق للربوبية واحد وهو الله سبحانه وتعالى لانه الذى له الخلق والامر فانه سبحانه وتعالى خلق العالم على ترتيب قويم وتدبير حكيم فابدع الافلاك ثم زينها بالكواكب كما أشار اليه بقوله تعالى فقضاهن سبع سموات فى يومين وعمد الى ايجاد الاجرام السفلية فخلق جسما قابلا للصور المتبدلة والهيآت المختلفة ثم قسمها بصور نوعية متضادة الآثار والافعال وأشار اليه بقوله وخلق الأرض أى ما فى جهة السفل فى يومين ثم أنشأ أنواع المواليد الثلاثة بتركيب موادها أولا وتصويرها ثانيا كما قال تعالى بعد قوله خلق الارض فى يومين وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام أى مع اليومين الاولين لقوله تعالى فى سورة السجدة الله الذى خلق السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام ثم لما تم له عالم الملك عمد الى تدبيره كالملك الجالس على عرشه لتدبير

بدل الاول لان تعلق التغشية بالليل أظهر (قوله أو لان اللفظ يحتملهما ولذلك قرئ الخ) هذا يدل على أن ماذكره أولا من أن معنى يغشى الليل النهار يغطيه به تغطية النهار بالليل حتى يكون العكس يغطى الليل بالنهار فيكون موافقا للقراءة المذكورة وهو فتح ياء يغشى ونصب الليل و رفع النهار وانما اعتبر أولا لتقدم المفعول الثانى لان جعل الليل غشاوة للنهار أنسب من العكس ولذا فسر صاحب الكشاف أولا بما يعطى تقديم المفعول الثانى

لتدبير المملكة فدبر الامر من السماء الى الارض بتحريك الافلاك وتسيير الكواكب وتكوير الليالى والايام ثم صرح بما هو فذلكة التقرير ونتيجته فقال ألا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ثم أمرهم بان يدعوه متذللين مخلصين فقال (ادعوا ربكم تضرعا وخفية) أى ذوى تضرع وخفية فان الاخفاء دليل الاخلاص (انه لا يحب المعتدين) المجاوزين ما أمروا به فى الدعاء وغيره نبه به على أن الداعى ينبغى أن لا يطلب ما لا يليق به كرتبة الانبياء عليهم الصلاة والسلام والصعود الى السماء وقيل هو الصياح فى الدعاء والاسهاب فيه وعن النبى صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون فى الدعاء وحسب المرء أن يقول اللهم انى أسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرأ انه لا يحب المعتدين (ولا تفسدوا فى الارض) بالكفر والمعاصى (بعد اصلاحها) ببعث الانبياء وشرع الاحكام (وادعوه خوفا وطمعا) ذوى خوف من الرد لقصور أعمالكم وعدم استحقاقكم وطمع فى اجابته تفضلا واحسانا لفرط رحمته (ان رحمت الله قريب من المحسنين) ترجيح للطمع وتنبيه على ما يتوسل به الى الاجابة وتذكير قريب لان الرحمة بمعنى الرحم أو لانه صفة محذوف أى أمر قريب أو على تشبيهه بفعيل الذى هو بمعنى مفعول أو الذى هو مصدر كالنقيض أو للفرق بين القريب من النسب والقريب من غيره (وهو الذى يرسل الرياح) وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائى الريح على الوحدة (نشرا) جمع نشور بمعنى ناشر وقرأ ابن عامر نشرا بالتخفيف حيث وقع وحمزة والكسائى نشرا بفتح النون حيث وقع على أنه مصدر فى موقع الحال بمعنى ناشرات أو مفعول مطلق فان الارسال والنشر متقاربان وعاصم بشرا وهو تخفيف بشر جمع بشير وقد قرئ به و بشرا بفتح الباء مصدر بشره بمعنى باشرات أو للبشارة وبشرى (بين يدى رحمته) قدام رحمته يعنى المطر فان الصبا تثير السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه (حتى اذا أقلت) أى حملت واشتقاقه من القلة فان المقل للشئ يستقله (سحابا ثقالا) بالماء جمعه لان السحاب جمع بمعنى السحائب (سقناه) أى السحاب وافراد الضمير باعتبار اللفظ (لبلد ميت) لاجله أو لاحيائه أو لسقيه وقرئ ميت (فانزلنا به الماء) بالبلد أو بالسحاب أو بالسوق أو بالريح وكذلك (فاخرجنا به) ويحتمل فيه عود الضمير الى الماء واذا كان للبلد فالباء للالصاق فى الاول وللظرفية فى الثانى واذا كان لغيره فهى للسببية فيهما (من كل الثمرات) من كل أنواعها (كذلك نخرج الموتى) الاشارة فيه الى اخراج الثمرات أو الى احياء البلد الميت أى كما نحييه باحداث القوة النامية فيه وتطريتها بأنواع النبات والثمرات نخرج الموتى من الاجداث ونحييها برد النفوس الى مواد أبدانها بعد جمعها وتطريتها بالقوى والحواس (لعلكم تذكرون) فتعلمون أن من قدر على ذلك قدر على هذا (والبلد الطيب) الارض الكريمة التربة (يخرج نباته باذن ربه) بمشيئته وتيسيره عبر به عن كثرة النبات وحسنه وغزارة نفعه لانه أوقعه فى مقابلة (والذى خبث) أى كالحرة والسبخة (لا يخرج الا نكدا) قليلا عديم النفع ونصبه على الحال وتقدير الكلام والبلد الذى خبث لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه فصار مرفوعا مستترا وقرئ يخرج أى يخرجه البلد فيكون الا نكدا مفعولا ونكدا على المصدر أى ذا نكد ونكدا بالاسكان للتخفيف (كذلك نصرف الآيات) نرددها ونكررها (لقوم يشكرون) نعمة الله فيتفكرون فيها ويعتبرون بها والآية مثل لمن تدبر الآيات وانتفع بها ولمن لم يرفع اليها رأسا ولم

(قوله فالباء للالصاق فى الاول وللظرفية فى الثانى) أى الباء فى أنزلنا به الماء للالصاق وفى أخرجنا به بمعنى فى ولك أن تقول يمكن أن تكون الاولى أيضا بمعنى فى فيكون المعنى أنزلنا فيه الماء (قوله وتطريتها بالقوى والحواس) فيه أنه يلزم أن تكون الحواس والقوى موجودة فى البدن فى آن لم يتعلق النفس به والوجه أن يقال بعد جمع ابدانها وتهيئتها لتعلق النفس وصلوحه للقوى والحواس حتى اذا تعلقت النفس به فاض معه القوى والحواس (قوله وقرئ يخرج أى يخرجه البلد الخ) أى قرئ يخرج فى الموضعين بضم الياء كما ذكر فى الكشاف وقرئ يخرج نباته أى يخرجه البلد فيكون قوله يخرجه البلد تفسير قوله تعالى يخرج نباته

(قوله ولا تكاد تطلق هذه اللام الامع قد) صريح فى أن لام جواب القسم لاتكون الامع قد وليس كذلك اذ قد تطلق بدون قد كقوله تعالى تالله لأكيدن أصنامكم والجواب أن المراد ان هذه اللام أى لام جواب القسم لاتوجد الامع قد اذا كان القسم محذوفا (قوله فان المخاطب اذا سمعها الخ) أى سمع هذه اللام توقع وقوع ما صدر بها لان لام القسم تفيد تأكيد وقوع ما صدر بها (قوله على اللفظ) أى على المحل على لفظ الموصوف فان غيره فى الحقيقة صفة اله اذ التقدير مالكم اله غيره (قوله

يتأثر بها (لقد أرسلنا نوحا الى قومه) جواب قسم محذوف ولا تكاد تطلق هذه اللام الامع قد لانها مظنة التوقع فان المخاطب اذا سمعها توقع وقوع ما صدر بها ونوح بن لمك بن متوشلخ بن ادريس أول نبى بعده بعث وهو ابن خمسين سنة أو أربعين (فقال ياقوم اعبدوا الله) أى اعبدوه وحده لقوله تعالى (مالكم من اله غيره) وقرأ الكسائى غيره بالكسر نعتا أو بدلا على اللفظ حيث وقع اذا كان قبل اله من التى تخفض وقرئ بالنصب على الاستثناء (انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) ان لم تؤمنوا وهو وعيد و بيان للداعى الى عبادته واليوم يوم القيامة أو يوم نزول الطوفان (قال الملأ من قومه) أى الاشراف فانهم يملؤن العيون رواء (انا لنراك فى ضلال) زوال عن الحق (مبين) بين (قال ياقوم ليس بى ضلالة) أى شئ من الضلال بالغ فى النفى كما بالغوا فى الاثبات وعرض لهم به (ولكنى رسول من رب العالمين) استدراك باعتبار ما يلزمه وهو كونه على هدى كانه قال ولكنى على هدى فى الغاية لانى رسول من الله سبحانه وتعالى (أبلغكم رسالات ربى وأنصح لكم وأعلم من الله مالا تعلمون) صفات لرسول أو استئناف ومساقها على الوجهين لبيان كونه رسولا وقرأ أبو عمرو أبلغكم بالتخفيف وجمع الرسالات لاختلاف أوقاتها أو لتنوع معانيها كالعقائد والمواعظ والاحكام أو لأن المراد بها ما أوحى اليه والى الانبياء قبله كصحف شيث وادريس وزيادة اللام فى لكم للدلالة على امحاض النصح لهم وفى أعلم من الله تقرير لما أوعدهم به فان معناه أعلم من قدرته وشدة بطشه أو من جهته بالوحى أشياء لاعلم لكم بها (أوعجبتم) الهمزة للانكار والواو للعطف على محذوف أى أكذبتم وعجبتم (أن جاءكم) من أن جاءكم (ذكر من ربكم) رسالة أو موعظة (على رجل) على لسان رجل (منكم) من جملتكم أو من جنسكم فانهم كانوا يتعجبون من ارسال البشر ويقولون لو شاء الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا فى آبائنا الاوّلين (لينذركم) عاقبة الكفر والمعاصى (ولتتقوا) منهما بسبب الانذار (ولعلكم ترحمون) بالتقوى وفائدة حرف الترجى التنبيه على أن التقوى غير موجب والترحم من الله سبحانه وتعالى تفضل وأن المتقى ينبغى أن لا يعتمد على تقواه ولا يأمن من عذاب الله تعالى (فكذبوه فأنجيناه والذين معه) وهم من آمن به وكانوا أربعين رجلا وأربعين امرأة وقيل تسعة بنوه سام وحام و يافث وستة ممن آمن به (فى الفلك) متعلق بمعه أو بأنجيناه أو حال من الموصول أو من الضمير فى معه (وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا) بالطوفان (انهم كانوا قوما عمين) عمى القلوب غير مستبصرين وأصله عميين خفف وقرئ عامين والاوّل أبلغ لدلالته على الثبات (والى عاد أخاهم) عطف على نوحا الى قومه (هودا) عطف بيان لاخاهم والمراد به الواحد منهم كقولهم ياأخا العرب للواحد منهم فانه هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وقيل هود بن شالخ ابن ارفخشذ بن سام بن نوح ابن عم أبى عاد وانما جعل منهم لانهم أفهم لقوله وأعرف بحاله وأرغب فى اقتفائه

وعرض لهم) أى أومأ الى أن الضلالة لهم لاله فان تقدم الجار والمجرور يفيد ذلك الاختصاص (قوله بالغ فى النفى كما بالغوا فى الاثبات) أى قوم نوح لما بالغوا فى اثبات الضلال له حيث حكى عنهم الله تعالى بالجملة الاسمية المؤكدة بان واللام بالغ نوح أيضا فى نفى الضلالة عن نفسه حيث أورد النكرة الواحدة فى سياق النفى مجيبا لهم على سبيل استغراق النفى لا يقال ان معنى الوحدة لا يستلزم نفى الكثرة اذ يصح أن يقال ليس عندى ثمرة بل ثمرات كثيرة لانا نقول هذا لايناسب المقام وهو نفى الضلال عن نفسه (قوله استدراك باعتبار ما يلزمه) الظاهر أن يقال ليس فى ضلالة ولكنى على هدى لكنه قال ولكنى رسول من رب العالمين باعتبار لازمه وهو كونه على هدى فانه لازم الرسالة ان قيل لافائدة فى لاستدراك لان نفى الضلالة مستلزم للهدى قلنا المراد من الهدى الهداية الكاملة ونفى الضلالة لايستلزمها

قوله وان المتقى ينبغى أن لا يعتمد على تقواه الخ) فان قلت النصوص قاطعة بان المتقين يدخلون الجنة ويأمنون العذاب البتة مع هذه القواطع فما معنى عدم الامن من العذاب قلنا لان المتقى لايعلم عاقبته هل يستمر على تقواه أم لا لكن المدار على خواتم الاعمال (قوله وانما جعل منهم) أى وانما جعل نبيهم منهم

(قوله اذ كان من أشرافهم من آمن به الخ) يعنى لما قيل قال الملأ الذين كفروا من قومه فانه دل على أن بعض قومه كافرون فدل على أن بعضهم مؤمنون (قوله وكأن قومه كانوا أقرب من قوم نوح الخ) أى أقرب الى قبول النصح والاتباع من قوم نوح فانهم كانوا فى غاية البعد ولهذا آمن بهود بعض الملأ من قومه دون الملأ من قوم نوح (قوله وفى قوله وأنا لكم ناصح أمين تنبيه الخ) أى تنبيه على انه كان معروفا بينهم بالامانة والنصح اذ لولم يكن كذلك لم يكن لهذا الكلام كثير فائدة فكأنه قيل

اقتفائه (قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره) استأنف به ولم يعطف كأنه جواب سائل قال فما قال لهم حين أرسل وكذلك جوابهم (أفلا تتقون) عذاب الله وكأن قومه كانوا أقرب من قوم نوح عليه السلام ولذلك قال أفلا تتقون (قال الملأ الذين كفروا من قومه) اذ كان من أشرافهم من آمن به كمرثد بن سعد (انا لنراك فى سفاهة) متمكنا فى خفة عقل راسخا فيها حيث فارقت دين قومك (وانا لنظنك من الكاذبين قال ياقوم ليس بى سفاهة ولكنى رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربى وأنا لكم ناصح أمين أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم) سبق تفسيره وفى اجابة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الكفرة عن كلماتهم الحمقاء بما أجابوا والاعراض عن مقابلتهم كمال النصح والشفقة وهضم النفس وحسن المجادلة وهكذا ينبغى لكل ناصح وفى قوله وأنا لكم ناصح أمين تنبيه على أنهم عرفوه بالأمرين وقرأ أبو عمرو أبلغكم فى الموضعين فى هذه السورة وفى الاحقاف مخففا (واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح) أى فى مساكنهم أوفى الارض بأن جعلكم ملوكا فان شداد بن عاد ممن ملك معمورة الارض من رمل عالج الى شحر عمان خوّفهم من عقاب الله ثم ذكرهم بانعامه (وزادكم فى الخلق بسطة) قامة وقوّة (فاذكروا آلاء الله) تعميم بعد تخصيص (لعلكم تفلحون) لكى يفضى بكم ذكر النعم الى شكرها المؤدى الى الفلاح (قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا) استبعدوا اختصاص الله بالعبادة والاعراض عما أشرك به آباؤهم انهماكا فى التقليد وحبا لما ألفوه ومعنى المجىء فى أجئتنا اما المجىء من مكان اعتزل به عن قومه أومن السماء على التهكم أو القصد على المجاز كقولهم ذهب يسبنى (فأتنا بما تعدنا) من العذاب المدلول عليه بقوله أفلا تتقون (ان كنت من الصادقين) فيه (قال قد وقع عليكم) قد وجب وحق عليكم أونزل عليكم على أن المتوقع كالواقع (من ربكم رجس) عذاب من الارتجاس وهو الاضطراب (وغضب) ارادة انتقام (أتجادلوننى فى أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان) أى فى أشياء سميتموها آلهة وليس فيها معنى الالهية لأن المستحق للعبادة بالذات هو الموجد للكل وانها لو استحقت كان استحقاقها بجعله تعالى اما بانزال آية أو بنصب حجة بين ان منتهى حجتهم وسندهم أن الاصنام تسمى آلهة من غير دليل يدل على تحقق المسمى واسناد الاطلاق الى من لا يؤبه بقوله اظهارا لغاية جهالتهم وفرط غباوتهم واستدل به على أن الاسم هو المسمى وأن اللغات توقيفية اذ لو لم يكن كذلك لم يتوجه الذم والابطال بأنها أسماء مخترعة لم ينزل الله بها سلطانا وضعفهما ظاهر (فانتظروا) لما وضح الحق وأنتم مصرون على العناد نزول العذاب بكم (انى معكم من المنتظرين فأنجيناه والذين معه) فى الدين (برحمة منا) عليهم (وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا) أى استأصلناهم (وما كانوا مؤمنين) تعريض بمن آمن منهم وتنبيه على أن الفارق بين من نجا وبين من هلك هو الايمان روى أنهم كانوا يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم هودا فكذبوه وازدادوا عتوا فأمسك

أنتم تعرفون انى كنت أمينا فيما بينكم وناصحا لكم فالآن أيضا كذلك فصدقونى فى دعوى الرسالة (قوله ولعل النكتة فى اختلاف العبارتين) حيث قال نوح لقومه أنصح لكم وقال هود لقومه وأنا لكم ناصح أمين ان نوحا أحدث النصح عند النبوّة فلذا قال بصيغة المضارع وهود كان مستمرا فى النصح فلذا قال بالجملة الاسمية (قوله تعميم بعد تخصيص) لان ماذكر أولا من كونهم خلفاء قوم نوح والزيادة فى الخلق داخل فى آلاء الله (قوله أو القصد على المجاز الخ) فان المجىء والذهاب مستلزمان للقصد فاستعملا فيما هو لازمهما (قوله واستدل به على أن الاسم هو المسمى) الى قوله وضعفهما ظاهر اما وجه الاستدلال على الاول فبأن يقال ان المراد بالاسماء المسميات التى هى الاصنام اذ المجادلة فيها لا فى مجرد الالفاظ فيكون الاسم عين المسمى واما على الثانى فبأن يقال ما نزل الله بها من سلطان يدل على أن اطلاق الاسماء والتسمية موقوف على حجة صادرة من الله تعالى وهذا معنى التوقيف واما بيان ضعف الاستدلال الاول فبأن المراد من الاسماء المسميات مجازا ولذا قال فى أسماء سميتموها آلهة وهذا لا يستلزم أن يكون الاسم عين المسمى وأما ضعف الثانى فلان المراد بما نزل الله بها من سلطان ما نزل الله حجة على استحقاقها للعبادة وهذا لا يستلزم كون الاسماء توقيفية

الله القطر عنهم ثلاث سنين حتى جهدهم وكان الناس حينئذ مسلمهم ومشركهم اذا نزل بهم بلاء توجهوا الى البيت الحرام وطلبوا من الله الفرج فجهزوا اليه قيل بن عنز ومرثد بن سعد فى سبعين من أعيانهم وكان اذ ذاك بمكة العمالقة أولاد عمليق بن لاوذ بن سام وسيدهم معاوية بن بكر فلما قدموا عليه وهو بظاهر مكة أنزلهم وأكرمهم وكانوا أخواله وأصهاره فلبثوا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان له فلما رأى ذهولهم باللهو عما بعثوا له أهمه ذلك واستحيا أن يكلمهم فيه مخافة أن يظنوا به ثقل مقامهم فعلم القينتين

ألا يا قيل ويحك قم فهينم * لعل الله يسقينا الغماما

فيسقى أرض عاد ان عادا * قد أمسوا ما يبينون الكلاما

حتى غنتا به فأزعجهم ذلك فقال مرثد والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان أطعتم نبيكم وتبتم الى الله سبحانه وتعالى سقيتم فقالوا لمعاوية احبسه عنا لا يقدمن معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فأنشأ الله تعالى سحابات ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها أكثرهن ماء فخرجت على عاد من وادى المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فأهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فأتوا مكة وعبدوا الله سبحانه وتعالى فيها حتى ماتوا (والى ثمود) قبيلة أخرى من العرب سموا باسم أبيهم الأكبر ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح وقيل سموا به لقلة مائهم من الثمد وهو الماء القليل وقرئ مصروفا بتأويل الحى أو باعتبار الاصل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادى القرى (أخاهم صالحا) صالح بن عبيد بن آسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود (قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم) معجزة ظاهرة الدلالة على صحة نبوتى وقوله (هذه ناقة الله لكم آية) استئناف لبيانها وآية نصب على الحال والعامل فيها معنى الاشارة ولكم بيان لمن هى له آية ويجوز أن تكون ناقة الله بدلا أو عطف بيان ولكم خبرا عاملا فى آية واضافة الناقة الى الله لتعظيمها ولانها جاءت من عنده بلا وسائط وأسباب معهودة ولذلك كانت آية (فذروها تأكل فى أرض الله) العشب (ولا تمسوها بسوء) نهى عن المس الذى هو مقدمة الاصابة بالسوء الجامع لأنواع الأذى مبالغة فى الامر وازاحة للعذر (فيأخذكم عذاب أليم) جواب للنهى (واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم فى الأرض) أرض الحجر (تتخذون من سهولها قصورا) أى تبنون فى سهولها أو من سهولة الأرض بما تعملون منها كاللبن والآجر (وتنحتون الجبال بيوتا) وقرئ تنحتون بالفتح وتنحاتون بالاشباع وانتصاب بيوتا على الحال المقدرة أو المفعول على أن التقدير بيوتا من الجبال أو تنحتون بمعنى تتخذون (فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا فى الأرض مفسدين قال الملأ الذين استكبروا من قومه) أى عن الايمان (للذين استضعفوا) أى للذين استضعفوهم واستذلوهم (لمن آمن منهم) بدل من الذين استضعفوا بدل الكل ان كان الضمير لقومه وبدل البعض ان كان للذين وقرأ ابن عامر وقال الملأ بالواو (أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه) قالوه على الاستهزاء (قالوا انا بما أرسل به مؤمنون) عدلوا به عن الجواب السوى الذى هو نعم تنبيها على أن ارساله أظهر من أن يشك فيه عاقل ويخفى على ذى رأى وانما الكلام فيمن آمن به ومن كفر فلذلك قال (قال الذين استكبروا انا بالذى آمنتم به كافرون) على وجه المقابلة ووضعوا آمنتم به موضع أرسل به ردا لما جعلوه معلوما

(قوله بدل الكل ان كان الضمير لقومه الخ) أى ان كان ضميرهم فى منهم راجعا الى القوم كان لمن آمن منهم وللذين استضعفوا واحدا لان كل واحد منهما بعض من القوم وان كان الضمير المذكور راجعا الى الذين استضعفوا كان من آمن منهم بعضا من الذين استضعفوا

مسلما (فعقروا الناقة) فنحروها أسند الى جميعهم فعل بعضهم للملابسة أولانه كان برضاهم (وعتوا عن أمر ربهم) واستكبروا عن امتثاله وهو مابلغهم صالح عليه الصلاة والسلام بقوله فذروها (وقالوا ياصالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين فأخذتهم الرجفة) الزلزلة (فاصبحوا فى دارهم جاثمين) خامدين ميتين روى أنهم بعد عاد عمروا بلادهم وخلفوهم وكثروا وعمروا أعمارا طوالا لاتفى بها الابنية فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا فى خصب وسعة فعتوا وأفسدوا فى الارض وعبدوا الاصنام فبعث الله اليهم صالحا من أشرافهم فأنذرهم فسألوه آية فقال أية آية تريدون قالوا اخرج معنا الى عيدنا فتدعو الهك وندعو آلهتنا فمن استجيب له اتبع فخرج معهم فدعوا أصنامهم فلم تجبهم ثم أشار سيدهم جندع بن عمرو الى صخرة منفردة يقال لها الكاثبة وقال له أخرج من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء فان فعلت صدقناك فأخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت ذلك لتؤمنن فقالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا وهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها فى العظم فآمن به جندع فى جماعة ومنع الباقين من الايمان ذؤاب بن عمرو والحباب صاحب أوثانهم ورباب بن صغر كاهنهم فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وترد الماء غبا فما ترفع رأسها من البئر حتى تشرب كل مافيها ثم تتفحج فيحلبون ماشاؤا حتى تمتلئ أوانيهم فيشربون ويدخرون وكانت تصيف بظهر الوادى فتهرب منها أنعامهم الى بطنه وتشتو ببطنه فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم عنيزة أم غنم وصدقة بنت المختار فعقروها واقتسموا لحمها فرقى سقبها جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا فقال صالح لهم أدركوا الفصيل عسى أن يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه اذ انفجرت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبح وجوهكم غدا مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا أن يقتلوه فأنجاه الله الى أرض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالانطاع فأتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا (فتولى عنهم وقال ياقوم لقد أبلغتكم رسالة ربى ونصحت لكم ولكن لاتحبون الناصحين) ظاهره أن توليه عنهم كان بعد أن أبصرهم جاثمين ولعله خاطبهم به بعد هلاكهم كما خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل قليب بدر وقال انا وجدنا ماوعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ماوعد ربكم حقا أو ذكر ذلك على سبيل التحسر عليهم (ولوطا) أى وأرسلنا لوطا (اذ قال لقومه) وقت قوله لهم أو واذكر لوطا واذ بدل منه (أتأتون الفاحشة) توبيخ وتقريع على تلك الفعلة المتمادية فى القبح (ماسبقكم بها من أحد من العالمين) مافعلها قبلكم أحد قط والباء للتعدية ومن الاولى لتأكيد النفى والاستغراق والثانية للتبعيض والجملة استئناف مقرر للانكار كانه وبخهم أولا باتيان الفاحشة ثم باختراعها فانه أسوأ (أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء) بيان لقوله أتأتون الفاحشة وهو أبلغ فى الانكار والتوبيخ وقرأ نافع وحفص انكم على الاخبار المستأنف وشهوة مفعول له أو مصدر فى موقع الحال وفى التقييد بها وصفهم بالبهيمية الصرفة وتنبيه على أن العاقل ينبغى أن يكون الداعى له الى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع لاقضاء الوطر (بل أنتم قوم مسرفون) اضراب عن الانكار الى الاخبار عن حالهم التى أدت بهم الى ارتكاب أمثالها وهى اعتياد الاسراف فى كل شئ أو عن الانكار عليها الى الذم على جميع معايبهم أو عن محذوف مثل لاعذر

(قوله للملابسة أولانه كان برضاهم) فيكون مجازا عقليا فان قيل على التقدير الاخير يمكن أن يكون مجازا لغويا ويكون معنى فعقروا الناقة رضوا بعقر الناقة قلنا فلا يعلم عقر الناقة بالفعل وهذا هو المقصود لا الرضا بعقرها (قوله ظاهره أن توليه عنهم كان بعد ان أبصرهم جاثمين) فان الفاء تدل عليه ثم ان أهل قليب بدر سمعوا مقالة النبى صلى الله عليه وسلم ولكن لم يستطيعوا أن ينطقوا بالجواب كما وقع فى الحديث فيحتمل أن قوم صالح أيضا كانوا كذلك ويدل عليه قوله تعالى ولكن لاتحبون الناصحين بصيغة الحال فعلى هذا يكون التعقيب أى تعقيب التولى بالنسبة الى التكذيب (قوله أو ذكر ذلك على سبيل التحسر عليهم) يعنى ليس الغرض مخاطبتهم به حقيقة وانما الغرض اظهار التحسر والتحزن (قوله وهو أبلغ فى الانكار والتوبيخ) لأنه أكد الكلام بحرفى التأكيد وايراده بالجملة الاسمية فيفيد انهم البتة فعلوا تلك الفعلة الفحشاء فيفيد زيادة التوبيخ

لكم فيه بل أنتم قوم عادتكم الاسراف (وما كان جواب قومه الا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم) أى ماجاؤا بما يكون جوابا عن كلامه ولكنهم قابلوا نصحه بالامر باخراجه فيمن معه من المؤمنين من قريتهم والاستهزاء بهم فقالوا (انهم أناس يتطهرون) أى من الفواحش (فأنجيناه وأهله) أى من آمن به (الا امرأته) استثناء من أهله فانها كانت تسر الكفر (كانت من الغابرين) من الذين بقوا فى ديارهم فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور (وأمطرنا عليهم مطرا) أى نوعا من المطر عجيبا وهو مبين بقوله وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل (فانظر كيف كان عاقبة المجرمين) روى أن لوط بن هاران بن تارح لما هاجر مع عمه ابراهيم عليه السلام الى الشام نزل بالاردن فارسله الله الى أهل سدوم ليدعوهم الى الله وينهاهم عما اخترعوه من الفاحشة فلم ينتهوا عنها فامطر الله عليهم الحجارة فهلكوا وقيل خسف بالمقيمين منهم وأمطرت الحجارة على مسافريهم (والى مدين أخاهم شعيبا) أى وأرسلنا اليهم وهم أولاد مدين بن ابراهيم خليل الله شعيب بن ميكائيل بن يسجر بن مدين وكان يقال له خطيب الانبياء عليهم الصلاة والسلام لحسن مراجعته قومه (قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم) يريد المعجزة التى كانت له وليس فى القرآن أنها ماهى ومار وى من محاربة عصا موسى عليه الصلاة والسلام التنين وولادة الغنم التى دفعها اليه الدرع خاصة وكانت الموعودة له من أولادها ووقوع عصا آدم على يده فى المرات السبع متأخرة عن هذه المقاولة ويحتمل أن تكون كرامة لموسى عليه السلام أو ارهاصا لنبوته (فاوفوا الكيل) أى آلة الكيل على الاضمار أو اطلاق الكيل على المكيال كالعيش على المعاش لقوله (والميزان) كما قال فى سورة هود أوفوا المكيال والميزان او الكيل ووزن الميزان ويجوز أن يكون الميزان مصدرا كالميعاد (ولا تبخسوا الناس أشياءهم) ولا تنقصوهم حقوقهم وانما قال أشياءهم للتعميم تنبيها على أنهم كانوا يبخسون الجليل والحقير والقليل والكثير وقيل كانوا مكاسين لايدعون شيأ الا مكسوه (ولا تفسدوا فى الارض) بالكفر والحيف (بعد اصلاحها) بعد ما أصلح أمرها أو أهلها الانبياء وأتباعهم بالشرائع أو أصلحوا فيها والاضافة اليها كالاضافة فى بل مكر الليل والنهار (ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين) اشارة الى العمل بما أمرهم به ونهاهم عنه ومعنى الخيرية اما الزيادة مطلقا أو فى الانسانية وحسن الاحدوثة وجمع المال (ولا تقعدوا بكل صراط توعدون) بكل طريق من طرق الدين كالشيطان وصراط الحق وان كان واحدا لكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام وكانوا اذا رأوا أحدا يسعى فى شئ منها منعوه وقيل كانوا يجلسون على المراصد فيقولون لمن يريد شعيبا انه كذاب فلا يفتننك عن دينك ويوعدون لمن آمن به وقيل كانوا يقطعون الطريق (وتصدون عن سبيل الله) يعنى الذى قعدوا عليه فوضع الظاهر موضع المضمر بيانا لكل صراط ودلالة على عظم مايصدون عنه وتقبيحا لما كانوا عليه أو الايمان بالله (من آمن به) أى بالله أو بكل صراط على الاول ومن مفعول تصدون على اعمال الاقرب ولو كان مفعول توعدون لقال وتصدونهم وتوعدون بما عطف عليه فى موقع الحال من الضمير فى تقعدوا (وتبغونها عوجا) وتطلبون لسبيل الله عوجا بالقاء الشبه أو وصفها للناس بانها معوجة (واذكروا اذ كنتم قليلا) عددكم أو عددكم (فكثركم) بالبركة فى النسل أو المال (وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين) من الامم قبلكم فاعتبروا بهم (وان كان طائفة منكم آمنوا بالذى أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا) فتربصوا (حتى يحكم الله بيننا)

(قوله وولادة الغنم التى دفعها اليه الدرع خاصة) الدرع جمع الأدرع وهو من الشاء ما اسود رأسه وابيض سائر جسده (قوله وكانت المدعوة له من أولادها) أى كانت الدرع هى ماوعد شعيب لموسى أى وعد شعيب انما ولدت الغنم وكان أدرع كان لموسى (قوله فتأخر عن هذه المقاولة) رد على صاحب الكشاف حيث جعل البينة المذكورة فى القرآن عبارة عما روى من محاربة عصا موسى التنين الخ (قوله ويحتمل ان يكون كرامة لموسى اوارهاصا لنبوته) الظاهر الاقتصار على الأخير لأنهم عرفوا الارهاص بخارق عادة صدر من النبى قبل دعواها (قوله أو الايمان بالله) عطف على قوله الذى قعدوا يعنى المراد من سبيل الله اما الصراط الذى قعد عليه أو الايمان بالله

(قوله اذلامعقب لحكمه ولاحيف فيه) هذا ان لابد لان على المدعى من انه تعالى خير الحاكمين أما الاول فلان كونه لامعقب لحكمه لايدل على كونه خير الحاكمين بل يدل على انه حاكم قوى لايقدر أحد على تعقب حكمه وأما الثانى وهو كون حكمه لاحيف فيه فلا يدل عليه لانه قد يكون الحكام العدول لاحيف فى حكمهم أيضا ويمكن ان يقال المادل على كونه أقوى الحكام من حيث الحكم اى من المعلوم ان هذا لوصف مخصوص به دل على كونه خيرهم اذ الاقوى على نفاذ الحكم لابد ان يكون خيرا من حيث كونه حاكما اذ المراد من خير الحاكمين أقواهم فى الحكم وعدم الحيف فى حكم الله تعالى محقق ظاهر وأما عدمه فى حكم غيره فليس كذلك بل غايته الظن ولو فرض اليقين فلا يطمئن الخاطر بعدم الحيف فيه كاطمئنانه فى حكمه تعالى (قوله أى كيف نعود فيها ونحن كارهون لها الخ) دلت عبارته على ان جملة لوكنا كارهين حالية وعلى هذا لم يبق للو معنى بل يكفى ان يقال أكنا كارهين بتقدير انعود

أى بين الفريقين بنصر المحقين على المبطلين فهو وعد للمؤمنين و وعيد للكافرين (وهو خير الحاكمين) اذلا معقب لحكمه ولاحيف فيه (قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن فى ملتنا) أى ليكونن أحد الامرين اما اخراجكم من القرية أو عودكم فى الكفر وشعيب عليه الصلاة والسلام لم يكن فى ملتهم قط لان الانبياء لايجوز عليهم الكفر مطلقا لكن غلبوا الجماعة على الواحد فخوطب هو وقومه بخطابهم وعلى ذلك أجرى الجواب فى قوله (قال أولو كنا كارهين) أى كيف نعود فيها ونحن كارهون لها أو أتعيدوننا فى حال كراهتنا (قد افترينا على الله كذبا) قد اختلقنا عليه (ان عدنا فى ملتكم بعد اذ نجانا الله منها) شرط جوابه محذوف دليله قد افترينا وهو بمعنى المستقبل لانه لم يقع لكنه جعل كالواقع للمبالغة وأدخل عليه قد لتقريبه من الحال أى قد افترينا الآن ان هممنا بالعود بعد الخلاص منها حيث نزعم أن لله تعالى ندا وانه قد تبين لنا أن ما كنا عليه باطل وما أنتم عليه حق وقيل انه جواب قسم وتقديره والله لقد افترينا (وما يكون لنا) ومايصح لنا (أن نعود فيها الا أن يشاء الله ربنا) خذلاننا وارتدادنا وفيه دليل على أن الكفر بمشيئة الله وقيل أراد به حسم طمعهم فى العود بالتعليق على مالا يكون (وسع ربنا كل شئ علما) أى أحاط علمه بكل شئ مما كان وما يكون منا ومنكم (على الله توكلنا) فى أن يثبتنا على الايمان ويخلصنا من الاشرار (ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق) احكم بيننا وبينهم والفتاح القاضى والفتاحة الحكومة أو أظهر أمرنا حتى ينكشف ما بيننا وبينهم ويتميز المحق من المبطل من فتح المشكل اذا بينه (وأنت خير الفاتحين) على المعنيين (وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا) وتركتم دينكم (انكم اذا لخاسرون) لاستبدالكم ضلالته بهداكم أو لفوات مايحصل لكم بالبخس والتطفيف وهو ساد مسد جواب الشرط والقسم الموطأ باللام (فأخذتهم الرجفة) الزلزلة وفى سورة الحجر فأخذتهم الصيحة ولعلها كانت من مباديها (فأصبحوا فى دارهم جاثمين) أى فى مدينتهم (الذين كذبوا شعيبا) مبتدأ خبره (كأن لم يغنوا فيها) أى استؤصلوا كأن لم يقيموا بها والمغنى المنزل (الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين) دينا ودنيا لا الذين صدقوه واتبعوه كما زعموا فانهم الرابحون فى الدارين وللتنبيه على هذا والمبالغة فيه كرر الموصول

الى الكفر فى حال كراهتنا له والذى ظهر لى ان التقدير قال أنعود الى الكفر ولو كنا كارهين نكفر بمعنى ولو كنا كارهين الكفر نكفر فيكون لوكنا كارهين جملة شرطية حذف جزاها لدلالة ماتقدمها عليها (قوله وهو بمعنى المستقبل) الى قوله لتقريبه من الحال فكانه قيل ان عدنا فى ملتكم لكنا مفترين الآن وهذا للمبالغة ويمكن ان يقال ان قد للتأكيد كما قال الزمخشرى فى قوله تعالى قد يعلم (قوله ومايصح لنا الخ) فيه أنه ان كان المراد من الصحة الحل فهو باطل لان العود الى الكفر غير حلال سواء وقت ارادة الله تعالى اياه أو عند عدمها وان كان المراد امكان الوقوع يعنى لايمكن وقوع العود الى الكفر الاعند ارادة الله تعالى اياه يكون هذا الكلام قليل الجدوى لأن كل شئ فهو كذلك والذى يخطر لى والله أعلم ان المعنى لايليق بنا ان نكفر لكن وقت مشيئة ربنا الى الكفر نعود اليه (قوله وقيل أراد حسم طمعهم الخ) فان قيل اذا كان الكلام محتملا فكيف يصح ان يكون دليلا على ماذكر قلنا غرضه ان يبقى الكلام على ظاهره واذا كان كذلك فالعدول عن الظاهر لايجوز من غير باعث (قوله ولعلها كانت من مباديها) يمكن ان يكون المعنى لعل الصيحة من مبادى الزلزلة بان تقع الصيحة ثم الزلزلة ويمكن عكس ماذكر والظاهر ان يقال ان الزلزلة تقع بها الصيحة وهى الصوت العظيم الحاصل من حركات أجزاء الأرض وانشقاقها بشدة فيكون هلاكهم بسبب كل منهما أى عند كل منهما فان السبب عند الاشاعرة بهذا المعنى أى مايجرى فعل الله تعالى عنده لاتأثير لسبب من الاسباب فى شئ ولاتوقف بوجه (قوله وللتنبيه على هذا والمبالغة فيه كرر الموصول

واستأنف بالجملتين وأتى بهما اسميتين (فتولى عنهم وقال ياقوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم) قاله تأسفا بهم لشدة حزنه عليهم ثم أنكر على نفسه فقال (فكيف آسى على قوم كافرين) ليسوا أهل حزن لاستحقاقهم ما نزل عليهم بكفرهم أو قاله اعتذارا عن عدم شدة حزنه عليهم والمعنى لقد بالغت في الابلاغ والانذار و بذلت وسعي في النصح والاشفاق فلم تصدقوا قولي فكيف آسى عليكم وقرئ فكيف ايسى بامالتين (وما أرسلنا في قرية من نبي الا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء) بالبؤس والضر (لعلهم يضرعون) حتى يتضرعوا و يتذللوا (ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة) أي أعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء والشدة السلامة والسعة ابتلاء لهم بالامرين (حتى عفوا) كثروا عددا وعددا يقال عفا النبات اذا كثر ومنه اعفاء اللحى (وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء) كفرانا لنعمة الله ونسيانا لذكره واعتقادا بأنه من عادة الدهر يعاقب في الناس بين الضراء والسراء وقد مس آباءنا منه مثل ما مسنا (فأخذناهم بغتة) فجأة (وهم لا يشعرون) بنزول العذاب (ولو أن أهل القرى) يعني القرى المدلول عليها بقوله وما أرسلنا في قرية من نبي وقيل مكة وما حولها (آمنوا واتقوا) مكان كفرهم وعصيانهم (لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض) لوسعنا عليهم الخير و يسرناه لهم من كل جانب وقيل المراد المطر والنبات وقرأ ابن عامر لفتحنا بالتشديد (ولكن كذبوا) الرسل (فأخذناهم بما كانوا يكسبون) من الكفر والمعاصي (أفأمن أهل القرى) عطف على قوله فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون وما بينهما اعتراض والمعنى أبعد ذلك أمن أهل القرى (أن يأتيهم بأسنا بياتا) تبييتا أو وقت بيات أو مبيتا أو مبيتين وهو في الاصل مصدر بمعنى البيتوتة ويجيء بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم (وهم نائمون) حال من ضميرهم البارز أو المستتر في بياتا (أوأمن أهل القرى) وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر أو بالسكون على الترديد (أن يأتيهم بأسنا ضحى) ضحوة النهار وهو في الاصل ضوء الشمس اذا ارتفعت (وهم يلعبون) يلهون من فرط الغفلة أو يشتغلون بما لا ينفعهم (أفأمنوا مكر الله) تكرير لقوله أفأمن أهل القرى ومكر الله استعارة لاستدراج العبد وأخذه من حيث لا يحتسب (فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون) الذين خسروا بالكفر وترك النظر والاعتبار (أولم يهد للذين يرثون الارض من بعد أهلها) أي يخلفون من خلا قبلهم و يرثون ديارهم وانما عدي يهد باللام لانه بمعنى يبين (أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم) أن الشأن لو نشاء أصبناهم بجزاء ذنوبهم كما أصبنا من قبلهم وهو فاعل يهد ومن قرأه بالنون جعله مفعولا (ونطبع على قلوبهم) عطف على ما دل عليه أولم يهد أي يغفلون عن الهداية أو منقطع عنه بمعنى ونحن نطبع ولا يجوز عطفه على أصبناهم على أنه بمعنى وطبعنا لانه في سياقة جواب لو لافضائه الى نفي الطبع عنهم (فهم لا يسمعون) سماع تفهم واعتبار (تلك القرى) يعني قرى الامم المار ذكرهم (نقص عليك من أنبائها) حال ان جعل القرى خبرا وتكون افادته بالتقييد بها وخبر ان جعلت صفة و يجوز أن يكونا خبرين ومن للتبعيض أي نقص بعض أنبائها ولها أنباء غيرها لا نقصها (ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات) بالمعجزات (فما كانوا ليؤمنوا) عند مجيئهم بها (بما كذبوا من قبل) بما كذبوه من قبل الرسل بل كانوا مستمرين على التكذيب أو فما كانوا ليؤمنوا مدة عمرهم بما كذبوا به أولا حين جاءتهم الرسل ولم تؤثر فيهم قط دعوتهم المتطاولة والآيات المتتابعة واللام لتأكيد النفي والدلالة على أنهم ما صلحوا للايمان لمنافاته لحالهم في التصميم على الكفر والطبع على قلوبهم (كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين) فلا تلين

شكيمتهم

واستأنف الخ) لك ان تقول ما ذكر من كون شعيب وتابعيه رابحين والكافرون خاسرون يفهم من قوله تعالى كانوا هم الخاسرين والجواب ان التخصيص مستفاد منه ولكل من الامور المذكورة دخل في المبالغة فيه لأن الاستئناف من مقول هذا الموضع يفيد الاختصاص كما هو مذهب صاحب الكشاف وعلى هذا ترتيب ان كلا من الامور المذكورة يفيد المبالغة في الاختصاص كما ظهر بالتأمل (قوله عطف على قوله فأخذناهم بغتة) توضيحه ان الفاء في أفأمن مقدمة على الهمزة في الاصل وانما أخرت لصدارة الهمزة فالتقدير فأخذناهم بغتة فأمن أهل القرى وانما صح العطف لأن الاستفهام ليس على حقيقته وانما هو لانكار أمنهم بعد ما وقع من السراء والضراء (قوله و يكون افادته بالتقييد بها) لك ان تقول اما أن يعلم المخاطب ان المشار اليه بتلك هو القرى أولا يعلم فان كان الاول لزم ان يكون ذكرها لغوا وان كان الثاني لم تكن الفائدة بمجرد التقييد بالحال بل هي مفيدة بنفسها

(قوله أولا كثر الامم المذكورين) تدل عبارته على ان الآية المذكورة على هذا الاحتمال ليست باعتراض لأنها على هذا التقدير من جملة أحوالهم بخلاف الاحتمال الأول فانها ليست مختصة بهم (قوله وكان أصله حقيق على ان لا اقول) الى قوله أو ضمن يعنى ان أصل الكلام ان يقال على قراءة نافع وهو ان يكون على مشددة الياء بياء

شكيمتهم بالآيات والنذر (وماوجدنا لا كثرهم) لا كثر الناس والآية اعتراض أولا كثر الامم المذكورين (من عهد) من وفاء عهد فان أكثرهم نقضوا ماعهد الله اليهم فى الايمان والتقوى بانزال الآيات ونصب الحجج أوماعهدوا اليه حين كانوا فى ضر ومخافة مثل لئن أنجيتنامن هذه لنكونن من الشاكرين (وان وجدنا أكثرهم) أى علمناهم (لفاسقين) من وجدت زيدا ذا الحفاظ لدخول ان المخففة واللام الفارقة وذلك لايسوغ الا فى المبتدا والخبر والافعال الداخلة عليهما وعند الكوفيين ان للنفى واللام بمعنى الا (ثم بعثنا من بعدهم موسى) الضمير للرسل فى قوله ولقد جاءتهم رسلهم أوللامم (بآياتنا) يعنى المعجزات (الى فرعون وملئه فظلموا بها) بان كفروا بها مكان الايمان الذى هو من حقها لوضوحها ولهذا المعنى وضع ظلموا موضع كفروا وفرعون لقب لمن ملك مصر ككسرى لمن ملك فارس وكان اسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن الريان (فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وقال موسى يافرعون انى رسول من رب العالمين) اليك وقوله (حقيق على أن لاأقول على الله الا الحق) لعله جواب لتكذيبه اياه فى دعوى الرسالة وانما لم يذكر لدلالة قوله فظلموا بها عليه وكان أصله حقيق على أن لاأقول كماقرأ نافع فقلب لامن الالباس كقوله

* وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر * أولان مالزمك فقد لزمته أوللاغراق فى الوصف بالصدق والمعنى أنه حق واجب على القول الحق أن أكون أناقائله لايرضى الابمثلى ناطقا به أو ضمن حقيق معنى حريص أو وضع على مكان الباء لافادة التمكن كقولهم رميت على القوس وجئت على حال حسنة ويؤيده قراءة أبى بالباء وقرئ حقيق أن لاأقول بدون على (قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معى بنى اسرائيل) فخلهم حتى يرجعوا معى الى الارض المقدسة التى هى وطن آبائهم وكان قد استعبدهم واستخدمهم فى الاعمال (قال ان كنت جئت بآية) من عند من أرسلك (فأت بها) فاحضرها عندى ليثبت بها صدقك (ان كنت من الصادقين) فى الدعوى (فألقى عصاه فاذا هى ثعبان مبين) ظاهر أمره لايشك فى أنه ثعبان وهو الحية العظيمة روى أنه لما ألقاها صارت ثعبانا أشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل على الارض والاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب منه وأحدث وانهزم الناس مزدحمين فمات منهم خمسة وعشرون ألفا وصاح فرعون ياموسى أنشدك بالذى أرسلك خذه وأنا أومن بك وأرسل معك بنى اسرائيل فأخذه فعاد عصا (ونزع يده) من جيبه أومن تحت ابطه (فاذا هى بيضاء للناظرين) أى بيضاء بياضا خارجا عن العادة تجتمع عليها النظارة أو بيضاء للنظار لأنها كانت بيضاء فى جبلتها روى أنه عليه السلام كان آدم شديد الادمة فادخل يده فى جيبه أوتحت ابطه ثم نزعها فاذا هى بيضاء نورانية غلب شعاعها شعاع الشمس (قال الملأ من قوم فرعون ان هذا الساحر عليم) قيل قاله هو وأشراف قومه على سبيل التشاور فى أمره فحكى عنه فى سورة الشعراء وعنهم ههنا (يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون) تشيرون فى أن

المتكلم لأن المعنى واجب على ان لاأقول على الله الا القول الحق ولما أخرج الكلام عن أصله وجب توجيهه أولا بان ههنا قلبا والاصل ماهو على قراءة نافع فقلب فى القراءة الأخرى الى ماذكر والمراد ماهو الأصل وثانيا بانه كناية لانه اذا كان واجبا على القول الحق أن يكون قولك كان واجبا عليك ان تقوله لان ما كان واجبا عليه أن يكون فعلك كان واجبا عليك أن تفعله فذكر أحد المتلازمين وأريد الآخر وثالثا بان المراد المبالغة فكان القول الحق يجب عليه ان يطلبك حتى تنطق به وفى هذه التوجيهات اشكال اذ يلزم منه أن يكون اعتبار التكلم فى أقول ضائعا بل الحق ان يقال حقيق على ترك القول الا بالحق أن يكون لى كما لايخفى على من له طبع سليم وقوله والمعنى الخ ظاهره أنه المعنى على التوجيه الثالث ويمكن ان يقال مراده انه المعنى على التوجيه الثالث بحسب الظاهر وان كان المراد فى الحقيقة المعنى الأصلى (قوله وتشقى الرماح بالضياطرة الخ) الضيطار الرجل الضخم وقياس جمعه الضياطر الا انه عوض التاء من المدة كبيطرة فى جمع بيطار والحمر عندهم العجم وهوذم وأصل هذا الشعر وتشقى الضياطرة الحمر بالرماح فكان ههنا

قلب

نفعل (قالوا أرجه وأخاه وأرسل فى المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم) كأنه اتفقت عليه
آراؤهم فأشاروا به على فرعون والارجاء التأخير أى أخر أمره وأصله أرجئه كما قرأ أبو عمرو وأبو بكر
ويعقوب من أرجأت وكذلك أرجهو على قراءة ابن كثير على الاصل فى الضمير أو أرجهى
من أرجيت كما قرأ نافع فى رواية ورش واسمعيل والكسائى وأما قراءته فى رواية قالون أرجه
بحذف الياء فللاكتفاء بالكسرة عنها وأما قراءة حمزة وعاصم وحفص أرجه بسكون الهاء فلتشبيه
المنفصل بالمتصل وجعل جه كابل فى اسكان وسطه وأما قراءة ابن عامر برواية ابن ذكوان أرجئه بالهمزة
وكسر الهاء فلا يرتضيه النحاة فان الهاء لاتكسر الا اذا كان قبلها كسرة أو ياء ساكنة ووجهه أن
الهمزة لما كانت تنقلب ياء أجريت مجراها وقرأ حمزة والكسائى بكل سحار فيه وفى يونس ويؤيده
اتفاقهم عليه فى الشعراء (وجاء السحرة فرعون) بعد ما أرسل الشرط فى طلبهم (قالوا أئن لنا
لاجرا ان كنا نحن الغالبين) استأنف به كأنه جواب سائل قال ماقالوا اذ جاؤا وقرأ ابن كثير ونافع
وحفص عن عاصم ان لنا لاجرا على الاخبار وايجاب الاجر كأنهم قالوا لابد لنا من أجر والتنكير للتعظيم
(قال نعم) ان لكم لاجرا (وانكم لمن المقربين) عطف على ماسد مسده نعم وزيادة على الجواب
لتحريضهم (قالوا ياموسى اما أن تلقى واما أن نكون نحن الملقين) خيروا موسى مراعاة للادب
أو اظهار الجلادة ولكن كانت رغبتهم فى أن يلقوا قبله فنبهوا عليها بتغيير النظم الى ماهو أبلغ وتعريف
الخبر وتوسيط الفصل أو تأكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل فلذلك (قال بل ألقوا) كرما وتسامحا أو ازدراء
بهم ووثوقا على شأنه (فلما ألقوا سحروا أعين الناس) بان خيلوا اليها ما الحقيقة بخلافه
(واسترهبوهم) وأرهبوهم ارهابا شديدا كأنهم طلبوا رهبتهم (وجاؤا بسحر عظيم) فى فنه
روى أنهم ألقوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا كأنها حيات ملأت الوادى وركب بعضها بعضا (وأوحينا
الى موسى أن ألق عصاك) فألقاها فصارت حية (فاذا هى تلقف ما يأفكون) أى مايزورونه
من الافك وهو الصرف وقلب الشئ عن وجهه ويجوز أن تكون ما مصدرية وهى مع الفعل بمعنى
المفعول روى أنها لما تلقفت حبالهم وعصيهم وابتلعتها باسرها أقبلت على الحاضرين فهربوا وازدحموا
حتى هلك جمع عظيم ثم أخذها موسى فصارت عصا كما كانت فقال السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت
حبالنا وعصينا وقرأ حفص عن عاصم تلقف ههنا وفى طه والشعراء (فوقع الحق) فثبت لظهور
أمره (وبطل ما كانوا يعملون) من السحر والمعارضة (فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين)
أى صاروا أذلاء مبهوتين أو رجعوا الى المدينة أذلاء مقهورين والضمير لفرعون وقومه (وألقى
السحرة ساجدين) جعلهم ملقين على وجوههم تنبيها على أن الحق بهرهم واضطرهم الى السجود
بحيث لم يبق لهم تمالك أو أن الله ألهمهم ذلك وحملهم عليه حتى ينكسر فرعون بالذين أراد بهم كسر
موسى وينقلب الامر عليه أو مبالغة فى سرعة خرورهم وشدته (قالوا آمنا برب العالمين رب موسى
وهرون) أبدلوا الثانى من الاول لئلا يتوهم أنهم أرادوا به فرعون (قال فرعون آمنتم به) بالله
أو بموسى والاستفهام فيه للانكار وقرأ حمزة والكسائى وأبو بكر عن عاصم وروح عن يعقوب
وهشام بتحقيق الهمزتين على الاصل وقرأ حفص آمنتم به على الاخبار وقرأ قنبل قال فرعون
وآمنتم يبدل فى حال الوصل من همزة الاستفهام واوا مفتوحة ويمد بعدها مدة فى تقدير ألفين وقرأ

(قوله فنبهوا عليها بتغيير النظم الخ) لايخفى ان هذه العبارة القرآنية ليست بعينها عبارتهم بل تكلموا بكلام تكون هذه العبارة ترجمته فلا يلائم قوله فنبهوا عليها بتغيير النظم وتعريف الخبر الخ بل الوجه ان يقال فنبهوا عليه بعبارة دالة عليها فان قلت فكيف قيل فى القرآن قالوا ياموسى اما أن تلقى الخ قلنا المقصود ظاهر وهو أنهم قالوا عبارة لها معنى هذه العبارة كما اذا قيل بالفارسية زيد ايستاده است فحكى العربى بلسانه انه قيل زيد قائم وهكذا الحال فى القصص التى حكى الله تعالى عن الكفار (قوله كأنهم طلبوا رهبتهم) أورد كأن المفيدة للتشبيه لأن من طلب الشئ بالغ فيه فلما أرهبهم ارهابا شديدا فكأنه طلب رهبتهم (قوله جعلهم ملقين على وجوههم الخ) يعنى فى التعبير بالقى اشعار بان سجودهم كأنه ليس باختيارهم بل غيرهم ألقاهم ففيه تنبيه على ماذكر

(قوله ولكن على التعاقب لفرط رحمته) أى قطع فرعون أيديهم وأرجلهم من خلاف وصلبهم أيضا بحيث يكون العذابان معا وأما الله تعالى لفرط رحمته لم يجمع النوعين بل جعل واحدا منهما بعد واحد على التعاقب والاولى ان يقال ولكن العذابين لا يجمع الله بينهما بل أمر باحدهما فى صورة و بالآخر فى صورة أخرى فان قلت لعل المعنى ان الله تعالى أمر بالتعاقب فى قطع اليد والرجل قلت هذا ليس معنى ظاهر العبارة لان عبارته تدل على ان العذاب الواقع من فرعون على السحرة كان على التعاقب وما وقع منه عليهم هو مجموع القطع والصلب ولذا قال لاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم بواو الجمع ثم ان التعاقب بهذا الطريق لا يفهم من القرآن (قوله وقرئ بالسكون كانه قيل يفسدوا و يذرك كقوله فاصدق وأكن) يعنى ليفسدوا جواب شرط من حيث المعنى لان المآل ان تذر موسى وقومه يفسدوا فى الارض فيكون يذرك بالسكون معطوفا عليه من حيث المعنى (قوله وتحقيق له) أى الحكم الجزم بتحقق الوعد المذكور من النصرة على القبط وقوله واللام فى الارض تحتمل العهد فتكون الارض عبارة عن الارض المذكورة وقوله فى قوله تعالى ليفسدوا فى الارض (قوله ولعله أتى بفعل الطمع لعدم جزمه الخ) يرد عليه أيضا انه يفهم من تخصيصه نكتة ايراد فعل الطمع بالاستخلاف ان هلاك العدو كان متيقنا فكيف يكون تحت فعل عسى و يمكن ان يقال ان مجموع الامرين من حيث المجموع تعلق به فعل الطمع وهذا الاينافى ان يكون واحد منهما مجزوما به ولعل موسى كان جازما بوقوع الهلاك والاستخلاف المذكورين

فى طه على الخبر بهمزة وألف وقرأ فى الشعراء على الاستفهام بهمزة ومدة مطولة فى تقدير ألفين وقرأ الباقون بتحقيق الهمزة الاولى وتليين الثانية (قبل أن آذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه) أى ان هذا الصنيع لحيلة احتلتموها أنتم وموسى (فى المدينة) فى مصر قبل أن تخرجوا للميعاد (لتخرجوا منها أهلها) يعنى القبط وتخلص لكم ولبنى اسرائيل (فسوف تعلمون) عاقبة مافعلتم وهو تهديد مجمل تفصيله (لاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) من كل شق طرفا (ثم لاصلبنكم أجمعين) تفضيحا لكم وتنكيلا لامثالكم قيل انه أول من سن ذلك فشرعه الله للقطاع تعظيما لجرمهم ولذلك سماه محاربة لله ورسوله ولكن على التعاقب لفرط رحمته (قالوا انا الى ربنا منقلبون) بالموت لامحالة فلا نبالى بوعيدك أوانا منقلبون الى ربنا وثوابه ان فعلت بنا ذلك كأنهم استطابوه شغفا على لقاء الله أومصيرنا ومصيرك الى ربنا فيحكم بيننا (وما تنقم منا) وما تنكر منا (الا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا) وهو خير الاعمال وأصل المناقب ليس مما يتأتى لنا العدول عنه طلبا لمرضاتك ثم فزعوا الى الله سبحانه وتعالى فقالوا (ربنا أفرغ علينا صبرا) أفض علينا صبرا يغمرنا كما يفرغ الماء أوصب علينا مايطهرنا من الآثام وهو الصبر على وعيد فرعون (وتوفنا مسلمين) ثابتين على الاسلام قيل انه فعل بهم ما أوعدهم به وقيل انه لم يقدر عليهم لقوله تعالى أنتما ومن اتبعكما الغالبون (وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا فى الارض) بتغيير الناس عليك ودعوتهم الى مخالفتك (و يذرك) عطف على يفسدوا أو جواب الاستفهام بالواو كقول الحطيئة

ألم أك جاركم و يكون بينى * و بينكم المودة والاخاء

على معنى أيكون منك ترك موسى ويكون منه تركه اياك وقرئ بالرفع على أنه عطف على أتذر أواستئناف أوحال وقرئ بالسكون كأنه قيل يفسدوا و يذرك كقوله تعالى فأصدق وأكن (وآلهتك) معبوداتك قيل كان يعبد الكواكب وقيل صنع لقومه أصناما وأمرهم أن يعبدوها تقربا اليه ولذلك قال أنا ربكم الاعلى وقرئ الاهتك أى عبادتك (قال) فرعون (سنقتل أبناءهم ونستحيى نساءهم) كما كنا نفعل من قبل ليعلم أنا على ما كنا عليه من القهر والغلبة ولا يتوهم أنه المولود الذى حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده وقرأ ابن كثير ونافع سنقتل بالتخفيف (وانا فوقهم قاهرون) غالبون وهم مقهورون تحت أيدينا (قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا) لما سمعوا قول فرعون وتضجروا منه تسكينا لهم (ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده) تسلية لهم وتقرير للامر بالاستعانة بالله والتثبت فى الامر (والعاقبة للمتقين) وعد لهم بالنصرة وتذكير لما وعدهم من اهلاك القبط وتوريثهم ديارهم وتحقيق له وقرئ والعاقبة بالنصب عطف على اسم ان واللام فى الارض تحتمل العهد والجنس (قالوا) أى بنو اسرائيل (أوذينا من قبل أن تأتينا) بالرسالة بقتل الابناء (ومن بعد ما جئتنا) باعادته (قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم و يستخلفكم فى الارض) تصريح بما كنى عنه أولا لما رأى أنهم لم يتسلوا بذلك ولعله أتى بفعل الطمع لعدم جزمه بانهم المستخلفون باعيانهم أوأولادهم وقد روى أن مصر انما فتح لهم فى زمن داود عليه السلام (فينظر كيف تعملون) فيرى ما تعملون من شكر وكفران وطاعة

فيكون ايراد فعل الطمع ليبقى خوفهم فيتضرعون الى الله تعالى و يزيدون فى العبادة والدعاء بهلاك العدو ولعلهم لو علموا يقينا هلاك العدو لم يبالغوا فى الامور المذكورة (قوله لكثرة وقوعها وتعلق الارادة بها بالذات الخ) يعنى ان ما كثر وقوعه وتعلق الارادة به بالذات كان أنسب بان يكون معلوما وما هو على عكس ما ذكر فيناسب الاول التعريف والثانى التنكير

وعصيان فيجازيكم على حسب ما يوجد منكم (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين) بالجدوب لقلة الامطار والمياه والسنة غلبت على عام القحط لكثرة ما يذكر عنه و يؤرخ به ثم اشتق منها فقيل أسنت القوم اذا قحطوا (ونقص من الثمرات) بكثرة العاهات (لعلهم يذكرون) لكى يتنبهوا على أن ذلك بشؤم كفرهم ومعاصيهم فيتعظوا أو ترق قلوبهم بالشدائد فيفزعوا الى الله و يرغبوا فيما عنده (فاذا جاءتهم الحسنة) من الخصب والسعة (قالوا لنا هذه) لاجلنا ونحن مستحقوها (وان تصبهم سيئة) جدب و بلاء (يطيروا بموسى ومن معه) يتشاءموا بهم و يقولون ما أصابتنا الا بشؤمهم وهذا اغراق فى وصفهم بالغباوة والقساوة فان الشدائد ترقق القلوب وتذلل العرائك وتزيل التماسك سيما بعد مشاهدة الآيات وهم لم تؤثر فيهم بل زادوا عندها عتوا وانهماكا فى الغى وانما عرف الحسنة وذكرها مع أداة التحقيق لكثرة وقوعها وتعلق الارادة باحداثها بالذات ونكر السيئة وأتى بها مع حرف الشك لندورها وعدم القصد لها الا بالتبع (ألا انما طائرهم عند الله) أى سبب خيرهم وشرهم عنده وهو حكمه ومشيئته أو سبب شؤمهم عند الله وهو أعمالهم المكتوبة عنده فانها التى ساقت اليهم ما يسوءهم وقرئ انما طيرهم وهو اسم الجمع وقيل هو جمع (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أن ما يصيبهم من الله تعالى أو من شؤم أعمالهم (وقالوا مهما) أصلها ما الشرطية ضمت اليها ما المزيدة للتأكيد ثم قلبت ألفها هاء استثقالا للتكرير وقيل مركبة من مه الذى يصوت به الكاف وما الجزائية ومحلها الرفع على الابتداء أو النصب بفعل يفسره (تأتنا به) أى أيما شئ تحضرنا تأتنا به (من آية) بيان لهما وانما سموها آية على زعم موسى لا لاعتقادهم ولذلك قالوا (لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين) أى لتسحر بها أعيننا وتشبه علينا والضمير فى به و بها لمهما ذكره قبل التبيين باعتبار اللفظ وأنثه بعده باعتبار المعنى (فارسلنا عليهم الطوفان) ما طاف بهم وغشى أماكنهم وحروثهم من مطر أو سيل وقيل الجدرى وقيل الموتان وقيل الطاعون (والجراد والقمل) قيل هو كبار القردان وقيل أولاد الجراد قبل نبات أجنحتها (والضفادع والدم) روى انهم مطروا ثمانية أيام فى ظلمة شديدة لا يقدر أحد أن يخرج من بيته ودخل الماء بيوتهم حتى قاموا فيه الى تراقيهم وكانت بيوت بنى اسرائيل مشتبكة ببيوتهم فلم يدخل فيها قطرة وركد على أراضيهم فمنعهم من الحرث والتصرف فيها ودام ذلك عليهم أسبوعا فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فكشف عنهم ونبت لهم من الكلأ والزرع مالم يعهد مثله ولم يؤمنوا فبعث الله عليهم الجراد فاكلت زروعهم وثمارهم ثم أخذت تأكل الابواب والسقوف والثياب ففزعوا اليه ثانيا فدعا وخرج الى الصحراء وأشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الى النواحى التى جاءت منها فلم يؤمنوا فسلط الله عليهم القمل فاكل ما أبقاه الجراد وكان يقع فى أطعمتهم ويدخل بين أثوابهم وجلودهم فيمصها ففزعوا اليه فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن انك ساحر ثم أرسل الله عليهم الضفادع

وتعلقها بحرف الشك التى موضعها عدم التحقق الذى يناسب القلة وكلامه كالصريح فى ان البلايا ليس القصد بها بالذات وانما القصد اليها بالتبع وفيه نظر لان البلايا الواردة على قوم كافرين ظالمين كعاد وثمود القصد الى وقوعها بالذات لا لشئ آخر فان قلت المقصود منها اهلاك الاقوام المذكورين قلنا المقصود من النعم والسراء أيضا تنعم الخلائق فلم تكن النعم مقصودة بالذات و يمكن ان يقال المراد من الصدور بالذات عدم الوقوع بشئ آخر متقدم عليه ولا يخفى ان العناية الالهية تقتضى شمول النعم والرحمة على الخلق لا بسبب مجرد أعمالهم وأفعالهم فان الله تعالى يرزق بعض المخلوقات كالطيور والانعام بمجرد رحمته لا بشئ صدر منهم بخلاف السيئة فانها لم تصدر من الله تعالى الا بعد فعل صادر من العبد يقتضيه مع انه تعالى يعفو كما قال تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير (قوله من مه الذى يصوت به الكاف الخ) الذى يكف الشخص عن شئ أى ينهاه عنه والمقصود منه النهى عن الشئ والمراد منه نهى موسى عن دعوى النبوة بحيث كانهم قالوا اترك دعوى النبوة (قوله ولذلك قالوا الخ) أى قولهم لتسحرنا يدل على انهم ما اعتقدوا ان ما أتى به آية من عند الله (قوله والضمير فى به وبها) لا يدل على ان الضمير المذكور بعد البيان فى كل موضع راجع الى المبين لا الى البيان

بحيث لا يكشف ثوب ولا طعام الا وجدت فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم وتثب الى قدورهم وهي تغلي وأفواههم عند التكلم ففزعوا اليه وتضرعوا فاخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم ثم نقضوا العهود ثم أرسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دما حتى كان يجتمع القبطي مع الاسرائيلي على اناء فيكون ما يلي القبطي دما وما يلي الاسرائيلي ماء ويمص الماء من فم الاسرائيلي فيصير دما في فيه وقيل سلط الله عليهم الرعاف (آيات) نصب على الحال (مفصلات) مبينات لا تشكل على عاقل أنها آيات الله ونقمته عليهم أو مفصلات لامتحان أحوالهم اذ كان بين كل اثنتين منها شهر وكان امتداد كل واحدة أسبوعا وقيل ان موسى لبث فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات على مهل (فاستكبروا) عن الايمان (وكانوا قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز) يعني العذاب المفصل أو الطاعون الذي أرسله الله عليهم بعد ذلك (قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك) بعهده عندك وهو النبوة أو بالذي عهده اليك أن تدعوه به فيجيبك كما أجابك في آياتك وهو صلة لادع أو حال من الضمير فيه بمعنى ادع الله متوسلا اليه بما عهد عندك أو متعلق بفعل محذوف دل عليه التماسهم مثل اسعفنا الى ما نطلب منك بحق ما عهد عندك أو قسم مجاب بقوله (ان كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل) أي أقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن ولنرسلن (فلما كشفنا عنهم الرجز الى أجل هم بالغوه) الى حد من الزمان هم بالغوه فمعذبون فيه أو مهلكون وهو وقت الغرق أو الموت وقيل الى أجل عينوه لايمانهم (اذا هم ينكثون) جواب لما أي فلما كشفنا عنهم فاجؤا النكث من غير تأمل وتوقف فيه (فانتقمنا منهم) فاردنا الانتقام منهم (فأغرقناهم في اليم) أي البحر الذي لا يدرك قعره وقيل لجته (بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين) أي كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وعدم فكرهم فيها حتى صاروا كالغافلين عنها وقيل الضمير للنقمة المدلول عليها بقوله فانتقمنا (وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون) بالاستعباد وذبح الابناء من مستضعفيهم (مشارق الارض ومغاربها) يعني أرض الشام ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتمكنوا في نواحيها (التي باركنا فيها) بالخصب وسعة العيش (وتمت كلمت ربك الحسنى على بني اسرائيل) ومضت عليهم واتصلت بالانجاز عدته اياهم بالنصرة والتمكين وهو قوله تعالى ونريد أن نمن الى قوله ما كانوا يحذرون وقرئ كلمات ربك لتعدد المواعيد (بما صبروا) بسبب صبرهم على الشدائد (ودمرنا) وخربنا (ما كان يصنع فرعون وقومه) من القصور والعمارات (وما كانوا يعرشون) من الجنات أو ما كانوا يرفعون من البنيان كصرح هامان وقرأ ابن عامر وأبو بكر هنا وفي النحل يعرشون بالضم وهذا آخر قصة فرعون وقومه وقوله (وجاوزنا ببني اسرائيل البحر) وما بعده ذكر ما أحدثه بنو اسرائيل من الامور الشنيعة بعد أن من الله عليهم بالنعم الجسام وأراهم من الآيات العظام تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما رأى منهم وايقاظا للمؤمنين حتى لا يغفلوا عن محاسبة أنفسهم ومراقبة أحوالهم روي أن موسى عليه السلام عبر بهم يوم عاشوراء بعد مهلك فرعون وقومه فصاموه شكرا (فاتوا على قوم) فمروا عليهم (يعكفون على أصنام لهم) يقيمون على عبادتها قيل كانت تماثيل بقر وذلك أول شأن العجل والقوم كانوا من العماليقة الذين أمر موسى بقتالهم وقيل من لخم وقرأ حمزة والكسائي يعكفون بالكسر (قالوا يا موسى اجعل لنا الها) مثالا نعبده (كما لهم آلهة) يعبدونها وما كافة للكاف (قال انكم قوم تجهلون) وصفهم بالجهل المطلق وأكده لبعد ما صدر عنهم بعد ما رأوا

(قوله فاردنا الانتقام منهم) انما فسره بذلك لان الانتقام ليس نفس الاغراق فيجب ان يفسر انتقمنا بارادة الانتقام (قوله روي ان موسى عليه الصلاة والسلام عبر بهم بعد مهلك فرعون الخ) هذا صريح في ان عبور موسى وقومه بعد هلاك فرعون وقومه لكن الآية المذكورة في سورة الشعراء في قوله تعالى وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الآخرين صريح في ان عبور موسى وقومه قبل هلاك فرعون وما قصه المصنف في البقرة نص في تقدم العبور على هلاك فرعون وما لزم على المصنف لزم على الكشاف والنيسابوري اللهم الا ان يلتزم ان عبور موسى وقومه على البحر مرتين مرة قبل هلاك فرعون وهو مدلول الآية في سورة يونس ومرة بعد هلاكهم وهو مدلول الرواية المذكورة فتأمل

من الآيات الكبرى عن العقل (ان هؤلاء) اشارة الى القوم (متبر) مكسر مدمر (ماهم فيه) يعنى أن الله يهدم دينهم الذى هم عليه و يحطم أصنامهم و يجعلها رضاضا (و باطل) مضمحل (ما كانوا يعملون) من عبادتها وان قصدوا بها التقرب الى الله تعالى وانما بالغ فى هذا الكلام بايقاع هؤلاء اسم ان والاخبار عما هم فيه بالتبار وعما فعلوا بالبطلان وتقديم الخبرين فى الجملتين الواقعتين خبرا لان للتنبيه على أن الدمار لاحق لما هم فيه لامحالة وأن الاحباط الكلى لازب لما مضى عنهم تنفيرا وتحذيرا عما طلبوا (قال أغير الله أبغيكم الها) أطلب لكم معبودا (وهو فضلكم على العالمين) والحال أنه خصكم بنعم لم يعطها غيركم وفيه تنبيه على سوء معاملتهم حيث قابلوا تخصيص الله اياهم من أمثالهم بما لم يستحقوه تفضلا بان قصدوا أن يشركوا به أخس شئ من مخلوقاته (واذ أنجيناكم من آل فرعون) واذكروا صنيعه معكم فى هذا الوقت وقرأ ابن عامر أنجاكم (يسومونكم سوء العذاب) استئناف لبيان ما أنجاهم منه أو حال من المخاطبين أو من آل فرعون أو منهما (يقتلون أبناءكم و يستحيون نساءكم) بدل منه مبين (وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم) وفى الانجاء أو العذاب نعمة أو محنة عظيمة (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة) ذا القعدة وقرأ أبو عمرو و يعقوب ووعدنا (وأتممناها بعشر) من ذى الحجة (فتم ميقات ربه أربعين ليلة) بالغا أربعين روى انه عليه السلام وعد بنى اسرائيل بمصر ان يأتيهم بعد مهلك فرعون بكتاب من الله فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك فرعون سأل ربه فامره الله بصوم ثلاثين فلما أتم أنكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم منك رائحة المسك فافسدته بالسواك فامره الله تعالى ان يزيد عليها عشرا وقيل أمره بان يتخلى ثلاثين بالصوم والعبادة ثم أنزل عليه التوراة فى العشر وكلمه فيها (وقال موسى لاخيه هرون اخلفنى فى قومى) كن خليفتى فيهم (وأصلح) ما يجب أن يصلح من أمورهم أو كن مصلحا (ولا تتبع سبيل المفسدين) ولا تتبع من سلك الافساد ولا تطع من دعاك اليه (ولما جاء موسى لميقاتنا) لوقتنا الذى وقتناه واللام للاختصاص أى اختص مجيئه لميقاتنا (وكلمه ربه) من غير وسط كما يكلم الملائكة وفيما روى أن موسى عليه السلام كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة تنبيه على أن سماع كلامه القديم ليس من جنس كلام المحدثين (قال رب أرنى أنظر اليك) أرنى نفسك بان تمكننى من رؤيتك أو تتجلى لى فأنظر اليك وأراك وهو دليل على أن رؤيته تعالى جائزة فى الجملة لان طلب المستحيل من الانبياء محال وخصوصا ما يقتضى الجهل بالله ولذلك رده بقوله تعالى لن ترانى دون لن أرى أو لن أريك أو لن تنظر الى تنبيها على أنه قاصر عن رؤيته لتوقفها على معدّ فى الرائى لم يوجد فيه بعد وجعل السؤال لتبكيت قومه الذين قالوا أرنا الله جهرة خطأ اذ لو كانت الرؤية ممتنعة لوجب أن يجهلهم و يزيح شبهتهم كما فعل بهم حين قالوا اجعل لنا الها ولا يتبع سبيلهم كما قال لاخيه ولا تتبع سبيل المفسدين والاستدلال بالجواب على استحالتها أشد خطأ اذ لا يدل الاخبار عن عدم رؤيته اياه على أن لا يراه أبدا وأن لا يراه غيره أصلا فضلا عن أن يدل على استحالتها ودعوى الضرورة فيه مكابرة أو جهالة بحقيقة الرؤية (قال لن ترانى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى) استدراك يريد أن يبين به أنه لا يطيقه وفى تعليق الرؤية بالاستقرار أيضا دليل

أولازم وهو هذا المعنى (قوله لان طلب المستحيل من الانبياء محال وخصوصا الخ) لم يجر عليه دليلا ولم يقل انه ثابت فى كتاب وكانه ادعى البداهة واجماع من يعتد بهم على ذلك فتأمل (قوله ولن ينظر الى) ينبغى ان يكون ينظر بصيغة الغائب المجهول يعنى انه لما قال موسى أرنى أنظر اليك يمكن ان يقال فى الجواب لن أرى أو لن أريك وهذان يناسبان قوله أرنى و يمكن ان يقال أيضا لن ينظر الى وهذا يناسب قوله أنظر اليك واما اذا قرئ لن تنظر الى بصيغة الخطاب ففيه ان فيه أيضا تنبيها على ما ذكر وههنا سؤال وهو انه لم قيل أرنى أنظر اليك ولم يقل أرنى أرك مع ان فى الثانى ايجازا وتصريحا بالمقصود الذى هو الرؤية و يمكن ان يقال والله أعلم ان هذا التركيب لا يلائم الطبع ملايمة التركيب الوارد فى القرآن فلذا اختير عليه (قوله ودعوى الضرورة مكابرة أو جهل بحقيقة الرؤية) لان الرؤية فى الحقيقة الانكشاف التام للشئ عند شخص وهو أعم من ان يكون فى جهة أو غيرها فالمدعى المذكور على اما ان يعلم حقيقة الرؤية و يدعى استحالة رؤية الله تعالى فيكون مكابرا أو لا يعلم فيكون جاهلا بحقيقة الرؤية وقد أوضحناه فى الايضاح بحث رؤية الله تعالى فى شرح تهذيب الكلام

على الجواز ضرورة أن المعلق على الممكن ممكن والجبل قيل هو جبل زبير (فلما تجلى ربه للجبل) ظهر له عظمته وتصدى له اقتداره وأمره وقيل أعطى له حياة ورؤية حتى رآه (جعله دكا) مدكوكا مفتتا والدك والدق اخوان كالشك والشق وقرأ حمزة والكسائي دكاء أي أرضا مستوية ومنه ناقة دكاء التي لاسنام لها وقرئ دكا أي قطعا جمع دكاء (وخر موسى صعقا) مغشيا عليه من هول ما رأى (فلما أفاق قال) تعظيما لما رأى (سبحانك تبت اليك) من الجراءة والاقدام على السؤال من غير اذن (وأنا أول المؤمنين) مر تفسيره وقيل معناه أنا أول من آمن بانك لا ترى في الدنيا (قال ياموسى انى اصطفيتك) اخترتك (على الناس) أي الموجودين في زمانك وهرون وان كان نبيا كان مأمورا باتباعه ولم يكن كليما ولا صاحب شرع (برسالاتي) يعني أسفار التوراة وقرأ ابن كثير ونافع برسالتي (وبكلامي) وبتكليمي اياك (فخذ ما آتيتك) أعطيتك من الرسالة (وكن من الشاكرين) على النعمة فيه روى أن سؤال الرؤية كان يوم عرفة واعطاء التوراة كان يوم النحر (وكتبنا له في الالواح من كل شئ) مما يحتاجون اليه من أمر الدين (موعظة وتفصيلا لكل شئ) بدل من الجار والمجرور أي وكتبنا له كل شئ من المواعظ وتفصيل الاحكام واختلف في أن الالواح كانت عشرة أو سبعة وكانت من زمرد أو زبرجد أو ياقوت أحمر أو صخرة صماء لينها الله لموسى فقطعها بيده وسقفها باصابعه وكان فيها التوراة أو غيرها (فخذها) على اضمار القول عطفا على كتبنا أو بدل من قوله فخذ ما آتيتك والهاء للالواح أو لكل شئ فانه بمعنى الاشياء أو للرسالات (بقوة) بجد وعزيمة (وأمر قومك يأخذوا بأحسنها) أي بأحسن ما فيها كالصبر والعفو بالاضافة الى الانتصار والاقتصاص على طريقة الندب والحث على الافضل كقوله تعالى واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم أو بواجباتها فان الواجب أحسن من غيره ويجوز أن يراد بالاحسن البالغ في الحسن مطلقا لا بالاضافة وهو المأمور به كقولهم الصيف أحر من الشتاء (سأريكم دار الفاسقين) دار فرعون وقومه بمصر خاوية على عروشها أو منازل عاد وثمود واضرابهم لتعتبروا فلا تفسقوا أو دارهم في الآخرة وهي جهنم وقرئ سأوريكم بمعنى سأبين لكم من أوريت الزند وسأورثكم ويؤيده قوله وأورثنا القوم (سأصرف عن آياتي) المنصوبة في الآفاق والانفس (الذين يتكبرون في الارض) بالطبع على قلوبهم فلا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقيل سأصرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا كما فعل فرعون فعاد عليه باعلائها أو باهلاكهم (بغير الحق) صلة يتكبرون أي يتكبرون بما ليس بحق وهو دينهم الباطل أو حال من فاعله (وان يروا كل آية) منزلة أو معجزة (لا يؤمنوا بها) لعنادهم واختلال عقولهم بسبب انهماكهم في الهوى والتقليد وهو يؤيد الوجه الاول (وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا) لاستيلاء الشيطنة عليهم وقرأ حمزة والكسائي الرشد بفتحتين وقرئ الرشاد وثلاثتها لغات كالسقم والسقم والسقام (وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين) اى ذلك الصرف بسبب تكذيبهم وعدم تدبرهم للآيات ويجوز أن ينصب ذلك على المصدر أي سأصرف ذلك الصرف بسببهما (والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة) أي ولقائهم الدار الاخرة أو ما وعد الله في الدار الآخرة (حبطت أعمالهم) لا ينتفعون بها (هل يجزون الا ما كانوا يعملون) الا جزاء أعمالهم (واتخذ قوم موسى من بعده) من بعد ذهابه للميقات (من حليهم) التي استعاروا من القبط حين هموا بالخروج من مصر واضافتها اليهم لانها كانت في أيديهم أو ملكوها

(قوله ان المعلق على الممكن ممكن) فيه ان المراد من استقرار الجبل استقرار عند تجلي الرب تعالى له ومن أين يعلم ان استقراره في الوقت المذكور ممكن (قوله ظهر له عظمته) فيه ان ظهور عظمة الله تعالى للجبل يستدعى ان يكون له ادراك وهو مستلزم للحياة فيكون التفاوت بينه وبين ما أداه بقيل الخ ان الاول يستدعى الحياة والثاني يفيد الحياة والرؤية معا (قوله وهو المأمور) أي أعم من ان يكون على سبيل الوجوب وعلى الندب ويمكن ان يجوز في الظهور (قوله كقولهم الصيف أحر من الشتاء) أي الصيف أزيد في حرارته من الشتاء في برودته (قوله وهو يؤيد الوجه الاول) من الوجهين الذين ذكرا في تفسير قوله تعالى سأصرف عن آياتي الخ لان عدم الايمان بالآية مناسب للطبع على القلوب

بعد هلاكهم وهو جمع حلى كثدى وثدى وقرأ حمزة والكسائى بالكسر بالاتباع كدلى ويعقوب
على الافراد (عجلا جسدا) بدنا ذا لحم ودم أو جسدا من الذهب خاليا من الروح ونصبه على البدل
(له خوار) صوت البقر روى ان السامرى لما صاغ العجل ألقى فى فمه من تراب أثر فرس جبريل
فصار حيا وقيل صاغه بنوع من الحيل فتدخل الريح جوفه وتصوت وانما نسب الاتخاذ اليهم وهو
فعله اما لانهم رضوا به أو لان المراد اتخاذهم اياه الها وقرئ جؤار أى صياح (ألم يروا أنه لايكلمهم
ولا يهديهم سبيلا) تقريع على فرط ضلالتهم واخلالهم بالنظر والمعنى ألم يروا حين اتخذوه الها أنه
لايقدر على كلام ولا على ارشاد سبيل كآحاد البشر حتى حسبوا أنه خالق الاجسام والقوى والقدر
(اتخذوه) تكرير للذم أى اتخذوه الها (وكانوا ظالمين) واضعين الاشياء فى غير مواضعها فلم
يكن اتخاذ العجل بدعا منهم (ولما سقط فى أيديهم) كناية عن اشتداد ندمهم فان النادم المتحسر
يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها وقرئ سقط على بناء الفعل للفاعل بمعنى وقع العض فيها
وقيل معناه سقط الندم فى أنفسهم (ورأوا) وعلموا (أنهم قد ضلوا) باتخاذ العجل (قالوا لئن
لم يرحمنا ربنا) بانزال التوراة (ويغفر لنا) بالتجاوز عن الخطيئة (لنكونن من الخاسرين)
وقرأهما حمزة والكسائى بالتاء وربنا على النداء (ولما رجع موسى الى قومه غضبان أسفا)
شديد الغضب وقيل حزينا (قال بئسما خلفتمونى من بعدى) فعلتم بعدى حيث عبدتم العجل
والخطاب للعبدة أو قمتم مقامى فلم تكفوا العبدة والخطاب لهرون والمؤمنين معه وما نكرة موصوفة
تفسر المستكن فى بئس والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدى
خلافتكم ومعنى من بعدى من بعد انطلاقى أو من بعد ما رأيتم منى من التوحيد والتنزيه والحمل عليه
والكف عما ينافيه (أعجلتم أمر ربكم) أتركتموه غير تام كأنه ضمن عجل معنى سبق فعدى
تعديته أو أعجلتم وعد ربكم الذى وعدنيه من الاربعين وقدرتم موتى وغيرتم بعدى كما غيرت الامم
بعد أنبيائهم (وألقى الالواح) طرحها من شدة الغضب وفرط الضجر حمية للدين روى أن التوراة
كانت سبعة أسباع فى سبعة ألواح فلما ألقاها انكسرت فرفع ستة أسباعها وكان فيها تفصيل كل شئ
وبقى سبع كان فيه المواعظ والاحكام (وأخذ برأس أخيه) بشعر رأسه (يجره اليه) توهما
بانه قصر فى كفهم وهرون كان أكبر منه بثلاث سنين وكان حمولا لينا ولذلك كان أحب الى بنى
اسرائيل (قال ابن أم) ذكر الام ليرققه عليه وكانا من أب وأم وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى
وأبو بكر عن عاصم هنا وفى طه يا ابن أم بالكسر وأصله يا ابن أمى فحذفت الياء اكتفاء بالكسرة
تخفيفا كالمنادى المضاف الى الياء والباقون بالفتح زيادة فى التخفيف لطوله أو تشبيها بخمسة عشر
(ان القوم استضعفونى وكادوا يقتلوننى) ازاحة لتوهم التقصير فى حقه والمعنى بذلت وسعى فى
كفهم حتى قهرونى واستضعفونى وقاربوا قتلى (فلا تشمت بى الاعداء) فلا تفعل بى ما يشمتون
بى لاجله (ولا تجعلنى مع القوم الظالمين) معدودا فى عدادهم بالمؤاخذة أو نسبة التقصير (قال
رب اغفر لى) بما صنعت بأخى (ولاخى) ان فرط فى كفهم ضمه الى نفسه فى الاستغفار ترضية
له ودفعا للشماتة عنه (وأدخلنا فى رحمتك) بمزيد الانعام علينا (وأنت أرحم الراحمين) فانت
أرحم بنا منا على أنفسنا (ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم) وهو ما أمرهم به من قتل
أنفسهم (وذلة فى الحياة الدنيا) وهى خروجهم من ديارهم وقيل الجزية (وكذلك نجزى المفترين)
على الله ولا فرية أعظم من فريتهم وهى قولهم هذا الهكم واله موسى ولعله لم يفتر مثلها أحد قبلهم

(قوله وقيل صاغه بنوع من الحيل الخ) هذا ليس بشئ لان الاول مناسب لقوله تعالى قال فما خطبك ياسامرى قال بصرت بما لم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها (قوله أو لان المراد اتخاذهم اياه الها) يجب تعين هذا التفسير اذ لو كان المراد من الاتخاذ الاول لم يكن لقوله تعالى ألم يروا انه لايكلمهم الخ ربط ظاهر بما سبق وههنا سؤال وهو ان ما فائدة قوله جسدا ولم يقل عجلا له خوار والجواب ان فائدته انه مجرد جسد لا روح فيه أو فيه روح لكن لا يكون له الخواص والآثار فكأنه لم يكن (قوله فصار يده مسقوطا فيها) أى سقط العاض فى اليد المعضوض وانما جعله كناية ولم يجعل مجازا لانه يمكن ان يراد به المعنى الحقيقى (قوله ولا فرية أعظم من فريتهم) لانهم جعلوا العجل المصوغ اله موسى بعد ما رأوا الآيات من موسى ومبالغته فى التوحيد

ولا

ولابعدهم (والذين عملوا السيئات) من الكفر والمعاصى (ثم تابوا من بعدها) من بعد السيئات (وآمنوا) واشتغلوا بالايمان وماهو مقتضاه من الاعمال الصالحة (ان ربك من بعدها) من بعد التوبة (لغفور رحيم) وان عظم الذنب كجريمة عبدة العجل وكثر كجرائم بنى اسرائيل (ولما سكت) سكن وقد قرئ به (عن موسى الغضب) باعتذار هرون أو بتوبتهم وفى هذا الكلام مبالغة و بلاغة من حيث انه جعل الغضب الحامل له على مافعل كالآمر به والمغرى عليه حتى عبر عن سكونه بالسكوت وقرئ سكت وأسكت على أن المسكت هو الله أو أخوه أو الذين تابوا (أخذ الالواح) التى ألقاها (وفى نسختها) وفيما نسخ فيها أى كتب فعلة بمعنى مفعول كالخطبة وقيل فيما نسخ منها أى من الالواح المنكسرة (هدى) بيان للحق (ورحمة) ارشاد الى الصلاح والخير (للذين هم لربهم يرهبون) دخلت اللام على المفعول لضعف الفعل بالتأخير أو حذف المفعول واللام للتعليل والتقدير يرهبون معاصى الله لربهم (واختار موسى قومه) أى من قومه فحذف الجار وأوصل الفعل اليه (سبعين رجلا لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة) روى أنه تعالى أمره أن يأتيه فى سبعين من بنى اسرائيل فاختار من كل سبط ستة فزاد اثنان فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاجروا فقال ان لمن قعد أجر من خرج فقعد كالب ويوشع وذهب مع الباقين فلما دنوا من الجبل غشيه غمام فدخل موسى بهم الغمام وخر واسجدا فسمعوه تعالى يكلم موسى يأمره وينهاه ثم انكشف الغمام فأقبلوا اليه وقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الرجفة أى الصاعقة أو رجفة الجبل فصعقوا منها (قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياى) تمنى هلاكهم وهلاكه قبل أن يرى مارأى أو بسبب آخر أوعنى به أنك قدرت على اهلاكهم قبل ذلك بحمل فرعون على اهلاكهم و باغراقهم فى البحر وغيرهما فترحمت عليهم بالانقاذ منها فان ترحمت عليهم مرة أخرى لم يبعد من عميم احسانك (أتهلكنا بما فعل السفهاء منا) من العناد والتجاسر على طلب الرؤية وكان ذلك قاله بعضهم وقيل المراد بما فعل السفهاء عبادة العجل والسبعون اختارهم موسى لميقات التوبة عنها فغشيتهم هيبة قلقوا منها و رجفوا حتى كادت تبين مفاصلهم وأشرفوا على الهلاك فخاف عليهم موسى فبكى ودعا فكشفها الله عنهم (ان هى الافتنتك) ابتلاؤك حين أسمعتهم كلامك حتى طمعوا فى الرؤية أو أوجدت فى العجل خوارا فزاغوا به (تضل بها من تشاء) ضلاله بالتجاوز عن حده أو باتباع المخايل (وتهدى من تشاء) هداه فيقوى بها ايمانه (أنت ولينا) القائم بأمرنا (فاغفر لنا) بمغفرة ماقارفنا (وارحمنا وأنت خير الغافرين) تغفر السيئة وتبدلها بالحسنة (واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة) حسن معيشة وتوفيق طاعة (وفى الآخرة) الجنة (انا هدنا اليك) تبنا اليك من هاد يهود اذا رجع وقرئ بالكسر من هاده يهيده اذا أماله و يحتمل أن يكون مبنيا للفاعل وللمفعول بمعنى أملنا أنفسنا وأملنا اليك و يجوز أن يكون المضموم أيضا مبنيا للمفعول منه على لغة من يقول عود المريض (قال عذابى أصيب به من أشاء) تعذيبه (ورحمتى وسعت كل شئ) فى الدنيا المؤمن والكافر بل المكلف وغيره (فسأكتبها) فسأثبتها فى الآخرة أوفسأكتبها كتبة خاصة منكم يابنى اسرائيل (للذين يتقون) الكفر والمعاصى (ويؤتون الزكاة) خصها بالذكر لانافتها ولانها كانت أشق عليهم (والذين هم بآياتنا يؤمنون) فلا يكفرون بشئ منها (الذين يتبعون الرسول النبى) مبتدأ خبره يأمرهم أو خبر مبتدأ تقديره هم الذين أو بدل من الذين يتقون بدل البعض أو

(قوله ويحتمل ان يكون مبنيا للفاعل أو المفعول) أى اذا قرئ بكسر الهاء فاما اذا كان بضم الهاء فهو مبنى للفاعل الاعلى اللغة التى يذكرها (قوله أوفسأكتبها كتبة خاصة) أى سأكتب رحمة خاصة على بنى اسرائيل وان كان مطلق الرحمة يعم كل موجود يعنى ان السين تفيد الاستقبال فيكون اما باعتبار ثبوتهما فى الآخرة واما باعتبار حصولها لبنى اسرائيل فى مستقبل الزمان

الكل والمراد من آمن منهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وانما سماه رسولا بالاضافة الى الله تعالى ونبيا بالاضافة الى العباد (الامى) الذى لايكتب ولايقرأ وصفه به تنبيها على أن كمال علمه مع حاله احدى معجزاته (الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل) اسما وصفة (يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات) مما حرم عليهم كالشحوم (ويحرم عليهم الخبائث) كالدم ولحم الخنزير أو كالربا والرشوة (ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم) ويخفف عنهم ما كلفوا به من التكاليف الشاقة كتعيين القصاص فى العمد والخطأ وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة وأصل الاصر الثقل الذى يأصر صاحبه أى يحبسه من الحراك لثقله وقرأ ابن عامر آصارهم (فالذين آمنوا به وعزروه) وعظموه بالتقوية وقرئ بالتخفيف وأصله المنع ومنه التعزير (ونصروه) لى (واتبعوا النور الذى أنزل معه) أى مع نبوته يعنى القرآن وانما سماه نورا لانه باعجازه ظاهر أمره مظهر غيره أو لانه كاشف الحقائق مظهر لها ويجوز أن يكون معه متعلقا باتبعوا أى واتبعوا النور المنزل مع اتباع النبى فيكون اشارة الى اتباع الكتاب والسنة (أولئك هم المفلحون) الفائزون بالرحمة الابدية ومضمون الآية جواب دعاء موسى صلى الله عليه وسلم (قل ياأيها الناس انى رسول الله اليكم) الخطاب عام وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مبعوثا الى كافة الثقلين وسائر الرسل الى أقوامهم (جميعا) حال من اليكم (الذى له ملك السموات والارض) صفة لله وان حيل بينهما بما هو متعلق المضاف اليه لانه كالتقدم عليه أو مدح منصوب أو مرفوع أو مبتدأ خبره (لااله الاهو) وهو على الوجوه الاول بيان لماقبله فان من ملك العالم كان هو الاله لاغيره وفى (يحيى ويميت) مزيد تقرير لاختصاصه بالالوهية (فآمنوا بالله ورسوله النبى الامى الذى يؤمن بالله وكلماته) ماأنزل عليه وعلى سائر الرسل من كتبه ووحيه وقرئ وكلمته على ارادة الجنس أو القرآن أو عيسى تعريضا لليهود وتنبيها على أن من لم يؤمن به لم يعتبر ايمانه وانما عدل عن التكلم الى الغيبة لاجراء هذه الصفات الداعية الى الايمان به والاتباع له (واتبعوه لعلكم تهتدون) جعل رجاء الاهتداء أثر الأمرين تنبيها على أن من صدقه ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو يعد فى خطط الضلالة (ومن قوم موسى) يعنى من بنى اسرائيل (أمة يهدون بالحق) يهدون الناس محقين أو بكلمة الحق (وبه) بالحق (يعدلون) بينهم فى الحكم والمراد بها الثابتون على الايمان القائمون بالحق من أهل زمانه أتبع ذكرهم ذكر اضدادهم على ماهو عادة القرآن تنبيها على أن تعارض الخير والشر وتزاحم أهل الحق والباطل أمر مستمر وقيل مؤمنو أهل الكتاب وقيل قوم وراء الصين رآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فآمنوا به (وقطعناهم) وصيرناهم قطعا متميزا بعضهم عن بعض (اثنتى عشرة) مفعول ثان لقطع فانه متضمن معنى صير أو حال وتأنيثه للحمل على الامة أو القطعة (أسباطا) بدل منه ولذلك جمع أو تمييز له على أن كل واحدة من اثنتى عشرة أسباط فكأنه قيل اثنتى عشرة قبيلة وقرئ بكسر الشين واسكانها (أمما) على الاول بدل بعد بدل أو نعت أسباطا وعلى الثانى بدل من أسباطا (وأوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه) فى التيه (أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست) أى فضرب فانبجست وحذفه للايماء على أن موسى صلى الله عليه وسلم لم يتوقف فى الامتثال وأن ضربه لم يكن مؤثرا يتوقف عليه الفعل فى ذاته (منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس) كل سبط (مشربهم وظللنا عليهم الغمام)

(قوله ويخفف عنهم ما كلفوا به من التكاليف الشاقة كتعيين القصاص فى العمد والخطأ الخ) هذا نقيض ماذكر فى تفسير قوله تعالى وأمر قومك يأخذوا باحسنها فانه قال باحسن مافيها كالصبر والعفو بالاضافة الى الانتصار والاقتصاص على طريقة الندب والحث على الافضل ويمكن ان يجمع بين الكلامين بان المأمور به فى الالواح على سبيل الندب الصبر والعفو ثم تعين عليهم القصاص بجرائم صدرت منهم (قوله وهو على الوجوه الاول بيان لماقبله) المراد من الوجوه الاول كون الذى له ملك السموات والارض صفة لله أو مدحا منصوبا أو مرفوعا (قوله وانما عدل عن التكلم الى الغيبة) أى الاصل ان يقال فآمنوا بالله وبى اذ الآية تحت قوله تعالى قل ياأيها الناس وانما عدل عن ياء المتكلم الى قوله ورسوله لاجراء الصفات المذكورة وهو النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته عليه (قوله وحذفه للدلالة على ان موسى لم يتوقف فى الامتثال) فيه انه لو ذكر وقيل فضرب فانبجست لدل على ذلك

أيضا لان الفاء تدل على التعقيب والجواب ان الحذف يدل على سرعة الامتثال دلالة عليه لانه رتب الانبجاس على الضرب من غير ذكره فهو يدل على سرعة وقوع الامتثال في زمان قليل بحيث كانه لم يكن والاولى ان يقال وحذفه للمبالغة في سرعة الامتثال

الغمام) ليقيهم حر الشمس (وأنزلنا عليهم المن والسلوى كلوا) أى وقلنا لهم كلوا (من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) سبق تفسيره فى سورة البقرة (واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية) باضمار اذكر والقرية بيت المقدس (وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا) مثل ما فى سورة البقرة معنى غير أن قوله فكلوا فيها بالفاء أفاد تسبب سكناهم للأكل منها ولم يتعرض له ههنا اكتفاء بذكره ثمة أو بدلالة الحال عليه وأما تقديم قوله قولوا على وادخلوا فلا أثر له فى المعنى لانه لا يوجب الترتيب وكذا الواو العاطفة بينهما (تغفر لكم خطيآتكم سنزيد المحسنين) وعد بالغفران والزيادة عليه بالاثابة وانما أخرج الثانى مخرج الاستئناف للدلالة على أنه تفضل محض ليس فى مقابلة ما أمروا به وقرأ نافع وابن عامر ويعقوب تغفر بالتاء والبناء للمفعول وخطيآتكم بالجمع والرفع غير ابن عامر فانه وحد وقرأ أبو عمرو خطاياكم (فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذى قيل لهم فأرسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون) مضى تفسيره فيها (واسئلهم) للتقرير والتقريع بقديم كفرهم وعصيانهم والاعلام بما هو من علومهم التى لا تعلم الا بتعليم أو وحى ليكون لك ذلك معجزة عليهم (عن القرية) عن خبرها وما وقع بأهلها (التى كانت حاضرة البحر) قريبة منه وهى ايلة قرية بين مدين والطور على شاطئ البحر وقيل مدين وقيل طبرية (اذ يعدون فى السبت) يتجاوزون حدود الله بالصيد يوم السبت واذ ظرف لكانت أو حاضرة أو للمضاف المحذوف أو بدل منه بدل الاشتمال (اذ تأتيهم حيتانهم) ظرف ليعدون أو بدل بعد بدل وقرئ يعدون وأصله يعتدون ويعدون من الاعداد أى يعدون آلات الصيد يوم السبت وقد نهوا أن يشتغلوا فيه بغير العبادة (يوم سبتهم شرعا) يوم تعظيمهم أمر السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها بالتجرد للعبادة وقيل اسم لليوم والاضافة لاختصاصهم بأحكام فيه ويؤيد الاول ان قرئ يوم اسباتهم وقوله (ويوم لا يسبتون لا تأتيهم) وقرئ لا يسبتون من أسبت ولا يسبتون على البناء للمفعول بمعنى لا يدخلون فى السبت وشرعا حال من الحيتان ومعناه ظاهرة على وجه الماء من شرع علينا اذا دنا وأشرف (كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون) مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب فسقهم وقيل كذلك متصل بما قبله أى لا تأتيهم مثل اتيانهم يوم السبت والباء متعلق بيعدون (واذ قالت) عطف على اذ يعدون (أمة منهم) جماعة من أهل القرية يعنى صلحاءهم الذين اجتهدوا فى موعظتهم حتى أيسوا من اتعاظهم (لم تعظون قوما الله مهلكهم) مخترمهم (أو معذبهم عذابا شديدا) فى الآخرة لتماديهم فى العصيان قالوه مبالغة فى أن الوعظ لا ينفع فيهم أو سؤالا عن علة الوعظ ونفعه وكأنه تقاول بينهم أو قول من ارعوى عن الوعظ لمن لم يرعو منهم وقيل المراد طائفة من الفرقة الهالكة أجابوا به وعاظهم ردا عليهم وتهكما بهم (قالوا معذرة الى ربكم) جواب للسؤال أى موعظتنا انهاء عذر الى الله حتى لا تنسب الى تفريط فى النهى عن المنكر وقرأ حفص معذرة بالنصب على المصدر أو العلة أى اعتذرنا به معذرة أو وعظناهم معذرة (ولعلهم يتقون) اذ اليأس لا يحصل الا بالهلاك (فلما نسوا) تركوا ترك

(قوله والاعلام بما هو من علومهم التى لا تعلم الا بتعليم او وحى) ولما لم يتعلم النبى صلى الله عليه وسلم علم انه بالوحى (قوله أو للمضاف المحذوف) أى المضاف المحذوف فى قوله تعالى واسئل القرية (قوله أو بدل منه) أى من المضاف المحذوف ولا يلزم صحة وقوع البدل مقام المبدل منه حتى يرد انه لا يصح ان يقال واسئلهم عن أهل القرية اذ كانت حاضرة البحر (قوله ويؤيد الاول ان قرئ يوم اسباتهم) بلفظ المصدر يؤيد أن السبت بمعنى التعظيم وكذا قوله تعالى ويوم لا يسبتون يؤيد ان السبت بالمعنى المصدرى لاشتقاق الفعل منه (قوله أو سؤالا عن علة الوعظ) يدل على ان المعنى الاول النهى عن الوعظ (قوله اذ اليأس لا يحصل الا بالهلاك) هذا نقيض ما سبق من قوله حين أيسوا من اتعاظهم لانهم اذا أيسوا من اتعاظهم قبل هلاكهم فكيف يصح قوله اذ اليأس لا يحصل الا بالهلاك ثم قوله حين أيسوا لا يناسب لعلهم يتقون على بعض التفاسير التى ذكرها وهو ان يكون القول المذكور هو التقاول بين صلحاء القرية الذين أيسوا من اتعاظهم لانهم اذا أيسوا من اتعاظهم كيف يقول بعضهم لبعض ذلك وهو قوله لعلهم يتقون لانه يفيد رجاء التقوى ويمكن ان يقال مراده من أيسوا قربوا من اليأس كما قيل قد قامت الصلاة وهى لم تقم بعد بل المراد

الناسي (ماذكروا به) ماذكرهم به صلحاؤهم (أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا) بالاعتداء ومخالفة أمر الله (بعذاب بئيس) شديد فعيل من بؤس يبؤس بؤسا اذا اشتد وقرأ أبو بكر بيئس على فيعل كضيغم وابن عامر بئس بكسر الباء وسكون الهمز على أنه بئس كحذر كما قرئ به نخفف عينه بنقل حركتها الى الفاء ككبد فى كبد وقرأ نافع بيس على قلب الهمزة ياء كما قلبت فى ذئب أو على أنه فعل الذم وصف به فجعل اسما وقرئ بيس كريس على قلب الهمزة ياء ثم ادغامها و بيس بالتخفيف كهين و بائس كفاعل (بما كانوا يفسقون) بسبب فسقهم (فلما عتوا عما نهوا عنه) تكبروا عن ترك مانهوا عنه كقوله تعالى وعتوا عن أمر ربهم (قلنا لهم كونوا قردة خاسئين) كقوله انما قولنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون والظاهر يقتضى أن الله تعالى عذبهم أولا بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم ويجوز أن تكون الآية الثانية تقريرا وتفصيلا للاولى روى أن الناهين لما أيسوا عن اتعاظ المعتدين كرهوا مساكنتهم فقسموا القرية بجدار فيه باب مطروق فاصبحوا يوما ولم يخرج اليهم أحد من المعتدين فقالوا ان لهم شانا فدخلوا عليهم فاذاهم قردة فلم يعرفوا أنسباءهم ولكن القردة تعرفهم فجعلت تأتى أنسباءهم وتشم ثيابهم وتدور باكية حولهم ثم ماتوا بعد ثلاث وعن مجاهد مسخت قلوبهم لا أبدانهم (واذ تأذن ربك) أى أعلم تفعل من الايذان بمعناه كالتوعد والايعاد أو عزم لان العازم على الشئ يؤذن نفسه بفعله وأجرى مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك أجيب بجوابه وهو (ليبعثن عليهم الى يوم القيامة) والمعنى واذ أوجب ربك على نفسه ليسلطن على اليهود (من يسومهم سوء العذاب) كالاذلال وضرب الجزية بعث الله عليهم بعد سليمان عليه السلام بختنصر فخرب ديارهم وقتل مقاتليهم وسبى نساءهم وذراريهم وضرب الجزية على من بقى منهم وكانوا يؤدونها الى المجوس حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم ففعل ما فعل ثم ضرب عليهم الجزية فلا تزال مضروبة الى آخر الدهر (ان ربك لسريع العقاب) عاقبهم فى الدنيا (وانه لغفور رحيم) لمن تاب وآمن (وقطعناهم فى الارض أمما) وفرقناهم فيها بحيث لا يكاد يخلو قطر منهم تمة لأدبارهم حتى لا يكون لهم شوكة قط وأمما مفعول ثان أو حال (منهم الصالحون) صفة أو بدل منه وهم الذين آمنوا بالمدينة ونظراؤهم (ومنهم دون ذلك) تقديره ومنهم ناس دون ذلك أى منحطون عن الصلاح وهم كفرتهم وفسقتهم (وبلوناهم بالحسنات والسيآت) بالنعم والنقم (لعلهم يرجعون) ينتهون فيرجعون عما كانوا عليه (فخلف من بعدهم) من بعد المذكورين (خلف) بدل سوء مصدر نعت به ولذلك يقع على الواحد والجمع وقيل جمع وهو شائع فى الشر والخلف بالفتح فى الخير والمراد به الذين كانوا فى عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم (ورثوا الكتاب) التوراة من أسلافهم يقرؤنها ويقفون على مافيها (يأخذون عرض هذا الأدنى) حطام هذا الشئ الأدنى يعنى الدنيا وهو من الدنو أو الدناءة وهو ما كانوا يأخذون من الرشا فى الحكومة وعلى تحريف الكلم والجملة حال من الواو (ويقولون سيغفر لنا) لا يؤاخذنا الله بذلك ويتجاوز عنه وهو يحتمل العطف والحال والفعل مسند الى الجار والمجرور أو مصدر يأخذون (وان يأتهم عرض مثله يأخذوه) حال من الضمير فى لنا أى يرجون المغفرة مصرين على الذنب عائدين الى مثله غير تائبين عنه (ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب) أى فى الكتاب (ألا يقولوا على الله الا الحق)

قربها والاولى ان يقال بدل قوله حين أيسوا حين تضجروا (قوله كقوله انما قولنا لشئ الخ) الظاهر انه لا أمر ولا قول فى الحقيقة وانما الغرض ارادة جعلهم قردة بدليل ماقاله فى تفسير قوله تعالى واذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون وهو ان ليس المراد به حقيقة أمر وامتثال بل تمثيل حصول ما تعلقت به ارادته بلا مهلة بطاعة المأمور المطيع بلا توقف فيكون معنى قوله انما قولنا لشئ الخ انما ارادتنا لشئ فى وقت ارادتناله ان يزيد كونه فيكون (قوله وهو يحتمل العطف والحال) فالاول بان يكون معطوفا على يأخذون والثانى ان يكون حالا عن ضمير يأخذون (قوله حال عن الضمير فى لنا) الوجه ان يقال انه حال على الضمير فى يقولون فانه الملائم لقوله يرجون المغفرة و يصرون على الذنب

عطف

عطف بيان للميثاق أو متعلق به أى بان يقولوا والمرادتو بيخهم على البت بالمغفرة مع عدم التوبة والدلالة على انه افتراء على الله وخروج عن ميثاق الكتاب (ودرسوا مافيه) عطف على ألم يؤخذ من حيث المعنى فانه تقرير أو على ورثوا وهواعتراض (والدار الآخرة خير للذين يتقون) مما يأخذ هؤلاء (أفلا يعقلون) فيعلموا ذلك ولا يستبدلوا الأدنى الدنىء المؤدى الى العقاب بالنعيم المخلد وقرأ نافع وابن عامر وحفص و يعقوب بالتاء على التلوين (والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة) عطف على الذين يتقون وقوله أفلايعقلون اعتراض أو مبتدأ خبره (انا لانضيع أجر المصلحين) على تقدير منهم أو وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على أن الاصلاح كالمانع من التضييع وقرأ أبو بكر يمسكون بالتخفيف وافراد الاقامة لانافتها على سائر أنواع التمسكات (واذنتقنا الجبل فوقهم) أى قلعناه و رفعناه فوقهم وأصل النتق الجذب (كأنه ظلة) سقيفة وهى كل ما أظلك (وظنوا) وتيقنوا (أنه واقع بهم) ساقط عليهم لان الجبل لايثبت فى الجو ولانهم كانوا يوعدون به وانما أطلق الظن لانه لم يقع متعلقه وذلك أنهم أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة لثقلها فرفع الله الطور فوقهم وقيل لهم ان قبلتم مافيها والا ليقعن عليكم (خذوا) على اضمار القول أى وقلنا خذوا أو قائلين خذوا (ما آتيناكم) من الكتاب (بقوة) بجد وعزم على تحمل مشاقه وهو حال من الواو (واذكروا مافيه) بالعمل به ولاتتركوه كالمنسى (لعلكم تتقون) قبائح الاعمال و رذائل الاخلاق (واذأخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم) أى أخرج من أصلابهم نسلهم على مايتوالدون قرنا بعد قرن ومن ظهورهم بدل من بنى آدم بدل البعض وقرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب ذرياتهم (وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا) أى ونصب لهم دلائل ربوبيته وركب فى عقولهم مايدعوهم الى الاقرار بها حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم ألست بربكم قالوا بلى فنزل تمكينهم من العلم بها وتمكنهم

(قوله والمرادتو بيخهم على البت بالمغفرة) يعنى انهم فعلوا المحرمات وجزموا بالغفران وهو مذموم وهذارد على قول صاحب الكشاف من ان مذهب أهل السنة فى غفران الذنوب من غير توبة مذهب اليهود و بيان الفرق ان اليهود كانوا يجزمون بالمغفرة من غير توبة واما أهل السنة فليسوا كذلك بل يقولون بمجرد الاحتمال ولم يجزموا بها (قوله فانه تقرير) دفع سؤال وهو انه كيف يعطف عليه والمعطوف عليه انشاء لانه استفهام فلزم عطف الاخبار على الانشاء فاجاب بان الاستفهام ليس على حقيقته بل هو للتقرير فيكون خبرا فى الحقيقة (قوله وهواعتراض) أى ألم يؤخذ اعتراض لانه واقع بين المعطوف والمعطوف عليه (قوله لانهم كانوا يوعدون به) أى بانهم لو لم يقبلوا أحكام التوراة وقع الجبل عليهم (قوله لانه لم يقع متعلقه) فيه انه اذا كان كذلك لم يكن يقينا لان متعلق اليقين لابد أن يقع والا لم يكن يقينا بل جهلا مركبا (قوله اى أخرج من أصلابهم نسبهم على مايتوالدون الخ) ظاهره دال على ان المراد من اخراج الذرية المذكورة فى الآية اخراج الاولاد وخلق أبدانهم التى تتعلق بها الارواح على الترتيب الذى نحن شاهدناه والجواب ان المراد اخراج الذرية على ترتيب التوالد من زمان آدم الى يوم القيامة فاخرج ذرية آدم من ظهره ثم أخرج من ظهور ذريته هذه الذرية وهكذا لكن قد صرح فى شرح المصابيح بما هو أصرح فقال المراد من الاخراج توليد بعضهم من بعض على مر الزمان وهذا يخالف الاحاديث فانها صريحة فى اخراج الذرية فى زمان آدم من ظهره بنعمان يعنى عرفة بين مكة والطائف (قوله ونصب لهم دلائل و ركب فى عقولهم الخ) اعلم ان معنى كلامه ان قوله تعالى وأشهدهم واقع على طريقة التمثيل لكن العلامة الطيبى قال ذهب أهل التأويل الى ان المراد بالاشهاد ماركبه الله فيهم من العقول وآتاهم من البصائر وكانه أشهدهم على أنفسهم وقررهم وقال لهم ألست بربكم وكانهم قالوا بلى فذهبوا فى معناه الى انه تمثيل وتصوير للمعنى وهذا الذى ذهبوا اليه فى تأويل حديث عمر تأويل مستقيم لولا مخالفة حديث ابن عباس رضى الله عنهما وهو مارواه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان يعنى عرفة فاخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرهم بين يديه كالذر ثم كلمهم قائلا ألست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين وهذا الحديث مخرج فى كتاب النسائى لايحتمل من التأويل مايحتمله حديث عمر لظهور المراد منه أقول لان قوله صلى الله عليه وسلم ثم كلمهم قائلا بايراد التكليم والقول كالصريح فى ان الاشهاد هو التكليم والقول والجواب أيضا القول الحقيقى والالما كان لايراد التكليم وايراده بالقول كبير وجه ثم قال أى العلامة الطيبى ان الاحاديث الثلاثة الواردة فى هذا الباب متعاضدة متوافقة الاول حديث عمر رضى الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى الآية فقال ان الله خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه

فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون الثاني حديث أبي هريرة وهو انه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لما خلق الله آدم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته الى يوم القيامة الحديث الثالث حديث ابن عباس وهو ما ذكرنا واذا تقرر هذا فالواجب على المفسر المحقق ان لا يفسر كلام الله المجيد برأيه اذا وجد من جانب السلف الصالح نقلا معتمدا فكيف بالنص القاطع من حضرة الرسالة صلى الله عليه وسلم فان الصحابي رضي الله عنه لما سأله صلى الله عليه وسلم عما أشكل عليه من معنى الآية ان الاشهاد هل هو حقيقة أولا والاخراج والمقاولة بقوله قال ألست بربكم قالوا بلى انما هو على المتعارف أم على الاستعارة فلما أجابه صلى الله عليه وسلم بما عرف منه ما اراده سكت انتهى كلامه وهو صريح في انه يجب حمل الآية على المعنى الحقيقي دون التمثيل كما حمله القاضي وغيره تبعا للزمخشري وتوضيح كلام الطيبي انه لو لم تحمل الاحاديث على الحقيقة لم يكن لجوابه صلى الله عليه وسلم في سؤال الصحابي فائدة اذ الصحابي حمل الكلام على المعنى الحقيقي ويكون المراد من الحديث غيره على التقدير المذكور ثم ان ههنا سؤالا أورده بعضهم وهو انه اذا كان اقرار الذرية بما ذكر وقت الاخراج من الظهور ان كان عن اضطرار حيث كوشفت بحقيقة ما شاهدوه وعين اليقين فلهم ان يقولوا يوم القيامة شهدنا يومئذ فلما زال عنا علم الضرورة ووكلنا الى آرائنا كان منا من أصاب ومنا من أخطأ وان كان عن استدلال ولكنهم عصموا عنده من الخطأ فلهم ان يقولوا يوم القيامة أيدنا يوم الاقرار بتوفيق الله وعصمته وحرمناهما من بعد ولو مددنا بهما أيضا لكانت شهادتنا في كل حين كشهادتنا في اليوم الاول بعد تبين ان الميثاق ما ركب الله فيهم من العقول وآتاهم من البصائر لانها هي الحجة القاطعة المانعة لهم عن قولهم انا كنا عن هذا غافلين وأجاب العلامة الطيبي عن قوله انهم يقولون شهدنا يومئذ الخ بانكم ما وكلتم الى آرائكم بل أرسلنا رسلنا تترى لتوقظكم عن سنة الغفلة واما الجواب عن قوله فلهم ان يقولوا يوم القيامة أيدنا يوم الاقرار الخ فهو ان هذا مشترك الالزام لانه اذا قيل لهم ألم نحكم العقول والبصائر

منه بمنزلة الاشهاد والاعتراف على طريقة التمثيل ويدل عليه قوله (أن تقولوا يوم القيامة) أي كراهة أن تقولوا (انا كنا عن هذا غافلين) لم ننبه عليه بدليل (أو تقولوا) عطف على أن تقولوا وقرأ أبو عمرو كليهما بالياء لان أول الكلام على الغيبة (انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم) فاقتدينا بهم لان التقليد عند قيام الدليل والتمكن من العلم به لا يصلح عذرا (أفتهلكنا بما فعل المبطلون) يعني آباءهم المبطلين بتأسيس الشرك وقيل لما خلق الله آدم أخرج من ظهره ذرية كالذر وأحياهم وجعل لهم العقل والنطق وألهمهم ذلك لحديث رواه عمر رضي الله تعالى عنه وقد حققت الكلام فيه في شرحي لكتاب المصابيح والمقصود من ايراد هذا الكلام ههنا الزام اليهود بمقتضى الميثاق العام بعد ما ألزمهم بالميثاق

فلهم ان يقولوا فاذا حرمنا اللطف والتوفيق فاي فائدة لنا في العقل والبصيرة أقول بقي ههنا اشكال وهو انه اذا حمل الآية على المعنى الحقيقي كما قاله الطيبي والحال ان الله تعالى عليم بان الذرية عالمون بانه تعالى ربهم اذ لو لم يعلموا لم يكن للسؤال عنهم معنى ولم يكن لجوابهم أيضا وجه ولما تقرر انه تعالى ربهم وعلم الله تعالى انهم عالمون فما فائدة هذا السؤال والجواب ويمكن ان يقال الفائدة اظهار كمال القدرة لمن حضر ذلك المشهد من الملائكة وغيرهم من خلق الله تعالى فانه لا يخفى ان اخراج ذرية آدم الى يوم القيامة مرة واحدة كالذر والسؤال عنهم عما ذكر وجوابهم بما ذكر وامن غرائب القدرة التي بهرت عقول أولي الابصار أو يقال الفائدة اطلاع من حضر ذلك المكان حتى يشهد عليهم يوم القيامة هذا ما خطر على خاطري القاصر والله ورسوله أعلم فان قيل كيف التوفيق بين الآية والحديث فان الآية دلت على اخراج الذرية من ظهور بني آدم والحديث على اخراج الذرية من ظهر آدم فجوابه ان المراد من بني آدم آدم وذريته لكن غلب اخراج الذراري من أصلاب أولاده نسلا بعد نسل حينئذ على ذراري نفسه ويعضده ما رواه الواحدي عن الكسائي انه قال لم يذكر ظهر آدم وانما أخرجوا جميعا عن ظهره لان الله تعالى أخرج ذرية آدم بعضهم من بعض على نحو ما هو المشاهد من الآباء واستغنى عن ذكر ظهر آدم لما علم انهم كلهم أولاده فاخرجوا من ظهره ويمكن ان يقال المراد من اخراج الذرية من ظهر آدم اخراجها من ظهره أعم من ان يكون بلا واسطة أو بواسطة واحدة أو وسائط قليلة أو كثيرة ولما كان من أخرج من ظهر آدم بلا واسطة قليلا ورد القرآن ناظرا الى الغالب الذي كان ما سواه كالعدم فان ما ظهر من آدم بلا واسطة بالنسبة الى ما خرج من ظهور ذريته كالعدم فقال تعالى واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم (قوله على طريقة التمثيل) ويمكن ان يراد بقوله على طريقة التمثيل الاستعارة التمثيلية بان شبه من نصب له دلائل الربوبية وركب في عقله ما يدعوه الى الاقرار بها بمن

أشهده الله على نفسه بالاقرار بالربوبية فى جواب السؤال عنها بألست بربكم ووجه الشبه كون كل منهما عالما بكونه تعالى ربه ،
ومستعدا للاعتراف بها حين السؤال ويمكن ان يراد بقوله المذكور مجرد التشبيه فلا يلزم ان يكون فى الكلام استعارة تمثيلية بل
مجرد استعارة ٧ وفى هذا المقام اشكال وهو ان السؤال بألست بربكم واقرار الذرارى بربوبيته تعالى لاينافى الشرك لان المشركين
قائلون بان الله تعالى ربهم كما قال تعالى ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فما معنى قوله تعالى ان تقولوا يوم

بالميثاق المخصوص بهم والاحتجاج عليهم بالحجج السمعية والعقلية ومنعهم عن التقليد وحملهم على النظر والاستدلال كما قال (وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون) أى عن التقليد واتباع الباطل (واتل عليهم) أى على اليهود (نبأ الذى آتيناه آياتنا) هو أحد علماء بنى اسرائيل أو أمية بن أبى الصلت فانه كان قد قرأ الكتب وعلم أن الله تعالى مرسل رسولا فى ذلك الزمان ورجا أن يكون هو فلما بعث محمد عليه السلام حسده وكفر به أو بلعم بن باعوراء من الكنعانيين أوتى علم بعض كتب الله (فانسلخ منها) من الآيات بان كفر بها وأعرض عنها (فاتبعه الشيطان) حتى لحقه وقيل استتبعه (فكان من الغاوين) فصار من الضالين روى أن قومه سألوه أن يدعو على موسى ومن معه فقال كيف أدعو على من معه الملائكة فالحوا حتى دعا عليهم فبقوا فى التيه (ولو شئنا لرفعناه) الى منازل الابرار من العلماء (بها) بسبب تلك الآيات وملازمتها (ولكنه أخلد الى الارض) مال الى الدنيا أو الى السفالة (واتبع هواه) فى ايثار الدنيا واسترضاء قومه وأعرض عن مقتضى الآيات وانما علق رفعه بمشيئة الله تعالى ثم استدرك عنه بفعل العبد تنبيها على ان المشيئة سبب لفعله الموجب لرفعه وأن عدمه دليل عدمها دلالة انتفاء المسبب على انتفاء سببه وأن السبب الحقيقى هو المشيئة وان ما نشاهده من الاسباب وسائط معتبرة فى حصول المسبب من حيث ان المشيئة تعلقت به كذلك وكان من حقه أن يقول ولكنه أعرض عنها فاوقع موقعه أخلد الى الارض واتبع هواه مبالغة وتنبيها على ما حمله عليه وأن حب الدنيا رأس كل خطيئة (فمثله) فصفته التى هى مثل فى الخسة (كمثل الكلب) كصفته فى أخس أحواله وهو (ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث) أى يلهث دائما سواء حمل عليه بالزجر والطرد أو ترك ولم يتعرض له بخلاف سائر الحيوانات لضعف فؤاده واللهث ادلاع اللسان من التنفس الشديد والشرطية فى موضع الحال والمعنى لاهثا فى الحالتين والتمثيل واقع موقع لازم التركيب الذى هو نفى الرفع ووضع المنزلة للمبالغة والبيان وقيل لما دعا على موسى صلى الله عليه وسلم خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كالكلب (ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص) القصة المذكورة على اليهود فانها نحو قصصهم (لعلهم يتفكرون) تفكرا يؤدى بهم الى الاتعاظ (ساء مثلا القوم) أى مثل القوم وقرئ ساء مثل القوم على حذف المخصوص بالذم (الذين كذبوا بآياتنا) بعد قيام الحجة عليهم وعلمهم بها (وأنفسهم كانوا يظلمون) اما أن يكون داخلا فى الصلة معطوفا على كذبوا بمعنى الذين جمعوا بين تكذيب الآيات وظلم أنفسهم أو منقطعا عنها بمعنى وما ظلموا بالتكذيب الا أنفسهم فان وباله لا يتخطاها ولذلك قدم المفعول (من يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون) تصريح بان الهدى والضلال من الله وأن هداية الله تختص ببعض دون بعض وأنها مستلزمة للاهتداء والافراد فى الاول والجمع فى الثانى

القيامة بمعنى كراهة ان تقولوا يوم القيامة الخ والجواب عنه انه يفهم من سياق الآية ان المراد من قوله تعالى ألست بربكم لاغيرى ولا يخفى ان هذا ينافى الشرك لان الشرك عبارة عن اتخاذ رب مع الله تعالى كما قال حكاية عن يوسف عليه السلام ياصاحبى السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار (قوله انما علق رفعه بمشيئته ثم استدرك الخ) التنبيه على تعليق الأمور بالمشيئة مستفاد من قوله تعالى ولو شئنا لرفعناه بها وأمر الوسائط مستفاد من قوله تعالى ولكنه أخلد الى الارض فان مشيئته عدم رفعه بل انحطاطه وخذلانه بسبب الاخلاد الى الارض واتباع الهوى وان حب الدنيا رأس كل خطيئة بان يقاس سائر المعاصى على ما ذكر بان يقال لما كانت هذه المعصية الكبيرة سبب

حب الدنيا كان جميع المعاصى كذلك وفيه ما فيه (قوله والتمثيل لازم الخ) أى لازم للتركيب المتقدم وهو قوله تعالى ولكنه أخلد الى الارض واتبع هواه لانه يستلزم الانحطاط والخذلان فاقيم التمثيل المذكور وهو قوله تعالى فمثله كمثل الكلب الخ مقام اللازم لانه فى حكم غاية الانحطاط (قوله تصريح بان الهدى والضلال من الله تعالى) أى الاهتداء والضلال منه تعالى اما الاول فلأن قوله تعالى فهو المهتدى جملة خبرية محلاة باللام تفيد حصر الاهتداء على من هداه الله تعالى واما الثانى فلان ضمير الفصل فى قوله فاولئك هم الخاسرون وكون الخبر محلى باللام يفيد الحصر (قوله وانها مستلزمة للاهتداء) فتكون الهداية بمعنى الدلالة الموصلة لا الدلالة على

بما يوصل فانها قد جاءت بالمعنيين أما الاول فكما فى هذا الموضع وأما الثانى فكما فى قوله تعالى وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى (قوله تعالى ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس) تقديم ذكر الجن على الانس اما لان خلق الجن أقدم كما قال الشيخ الكامل صاحب الفتوحات ان خلق الجن قبل خلق آدم بستين ألف سنة وأما لان الداخلين من الجن فى جهنم أكثر من الداخلين من الانس فان الشياطين من الجن والانس داخلون فى جهنم واعلم ان هذا ينافى ظاهر ما قاله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فانه حصر خلقهم لاجل العبادة والخلق لها ينافى الخلق لجهنم لان هذا يستلزم الخلق لعدم العبادة والجواب عنه أنه يمكن ان يكون معنى قوله تعالى الا ليعبدون الا لآن نأمرهم بالعبادة وهذا لا ينافى ان يكون خلق كثير منهم لجهنم (قوله فانها تدرك الخ) فان قيل المؤمن الفاسق لم يجتهد فى جذب المنافع ودفع المضار أيضا فوجب ان يكونوا أضل من الدواب قلنا لا محذور انهم أضل من الدواب من هذه الجهة وان كان لهم شرف من جهة أخرى ويمكن ان يقال أيضا ان المؤمن الفاسق لم يجزم بان الفسق ضار له بل يظن و يأمل العفو ولو جزم بانه يضره فى الآخرة لانتهى عنه ولعل البهائم أيضا كذلك فلا يثبت انهم أضل من البهائم (قوله كقولهم يا أبا المكارم يا أبيض الوجه) أما الاول فيوهم ان له تعالى ابنا يسمى بالمكارم وأما الثانى فلانه يوهم الجسمية (قوله واستدل به على صحة الاجماع الخ) انما قال استدل الدال على ضعف الاستدلال كما دل عليه استقراء كلامه لانه يمكن ان يقال لعل المراد ان فى أكثر الازمنة قوما كذلك فلا يلزم ان يكون الاجماع مطلقا دليلا أو يقال ان المراد انهم يهدون بالحق و يعدلون به فى أكثر الامور (قوله يهوت الى الصباح)

باعتبار اللفظ والمعنى تنبيه على أن المهتدين كواحد لاتحاد طريقهم بخلاف الضالين والاقتصار فى الاخبار عمن هداه الله بالمهتدى تعظيم لشأن الاهتداء وتنبيه على أنه فى نفسه كمال جسيم ونفع عظيم لو لم يحصل له غيره لكفاه وأنه المستلزم للفوز بالنعم الآجلة والعنوان لها (ولقد ذرأنا) خلقنا (لجهنم كثيرا من الجن والانس) يعنى المصرين على الكفر فى علمه تعالى (لهم قلوب لا يفقهون بها) اذ لا يلقونها الى معرفة الحق والنظر فى دلائله (ولهم أعين لا يبصرون بها) أى لا ينظرون الى ما خلق الله نظر اعتبار (ولهم آذان لا يسمعون بها) الآيات والمواعظ سماع تأمل وتذكر (أولئك كالانعام) فى عدم الفقه والابصار للاعتبار والاستماع للتدبر أو فى أن مشاعرهم وقواهم متوجهة الى أسباب التعيش مقصورة عليها (بل هم أضل) فانها تدرك ما يمكن لها أن تدرك من المنافع والمضار وتجتهد فى جلبها ودفعها غاية جهدها وهم ليسوا كذلك بل أكثرهم يعلم أنه معاند فيقدم على النار (أولئك هم الغافلون) الكاملون فى الغفلة (ولله الاسماء الحسنى) لانها دالة على معان هى أحسن المعانى والمراد بها الالفاظ وقيل الصفات (فادعوه بها) فسموه بتلك الاسماء (وذروا الذين يلحدون فى أسمائه) واتركوا تسمية الزائغين فيها الذين يسمونه بما لا توقيف فيه اذ ربما يوهم معنى فاسدا كقولهم يا أبا المكارم يا أبيض الوجه أو لا تبالوا بانكارهم ما سمى به نفسه كقولهم ما نعرف الا رحمن اليمامة أو وذروهم والحادهم فيها باطلاقها على الاصنام واشتقاق أسمائها منها كاللات من الله والعزى من العزيز ولا توافقوهم عليه أو أعرضوا عنهم فان الله مجازيهم كما قال (سيجزون ما كانوا يعملون) وقرأ حمزة هنا وفى فصلت يلحدون بالفتح يقال لحد وألحد اذا مال عن القصد (وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) ذكر ذلك بعد ما بين أنه خلق للنار طائفة ضالين ملحدين عن الحق للدلالة على أنه خلق أيضا للجنة أمة هادين بالحق عادلين فى الامر واستدل به على صحة الاجماع لان المراد منه أن فى كل قرن طائفة بهذه الصفة لقوله عليه الصلاة والسلام لا تزال من أمتى طائفة على الحق الى أن يأتى أمر الله اذ لو اختص بعهد الرسول أو غيره لم يكن لذكره فائدة فانه معلوم (والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم) سنستدنيهم الى الهلاك قليلا قليلا وأصل الاستدراج الاستصعاد أو الاستنزال درجة بعد درجة (من حيث لا يعلمون) ما نريد بهم وذلك أن تتواتر عليهم النعم فيظنوا أنها لطف من الله تعالى بهم فيزدادوا بطرا وانهماكا فى الغى حتى يحق عليهم كلمة العذاب (وأملى لهم) وأمهلهم عطف على سنستدرجهم (ان كيدى متين) ان أخذى شديد وانما سماه كيدا لان ظاهره احسان وباطنه خذلان (أولم يتفكروا ما بصاحبهم) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم (من جنة) من جنون روى أنه صلى الله عليه وسلم صعد على الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم بأس الله تعالى فقال قائلهم ان صاحبكم لمجنون بات يهوت الى الصباح فنزلت (ان هو الا نذير مبين) موضح انذاره بحيث لا يخفى على ناظر (أولم ينظروا) نظر استدلال (فى ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شئ) مما يقع عليه اسم الشئ من الاجناس التى لا يمكن حصرها ليدلهم على كمال قدرة صانعها ووحدة مبدعها

أي يصبح ويدعو (قوله صحة مايدعوهم اليه) وهو وحدة الخالق واستحقاقه للعبادة وابطال الشرك (قوله وكذا اسم يكون) اى يكون ضمير الشأن (قوله مغافصة) بالغين المعجمة أي أخذة الموت له فجأة (قوله كالتقرير له) اى لقوله تعالى فبأى حديث بعده يؤمنون يعني ان الهداية مخصوصة بالله تعالى فمن أضله الله ولا يؤمن بالقرآن فلا يهتدى بشئ أصلا (قوله بالرفع على الاستئناف) يعني ان لنذرهم اعرابين عند القراء أحدهما الرفع والآخر الجزم وعلى قراءة الرفع يقرأ اما بالنون أو بالياء وعلى كل من هذين التقديرين فالجملة استئناف وعلى التقدير الآخر معطوف (قوله واشتقاق ايان من أي الخ) (٣٧) قال صاحب الكشاف وقيل اشتقاقه

مبدعها وعظم شأن مالكها ومتولى أمرها ليظهر لهم صحة مايدعوهم اليه (وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم) عطف على ملكوت وأن مصدرية أو مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن وكذا اسم يكون والمعنى أولم ينظروا فى اقتراب آجالهم وتوقع حلولها فيسارعوا الى طلب الحق والتوجه الى ما ينجيهم قبل مغافصة الموت ونزول العذاب (فبأى حديث بعده) أى بعد القرآن (يؤمنون) اذا لم يؤمنوا به وهو النهاية فى البيان كأنه اخبار عنهم بالطبع والتصميم على الكفر بعد الزام الحجة والارشاد الى النظر وقيل هو متعلق بقوله عسى أن يكون كأنه قيل لعل أجلهم قد اقترب فما بالهم لا يبادرون الايمان بالقرآن وماذا ينتظرون بعد وضوحه فان لم يؤمنوا به فبأى حديث أحق منه يريدون أن يؤمنوا به وقوله (من يضلل الله فلا هادى له) كالتقرير والتعليل له (ونذرهم فى طغيانهم) بالرفع على الاستئناف وقرأ أبو عمرو وعاصم ويعقوب بالياء لقوله من يضلل الله وحمزة والكسائى به و بالجزم عطفا على محل فلا هادى له كأنه قيل لا يهده أحد غيره ويذرهم (يعمهون) حال من هم (يسئلونك عن الساعة) أى عن القيامة وهى من الاسماء الغالبة واطلاقها عليها اما لوقوعها بغتة أو لسرعة حسابها أو لانها على طولها عند الله كساعة (أيان مرساها) متى ارساؤها أى اثباتها واستقرارها ورسوا لشئ ثباته واستقراره ومنه رسا الجبل وأرسى السفينة واشتقاق أيان من أى لان معناه أى وقت وهو من أويت اليه لان البعض آو الى الكل (قل انما علمها عند ربى) استأثر به لم يطلع عليه ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا (لا يجليها لوقتها) لا يظهر أمرها فى وقتها (الا هو) والمعنى ان الخفاء بها مستمر على غيره الى وقت وقوعها واللام للتأقيت كاللام فى قوله أقم الصلاة لدلوك الشمس (ثقلت فى السموات والارض) عظمت على أهلها من الملائكة والثقلين هولها وكأنه اشارة الى الحكمة فى اخفائها (لا تأتيكم الا بغتة) الا فجأة على غفلة كما قال عليه الصلاة والسلام ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقى ماشيته والرجل يقوم سلعته فى سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه (يسئلونك كأنك حفى عنها) عالم بها فعيل من حفى عن الشئ اذا سأل عنه فان من بالغ فى السؤال عن الشئ والبحث عنه استحكم علمه فيه ولذلك عدى بعن وقيل هى صلة يسئلونك وقيل هو من الحفاوة بمعنى الشفقة فان قريشا قالوا له ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة والمعنى يسألونك عنها كأنك حفى تتحفى بهم فتخصهم لأجل قرابتهم بتعليم وقتها وقيل معناه كأنك حفى بالسؤال عنها تحبه من حفى بالشئ اذا فرح أى تكثره لانه من الغيب الذى استأثره الله بعلمه (قل انما علمها عند الله) كرره لتكرير يسألونك لما نيط به من هذه الزيادة

من أى قال العلامة التفتازانى صدر هذا الكلام بلفظ قيل وصرح آخرا بانه مرتجل لان الاشتقاق فى غير المتصرفة يأباه الا كثرون على ماذكر فى موضع آخر وكذا اشتقاق أى من اويت (قوله لا يظهر أمرها فى وقتها) أى لا يقدر على اظهار أمرها الواقع فى وقتها بان يعلم عينه الا الله فيعلم منه ان غيره لا يعلمها اذ لو كان عالما بها لقدر على اعلام غيره وقريب مما ذكرنا ماقاله العلامة النيسابورى أن الحاصل انه لا يقدر على اظهار وقتها المعين بالاخبار والاعلام الا هو والاولى ان يقال ان المعنى لا يظهر أمر الساعة أى وجودها والاهوال الكائنة فيها الا هو أى لا يقدر على ماذكر الا الله تعالى فقوله تعالى انما علمها عند ربى يفيد ان

علمها مخصوص به تعالى وقوله تعالى لا يجليها لوقتها الا هو يفيد أن القادر على اظهار أمرها ليس الا الله فيكون العلم بها والقدرة عليها مخصوصا به تعالى (قوله واللام للتأقيت كاللام فى قوله تعالى أقم الصلاة لدلوك الشمس) فيه نظر اذ يلزم ههنا تكرار الوقت لان الوقت مذكور صريحا واللام أيضا تفيده بخلاف قوله تعالى لدلوك الشمس فانه لا يلزم منه التكرار كما لا يخفى ولذا لم يذكره صاحب الكشاف والوجه أن يقال ان اللام ههنا بمعنى فى كما فى قوله تعالى ياليتنى قدمت لحياتى فانها بمعنى فى كذا قاله صاحب المغنى والعجب ان قوله أولا لا يظهر أمرها فى وقتها يدل على ان اللام بمعنى فى (قوله هولها) لا يخفى أن الهول يترتب على وقوعها أو العلم بوقوع وقتها وأما العلم بتعيين وقوع وقتها فلا يكون موجبا للهول حتى يكون سببا لاخفائها (قوله فان من بالغ الخ) يعنى الظاهر من كلامه ان حفى عنها بمعنى المستحكم

[illegible] (قوله والتبرى من ادعاء العلم بالغيوب) فيه نظر اذ لا يلزم من عدم ملك النفع والضر عدم العلم بالغيوب فان كلا من المخلوقين لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا بل المالك المطلق خالق الكل جل جلاله مع ان بعضهم كالملائكة المقربين عالم ببعض الغيوب وان أريد التبرى عن ادعاء العلم بجميع الغيوب فهو أيضا غير مفهوم من الكلام مع انه قليل الجدوى لانه من الظاهر الجلى ان النبى صلى الله عليه وسلم لا يدعى ذلك ولم يظن واحد فى شأنه ماذكر (قوله تعالى الا ماشاء الله) يدل هذا الاستثناء على انه صلى الله عليه وسلم مالك وقادر لنفسه ماشاء الله لكن الدلائل الدالة على نفى خالق الاعمال دالة على انه لا يمكن وقوع المخلوق بقدرته فيكون المراد

بالمالكية القدرة بحسب الظاهر كما يقال فلان قادر على فعل كذا والظاهر أن الاستثناء منقطع والمعنى لكن ماشاء الله يقع لى نفعا كان أو ضرا (قوله تعالى ولوكنت أعلم الغيب الخ) ههنا اشكال وهو ان لقائل أن يقول لم لا يجوز أن يكون الشخص عالما بالغيب لكن لا يقدر على دفع السراء والضراء اذ العلم بالشئ لا يستلزم القدرة عليه كما لا يخفى كما فى قصة أحد فانه صلى الله عليه وسلم كان عالما بانكسار يقع للمسلمين لرؤيا رآها كما فى كتب السير مع انه لم يقدر على رد ماقدره الله والجواب انه يجوز أن يكون حال النبى صلى الله عليه وسلم بان يكون المقدر ان علمه بالغيوب مستلزم لما ذكر فان استلزام الشرط للجزاء لا يلزم أن يكون عقليا ولا كليا بل يجوز أن يكون فى بعض الاوقات وبالنسبة الى بعض الاشخاص كما يقال للعالم النحرير ان عرض عليك أى مسئلة فيها اشكال تعرف الجواب ولا يلزم اى صحة هذا القول بالنسبة الى كل واحد والانكسار الواقع على المسلمين يوم أحد لم يقع على نفسه صلى الله عليه وسلم لكن المراد انه لوكنت أعلم الغيب لاستكثرت من خير متعلق بنفسى ومامسنى السوء المتعلق بغيرى ولم يدل الكلام على انه لوكنت أعلم الغيب لم يمس السوء غيرى (قوله ليناسب فلما تغشاها) فان التذكير يناسب تغشى والمناسب للضمير الراجع الى النفس أن يكون مؤنثا لانها مؤنثة سماعا فتذكيره يكون بالاعتبار المذكور (قوله على حذف المضاف) أى على حذف المضاف من الموضعين فان جعلا بمعنى جعل أولادهما فحذف الاولاد فانقلب الضمير المجرور مرفوعا متصلا وفيما آتاهما بمعنى فيما آتى أولادهما ويدل عليه قوله تعالى

وللمبالغة (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ان علمها عند الله لم يؤته أحدا من خلقه (قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا) جلب نفع ولا دفع ضر وهو اظهار للعبودية والتبرى من ادعاء العلم بالغيوب (الا ماشاء الله) من ذلك فيلهمنى اياه ويوفقنى له (ولوكنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير ومامسنى السوء) ولوكنت أعلمه لخالفت حالى ماهى عليه من استكثار المنافع واجتناب المضار حتى لا يمسنى سوء (ان أنا الا نذير وبشير) ماأنا الا عبد مرسل للانذار والبشارة (لقوم يؤمنون) فانهم المنتفعون بهما ويجوز ان يكون متعلقا بالبشير ومتعلق النذير محذوف (هو الذى خلقكم من نفس واحدة) هو آدم (وجعل منها) من جسدها من ضلع من اضلاعها أو من جنسها كقوله جعل لكم من أنفسكم أزواجا (زوجها) حواء (ليسكن اليها) ليستأنس بها ويطمئن اليها اطمئنان الشئ الى جزئه أو جنسه وانما ذكر الضمير ذهابا الى المعنى ليناسب (فلما تغشاها) أى جامعها (حملت حملا خفيفا) خف عليها ولم تلق منه ماتلقى منه الحوامل غالبا من الأذى أو محمولا خفيفا وهو النطفة (فمرت به) فاستمرت به أى قامت وقعدت وقرئ فمرت بالتخفيف وفاستمرت به وفمارت من المور وهو المجئ والذهاب أو من المرية أى فظنت الحمل وارتابت منه (فلما أثقلت) صارت ذات ثقل بكبر الولد فى بطنها وقرئ على البناء للمفعول اى أثقلها حملها (دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا) ولدا سويا قد صلح بدنه (لنكونن من الشاكرين) لك على هذه النعمة المجددة (فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما) أى جعل أولادهما له شركاء فيما آتى أولادهما فسموه عبد العزى وعبد مناف على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه ويدل عليه قوله (فتعالى الله عما يشركون أيشركون مالا يخلق شيأ وهم يخلقون) يعنى الاصنام وقيل لما حملت حواء أتاها ابليس فى صورة رجل فقال لها مايدريك مافى بطنك لعله بهيمة أو كلب ومايدريك من أين يخرج فخافت من ذلك وذكرته لآدم فهمهما منه ثم عاد اليها وقال انى من الله بمنزلة فان دعوت الله أن يجعله خلقا مثلك ويسهل عليك خروجه تسميه عبد الحرث وكان اسمه حارثا بين الملائكة فتقبلت فلما ولدت سمياه عبد الحرث وأمثال ذلك لا تليق بالانبياء ويحتمل ان يكون الخطاب فى خلقكم لآل قصى من قريش فانهم خلقوا من نفس قصى وكان له زوج من جنسه عربية قرشية وطلبا من الله الولد فأعطاهما أربعة بنين فسمياهم عبد مناف وعبد شمس وعبد قصى وعبد الدار ويكون الضمير فى يشركون لهما ولاعقابهما المقتدين بهما وقرأ نافع وأبو بكر شركا

أى شركة بان أشركا فيه غيره أو ذوى شرك وهم الشركاء وهم ضمير الاصنام جىء به على تسميتهم اياها آلهة (ولا يستطيعون لهم نصرا) أى لعبدتهم (ولا أنفسهم ينصرون) فيدفعون عنها مايعتريها (وان تدعوهم) أى المشركين (الى الهدى) الى الاسلام (لا يتبعوكم) وقرأ نافع بالتخفيف وفتح الباء وقيل الخطاب للمشركين وهم ضمير الاصنام أى ان تدعوهم الى أن يهدوكم لا يتبعوكم الى مرادكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله (سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون) وانما لم يقل أم صمتم للمبالغة فى عدم افادة الدعاء من حيث انه مسوى بالثبات على الصمات أو لانهم ما كانوا يدعونها لحوائجهم فكأنه قيل سواء عليكم احداثكم دعاءهم واستمراركم على الصمات عن دعائهم (ان الذين تدعون من دون الله) أى تعبدونهم وتسمونهم آلهة (عباد أمثالكم) من حيث انها مملوكة مسخرة (فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين) انهم آلهة ويحتمل انهم لما نحتوها بصور الاناسى قال لهم ان قصارى أمرهم أن يكونوا أحياء عقلاء أمثالكم فلا يستحقون عبادتكم كما لا يستحق بعضكم عبادة بعض ثم عاد عليه بالنقض فقال (ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها) وقرئ ان الذين بتخفيف ان ونصب عباد على أنها نافية عملت عمل ما الحجازية ولم يثبت مثله ويبطشون بالضم ههنا وفى القصص والدخان (قل ادعوا شركاءكم) واستعينوا بهم فى عداوتى (ثم كيدون) فبالغوا فيما تقدرون عليه من مكروهى أنتم وشركاؤكم (فلا تنظرون) فلا تمهلون فانى لا أبالى بكم لوثوقى على ولاية الله تعالى وحفظه (ان وليى الله الذى نزل الكتاب) القرآن (وهو يتولى الصالحين) أى ومن عادته تعالى أن يتولى الصالحين من عباده فضلا عن أنبيائه (والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون) من تمام التعليل لعدم مبالاته بهم (وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون) يشبهون الناظرين اليك لانهم صوّروا بصورة من ينظر الى من يواجهه (خذ العفو) أى خذ ما عفا لك من أفعال الناس وتسهل ولا تطلب ما يشق عليهم من العفو الذى هو ضد الجهد أو خذ العفو عن المذنبين أو الفضل وما يسهل من صدقاتهم وذلك قبل وجوب الزكاة (وأمر بالعرف) المعروف المستحسن من الافعال (وأعرض عن الجاهلين) فلا تمارهم ولا تكافئهم بمثل أفعالهم وهذه الآية جامعة لمكارم الاخلاق آمرة للرسول باستجماعها (واما ينزغنك من الشيطان نزغ) ينخسنك منه نخس أى وسوسة تحملك على خلاف ما أمرت به كاعتراء غضب وفكر والنزغ والنسغ والنخس الغرز شبه وسوسته للناس اغراءهم على المعاصى وازعاجا بغرز السائق ما يسوقه (فاستعذ بالله انه سميع) يسمع استعاذتك (عليم) يعلم ما فيه صلاح أمرك فيحملك عليه أو سميع بأقوال من آذاك عليم بأفعاله فيجازيه عليها مغنيا اياك عن الانتقام ومشايعة الشيطان (ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان) لمة منه وهو اسم فاعل من طاف يطوف كأنها طافت بهم ودارت حولهم فلم تقدر أن تؤثر فيهم أو من طاف به الخيال يطيف طيفا وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائى ويعقوب طيف على انه مصدر أو تخفيف طيف كلين وهين والمراد بالشيطان الجنس ولذلك جمع ضميره (تذكروا) ما أمر الله به ونهى عنه (فاذا هم مبصرون) بسبب التذكر مواقع الخطأ ومكايد الشيطان فيتحرزون عنها ولا يتبعونه فيها والآية تأكيد ونظير لما قبلها وكذا قوله (واخوانهم يمدونهم) أى واخوان الشياطين الذين لم يتقوا يمدهم الشياطين (فى الغى) بالتزيين والحمل عليه وقرئ

أى يشركون بصيغة الجمع لانه لو لم يكن المراد الأولاد بل آدم وحواء لوجب ان يقال فتعالى الله عما يشركان (قوله ثم عاد عليه بالنقض) أى بالرد عليهم بانه لو استحقوا عبادتكم فلا أقل من أن يكون لهم حواس وآلات افعال مثل ما لكم لكن ليسوا كذلك فكيف يستحقون عبادتكم وأنتم أفضل منهم (قوله تعالى وتراهم ينظرون اليك) يحتمل أن يكون الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم وان يكون الخطاب عاما والمقصود المبالغة فى كون الاصنام مشبهين بالناظرين مع عدم نظرهم ويفهم منه توبيخ الكفرة بانهم سعوا فى تصوير عيونهم مع انهم لا فائدة فيه أصلا وهذا يدل على غاية جهلهم وشقاوتهم (قوله أو الفضل وما يسهل من صدقاتهم) وذلك قبل وجوب الزكاة لان المعنى ما أتوك به خذه ولا تسأل ماوراء ذلك لانه يشق عليهم فنسخت بآية الزكاة

يمدونهم من أمد و يمادونهم كأنهم يعينونهم بالتسهيل والاغراء وهؤلاء يعينونهم بالاتباع والامتثال (ثم لا يقصرون) ثم لا يمسكون عن اغوائهم حتى يردوهم ويجوز ان يكون الضمير للاخوان أى لا يكفون عن الغى ولا يقصرون كالمتقين ويجوز أن يراد بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ماهوله (واذا لم تأتهم بآية) من القرآن أو مما اقترحوه (قالوا لولا اجتبيتها) هلا جمعتها تقوّلا من نفسك كسائر ماتقرؤه أوهلا طلبتها من الله (قل انما أتبع مايوحى الى من ربى) لست بمختلق للآيات أولست بمقترح لها (هذا بصائر من ربكم) هذا القرآن بصائر للقلوب بها يبصر الحق ويدرك الصواب (وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) سبق تفسيره (واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون) نزلت فى الصلاة كانوا يتكلمون فيها فأمروا باستماع قراءة الامام والانصات له وظاهر اللفظ يقتضى وجوبهما حيث يقرأ القرآن مطلقا وعامة العلماء على استحبابهما خارج الصلاة واحتج به من لا يرى وجوب القراءة على المأموم وهو ضعيف (واذكر ربك فى نفسك) عام فى الاذكار من القراءة والدعاء وغيرهما أو أمر للمأموم بالقراءة سرا بعد فراغ الامام عن قراءته كما هو مذهب الشافعى رضى الله تعالى عنه (تضرعا وخيفة) متضرعا وخائفا (ودون الجهر من القول) ومتكلما كلاما فوق السر ودون الجهر فانه أدخل فى الخشوع والاخلاص (بالغدوّ والآصال) بأوقات الغدوّ والعشيات وقرئ والايصال وهو مصدر آصل اذا دخل فى الاصيل وهو مطابق للغدوّ (ولا تكن من الغافلين) عن ذكر الله (ان الذين عند ربك) يعنى ملائكة الملأ الأعلى (لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه) وينزهونه (وله يسجدون) ويخصونه بالعبادة والتذلل لا يشركون به غيره وهو تعريض بمن عداهم من المكلفين ولذلك شرع السجود لقراءته وعن النبى صلى الله عليه وسلم اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكى فيقول ياويله أمر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فعصيت فلى النار وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاعراف جعل الله يوم القيامة بينه وبين ابليس سترا وكان آدم شفيعا له يوم القيامة

﴿سورة الانفال مدنية وآيها ست وسبعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(يسئلونك عن الانفال) أى الغنائم يعنى حكمها وانما سميت الغنيمة نفلا لانها عطية من الله وفضل كما سمى به مايشرطه الامام لمقتحم خطر عطية له وزيادة على سهمه (قل الانفال لله والرسول) أى أمرها مختص بهما يقسمها الرسول على مايأمره الله به وسبب نزوله اختلاف المسلمين فى غنائم بدر أنها كيف تقسم ومن يقسم المهاجرون منهم أو الانصار وقيل شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن كان له غناء أن ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين وأسروا سبعين ثم طلبوا نفلهم وكان المال قليلا فقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردأ لكم وفئة تنحازون اليها فنزلت فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم على السواء ولهذا قيل لا يلزم الامام أن يفى بما وعد وهو قول الشافعى

اذ يمكن أن يسكت الامام قدر قراءة المأموم (قوله أو أمر للمأموم بالقراءة بالسر بعد فراغ الامام) فان قيل بل الظاهر من ذكر الذاكر ربه فى نفسه أن يخطره بقلبه لا بلسانه قلنا لو كان المراد من الذكر المذكور الذكر القلبى لم يبق لقوله دون الجهر من القول كبير فائدة بل الوجه أن يقال ودون القول (قوله فوق السر ودون الجهر) ههنا شيآن أحدهما أنه قال ان قوله تعالى اذكر ربك فى نفسك أمر للمأموم بالقراءة سرا فكيف يكون كلاما فوق السر الثانى انه لا واسطة بين السر والجهر فان السر هو أن يخفى الصوت بحيث يسمع المتكلم دون غيره والجهر ما يخالف ذلك كذا ذكره الفقهاء والجواب عن الاول انه يؤمر بالسر المأموم وفى غيره ماذكر وهو ما فوق السر وكأنه قيل واذكر ربك سرا فى الصلاة اذا كنت مأموما وفوق السر ودون الجهر اذا لم تكن مأموما وعن الثانى ان هذا الاصطلاح غير اصطلاح الفقهاء فالسر وهو ما يسمعه دون غيره ومافوقه دون الجهر وهو مايسمعه القريب أيضا والجهر مايسمعه البعيد (قوله بأوقات الغدوّ) انما قال الوقت لان الغدوّ الفعل وهو الدخول فى الغدوة (قوله والعشيات) فسر الآصال بالعشيات

﴿سورة الأنفال﴾

الشافعي رضي الله عنه وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال لما كان يوم بدر قتل أخي عمير فقتلت به سعيد بن العاص وأخذت سيفه فاتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستوهبته منه فقال ليس هذا لى ولا لك اطرحه فى القبض فطرحته و بى مالايعلمه الا الله من قتل أخي وأخذ سلبي فما جاوزت الا قليلا حتى نزلت سورة الانفال فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم سألتنى السيف وليس لى وانه قد صار لى فاذهب فخذه وقرئ يسألونك علنفال بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام نون عن فيها و يسألونك الانفال أي يسألك الشبان ماشرطت لهم (فاتقوا الله) فى الاختلاف والمشاجرة (وأصلحوا ذات بينكم) الحال التى بينكم بالمواساة والمساعدة فيما رزقكم الله وتسليم أمره الى الله والرسول (وأطيعوا الله ورسوله) فيه (ان كنتم مؤمنين) فان الايمان يقتضي ذلك أو ان كنتم كاملى الايمان فان كمال الايمان بهذه الثلاثة طاعة الاوامر والاتقاء عن المعاصي واصلاح ذات البين بالعدل والاحسان (انما المؤمنون) أى الكاملون فى الايمان (الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم) فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وقيل هو الرجل يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع عنها خوفا من عقابه وقرئ وجلت بالفتح وهى لغة وفرقت أى خافت (واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا) لزيادة المؤمن به أو لاطمئنان النفس و رسوخ اليقين بتظاهر الادلة أو بالعمل بموجبها وهو قول من قال الايمان يزيد بالطاعة و ينقص بالمعصية بناء على أن العمل داخل فيه (وعلى ربهم يتوكلون) يفوضون اليه أمورهم ولايخشون ولايرجون الا اياه (الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا) لانهم حققوا ايمانهم بان ضموا اليه مكارم أعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل ومحاسن أفعال الجوارح التى هى العيار عليها من الصلاة والصدقة وحقا صفة مصدر محذوف أو مصدر مؤكد كقوله هو عبد الله حقا (لهم درجات عند ربهم) كرامة وعلو منزلة وقيل درجات الجنة يرتقونها باعمالهم (ومغفرة) لما فرط منهم (ورزق كريم) أعد لهم فى الجنة لاينقطع عدده ولاينتهى أمده (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق) خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه الحال فى كراهتهم اياها كحال اخراجك للحرب فى كراهتهم له وهى كراهة ما رأيت من تنفيل الغزاة أو صفة مصدر الفعل المقدر فى قوله لله والرسول أى الانفال ثبتت لله والرسول صلى الله عليه وسلم مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراجك ربك من بيتك يعنى المدينة لانها مهاجره ومسكنه أو بيته فيها مع كراهتهم (وان فريقا من المؤمنين لكارهون) فى موقع الحال أى أخرجك فى حال كراهتهم وذلك أن عير قريش أقبلت من الشأم وفيها تجارة عظيمة ومعها أربعون راكبا منهم أبو سفيان وعمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل وعمرو بن هشام فأخبر جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبر المسلمين فأعجبهم تلقيها لكثرة المال وقلة الرجال فلما خرجوا بلغ الخبر أهل مكة فنادى أبو جهل فوق الكعبة ياأهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم أموالكم ان أصابها محمد لن تفلحوا بعدها أبدا وقد رأت

قدم مايدل على الاحتراز عن المحرمات لذكر الانفال التى هى محل الغلول ثم ذكر اصلاح ذات البين لانه يناسب ماروى فى القصة المذكورة فى اختلاف أهل بدر رضي الله عنهم (قوله وهو قول من قال الايمان يزيد بالطاعة الخ) فيه أنه يكفى زيادة الايمان أى التصديق بسبب العمل مع عدم دخوله أى العمل فيه أى الايمان فان العمل بالامور يوجب ثبات الاعتقاد ثم انه قد حقق فى موضعه ان الايمان يزيد و ينقص لابسبب العمل بل بمجرد مشاهدة الآيات ومعرفة الدلائل فلاوجه لحصر زيادة الايمان بالطاعة ونقصه بالمعصية فى دخول العمل (قوله تعالى أولئك هم المؤمنون حقا) الظاهر من هذا المدح ان من اتصف بوجل القلب عند ذكر ربه والتوكل وسائر ماذكر لايصر على المعصية فلا يكون فاسقا والالم يمدح بما ذكر وانما الاصرار شأن الغافلين كما قال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذاهم مبصرون (قوله وحقا صفة مصدر محذوف) أى المؤمنون ايمانا حقا أى متحققا فى الواقع كاملا (قوله تعالى كما أخرجك ربك الخ) الظاهر أن يقال انه متعلق بفعل مقدر مفهوم من قوله تعالى لهم درجات عند ربهم والتقدير ثبت لهم تلك الدرجات بالحق كما أخرجك أى مثل ثبات اخراجك ربك من بيتك بالحق وهذا أقرب من الوجهين اللذين ذكرهما

قبل ذلك بثلاث عاتكة بنت عبد المطلب أن ملكا نزل من السماء فأخذ صخرة من الجبل ثم حلق
بها فلم يبق بيت في مكة الا أصابه شئ منها فحدثت بها العباس و بلغ ذلك أباجهل فقال ماترضى رجالهم
أن يتنبؤا حتى تتنبأ نساؤهم فخرج أبو جهل بجميع أهل مكة ومضى بهم الى بدر وهو ماء كانت
العرب تجتمع عليه لسوقهم يوما في السنة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بوادي ذفران فنزل
عليه جبريل عليه السلام بالوعد باحدى الطائفتين اما العير واما قريش فاستشار فيه أصحابه فقال بعضهم
هلا ذكرت لنا القتال حتى نتأهب له انما خرجنا للعير فردد عليهم وقال ان العير قد مضت على ساحل البحر
وهذا أبو جهل قد أقبل فقالوا يارسول الله عليك بالعير ودع العدو فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقام أبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما وقالا فأحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر أمرك فامض فيه
فوالله لوسرت الى عدن أبين ماتخلف عنك رجل من الانصار ثم قال مقداد بن عمرو امض لما أمرك
الله فانا معك حيثما أحببت لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا انا
ههنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فتبسم رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثم قال أشيروا علي أيها الناس وهو يريد الانصار لانهم كانوا عددهم وقد شرطوا حين بايعوه
بالعقبة أنهم برآء من ذمامه حتى يصل الى ديارهم فتخوف أن لايروا نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة
فقام سعد بن معاذ فقال لكأنك تريدنا يارسول الله فقال أجل قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا
أن ماجئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يارسول
الله لما أردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ماتخلف منا رجل
واحد ومانكره أن تلقى بنا عدونا وانا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ماتقر به
عينك فسر بنا على بركة الله تعالى فنشطه قوله ثم قال سيروا على بركة الله تعالى وأبشروا فان الله قد
وعدني احدى الطائفتين والله لكأني أنظر الى مصارع القوم وقيل انه عليه الصلاة والسلام لما فرغ
من بدر قيل له عليك بالعير فناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له لم فقال لان الله وعدك احدى
الطائفتين وقد أعطاك ماوعدك فكره بعضهم قوله (يجادلونك في الحق) في ايثارك الجهاد
باظهار الحق لايثارهم تلقي العير عليه (بعد ماتبين) لهم أنهم ينصرون أينما توجهوا باعلام الرسول
عليه الصلاة والسلام (كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون) أي يكرهون القتال كراهة
من يساق الى الموت وهو يشاهد أسبابه وكان ذلك لقلة عددهم وعدم تأهبهم اذ روي أنهم كانوا
رجالة وما كان فيهم الا فارسان وفيه ايماء الى ان مجادلتهم انما كانت لفرط فزعهم ورعبهم (واذ
يعدكم الله احدى الطائفتين) على اضمار اذكر واحدى ثاني مفعولي يعدكم وقد أبدل منها (انها لكم)
بدل الاشتمال (وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم) يعني العير فانه لم يكن فيها الا أربعون
فارسا ولذلك يتمنونها ويكرهون ملاقاة النفير لكثرة عددهم وعددهم والشوكة الحدة مستعارة
من واحدة الشوك (ويريد الله أن يحق الحق) أي يثبته ويعليه (بكلماته) الموحى بها في هذه
الحال أو باوامره للملائكة بالامداد وقرئ بكلمته (ويقطع دابر الكافرين) ويستأصلهم
والمعنى أنكم تريدون أن تصيبوا مالا ولاتلقوا مكروها والله يريد اعلاء الدين واظهار الحق
ومايحصل لكم فوز الدارين (ليحق الحق ويبطل الباطل) أي فعل مافعل وليس بتكرير لان
الاول لبيان المراد ومابينه وبين مرادهم من التفاوت والثاني لبيان الداعي الى حمل الرسول على
اختيار ذات الشوكة ونصره عليها (ولوكره المجرمون) ذلك (اذ تستغيثون ربكم) بدل من

(قوله وفيه ايماء الى أن مجادلتهم الخ) لان من سيق الى الموت وينظر أسبابه يفزع ويخاف غالبا وهذا يدل على ان المجادلة ليست لعدم طاعتهم لقوله ولا لعدم ميل طباعهم الى الغزو وللكسل بل للخوف لاجل قلة عددهم وعددهم (قوله وقد أبدل عنها انها لكم بدل الاشتمال) فيه ان معنى اذ يعدكم الله احدى الطائفتين يعدكم حصولها في أيديكم وأخذها وحصولها في الايدي هو بعينه بمعنى انها لكم فيكون بدل الكل لابدل الاشتمال والجواب ان المراد من انها لكم صيرورتها ملكم وهو غير الاخذ (قوله وليس بتكرير) لان الاول لبيان المراد ومابينه وبين مرادهم من التفاوت والثاني لبيان الداعي الى حمل الرسول على اختيار ذات الشوكة ونصره عليها فالمعنى انه حمل الرسول على اختيار ذات الشوكة ليحق الحق وقوله ونصره عليها معطوف على الداعي أي لبيان الداعي وبيان نصره عليها أي على ذات الشوكة والاولى أن يقال انه متعلق بقوله ويقطع دابر الكافرين أي يقطع دابرهم ليحق الحق ويبطل

الباطل وأعاد ذكر أولا للاشعار بأنه المقصود الاصلي وذكر ثانيا لشيئين أحدهما بيان التوسل اليه والثاني انه المقصود من قطع دابر الكافرين (قوله أو أجرى استجاب مجرى قال الخ) الاول هو أن يكون القول مقدرا بان يقال المعنى استجاب

اذ يعدكم ومتعلق بقوله ليحق الحق أو على اضمار اذكر واستغاثتهم أنهم لما علموا أن لا محيص عن القتال أخذوا يقولون أي رب انصرنا على عدوك أغثنا يا غياث المستغيثين وعن عمر رضي الله تعالى عنه أنه عليه السلام نظر الى المشركين وهم ألف والى أصحابه وهم ثلثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فقال أبو بكر يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك (فاستجاب لكم أني ممدكم) باني ممدكم فحذف الجار وسلط عليه الفعل وقرأ أبو عمرو بالكسر على ارادة القول أو اجراء استجاب مجرى قال لان الاستجابة من القول (بألف من الملائكة مردفين) متبعين المؤمنين أو بعضهم بعضا من أردفته انا اذا جئت بعده أو متبعين بعضهم بعض المؤمنين أو أنفسهم المؤمنين من أردفته اياه فردفه وقرأ نافع ويعقوب مردفين بفتح الدال أي متبعين أو متبعين بمعنى انهم كانوا مقدمة الجيش أو ساقتهم وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها وأصله مرتدفين بمعنى مترادفين فادغمت التاء في الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر على الاصل أو بالضم على الاتباع وقرئ بآلاف ليوافق ما في سورة آل عمران ووجه التوفيق بينه وبين المشهور أن المراد بالالف الذين كانوا على المقدمة أو الساقة أو وجوههم وأعيانهم أو من قاتل منهم واختلف في مقاتلتهم وقد روى أخبار تدل عليها (وما جعله الله) أي الامداد (الابشرى) الابشارة لكم بالنصر (ولتطمئن به قلوبكم) فيزول ما بها من الوجل لقلتكم وذلتكم (وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم) وامداد الملائكة وكثرة العدد والاهب ونحوهما وسائط لا تأثير لها فلا تحسبوا النصر منها ولا تيأسوا منه بفقدها (اذ يغشيكم النعاس) بدل ثان من اذ يعدكم لاظهار نعمة ثالثة أو متعلق بالنصر أو بما في عند الله من معنى الفعل أو بجعل أو باضمار اذكر وقرأ نافع بالتخفيف من أغشيته الشئ اذا غشيته اياه والفاعل على القراءتين هو الله تعالى وقرأ ابن كثير وأبو عمرو يغشاكم النعاس بالرفع (أمنة منه) امنا من الله وهو مفعول له باعتبار المعنى فان قوله يغشيكم النعاس متضمن معنى تنعسون ويغشاكم بمعناه والامنة فعل لفاعله ويجوز أن يراد بها الايمان فيكون فعل المغشي وأن تجعل على القراءة الاخيرة فعل النعاس على المجاز لانها لاصحابه أو لانه كان من حقه أن لا يغشاهم لشدة الخوف فلما غشيهم فكأنه حصلت له أمنة من الله لولاها لم يغشهم كقوله

يهاب النوم أن يغشى عيونا * تهابك فهو نفار شرود

وقرئ أمنة كرحمة وهي لغة (وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به) من الحدث والجنابة (ويذهب عنكم رجز الشيطان) يعني الجنابة لانها من تخييله أو وسوسته وتخويفه اياهم من العطش روى انهم نزلوا في كثيب أعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم أكثرهم وقد غلب المشركون على الماء فوسوس اليهم الشيطان وقال كيف تنصرون وقد غلبتم على الماء وأنتم تصلون محدثين مجنبين وتزعمون انكم أولياء الله وفيكم رسوله فأشفقوا فأنزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي واتخذوا الحياض على عدوته وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤا وتلبد الرمل الذي بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الاقدام وزالت الوسوسة (وليربط على قلوبكم) بالوثوق على لطف الله بهم (ويثبت به الاقدام) أي بالمطر حتى لا تسوخ في الرمل أو بالربط على القلوب حتى

لكم قائلا اني ممدكم والثاني ان يقال استجاب نوع من القول (قوله متبعين أو متبعين) الاول بفتح الباء وسكون التاء من اردفه اذا حدث بعده فيكون المرادف بصيغة المفعول المتبوع المقدم والثاني من الاتباع فيكون الاول المقدمة والثاني الساقة (قوله وما جعله الله أي الامداد الابشرى لكم الا بشارة لكم بالنصر) المراد من الامداد الاخبار بالامداد فان نفس الامداد ليس بشارة اذ هي عبارة عن الخبر السار (قوله بدل ثان) فيكون زمان متصل يقع في بعضه الوعد المذكور باذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنها لكم وفي بعضه الاستغاثة وفي بعضه التغشية (قوله أو بما في عند الله من معنى الفعل) عند ههنا ليس بظرف فليس فيه معنى الفعل والوجه أن يقال أو متعلق بفعل مفهوم من الجار والمجرور وهو من عند الله كما قاله صاحب الكشاف (قوله وهو مفعول له باعتبار المعنى) أي ليس مفعولا له بحسب الظاهر بل بدل الاشتمال من النعاس أو حالا منه لكنه جعل مفعولا له للفعل الذي هو تنعسون المقصود من يغشي نظرا الى ان الامنة هو المقصود بالذات

(قوله وفيه دليل على أنهم قاتلوا) أي الملائكة قاتلوا لأنه تفسير لقوله فثبتوا وهو الخطاب مع الملائكة فالمناسب أن يكون فاضربوا خطابا لهم أيضا حتى يكون الكلام على نسق واحد والدليل على ان الكلام في قوله تعالى فاضربوا مع المؤمنين ماسيجيء من قوله جعل الخطاب فيه مع المؤمنين الخ أو لكل واحد من المخاطبين قيل هذا الخطاب وهم الملائكة والمؤمنون (قوله تقرير للتعليل) أي لتعليل ماذكر بقوله تعالى ذلك بانهم شاقوا الله وانما كان تقريرا أي تأكيدا لان محصل الجملتين واحد

تثبت في المعركة (اذ يوحي ربك) بدل ثالث أو متعلق بيثبت (الى الملائكة أني معكم) في اعانتهم وتثبيتهم وهو مفعول يوحي وقرئ بالكسر على ارادة القول أو اجراء الوحي مجراه (فثبتوا الذين آمنوا) بالبشارة أو بتكثير سوادهم أو بمحاربة أعدائهم فيكون قوله (سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب) كالتفسير لقوله اني معكم فثبتوا وفيه دليل على انهم قاتلوا ومن منع ذلك جعل الخطاب فيه مع المؤمنين اما على تغيير الخطاب أو على ان قوله سألقي الى قوله كل بنان تلقين للملائكة مايثبتون المؤمنين به كأنه قال قولوا لهم قولي هذا (فاضربوا فوق الاعناق) أعاليها التي هي المذابح أو الرؤس (واضربوا منهم كل بنان) أصابع أي جزوا رقابهم واقطعوا أطرافهم (ذلك) اشارة الى الضرب أو الامر به والخطاب للرسول أو لكل أحد من المخاطبين قبل (بأنهم شاقوا الله ورسوله) بسبب مشاقتهم لهما واشتقاقه من الشق لان كلا من المتعادين في شق خلاف شق الآخر كالمعاداة من العدوة والمخاصمة من الخصم وهو الجانب (ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب) تقرير للتعليل أو وعيد بما أعد لهم في الآخرة بعد ماحاق بهم في الدنيا (ذلكم) الخطاب فيه مع الكفرة على طريقة الالتفات ومحله الرفع أي الامر ذلكم أو ذلكم واقع أو نصب بفعل دل عليه (فذوقوه) أو غيره مثل باشروا أو عليكم فتكون الفاء عاطفة (وأن للكافرين عذاب النار) عطف على ذلكم أو نصب على المفعول معه والمعنى ذوقوا ماعجل لكم مع ما أجل لكم في الآخرة ووضع الظاهر فيه موضع الضمير للدلالة على ان الكفر سبب العذاب الآجل أو الجمع بينهما وقرئ وان بالكسر على الاستئناف (يأيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا) كثيرا بحيث يرى لكثرتهم كانهم يزحفون وهو مصدر زحف الصبي اذا دب على مقعده قليلا قليلا سمي به وجمع على زحوف وانتصابه على الحال (فلا تولوهم الأدبار) بالانهزام فضلا ان يكونوا مثلكم أو أقل منكم والاظهر انها محكمة مخصوصة بقوله حرض المؤمنين على القتال الآية ويجوز ان ينتصب زحفا حالا من الفاعل والمفعول أي اذا لقيتموهم متزاحفين يدبون اليكم وتدبون اليهم فلا تنهزموا أو من الفاعل وحده ويكون اشعارا بما سيكون منهم يوم حنين حين تولوا وهم اثنا عشر ألفا (ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال) يريد الكر بعد الفر وتغرير العدو فانه من مكايد الحرب (أو متحيزا الى فئة) أو منحازا الى فئة أخرى من المسلمين على القرب ليستعين بهم ومنهم من لم يعتبر القرب لما روى ابن عمر رضي الله عنهما انه كان في سرية بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ففروا الى المدينة فقلت يارسول الله نحن الفرارون فقال بل أنتم العكارون وانا فئتكم وانتصاب متحرفا ومتحيزا على الحال والا لغو لاعمل لها أو الاستثناء من المولين أي الا رجلا متحرفا أو متحيزا ووزن متحيز متفيعل لا متفعل والا لكان متحوزا لانه من حاز يحوز (فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير) هذا اذا لم يزد العدو على الضعف

فيكون المراد بالعذاب عذاب الدنيا وعلى التقرير الآخر يكون المراد من العذاب عذاب الآخرة (قوله على طريقة الالتفات) لان الكافرين قد ذكروا بلفظ الغيبة في قوله بانهم شاقوا الله (قوله فتكون الفاء عاطفة) هذا على جميع تقادير النصب لانه يقدر فعل أمر يصلح ان يكون معطوفا عليه واما على تقدير الرفع فلا يصح ان تكون الفاء عاطفة والا يلزم عطف الانشاء على الاخبار فتكون الفاء للسببية (قوله عطف على ذلكم) الذي ظهر لي من كلامه انه اذا كان معطوفا على ذلكم يكون ذلكم فاعلا لفعل مقدر هو وقع فيكون المعنى وقع ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله الآية أي وقع ان للكافرين عذاب النار بانهم شاقوا فهو المقصود بالاشارة الى ذلكم وهذا على تقدير رفعه ونصبه ولا يخفى ان ان مع اسمها في تأويل المصدر وعطفها على جملة مستقلة هو المبتدأ والخبر لايخلو عن شئ ويمكن ان يقال العطف على ذلكم على تقدير ان يكون خبر المبتدأ وهذا لايخلو عن تكلف ولذا قال بعضهم الأولى ان يكون للكافرين عذاب النار مبتدأ محذوف الخبر أي ثبوت العذاب للكافرين محقق ثابت (قوله والاظهر انها محكمة مخصوصة الخ) أي حكم الآية ليس بمنسوخ بل مقيد بما اذا لم يكن الذين كفروا أكثر من مثلي المؤمنين فكان مخصوصا بالآية المذكورة (قوله والا لغو الخ) لكون المستثنى منصوبا على الحال لا بالا

فيكون استثناء عن أعم العام وأما اذا كان استثناء من المتولين أى من لفظه من كان منصوبا بالأعلى الحال وقوله لاعمل له تفسير
لكونه لغوا (قوله أى اذ أتيت بصورة الرمى) اذا كان المراد من الرمى الرمى الموصل للحصباء الى أعين المشركين كما

الضعف لقوله الآن خفف الله عنكم الآية وقيل الآية مخصوصة بأهل بيته والحاضرين معه فى الحرب (فلم تقتلوهم) بقوتكم (ولكن الله قتلهم) بنصركم وتسليطكم عليهم والقاء الرعب فى قلوبهم روى أنه لما طلعت قريش من العقنقل قال عليه الصلاة والسلام هذه قريش جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم انى أسألك ماوعدتنى فأتاه جبريل عليه السلام وقال له خذ قبضة من تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان تناول كفا من الحصباء فرمى بها فى وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الاشغل بعينيه فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم ثم لما انصرفوا أقبلوا على التفاخر فيقول الرجل قتلت وأسرت فنزلت والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم (ومارميت) يامحمد رميا توصله الى أعينهم ولم تقدر عليه (اذ رميت) أى اذ أتيت بصورة الرمى (ولكن الله رمى) أتى بماهو غاية الرمى فأوصلها الى أعينهم جميعا حتى انهزموا وتمكنتم من قطع دابرهم وقد عرفت أن اللفظ يطلق على المسمى وعلى ماهو كماله والمقصود منه وقيل معناه ومارميت بالرعب اذ رميت بالحصباء ولكن الله رمى بالرعب فى قلوبهم وقيل انه نزل فى طعنة طعن بها أبى بن خلف يوم أحد ولم يخرج منه دم فجعل يخور حتى مات أو رمية سهم رماه يوم خيبر نحو الحصن فأصاب كنانة بن أبى الحقيق على فراشه والجمهور على الاول وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى ولكن بالتخفيف ورفع مابعده فى الموضعين (وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا) ولينعم عليهم نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة ومشاهدة الآيات فعل مافعل (ان الله سميع) لاستغاثتهم ودعائهم (عليم) بنياتهم وأحوالهم (ذلكم) اشارة الى البلاء الحسن أو القتل أو الرمى ومحله الرفع أى المقصود أو الامر ذلكم وقوله (وأن الله موهن كيد الكافرين) معطوف عليه أى المقصود ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وابطال حيلهم وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو موهن بالتشديد وحفص موهن كيد بالاضافة والتخفيف (ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك أنهم حين أرادوا الخروج تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر أعلى الجندين وأهدى الفئتين وأكرم الحزبين (وان تنتهوا) عن الكفر ومعاداة الرسول (فهو خير لكم) لتضمنه سلامة الدارين وخير المنزلين (وان تعودوا) لمحاربته (نعد) لنصرته عليكم (وان تغنى) ولن تدفع (عنكم فئتكم) جماعتكم (شيأ) من الاغناء أو المضار (ولو كثرت) فئتكم (وان الله مع المؤمنين) بالنصر والمعونة وقرأ نافع وابن عامر وحفص وأن بالفتح على تقدير ولان الله مع المؤمنين كان ذلك وقيل الآية خطاب للمؤمنين والمعنى ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وان تنتهوا عن التكاسل فى القتال والرغبة عما يستأثره الرسول فهو خير لكم وان تعودوا اليه نعد عليكم بالانكار أو تهييج العدو ولن تغنى حينئذ كثرتكم اذا لم يكن الله معكم بالنصر فانه مع الكاملين فى ايمانهم ويؤيد ذلك (ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه) أى ولا تتولوا عن الرسول فان المراد من الآية الامر بطاعته والنهى عن الاعراض عنه وذكر طاعة الله للتوطئة والتنبيه على أن طاعة الله فى طاعة الرسول لقوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله وقيل الضمير للجهاد أو للامر الذى دل عليه الطاعة (وأنتم تسمعون) القرآن والمواعظ

ذكره أولا فلا حاجة ههنا الى ان يقال ان المراد بقوله اذ رميت الاتيان بصورة الرمى بل الوجه ان يقال اذ اتيت بحقيقة الرمى فثبت الرمى للرسول حقيقة لكن وصول الحصباء الى أعينهم يكون بقدرة الله تعالى وهذا مناسب لما ذكره من ان اللفظ قد يطلق على المسمى وعلى ماهو كماله والجواب ان المراد اذ أتيت بصورة الرمى الموصل (قوله ورفع مابعده فى الموضعين) أحدهما قوله ولكن الله رمى والآخر قوله ولكن الله قتلهم (قوله وليبلى المؤمنين منه الخ) عطف على مقدر كأنه قيل ولكن الله رمى ليهدم الكفار وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا وقال صاحب الكشاف وللاحسان الى المؤمنين فعل مافعل ففيه انه مافعل الا الاحسان (قوله ولن تغنى حينئذ كثرتكم اذا لم يكن الله معكم بالنصر الخ) الاولى ان يقال ولن تغنى كثرتكم بل ليس الاغناء الا من الله سبحانه وتعالى (قوله ولا تتولوا عن الرسول) اى

انما خصص نهى التولى بالرسول ولم يقل ولا تتولوا عنهما لان المراد الامر بطاعته لان أول السورة نزلت للنهى عن مخالفته (قوله وذكر طاعته للتوطئة) أى هو دليل على طاعة الرسول لانه اذا كان طاعة الله واجبة وقد أمر بطاعة الرسول فطاعة الرسول واجبة أيضا (قوله والتنبيه على ان طاعة الله الخ) لانه علق طاعة واحدة بهما

سماع فهم وتصديق (ولاتكونوا كالذين قالوا سمعنا) كالكفرة والمنافقين الذين ادعوا السماع (وهم لايسمعون) سماعا ينتفعون به فكأنهم لايسمعون رأسا (ان شر الدواب عند الله) شر مايدب على الارض أوشر البهائم (الصم) عن الحق (البكم الذين لايعقلون) اياه عدهم من البهائم ثم جعلهم شرها لابطالهم ماميزوا به وفضلوا لاجله (ولوعلم الله فيهم خيرا) سعادة كتبت لهم أوانتفاعا بالآيات (لاسمعهم) سماع تفهم (ولوأسمعهم) وقد علم أن لاخير فيهم (لتولوا) ولم ينتفعوا به أو ارتدوا بعد التصديق والقبول (وهم معرضون) لعنادهم وقيل كانوا يقولون للنبى صلى الله عليه وسلم أحى لنا قصيا فانه كان شيخا مباركا حتى يشهد لك ونؤمن بك والمعنى لاسمعهم كلام قصى (يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول) بالطاعة (اذا دعاكم) وحد الضمير فيه لما سبق ولان دعوة الله تسمع من الرسول وروى أنه عليه الصلاة والسلام مر على أبى وهو يصلى فدعاه فعجل فى صلاته ثم جاء فقال مامنعك عن اجابتى قال كنت أصلى قال ألم تخبر فيما أوحى الى استجيبوا لله وللرسول واختلف فيه فقيل هذا لان اجابته لاتقطع الصلاة فان الصلاة أيضا اجابة وقيل لان دعاءه كان لامر لايحتمل التأخير وللمصلى أن يقطع الصلاة لمثله وظاهر الحديث يناسب الاول (لما يحييكم) من العلوم الدينية فانها حياة القلب والجهل موته قال

لاتعجبن الجهول حلته * فذاك ميت وثوبه كفن

أومما يورثكم الحياة الابدية فى النعيم الدائم من العقائد والاعمال أو من الجهاد فانه سبب بقائكم اذ لوتركوه لغلبهم العدو وقتلهم أو الشهادة لقوله تعالى بل أحياء عند ربهم يرزقون (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) تمثيل لغاية قربه من العبد كقوله تعالى ونحن أقرب اليه من حبل الوريد وتنبيه على أنه مطلع على مكنونات القلوب مما عسى يغفل عنه صاحبها أو حث على المبادرة الى اخلاص القلوب وتصفيتها قبل أن يحول الله بينه وبين قلبه بالموت أوغيره أو تصوير وتخييل لتملكه على العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير مقاصده ويحول بينه وبين الكفران أراد سعادته وبينه وبين الايمان ان قضى شقاوته وقرئ بين المر بالتشديد على حذف الهمزة والقاء حركتها على الراء واجراء الوصل مجرى الوقف على لغة من يشدد فيه (وأنه اليه تحشرون) فيجازيكم باعمالكم (واتقوا فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) اتقوا ذنبا يعمكم أثره كاقرار المنكر بين أظهركم والمداهنة فى الامر بالمعروف وافتراق الكلمة وظهور البدع والتكاسل فى الجهاد على أن قوله لاتصيبن اما

(قوله فكأنهم لايسمعون رأسا) يعنى أن المراد من لايسمعون لايسمعون سماعا مفيدا لكن ظاهر اطلاقه يوهم ان ليس لهم سماع أصلا ففيه مبالغة (قوله لابطالهم ماميزوا به وفضلوا لاجله) وهو العقل فان الانسان فضل عن البهائم لاجل عقله وتمييزه (قوله تعالى ولوأسمعهم لتولوا) أورد ههنا اشكال وهو انه حصل منها قياس على هيئة الشكل فتلزم نتيجة هى انه لوعلم الله فيهم خيرا أى سعادة لتولوا وهو محال ويمكن دفعه بان المراد من الاسماع الاول الاسماع المفهم الموجب للهداية والاسماع الثانى هو الاسماع المجرد ثم أوردناههنا سؤال آخر وهو انه علم من قوله ولوأسمعهم لتولوا ان التولى منتف لان لو لامتناع الشئ لامتناع غيره ونفى التولى خير لكن أول الكلام دال على ان ليس فيهم خير أجابوا عنه بان لو الثانية لمجرد الاستلزام لا للامتناع المذكور فلا اشكال وعلى نحو ماذكرنا يحل كلام المصنف (قوله وحد الضمير فيه لما سبق) وهو ان دعوة الله ودعوة الرسول واحدة فانه قدمر ان طاعة الله وطاعة رسوله واحدة ولان دعوة الله تسمع من الرسول فالداعى هو الرسول صلى الله عليه وسلم (قوله وظاهر الحديث يناسب الاول) لكونه مطلقا (قوله لما يحييكم) فيه اشعار بعلة وجوب الاستجابة (قوله من العلوم الدينية) التفسير الاول ناظر الى ان المراد من الحياة حياة القلب فان حياته بالعلوم والتفسير الثانى ناظر الى ان المراد من الحياة الحياة الاخروية (قوله تمثيل لغاية قربه من العبد) أى المراد من قوله تعالى واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه انه تعالى فى غاية القرب من العبد قربا معنويا فان كونه تعالى فى غاية القرب من العبد لازم لكونه حائلا بينه وبين قلبه فاستعمل العبارة التى هى بهذا المعنى فى المعنى الاول الذى هو غاية قربه من عبده وعلى هذا فالمناسب ان يقال مجاز عن غاية قربه لانه على ماقلنا مجاز مركب مرسل لاتمثيل اذ هو استعارة كما قرر فى موضعه (قوله وتنبيه على انه مطلع على مكنونات القلوب) لان الشخص الحائل بين شخص وبين آخر قد يطلع على مافى الشئ ولم يطلع عليه الشخص (قوله أو تصوير وتخييل الخ) لان من حال بين شخص وبين ماتعلق به يصير متصرفا فيه (قوله على ان قوله لاتصيبن اما جواب الامر على معنى ان أصابتكم الخ) هذا ليس طريق البصريين ولا طريق الكوفيين لان الشرط المقدر على جواب الامر على طريقة الاولين هو فعل الامر حتى يكون التقدير ان لاتتقوا لايصيبن الخ وعلى طريقة الآخرين

جواب

ان لاتتقوا الا تصيبن الذين ظلموا بل كلامه يفيد ان قوله لاتصيبن جواب شرط مقدر هو من جنس فعل الجواب أو يكون لايصيبن صفة

(قوله وفيه ان جواب الشرط مترددالخ) فيه ان جواب الشرط وان كان مترددا فى حد ذاته لكن مجزوم به نظرا الى تعليقه بالشرط فلعل ادخال نون التأكيد عليه لهذا كما ان وقوعه على تقدير وقوع الشرط محقق (قوله أو للنهى على ارادة القول) فيكون المعنى اتقوا فتنة مقولا فى شأنها لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة (قوله وان اختلفا فى المعنى) لان معنى لاتصيبن نفى ومعنى لتصيبن اثبات لكن هذا أمر ظاهر لاحاجة الى التعرض اليه (قوله ويحتمل ان يكون الخ) فيكون المعنى لاتتعرضوا للذنب ان تتعرضوا تصيب الفتنة الذين ظلموا منكم خاصة (قوله ومن فى منكم على الوجوه الاول للتبعيض وعلى الأخيرين للتبيين) اما كونها للتبعيض على الوجوه الاول وهى كون لاتصيبن جوابا أو صفة ولا نافية أو صفة ولا ناهية فلان الخطاب مع جميع المؤمنين كما هو الظاهر والذين ظلموا بعضهم على ماهو المتبادر واما على الوجه الرابع وهو ان يكون لتصيبن الذين ظلموا جواب القسم على القراءة المذكورة فلانه لو كان للتبعيض لكان المعنى اتقوا أيها المؤمنون فتنة تصيب بعضكم خاصة ولا يناسب الامر باتقاء الكل عن فتنة تصيب البعض واما على التقدير الاخير وهو ان يكون لاتصيبن نهيا بعد الامر فلان المخاطب بان يتعرضوا الذين ظلموا الا أن الظالمين بعضهم بل جميع المتعرضين للظلم ظالمون فلا يصلح من للتبعيض فتكون بيانية (قوله ومن فى منكم الخ) اما الاول فظاهر واما الثانى فلان الوجه الاول من الوجهين الاخيرين لما كان المأمور باتقاء الفتنة هو المجموع لايناسب ان يكون الذين ظلموا بعضهم لانه لما أصاب الفتنة بعضهم لاحاجة الى أمر الجميع بالتقوى أما فى الوجه الثانى فلان المعنى النهى عن اصابة جزاء الظلم للظالمين خاصة فلو كان الظالمون الذين يصل اليهم أثر الفتنة خاصة بعضا من المخاطبين فلا حاجة الى أمر الجميع بالتقوى فان قلت قوله فان وباله يصيب الظالم خاصة ينافى قوله اتقوا ذنبا يعمكم أثره قلنا يمكن أن يكون المراد من الاثر العام البلاء الدنيوى فانه قد يعم المذنب وغيره ومن الوبال الواصل الى الظالم خاصة العقوبة الاخروية فانها لاتصل الى غير الظالم كما قال تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى (قوله وفائدته التنبيه الخ) أى تخصيصهم بذكر الجار والمجرور من بين الظالمين لابد له من نكتة هى ما ذكر

جواب الامر على معنى ان اصابتكم لاتصيب الظالمين منكم خاصة بل تعمكم وفيه أن جواب الشرط متردد فلا يليق به النون المؤكدة لكنه لما تضمن معنى النهى ساغ فيه كقوله تعالى ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم واما صفة لفتنة ولا للنفى وفيه شذوذ لان النون لاتدخل المنفى فى غير القسم أو للنهى على ارادة القول كقوله

حتى اذا جن الظلام واختلط * جاؤا بمذق هل رأيت الذئب قط

واما جواب قسم محذوف كقراءة من قرأ لتصيبن وان اختلفا فى المعنى ويحتمل أن يكون نهيا بعد الأمر باتقاء الذنب عن التعرض للظلم فان وباله يصيب الظالم خاصة ويعود عليه ومن فى منكم على الوجوه الاول للتبعيض وعلى الأخيرين للتبيين وفائدته التنبيه على أن الظلم منكم أقبح من غيركم (واعلموا أن الله شديد العقاب واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون فى الارض) أرض مكة يستضعفكم قريش والخطاب للمهاجرين وقيل للعرب كافة فانهم كانوا أذلاء فى أيدى فارس والروم (تخافون أن يتخطفكم الناس) كفار قريش أومن عداهم فانهم كانوا جميعا معادين لهم مضادين لهم (فآواكم) الى المدينة أوجعل لكم مأوى تتحصنون به عن أعاديكم (وأيدكم بنصره) على الكفار أو بمظاهرة الانصار أو بامداد الملائكة يوم بدر (ورزقكم من الطيبات) من الغنائم (لعلكم تشكرون) هذه النعم (ياأيها الذين آمنوا لاتخونوا الله والرسول) بتعطيل الفرائض والسنن أو بان تضمر واخلاف ماتظهرون أو بالغلول فى المغانم وروى أنه عليه السلام حاصر بنى قريظة احدى وعشرين ليلة فسألوه الصلح كما صالح اخوانهم بنى النضير على أن يسيروا الى اخوانهم باذرعات وأريحاء بارض الشام فأبى الا أن ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا أرسل الينا أبا لبابة وكان مناصحا لهم لان عياله وماله فى أيديهم فبعثه اليهم فقالوا ماترى هل ننزل على حكم سعد بن معاذ فاشار الى حلقه أنه الذبح قال أبو لبابة فمازالت قدماى حتى علمت أنى قد خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية فى المسجد وقال والله لاأذوق طعاما ولاشرابا حتى أموت أو يتوب الله على فمكث سبعة أيام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لاأحلها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يحلنى فجاءه فحله بيده فقال ان من تمام توبتى أن أهجر دار قومى التى أصبت فيها الذنب وأن انخلع من مالى فقال عليه السلام يجزيك الثلث أن تتصدق به وأصل

الخون النقص كما أن أصل الوفاء التمام واستعماله في ضد الامانة لتضمنه اياه (وتخونوا أماناتكم) فيما بينكم وهو مجزوم بالعطف على الاول أو منصوب على الجواب بالواو (وأنتم تعلمون) أنكم تخونون أو وأنتم علماء تميزون الحسن من القبيح (واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة) لانهم سبب الوقوع في الاثم او العقاب أو محنة من الله تعالى ليبلوكم فيهم فلا يحملنكم حبهم على الخيانة كأبي لبابة (وأن الله عنده أجر عظيم) لمن آثر رضا الله عليهم وراعى حدوده فيهم فانيطوا هممكم بما يؤديكم اليه (ياأيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا) هداية في قلوبكم تفرقون بها بين الحق والباطل أو نصرا يفرق بين المحق والمبطل باعزاز المؤمنين واذلال الكافرين أو مخرجا من الشبهات أو نجاة عما تحذرون في الدارين أو ظهورا يشهر أمركم ويبث صيتكم من قولهم بت أفعل كذا حتى سطع الفرقان أي الصبح (ويكفر عنكم سيآتكم) ويسترها (ويغفر لكم) بالتجاوز والعفو عنكم وقيل السيآت الصغائر والذنوب الكبائر وقيل المراد ما تقدم وما تأخر لانها في أهل بدر وقد غفرهما الله تعالى لهم (والله ذو الفضل العظيم) تنبيه على أن ما وعده لهم على التقوى تفضل منه واحسان وأنه ليس مما يوجب تقواهم عليه كالسيد اذا وعد عبده انعاما على عمل (واذ يمكر بك الذين كفروا) تذكار لما مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في خلاصه من مكرهم واستيلائه عليهم والمعنى واذكر اذ يمكرون بك (ليثبتوك) بالوثاق أو الحبس أو الاثخان بالجرح من قولهم ضربه حتى أثبته لاحراك به ولا براح وقرئ ليثبتوك بالتشديد وليبيتوك من البيات وليقيدوك (أو يقتلوك) بسيوفهم (أو يخرجوك) من مكة وذلك أنهم لما سمعوا باسلام الانصار ومبايعتهم فرقوا واجتمعوا في دار الندوة متشاورين في أمره فدخل عليهم ابليس في صورة شيخ وقال أنا من نجد سمعت اجتماعكم فاردت أن أحضركم ولن تعدموا مني رأيا ونصحا فقال أبو البحتري رأيي ان تحبسوه في بيت وتسدوا منافذه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها حتى يموت فقال الشيخ بئس الرأي يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من أيديكم فقال هشام بن عمرو رأيي أن تحملوه على جمل فتخرجوه من أرضكم فلا يضركم ما صنع فقال بئس الرأي يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال أبو جهل انا أرى أن تأخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا صارما فيضربوه ضربة واحدة فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه فقال صدق هذا الفتى فتفرقوا على رأيه فأتى جبريل النبي عليهما السلام وأخبره الخبر وأمره بالهجرة فبيت عليا رضي الله تعالى عنه في مضجعه وخرج مع أبي بكر رضي الله تعالى عنه الى الغار (ويمكرون ويمكر الله) برد مكرهم عليهم أو بمجازاتهم عليه أو بمعاملة الماكرين معهم بان أخرجهم الى بدر وقلل المسلمين في أعينهم حتى حملوا عليهم فقتلوا (والله خير الماكرين) اذ لا يؤبه بمكرهم دون مكره واسناد أمثال هذا مما يحسن للمزاوجة ولا يجوز اطلاقها ابتداء لما فيه من ايهام الذم (واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا) هو قول النضر بن الحرث واسناده الى الجميع اسناد ما فعله رئيس القوم اليهم فانه كان قاصهم أو قول الذين ائتمروا في أمره عليه السلام وهذا غاية مكابرتهم وفرط عنادهم اذ لو استطاعوا ذلك فما منعهم أن يشاؤا وقد تحداهم وقرعهم بالعجز عشر سنين ثم قارعهم بالسيف فلم يعارضوا سورة مع أنفتهم وفرط استنكافهم أن يغلبوا خصوصا في باب البيان (ان هذا الا أساطير الاولين) ما سطره الاولون من القصص (واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم) هذا أيضا من كلام ذلك القائل أبلغ في الجحود روي أنه

(قوله أو منصوب على الجواب بالواو) فيكون النهي عن الجمع بين أمرين وهذا اذا كانوا يجمعون بين الحالتين أما اذا لم يكونوا كذلك فالمناسب الجزم بالعطف حتى يكون النهي متعلقا بكل منهما (قوله ويسترها الخ) والمراد من ذكر هذه الاحتمالات دفع توهم التكرار في الجملتين المذكورتين (قوله مما يوجب تقواهم عليه) أي على الله تعالى (قوله واسناد أمثال هذا مما يحسن للمزاوجة الخ) أي اطلاق الماكر على الله تعالى يحسن عند نسبة المكر الى غيره تعالى وأما اطلاقه على الله تعالى من غير مزاوجة فغير حسن وهذا هو الذي ذكرنا في تفسير آل عمران ان المكر من حيث انه في الاصل حيلة يجلب بها خيرا الى الغير بجميعه لا يسند الى الله تعالى الا على سبيل المقابلة ولا يظهر من كلامه سبب عدم اطلاقه الا أن يقال ان الحيلة توهم العجز والعجز عليه محال فان الحيلة مما لا يطلق على الله سبحانه وتعالى لانها من شأن العاجزين

لما قال النضر ان هذا الا أساطير الاولين قال له النبي صلى الله عليه وسلم ويلك انه كلام الله فقال ذلك والمعنى ان كان هذا القرآن حقا منزلا فأمطر الحجارة علينا عقوبة على انكاره أو ائتنا بعذاب أليم سواه والمراد منه التهكم واظهار اليقين والجزم التام على كونه باطلا وقرئ الحق بالرفع على أن هو مبتدأ غير فصل وفائدة التعريف فيه الدلالة على أن المعلق به كونه حقا بالوجه الذى يدعيه النبي صلى الله عليه وسلم وهو تنزيله لا الحق مطلقا لتجويزهم أن يكون مطابقا للواقع غير منزل كأساطير الاولين (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) بيان لما كان الموجب لامهالهم والتوقف فى اجابة دعائهم واللام لتأكيد النفى والدلالة على أن تعذيبهم عذاب استئصال والنبي صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم خارج عن عادته غير مستقيم فى قضائه والمراد باستغفارهم اما استغفار من بقى فيهم من المؤمنين أو قولهم اللهم غفرانك أو فرضه على معنى لو استغفروا لم يعذبوا كقوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون (ومالهم ألا يعذبهم الله) ومالهم مما يمنع تعذيبهم متى زال ذلك وكيف لا يعذبون (وهم يصدون عن المسجد الحرام) وحالهم ذلك ومن صدهم عنه الجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين الى الهجرة واحصارهم عام الحديبية (وما كانوا أولياءه) مستحقين ولاية أمره مع شركهم وهو رد لما كانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء (ان أولياؤه الا المتقون) من الشرك الذين لا يعبدون فيه غيره وقيل الضمير ان لله (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أن لا ولاية لهم عليه كأنه نبه بالاكثر أن منهم من يعلم ويعاند أو أراد به الكل كما يراد بالقلة العدم (وما كان صلاتهم عند البيت) أى دعاؤهم أو ما يسمونه صلاة أو ما يضعون موضعها (الا مكاء) صفيرا فعال من مكا يمكو اذا صفر وقرئ بالقصر كالبكا (وتصدية) تصفيقا تفعلة من الصدا أو من الصد على ابدال أحد حرفى التضعيف بالياء وقرئ صلاتهم بالنصب على أنه الخبر المقدم ومساق الكلام لتقرير استحقاقهم العذاب أو عدم ولايتهم للمسجد فانها لا تليق بمن هذه صلاته روى أنهم كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال والنساء مشبكين بين أصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وقيل كانوا يفعلون ذلك اذا أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يصلى يخلطون عليه ويرون أنهم يصلون أيضا (فذوقوا العذاب) يعنى القتل والاسر يوم بدر وقيل عذاب الآخرة واللام يحتمل أن تكون للعهد والمعهود ائتنا بعذاب (بما كنتم تكفرون) اعتقادا وعملا (ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله) نزلت فى المطعمين يوم بدر وكانوا اثنى عشر رجلا من قريش يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر أو فى أبى سفيان استأجر ليوم أحد ألفين من العرب سوى من استجاش من العرب وأنفق عليهم أربعين أوقية أو فى أصحاب العير فانه لما أصيب قريش ببدر قيل لهم أعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك منه ثارنا ففعلوا والمراد بسبيل الله دينه واتباع رسوله (فسينفقونها) بتمامها ولعل الاول اخبار عن انفاقهم فى تلك الحال وهو انفاق بدر والثانى اخبار عن انفاقهم فيما يستقبل وهو انفاق أحد ويحتمل أن يراد بهما واحد على ان مساق الاول لبيان غرض الانفاق ومساق الثانى لبيان عاقبته وانه لم يقع بعد (ثم تكون عليهم حسرة) ندما وغما لفواتها من غير مقصود جعل ذاتها تصير حسرة وهى عاقبة انفاقها مبالغة (ثم يغلبون) آخر الامر وان كان الحرب بينهم سجالا قبل ذلك (والذين

لا الحق مطلقا لتجويزهم ان يكون الخ) فيه ان قوله من عندك يدل على ان المعلق به كونه حقا بالوجه المذكور الا أن يراد به تأكيد الامر وزيادة الدلالة (قوله والتوقف فى اجابة دعائهم) فيه انه صرح بأن ما ذكر ليس بدعاء حقيقة وانما المعنى به لتهكم لكن المراد من الدعاء ما هو فى صورته (قوله والدلالة على ان عذابهم عذاب الاستئصال والنبى بين أظهرهم خارج عن عادته) فان قلت من أين يعلم ان المراد من العذاب العذاب المذكور قلنا لان العذاب قد وقع عليهم كالقحط والنبى فيهم فعلم ان العذاب الذى يهلكهم بكليتهم بالاستئصال (قوله أو فرضه على معنى الخ) هذا هو الظاهر وأما الوجه الاول فبعيد لان الضمائر المذكورة من قبل راجعة الى الكفار وأما الثانى فيفيد ان يكون مجرد قولهم اللهم غفرانك موجبا لرد العذاب مع انهما كهم فى الكفر والمعاصى (قوله متى زال ذلك) أى متى زال ذلك المانع أى أى شئ حصل لهم يمنع تعذيبهم فى وقت زوال ذلك المانع (قوله ويحتمل ان يراد بها واحد الخ) يرد على هذا الوجه انه ينبغى على هذا أن يقال ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا فما فائدة تكرار ينفقون (قوله تعالى ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون) فان قلت الحسرة بسبب المغلوبية فيجب عكس الترتيب المذكور قلنا

الحسرة لايلزم أن تكون بسبب المغلوبية بل قد تكون بسبب عدم الغلبة والفوز بالمقصود (قوله اذا أسلم بعضهم) عما قال ذلك نظرا الى قوله تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب اذ لولم يسلم بعضهم لم يحصل التميز (قوله واللام متعلقة بيحشرون أو يغلبون) فعلى الاول التميز فى الآخرة وعلى الثانى التميز فى الدنيا (قوله واللام متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة) فان وقوع الحسرة

المذكورة مستلزمة لتميز الخبيث من الطيب (قوله ان ينتهوا عن معاداة الرسول بالدخول فى الاسلام) انما قدر هكذا لان القراءة بالياء للغيبة فلولم يقدر هكذا لكان الظاهر القراءة بالتاء للخطاب كما وقع فى قراءة بعضهم بالتاء والكاف (قوله ويكون تعليقه بانتهائهم) أى تعليق قوله تعالى فان الله بما تعملون بصير كما هو قراءة يعقوب بانتهاء الكفار عن الكفر كما يستدعى اثابتهم للمباشرة أى كما يستدعى اثابة المنتهين عن الكفر بمباشرة الانتهاء يستدعى اثابة المؤمنين المخاطبين فى قوله تعالى تعملون على قراءة يعقوب بتسببهم لانتهاء الكافرين (قوله والجمهور على ان ذكر الله للتعظيم الخ) فيه نظر اما أولا فلان لقائل أن يقول انه لو كان لمجرد التعظيم ولم يكن لله تعالى شئ فما معنى هذا التركيب واذا لم يكن لله تعالى شئ كان هذا التركيب كذبا واما ثانيا فلا نسلم ان ذكر الله في المثل به للتبرك بل ارضاء الله تعالى واجب وكذا رضاء رسوله غاية الامر انهما متلازمان فيكون التقدير والله أحق ان يرضوه ورسوله كذلك وهو أحد التفاسير التى قالها المصنف والجواب عن الاول ان المراد من قوله فان لله خمسه ان المختص به خمسه هم المعطوفون ولما كان لاضرورة الى ذكر قوله فان لله خمسه علم ان ذكره لمجرد التعظيم والى هذا الجواب اشار فيما سيجيء بقوله فكانه قال فان لله خمسه يصرف الى هؤلاء الاخصين به

كفروا) أى الذين ثبتوا على الكفر منهم اذا أسلم بعضهم (الى جهنم يحشرون) يساقون (ليميز الله الخبيث من الطيب) الكافر من المؤمن أو الفساد من الصلاح واللام متعلقة بيحشرون أو يغلبون أو ما أنفقه المشركون فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم مما أنفقه المسلمون فى نصرته واللام متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب ليميز من التمييز وهو أبلغ من الميز (ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا) فيجمعه ويضم بعضه الى بعض حتى يتراكبوا لفرط ازدحامهم أو يضم الى الكافر ما أنفقه ليزيد به عذابه كمال الكانزين (فيجعله فى جهنم) كله (أولئك) اشارة الى الخبيث لانه مقدر بالفريق الخبيث أو الى المنفقين (هم الخاسرون) الكاملون فى الخسران لانهم خسروا أنفسهم وأموالهم (قل للذين كفروا) يعنى أبا سفيان وأصحابه والمعنى قل لاجلهم (ان ينتهوا) عن معاداة الرسول صلى الله عليه وسلم بالدخول فى الاسلام (يغفر لهم ما قد سلف) من ذنوبهم وقرئ بالتاء والكاف على أنه خاطبهم و يغفر على البناء للفاعل وهو الله تعالى (وان يعودوا) الى قتاله (فقد مضت سنت الاولين) الذين تحزبوا على الانبياء بالتدمير كما جرى على أهل بدر فليتوقعوا مثل ذلك (وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة) لايوجد فيهم شرك (ويكون الدين كله لله) وتضمحل عنهم الاديان الباطلة (فان انتهوا) عن الكفر (فان الله بما يعملون بصير) فيجازيهم على انتهائهم عنه واسلامهم وعن يعقوب تعملون بالتاء على معنى فان الله بما تعملون من الجهاد والدعوة الى الاسلام والاخراج من ظلمة الكفر الى نور الايمان بصير فيجازيكم ويكون تعليقه بانتهائهم دلالة على انه كما يستدعى اثابتهم للمباشرة يستدعى اثابة مقاتليهم للتسبب (وان تولوا) ولم ينتهوا (فاعلموا ان الله مولاكم) ناصركم فثقوا به ولا تبالوا بمعاداتهم (نعم المولى) لايضيع من تولاه (ونعم النصير) لايغلب من نصره (واعلموا أنما غنمتم) أى الذى أخذتموه من الكفار قهرا (من شئ) مما يقع عليه اسم الشئ حتى الخيط (فان لله خمسه) مبتدأ خبره محذوف أى فثابت ان لله خمسه وقرئ فان بالكسر والجمهور على أن ذكر الله للتعظيم كما فى قوله والله و رسوله أحق ان يرضوه وان المراد قسم الخمس على الخمسة المعطوفين (وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) فكأنه قال فان لله خمسه يصرف الى هؤلاء الاخصين به وحكمه بعد باق غير ان سهم الرسول صلوات الله وسلامه عليه يصرف الى ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كما فعله الشيخان رضى الله تعالى عنهما وقيل الى الامام وقيل الى الاصناف الاربعة وقال أبو حنيفة رضى الله تعالى عنه سقط سهمه وسهم ذوى القربى بوفاته وصار الكل مصروفا الى الثلاثة الباقية وعن مالك رضى الله تعالى عنه الامر فيه مفوض الى رأى الامام يصرفه الى ما يراه أهم وذهب أبو العالية الى ظاهر الآية فقال يقسم ستة أقسام و يصرف سهم الله الى الكعبة لما روى انه عليه الصلاة والسلام كان يأخذ قبضة منه فيجعلها للكعبة ثم يقسم ما بقى على خمسة وقيل سهم الله لبيت المال وقيل هو مضموم الى سهم الرسول صلى الله عليه وسلم وذوو القربى بنو هاشم و بنو المطلب لما روى انه عليه الصلاة والسلام قسم سهم ذوى

ذوى القربى عليهما فقال له عثمان وجبير بن مطعم رضى الله عنهما هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذى جعلك الله منهم أرأيت اخواننا من بنى المطلب أعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة واحدة فقال عليه الصلاة والسلام انهم لم يفارقونا فى جاهلية ولا اسلام وشبك بين أصابعه وقيل بنو هاشم وحدهم وقيل جميع قريش الغنى والفقير فيه سواء وقيل هو مخصوص بفقرائهم كسهم ابن السبيل وقيل الخمس كله لهم والمراد باليتامى والمساكين وابن السبيل من كان منهم والعطف للتخصيص والآية نزلت ببدر وقيل الخمس كان فى غزوة بنى قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة أيام للنصف من شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة (ان كنتم آمنتم بالله) متعلق بمحذوف دل عليه واعلموا أى ان كنتم آمنتم بالله فاعلموا أنه جعل الخمس لهؤلاء فسلموه اليهم واقتنعوا بالاخماس الاربعة الباقية فان العلم العملى اذا أمر به لم يرد منه العلم المجرد لانه مقصود بالعرض والمقصود بالذات هو العمل (وما أنزلنا على عبدنا) محمد صلى الله عليه وسلم من الآيات والملائكة والنصر وقرئ عبدنا بضمتين أى الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (يوم الفرقان) يوم بدر فانه فرق فيه بين الحق والباطل (يوم التقى الجمعان) المسلمون والكافرون (والله على كل شئ قدير) فيقدر على نصر القليل على الكثير والامداد بالملائكة (اذ أنتم بالعدوة الدنيا) بدل من يوم الفرقان والعدوة بالحركات الثلاث شط الوادى وقد قرئ بها والمشهور الضم والكسر وهو قراءة ابن كثير وأبى عمرو ويعقوب (وهم بالعدوة القصوى) البعدى من المدينة تأنيث الاقصى وكان قياسه قلب الواو ياء كالدنيا والعليا تفرقة بين الاسم والصفة فجاء على الاصل كالقود وهو أكثر استعمالا من القصيا (والركب) أى العير أو قوادها (أسفل منكم) فى مكان أسفل من مكانكم يعنى الساحل وهو منصوب على الظرف واقع موقع الخبر والجملة حال من الظرف قبله وفائدتها الدلالة على قوة العدو واستظهارهم بالركب وحرصهم على المقاتلة عنها وتوطين نفوسهم على أن لا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى جهدهم وضعف شأن المسلمين والتياث أمرهم واستبعاد غلبتهم عادة وكذا ذكر مراكز الفريقين فان العدوة الدنيا كانت رخوة تسوخ فيها الارجل ولا يمشى فيها الا بتعب ولم يكن بها ماء بخلاف العدوة القصوى وكذا قوله (ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد) أى لو تواعدتم أنتم وهم القتال ثم علمتم حالكم وحالهم لاختلفتم أنتم فى الميعاد هيبة منهم ويأسا من الظفر عليهم ليتحققوا أن ما اتفق لهم من الفتح ليس الا صنعا من الله تعالى خارقا للعادة فيزدادوا ايمانا وشكرا (ولكن) جمع بينكم على هذه الحال من غير ميعاد (ليقضى الله أمرا كان مفعولا) حقيقا بان يفعل وهو نصر أوليائه وقهر أعدائه وقوله (ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حى عن بينة) بدل منه أو متعلق بقوله مفعولا والمعنى ليموت من يموت عن بينة عاينها ويعيش من يعيش عن حجة شاهدها لئلا يكون له حجة ومعذرة فان وقعة بدر من الآيات الواضحة أو ليصدر كفر من كفر وايمان من آمن عن وضوح بينة على استعارة الهلاك والحياة للكفر والاسلام والمراد بمن هلك ومن حى المشارف للهلاك والحياة أو من هذا حاله فى علم الله وقضائه وقرئ ليهلك بالفتح وقرأ ابن كثير ونافع وأبو بكر ويعقوب من حيى بفك الادغام للحمل على المستقبل (وان الله لسميع عليم) بكفر من كفر وعقابه وايمان من آمن وثوابه ولعل الجمع بين الوصفين لاشتمال الامرين على القول والاعتقاد (اذ يريكهم الله فى منامك قليلا) مقدر باذكر أو بدل ثان من يوم الفرقان أو متعلق بعليم أى يعلم

عطف عليه لا يظهر مما ذكر الا أن يقال ان ذكر ما يختص بتقوية العدو من غير التعرض الى ما يقوى المؤمنين يدل على ضعف حالهم (قوله ولذا ذكر مراكز الفريقين الخ) أى للاشارة الى قوة العدو وضعف المؤمنين عين مراكزهم لأن مركز العدو قرينة غلبتهم ومركز المؤمنين قرينة ضعفهم لأن مكانهم لا يصلح للاقامة ولم يكن لهم ماء فلو كان لهم قوة لوجب ان يتحولوا الى العدوة القصوى التى فيها الماء (قوله ليهلك من هلك عن بينة) عن ههنا بمعنى بعد أى بعد بينة (قوله والمراد بمن هلك ومن حى المشارف للهلاك والحياة) اذ لو كان المراد بمن هلك من هلك حقيقة لكان المعنى ليهلك من هلك فيما مضى ولا معنى له (قوله ولعل الجمع بين الوصفين الخ) أى لعل الجمع بين وصفى السميع والعليم لاشتمال الأمرين المذكورين وهما الهلاك والحياة على القول والاعتقاد فان الحى له قول واعتقاد كما ان المشرف على الهلاك كذلك (قوله

المصالح اذ يقللهم فى عينك فى رؤياك وهو أن تخبر به أصحابك فيكون تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم (ولو أراكهم كثيرا لفشلتم) لجبنتم (ولتنازعتم فى الامر) فى أمر القتال وتفرقت آراؤكم بين الثبات والفرار (ولكن الله سلم) أنعم بالسلامة من الفشل والتنازع (انه عليم بذات الصدور) يعلم ماسيكون فيها ومايغير أحوالها (واذ يريكموهم اذ التقيتم فى أعينكم قليلا) الضميران مفعولا يرى وقليلا حال من الثانى وانما قللهم فى أعين المسلمين حتى قال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه لمن الى جنبه أتراهم سبعين فقال أراهم مائة تثبيتا لهم وتصديقا لرؤيا الرسول صلى الله عليه وسلم (ويقللكم فى أعينهم) حتى قال أبو جهل ان محمدا وأصحابه أكلة جزور وقللهم فى أعينهم قبل التحام القتال ليجترؤا عليهم ولا يستعدوا لهم ثم كثرهم حتى يرونهم مثليهم لتفجأهم الكثرة فتبهتهم وتكسر قلوبهم وهذا من عظائم آيات تلك الوقعة فان البصر وان كان قد يرى الكثير قليلا والقليل كثيرا لكن لا على هذا الوجه ولا الى هذا الحد وانما يتصور ذلك بصد الله الابصار عن ابصار بعض دون بعض مع التساوى فى الشروط (ليقضى الله أمرا كان مفعولا) كرره لاختلاف الفعل المعلل به أو لان المراد بالامر ثمة الالتقاء على الوجه المحكى وههنا اعزاز الاسلام وأهله واذلال الاشراك وحزبه (والى الله ترجع الامور يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة) حاربتم جماعة ولم يصفها لأن المؤمنين ما كانوا يلقون الا الكفار واللقاء مما غلب فى القتال (فاثبتوا) للقائهم (واذكروا الله كثيرا) فى مواطن الحرب داعين له مستظهرين بذكره مترقبين لنصره (لعلكم تفلحون) تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه تنبيه على ان العبد ينبغى ان لا يشغله شئ عن ذكر الله وان يلتجئ اليه عند الشدائد ويقبل عليه بشراشره فارغ البال واثقا بان لطفه لا ينفك عنه فى شئ من الاحوال (وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا) باختلاف الآراء كما فعلتم ببدر أو أحد (فتفشلوا) جواب النهى وقيل عطف عليه ولذلك قرئ (وتذهب ريحكم) بالجزم والريح مستعارة للدولة من حيث انها فى تمشى أمرها ونفاذه مشبهة بها فى هبوبها ونفوذها وقيل المراد بها الحقيقة فان النصرة لا تكون الا بريح يبعثها الله وفى الحديث نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور (واصبروا ان الله مع الصابرين) بالكلاءة والنصرة (ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم) يعنى أهل مكة حين خرجوا منها لحماية العير (بطرا) فخرا وأشرا (ورئاء الناس) ليثنوا عليهم بالشجاعة والسماحة وذلك انهم لما بلغوا الجحفة وافاهم رسول أبى سفيان أن ارجعوا فقد سلمت عيركم فقال أبو جهل لا والله حتى نقدم بدرا ونشرب فيها الخمور وتعزف علينا القيان ونطعم بها من حضرنا من العرب فوافوها ولكن سقوا كأس المنايا وناحت عليهم النوائح فنهى المؤمنين أن يكونوا أمثالهم بطرين مرائين وأمرهم بان يكونوا أهل تقوى واخلاص من حيث ان النهى عن الشئ أمر بضده (ويصدون عن سبيل الله) معطوف على بطرا ان جعل مصدرا فى موضع الحال وكذا ان جعل مفعولا له لكن على تأويل المصدر (والله بما يعملون محيط) فيجازيكم عليه (واذ زين لهم الشيطان) مقدر باذكر (أعمالهم) فى معاداة الرسول صلى الله عليه وسلم وغيرها بان وسوس اليهم (وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم) مقالة نفسانية والمعنى أنه ألقى فى روعهم وخيل اليهم أنهم لا يغلبون ولا يطاقون لكثرة عددهم وعددهم وأوهمهم أن اتباعهم اياه فيما يظنون أنها قربات مجير لهم حتى قالوا اللهم انصر أهدى الفئتين وأفضل الدينين ولكم خبر لا غالب أو صفته وليس صلته والا لانتصب كقولك لا ضاربا زيدا عندنا (فلما تراءت الفئتان) أى تلاقى الفريقان (نكص على عقبيه)

(قوله وهو ان تخبر به أصحابك) أى تخبر أصحابك عن انك رأيتهم فى المنام قليلا (قوله مع التساوى فى الشروط) أى مع التساوى فى شروط الرؤية بحسب العادة اذ لم يكن للرؤية شرط عقلى عندنا ولك ان تقول ما ذكره من التعليل مناسب لتقليل الكثير لا لتكثير القليل (قوله لاختلاف الفعل المعلل به) اى لاختلاف الفعل المعلل بقوله ليقضى الله أمرا كان مفعولا فان الفعل المعلل به أولا هو الجمع على غير ميعاد وثانيا هو التقليل فى الأعين

رجع القهقرى أى بطل كيده وعادماخيل اليهم أنه مجيرهم سبب هلا كهم (وقال انى برىء منكم انى أرى مالاترون انى أخاف الله) أى تبرأ منهم وخاف عليهم وأيس من حالهم لما رأى امداد الله المسلمين بالملائكة وقيل لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت ماينهم وبين كنانة من الاحنة وكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس بصورة سراقة بن مالك الكنانى وقال لاغالب لكم اليوم وانى مجيركم من بنى كنانة فلما رأى الملائكة تنزل نكص وكان يده فى يد الحرث بن هشام فقال له الى أين أتخذلنا فى هذه الحالة فقال انى أرى مالاترون ودفع فى صدر الحرث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغه ذلك فقال والله ماشعرت بمسيركم حتى بلغتنى هزيمتكم فلما أسلموا علموا أنه الشيطان وعلى هذا يحتمل أن يكون معنى قوله انى أخاف الله انى أخافه أن يصيبنى مكروها من الملائكة أو يهلكنى ويكون الوقت هو الوقت الموعود اذرأى فيه مالم يرقبله والاول ماقاله الحسن واختاره ابن بحر (والله شديد العقاب) يجوز أن يكون من كلامه وأن يكون مستأنفا (اذيقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض) والذين لم يطمئنوا الى الايمان بعدو بقى فى قلوبهم شبهة وقيل هم المشركون وقيل المنافقون والعطف لتغاير الوصفين (غر هؤلاء) يعنون المؤمنين (دينهم) حتى تعرضوا لما لايدى لهم به فخرجوا وهم ثلثمائة وبضعة عشر الى زهاء ألف (ومن يتوكل على الله) جواب لهم (فان الله عزيز) غالب لايذل من استجار به وان قل (حكيم) يفعل بحكمته البالغة مايستبعده العقل ويعجز عن ادراكه (ولوترى) ولورأيت فان لوتجعل المضارع ماضيا عكس ان (اذيتوفى الذين كفروا الملائكة) ببدر واذ ظرف ترى والمفعول محذوف أى ولوترى الكفرة أو حالهم حينئذ والملائكة فاعل يتوفى ويدل عليه قراءة ابن عامر بالتاء ويجوز أن يكون الفاعل ضمير الله عزوجل وهو مبتدأ خبره (يضربون وجوههم) والجملة حال من الذين كفروا واستغنى فيه بالضمير عن الواو وهو على الاول حال منهم أو من الملائكة أو منهما لاشتماله على الضميرين (وأدبارهم) ظهورهم أو أستاههم ولعل المراد تعميم الضرب أى يضربون ماأقبل منهم وماأدبر (وذوقوا عذاب الحريق) عطف على يضربون باضمار القول أى ويقولون ذوقوا بشارة لهم بعذاب الآخرة وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا التهبت النار منها وجواب لومحذوف لتفظيع الامر وتهويله (ذلك) الضرب والعذاب (بما قدمت أيديكم) بسبب ما كسبتم من الكفر والمعاصى وهو خبر لذلك (وأن الله ليس بظلام للعبيد) عطف على ماللدلالة على أن سببيته مقيدة بانضمامه اليه اذلولاه لامكن أن يعذبهم بغير ذنوبهم لاأن لايعذبهم بذنوبهم فان ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم شرعا ولاعقلا حتى ينتهض

(قوله وعلى هذا) أى على تقدير قيل لما اجتمعت الخ اذ على التقدير الأول وهو كون القول عبارة عن الوسوسة لايحتمل هذا لان الوسوسة لاتوجب الخوف (قوله وبقى فى قلوبهم شبهة) بقاء الشبهة فى القلوب يوجب عدم الجزم المنافى للايمان الا ان يكتفى فى الايمان بالظن كما هو رأى صاحب المواقف أو تفسر الشبهة بعدم قوة الايمان حتى يكون تفسير العدم الاطمئنان ولذا فسرهم صاحب الكشاف بالذين ليسوا بثابتى الاقدام فى الاسلام (قوله وان قل) أى وان قل المستجير به وان ذل المستجير به فى صورة انه مستجير فى الظاهر لافى الحقيقة (قوله فان لوتجعل المضارع ماضيا) هذا اذا كان لو بمعناه الحقيقى اما اذا كان بمعنى ان فلا يقلب كما فى قوله تعالى ولوترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم وعدم جزم لو وان كانت بمعنى ان لكثرة ورودها على صيغة الماضى (قوله وهو على الأول) أى يضربون على وجوههم على تقدير كون الملائكة فاعل يتوفى (قوله اذلولاه لامكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم) اى لولا انضمام هذا القيد وهو عدم كونه تعالى ظلاما للعبيد الى السبب المذكور وهو ماقدمت أيديكم بل يكون الظلم متحققا لامكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم فلم يكن ماقدمت أيديكم سبب العذاب وقوله لا ان لايعذبهم بذنوبهم عطف على قوله ان يعذبهم ومعنى المجموع انه على تقدير كونه ظلاما للعبيد يمكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم لا انه يمكن ان لايعذبهم بذنوبهم حتى يكون الظلم سببا لترك التعذيب لان ترك التعذيب من مستحقه ليس بظلم شرعا ولاعقلا (قوله حتى ينتهض الخ) معناه لو كان ترك التعذيب ظلما لكان نفى الظلم سببا للتعذيب هذا توضيح كلامه لكن فى قوله اذلولاه الخ نظر اذ يفهم منه ان تعذيبهم بغير ذنوبهم ظلم وليس كذلك اذ على تقدير كونه تعالى ليس بظلام يمكن ان يعذبهم بغير ذنوبهم اذ هو الفاعل لما يشاء اذ لامانع له ولا اعتراض عليه كيف يفعل على ما هو مذهب أهل السنة والذى سنح لى والله أعلم ان المراد بالظلم التجاوز عما يستحقه الكافر المذنب الى ما هو أشد فانه ليس عادته سبحانه والمعنى كذلك الجزاء المعين فقط بسبب عدم عادته بالتجاوز عما يستحقه الكافر المذنب

نفى الظلم سببا للتعذيب وظلام للتكثير لاجل العبيد (كدأب آل فرعون) أى دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون وهو عملهم وطريقهم الذى دأبوا فيه أى داموا عليه (والذين من قبلهم) من قبل آل فرعون (كفروا بآيات الله) تفسير لدأبهم (فأخذهم الله بذنوبهم) كما أخذ هؤلاء (ان الله قوى شديد العقاب) لا يغلبه فى دفعه شئ (ذلك) اشارة الى ماحل بهم (بان الله) بسبب أن الله (لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم) مبدلا اياها بالنقمة (حتى يغيروا ما بأنفسهم) يبدلوا ما بهم من الحال الى حال أسوأ كتغيير قريش حالهم فى صلة الرحم والكف عن تعرض الآيات والرسل بمعاداة الرسول عليه السلام ومن تبعه منهم والسعى فى اراقة دمائهم والتكذيب بالآيات والاستهزاء بها الى غير ذلك مما أحدثوه بعد المبعث وليس السبب عدم تغيير الله ما أنعم عليهم حتى يغيروا حالهم بل ما هو المفهوم له وهو جرى عادته تعالى على تغييره متى يغيروا حالهم وأصل يك يكون فحذفت الحركة للجزم ثم الواو لالتقاء الساكنين ثم النون لشبهه بالحروف اللينة تخفيفا (وان الله سميع) لما يقولون (عليم) بما يفعلون (كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون) تكرير للتأكيد ولما نيط به من الدلالة على كفران النعم بقوله بآيات ربهم وبيان ما أخذ به آل فرعون وقيل الاول لتشبيه الكفر والاخذ به والثانى لتشبيه التغيير فى النعمة بسبب تغييرهم ما بأنفسهم (وكل) من الفرق المكذبة أو من غرقى القبط وقتلى قريش (كانوا ظالمين) أنفسهم بالكفر والمعاصى (ان شر الدواب عند الله الذين كفروا) أصروا على الكفر ورسخوا فيه (فهم لا يؤمنون) فلا يتوقع منهم ايمان ولعله اخبار عن قوم مطبوعين على الكفر بانهم لا يؤمنون والفاء للعطف والتنبيه على أن تحقق المعطوف عليه يستدعى تحقق المعطوف وقوله (الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة) بدل من الذين كفروا بدل البعض للبيان والتخصيص وهم يهود قريظة عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يمالئوا عليه فاعانوا المشركين بالسلاح وقالوا نسينا ثم عاهدهم فنكثوا ومالؤهم عليه يوم الخندق وركب كعب بن الاشرف الى مكة فحالفهم ومن لتضمين المعاهدة معنى الاخذ والمراد بالمرة مرة المعاهدة أو المحاربة (وهم لا يتقون) سبة الغدر ومغبته أو لا يتقون الله فيه أو نصره للمؤمنين وتسليطه اياهم عليهم (فاما تثقفنهم) فاما تصادفنهم وتظفرن بهم (فى الحرب فشرد بهم) ففرق عن مناصبتك ونكل عنها بقتلهم والنكاية فيهم (من خلفهم) من وراءهم من الكفرة والتشريد تفريق على اضطراب وقرئ فشرذ بالذال المعجمة وكأنه مقلوب شذر ومن خلفهم والمعنى واحد فانه اذا شرد من وراءهم فقد فعل التشريد فى الوراء (لعلهم يذكرون) لعل المشردين يتعظون (واما تخافن من قوم) معاهدين (خيانة) نقض عهد بأمارات تلوح لك (فانبذ اليهم) فاطرح اليهم عهدهم (على سواء) على عدل وطريق قصد فى العداوة ولا تناجزهم الحرب فانه يكون خيانة منك أو على سواء فى الخوف أو العلم بنقض العهد وهو فى موضع الحال من النابذ على الوجه الاول أى ثابتا على طريق

(قوله وظلام للتكثير لاجل العبيد) أى صيغة المبالغة باعتبار الكمية فان العبيد لما كانت متعددة كان الظلم عليهم متعددا فالمبالغة التى فى الظلام باعتبار كثرة الظلم لا باعتبار قوته حتى يلزم ثبوته فى الجملة (قوله وليس السبب المفهوم الخ) أى المفهوم من ظاهر الكلام ان سبب ماحل بهم من العقوبة عدم تغيير الله تعالى ما أنعم عليهم حتى يغيروا حالهم لكن السبب فى الحقيقة ليس ذلك العدم المذكور بل عادة الله تعالى على ماذكر لان هذا المفهوم وهو عدم تغيير نعمة الله تعالى حتى يغيروا حالهم صادق وان لم يغيروا حالهم فلا يكون موجبا للعذاب بل الموجب له التغيير فالحاصل ان ذلك العذاب بسبب جريان عادة الله بتغيير نعمته عند تغيير القوم حالهم لكنهم غيروا فلذلك حل بهم العذاب (قوله ولما نيط به من الدلالة على كفران النعم بقوله بآيات ربهم) فان الآيات نعم وتكذيبها كفرانها وأيضا فان الرب مفيض النعم فتكذيب آياته كفران نعمته (قوله والثانى لتشبيه التغيير فى النعمة بسبب تغييرهم ما بأنفسهم) لان الثانى مذكور بعد ذكر تغيير النعمة (قوله ولعله اخبار عن قوم مطبوعين على الكفر الخ) أى يحتمل ان يكون طبعهم على الكفر بسبب مبالغتهم فى كسب الكفر وتعودهم (قوله للبيان والتخصيص) أى لبيان المراد من الذين كفروا أى هم أى طائفة (قوله أو على سواء فى الخوف أو فى العلم بنقض العهد) سوى الظاهر هو الوجه المتقدم على هذين الوجهين واما التفسير بالخوف فلا يظهر له وجه ولذا لم يذكره صاحب الكشاف ولا غيره الا ان يقال المراد الخوف من عواقب نقض العهد فانه اذا نقض العهد حصل خوف عواقبه (قوله وهو فى موضع الحال من النابذ على الوجه الاول الخ) الوجه الاول هو ان يكون المراد من السواء العدل والطريق القصد وعلى الوجهين الاخيرين وهو ان يكون المراد السواء

في الخوف والعلم فيمكن ان يكون صاحب الحال النابذ أو المنبوذ اليهم أو هما معا لان الخوف أو العلم مشترك بينهما وعلى الوجهين الاخيرين يكون المعنى فانبذ اليهم كائنا على سواء في الخوف مع المنبوذ اليهم أو في العلم معهم النابذ على السواء في أحدهما أو

سوى أومنه أومن المنبوذ اليهم أومنهما على غيره وقوله (ان الله لايحب الخائنين) تعليل للامر بالنبذ والنهي عن مناجزة القتال المدلول عليه بالحال على طريقة الاستئناف (ولا تحسبن) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وقوله (الذين كفروا سبقوا) مفعولاه وقرأ ابن عامر وحمزة وحفص بالياء على أن الفاعل ضمير أحد أومن خلفهم أو الذين كفروا والمفعول الاول أنفسهم فحذف للتكرار أو على تقدير أن سبقوا وهو ضعيف لان أن المصدرية كالموصول فلا تحذف أو على ايقاع الفعل على (انهم لايعجزون) بالفتح على قراءة ابن عامر وأن لاصلة وسبقوا حال بمعنى سابقين أي مفلتين والاظهر أنه تعليل للنهي أي لاتحسبنهم سبقوا فافلتوا لانهم لايفوتون الله أولايجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم وكذا ان كسرت ان الاأنه تعليل على سبيل الاستئناف ولعل الآية ازاحة لما يحذر به من نبذ العهد وايقاظ العدو وقيل نزلت فيمن أفلت من فل المشركين (وأعدوا) أيها المؤمنون (لهم) لناقضي العهد أو الكفار (ما استطعتم من قوة) من كل مايتقوى به في الحرب وعن عقبة بن عامر سمعته عليه الصلاة والسلام يقول على المنبر ألا ان القوة الرمي قالها ثلاثا ولعله عليه الصلاة والسلام خصه بالذكر لانه أقواه (ومن رباط الخيل) اسم للخيل التي تربط في سبيل الله فعال بمعنى مفعول أو مصدر سمي به يقال ربط ربطا ورباطا ورابط مرابطة ورباطا أو جمع ربيط كفصيل وفصال وقرئ ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط وعطفها على القوة كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة (ترهبون به) تخوفون به وعن يعقوب ترهبون بالتشديد والضمير لما استطعتم أو للاعداد (عدو الله وعدوكم) يعني كفار مكة (وآخرين من دونهم) من غيرهم من الكفرة قيل هم اليهود وقيل المنافقون وقيل الفرس (لاتعلمونهم) لاتعرفونهم باعيانهم (الله يعلمهم) يعرفهم (وما تنفقوا من شئ في سبيل الله يوف اليكم) جزاؤه (وأنتم لاتظلمون) بتضييع العمل أونقص الثواب (وان جنحوا) مالوا ومنه الجناح وقد يعدى باللام والى (للسلم) للصلح أو الاستسلام وقرأ أبو بكر بالكسر (فاجنح لها) وعاهد معهم وتأنيث الضمير لحمل السلم على نقيضها فيه قال

السلم تأخذ منها مارضيت به * والحرب يكفيك من أنفاسها جرع

وقرئ فاجنح بالضم (وتوكل على الله) ولاتخف من ابطانهم خداعا فيه فان الله يعصمك من مكرهم ويحيقه بهم (انه هو السميع) لاقوالهم (العليم) بنياتهم والآية مخصوصة بأهل الكتاب لاتصالها بقصتهم وقيل عامة نسختها آية السيف (وان يريدوا أن يخدعوك فان حسبك الله) فان محسبك الله وكافيك قال جرير

اني وجدت من المكارم حسبكم * أن تلبسوا حر الثياب وتشبعوا

(هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين) جميعا (وألف بين قلوبهم) مع مافيهم من العصبية والضغينة في أدنى شئ والتهالك على الانتقام بحيث لايكاد يأتلف فيهم قلبان حتى صاروا كنفس واحدة وهذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم وبيانه (لوأنفقت مافي الارض جميعا ماألفت بين قلوبهم) أي تناهي عداوتهم الى حد لوأنفق منفق في اصلاح ذات بينهم مافي الارض من الاموال لم يقدر على الألفة

كائنين أي النابذ والمنبوذ اليهم على سواء (قوله وان لاصلة) أي زائدة فيكون المعنى ولاتحسبن الذين كفروا انهم يعجزون (قوله ولعل الآية ازاحة لما يحذر به من هذا العهد الخ) الباء للسببية والمعنى وما يحذر بسببه من نبذ العهد فمن ليست بيانية بل متعدية بيحذر وما يحذر هو غلبة الكفار يعني لما أمر سابقا بنبذ العهد اليهم على سواء أصلح في الخوف ان ٧ نبذ العهد اليهم بالطريق المذكور يوجب ايقاظ العدو واستعداده بشوكته فيجب ان يحذر منه فأزال أوهم بهذه الآية أي ايقاظهم واستعدادهم لايوجب سبقهم (قوله من فل المشركين) الفل القوم المنهزمون (قوله ولعله عليه السلام خصه بالذكر لانه أقواه) أي لان الرمي أقوى القوة تأثيرا ودفعا للعدو فانه يقتل العدو من بعد فيكون معنى الحديث الا ان القوة الكاملة هو الرمي (قوله وأنتم لاتظلمون بتضييع العمل اونقص الثواب) لايخفى ان تضييع

العمل ونقص الثواب ليس بظلم لانه تعالى الفاعل لما يشاء لكن مراده ان الظلم ههنا عدم ايفاء الجزاء بمعنى تضييع العمل ونقص الثواب (قوله حر الثياب الخ) هو من الثياب أكرمه بالحاء والراء المهملتين ويمكن ان يكون بالخاء والزاي المعجمتين وهو أخر الثوب يصفهم بانهم لئام يقنعون بالمآكل والملابس

والاصلاح (ولكن الله ألف بينهم) بقدرته البالغة فانه المالك للقلوب يقلبها كيف يشاء (انه عزيز) تام القدرة والغلبة لايعصى عليه مايريده (حكيم) يعلم أنه كيف ينبغى ان يفعل مايريده وقيل الآية فى الأوس والخزرج كان بينهم احن لاأمد لها و وقائع هلكت فيها ساداتهم فأنساهم الله ذلك وألف بينهم بالاسلام حتى تصافوا وصاروا أنصارا (ياأيها النبى حسبك الله) كافيك (ومن اتبعك من المؤمنين) امافى محل النصب على المفعول معه كقوله

اذا كانت الهيجاء واشتجر القنا * فحسبك والضحاك سيف مهند

أوالجر عطفا على المكنى عند الكوفيين أو الرفع عطفا على اسم الله تعالى أى كفاك الله والمؤمنون والآية نزلت بالبيداء فى غزوة بدر وقيل أسلم مع النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم أسلم عمر رضى الله عنه فنزلت ولذلك قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما نزلت فى اسلامه (ياأيها النبى حرض المؤمنين على القتال) بالغ فى حثهم عليه وأصله الحرض وهو أن ينهكه المرض حتى يشفى على الموت وقرئ حرص من الحرص (ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا) شرط فى معنى الامر بمصابرة الواحد للعشرة والوعد بأنهم ان صبروا غلبوا بعون الله وتاييده وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر تكن بالتاء فى الآيتين و وافقهم البصريان فى وان تكن منكم مائة (بأنهم قوم لايفقهون) بسبب أنهم جهلة بالله واليوم الآخر لايثبتون ثبات المؤمنين رجاء الثواب وعوالى الدرجات قتلوا أوقتلوا ولا يستحقون من الله الا الهوان والخذلان (الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله) لما أوجب على الواحد مقاومة العشرة والثبات لهم وثقل ذلك عليهم خفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة فامروا بذلك ثم لما كثروا خفف عنهم وتكرير المعنى الواحد بذكر الاعداد المتناسبة للدلالة على أن حكم القليل والكثير واحد والضعف ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين فيها وفيه لغتان الفتح وهو قراءة عاصم وحمزة والضم وهو قراءة الباقين (والله مع الصابرين) بالنصر والمعونة فكيف لايغلبون (ما كان لنبى) وقرئ للنبى على العهد (أن يكون له أسرى) وقرأ البصريان بالتاء (حتى يثخن فى الأرض) يكثر القتل و يبالغ فيه حتى يذل الكفر و يقل حزبه و يعز الأسلام و يستولى أهله من أثخنه المرض اذا أثقله وأصله الثخانة وقرئ يثخن بالتشديد للمبالغة (تريدون عرض الدنيا) حطامها بأخذكم الفداء (والله يريد الآخرة) يريد لكم ثواب الآخرة أوسبب نيل ثواب الآخرة من اعزاز دينه وقمع أعدائه وقرئ بجر الآخرة على اضمار المضاف كقوله

أكل امرئ تحسبين امرأ * ونار توقد بالليل نارا

(والله عزيز) يغلب أولياءه على أعدائه (حكيم) يعلم مايليق بكل حال و يخصه بها كما أمر بالاثخان ومنع عن الافتداء حين كانت الشوكة للمشركين وخير بينه و بين المن لما تحولت الحال وصارت الغلبة للمؤمنين روى أنه عليه السلام أتى يوم بدر بسبعين أسيرا فيهم العباس وعقيل بن أبى طالب فاستشار فيهم فقال أبو بكر رضى الله تعالى عنه قومك وأهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوى بها أصحابك وقال عمر رضى الله تعالى عنه اضرب أعناقهم فانهم أئمة الكفر وان الله أغناك عن الفداء مكنى من فلان لنسيب له ومكن عليا وحمزة من أخويهما فلنضرب أعناقهم فلم يهو ذلك

(قوله و بيانه) أى كونه معجزة من معجزاته انه من غرائب القدرة بحيث انه لوانفق مافى الارض جميعا ماحصل (قوله ياأيها النبى حسبك الله) المراد من كونه تعالى حسبا للنبى فى الآية المتقدمة كونه كافيا له فى دفع الخداع واما هذه الآية ففيه كونه كافيا له فى جميع الأمور (قوله عند الكوفيين) اذ عند البصريين لايجر الا باعادة الجار (قوله وتكرير المعنى الواحد الخ) المعنى الواحد هو الأمر بالمصابرة مع المثلين وعبر عنه بعبارتين احداهما ان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين والاخرى وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله (قوله والضعف ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة وكانوا متفاوتين فيها) يعنى ان الصحابة المتقدمين فى الاسلام كانوا من أهل البصيرة التى فى غاية الكمال فلذا أمروا بمصابرة عشرة أمثالهم واما الذين تأخروا فلهم ضعف مافيها فكان فى جملة الصحابة ضعف فلذا خفف عنهم وأمر الواحد منهم بمصابرة الاثنين (قوله حتى يثخن فى الارض) قيد الاثخان بالارض اشارة الى عمومه

رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة وان مثلك يا أبا بكر مثل ابراهيم قال فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فخير أصحابه فاخذوا الفداء فنزلت فدخل عمر رضى الله تعالى عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وأبو بكر يبكيان فقال يارسول الله أخبرنى فان أجد بكاء بكيت والا تباكيت فقال ابك على أصحابك فى أخذهم الفداء ولقد عرض على عذابهم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة والآية دليل على أن الانبياء عليهم الصلاة والسلام يجتهدون وأنه قد يكون خطأ ولكن لا يقرون عليه (لولا كتاب من الله سبق) لولا حكم من الله سبق اثباته فى اللوح المحفوظ وهو أن لا يعاقب المخطئ فى اجتهاده أو أن لا يعذب أهل بدر أو قوما بما لم يصرح لهم بالنهى عنه أو ان الفدية التى أخذوها ستحل لهم (لمسكم) لنالكم (فيما أخذتم) من الفداء (عذاب عظيم) روى أنه عليه السلام قال لو نزل العذاب لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ وذلك لانه أيضا أشار بالاثخان (فكلوا مما غنمتم) من الفدية فانها من جملة الغنائم وقيل أمسكوا عن الغنائم فنزلت والفاء للتسبب والسبب محذوف تقديره أبحت لكم الغنائم فكلوا وبنحوه تشبث من زعم أن الامر الوارد بعد الحظر للاباحة (حلالا) حال من المغنوم أو صفة للمصدر أى أكلا حلالا وفائدته ازاحة ما وقع فى نفوسهم منه بسبب تلك المعاتبة أو حرمتها على الاولين ولذلك وصفه بقوله (طيبا واتقوا الله) فى مخالفته (ان الله غفور) غفر لكم ذنبكم (رحيم) أباح لكم ما أخذتم (يا أيها النبى قل لمن فى أيديكم من الاسرى) وقرأ أبو عمرو من الاسارى (ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا) ايمانا واخلاصا (يؤتكم خيرا مما أخذ منكم) من الفداء روى أنها نزلت فى العباس رضى الله عنه كلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفدى نفسه وابنى أخويه عقيل بن أبى طالب ونوفل بن الحرث فقال يا محمد تركتنى أتكفف قريشا ما بقيت فقال أين الذهب الذى دفعته الى أم الفضل وقت خروجك وقلت لها انى لا أدرى ما يصيبنى فى وجهى هذا فان حدث بى حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل وقثم فقال العباس وما يدريك قال أخبرنى به ربى تعالى قال فاشهد أنك صادق وأن لا اله الا الله وأنك رسوله والله لم يطلع عليه أحد الا الله ولقد دفعته اليها فى سواد الليل قال العباس فأبدلنى الله خيرا من ذلك لى الآن عشرون عبدا ان أدناهم ليضرب فى عشرين ألفا وأعطانى زمزم ما أحب أن لى بها جميع أموال أهل مكة وأنا أنتظر المغفرة من ربكم يعنى الموعود بقوله (ويغفر لكم والله غفور رحيم وان يريدوا) يعنى الأسرى (خيانتك) نقض ما عاهدوك (فقد خانوا الله) بالكفر ونقض ميثاقه المأخوذ بالعقل (من قبل فأمكن منهم) أى فأمكنك منهم كما فعل يوم بدر فان أعادوا الخيانة فسيمكنك منهم (والله عليم حكيم ان الذين آمنوا وهاجروا) هم المهاجرون هاجروا أوطانهم حبا لله ولرسوله (وجاهدوا بأموالهم) فصرفوها فى الكراع والسلاح وأنفقوها على المحاويج (وأنفسهم فى سبيل الله) بمباشرة القتال (والذين آووا ونصروا) هم الانصار آووا المهاجرين الى ديارهم ونصروهم على أعدائهم (أولئك بعضهم أولياء بعض) فى الميراث وكان المهاجرون والأنصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون الاقارب حتى نسخ بقوله وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض أو بالنصرة والمظاهرة (والذين آمنوا ولم يهاجروا مالكم من ولايتهم من شئ حتى يهاجروا) أى من توليهم فى الميراث وقرأ حمزة ولايتهم بالكسر تشبيها لها بالعمل والصناعة كالكتابة والامارة كأنه بتوليه صاحبه يزاول عملا (وان استنصروكم

(قوله والآية دليل على أن الانبياء يجتهدون) فيه انه يدل على أن النبى صلى الله عليه وسلم يجتهد ولا يلزم مما ذكر كون غيره من الأنبياء كذلك اذ لقائل أن يقول لم لا يجوز أن يكون خاصا به أو لجماعة منهم لا كلهم (قوله ولكن لا يقرون عليه) فيه نظر أيضا اذ المفهوم من الآية أن النبى لم يقرر على ما اجتهد فى الحكم المخصوص المذكور فى الآية المذكورة وأما عدم تقريره فى جميعه فضلا عن سائر الانبياء فغير معلوم من مجرد الآية نعم يعلم من ضم شئ اليه (قوله أو قوما بما لم يصرح لهم بالنهى عنه) فيه انه يلزم أن لا يعذب أحد لمخالفة مقتضى القياس والاجتهاد اذ الحكم المفهوم من القياس لم يصرح به لكن المسئلة ان الاجتهاد اذا حكم على حرمة شئ فذلك المجتهد ومن تبعه ان فعل ذلك استحق العذاب ويمكن أن يقال ما أدى اليه الاجتهاد من قبيل المصرح بانه علم من قواعد الشرع وجوب العمل به أو يقال المراد من العذاب فى قوله وان لم يعذب قوما العذاب الدنيوى ولا ينافى استحقاقه الأخروى

(قوله وهو بمفهومه يدل على منع التوارث بينهم و بين المسلمين) فيه انه لا يلزم من مجرد كون الكفار اولياء بعض كما انه لا يلزم من كون بعض القوم أولياء بعض آخر أن لا يكون لهم أولياء من غيرهم والاولى أن يقال لما ذكر فى الآية السابقة ان المؤمنين بعضهم اولياء بعض خصص المؤمنين بالذكر وههنا خصص الكافرين ظهر أن لا ولاية بينهم و بين المسلمين (قوله لما قسم المؤمنين ثلاثة أقسام الخ) القسم الاول المدلول عليه بقوله تعالى ان الذين آمنوا وهاجروا والقسم الثانى المدلول عليه بقوله تعالى والذين آووا ونصروا والقسم الثالث المفاد بقوله تعالى والذين آمنوا ولم يهاجروا وههنا كلام وهو ان الآية دلت على ان المؤمنين حقا فرقتان لتكرار فرقة الذين هاجروا المذكور بقوله تعالى والذين آمنوا وهاجروا (۵۸) وجاهدوا فى سبيل الله وفرقة آووا ونصروا وهم المذكورون بقوله والذين آووا ونصروا لكن ماذكره المصنف يدل على انه فرقة وهم الذين هاجروا وجاهدوا أو آووا ونصروا الا انه لم يكرر الذين بل جعل الموصوف بجميع ماذكر فرقة واحدة الا أن يقال ان الكلام على سبيل التوزيع فيكون لبعضهم حق ايمانه بالهجرة و بعضهم بالنصرة (قوله استدل به على توريث ذوى الارحام) يعنى من ذهب الى أن توريث ذوى الارحام ثابت استدل بما ذكر ودل صيغة استدل على ضعف الاستدلال على ما هو عادته و بيانه ان النصوص الأخر دلت على عدم توريثهم الا بشرائط مخصوصة والله أعلم بالحال

﴿سورة التوبة﴾

(قوله وقيل كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا نزلت الخ) فيه نظر اذ الكلام فى أن لا يصدر بالتسمية وماذكره لا يدل على سبب عدم التصدير وانما يدل على سبب اتصال براءة بالانفال لا سورة أخرى والذى يدل على المقصود أن النبى صلى الله عليه وسلم ما ابتدأ فيها بالتسمية وقال العلامة النيسابورى استبعد جمع من العلماء ذلك الوجه لا بالوجود ۷ فى بعض السور واعلم أن صاحب الكشاف قال فان قلت هل صدرت بآية التسمية كما صدرت سائر السور قلت سال ذلك ابن عباس عثمان رضى الله عنهما فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزلت عليه السورة والآية قال اجعلوها فى الموضع الذى يذكر فيه كذا وكذا وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا أين نضعها وكانت قصتها شبيهة بقصتها فلذلك ضمت اليها واعترض عليه بان هذا الجواب غير مطابق للسؤال لانه سئل عن سبب عدم التصدير بالبسملة وأجاب عن ضم احدى السورتين الى

فى الدين فعليكم النصر) فواجب عليكم أن تنصروهم على المشركين (الا على قوم بينكم و بينهم ميثاق) عهد فانه لا ينقض عهدهم لنصرهم عليهم (والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم أولياء بعض) فى الميراث أو المؤازرة وهو بمفهومه يدل على منع التوارث أو المؤازرة بينهم وبين المسلمين (الا تفعلوه) الا تفعلوا ما أمرتم به من التواصل بينكم وتولى بعضكم لبعض حتى فى التوارث وقطع العلائق بينكم و بين الكفار (تكن فتنة فى الارض) تحصل فتنة فيها عظيمة وهى ضعف الايمان وظهور الكفر (وفساد كبير) فى الدين وقرئ كثير (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا) لما قسم المؤمنين ثلاثة أقسام بين أن الكاملين فى الايمان منهم هم الذين حققوا ايمانهم بتحصيل مقتضاه من الهجرة والجهاد و بذل المال ونصرة الحق ووعدلهم الموعد الكريم فقال (لهم مغفرة ورزق كريم) لا تبعة له ولا منة فيه ثم ألحق بهم فى الامرين من سيلحق بهم ويتسم بسمتهم فقال (والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم) أى من جملتكم أيها المهاجرون والانصار (وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض) فى التوارث من الاجانب (فى كتاب الله) فى حكمه أو فى اللوح أو فى القرآن واستدل به على توريث ذوى الارحام (ان الله بكل شئ عليم) من المواريث والحكمة فى اناطتها بنسبة الاسلام والمظاهرة أولا واعتبار القرابة ثانيا * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الانفال و براءة فانا شفيع له يوم القيامة وشاهد أنه برئ من النفاق وأعطى عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له أيام حياته

﴿سورة براءة مدنية﴾

وقيل الا آيتين من قوله لقد جاءكم رسول وهى آخر ما نزل ولها أسماء أخر التوبة والمقشقشة والبحوث والمبعثرة والمنقرة والمثيرة والحافرة والمخزية والفاضحة والمنكلة والمشردة والمدمدمة وسورة العذاب لما فيها من التوبة للمؤمنين والقشقشة من النفاق وهى التبرى منه والبحث عن حال المنافقين واثارتها والحفر عنها وما يخزيهم و يفضحهم وينكلهم و يشردهم و يدمدم عليهم وآيها مائة وثلاثون وقيل تسع وعشرون وانما تركت التسمية فيها لانها نزلت لرفع الامان و بسم الله أمان وقيل كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا نزلت عليه سورة أو آية بين موضعها وتوفى ولم يبين موضعها وكانت قصتها تشابه قصة الانفال

الاخرى وأجاب العلامة التفتازاني بان النبي صلى الله عليه وسلم كان يبين موضع السورة والآية ولم يبين ههنا وكانت القصتان متشابهتين
فلم يعلم ان هذه كالآيات من الانفال لتوصل بها كالآية بالآية أو سورة مغايرة لها ليفصل بينهما بتسمية فقرن بينهما لا كما تقرن الآية بالآية
ولا كاقتران سورة بسورة بل من بين بين ولو جاز أن لا يكون ترتيبها على سبيل الوحي لجاز مثله في سائر

الانفال وتناسبهما لان في الانفال ذكر العهود وفي براءة نبذها فضمت اليها وقيل لما اختلفت الصحابة في أنهما سورة واحدة هي سابعة السبع الطوال أو سورتان تركت بينهما فرجة ولم تكتب بسم الله (براءة من الله ورسوله) أي هذه براءة ومن ابتدائية متعلقة بمحذوف تقديره واصلة من الله ورسوله ويجوز أن تكون براءة مبتدأ لتخصصها بصفتها والخبر (الى الذين عاهدتم من المشركين) وقرئ بنصبها على اسمعوا براءة والمعنى أن الله و رسوله برئا من العهد الذي عاهدتم به المشركين وانما علقت البراءة بالله و رسوله والمعاهدة بالمسلمين للدلالة على أنه يجب عليهم نبذ عهود المشركين اليهم وان كانت صادرة باذن الله تعالى واتفاق الرسول فانهما برئا منها وذلك أنهم عاهدوا مشركي العرب فنكثوا الا ناسا منهم بنو ضمرة و بنو كنانة فأمرهم بنبذ العهد الى الناكثين وأمهل المشركين أربعة أشهر ليسيروا أين شاؤا فقال (فسيحوا في الارض أربعة أشهر) شوّال وذي القعدة وذي الحجة والمحرم لانها نزلت في شوّال وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر و ربيع الاول وعشر من ربيع الآخر لان التبليغ كان يوم النحر لما روي أنها لما نزلت أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا رضي الله عنه راكب العضباء ليقرأها على أهل الموسم وكان قد بعث أبا بكر رضي الله تعالى عنه أميرا على الموسم فقيل له لو بعثت بها الى أبي بكر فقال لا يؤدي عني الا رجل مني فلما دنا علي رضي الله تعالى عنه سمع أبو بكر الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما لحقه قال أمير أو مأمور قال مأمور فلما كان قبل التروية خطب أبو بكر رضي الله تعالى عنه وحدثهم عن مناسكهم وقام علي رضي الله عنه يوم النحر عند جمرة العقبة فقال أيها الناس اني رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلاثين أو أربعين آية ثم قال أمرت بأربع أن لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وأن يتم الى كل ذي عهد عهده ولعل قوله صلى الله عليه وسلم لا يؤدي عني الا رجل مني ليس على العموم فانه صلى الله عليه وسلم بعث لان يؤدي عنه كثيرا لم يكونوا من عترته بل هو مخصوص بالعهود فان عادة العرب أن لا يتولى العهد ونقضه على القبيلة الا رجل منها و يدل عليه أنه في بعض الروايات لا ينبغي لاحد أن يبلغ هذا الا رجل من أهلي (واعلموا أنكم غير معجزي الله) لا تفوتونه وان أمهلكم (وان الله مخزي الكافرين) بالقتل والاسر في الدنيا والعذاب في الآخرة (وأذان من الله و رسوله الى الناس) أي اعلام فعال بمعنى الافعال كالامان والعطاء و رفعه كرفع براءة على الوجهين (يوم الحج الاكبر) يوم العيد لان فيه تمام الحج ومعظم أفعاله ولان الاعلام كان فيه ولما روي أنه صلى الله عليه وسلم وقف يوم النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر وقيل يوم عرفة لقوله صلى الله عليه وسلم الحج عرفة ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر أو لان المراد بالحج ما يقع في ذلك اليوم من أعماله فانه أكبر من باقي الاعمال أو لان ذلك الحج اجتمع فيه المسلمون والمشركون و وافق عيده أعياد أهل الكتاب أو لانه ظهر فيه عز المسلمين وذل المشركين (ان الله) أي بأن الله (بريء من المشركين) أي من عهودهم (ورسوله) عطف على المستكن في بريء أو على محل ان واسمها في قراءة من كسرها اجراء للاذان

السور وفي آيات السورة الواحدة وذلك يفضي الى الزيادة والنقصان في القرآن أقول فيه نظر اما أولا فلانا لا نسلم تجويز مثله في سائر السور والآيات والفرق ان الترتيب في سائر السور والآيات قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم فلا يجوز التغيير وأما الترتيب ما بين هاتين السورتين فلم يثبت فلهذا تصرف الصحابة فيه وأما ثانيا فلانه لا يلزم من جواز التغيير في الترتيب جواز الزيادة والنقص فتأمل (قوله لما اختلف الصحابة الخ) هذا يدل على انهم لو اتفقوا على انهما سورتان لكتب باسم فكانت البسملة تابعة لآرائهم لكن ليس الامر كذلك بل الكل لامر النبي صلى الله عليه وسلم ولعله اشارة الى ما في القولين قال قيل و يمكن أن يقال ان اتفاقهم في مثل ما ذكر يدل على انهم استمعوا من النبي صلى الله عليه وسلم ما اتفقوا عليه وتوضيحه أن المراد انه على قول من قال هما سورتان يكون هنا
موضع التسمية وعلى قول من قال انه سورة واحدة لا يكون ههنا موضع فلما لم يتحقق قول أحد الفريقين عمل بشيء من كل قول عمل
بالفصل للقول الاول وترك البسملة للقول الثاني (قوله أو على محل ان واسمها في قراءة من كسرها الخ) وذلك لان المكسورة لما لم تغير
المعنى جاز أن تقدر كالعدم فيعطف على محل ما عملت فيه هذا معنى قولهم يعطف على محلها مع اسمها قال ابن الحاجب و رسوله بالرفع معطوف

على اسم أن باعتبار المحل وان كانت مفتوحة لانها فى حكم المكسورة فانهم لما قالوا يعطف على اسم ان المكسورة دون غيرها توهموا أنه لا يجوز العطف على المفتوحة والمفتوحة تنقسم قسمين قسم يجوز العطف على اسمها بالرفع وقسم لا يجوز فالذى يجوز هو أن تكون فى حكم المكسورة كقولك علمت ان زيدا قائم وعمرو لأنه فى معنى ان زيدا قائم وعمرو فكما جاز العطف ثم جاز ههنا (قوله وهذا المخل بالنظم المخالف للاجماع فانه يقتضى بقاء حرمة الاشهر الحرم الخ) اما مخالفة النظم فلان الاشهر الاربعة التى ذكرت أولا فى قوله تعالى فسيحوا فى الارض أربعة أشهر ليست عين الاشهر الحرم بل شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم والاشهر الحرم

مجرى القول وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان أولان الواو بمعنى مع ولا تكرير فيه فان قوله براءة من الله اخبار بثبوت البراءة وهذه اخبار بوجوب الاعلام بذلك ولذلك علقه بالناس ولم يخصه بالمعاهدين (فان تبتم) من الكفر والغدر (فهو) فالتوب (خير لكم وان توليتم) عن التوبة أو ثبتم على التولى عن الاسلام والوفاء (فاعلموا أنكم غير معجزى الله) لا تفوتونه طلبا ولا تعجزونه هربا فى الدنيا (وبشر الذين كفروا بعذاب أليم) فى الآخرة (الا الذين عاهدتم من المشركين) استثناء من المشركين أو استدراك فكانه قيل لهم بعد أن أمروا بنبذ العهد الى الناكثين ولكن الذين عاهدوا منهم (ثم لم ينقصوكم شيأ) من شروط العهد ولم ينكثوه أو لم يقتلوا منكم ولم يضروكم قط (ولم يظاهروا عليكم أحدا) من أعدائكم (فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم) الى تمام مدتهم ولا تجروهم مجرى الناكثين (ان الله يحب المتقين) تعليل وتنبيه على أن اتمام عهدهم من باب التقوى (فاذا انسلخ) انقضى وأصل الانسلاخ خروج الشئ مما لابسه من سلخ الشاة (الاشهر الحرم) التى أبيح للناكثين أن يسيحوا فيها وقيل هى رجب وذو القعدة والحجة والمحرم وهذا مخل بالنظم مخالف للاجماع فانه يقتضى بقاء حرمة الاشهر الحرم اذ ليس فيما نزل بعدما ينسخها (فاقتلوا المشركين) الناكثين (حيث وجدتموهم) من حل او حرم (وخذوهم) وأسروهم والاخيذ الاسير (واحصروهم) واحبسوهم أو حيلوا بينهم وبين المسجد الحرام (واقعدوا لهم كل مرصد) كل ممر لئلا يتبسطوا فى البلاد وانتصابه على الظرف (فان تابوا) عن الشرك بالايمان (وأقاموا الصلوة وآتوا الزكوة) تصديقا لتوبتهم وايمانهم (فخلوا سبيلهم) فدعوهم ولا تتعرضوا لهم بشئ من ذلك وفيه دليل على أن تارك الصلاة ومانع الزكاة لا يخلى سبيله (ان الله غفور رحيم) تعليل للامر أى فخلوهم لان الله غفور رحيم غفر لهم ما قد سلف ووعد لهم الثواب بالتوبة (وان أحد من المشركين) المأمور بالتعرض لهم (استجارك) استأمنك وطلب منك جوارك (فأجره) فأمنه (حتى يسمع كلام الله) ويتدبره ويطلع على حقيقة الامر (ثم أبلغه مأمنه) موضع أمنه ان لم يسلم وأحد رفع بفعل يفسره ما بعده لا بالابتداء لان ان من عوامل الفعل (ذلك) الامن أو الامر (بانهم قوم لا يعلمون) ما الايمان وما حقيقة ما تدعوهم اليه فلا بد من أمانهم ريثما يسمعون ويتدبرون (كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله) استفهام بمعنى الانكار والاستبعاد لان يكون لهم عهد ولا ينكثوه مع وغرة صدورهم أولان يفى الله ورسوله بالعهد وهم نكثوه وخبر يكون كيف

رجب والثلاثة الاخيرة واما مخالفته للاجماع لانه يقتضى بقاء حرمة الاشهر الحرم على ما ذكره وفيه نظر اذ يفهم منه أن بقاء حرمتها يخالف الاجماع لكن ماسيذكر فى تفسير قوله تعالى ان الجمهور على ان حرمة المقاتلة فيها منسوخة فيفهم من نسبة النسخ الى الجمهور ان بقاء الحرمة المذكور غير مخالف للاجماع بل مخالف للجمهور (قوله تعالى فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) لك أن تقول تخلية السبيل لا تكون الا بعد أداء كل ما يجب على المكلف فاوجه ربطها بالامرين المذكورين فقط قلنا لعل المراد انه بعد التوبة عن الكفر يجب أن ينظر فى صلاتهم وزكاتهم حتى يتحقق ايمانهم وأما غيرهما فلا يجب تفحصه بل اذا تحقق تركه منهم يجب اجبارهم عليه قال الشافعى رضى الله عنه انه تعالى أباح دماء الكفار بجميع الطرق والاحوال ثم حرمها عند التوبة عن الكفر واقامة الصلاة وايتاء الزكاة فما لم يوجد هذا المجموع فوجب أن تبقى اباحة الدم على الاصل فتارك الصلاة يقتل ولعل أبا بكر رضى الله عنه استدل بمثل ذلك فى قتال مانعى الزكاة (قوله لان ان من عوامل الفعل) هذا لا يخلو عن قصور لانه ان أريد أن ان لا بد ان تعمل فى الفعل فى أى موضع وقع فليس كذلك اذ قد يقع على الفعل الماضى وان أريد أنه قد يعمل فى الفعل فهذا لا يدل على ان ما بعده ليس مبتدأ الا أن يقال انها عاملة فى الفعل حقيقة أو تقديرا لكن الاولى أن يقال لانه لا يدخل الا على الفعل ولقد أحسن صاحب الكشاف حيث قال لان ان متى عقل الفعل لا تدخل على غيره (قوله وخبر يكون كيف) فالمعنى
وقدم

على أي حال يكون للمشركين عهد (قوله وهو على الاولين صفة للعهد الخ) أي عند الله على تقدير ان يكون كيف أو للمشركين خبرا صفة للعهد أو ظرف له والمعنى على التقدير الاول عهد كائن عند الله وهذا هو الظاهر وعلى الثاني يكون ظرفا لغوا متعلقا بنفس العهد لا بالكون المقدر والا لكان صفة فتأمل (قوله وكيف على الاخيرين حال من العهد) أي كيف على الوجهين الاخيرين وهما ان يكون للمشركين أو عند الله خبرا حال والمعنى على أي حال يكون للمشركين عهد عند الله (قوله وللمشركين ان لم يكن خبرا

وقدم للاستفهام أو للمشركين أو عند الله وهو على الاولين صفة للعهد أو ظرف له أو ليكون وكيف على الاخيرين حال من العهد وللمشركين ان لم يكن خبرا فتبيين (الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام) هم المستثنون قبل ومحله النصب على الاستثناء أو الجر على البدل أو الرفع على أن الاستثناء منقطع أي ولكن الذين عاهدتم منهم عند المسجد الحرام (فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم) أي فتربصوا أمرهم فان استقاموا على العهد فاستقيموا على الوفاء وهو كقوله فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم غير أنه مطلق وهذا مقيد وما تحتمل الشرطية والمصدرية (ان الله يحب المتقين) سبق بيانه (كيف) تكرار لاستبعاد ثباتهم على العهد أو بقاء حكمه مع التنبيه على العلة وحذف الفعل للعلم به كما في قوله

وخبرتماني انما الموت بالقرى * فكيف وهاتا هضبة وقليب

أي فكيف مات (وان يظهروا عليكم) أي وحالهم أنهم ان يظفروا بكم (لا يرقبوا فيكم) لا يراعوا فيكم (الا) حلفا وقيل قرابة قال حسان

لعمرك ان الك من قريش * كال السقب من رأل النعام

وقيل ربوبية ولعله اشتق للحلف من الأل وهو الجؤار لانهم كانوا اذا تحالفوا رفعوا به أصواتهم وشهروه ثم استعير للقرابة لانها تعقد بين الاقارب ما لا يعقده الحلف ثم للربوبية والتربية وقيل اشتقاقه من ألل الشيء اذا حدده أو من أل البرق اذا لمع وقيل انه عبري بمعنى الاله لانه قرئ ايلا كجبرئل وجبرئيل (ولا ذمة) عهدا أو حقا يعاب على اغفاله (يرضونكم بأفواههم) استئناف لبيان حالهم المنافية لثباتهم على العهد المؤدية الى عدم مراقبتهم عند الظفر ولا يجوز جعله حالا من فاعل لا يرقبوا فانهم بعد ظهورهم لا يرضون ولان المراد اثبات ارضائهم المؤمنين بوعد الايمان والطاعة والوفاء بالعهد في الحال واستبطان الكفر والمعاداة بحيث ان ظفروا لم يبقوا عليهم والحالية تنافيه (وتأبى قلوبهم) ما تتفوه به أفواههم (وأكثرهم فاسقون) متمردون لا عقيدة تزعهم ولا مروأة تردعهم وتخصيص الاكثر لما في بعض الكفرة من التفادي عن الغدر والتعفف عما يجر الى أحدوثة السوء (اشتروا بآيات الله) استبدلوا بالقرآن (ثمنا قليلا) عرضا يسيرا وهو اتباع الاهواء والشهوات (فصدوا عن سبيله) دينه الموصل اليه أو سبيل بيته بحصر الحجاج والعمار والفاء للدلالة على أن اشتراءهم أداهم الى الصد (انهم ساء ما كانوا يعملون) عملهم هذا أو ما دل عليه قوله (لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة) فهو تفسير لا تكرير وقيل الاول عام في الناقضين وهذا خاص بالذين اشتروا وهم اليهود أو الاعراب الذين جمعهم أبو سفيان وأطعمهم (وأولئك هم المعتدون) في الشرارة (فان تابوا) عن الكفر (وأقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فاخوانكم في الدين) فهم اخوانكم في الدين لهم ما لكم وعليهم ما عليكم (ونفصل الآيات لقوم يعلمون) اعتراض للحث على تأمل ما فصل من أحكام المعاهدين أو خصال التائبين (وان نكثوا أيمانهم من بعد

فتبيين) فكأنه اذا قيل كيف يكون عهد عند الله وعند رسوله فقيل لمن فقيل للمشركين (قوله وما تحتمل الشرطية والمصدرية) في الاخير نظر اذ على تقدير ان تكون مصدرية زمانية التقدير فمدة استقامتهم لكم فاستقيموا لهم و يلزم منه تكرار الفاء اذ يكفي أن يقال فمدة استقامتهم لكم استقيموا لهم (قوله وخبرتماني ان الموت) وقع في الحضر فكيف مات أخي وهو في البادية والهضبة والقليب قيل هما أسماء جبلين وقيل الهضبة الجبل والقليب البئر العادية (قوله كال السقب) السقب ولد الناقة والرأل ولد النعام قال العلامة التفتازاني هذا خطاب لأبي سفيان استهزاء أي لا قرابة بينك و بين قريش (قوله اشتقاقه من ألل الشيء) هذا ما نقله النيسابوري عن الزجاج ثم قال معنى العهد والقرابة غير خارج من ذلك

وأقول المعنى الاخير الذي ذكره لا يخرج منه نفي العهد والقرابة (قوله لان المراد اثبات ارضائهم المؤمنين) أي المراد ثبوت ارضائهم المؤمنين بالامور المذكورة ولو كانت الجملة حالية يلزم عدم الثبوت لانتهاء حال من لا يرقبوا التي هي جزاء الشرط الذي هو غير ثابت فيكون ما هو حال غير ثابت أيضا (قوله اعتراض للحث على تأمل ما فصل الخ) أي جملة فاصلة بين المعطوف عليه وهو فان تابوا و بين المعطوف وهو وان نكثوا وانما كان حثا على ما ذكر لانه لما قال الله تعالى ان تفصيل الآيات للعلماء كان هذا باعثا لك على التأمل فيه

عهدهم) وان نكثوا ما بايعوا عليه من الايمان أو الوفاء بالعهود (وطعنوا فى دينكم) بصريح التكذيب وتقبيح الاحكام (فقاتلوا أئمة الكفر) أى فقاتلوهم فوضع أئمة الكفر موضع الضمير للدلالة على أنهم صاروا بذلك ذوى الرئاسة والتقدم فى الكفر أحقاء بالقتل وقيل المراد بالائمة رؤساء المشركين فالتخصيص اما لان قتلهم أهم وهم أحق به أو للمنع من مراقبتهم وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائى وروح عن يعقوب أئمة بتحقيق الهمزتين على الاصل والتصريح بالياء لحن (انهم لا أيمان لهم) أى لا أيمان لهم على الحقيقة والا لما طعنوا ولم ينكثوا وفيه دليل على أن الذمى اذا طعن فى الاسلام فقد نكث عهده واستشهد به الحنفية على أن يمين الكافر ليست يمينا وهو ضعيف لان المراد نفى الوثوق عليها لا أنها ليست بأيمان لقوله تعالى وان نكثوا أيمانهم وقرأ ابن عامر لا ايمان لهم بمعنى لا أمان أو لا اسلام وتشبث به من لم يقبل توبة المرتد وهو ضعيف لجواز أن يكون بمعنى لا يؤمنون على الاخبار عن قوم معينين أو ليس لهم ايمان فيراقبوا لاجله (لعلهم ينتهون) متعلق بقاتلوا أى ليكن غرضكم فى المقاتلة أن ينتهوا عما هم عليه لا ايصال الاذية بهم كما هو طريقة المؤذين (ألا تقاتلون قوما) تحريض على القتال لان الهمزة دخلت على النفى للانكار فأفادت المبالغة فى الفعل (نكثوا أيمانهم) التى حلفوها مع الرسول عليه السلام والمؤمنين على أن لا يعاونوا عليهم فعاونوا بنى بكر على خزاعة (وهموا باخراج الرسول) حين تشاوروا فى أمره بدار الندوة على ما مر ذكره فى قوله واذ يمكر بك الذين كفروا وقيل هم اليهود نكثوا عهد الرسول وهموا باخراجه من المدينة (وهم بدؤكم أول مرة) بالمعاداة والمقاتلة لانه عليه الصلاة والسلام بدأهم بالدعوة والزام الحجة بالكتاب والتحدى به فعدلوا عن معارضته الى المعاداة والمقاتلة فما يمنعكم أن تعارضوهم وتصادموهم (أتخشونهم) أتتركون قتالهم خشية أن ينالكم مكروه منهم (فالله أحق أن تخشوه) فقاتلوا أعداءه ولا تتركوا أمره (ان كنتم مؤمنين) فان قضية الايمان أن لا يخشى الا منه (قاتلوهم) أمر بالقتال بعد بيان موجبه والتوبيخ على تركه والتوعد عليه (يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم) وعدهم ان قاتلوهم بالنصر عليهم والتمكن من قتلهم واذلالهم (ويشف صدور قوم مؤمنين) يعنى بنى خزاعة وقيل بطونا من اليمن وسبأ قدموا مكة فاسلموا فلقوا من أهلها أذى شديدا فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبشروا فان الفرج قريب (ويذهب غيظ قلوبهم) لما لقوا منهم وقد أوفى الله بما وعدهم والآية من المعجزات (ويتوب الله على من يشاء) ابتداء اخبار بان بعضهم يتوب عن كفره وقد كان ذلك أيضا وقرئ ويتوب بالنصب على اضمار ان على أنه من جملة ما أجيب به الامر فان القتال كما تسبب لتعذيب قوم تسبب لتوبة قوم آخرين (والله عليم) بما كان وما سيكون (حكيم) لا يفعل ولا يحكم الا على وفق الحكمة (أم حسبتم) خطاب للمؤمنين حين كره بعضهم القتال وقيل للمنافقين وأم منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على الحسبان (أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم) ولم يتبين الخلص منكم وهم الذين جاهدوا من غيرهم نفى العلم وأراد نفى المعلوم للمبالغة فانه كالبرهان عليه من حيث ان تعلق العلم به مستلزم لوقوعه (ولم يتخذوا) عطف على جاهدوا داخل فى الصلة (من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة) بطانة يوالونهم ويفشون اليهم أسرارهم وما فى لما من معنى التوقع منبه على أن تبين ذلك متوقع

المذكورين ولو كان نفى الامان أو الامر بالقتال بمجرد الطعن لكان ما قاله صحيحا والجواب ان قوله تعالى وان نكثوا ايمانهم سبب مستقل لما ذكره من كون ايمانهم كالعدم فيجب ان يكون الطعن أيضا كذلك والا لكان ذكره لا فائدة فيه فيلزم أن يكون الطعن سببا للنكث (قوله فافادت المبالغة فى الفعل) لأن دخول الهمزة للانكار على النفى يفيد توبيخهم على ترك القتال وهو يستلزم المبالغة فى القتال (قوله على انه من جملة ما أجيب به الأمر) لأن المعنى قاتلوهم فتعذبوهم ويتوب على عكس فأصدق وأكن من الصالحين حيث قدر المنصوب مجزوما ووجه كون القتال سببا للتوبة انه يصير سببا لقلة شوكتهم باعلاء شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ودين الاسلام فصار سببا لانكسار نخوتهم وعتوهم والتأمل فى أمر الدين وحقيقته فصار سببا للاسلام (قوله فانه كالبرهان عليه) معناه ان نفى العلم به دليل على عدمه اذ المذكور هو الاول وعلى هذا فالوجه أن يقال من حيث ان نفى علم الله تعالى به مستلزم لعدمه اذ لو لم يكن معدوما لوجب علم الله به لاحاطة علمه بجميع الاشياء

والله

(والله خبير بما تعملون) يعلم غرضكم منه وهو كالمزيج لما يتوهم من ظاهر قوله ولما يعلم الله (ما كان للمشركين) ماصح لهم (أن يعمروا مساجد الله) شيأ من المساجد فضلا عن المسجد الحرام وقيل هو المراد وانما جمع لانه قبلة المساجد وامامها فعامره كعامر الجميع و يدل عليه قراءة ابن كثير وأبي عمرو و يعقوب بالتوحيد (شاهدين على أنفسهم بالكفر) باظهار الشرك وتكذيب الرسول وهو حال من الواو والمعنى ما استقام لهم أن يجمعوا بين أمرين متنافيين عمارة بيت الله وعبادة غيره روى أنه لما أسر العباس عيره المسلمون بالشرك وقطيعة الرحم وأغلظ له على رضي الله تعالى عنه في القول فقال ما بالكم تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت (أولئك حبطت أعمالهم) التي يفتخرون بها بما قارنها من الشرك (وفي النار هم خالدون) لاجله (انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلوة وآتى الزكوة) أي انما تستقيم عمارتها لهؤلاء الجامعين للكمالات العلمية والعملية ومن عمارتها تزيينها بالفرش وتنويرها بالسرج وادامة العبادة والذكر ودرس العلم فيها وصيانتها مما لم تبن له كحديث الدنيا وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ان بيوتي في أرضي المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور أن يكرم زائره وانما لم يذكر الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم لما علم أن الايمان بالله قرينه وتمامه الايمان به ولدلالة قوله وأقام الصلاة وآتى الزكاة عليه (ولم يخش الا الله) أي في أبواب الدين فان الخشية عن المحاذير جبلية لا يكاد العاقل يتمالك عنها (فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) ذكره بصيغة التوقع قطعا لاطماع المشركين في الاهتداء والانتفاع باعمالهم وتوبيخا لهم بالقطع بانهم مهتدون فان هؤلاء مع كمالهم اذا كان اهتداؤهم دائرا بين عسى ولعل فما ظنك باضدادهم ومنعا للمؤمنين أن يغتروا باحوالهم و يتكلوا عليها (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله) السقاية والعمارة مصدرا سقى وعمر فلا يشبهان بالجثث بل لابد من اضمار تقديره أجعلتم أهل سقاية الحاج كمن آمن أو أجعلتم سقاية الحاج كايمان من آمن ويؤيد الاول قراءة من قرأ سقاة الحاج وعمرة المسجد والمعنى انكار أن يشبه المشركون وأعمالهم المحبطة بالمؤمنين وأعمالهم المثبتة ثم قرر ذلك بقوله (لا يستوون عند الله) و بين عدم تساويهم بقوله (والله لا يهدي القوم الظالمين) أي الكفرة ظلمة بالشرك ومعاداة الرسول عليه الصلاة والسلام منهمكون في الضلالة فكيف يساوون الذين هداهم الله ووفقهم للحق والصواب وقيل المراد بالظالمين الذين يسوون بينهم و بين المؤمنين (الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله) أعلى رتبة وأكثر كرامة ممن لم تستجمع فيه هذه الصفات أو من أهل السقاية والعمارة عندكم (وأولئك هم الفائزون) بالثواب ونيل الحسنى عند الله دونكم (يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها) في الجنات (نعيم مقيم) دائم وقرأ حمزة يبشرهم بالتخفيف وتنكير المبشر به اشعار بانه وراء التعيين والتعريف (خالدين فيها أبدا) أكد الخلود بالتأبيد لانه قد يستعمل للمكث الطويل (ان الله عنده أجر عظيم) يستحقر دونه ما استوجبوه لاجله أو نعيم الدنيا (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء) نزلت في المهاجرين فانهم لما أمروا بالهجرة قالوا ان هاجرنا قطعنا آباءنا وأبناءنا وعشائرنا وذهبت تجاراتنا و بقينا ضائعين وقيل نزلت نهيا عن موالاة التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة والمعنى لا تتخذوهم أولياء يمنعونكم عن الايمان و يصدونكم عن الطاعة لقوله (ان

استحبوا الكفر على الايمان) ان اختاروه وحرصوا عليه (ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون) بوضعهم الموالاة فى غير موضعها (قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم) أقرباؤكم مأخوذ من العشرة وقيل من العشرة فان العشيرة جماعة ترجع الى عقد كعقد العشرة وقرأ أبو بكر وعشيراتكم وقرئ وعشائركم (وأموال اقترفتموها) اكتسبتموها (وتجارة تخشون كسادها) فوات وقت نفاقها (ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله) الحب الاختيارى دون الطبيعى فانه لايدخل تحت التكليف فى التحفظ عنه (فتربصوا حتى يأتى الله بامره) جواب ووعيد والامر عقوبة عاجلة أو آجلة وقيل فتح مكة (والله لايهدى القوم الفاسقين) لايرشدهم وفى الآية تشديد عظيم وقل من يتخلص منه (لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة) يعنى مواطن الحرب وهى مواقفها (ويوم حنين) وموطن يوم حنين ويجوز أن يقدر فى أيام مواطن أو يفسر الموطن بالوقت كمقتل الحسين ولا يمنع ابدال قوله (اذ أعجبتكم كثرتكم) منه أن يعطف على موضع فى مواطن فانه لايقتضى تشاركهما فيما أضيف اليه المعطوف حتى يقتضى كثرتهم واعجابها اياهم فى جميع المواطن وحنين واد بين مكة والطائف حارب فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وكانوا اثنى عشر ألفا العشر الذين حضروا فتح مكة وألفان انضموا اليهم من الطلقاء هوازن وثقيفا وكانوا أربعة آلاف فلما التقوا قال النبى صلى الله عليه وسلم أو أبو بكر رضى الله تعالى عنه أو غيره من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة اعجابا بكثرتهم واقتتلوا قتالا شديدا فأدرك المسلمين اعجابهم واعتمادهم على كثرتهم فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مركزه ليس معه الاعمه العباس آخذا بلجامه وابن عمه أبو سفيان بن الحرث وناهيك بهذا شهادة على تناهى شجاعته فقال للعباس وكان صيتا صيح بالناس فنادى ياعباد الله ياأصحاب الشجرة ياأصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا يقولون لبيك لبيك ونزلت الملائكة فالتقوا مع المشركين فقال صلى الله عليه وسلم هذا حين حمى الوطيس ثم أخذ كفا من تراب فرماهم ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا (فلم تغن عنكم) أى الكثرة (شيأ) من الاغناء أو من أمر العدو (وضاقت عليكم الارض بما رحبت) برحبها أى بسعتها لاتجدون فيها مفرا تطمئن اليه نفوسكم من شدة الرعب أولاتثبتون فيها كمن لايسعه مكانه (ثم وليتم) الكفار ظهوركم (مدبرين) منهزمين والادبار الذهاب الى خلف خلاف الاقبال (ثم أنزل الله سكينته) رحمته التى سكنوا بها وأمنوا (على رسوله وعلى المؤمنين) الذين انهزموا واعادة الجار للتنبيه على اختلاف حاليهما وقيل هم الذين ثبتوا مع الرسول عليه الصلاة والسلام ولم يفروا (وأنزل جنودا لم تروها) باعينكم أى الملائكة وكانوا خمسة آلاف أو ثمانية أو ستة عشر على اختلاف الاقوال (وعذب الذين كفروا) بالقتل والاسر والسبى (وذلك جزاء الكافرين) أى مافعل بهم جزاء كفرهم فى الدنيا (ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء) منهم بالتوفيق للاسلام (والله غفور رحيم) يتجاوز عنهم ويتفضل عليهم روى أن ناسا منهم جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسلموا وقالوا يارسول الله أنت خير الناس وأبرهم وقد سبى أهلونا وأولادنا وأخذت أموالنا وقد سبى يومئذ ستة آلاف نفس وأخذ من الابل والغنم مالايحصى فقال صلى الله عليه وسلم اختاروا اما سبايا كم واما أموالكم فقالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيأ فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان هؤلاء جاؤا مسلمين وانا خيرناهم بين الذرارى والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيأ فمن كان بيده سبى وطابت نفسه أن يرده

فشانه

فشأنه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيأ فنعطيه مكانه فقالوا رضينا وسلمنا فقال انى لا أدرى لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا الينا فرفعوا انهم قد رضوا (يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس) لخبث باطنهم أو لانه يجب أن يجتنب عنهم كما يجتنب عن الانجاس أو لانهم لا يتطهرون ولا يتجنبون عن النجاسات فهم ملابسون لها غالبا وفيه دليل على أن ما الغالب نجاسته نجس وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان أعيانهم نجسة كالكلاب وقرئ نجس بالسكون وكسر النون وهو ككبد فى كبد وأكثر ما جاء تابعا لرجس (فلا يقربوا المسجد الحرام) لنجاستهم وانما نهى عن الاقتراب للمبالغة أو للمنع عن دخول الحرم وقيل المراد به النهى عن الحج والعمرة لا عن الدخول مطلقا واليه ذهب أبو حنيفة رحمه الله تعالى وقاس مالك سائر المساجد على المسجد الحرام فى المنع وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع (بعد عامهم هذا) يعنى سنة براءة وهى التاسعة وقيل سنة حجة الوداع (وان خفتم عيلة) فقرا بسبب منعهم من الحرم وانقطاع ما كان لكم من قدومهم من المكاسب والارفاق (فسوف يغنيكم الله من فضله) من عطائه أو تفضله بوجه آخر وقد أنجز وعده بان أرسل السماء عليهم مدرارا ووفق أهل تبالة وجرش فاسلموا وامتاروا لهم ثم فتح عليهم البلاد والغنائم وتوجه اليهم الناس من أقطار الارض وقرئ عائلة على أنها مصدر كالعافية أو حال (ان شاء) قيده بالمشيئة لتنقطع الآمال الى الله تعالى ولينبه على أنه تعالى متفضل فى ذلك وأن الغنى الموعود يكون لبعض دون بعض وفى عام دون عام (ان الله عليم) باحوالكم (حكيم) فيما يعطى ويمنع (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) أى لا يؤمنون بهما على ما ينبغى كما بيناه فى أول البقرة فان ايمانهم كلا ايمان (ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله) ما ثبت تحريمه بالكتاب والسنة وقيل رسوله هو الذى يزعمون اتباعه والمعنى أنهم يخالفون أصل دينهم المنسوخ اعتقادا وعملا (ولا يدينون دين الحق) الثابت الذى هو ناسخ سائر الاديان ومبطلها (من الذين أوتوا الكتاب) بيان للذين لا يؤمنون (حتى يعطوا الجزية) ما تقرر عليهم أن يعطوه مشتق من جزى دينه اذا قضاه (عن يد) حال من الضمير أى عن يد مؤاتية بمعنى منقادين أو عن يدهم بمعنى مسلمين بايديهم غير باعثين بايدى غيرهم ولذلك منع من التوكيل فيه أو عن غنى ولذلك قيل لا تؤخذ من الفقير أو عن يد قاهرة عليهم بمعنى عاجزين أذلاء أو من الجزية بمعنى نقدا مسلمة عن يد الى يد أو عن انعام عليهم فان ابقاءهم بالجزية نعمة عظيمة (وهم صاغرون) أذلاء وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال تؤخذ الجزية من الذمى وتوجأ عنقه ومفهوم الآية يقتضى تخصيص الجزية باهل الكتاب ويؤيده أن عمر رضى الله تعالى عنه لم يكن يأخذ الجزية من المجوس حتى شهد عنده عبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنه أنه صلى الله عليه وسلم أخذها من مجوس هجر وأنه قال سنوا بهم سنة أهل الكتاب وذلك لان لهم شبهة كتاب فألحقوا بالكتابيين وأما سائر الكفرة فلا تؤخذ منهم الجزية عندنا وعند أبى حنيفة رحمه الله تعالى تؤخذ منهم الا من مشركى العرب لما روى الزهرى أنه صلى الله عليه وسلم صالح عبدة الاوثان الا من كان من العرب وعند مالك رحمه الله تعالى تؤخذ من كل كافر الا المرتد وأقلها فى كل سنة دينار سواء فيه الغنى والفقير وقال أبو حنيفة رحمه الله تعالى على الغنى ثمانية وأربعون درهما وعلى المتوسط نصفها وعلى الفقير الكسوب ربعها ولا شئ على الفقير غير الكسوب (وقالت اليهود عزير ابن الله) انما قاله بعضهم من متقدميهم أو ممن كانوا بالمدينة وانما قالوا ذلك لانه لم يبق فيهم بعد وقعة

بختنصر من يحفظ التوراة وهو لما أحياه الله بعد مائة عام أملى عليهم التوراة حفظا فتعجبوا من ذلك وقالوا ماهذا الالانه ابن الله والدليل على أن هـذا القول كان فيهم أن الآية قرئت عليهم فلم يكذبوا مع تهالكهم على التكذيب وقرأ عاصم والكسائي و يعقوب عزير بالتنوين على أنه عربي مخبر عنه بابن غير موصوف به وحذفه في القراءة الاخرى اما لمنع صرفه للعجمة والتعريف أو لالتقاء الساكنين تشبيها للنون بحروف اللين أو لان الابن وصف والخبر محذوف مثل معبودنا أو صاحبنا وهو مزيف لانه يؤدي الى تسليم النسب وانكار الخبر المقدر (وقالت النصارى المسيح ابن الله) هو أيضا قول بعضهم وانما قالوه استحالة لان يكون ولد بلا أب أو لان يفعل مافعله من ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى من لم يكن الها (ذلك قولهم بافواههم) اما تاكيد لنسبة هذا القول اليهم ونفي للتجوز عنها أو اشعار بانه قول مجرد عن برهان وتحقيق مماثل للمهمل الذي يوجد في الافواه ولا يوجد مفهومه في الاعيان (يضاهؤن قول الذين كفروا) أي يضاهي قولهم قول الذين كفروا فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه (من قبل) أي من قبلهم والمراد قدماؤهم على معنى أن الكفر قديم فيهم أو المشركون الذين قالوا الملائكة بنات الله أو اليهود على أن الضمير للنصارى والمضاهاة المشابهة والهمز لغة فيه وقد قرأ به عاصم ومنه قولهم امرأة ضهيأ على فعيل للتي شابهت الرجال في انها لاتحيض (قاتلهم الله) دعاء عليهم بالاهلاك فان من قاتله الله هلك أو تعجب من شناعة قولهم (أنى يؤفكون) كيف يصرفون عن الحق الى الباطل (اتخذوا أحبارهم و رهبانهم أربابا من دون الله) بأن أطاعوهم في تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرم الله أو بالسجود لهم (والمسيح ابن مريم) بأن جعلوه ابنا لله (وما أمروا) أي وما أمر المتخذون أو المتخذون أربابا فيكون كالدليل على بطلان الاتخاذ (الا ليعبدوا) ليطيعوا (الها واحدا) وهو الله تعالى وأما طاعة الرسول وسائر من أمر الله بطاعته فهو في الحقيقة طاعة الله (لااله الا هو) صفة ثانية أو استئناف مقرر للتوحيد (سبحانه عما يشركون) تنزيه له عن أن يكون له شريك (يريدون أن يطفؤا) يخمدوا (نور الله) حجته الدالة على وحدانيته وتقدسه عن الولد أو القرآن أو نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (بأفواههم) بشركهم أو بتكذيبهم (و يأبى الله) أي لا يرضى (الا أن يتم نوره) باعلاء التوحيد واعزاز الاسلام وقيل انه تمثيل لحالهم في طلبهم ابطال نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالتكذيب بحال من يطلب اطفاء نور عظيم منبث في الآفاق يريد الله أن يزيده بنفخه وانما صح الاستثناء المفرغ والفعل موجب لانه في معنى النفي (ولو كره الكافرون) محذوف الجواب لدلالة ماقبله عليه (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله) كالبيان لقوله و يأبى الله الا أن يتم نوره ولذلك كرر (ولو كره المشركون) غير أنه وضع المشركون موضع الكافرون للدلالة على انهم ضموا الكفر بالرسول الى الشرك بالله والضمير في ليظهره للدين الحق أو للرسول عليه الصلاة والسلام واللام في الدين للجنس أي على سائر الاديان فينسخها أو على أهلها فيخذلهم (يأيها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل) يأخذونها بالرشا في الاحكام سمي أخذ المال أكلا لانه لغرض الاعظم منه (و يصدون عن سبيل الله) دينه (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله) يجوز أن يراد به الكثير من الاحبار والرهبان فيكون

باعثا على القول بكونه ابنا له ليس من جنس المخلوقين الآخرين بل من جنس الاله والالم يمكن صدور ماذكر عنه (قوله ونفي للتجوز عنها) يعني قوله تعالى بافواههم صريح في ان هذا قولهم البتة أي قول اليهود لانه قوله نسب اليهم تجوزا بأن يكون مثلا قول من نسب اليهم واتمى لهم (قوله ولا يوجد مفهومه في الاعيان) لك أن تقول كل قول قضية مفهومها لا يوجد في الاعيان أي في الخارج لاشتمالها على النسبة التي يستحيل وجودها في الخارج عند المحققين والاولى أن يقال لا يوجد مفهومه في نفس الامر (قوله فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه) أي صار هو فاعلا (قوله دعاء عليهم) لا يظهر وجه كونه دعاء من الله تعالى عليهم لأن هذا الدعاء طلب اهلاكهم ولا وجه لنسبة هذا النحو من الطلب اليه تعالى و يمكن توجيهه بان يقال ان ههنا مقدرا فيكون التقدير قولوا قاتلهم الله حتى يكون الخطاب للمؤمنين بدعاء الهلاك عليهم (قوله أو استئناف مقرر للتوحيد) أي دليل مقرر له أي أمر وا بعبادة اله واحد هو الله تعالى لانه لا اله غيره (قوله بشركهم أو تكذيبهم) أي التكلم بكلمة الشرك أو بالتكذيب (قوله وقيل انه تمثيل حالهم الخ) أي مبالغة

مبالغة في وصفهم بالحرص على المال والضن به وان يراد المسلمون الذين يجمعون المال و يقتنونه ولا يؤدون حقه و يكون اقترانه بالمرتشين من أهل الكتاب للتغليظ و يدل عليه أنه لما نزل كبر على المسلمين فذكر عمر رضي الله تعالى عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله لم يفرض الزكاة الا ليطيب بها ما بقي من أموالكم وقوله عليه الصلاة والسلام ما أدى زكاته فليس بكنز أي بكنز أوعد عليه فان الوعيد على الكنز مع عدم الانفاق فيما أمر الله أن ينفق فيه وأما قوله صلى الله عليه وسلم من ترك صفراء أو بيضاء كوي بها ونحوه فالمراد منها ما لم يؤد حقها لقوله عليه الصلاة والسلام فيما أورده الشيخان مرويا عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها الا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فيكوى بها جبينه وجنبه وظهره (فبشرهم بعذاب أليم) هو الكي بهما (يوم يحمى عليها في نار جهنم) أي يوم توقد النار ذات حمى شديد عليها وأصله تحمى بالنار فجعل الاحماء للنار مبالغة ثم حذفت النار وأسند الفعل الى الجار والمجرور تنبيها على المقصود فانتقل من صيغة التأنيث الى صيغة التذكير وانما قال عليها والمذكور شيآن لان المراد بهما دنانير ودراهم كثيرة كما قال علي رضي الله تعالى عنه أربعة آلاف وما دونها نفقة وما فوقها كنز وكذا قوله تعالى ولا ينفقونها وقيل الضمير فيهما للكنوز أو للاموال فان الحكم عام وتخصيصهما بالذكر لانهما قانون التمول أو للفضة وتخصيصها لقربها ودلالة حكمها على ان الذهب أولى بهذا الحكم (فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم) لان جمعهم وامساكهم اياه كان لطلب الوجاهة بالغنى والتنعم بالمطاعم الشهية والملابس البهية أو لانهم ازوروا عن السائل وأعرضوا عنه و ولوه ظهورهم أو لانها أشرف الاعضاء الظاهرة فانها المشتملة على الاعضاء الرئيسة التي هي الدماغ والقلب والكبد أو لانها أصول الجهات الاربع التي هي مقاديم البدن ومآخيره وجنباه (هذا ما كنزتم) على ارادة القول (لأنفسكم) لمنفعتها وكان عين مضرتها وسبب تعذيبها (فذوقوا ما كنتم تكنزون) أي وبال كنزكم أو ما تكنزونه وقرئ تكنزون بضم النون (ان عدة الشهور) أي مبلغ عددها (عند الله) معمول عدة لانها مصدر (اثنا عشر شهرا في كتاب الله) في اللوح المحفوظ أو في حكمه وهو صفة لاثني عشر وقوله (يوم خلق السموات والارض) متعلق بما فيه من معنى الثبوت أو بالكتاب ان جعل مصدرا والمعنى أن هذا أمر ثابت في نفس الامر منذ خلق الله الاجرام والازمنة (منها أربعة حرم) واحد فرد وهو رجب وثلاثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم (ذلك الدين القيم) أي تحريم الاشهر الاربعة هو الدين القويم دين ابراهيم واسمعيل عليهما الصلاة والسلام والعرب ورثوه منهما (فلا تظلموا فيهن أنفسكم) بهتك حرمتها وارتكاب حرامها والجمهور على أن حرمة المقاتلة فيها منسوخة وأولوا الظلم بارتكاب المعاصي فيهن فانه أعظم وزرا كارتكابها في الحرم وحال الاحرام وعن عطاء أنه لا يحل للناس أن يغزوا في الحرم وفي الاشهر الحرم الا أن يقاتلوا ويؤيد الاول ما روي أنه عليه الصلاة والسلام حاصر الطائف وغزا هوازن بحنين في شوال وذي القعدة (وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة) جميعا وهو مصدر كف عن الشيء فان الجميع مكفوف عن الزيادة وقع موقع الحال (واعلموا أن الله مع المتقين) بشارة وضمان لهم بالنصرة بسبب تقواهم (انما النسيء) أي تأخير حرمة الشهر الى شهر آخر

تكون استعارة تمثيلية منشؤها التشبيه مركب بمركب (قوله فجعل الاحماء للنار مبالغة) لأن الاحماء هو التسخين والنار في ذاتها سخينة فتسخينها يكون مبالغة (قوله لأن جمعهم وامساكهم كان لطلب الوجاهة بالغنى الخ) قد أبهم في العبارة و بينه صاحب الكشاف فقال لانهم لم يطلبوا بأموالهم الا الوجاهة عند الناس بازورار جنوبهم ولبس ناعم من الثياب على ظهورهم وصار الوجه الثاني ان التولي بالظهر بعد القول ثم ان لقائل أن يقول الصدر أولى بالكي من الجنب لتحويل الصدر عنهم مطلقا ولعل المراد جميع البدن والاكتفاء بها لأنها قرينة على ما سواها (قوله معمول عدة لانها مصدر) فلذا قدر بمبلغ عددها اي عدد انتهى اليه عددها حتى يصح الحمل (قوله والجمهور على ان حرمة المقاتلة فيها منسوخة) ذكر هذه الدعوى ولم يذكر عليها دليلا وما جعله مؤيدا له من انه صلى الله عليه وسلم حاصر الطائف وغزا هوازن بحنين في شوال وذي القعدة فلا يدل على جواز ابتداء المقاتلة وانما يدل على انه اذا ابتدئ في غير الاشهر الحرم يجب اتمامه وان يكن في الاشهر الحرم اذ المسئلة انه اذا شرع في القتال يجب اتمامه لكن الترمذي ذكر ان الله تعالى أذن في القتال اذا ابتدأهم المشركون به فقال وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم وأباح البداءة به في غير الاشهر الحرم بقوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم وفي السنة الثانية بعد الفتح أمر به من غير عهد شرط ولا أمان فقال وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة وقيل الآية التي فصلها ٧ فقيل هي قاتلوا الذين

كانوا اذاجاء شهرحرام وهم محاربون أحلوه وحرموا مكانه شهرا آخرحتى رفضوا خصوص الاشهر واعتبروا مجرد العدد وعن نافع برواية ورش انما النسي بقلب الهمزة ياء وادغام الياء فيها وقرئ النسي بحذفها والنسء والنساء وثلاثتها مصادر نسأه اذا أخره (زيادة فى الكفر) لانه تحريم ما أحله الله وتحليل ماحرمه الله فهو كفر آخر ضموه الى كفرهم (يضل به الذين كفروا) ضلالا زائدا وقرأ حمزة والكسائى وحفص يضل على البناء للمفعول وعن يعقوب يضل على أن الفعل لله تعالى (يحلونه عاما) يحلون المنسي من الاشهر الحرم سنة ويحرمون مكانه شهرا آخر (ويحرمونه عاما) فيتركونه على حرمته قيل أول من أحدث ذلك جنادة بن عوف الكنانى كان يقوم على جمل فى الموسم فينادى ان آلهتكم قد أحلت لكم المحرم فأحلوه ثم ينادى فى القابل ان آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه والجملتان تفسير للضلال أوحال (ليواطئوا عدة ماحرم الله) أى ليوافقوا عدة الاربعة المحرمة واللام متعلقة بيحرمونه أو بمادل عليه مجموع الفعلين (فيحلوا ماحرم الله) بمواطأة العدة وحدها من غير مراعاة الوقت (زين لهم سوء أعمالهم) وقرئ على البناء للفاعل وهو الله تعالى والمعنى خذلهم وأضلهم حتى حسبوا قبيح أعمالهم حسنا (والله لايهدى القوم الكافرين) هداية موصلة الى الاهتداء (ياأيها الذين آمنوا مالكم اذاقيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم) تباطأتم وقرئ تثاقلتم على الاصل وأثاقلتم على الاستفهام للتوبيخ (الى الارض) متعلق به كأنه ضمن معنى الاخلاد والميل فعدى بالى وكان ذلك فى غزوة تبوك أمروا بها بعد رجوعهم من الطائف فى وقت عسرة وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم (أرضيتم بالحياة الدنيا) وغرورها (من الآخرة) بدل الآخرة ونعيمها (فما متاع الحياة الدنيا) فما التمتع بها (فى الآخرة) فى جنب الآخرة (الاقليل) مستحقر (الاتنفروا) ان لاتنفروا الى مااستنفرتم اليه (يعذبكم عذابا أليما) بالاهلاك بسبب فظيع كقحط وظهور عدو (ويستبدل قوما غيركم) ويستبدل بكم آخرين مطيعين كأهل اليمن وأبناء فارس (ولاتضروه شيأ) اذلايقدح تثاقلكم فى نصر دينه شيأ فانه الغنى عن كل شئ وفى كل أمر وقيل الضمير للرسول صلى الله عليه وسلم أى ولاتضروه فان الله سبحانه وتعالى وعده بالعصمة والنصرة ووعده حق (والله على كل شئ قدير) فيقدر على التبديل وتغيير الأسباب والنصرة بلامدد كما قال (الاتنصروه فقد نصره الله) أى ان لم تنصروه فسينصره الله كما نصره (اذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين) ولم يكن معه الارجل واحد فحذف الجزاء وأقيم ماهو كالدليل عليه مقامه أوان لم تنصروه فقد أوجب الله له النصر حتى نصره فى مثل ذلك الوقت فلن يخذله فى غيره واسناد الاخراج الى الكفرة لان همهم باخراجه أوقتله تسبب لاذن الله له بالخروج وقرئ ثانى اثنين بالسكون على لغة من يجرى المنقوص مجرى المقصور فى الاعراب ونصبه على الحال (اذهما فى الغار) بدل من اذ أخرجه بدل البعض اذ المراد به زمان متسع والغار نقب فى أعلى ثور وهو جبل فى يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا (اذيقول) بدل ثان أوظرف لثانى (لصاحبه) وهو أبو بكر رضى الله تعالى عنه (لاتحزن ان الله معنا) بالعصمة والمعونة روى أن المشركين طلعوا فوق الغار فأشفق أبو بكر رضى الله تعالى عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماظنك باثنين الله ثالثهما فأعماهم الله عن الغار فجعلوا يترددون حوله فلم يروه وقيل لما دخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا فى أسفله والعنكبوت فنسجت عليه (فأنزل الله سكينته) أمنته التى تسكن عندها القلوب (عليه) على النبى صلى الله عليه وسلم أو

لايؤمنون بالله (قوله أو بما دل عليه مجموع الفعلين) فان قيل كيف يكون لاحلال شهر دخل فى مواطأة عدة ماحرم الله قلنا احلال شهر فى عام لم يدخل فى المواطأة المذكورة اذا أريد حرمة شهر آخر فى ذلك العام لانه لولم يحل ذلك الشهر وزيد شهر آخر خرج عن العدة (قوله كأنه ضمن معنى الاخلاد والميل) فيكون المعنى اثاقلتم مائلين الى الارض (قوله وأقيم ماهو كالدليل مقامه) وانما قال كالدليل لانه لم يكن دليلا حقيقة اذلم يلزم من النصر فى زمان النصر فى زمان آخر

على صاحبه وهو الاظهر لانه كان منزعجا (وأيده بجنود لم تروها) يعني الملائكة أنزلهم ليحرسوه في الغار أو ليعينوه على العدوّ يوم بدر والاحزاب وحنين فتكون الجملة معطوفة على قوله نصره الله (وجعل كلمة الذين كفروا السفلى) يعني الشرك أو دعوة الكفر (وكلمة الله هي العليا) يعني التوحيد أو دعوة الاسلام والمعنى وجعل ذلك بتخليص الرسول صلى الله عليه وسلم عن أيدي الكفار الى المدينة فانه المبدأ له أو بتأييده اياه بالملائكة في هذه المواطن أو بحفظه ونصره له حيث حضر وقرأ يعقوب وكلمة الله بالنصب عطفا على كلمة الذين والرفع أبلغ لما فيه من الاشعار بان كلمة الله عالية في نفسها وان فاق غيرها فلا ثبات لتفوقه ولا اعتبار ولذلك وسط الفصل (والله عزيز حكيم) في أمره وتدبيره (انفروا خفافا) لنشاطكم له (وثقالا) عنه لمشقته عليكم أو لقلة عيالكم ولكثرتها أو ركبانا ومشاة أو خفافا وثقالا من السلاح أو صحاحا ومراضا ولذلك لما قال ابن أم مكتوم لرسول الله صلى الله عليه وسلم أعلي أن أنفر قال نعم حتى نزل ليس على الاعمى حرج (وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله) بما أمكن لكم منهما كليهما أو أحدهما (ذلكم خير لكم) من تركه (ان كنتم تعلمون) الخير علمتم أنه خير أو ان كنتم تعلمون أنه خير اذ اخبار الله تعالى به صدق فبادروا اليه (لو كان عرضا) أي لو كان مادعوا اليه نفعا دنيويا (قريبا) سهل المأخذ (وسفرا قاصدا) متوسطا (لاتبعوك) لوافقوك (ولكن بعدت عليهم الشقة) أي المسافة التي تقطع بمشقة وقرئ بكسر العين والشين (وسيحلفون بالله) أي المتخلفون اذا رجعت من تبوك معتذرين (لو استطعنا) يقولون لو كان لنا استطاعة العدة أو البدن وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو الضمير في قوله اشتروا الضلالة (لخرجنا معكم) ساد مسد جوابي القسم والشرط وهذا من المعجزات لانه اخبار عما وقع قبل وقوعه (يهلكون أنفسهم) بايقاعها في العذاب وهو بدل من سيحلفون لان الحلف الكاذب ايقاع للنفس في الهلاك أو حال من فاعل (والله يعلم انهم لكاذبون) في ذلك لانهم كانوا مستطيعين الخروج (عفا الله عنك) كناية عن خطئه في الاذن فان العفو من روادفه (لم أذنت لهم) بيان لما كني عنه بالعفو ومعاتبة عليه والمعنى لاي شئ أذنت لهم في القعود حين استأذنوك واعتلوا بأكاذيب وهلا توقفت (حتى يتبين لك الذين صدقوا) في الاعتذار (وتعلم الكاذبين) فيه قيل انما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئين لم يؤمر بهما أخذه للفداء واذنه للمنافقين فعاتبه الله عليهما (لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم) أي ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنوك في أن يجاهدوا فان الخلص منهم يبادرون اليه ولا يتوقفون على الاذن فيه فضلا أن يستأذنوك في التخلف عنه أو أن يستأذنوك في التخلف كراهة أن يجاهدوا (والله عليم بالمتقين) شهادة لهم بالتقوى وعدة لهم بثوابه (انما يستأذنك) في التخلف (الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر) تخصيص الايمان بالله عز وجل واليوم الآخر في الموضعين للاشعار بان الباعث على الجهاد والوازع عنه الايمان وعدم الايمان بهما (وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون) يتحيرون (ولو أرادوا الخروج لأعدوا له) للخروج (عدة) أهبة وقرئ عده بحذف التاء عند الاضافة كقوله

ان الخليط أجدوا البين فانجردوا * وأخلفوك عدا الامر الذي وعدوا

وعده بكسر العين بالاضافة وعدة بغيرها (ولكن كره الله انبعاثهم) استدراك عن مفهوم قوله ولو أرادوا الخروج كأنه قال ماخرجوا ولكن تثبطوا لانه تعالى كره انبعاثهم أي نهوضهم للخروج (فثبطهم)

(قوله لما فيه من الاشعار بان كلمة الله عالية في نفسها) لانه اذا نصبت كانت تحت الجعل فكان المعنى وجعل كلمة الله هي العليا فكان علوها محتاجا الى الجعل وأما اذا كانت مرفوعة اشعر بما ذكروا والواقع ان كلمة الله لها العلو في نفسها وأما علوها على كلمة الكفر وغلبتها فيكون لأسباب فان قيل لم لم يقل وكلمة الذين كفروا السفلى برفع كلمة من غير جعل حتى يعلم انها من نفسها سفلى كما قال في مقابلها قلنا لو قيل كذلك لم يعلم أن تسفلها حصل ببركة النبي صلى الله عليه وسلم وانما يعلم انها في نفسها سافلة (قوله يقولون الخ) بيان لقوله وسيحلفون بالله (قوله وهلا توقفت) يجب تقدير هذا حتى يكون متعلقا بقوله حتى يتبين (قوله عده) والاصل عدته فحذفت التاء وبقي الضمير الذي هو المضاف اليه (قوله وأخلفوك عدا الامر الخ)

التمثيل لمجرد حذف الهاء عند الاضافة (قوله تمثيل لالقاء الله كراهة الخروج فى قلوبهم) أى ليس أمر ابالقعود فى الحقيقة ولكن تمثيل القاء كراهة الخروج فى قلوبهم بالقول المذكور فاستعمل الثانى فى الاول (قوله وعلى الوجهين لايخلو عن ذم) لانه جعلهم من الملحقين بالنساء والصبيان والمراد بالوجهين حمل الكلام على المجاز والحقيقة (قوله لان الزيادة باعتبار اعم العام الذى وقع منه الاستثناء) فيكون التقدير

مازادوكم شيأ الاخبالا فيلزم أن يزيدوا على ماعليه المؤمنون خبالا فيكون للمؤمنين أحوال من غير خبال ثم لحق بهم بسبب خروج القاعدين خبال لم يكن قبل (قوله ولاجل هذا التوهم جعل هذا الاستثناء منقطعا) فيصير المعنى مازادوكم شيأ لكن يفعلون خبالا فلا يلزم وجود الخبال قبل لكن فيه ان المنقطع لايكون مفرغا لان المستثنى منه فى المفرغ أعم العام والمستثنى داخل فيه فكيف يكون منقطعا (قوله تداركا لما فوت الرسول صلى الله عليه وسلم الخ) أى جعل الامور المذكورة جبرا لما فوته الرسول صلى الله عليه وسلم من تكليفهم بالخروج معه الى الحرب أى لما هون الامر عليهم وسهل بسبب المبادرة الى الاذن فضحهم الله وشدد الامر عليهم (قوله أو الآن لان احاطة أسبابها بهم كوجودها) بمجرد ماذكر لايصح الحكم بان جهنم محيطة بالكافرين فى هذه الدار

فحبسهم بالجبن والكسل (وقيل اقعدوا مع القاعدين) تمثيل لالقاء الله كراهة الخروج فى قلوبهم أو وسوسة الشيطان بالامر بالقعود أو حكاية قول بعضهم لبعض أو اذن الرسول عليه السلام لهم والقاعدين يحتمل المعذورين وغيرهم وعلى الوجهين لايخلو عن ذم (لو خرجوا فيكم مازادوكم) بخروجهم شيأ (الا خبالا) فسادا وشرا ولايستلزم ذلك أن يكون لهم خبال حتى لو خرجوا زادوه لان الزيادة باعتبار أعم العام الذى وقع منه الاستثناء ولاجل هذا التوهم جعل الاستثناء منقطعا وليس كذلك لانه لايكون مفرغا (ولأوضعوا خلالكم) ولاسرعوا ركائبهم بينكم بالنميمة والتضريب أو الهزيمة والتخذيل من وضع البعير وضعا اذا أسرع (يبغونكم الفتنة) يريدون أن يفتنوكم بايقاع الخلاف فيما بينكم أو الرعب فى قلوبكم والجملة حال من الضمير فى أوضعوا (وفيكم سماعون لهم) ضعفة يسمعون قولهم ويطيعونهم أو نمامون يسمعون حديثكم للنقل اليهم (والله عليم بالظالمين) فيعلم ضمائرهم وما يتأتى منهم (لقد ابتغوا الفتنة) تشتيت أمرك وتفريق أصحابك (من قبل) يعنى يوم أحد فان ابن أبى وأصحابه كما تخلفوا عن تبوك بعد ما خرج وامع الرسول صلى الله عليه وسلم الى ذى جدة أسفل من ثنية الوداع انصرفوا يوم أحد (وقلبوا لك الامور) ودبروا لك المكايد والحيل ودوروا الآراء فى ابطال أمرك (حتى جاء الحق) بالنصر والتأييد الالهى (وظهر أمر الله) وعلا دينه (وهم كارهون) أى على رغم منهم والآيتان لتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على تخلفهم وبيان ماثبطهم الله لاجله وكره انبعاثهم له وهتك استارهم وكشف أسرارهم وازاحة اعتذارهم تداركا لما فوت الرسول صلى الله عليه وسلم بالمبادرة الى الاذن ولذلك عوتب عليه (ومنهم من يقول ائذن لى) فى القعود (ولا تفتنى) ولا توقعنى فى الفتنة أى فى العصيان والمخالفة بان لا تأذن لى وفيه اشعار بانه لا محالة متخلف أذن له أم لم يأذن أو فى الفتنة بسبب ضياع المال والعيال اذ لا كافل لهم بعدى أو فى الفتنة بنساء الروم لما روى أن جد بن قيس قال قد علمت الانصار أنى مولع بالنساء فلا تفتنى ببنات الاصفر ولكنى أعينك بمالى فاتركنى (ألا فى الفتنة سقطوا) أى ان الفتنة هى التى سقطوا فيها وهى فتنة التخلف أو ظهور النفاق لا ما احترزوا عنه (وان جهنم لمحيطة بالكافرين) جامعة لهم يوم القيامة أو الآن لان احاطة أسبابها بهم كوجودها (ان تصبك) فى بعض غزواتك (حسنة) ظفر وغنيمة (تسؤهم) لفرط حسدهم (وان تصبك) فى بعضها (مصيبة) كسر أو شدة كما أصاب يوم أحد (يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل) تبجحوا بانصرافهم واستحمدوا رأيهم فى التخلف (ويتولوا) عن متحدثهم بذلك ومجتمعهم له أو عن الرسول صلى الله عليه وسلم (وهم فرحون) مسرورون (قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا) الا ما اختصنا باثباته وايجابه من النصرة أو الشهادة أو ما كتب لأجلنا فى اللوح المحفوظ لا يتغير بموافقتكم ولا بمخالفتكم وقرئ هل يصيبنا وهل يصيبنا وهو من فيعل لا من فعل لانه من بنات الواو

الا أن يقال المراد ان أسباب جهنم محيطة بهم بتقدير مضاف أو تجويز (قوله ويصيبنا وهو من فيعل) أى لقولهم يصيب الذى هو القراءة الاخيرة من فيعل من الملحق بفعلل وليس من باب التفعيل لان عين الفعل بهذه الصيغة واو فلو كان من باب التفعيل لوجب أن يقال يصوبنا لان باب التفعيل يكون عينه واوا وأما اذا كان فيعل بزيادة لياء كان أصله يصيوب اجتمع الياء والواو والسابق ساكن فقلبت الواو ياء وأدغم الاولى فى الثانية فصار يصيب

لقولهم صاب السهم يصوب واشتقاقه من الصواب لانه وقوع الشيء فيما قصد به وقيل من الصوب (هو مولانا) ناصرنا ومتولي أمورنا (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) لان حقهم أن لا يتوكلوا على غيره (قل هل تربصون بنا) تنتظرون بنا (الا احدى الحسنيين) الا احدى العاقبتين اللتين كل منهما حسنى العواقب النصرة والشهادة (ونحن نتربص بكم) أيضا احدى السوأيين (أن يصيبكم الله بعذاب من عنده) بقارعة من السماء (أو بايدينا) أو بعذاب بايدينا وهو القتل على الكفر (فتربصوا) ماهو عاقبتنا (انا معكم متربصون) ماهو عاقبتكم (قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم) أمر في معنى الخبر أي لن يتقبل منكم نفقاتكم أنفقتم طوعا أو كرها وفائدته المبالغة في تساوي الانفاقين في عدم القبول كأنهم أمروا بان يمتحنوا فينفقوا وينظروا هل يتقبل منهم وهو جواب قول جد بن قيس وأعينك بمالي ونفي التقبل يحتمل أمرين أن لا يؤخذ منهم وان لا يثابوا عليه وقوله (انكم كنتم قوما فاسقين) تعليل له على سبيل الاستئناف وما بعده بيان وتقرير له (وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم الا أنهم كفروا بالله وبرسوله) أي وما منعهم قبول نفقاتهم الا كفرهم وقرأ حمزة والكسائي أن يقبل بالياء لان تأنيث النفقات غير حقيقي وقرئ يقبل على أن الفعل لله (ولا يأتون الصلوة الا وهم كسالى) متثاقلين (ولا ينفقون الا وهم كارهون) لانهم لا يرجون بهما ثوابا ولا يخافون على تركهما عقابا (فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم) فان ذلك استدراج ووبال لهم كما قال (انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا) بسبب ما يكابدون لجمعها وحفظها من المتاعب وما يرون فيها من الشدائد والمصائب (وتزهق أنفسهم وهم كافرون) فيموتوا كافرين مشتغلين بالتمتع عن النظر في العاقبة فيكون ذلك استدراجا لهم وأصل الزهوق الخروج بصعوبة (ويحلفون بالله انهم لمنكم) انهم لمن جملة المسلمين (وما هم منكم) لكفر قلوبهم (ولكنهم قوم يفرقون) يخافون منكم أن تفعلوا بهم ما تفعلون بالمشركين فيظهرون الاسلام تقية (لو يجدون ملجأ) حصنا يلجؤن اليه (أو مغارات) غيرانا (أو مدخلا) نفقا ينجحرون فيه مفتعل من الدخول وقرأ يعقوب مدخلا من دخل وقرئ مدخلا أي مكانا يدخلون فيه أنفسهم ومتدخلا ومندخلا من تدخل واندخل (لولوا اليه) لاقبلوا نحوه (وهم يجمحون) يسرعون اسراعا لا يردهم شيء كالفرس الجموح وقرئ يجمزون ومنه الجمازة (ومنهم من يلمزك) يعيبك وقرأ يعقوب يلمزك بالضم وابن كثير يلامزك (في الصدقات) في قسمها (فان أعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون) قيل انها نزلت في أبي الجواظ المنافق قال ألا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم ويزعم أنه يعدل وقيل في ابن ذي الخويصرة رأس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم حنين فاستعطف قلوب أهل مكة بتوفير الغنائم عليهم فقال اعدل يا رسول الله فقال ويلك ان لم أعدل فمن يعدل واذا للمفاجأة نائب مناب الفاء الجزائية (ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله) ما أعطاهم الرسول من الغنيمة أو الصدقة وذكر الله للتعظيم وللتنبيه على أن ما فعله الرسول عليه الصلاة والسلام كان بأمره (وقالوا حسبنا الله) كفانا فضله (سيؤتينا الله من فضله) صدقة أو غنيمة أخرى (ورسوله) فيؤتينا أكثر مما آتانا (انا الى الله راغبون) في أن يغنينا من فضله والآية باسرها في حيز الشرط والجواب محذوف تقديره لكان خيرا لهم ثم بين مصارف الصدقات تصويبا وتحقيقا لما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم فقال (انما الصدقات للفقراء والمساكين) أي الزكوات لهؤلاء المعدودين دون غيرهم وهو دليل على أن المراد باللمز لمزهم في قسم الزكوات دون الغنائم والفقير من لا مال له

(قوله لان حقهم ان لا يتوكلوا على غيره) أي لا بد من حصول توكلهم على الله لان شأنهم واستعدادهم أن لا يتوكلوا على غيره فلا يتوهم اتحاد الدعوى والدليل والحصر المذكور يستفاد من تقديم الظرف وتأخر الله والمعنى اذا كان الله متولي أمرنا فلنفعل ماهو من حقنا من تخصيصه بالتوكل عليه (قوله أي يقال لن تقبل منكم نفقاتكم) طوعا وكرها (قوله تعالى انما يريد الله ليعذبهم) قيل مثل هذه اللام زائدة فههنا مقدر فيكون المعنى ما يريد الله باعطاء الاموال والاولاد اعطائها لشيء الا لاجل العذاب (قوله نابت مناب الفاء الجزائية) والشبه بينهما ان اذا المفاجاة تدل على التعقب كالفاء (قوله فسيؤتينا أكثر مما آتانا) فان قيل من أين يفهم الاكثرية قلنا لما كان سخطهم على قلة العطية يناسب ان يكون المعنى سيعطيكم الرسول مالا يوجب السخط والموجب هو القلة وههنا اشكال وهو ان الآية السابقة من قوله تعالى فان أعطوا منها رضوا الخ انهم اذا أعطوا رضوا وان كانت العطية قليلة وانما

ولا كسب يقع موقعا من حاجته من الفقار كأنه أصيب فقاره والمسكين من له مال أو كسب لا يكفيه من السكون كان العجز أسكنه ويدل عليه قوله تعالى أما السفينة فكانت لمساكين وأنه صلى الله عليه وسلم كان يسأل المسكنة ويتعوذ من الفقر وقيل بالعكس لقوله تعالى أو مسكينا ذا متربة (والعاملين عليها) الساعين فى تحصيلها وجمعها (والمؤلفة قلوبهم) قوم أسلموا ونيتهم ضعيفة فيه فيستألف قلوبهم أو أشراف قد يترقب باعطائهم ومراعاتهم اسلام نظرائهم وقد أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم عيينة بن حصن والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس لذلك وقيل أشراف يستألفون على أن يسلموا فانه صلى الله عليه وسلم كان يعطيهم والاصح أنه كان يعطيهم من خمس الخمس الذى كان خاص ماله وقد عد منهم من يؤلف قلبه بشئ منها على قتال الكفار ومانعي الزكاة وقيل كان سهم المؤلفة لتكثير سواد الاسلام فلما أعزه الله وأكثر أهله سقط (وفى الرقاب) وللصرف فى فك الرقاب بان يعاون المكاتب بشئ منها على أداء النجوم وقيل بان تبتاع الرقاب فتعتق وبه قال مالك وأحمد أو بان يفدى الاسارى والعدول عن اللام الى فى للدلالة على أن الاستحقاق للجهة لا للرقاب وقيل للايذان بانهم أحق بها (والغارمين) والمديونين لأنفسهم فى غير معصية ومن غير اسراف اذا لم يكن لهم وفاء أو لاصلاح ذات البين وان كانوا أغنياء لقوله صلى الله عليه وسلم لا تحل الصدقة لغنى الا لخمسة لغاز فى سبيل الله أو لغارم أو لرجل اشتراها بماله أو لرجل له جار مسكين فتصدق على المسكين فاهدى المسكين للغنى أو لعامل عليها (وفى سبيل الله) وللصرف فى الجهاد بالانفاق على المتطوعة وابتياع الكراع والسلاح وقيل وفى بناء القناطر والمصانع (وابن السبيل) المسافر المنقطع عن ماله (فريضة من الله) مصدر لما دل عليه الآية الكريمة أى فرض لهم الله الصدقات فريضة أو حال من الضمير المستكن فى للفقراء وقرئ بالرفع على تلك فريضة (والله عليم حكيم) يضع الاشياء فى مواضعها وظاهر الآية يقتضى تخصيص استحقاق الزكاة بالاصناف الثمانية ووجوب الصرف الى كل صنف وجد منهم ومراعاة التسوية بينهم قضية للاشتراك واليه ذهب الشافعى رضى الله تعالى عنه وعن عمر وحذيفة وابن عباس وغيرهم من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين جواز صرفها الى صنف واحد وبه قال الأئمة الثلاثة واختاره بعض أصحابنا وبه كان يفتى شيخى ووالدى رحمهما الله تعالى على أن الآية بيان أن الصدقة لا تخرج منهم لا لايجاب قسمها عليهم (ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو أذن) يسمع كل ما يقال له ويصدقه سمى بالجارحة للمبالغة كأنه من فرط استماعه صار جملته آلة السماع كما سمى الجاسوس عينا لذلك أو اشتق له فعل من أذن أذنا اذا استمع كانف وشلل روى أنهم قالوا محمد أذن سامعة نقول ما شئنا ثم نأتيه فيصدقنا بما نقول (قل أذن خير لكم) تصديق لهم بانه أذن ولكن لا على الوجه الذى ذموا به بل من حيث انه يسمع الخير ويقبله ثم فسر ذلك بقوله (يؤمن بالله) يصدق به لما قام عنده من الادلة (ويؤمن للمؤمنين) ويصدقهم لما علم من خلوصهم واللام مزيدة للتفرقة بين ايمان التصديق فانه بمعنى التسليم وايمان الامان (ورحمة) أى وهو رحمة (للذين آمنوا منكم) لمن أظهر الايمان حيث يقبله ولا يكشف سره وفيه تنبيه على أنه ليس يقبل قولكم جهلا بحالكم بل رفقا بكم وترحما عليكم وقرأ حمزة ورحمة بالجر عطفا على خير وقرئ بالنصب على أنها علة فعل دل عليه أذن خير أى يأذن لكم رحمة وقرأ نافع أذن بالتخفيف فيهما وقرئ أذن خير على أن خير صفة له أو خبر ثان (والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم) بايذائه (يحلفون بالله لكم) على معاذيرهم فيما قالوا أو تخلفوا (ليرضوكم) لترضوا عنهم والخطاب للمؤمنين (والله

سخطهم لعدم العطاء مطلقا وهذه الآية دالة على انهم غير راضين مع الاعطاء بسبب القلة فبينهما تخالف ويمكن الجواب بان المراد من قوله تعالى فان أعطوا منها رضوا انهم اذا اعطوا العطاء الكثير رضوا وان لم يعطوا ذلك العطاء الكثير سخطوا

ورسوله أحق أن يرضوه) أحق بالارضاء بالطاعة والوفاق وتوحيد الضمير لتلازم الرضاءين أولان الكلام فى ايذاء الرسول صلى الله عليه وسلم وارضائه أولان التقدير والله أحق أن يرضوه والرسول كذلك (ان كانوا مؤمنين) صدقا (ألم يعلموا أنه) أن الشأن وقرئ بالتاء (من يحادد الله ورسوله) يشاقق مفاعلة من الحد (فان له نار جهنم خالدا فيها) على حذف الخبر أى فحق ان له أو على تكرير ان للتأكيد و يحتمل أن يكون معطوفا على أنه و يكون الجواب محذوفا تقديره من يحادد الله ورسوله يهلك وقرئ فان بالكسر (ذلك الخزى العظيم) يعنى الهلاك الدائم (يحذر المنافقون أن تنزل عليهم) على المؤمنين (سورة تنبئهم بما فى قلوبهم) وتهتك عليهم أستارهم و يجوز أن تكون الضمائر للمنافقين فان النازل فيهم كالنازل عليهم من حيث انه مقروء ومحتج به عليهم وذلك يدل على ترددهم أيضا فى كفرهم وانهم لم يكونوا على بت فى أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بشئ وقيل انه خبر فى معنى الامر وقيل كانوا يقولونه فيما بينهم استهزاء لقوله (قل استهزؤا ان الله مخرج) مبرز أومظهر (ما تحذرون) أى ما تحذرونه من انزال السورة فيكم أو ما تحذرون اظهاره من مساويكم (ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب) روى أن ركب المنافقين مروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد أن يفتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فأخبر الله تعالى به نبيه فدعاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا لا والله ما كنا فى شئ من أمرك وأمر أصحابك ولكن كنا فى شئ مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر (قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن) توبيخا على استهزائهم بمن لا يصح الاستهزاء به والزاما للحجة عليهم ولا تعبأ باعتذارهم الكاذب (لا تعتذروا) لا تشتغلوا باعتذاراتكم فانها معلومة الكذب (قد كفرتم) قد أظهرتم الكفر بايذاء الرسول صلى الله عليه وسلم والطعن فيه (بعد ايمانكم) بعد اظهاركم الايمان (ان يعف عن طائفة منكم) لتوبتهم واخلاصهم أولتجنبهم عن الايذاء والاستهزاء (تعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين) مصرين على النفاق أومقدمين على الايذاء والاستهزاء وقرأ عاصم بالنون فيهما وقرئ بالياء و بناء الفاعل فيهما وهو الله وان تعف بالتاء والبناء على المفعول ذهابا الى المعنى كأنه قال ان ترحم طائفة (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض) أى متشابهة فى النفاق والبعد عن الايمان كابعاض الشئ الواحد وقيل انه تكذيب لهم فى حلفهم بالله انهم لمنكم وتقرير لقوله وما هم منكم وما بعده كالدليل عليه فانه يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين وهو قوله (يأمرون بالمنكر) بالكفر والمعاصى (و ينهون عن المعروف) عن الايمان والطاعة (و يقبضون أيديهم) عن المبار وقبض اليد كناية عن الشح (نسوا الله) أغفلوا ذكر الله وتركوا طاعته (فنسيهم) فتركهم من لطفه وفضله (ان المنافقين هم الفاسقون) الكاملون فى التمرد والفسوق عن دائرة الخير (وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها) مقدرين الخلود (هى حسبهم) عقابا وجزاء وفيه دليل على عظم عذابها (ولعنهم الله) أبعدهم من رحمته وأهانهم (ولهم عذاب مقيم) لا ينقطع والمراد به ما وعدوه أو ما يقاسونه من تعب النفاق (كالذين من قبلكم) أى أنتم مثل الذين أوفعلتم مثل فعل الذين من قبلكم (كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا) بيان لتشبيههم بهم وتمثيل حالهم بحالهم (فاستمتعوا بخلاقهم) نصيبهم من ملاذ الدنيا واشتقاقه من الخلق بمعنى التقدير فانه ما قدر لصاحبه (فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم) ذم الاولين باستمتاعهم بحظوظهم المخدجة من

(قوله الواحد مختلفة) كابعاض الشخص الانسانى مثلا

الشهوات الفانية والتهائهم بها عن النظر فى العاقبة والسعى فى تحصيل اللذائذ الحقيقية تمهيدا لذم المخاطبين بمشابهتهم واقتفاء أثرهم (وخضتم) ودخلتم فى الباطل (كالذى خاضوا) كالذين خاضوا أو كالفوج الذى خاضوا أو كالخوض الذى خاضوه (أولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة) لم يستحقوا عليها ثوابا فى الدارين (وأولئك هم الخاسرون) الذين خسروا الدنيا والآخرة (ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح) أغرقوا بالطوفان (وعاد) أهلكوا بالريح (وثمود) أهلكوا بالرجفة (وقوم ابراهيم) أهلك نمروذ ببعوض وأهلك أصحابه (وأصحاب مدين) وأهل مدين وهم قوم شعيب أهلكوا بالنار يوم الظلة (والمؤتفكات) قريات قوم لوط ائتفكت بهم أى انقلبت بهم فصار عاليها سافلها وأمطروا حجارة من سجيل وقيل قريات المكذبين المتمردين وائتفا كهن انقلاب أحوالهن من الخير الى الشر (أتتهم رسلهم) يعنى الكل (بالبينات فما كان الله ليظلمهم) أى لم يك من عادته ما يشابه ظلم الناس كالعقوبة بلا جرم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) حيث عرضوها للعقاب بالكفر والتكذيب (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) فى مقابلة قوله المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض (يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله) فى سائر الامور (أولئك سيرحمهم الله) لامحالة فان السين مؤكدة للوقوع (ان الله عزيز) غالب على كل شئ لا يمتنع عليه ما يريده (حكيم) يضع الاشياء مواضعها (وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة) تستطيبها النفس أو يطيب فيها العيش وفى الحديث انها قصور من اللؤلؤ والزبرجد والياقوت الاحمر (فى جنات عدن) اقامة وخلود وعنه عليه الصلاة والسلام عدن دار الله التى لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك ومرجع العطف فيها يحتمل أن يكون الى تعدد الموعود لكل واحد أو للجميع على سبيل التوزيع أو الى تغاير وصفه فكأنه وصفه أولا بأنه من جنس ما هو أبهى الاماكن التى يعرفونها لتميل اليه طباعهم أول ما يقرع أسماعهم ثم وصفه بأنه محفوف بطيب العيش معرى عن شوائب الكدورات التى لا تخلو عن شئ منها أماكن الدنيا وفيها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين ثم وصفه بأنه دار اقامة وثبات فى جوار عليين لا يعتريهم فيها فناء ولا تغير ثم وعدهم بما هو أكبر من ذلك فقال (ورضوان من الله أكبر) لانه المبدأ لكل سعادة وكرامة والمؤدى الى نيل الوصول والفوز باللقاء وعنه صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول لأهل الجنة هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك فيقول أنا أعطيكم أفضل من ذلك فيقولون وأى شئ أفضل من ذلك فيقول أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم أبدا (ذلك) أى الرضوان أو جميع ما تقدم (هو الفوز العظيم) الذى تستحقر دونه الدنيا وما فيها (يا أيها النبى جاهد الكفار) بالسيف (والمنافقين) بالزام الحجة واقامة الحدود (واغلظ عليهم) فى ذلك ولا تحابهم (ومأواهم جهنم وبئس المصير) مصيرهم (يحلفون بالله ما قالوا) روى أنه صلى الله عليه وسلم أقام فى غزوة تبوك

بعض فى مقابلة قوله والمنافقون والمنافقات بعضهم من بعض) فانه يفيد كون بعضهم من بعض مع شئ آخر هو ولاية بعضهم لبعض وانما لم يقل والمنافقون والمنافقات بعضهم أولياء بعض للاشعار بان ولايتهم كالعدم (قوله ثلاثة النبيون الخ) هذا الحديث يخالف ظاهر القرآن لان ظاهره حكمه بان جنات عدن لجميع المؤمنين والمؤمنات وتخصيص المؤمنين بالبعض المذكور فى الحديث لا يلائم الآية المتقدمة من اطلاق المؤمنين فى الحكم وهو كون بعضهم أولياء بعض واذا قيل هو توزيع ماذكر على المؤمنين كما هو الاحتمال الثانى من الاحتمالات التى ذكرها لم يرد شئ وهذا يرجح هذا الاحتمال وعلى الاحتمالين الاخيرين يقال ان الحديث مخصص للآية (قوله ومرجع العطف فيها الخ) يعنى عطف مساكن طيبة على جنات المذكور اما باعتبار تغايرهما بالذات بان تكون المساكن غير الجنات كما ورد فى الحديث انها قصور من اللؤلؤ وغيره وهذا يحتمل احتمالين أحدهما ان لكل واحد من المؤمنين جنات ومساكن طيبة لثانى أن تكون الجنات والمساكن لجميع المؤمنين على التوزيع بان يكون الجنات المذكورة لبعضهم ومساكن طيبة للآخرين أو باعتبار تغاير الوصف بأن تكون الجنات والمساكن متحدين بالذات والعطف باعتبار تغاير الوصف

تبوك شهر ين ينزل عليه القرآن و يعيب المتخلفين فقال الجلاس بن سويد لئن كان مايقول محمد لاخوا تنا حقا لنحن شر من الحمير فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحضره فحلف بالله ماقاله فنزلت فتاب الجلاس وحسنت توبته (ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم) وأظهروا الكفر بعد اظهار الاسلام (وهموا بما لم ينالوا) من فتك الرسول وهو أن خمسة عشر منهم توافقوا عند مرجعه من تبوك أن يدفعوه عن راحلته الى الوادي اذا تسنم العقبة بالليل فاخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينما هما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع أخفاف الابل وقعقعة السلاح فقال اليكم اليكم يا أعداء الله فهربوا أو اخراجه واخراج المؤمنين من المدينة أو بان يتوجوا عبد الله بن أبي وان لم يرض رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما نقموا) وما أنكروا أو ماوجدوا ما يورث نقمتهم (الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله) فان أكثر أهل المدينة كانوا محاويج فى ضنك من العيش فلما قدمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته اثنى عشر ألفا فاستغنى والاستثناء مفرغ من أعم المفاعيل أو العلل (فان يتوبوا يك خيرا لهم) وهو الذي حمل الجلاس على التوبة والضمير في يك للتوب (وان يتولوا) بالاصرار على النفاق (يعذبهم الله عذابا أليما فى الدنيا والآخرة) بالقتل والنار (وما لهم فى الارض من ولى ولا نصير) فينجيهم من العذاب (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين) نزلت فى ثعلبة بن حاطب أتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ادع الله أن يرزقني مالا فقال عليه الصلاة والسلام يا ثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقنى الله مالا لاعطين كل ذى حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمي الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه الكتاب الذى فيه الفرائض فقال ماهذه الا جزية ماهذه الا أخت الجزية فارجعا حتى أرى رأيي فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله منعني أن أقبل منك فجعل يحثو التراب على رأسه فقال هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء بها الى أبي بكر رضى الله تعالى عنه فلم يقبلها ثم جاء بها الى عمر رضى الله تعالى عنه فى خلافته فلم يقبلها وهلك فى زمان عثمان رضى الله تعالى عنه (فلما آتاهم من فضله بخلوا به) منعوا حق الله منه (وتولوا) عن طاعة الله (وهم معرضون) وهم قوم عادتهم الاعراض عنها (فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم) أى فجعل الله عاقبة فعلهم ذلك نفاقا وسوء اعتقاد فى قلوبهم ويجوز أن يكون الضمير للبخل والمعنى فاورثهم البخل نفاقا متمكنا فى قلوبهم (الى يوم يلقونه) يلقون الله بالموت أو يلقون عملهم أى جزاءه وهو يوم القيامة (بما أخلفوا الله ماوعدوه) بسبب اخلافهم ماوعدوه من التصدق والصلاح (وبما كانوا يكذبون) وبكونهم كاذبين فيه فان خلف الوعد متضمن للكذب مستقبح من الوجهين أو المقال مطلقا وقرئ يكذبون بالتشديد (ألم يعلموا) أى المنافقون أو من عاهد الله وقرئ بالتاء على الالتفات (أن الله يعلم سرهم) ما أسروه فى أنفسهم من النفاق أو العزم على الاخلاف (ونجواهم) وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن أو تسمية الزكاة جزية (وأن الله علام الغيوب) فلا يخفى عليه ذلك (الذين يلمزون) ذم مرفوع أو منصوب أو بدل من الضمير فى سرهم وقرئ يلمزون بالضم (المطوعين)

(قوله والاستثناء مفرغ من أعم المفاعيل أو العلل) الاول بتقدير أن يكون المعنى ماوجدوا ما يورث نقمتهم أى ماوجدوا اشيأ يورث نقمتهم الا أن أغناهم الله ورسوله والثاني بتقدير أن يكون المعنى مانقموا لشئ من الاشياء الا للاغناء المذكور (قوله فأورثهم البخل نفاقا الخ) انما ورث البخل النفاق لانه يوجب كراهة حكم الله و رسوله بالتصدق وهو كفر فيجب النفاق عند خوف اظهار الكفر (قوله أو يلقون عملهم أو جزاءه وهو يوم القيامة) هذا يدل على ان القلب وهو الروح الانساني باق بعد الموت والصفات الكسبية فى الدنيا باقية فيه أيضا (قوله مستقبح من الوجهين) أحدهما الكذب والآخر خلف الوعد (قوله أو المقال مطلقا الخ) يعنى يمكن ان يحمل كذبهم على اخلاف الوعد فانه اخلاف وكذب وهذان هما الوجهان اللذان أشار اليهما المصنف بقوله مستقبح من الوجهين وأن يحمل على الكذب مطلقا أعم من أن يكون كذبا على وجه الاخلاف أو غيره

المتطوعين (من المؤمنين فى الصدقات) روى أنه صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن ابن عوف باربعة آلاف درهم وقال كان لى ثمانية آلاف درهم فأقرضت ربى أربعة وأمسكت لعيالى أربعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت فبارك الله له حتى صولحت احدى امرأتيه عن نصف الثمن على ثمانين ألف درهم وتصدق عاصم بن عدى بمائة وسق من تمر وجاء أبو عقيل الانصارى بصاع تمر فقال بت ليلتى أجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالى وجئت بصاع فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما أعطى عبد الرحمن وعاصم الارياء ولقد كان الله ورسوله لغنيين عن صاع أبى عقيل ولكنه أحب أن يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت (والذين لايجدون الاجهدهم) الاطاقتهم وقرئ بالفتح وهو مصدر جهد فى الامر اذا بالغ فيه (فيسخرون منهم) يستهزؤن بهم (سخر الله منهم) جازاهم على سخريتهم كقوله تعالى الله يستهزئ بهم (ولهم عذاب أليم) على كفرهم (استغفر لهم أولا تستغفر لهم) يريد به التساوى بين الامرين فى عدم الافادة لهم كما نص عليه بقوله (ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم) روى أن عبد الله بن عبد الله بن أبى وكان من المخلصين سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرض أبيه أن يستغفر له ففعل عليه الصلاة والسلام فنزلت فقال عليه الصلاة والسلام لازيدن على السبعين فنزلت سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم وذلك لانه عليه الصلاة والسلام فهم من السبعين العدد المخصوص لانه الاصل فجوّز أن يكون ذلك حدا يخالفه حكم ماوراءه فبين له أن المراد به التكثير دون التحديد وقد شاع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة ونحوها فى التكثير لاشتمال السبعة على جملة أقسام العدد فكأنه العدد باسره (ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله) اشارة الى أن اليأس من المغفرة وعدم قبول استغفارك ليس لبخل منا ولا قصور فيك بل لعدم قابليتهم بسبب الكفر الصارف عنها (والله لايهدى القوم الفاسقين) المتمردين فى كفرهم وهو كالدليل على الحكم السابق فان مغفرة الكافر بالاقلاع عن الكفر والارشاد الى الحق والمنهمك فى كفره المطبوع عليه لاينقلع ولايهتدى والتنبيه على عذر الرسول فى استغفاره وهو عدم يأسه من ايمانهم مالم يعلم أنهم مطبوعون على الضلالة والممنوع هو الاستغفار بعد العلم لقوله تعالى ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ماتبين لهم أنهم أصحاب الجحيم (فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله) بقعودهم عن الغزو خلفه يقال أقام خلاف الحى أى بعدهم ويجوز أن يكون بمعنى المخالفة فيكون انتصابه على العلة أو الحال (وكرهوا أن يجاهدوا باموالهم وأنفسهم فى سبيل الله) ايثارا للدعة والخفض على طاعة الله وفيه تعريض بالمؤمنين الذين آثروا عليها تحصيل رضاه ببذل الاموال والمهج (وقالوا لاتنفروا فى الحر) أى قال بعضهم لبعض أو قالوه للمؤمنين تثبيطا (قل نار جهنم أشد حرا) وقد آثرتموها بهذه المخالفة (لو كانوا يفقهون) أن ما آبهم اليها أو أنها كيف هى ما اختاروها بايثار الدعة على الطاعة (فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون) اخبار عما يؤل اليه حالهم فى الدنيا والآخرة أخرجه على صيغة الامر للدلالة على أنه حتم واجب ويجوز أن يكون الضحك والبكاء كنايتين عن السرور والغم والمراد من القلة العدم (فان رجعك الله الى طائفة منهم) فان ردك الى المدينة وفيها طائفة من المتخلفين يعنى منافقيهم فان كلهم لم يكونوا منافقين أو من بقى منهم وكان المتخلفون اثنى عشر رجلا

صاحب الكشاف أنه صلى الله عليه وسلم خيل للسامع أنه يفهم العدد المخصوص دون التكثير فجوز الاجابة بالزيادة قصدا الى اظهار الرأفة والرحمة (قوله على جملة أقسام العدد فكأنه العدد باسره) لاشتماله على الزوج وهو الاثنان وزوج الفرد وهو الستة وزوج الزوج وهو الاربعة والفرد وهو الثلاثة بخلاف الستة فانها لاتشتمل على زوج الفرد بل هو بعينها زوج الفرد تأمل وقال بعضهم ان السبعة عدد كامل لاشتمالها على الزوج والفرد الاوّلين (قوله فيكون انتصابه على العلة أو الحال) فعلى الاوّل معناه بمخالفة رسول الله وعلى الثانى معناه مخالفين لرسول الله (قوله للدلالة على أنه حتم واجب) لان أصل الامر الوجوب (قوله والمراد من القلة العدم) لاحاجة الى جعل القلة بمعنى العدم بل المعنى يضحكون قليلا فى الدنيا ويبكون أو يغتمون كثيرا فى الآخرة (قوله فان كلهم لم يكونوا منافقين) أى كل المتخلفين ليسوا منافقين فان قيل فكيف قالوا كلهم لاتنفروا فى الحر وكيف قيل فى شأنهم قل نار جهنم أشد حرا قلنا العل صدور الفعل المذكور من بعض المؤمنين لا انكارا بل للدعة والراحة ولما صاروا مخالفين للرسول فى أمر الجهاد صاروا احقاء بالنار كما قال المصنف وقد آثرتموها بهذه المخالفة الا ان تاب الله على

فاستأذنوك

(فاستأذنوك للخروج) الى غزوة أخرى بعد تبوك (فقل لن تخرجوا معى أبدا ولن تقاتلوا معى عدوّا) اخبار فى معنى النهى للمبالغة (انكم رضيتم بالقعود أول مرة) تعليل له وكان اسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم وأول مرة هى الخرجة الى غزوة تبوك (فاقعدوا مع الخالفين) أى المتخلفين لعدم لياقتهم للجهاد كالنساء والصبيان وقرئ مع الخلفين على قصر الخالفين (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا) روى أن عبد الله بن أبى دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه فلما دخل عليه سأله أن يستغفر له ويكفنه فى شعاره الذى يلى جسده ويصلى عليه فلما مات أرسل قيصه ليكفن فيه وذهب ليصلى عليه فنزلت وقيل صلى عليه ثم نزلت وانما لم ينه عن التكفين فى قيصه ونهى عن الصلاة عليه لان الضن بالقميص كان مخلا بالكرم ولانه كان مكافأة لالباسه العباس قيصه حين أسر ببدر والمراد من الصلاة الدعاء للميت والاستغفار له وهو ممنوع فى حق الكافر ولذلك رتب النهى على قوله مات أبدا يعنى الموت على الكفر فان احياء الكافر للتعذيب دون التمتع فكأنه لم يحى (ولا تقم على قبره) ولا تقف عند قبره للدفن أو الزيارة (انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون) تعليل للنهى أو لتأبيد الموت (ولا تعجبك أموالهم وأولادهم انما يريد الله أن يعذبهم بها فى الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون) تكرير للتأكيد والامر حقيق به فان الابصار طامحة الى الاموال والاولاد والنفوس مغتبطة عليها ويجوز أن تكون هذه فى فريق غير الاول (واذا أنزلت سورة) من القرآن ويجوز أن يراد بها بعضها (أن آمنوا بالله) بان آمنوا بالله ويجوز أن تكون أن المفسرة (وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولو الطول منهم) ذوو الفضل والسعة (وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين) الذين قعدوا لعذر (رضوا بان يكونوا مع الخوالف) مع النساء جمع خالفة وقد يقال الخالفة للذى لاخير فيه (وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون) ما فى الجهاد وموافقة الرسول من السعادة وما فى التخلف عنه من الشقاوة (لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا باموالهم وأنفسهم) أى ان تخلف هؤلاء ولم يجاهدوا فقد جاهد من هو خير منهم (وأولئك لهم الخيرات) منافع الدارين النصر والغنيمة فى الدنيا والجنة والكرامة فى الآخرة وقيل الحور لقوله تعالى فيهن خيرات حسان وهى جمع خيرة تخفيف خيرة (وأولئك هم المفلحون) الفائزون بالمطالب (أعد الله لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم) بيان لما لهم من الخيرات الاخروية (وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم) يعنى أسدا وغطفان استأذنوا فى التخلف معتذرين بالجهد وكثرة العيال وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك أغارت طيئ على أهالينا ومواشينا والمعذر اما من عذر فى الامر اذا قصر فيه موهما أن له عذرا ولا عذر له أو من اعتذر اذا مهد العذر بادغام التاء فى الذال ونقل حركتها الى العين ويجوز كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها للاتباع لكن لم يقرأ بهما وقرأ يعقوب المعذرون من أعذر اذا اجتهد فى العذر وقرئ المعذرون بتشديد العين والذال على أنه من تعذر بمعنى اعتذر وهو لحن اذ التاء لا تدغم فى العين وقد اختلف فى أنهم كانوا معتذرين بالتصنع أو بالصحة فيكون قوله (وقعد الذين كذبوا الله ورسوله) فى غيرهم وهم منافقو الاعراب كذبوا الله ورسوله فى ادعاء الايمان وان كانوا هم الاولين فكذبهم بالاعتذار (سيصيب الذين كفروا منهم) من الاعراب أو من المعذرين فان منهم من اعتذر لكسله لا لكفره (عذاب أليم) بالقتل والنار (ليس على الضعفاء ولا على المرضى) كالهرمى والزمنى (ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون) لفقرهم كجهينة ومزينة وبنى عذرة (حرج) اثم فى التأخر (اذا نصحوا لله ورسوله) بالايمان

من تاب (قوله تكرير للتأكيد الخ) قدم ما هو فى المعنى قريب من هذه الآية وهى قوله تعالى فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا (قوله والامر حقيق به) أى النهى المذكور حقيق بالتأكيد لما ذكر ويجوز أن يكون لغير التأكيد بان تكون هذه الآية فى شأن جمع غير الجمع المذكور سابقا فى الآية المتقدمة

والطاعة فى السر والعلانية كما يفعل الموالى الناصح أو بما قدروا عليه فعلا أو قولا يعود على الاسلام والمسلمين بالصلاح (ما على المحسنين من سبيل) أى ليس عليهم جناح ولا الى معاتبتهم سبيل وانما وضع المحسنين موضع الضمير للدلالة على أنهم منخرطون فى سلك المحسنين غير معاتبين لذلك (والله غفور رحيم) لهم أو للمسىء فكيف للمحسن (ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم) عطف على الضعفاء أو على المحسنين وهم البكاؤن سبعة من الانصار معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب وسالم بن عمير وثعلبة بن غنمة وعبد الله بن مغفل وعلية بن زيد أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا قد نذرنا الخروج فاحملنا على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة نغز معك فقال عليه السلام لا أجد ما أحملكم عليه فتولوا وهم يبكون وقيل هم بنو مقرن معقل وسويد والنعمان وقيل أبو موسى وأصحابه (قلت لا أجد ما أحملكم عليه) حال من الكاف فى أتوك باضمار قد (تولوا) جواب اذا (وأعينهم تفيض) تسيل (من الدمع) أى دمعا فان من للبيان وهى مع المجرور فى محل النصب على التمييز وهو أبلغ من يفيض دمعها لانه يدل على أن العين صارت دمعا فياضا (حزنا) نصب على العلة أو الحال أو المصدر لفعل دل عليه ما قبله (ألا يجدوا) لئلا يجدوا متعلق بحزنا أو بتفيض (ما ينفقون) فى مغزاهم (انما السبيل) بالمعاتبة (على الذين يستأذنونك وهم أغنياء) ويجدون الاهبة (رضوا بأن يكونوا مع الخوالف) استئناف لبيان ما هو السبب لاستئذانهم من غير عذر وهو رضاهم بالدناءة والانتظام فى جملة الخوالف ايثارا للدعة (وطبع الله على قلوبهم) حتى غفلوا عن وخامة العاقبة (فهم لا يعلمون) مغبته (يعتذرون اليكم) فى التخلف (اذا رجعتم اليهم) من هذه السفرة (قل لا تعتذروا) بالمعاذير الكاذبة لانه (لن نؤمن لكم) لن نصدقكم لانه (قد نبأنا الله من أخباركم) أعلمنا بالوحى الى نبيه بعض أخباركم وهو ما فى ضمائركم من الشر والفساد (وسيرى الله عملكم ورسوله) أتتوبون عن الكفر أم تثبتون عليه فكأنه استتابة وامهال للتوبة (ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة) أى اليه فوضع الوصف موضع الضمير للدلالة على أنه مطلع على سرهم وعلنهم لا يفوت عن علمه شئ من ضمائرهم وأعمالهم (فينبئكم بما كنتم تعملون) بالتوبيخ والعقاب عليه (سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم) فلا تعاتبوهم (فأعرضوا عنهم) ولا توبخوهم (انهم رجس) لا ينفع فيهم التأنيب فان المقصود منه التطهير بالحمل على الانابة وهؤلاء أرجاس لا تقبل التطهير فهو علة للاعراض وترك المعاتبة (ومأواهم جهنم) من تمام التعليل وكأنه قال انهم أرجاس من أهل النار لا ينفع فيهم التوبيخ فى الدنيا والآخرة أو تعليل ثان والمعنى أن النار كفتهم عتابا فلا تتكلفوا عتابهم (جزاء بما كانوا يكسبون) يجوز أن يكون مصدرا وأن يكون علة (يحلفون لكم لترضوا عنهم) بحلفهم فتستديموا عليهم ما كنتم تفعلون بهم (فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين) أى فان رضاكم لا يستلزم رضا الله ورضاكم وحدكم لا ينفعهم اذا كانوا فى سخط الله وبصدد عقابه وان أمكنهم أن يلبسوا عليكم لا يمكنهم أن يلبسوا على الله فلا يهتك سترهم ولا ينزل الهوان بهم والمقصود من الآية النهى عن الرضا عنهم والاغترار بمعاذيرهم بعد الامر بالاعراض وعدم الالتفات نحوهم (الاعراب) أهل البدو (أشد كفرا ونفاقا) من أهل الحضر لتوحشهم وقساوتهم وعدم مخالطتهم لاهل العلم وقلة استماعهم للكتاب والسنة (وأجدر ألا يعلموا) وأحق بأن لا يعلموا (حدود ما أنزل الله على رسوله) من الشرائع فرائضها وسننها (والله عليم) يعلم حال كل أحد من أهل الوبر والمدر (حكيم) فيما يصيب به مسيئهم

ومحسنهم

(قوله تعالى ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم الآية) فيه اشكال اذ يلزم منه أن يكون زمان الاتيان وزمان التولى واحدا لأن اذا ظرف للشرط والجزاء والجواب أن يقال المعنى اذا ما أتوك قلت ما ذكر كان الاتيان حال التولى سببا للتولى المذكور كما قال الرضى فى قولك اذا جئتنى اليوم أكرمك غدا ان المعنى اذا جئتنى اليوم كان سببا لاكرامى لك غدا والاولى أن يقال ان ههنا حرف العطف مقدر على قلت ويكون المعنى ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم وقلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وزمان الاتيان مع القول هو زمان التولى واختاره الرضى (قوله فان من للبيان الخ) تحقيقه ان تفيض العين معناه يفيض شئ من الاشياء من العين فيكون من الدمع بيانا لذلك الشئ المبهم ولذا قال فى محل النصب على التمييز أى بمعنى تفيض دمعا كقولك طاب زيد علما (قوله نصب على العلة الخ) فعلى الاول يكون المعنى تولوا للحزن وعلى الثانى

ومحسنهم عقاباوثوابا (ومن الاعراب من يتخذ) يعد (ماينفق) يصرفه فى سبيل الله و يتصدق به (مغرما) غرامة وخسرانا اذ لايحتسبه قربة عندالله ولا يرجو عليه ثوابا وانما ينفق رياء أوتقية (و يتربص بكم الدوائر) دوائر الزمان ونوبه لينقلب الامر عليكم فيتخلص من الانفاق (عليهم دائرة السوء) اعتراض بالدعاء عليهم بنحو مايتربصون أوالاخبار عن وقوع مايتربصون عليهم والدائرة فى الاصل مصدر أو اسم فاعل من دار يدور وسمى به عقبة الزمان والسوء بالفتح مصدر أضيف اليه للمبالغة كقولك رجل صدق وقرأ ابن كثير وأبو عمرو السوء هنا وفى الفتح بضم السين (والله سميع) لما يقولون عند الانفاق (عليم) بما يضمرون (ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر و يتخذ ماينفق قربات عندالله) سبب قربات وهى ثانى مفعولى يتخذ وعندالله صفتها أو ظرف ليتخذ (وصلوات الرسول) وسبب صلواته لانه صلى الله عليه وسلم كان يدعو للمتصدقين و يستغفر لهم ولذلك سن للمصدق عليه أن يدعو للمتصدق عند أخذ صدقته لكن ليس له أن يصلى عليه كما قال صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل أبى أوفى لانه منصبه فله أن يتفضل به على غيره . (الا انها قربة لهم) شهادة من الله بصحة معتقدهم وتصديق لرجائهم على الاستئناف مع حرف التنبيه وان المحققة للنسبة والضمير لنفقتهم وقرأ ورش قربة بضم الراء (سيدخلهم الله فى رحمته) وعدلهم باحاطة الرحمة عليهم والسين لتحقيقه وقوله (ان الله غفور رحيم) لتقريره وقيل الاولى فى أسد وغطفان و بنى تميم والثانية فى عبدالله ذى البجادين وقومه (والسابقون الاولون من المهاجرين) هم الذين صلوا الى القبلتين أو الذين شهدوا بدرا أو الذين أسلموا قبل الهجرة (والانصار) أهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة وأهل بيعة العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين آمنوا حين قدم عليهم أبو زرارة مصعب بن عمير وقرئ بالرفع عطفا على والسابقون (والذين اتبعوهم باحسان) اللاحقون بالسابقين من القبيلتين أو من اتبعوهم بالايمان والطاعة الى يوم القيامة (رضى الله عنهم) بقبول طاعتهم وارتضاء أعمالهم (ورضوا عنه) بما نالوا من نعمه الدينية والدنيوية (وأعدلهم جنات تجرى تحتها الانهار) وقرأ ابن كثير من تحتها الانهار كما فى سائر المواضع (خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم وممن حولكم) أى وممن حول بلدتكم يعنى المدينة (من الاعراب منافقون) هم جهينة ومزينة وأسلم وأشجع وغفار كانوا نازلين حولها (ومن أهل المدينة) عطف على ممن حولكم أو خبر لمحذوف صفته (مردوا على النفاق) ونظيره فى حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه قوله * أنا ابن جلا وطلاع الثنايا * وعلى الاول صفة للمنافقين فصل بينها و بينه بالمعطوف على الخبر أو كلام مبتدأ لبيان تمرنهم وتمهرهم فى النفاق (لاتعلمهم) لاتعرفهم باعيانهم وهو تقرير لمهارتهم فيه وتنوقهم فى تحامى مواقع التهم الى حد أخفى عليك حالهم مع كمال فطنتك وصدق فراستك (نحن نعلمهم) ونطلع على أسرارهم ان قدروا أن يلبسوا عليك لم يقدروا أن يلبسوا علينا (سنعذبهم مرتين) بالفضيحة والقتل أو بأحدهما وعذاب القبر أو بأخذ الزكاة ونهك الابدان (ثم يردون الى عذاب عظيم) الى عذاب النار (وآخرون اعترفوا بذنوبهم) ولم يعتذروا عن تخلفهم بالمعاذير الكاذبة وهم طائفة من المتخلفين أوثقوا أنفسهم على سوارى المسجد لما بلغهم مانزل فى المتخلفين فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد على عادته فصلى ركعتين فرآهم فسأل عنهم فذكر له أنهم أقسموا أن لايحلوا أنفسهم حتى تحلهم فقال وأنا أقسم أن لاأحلهم حتى أومر فيهم فنزلت فأطلقهم (خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا) خلطوا العمل الصالح الذى هو اظهار الندم والاعتراف بالذنب بآخر سيئ هو التخلف وموافقة أهل النفاق والواو اما بمعنى الباء كما فى قولهم

لايخفى ان الدعاء طلب الشيء من الله تعالى فلا يظهر وجه الدعاء الله تعالى بل الوجه هو ماقاله ثانيا من ان المراد الاخبار عن وقوع مايتربصون عليهم .(قوله لكن ليس له ان يصلى عليه الخ) فيه ان العبارة دلت بحسب الظاهر على انه لا يجوز للمصدق ان يصلى على المتصدق وليس كذلك بل هو جائز (قوله عطف على ممن حولكم .أو خبر محذوف صفته) فعلى الاول يكون المعنى وممن حولكم من الاعراب ومن أهل المدينة منافقون مردوا وعلى الثانى يكون المعنى ومن أهل المدينة جمع مردوا على النفاق خبر ٧ (قوله أنا ابن جلا) التقدير أنا ابن رجل جلا (قوله وتنوقهم فى تحامى مواقع التهم) أى هم واقعون راسخون فى حفظ مواقع التهمة أى يحفظون مواقع التهمة بحيث لا يصل اليها أحد (قوله والواو اما بمعنى الباء كما فى قولهم الخ) اذا كان الواو بمعنى الباء اشكل الامر فى عطف درهما على شاة لانه يلزم منه أن يكون باع الدرهم كما باع الشاة لكن الغرض بيع الشاة واخذ الدرهم وعبارة الزمخشرى قريب من ذلك

ولكن يمكن توجيهه لانه قال هذا من قبيل بعت الشاء شاة ودرهما لانه بمعنى شاة بدرهم فانه لم يصرح فيه بان الواو بمعنى الباء فيمكن أن

بعت الشاء شاة ودرهما أو للدلالة على أن كل واحد منهما مخلوط بالآخر (عسى الله أن يتوب عليهم) أن يقبل توبتهم وهي مدلول عليها بقوله اعترفوا بذنوبهم (ان الله غفور رحيم) يتجاوز عن التائب ويتفضل عليه (خذ من أموالهم صدقة) روى أنهم لما أطلقوا قالوا يارسول الله هذه أموالنا التي خلفتنا فتصدق بها وطهرنا فقال ماأمرت أن آخذ من أموالكم شيأ فنزلت (تطهرهم) من الذنوب أو حب المال المؤدي بهم الى مثله وقرئ تطهرهم من أطهره بمعنى طهره وتطهرهم بالجزم جوابا للامر (وتزكيهم بها) وتنمي بها حسناتهم وترفعهم الى منازل المخلصين (وصل عليهم) واعطف عليهم بالدعاء والاستغفار لهم (ان صلواتك سكن لهم) تسكن اليها نفوسهم وتطمئن بها قلوبهم وجمعها لتعدد المدعو لهم وقرأ حمزة والكسائي وحفص بالتوحيد (والله سميع) باعترافهم (عليم) بندامتهم (ألم يعلموا) الضمير اما للتوب عليهم والمراد أن يمكن في قلوبهم قبول توبتهم والاعتداد بصدقاتهم أو لغيرهم والمراد به التحضيض عليهما (أن الله هو يقبل التوبة عن عباده) اذا صحت وتعديته بعن لتضمنه معنى التجاوز (ويأخذ الصدقات) يقبلها قبول من يأخذ شيأ ليؤدي بدله (وأن الله هو التواب الرحيم) وأن من شأنه قبول توبة التائبين والتفضل عليهم (وقل اعملوا) ماشئتم (فسيرى الله عملكم) فانه لايخفى عليه خيرا كان أو شرا (ورسوله والمؤمنون) فانه تعالى لايخفى عنهم كما رأيتم وتبين لكم (وستردون الى عالم الغيب والشهادة) بالموت (فينبئكم بما كنتم تعملون) بالمجازاة عليه (وآخرون) من المتخلفين (مرجؤن) مؤخرون أي موقوف أمرهم من أرجأته اذا أخرته وقرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص مرجون بالواو وهما لغتان (لأمر الله) في شأنهم (اما يعذبهم) ان أصروا على النفاق (واما يتوب عليهم) ان تابوا والترديد للعباد وفيه دليل على أن كلا الامرين بارادة الله تعالى (والله عليم) باحوالهم (حكيم) فيما يفعل بهم وقرئ والله غفور رحيم والمراد بهؤلاء كعب بن مالك وهلال ابن أمية ومرارة ابن الربيع أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه أن لايسلموا عليهم ولا يكلموهم فلما رأوا ذلك أخلصوا نياتهم وفوضوا أمرهم الى الله فرحمهم الله تعالى (والذين اتخذوا مسجدا) عطف على وآخرون مرجؤن أو مبتدأ خبره محذوف أي وفيمن وصفنا الذين اتخذوا أو منصوب على الاختصاص وقرأ نافع وابن عامر بغير الواو (ضرارا) مضارة للمؤمنين روى أن بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم فأتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوانهم بنو غنم ابن عوف فبنوا مسجدا على قصد أن يؤمهم فيه أبو عامر الراهب اذا قدم من الشام فلما أتموه أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انا قد بنينا مسجدا لذي الحاجة والعلة والليلة المطيرة والشاتية فصل فيه حتى نتخذه مصلى فأخذ ثوبه ليقوم معهم فنزلت فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن والوحشي فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه وأحرقوه ففعل واتخذ مكانه كناسة (وكفرا) وتقوية للكفر الذي يضمرونه (وتفريقا بين المؤمنين) يريد الذين كانوا يجتمعون للصلاة في مسجد قباء (وارصادا) ترقبا (لمن حارب الله ورسوله من قبل) يعني الراهب فانه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد لاأجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين حتى انهزم مع هوازن وهرب الى الشام ليأتي من قيصر بجنود يحارب بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات بقنسرين وحيدا وقيل كان يجمع الجيوش يوم الاحزاب فلما انهزموا خرج الى الشام ومن قبل متعلق بحارب أو باتخذوا أي اتخذوا مسجدا من قبل ان ينافق هؤلاء

يكون غرضه بيان محصل المعنى ويكون أصل المعنى بعت الشاء بعت شاة وأخذت درهما (قوله واما يتوب عليهم ان تابوا والترديد للعباد الخ) تبع فيه صاحب الكشاف حيث قال اما للعباد أي خافوا عليهم العذاب وارجوا لهم الرحمة ولايخفى مافيه من التكلف والاولى أن يقال اما ههنا للتنويع لا للشك والتشكيك يعني أحد الامرين لازم (قوله وفيه دليل على أن كلا الامرين بارادة الله تعالى) أي في الترديد المذكور دليل على ماذكر لانه لولم يكن الله تعالى مريدا بل فعله بحسب الايجاب لابالارادة كما هو زعم الفلاسفة لوجب تعين أحدهما ولاوجه للترديد (قوله عطف على وآخرون مرجون) اعلم ان آخرون مرجون عطف على وآخرون منافقون فيكون المعنى وممن حولكم من الاعراب منافقون وآخرون والذين اتخذوا مسجدا (قوله أو منصوب على الاختصاص) والمعنى ذم الذين اتخذوا (قوله وبغير الواو) يحتمل أن يكون بتقدير الواو عند من يجوز حذفها كأبي علي الفارسي

بالتخلف لما روى أنه بنى قبيل غزوة تبوك فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيه فقال اناعلى جناح سفر واذاقدمنا ان شاء الله صلينا فيه فلما اقفل كررعليه فنزلت (وليحلفن ان أردنا الاالحسنى) ماأردنا ببنائه الا الخصلة الحسنى أو الارادة الحسنى وهى الصلاة والذكر والتوسعة على المصلين (والله يشهد انهم لكاذبون) فى حلفهم (لاتقم فيه أبدا) للصلاة (لمسجد أسس على التقوى) يعنى مسجد قباء أسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه أيام مقامه بقباء من الاثنين الى الجمعة لانه أوفق للقصة أومسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول أبى سعيد رضى الله عنه سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة (من أول يوم) من أيام وجوده ومن يعم الزمان والمكان كقوله

لمن الديار بقنة الحجر * أقوين من حجج ومن دهر

(أحق أن تقوم فيه) أولى بان تصلى فيه (فيه رجال يحبون أن يتطهروا) من المعاصى والخصال المذمومة طلبا لمرضاة الله سبحانه وتعالى وقيل من الجنابة فلا ينامون عليها (والله يحب المطهرين) يرضى عنهم ويدنيهم من جنابه تعالى ادناء المحب حبيبه قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقال عليه الصلاة والسلام أمؤمنون أنتم فسكتوا فأعادها فقال عمر انهم مؤمنون وأنا معهم فقال عليه الصلاة والسلام أترضون بالقضاء قالوا نعم قال عليه الصلاة والسلام أتصبرون على البلاء قالوا نعم قال أتشكرون فى الرخاء قالوا نعم فقال صلى الله عليه وسلم أنتم مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يامعشر الانصار ان الله عز وجل قد أثنى عليكم فما الذى تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يارسول الله نتبع الغائط الاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا فيه رجال يحبون أن يتطهروا (أفمن أسس بنيانه) بنيان دينه (على تقوى من الله و رضوان خير) على قاعدة محكمة هى التقوى من الله وطلب مرضاته بالطاعة (أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار) على قاعدة هى أضعف القواعد وأرخاها (فانهار به فى نار جهنم) فأدى به لخوره وقلة استمساكه الى السقوط فى النار وانما وضع شفا الجرف وهو ما جرفه الوادى الهائر فى مقابلة التقوى تمثيلا لما بنوا عليه أمر دينهم فى البطلان وسرعة الانطماس ثم رشحه بانهياره به فى النار و وضعه فى مقابلة الرضوان تنبيها على ان تاسيس ذلك على أمر يحفظه من النار و يوصله الى رضوان الله ومقتضياته التى الجنة أدناها وتاسيس هذا على ماهم بسببه على صدد الوقوع فى النار ساعة فساعة ثم ان مصيرهم الى النار لامحالة وقرأ نافع وابن عامر أسس على البناء للمفعول وقرئ أساس بنيانه وأس بنيانه على الاضافة وأسس وآساس بالفتح والمد واساس بالكسر وثلاثتها جمع أس وتقوى بالتنوين على ان الالف للالحاق لاللتأنيث كتترى وقرأ ابن عامر وحمزة وأبو بكر جرف بالتخفيف (والله لايهدى القوم الظالمين) الى ما فيه صلاحهم ونجاتهم (لايزال بنيانهم الذى بنوا) بناؤهم الذى بنوه مصدر أريد به المفعول وليس بجمع ولذلك قد تدخله التاء و وصف بالمفرد وأخبر عنه بقوله (ريبة فى قلوبهم) أى شكا ونفاقا والمعنى أن بناءهم هذا لايزال سبب شكهم وتزايد نفاقهم فانه حملهم على ذلك ثم لما هدمه الرسول صلى الله عليه وسلم رسخ ذلك فى قلوبهم وازداد بحيث لايزول وسمه عن قلوبهم (الاأن تقطع قلوبهم) قطعا بحيث لايبقى لها قابلية الادراك والاضمار وهو فى غاية المبالغة والاستثناء من أعم الازمنة وقيل المراد بالتقطع ماهو كائن بالقتل أو فى القبر أو فى النار وقيل التقطع بالتوبة ندما وأسفا وقرأ يعقوب الى بحرف الانتهاء وتقطع بمعنى تتقطع وهو قراءة ابن عامر وحمزة وحفص وقرئ يقطع بالياء و تقطع بالتخفيف وتقطع قلوبهم على

ويحتمل أن يكون جملة مستقلة منفردة لذم المتخذين تقريرا لذم المنافقين (قوله بانه أوفق القصة) أى القصة التى ذكرت قبل ذلك وهى قوله فى تفسير مسجد الضرار روى ان بنى عمرو بن عوف الخ

خطاب الرسول أو كل مخاطب ولو قطعت ولو قطعت على البناء للفاعل والمفعول (والله عليم) بنياتهم (حكيم) فيما أمر بهدم بنيانهم (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة) تمثيل لاثابة الله اياهم الجنة على بذل أنفسهم وأموالهم فى سبيله (يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون) استئناف ببيان مالاجله الشراء وقيل يقاتلون فى معنى الامر وقرأ حمزة والكسائى بتقديم المبنى للمفعول وقد عرفت ان الواو لا توجب الترتيب وأن فعل البعض قد يسند الى الكل (وعدا عليه حقا) مصدر مؤكد لما دل عليه الشراء فانه فى معنى الوعد (فى التوراة والانجيل والقرآن) مذكورا فيهما كما أثبت فى القرآن (ومن أوفى بعهده من الله) مبالغة فى الانجاز وتقرير لكونه حقا (فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به) فافرحوا به غاية الفرح فانه أوجب لكم عظائم المطالب كما قال (وذلك هو الفوز العظيم التائبون) رفع على المدح أى هم التائبون والمراد بهم المؤمنون المذكورون ويجوز أن يكون مبتدأ خبره محذوف تقديره التائبون من أهل الجنة وان لم يجاهدوا لقوله وكلا وعد الله الحسنى أو خبره ما بعده أى التائبون عن الكفر على الحقيقة هم الجامعون لهذه الخصال وقرئ بالياء نصبا على المدح أو جرا صفة للمؤمنين (العابدون) الذين عبدوا الله مخلصين له الدين (الحامدون) لنعمائه أو لما نابهم من السراء والضراء (السائحون) الصائمون لقوله صلى الله عليه وسلم سياحة أمتى الصوم شبه بها لانه يعوق عن الشهوات أولانه رياضة نفسانية يتوصل بها الى الاطلاع على خفايا الملك والملكوت أو السائحون للجهاد أو لطلب العلم (الراكعون الساجدون) فى الصلاة (الآمرون بالمعروف) بالايمان والطاعة (والناهون عن المنكر) عن الشرك والمعاصى والعاطف فيه للدلالة على أنه بما عطف عليه فى حكم خصلة واحدة كأنه قال الجامعون بين الوصفين وفى قوله تعالى (والحافظون لحدود الله) أى فيما بينه وعينه من الحقائق والشرائع للتنبيه على أن ما قبله مفصل الفضائل وهذا مجملها وقيل انه للايذان بان التعداد قد تم بالسابع من حيث ان السبعة هو العدد التام والثامن ابتداء تعداد آخر معطوف عليه ولذلك سمى واو الثمانية (وبشر المؤمنين) يعنى به هؤلاء الموصوفين بتلك الفضائل ووضع المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه على أن ايمانهم دعاهم الى ذلك وأن المؤمن الكامل من كان كذلك وحذف المبشر به للتعظيم كأنه قيل وبشرهم بما يجل عن احاطة الافهام وتعبير الكلام (ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين) روى أنه صلى الله عليه وسلم قال لأبى طالب لما حضره الوفاة قل كلمة أحاج لك بها عند الله فأبى فقال عليه السلام لا أزال أستغفر لك مالم أنه عنه فنزلت وقيل لما افتتح مكة خرج الى الابواء فزار قبر أمه ثم قام مستعبرا فقال انى استأذنت ربى فى زيارة قبر أمى فأذن لى واستأذنته فى الاستغفار لها فلم يأذن لى وأنزل على الآيتين (ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) بأن ماتوا على الكفر. فيه دليل على جواز الاستغفار لاحيائهم فانه طلب توفيقهم للايمان وبه دفع النقض باستغفار ابراهيم عليه الصلاة والسلام لابيه الكافر فقال (وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه) وعدها ابراهيم أباه بقوله لاستغفرن لك أى لاطلبن مغفرتك بالتوفيق للايمان فانه يجب ما قبله ويدل عليه قراءة من قرأ أباه أو وعدها ابراهيم أبوه وهى الوعد بالايمان (فلما تبين له أنه عدو لله) بان مات على الكفر

وقوله وان فعل البعض الخ جواب آخر وهو انه يمكن أن يكون المقتولية لبعض والقاتلية لبعض آخر وان أسند كل منهما بحسب الظاهر الى الكل فلا ضير فى تقدم المقتولية على القاتلية (قوله والعاطف فيه للدلالة الخ) يعنى ان الواو تشعر بالاتصال وهذان الامران يتصل أحدهما بالآخر ولك أن تقول فالمناسب أن يقال الراكعون والساجدون بالواو لان مجموعهما فى حكم خصلة واحدة كانه قيل الجامعون بين الركوع والسجود والجواب ان الامر بالمعروف يتضمن النهى عن المنكر و بالعكس بخلاف الركوع والسجود فان أحدهما لا يتضمن الآخر وانما قلنا ان الامر بالمعروف متضمن للنهى عن المنكر لان الامر بالشئ نهى عن ضده والنهى عن الشئ أمر بضده (قوله تعالى وبشر المؤمنين) معطوف على مقدر مستفاد من الامور السابقة فكانه قال مرهم بما ذكر وبشر المؤمنين قبل (قوله بان ماتوا على الكفر) هذا التخصيص ليس بنئ كما ينبغى اذ يمكن أن يتبين النبى كون شخص معين من أصحاب الجحيم بالوحى وعلة التخصيص ان الآية نزلت فى استغفار النبى صلى الله عليه وسلم لأبى طالب بعد موته او

او اوحى اليه بانه لن يؤمن (تبرأ منه) قطع استغفاره (ان ابراهيم لاوّاه) لكثير التأوه وهو كناية عن فرط ترحمه ورقة قلبه (حليم) صبور على الأذى والجملة لبيان ما حمله على الاستغفار له مع شكاسته عليه (وما كان الله ليضل قوما) أى ليسميهم ضلالا ويؤاخذهم مؤاخذتهم (بعد اذ هداهم) للاسلام (حتى يبين لهم ما يتقون) حتى يبين لهم حظر ما يجب تقاؤه وكأنه بيان عذر الرسول عليه الصلاة والسلام فى قوله لعمه أولمن استغفر لاسلافه المشركين قبل المنع وقيل انه فى قوم مضوا على الأمر الاول فى القبلة والخمر ونحو ذلك وفى الجملة دليل على أن الغافل غير مكلف (ان الله بكل شئ عليم) فيعلم أمرهم فى الحالين (ان الله له ملك السموات والأرض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير) لما منعهم عن الاستغفار للمشركين وان كانوا أولى قربى وتضمن ذلك وجوب التبرؤ عنهم رأسا بين لهم ان الله مالك كل موجود ومتولى أمره والغالب عليه ولا يتأتى لهم ولاية ولا نصرة الامنه ليتوجهوا بشراشرهم اليه ويتبرؤا مما عداه حتى لا يبقى لهم مقصود فيما يأتون ويذرون سواه (لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والانصار) من اذن المنافقين فى التخلف أو برأهم عن علقة الذنوب كقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقيل هو بعث على التوبة والمعنى ما من أحد الا وهو محتاج الى التوبة حتى النبى صلى الله عليه وسلم والمهاجرون والانصار لقوله تعالى وتوبوا الى الله جميعا اذ ما من أحد الا وله مقام يستنقص دونه ما هو فيه والترقى اليه توبة من تلك النقيصة واظهار لفضلها بانها مقام الانبياء والصالحين من عباده (الذين اتبعوه فى ساعة العسرة) فى وقتها وهى حالهم فى غزوة تبوك كانوا فى عسرة الظهر يعتقب العشرة على بعير واحد والزاد حتى قيل ان الرجلين كانا يقتسمان تمرة والماء حتى شربوا الفظ (من بعد ما كاد تزيغ قلوب فريق منهم) عن الثبات على الايمان أو اتباع الرسول عليه السلام وفى كاد ضمير الشأن أو ضمير القوم والعائد اليه الضمير فى منهم وقرأ حمزة وحفص يزيغ بالياء لان تأنيث القلوب غير حقيقى وقرئ من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يعنى المتخلفين (ثم تاب عليهم) تكرير للتأكيد وتنبيه على أنه تاب عليهم من أجل ما كابدوا من العسرة أو المراد أنه تاب عليهم لكيدودتهم (انه بهم رؤف رحيم وعلى الثلاثة) وتاب على الثلاثة كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع (الذين خلفوا) تخلفوا عن الغزو أو خلف أمرهم فانهم المرجؤن (حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت) أى برحبها لاعراض الناس عنهم بالكلية وهو مثل لشدة الحيرة (وضاقت عليهم أنفسهم) قلوبهم من فرط الوحشة والغم بحيث لا يسعها أنس ولا سرور (وظنوا) وعلموا (أن لا ملجأ من الله) من سخطه (الا اليه) الا الى استغفاره (ثم تاب عليهم) بالتوفيق للتوبة (ليتوبوا) أو أنزل قبول توبتهم ليعدوا من جملة التائبين أو رجع عليهم بالقبول والرحمة مرة بعد أخرى ليستقيموا على توبتهم (ان الله هو التواب) لمن تاب ولو عاد فى اليوم مائة مرة (الرحيم) المتفضل عليهم بالنعم (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) فيما لا يرضاه (وكونوا مع الصادقين) فى ايمانهم وعهودهم أو فى دين الله نية وقولا وعملا وقرئ من الصادقين أى فى توبتهم وانابتهم فيكون المراد به هؤلاء الثلاثة وأضرابهم (ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب أن يتخلفوا عن رسول الله) نهى عبر عنه بصيغة النفى للمبالغة (ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه) ولا يصونوا أنفسهم عما لم يصن نفسه عنه ويكابدوا معه ما يكابده من الأهوال روى أن أبا خيثمة بلغ بستانه وكانت له زوجة حسناء فرشت له فى الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله صلى

(قوله وفى الجملة دليل على ان الغافل غير مكلف) فالمراد من الغافل من لم يصل اليه أمر النبى بالتكاليف اذ يعلم من الآيات ان من كان كذلك لم يسم ضالا ولا يؤاخذ مؤاخذته (قوله أو برأهم عن علقة الذنوب) فيكون المراد بالذنب ما يكون نقصا بالنسبة الى الشخص أعم من ترك الاولى (قوله وقيل هو بعث على التوبة) لك أن تقول قوله لقد تاب معناه قبول التوبة عنهم فيما مضى فهو يدل على قبول توبتهم سابقا لا على بعثهم على التوبة فالجواب ان القائل المذكور لعله جعل الماضى بمعنى المضارع للاشعار بتحقق وقوعه فكان تاب بمعنى يتوب فصح جعله باعثا على التوبة (قوله وتاب على الثلاثة) انما قدر تاب ههنا لأن تاب المذكور أولا هو التوبة عن الاذن فى التخلف والتوبة على الثلاثة ليست كذلك

الله عليه وسلم فى الضح والريح ماهذا بخير فقام فرحل ناقته وأخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب فقال كن أباخيثمة فكانه ففرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستغفر له وفى لا يرغبوا يجوز النصب والجزم (ذلك) اشارة الى مادل عليه قوله ما كان من النهى عن التخلف أو وجوب المشايعة (بأنهم) بسبب أنهم (لا يصيبهم ظمأ) شئ من العطش (ولا نصب) تعب (ولا مخمصة) مجاعة (فى سبيل الله ولا يطؤن) ولا يدوسون (موطئا) مكانا (يغيظ الكفار) يغضبهم وطؤه (ولا ينالون من عدو نيلا) كالقتل والاسر والنهب (الا كتب لهم به عمل صالح) الا استوجبوا به الثواب وذلك مما يوجب المشايعة (ان الله لا يضيع أجر المحسنين) على احسانهم وهو تعليل لكتب وتنبيه على أن الجهاد احسان أما فى حق الكفار فلانه سعى فى تكميلهم باقصى ما يمكن كضرب المداوى للمجنون وأما فى حق المؤمنين فلأنه صيانة لهم عن سطوة الكفار واستيلائهم (ولا ينفقون نفقة صغيرة) ولو علاقة (ولا كبيرة) مثل ما أنفق عثمان رضى الله تعالى عنه فى جيش العسرة (ولا يقطعون واديا) فى مسيرهم وهو كل منعرج ينفذ فيه السيل اسم فاعل من ودى اذا سال فشاع بمعنى الأرض (الا كتب لهم) أثبت لهم ذلك (ليجزيهم الله) بذلك (أحسن ما كانوا يعملون) جزاء أحسن أعمالهم أو أحسن جزاء أعمالهم (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) وما استقام لهم أن ينفروا جميعا لنحو غزو أو طلب علم كما لا يستقيم لهم أن يتثبطوا جميعا فانه يخل بأمر المعاش (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة) فهلا نفر من كل جماعة كثيرة كقبيلة وأهل بلدة جماعة قليلة (ليتفقهوا فى الدين) ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا مشاق تحصيلها (ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم) وليجعلوا غاية سعيهم ومعظم غرضهم من الفقاهة ارشاد القوم وانذارهم وتخصيصه بالذكر لانه أهم وفيه دليل على أن التفقه والتذكير من فروض الكفاية وأنه ينبغى أن يكون غرض المتعلم فيه أن يستقيم ويقيم لا الترفع على الناس والتبسط فى البلاد (لعلهم يحذرون) ارادة أن يحذروا عما ينذرون منه واستدل به على أن أخبار الآحاد حجة لان عموم كل فرقة يقتضى أن ينفر من كل ثلاثة تفردوا بقرية طائفة الى التفقه لتنذر فرقتها كى يتذكروا ويحذروا فلو لم يعتبر الاخبار ما لم يتواتر لم يفد ذلك وقد أشبعت القول فيه تقريرا واعتراضا فى كتابى المرصاد وقد قيل للآية معنى آخر وهو أنه لما نزل فى المتخلفين ما نزل سبق المؤمنون الى النفير وانقطعوا عن التفقه فأمروا أن ينفر من كل فرقة طائفة الى الجهاد ويبقى أعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطع التفقه الذى هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة هو الأصل والمقصود من البعثة فيكون الضمير فى ليتفقهوا ولينذروا لبواقى الفرق بعد الطوائف النافرة للغزو وفى رجعوا للطوائف أى ولينذروا البواقى قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا أيام غيبتهم من العلوم (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار) أمروا بقتال الاقرب منهم فالاقرب كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أولا بانذار عشيرته الاقربين فان الاقرب أحق بالشفقة والاستطلاح وقيل هم يهود حوالى المدينة كقريظة والنضير وخيبر وقيل الروم فانهم كانوا يسكنون الشأم وهو قريب من المدينة (وليجدوا فيكم غلظة) شدة وصبرا على القتال وقرئ بفتح الغين وضمها وهما لغتان فيها (واعلموا أن الله مع المتقين) بالحراسة والاعانة (واذا ما أنزلت سورة فمنهم) فمن المنافقين (من يقول) انكارا واستهزاء (أيكم زادته هذه) السورة (ايمانا) وقرئ أيكم بالنصب

(قوله وليجعلوا غاية سعيهم ومعظم غرضهم من الفقاهة ارشاد القوم) فان قيل معظم الغرض من الفقاهة تخليص النفس من العقاب والوصول الى دار القرار وجوار رب الارباب وأما الارشاد فهو وان كان مطلوبا لكن لا يستحق ان يجعل معظم الغرض قلنا المراد معظم الاغراض الحاصلة من الدنيا لكن الاغراض من تخليص النفس وغيره هى الاغراض الحاصله فى الآخرة بقى أن يقال ليس غاية السعى الارشاد بل تكميل النفس ثم الارشاد (قوله لا الترفع على الناس والتبسط فى البلاد) يعنى ذكر ماذكر وترك ذكر غيره يدل على ماذكره (قوله فلو لم يعتبر الاخبار ما لم يتواتر لم يفد ذلك) فيه انه يمكن أن يعتبر الخبر الغير المتواتر ولا يلزم وجوب العمل به فيكون مفيدا

على اضمار فعل يفسره زادته (فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا) بزيادة العلم الحاصل من تدبر السورة وانضمام الايمان بها وبما فيها الى ايمانهم (وهم يستبشرون) بنزولها لانه سبب لزيادة كمالهم وارتفاع درجاتهم (وأما الذين فى قلوبهم مرض) كفر (فزادتهم رجسا الى رجسهم) كفرا بها مضموما الى الكفر بغيرها (وماتوا وهم كافرون) واستحكم ذلك فيهم حتى ماتوا عليه (أولا يرون) يعنى المنافقين وقرئ بالتاء (أنهم يفتنون) يبتلون باصناف البليات أو بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيعاينون مايظهر عليه من الآيات (فى كل عام مرة أو مرتين ثم لايتوبون) لاينتهون ولايتوبون من نفاقهم (ولاهم يذكرون) ولايعتبرون (واذا ماأنزلت سورة نظر بعضهم الى بعض) تغامزوا بالعيون انكارا لها وسخرية أوغيظا لما فيها من عيوبهم (هل يراكم من أحد) أى يقولون هل يراكم أحد ان قمتم من حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم فان لم يرهم أحد قاموا وان يرهم أحد أقاموا (ثم انصرفوا) عن حضرته مخافة الفضيحة (صرف الله قلوبهم) عن الايمان وهو يحتمل الاخبار والدعاء (بانهم) بسبب أنهم (قوم لايفقهون) لسوء فهمهم أولعدم تدبرهم (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) من جنسكم عربى مثلكم وقرئ من أنفسكم أى من أشرفكم (عزيز عليه) شديد شاق (ماعنتم) عنتكم ولقاؤكم المكروه (حريص عليكم) أى على ايمانكم وصلاح شأنكم (بالمؤمنين) منكم ومن غيركم (رؤف رحيم) قدم الابلغ منهما وهو الرؤف لان الرأفة شدة الرحمة محافظة على الفواصل (فان تولوا) عن الايمان بك (فقل حسبى الله) فانه يكفيك معرتهم و يعينك عليهم (لااله الا هو) كالدليل عليه (عليه توكلت) فلاأرجو ولا أخاف الامنه (وهو رب العرش العظيم) الملك العظيم أو الجسم العظيم المحيط الذى تنزل منه الاحكام والمقادير وقرئ العظيم بالرفع وعن أبى بن كعب رضى الله تعالى عنه ان آخر مانزل هاتان الآيتان وعن النبى صلى الله عليه وسلم مانزل القرآن على الا آية آية وحرفا حرفا ماخلا سورة براءة وقل هو الله أحد فانهما انزلتا على ومعهما سبعون ألف صف من الملائكة والله أعلم

﴿سورة يونس عليه السلام مكية وهى مائة وتسع آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الر) فخمها ابن كثير ونافع برواية قالون وحفص وقرأ ورش بين اللفظين وأمالها الباقون اجراء لالف الراء مجرى المنقلبة من الياء (تلك آيات الكتاب الحكيم) اشارة الى ماتضمنته السورة أو القرآن من الآى والمراد من الكتاب أحدهما ووصفه بالحكيم لاشتماله على الحكم أولانه كلام حكيم أو محكم آياته لم ينسخ شئ منها (أكان للناس عجبا) استفهام انكار للتعجب وعجبا خبر كان واسمه (أن أوحينا) وقرئ بالرفع على ان الامر بالعكس أو على ان كان تامة وان أوحينا بدل من عجب واللام للدلالة على أنهم جعلوه أعجوبة لهم يوجهون نحوه انكارهم واستهزاءهم (الى رجل منهم) من أفناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم قيل كانوا يقولون العجب أن الله تعالى لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم أبى طالب وهو من فرط حماقتهم وقصور نظرهم على الامور العاجلة وجهلهم بحقيقة الوحى والنبوة هذا وانه عليه الصلاة والسلام لم يكن يقصر عن عظمائهم فيما يعتبرونه الا فى المال وخفة الحال أعون شئ فى هذا الباب ولذلك كان أكثر الانبياء عليهم الصلاة والسلام قبله كذلك وقيل تعجبوا من أنه بعث بشرا رسولا كما سبق ذكره فى سورة الانعام (أن أنذر الناس) أن هى المفسرة أو المخففة من الثقيلة

﴿سورة يونس﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(قوله ووصفه بالحكيم الخ) الاول أن يكون من قبيل النسب كلابن وتامر والثانى أن يكون الاسناد مجازيا من قبيل وصف الشئ بوصف محدثه (قوله للتعجب) متعلق بقوله انكار أى الاستفهام يفيد انكار التعجب (قوله من افناء رجالهم) أى ممن لايعرف بجاه ورياسة ونحو ذلك مما يعدونه من التفاخر لانه غير معلوم النسب بل هو معروف مشهور (قوله ان هى المفسرة) فيكون انذر الناس تفسير الاوحينا

فتكون في موقع مفعول أوحينا (و بشر الذين آمنوا) عمم الانذار اذ قلما من أحد ليس فيه ماينبغي أن ينذر منه وخصص البشارة بالمؤمنين اذ ليس للكفار مايصح أن يبشر وابه حقيقة (أن لهم) بأن لهم (قدم صدق عند ربهم) سابقة ومنزلة رفيعة سميت قدما لان السبق بها كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد واضافتها الى الصدق لتحققها والتنبيه على أنهم انما ينالونها بصدق القول والنية (قال الكافرون ان هذا) يعنون الكتاب وماجاء به الرسول عليه الصلاة والسلام (لسحر مبين) وقرأ ابن كثير والكوفيون لساحر على أن الاشارة الى الرسول صلى الله عليه وسلم وفيه اعتراف بانهم صادفوا من الرسول صلى الله عليه وسلم أمورا خارقة للعادة معجزة اياهم عن المعارضة وقرئ ماهذا الا سحر مبين (ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض) التي هي أصول الممكنات (في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الامر) يقدر أمر الكائنات على مااقتضته حكمته وسبقت به كلمته ويهيء بتحريكه أسبابها وينزلها منه والتدبير النظر في أدبار الامور لتجيء محمودة العاقبة (مامن شفيع الامن بعد اذنه) تقرير لعظمته وعزجلاله ورد على من زعم أن آلهتهم تشفع لهم عند الله وفيه اثبات الشفاعة لمن أذن له (ذلكم الله) أي الموصوف بتلك الصفات المقتضية للالوهية والربوبية (ربكم) لاغير اذ لايشاركه أحد في شيء من ذلك (فاعبدوه) وحدوه بالعبادة (أفلا تذكرون) تتفكرون أدنى تفكر فينبهكم على أنه المستحق للربوبية والعبادة لاماتعبدونه (اليه مرجعكم جميعا) بالموت أو النشور لاالى غيره فاستعدوا للقائه (وعد الله) مصدر مؤكد لنفسه لان قوله اليه مرجعكم وعد من الله (حقا) مصدر آخر مؤكد لغيره وهومادل عليه وعد الله (انه يبدؤ الخلق ثم يعيده) بعد بدئه واهلاكه (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط) أي بعدله أو بعدالتهم وقيامهم على العدل في أمورهم أو بايمانهم لانه العدل القويم كما أن الشرك ظلم عظيم وهو الاوجه لمقابلة قوله (والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون) فان معناه ليجزى الذين كفروا بشراب من حميم وعذاب أليم بسبب كفرهم لكنه غير النظم للمبالغة في استحقاقهم للعقاب والتنبيه على أن المقصود بالذات من الابداء والاعادة هو الاثابة والعقاب واقع بالعرض وأنه تعالى يتولى اثابة المؤمنين بما يليق بلطفه وكرمه ولذلك لم يعينه وأما عقاب الكفرة فكأنه داء ساقه اليهم سوء اعتقادهم وشؤم أفعالهم والآية كالتعليل لقوله تعالى اليه مرجعكم جميعا فانه لما كان المقصود من الابداء والاعادة مجازاة الله المكلفين على أعمالهم كان مرجع الجميع اليه لامحالة ويؤيده قراءة من قرأ أنه يبدأ بالفتح أي لانه ويجوز أن يكون منصوبا أو مرفوعا بمانصب وعد الله أو بمانصب حقا (هو الذى جعل الشمس ضياء) أي ذات ضياء وهو مصدر كقيام أو جمع ضوء كسياط وسوط والياء فيه منقلبة عن الواو وقرأ ابن كثير برواية قنبل هنا وفي الانبياء وفي القصص ضئاء بهمزتين على القلب بتقديم اللام على العين (والقمر نورا) أي ذانور أوسمي نورا للمبالغة وهو أعم من الضوء كما عرفت وقيل مابالذات ضوء ومابالعرض نور وقد نبه سبحانه وتعالى بذلك على أنه خلق الشمس نيرة في ذاتها والقمر نيرا بعرض مقابلة الشمس والاكتساب منها (وقدره منازل) الضمير لكل واحد أي قدر مسير كل واحد منهما منازل أو قدره ذا منازل أو للقمر وتخصيصه بالذكر لسرعة سيره ومعاينة منازله واناطة أحكام الشرع به ولذلك علله بقوله (لتعلموا عدد السنين والحساب) حساب الاوقات من الاشهر

وفيه اعتراف الخ) فيه ان القول بكونه سحرا اعتراف بكونه خارقا للعادة ولكن ليس فيه اعتراف بالعجز عن المعارضة ويمكن ان يقال ان مجرد قولهم بانه سحر مبين من غير التعرض بالمعارضة يدل على العجز اذ لولم يكن العجز لوجب التعرض في مقام التحدي (قوله التي هي أصول الممكنات الخ) فيه ان الملائكة والعرش والكرسي من الممكنات مع ان أصلها ليس السموات والأرض ويمكن ان يقال المراد انها أسباب الأمور الحادثة فيها (قوله للمبالغة في استحقاقهم العقاب) فان قوله تعالى لهم شراب الآية يدل بحسب الظاهر على انهم مستحقون لذلك في ذواتهم وهو ثابت لهم في الواقع ولا حاجة الى ان يجزوا به (قوله والتنبيه الخ) صرح بقوله ليجزى الذين آمنوا الخ ولم يصرح بمثله في الذين كفروا لزيادة العناية باثابتهم واما الكافرون فكأنه لم يقصد عقابهم ولم يلتفت الى شأنهم (قوله ويجوز ان يكون منصوبا أو مرفوعا) فعلى الأول بقدر وعد وعلى الثاني بصيغة المفعول (قوله وقد نبه سبحانه) أي على تقدير كون النور ما يكتسب كان في الكلام ايماء الى ان النور والتسبيح هو التنزيه من كل نقص

الاشهر والايام فى معاملاتكم وتصرفاتكم (ماخلق الله ذلك الا بالحق) الا ملتبسا بالحق مراعيا فيه مقتضى الحكمة البالغة (نفصل الآيات لقوم يعلمون) فانهم المنتفعون بالتأمل فيها وقرأ ابن كثير والبصريان وحفص يفصل بالياء (ان فى اختلاف الليل والنهار وماخلق الله فى السموات والأرض) من أنواع الكائنات (لآيات) على وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته (لقوم يتقون) العواقب فانه يحملهم على التفكر والتدبر (ان الذين لايرجون لقاءنا) لايتوقعونه لانكارهم البعث وذهولهم بالمحسوسات عماوراءها (ورضوا بالحياة الدنيا) من الآخرة لغفلتهم عنها (واطمأنوابها) وسكنوا اليها مقصرين هممهم على لذائذها وزخارفها أوسكنوا فيهاسكون من لايزعج عنها (والذين هم عن آياتنا غافلون) لايتفكرون فيها لانهماكهم فيما يضادها والعطف اما لتغاير الوصفين والتنبيه على أن الوعيد على الجمع بين الذهول عن الآيات رأسا والانهماك فى الشهوات بحيث لاتخطر الآخرة ببالهم أصلا واما لتغاير الفريقين والمراد بالاولين من أنكر البعث ولم يرالاالحياة الدنيا وبالآخرين من ألهاه حب العاجل عن التأمل فى الآجل والاعداد له (أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون) بماواظبوا عليه وتمرنوا به من المعاصى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم) بسبب ايمانهم الى سلوك سبيل يؤدى الى الجنة أولادراك الحقائق كماقال عليه الصلاة والسلام من عمل بماعلم ورثه الله علم مالم يعلم أولمايريدونه فى الجنة ومفهوم الترتيب وان دل على أن سبب الهداية هو الايمان والعمل الصالح لكن دل منطوق قوله بايمانهم على استقلال الايمان بالسببية وأن العمل الصالح كالتتمة والرديف له (تجرى من تحتهم الانهار) استئناف أوخبر ثان أوحال من الضمير المنصوب على المعنى الاخير وقوله (فى جنات النعيم) خبر أو حال أخرى منه أومن الانهار أومتعلق بتجرى أو بيهدى (دعواهم فيها) أى دعاؤهم (سبحانك اللهم) اللهم انانسبحك تسبيحا (وتحيتهم) مايحيى به بعضهم بعضا أوتحية الملائكة اياهم (فيها سلام وآخر دعواهم) وآخر دعائهم (أن الحمد لله رب العالمين) أى أن يقولوا ذلك ولعل المعنى أنهم اذا دخلوا الجنة وعاينوا عظمة الله وكبرياءه مجدوه ونعتوه بنعوت الجلال ثم حياهم الملائكة بالسلامة عن الآفات والفوز باصناف الكرامات أوالله تعالى فحمدوه وأثنوا عليه بصفات الاكرام وأن هى المخففة من الثقيلة وقد قرئ بها وبنصب الحمد (ولو يعجل الله للناس الشر) ولو يسرعه اليهم (استعجالهم بالخير) وضع موضع تعجيله لهم بالخير اشعارا بسرعة اجابته لهم فى الخير حتى كأن استعجالهم به تعجيل لهم أو بان المراد شر استعجلوه كقولهم فامطر علينا حجارة من السماء وتقدير الكلام ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله للخير حين استعجلوه استعجالا كاستعجالهم بالخير فحذف منه ماحذف لدلالة الباقى عليه (لقضى اليهم أجلهم) لاميتوا وأهلكوا وقرأ ابن عامر و يعقوب لقضى على البناء للفاعل وهو الله تعالى وقرئ لقضينا (فنذر الذين لايرجون لقاءنا فى طغيانهم يعمهون) عطف على فعل محذوف دلت عليه الشرطية كأنه قيل لكن لانعجل ولانقضى فنذرهم امهالا لهم واستدراجا (واذامس الانسان الضر دعانا) لازالته مخلصا فيه (لجنبه) ملقى لجنبه أى مضطجعا (أو قاعدا أوقائما) وفائدة الترديد تعميم الدعاء لجميع الاحوال أولاصناف المضار (فلما كشفنا عنه ضره مر) يعنى مضى على طريقته واستمر على كفره أو مر عن موقف الدعاء لايرجع اليه (كأن لم يدعنا) كأنه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشأن كماقال

ونحر مشرق اللون * كأن ثدياه حقان

(قوله أى ان يقولوا ذلك) أى ان التقدير ان يقولوا ان الحمد لله رب العالمين فان الاولى مصدرية والثانية مخففة كماسيجىء وانما قدر هكذا لان ان الحمد لله ليس نفس المعنى المصدرى. هذا توجيه كلامه وفيه نظر لانه يفيد ان قولهم الحمد لله رب العالمين بدون ان فالوجه ان ان معتبرة والتقدير وآخر دعواهم شئ هو ان الحمد لله رب العالمين (قوله حتى كان استعجالهم به تعجيل لهم) أى استعجال الناس بالخير أى طلبهم سرعة الخير تعجيل لهم أى تحصيل سرعة من الله (قوله وبان المراد شر استعجلوه) أى اشعارا بان المراد من الشر المذكور شر استعجلوه (قوله وفائدة الترديد تعميم الدعاء لجميع الأحوال أولأصناف المضار) الاول مسلم واما الثانى فلان الترديد المذكور يفيد التعميم لجميع المضار باعتبار ان من له مضرة لايخلو من حال من الأحوال المذكورة واذا كان فى كل حال منها داعيا كان عاما لجميع المضار

(الى ضر مسه) الى كشف ضر (كذلك) مثل ذلك التزيين (زين للمسرفين ما كانوا يعملون) من الانهماك فى الشهوات والاعراض عن العبادات (ولقد أهلكنا القرون من قبلكم) يا أهل مكة (لما ظلموا) حين ظلموا بالتكذيب واستعمال القوى والجوارح لا على ماينبغى (وجاءتهم رسلهم بالبينات) بالحجج الدالة على صدقهم وهو حال من الواو باضمار قد أو عطف على ظلموا (وما كانوا ليؤمنوا) وما استقام لهم أن يؤمنوا لفساد استعدادهم وخذلان الله لهم وعلمه بأنهم يموتون على كفرهم واللام لتأكيد النفى (كذلك) مثل ذلك الجزاء وهو اهلاكهم بسبب تكذيبهم للرسل واصرارهم عليه بحيث تحقق أنه لا فائدة فى امهالهم (نجزى القوم المجرمين) نجزى كل مجرم أو نجزيكم فوضع المظهر موضع الضمير للدلالة على كمال جرمهم وأنهم اعلام فيه (ثم جعلناكم خلائف فى الارض من بعدهم) استخلفناكم فيها بعد القرون التى أهلكناها استخلاف من يختبر (لننظر كيف تعملون) أتعملون خيرا أو شرا فنعاملكم على مقتضى أعمالكم وكيف معمول تعملون فان معنى الاستفهام يحجب أن يعمل فيه ماقبله وفائدته الدلالة على أن المعتبر فى الجزاء جهات الافعال وكيفياتها لا هى من حيث ذاتها ولذلك يحسن الفعل تارة ويقبح أخرى (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا) يعنى المشركين (ائت بقرآن غير هذا) بكتاب آخر نقرؤه ليس فيه مانستبعده من البعث والثواب والعقاب بعد الموت أو ماننكره من معايب آلهتنا (أو بدله) بان تجعل مكان الآية المشتملة على ذلك آية أخرى ولعلهم سألوا ذلك كى يسعفهم اليه فيلزموه (قل مايكون لى) مايصح لى (أن أبدله من تلقاء نفسى) من قبل نفسى وهو مصدر استعمل ظرفا وانما اكتفى بالجواب عن التبديل لاستلزام امتناعه امتناع الاتيان بقرآن آخر (ان أتبع الا مايوحى الى) تعليل لما يكون فان المتبع لغيره فى أمر لا يستبد بالتصرف فيه بوجه وجواب للنقض بنسخ بعض الآيات ببعض ورد لما عرضوا له بهذا السؤال من أن القرآن كلامه واختراعه ولذلك قيد التبديل فى الجواب وسماه عصيانا فقال (انى أخاف ان عصيت ربى) أى بالتبديل (عذاب يوم عظيم) وفيه ايماء بانهم استوجبوا العذاب بهذا الاقتراح (قل لو شاء الله) غير ذلك (ماتلوته عليكم ولا أدراكم به) ولا أعلمكم به على لسانى وعن ابن كثير ولأدراكم بلام التأكيد أى لو شاء الله ماتلوته عليكم ولأعلمكم به على لسان غيرى والمعنى أنه الحق الذى لا محيص عنه لو لم أرسل به لأرسل به غيرى وقرئ ولا أدرأكم ولا أدرأتكم بالهمز فيهما على لغة من يقلب الالف المبدلة من الياء همزة أو على أنه من الدرء بمعنى الدفع أى ولا جعلتكم بتلاوته خصماء تدرؤننى بالجدال والمعنى أن الامر بمشيئة الله تعالى لا بمشيئتى حتى أجعله على نحو ماتشتهونه ثم قرر ذلك بقوله (فقد لبثت فيكم عمرا) مقدار عمر أربعين سنة (من قبله) من قبل القرآن لا أتلوه ولا أعلمه فانه اشارة الى أن القرآن معجز خارق للعادة فان من عاش بين أظهرهم أربعين سنة لم يمارس فيها علما ولم يشاهد عالما ولم ينشئ قريضا ولا خطبة ثم قرأ عليهم كتابا بذت فصاحته فصاحة كل منطيق وعلا عن كل منثور ومنظوم واحتوى على قواعد علمى الاصول والفروع وأعرب عن أقاصيص الاولين وأحاديث الآخرين على ماهى عليه علم انه معلم به من الله تعالى (أفلا تعقلون) أى أفلا تستعملون عقولكم بالتدبر والتفكر فيه لتعلموا أنه ليس الا من الله (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا) تفاد مما أضافوه اليه كناية أو تظليم للمشركين بافترائهم على الله تعالى فى قولهم انه لذو شريك وذو ولد (أو كذب بآياته) فكفر بها (انه لا يفلح المجرمون ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم) فانه جماد لا

(قوله فان الاستفهام يحجب ان يعمل فيه ماقبله) هذا عذر تقديم كيف مع انه معمول يعملون أى انما قدم مع كونه معمولا لان الاستفهام له صدر الكلام فلا يؤخر عن عامله (قوله وفائدته الدلالة) أى فائدة لفظ كيف ماذكر (قوله ولذلك يحسن الفعل تارة الخ) فان الكذب قد يكون حسنا اذا ترتب عليه فائدة شرعية وقد يكون قبيحا اذا لم يكن كذلك وكذلك الغيبة تكون حسنة اذا جوزها الشرع وهو فى مواضع مخصوصة وتكون قبيحة اذا لم يكن كذلك بل القتل قد يكون حسنا وقد يكون قبيحا وقس عليه (قوله ولعلهم سألوا ذلك الخ) أى لا يكون غرضهم انه صلى الله عليه وسلم لو أتى بما تعنتوا آمنوا به بل انه اذا أتى به ألزموه ويقولون له انك لست بنبى انك اتبعت رأينا فليس ما أتيت به من عند الله بل من عند نفسك (قوله تفاد مما أضافوا اليه كناية) أى اخبار واحتراز عما أضافوا اليه أى النبى صلى الله عليه وسلم كناية وهو الافتراء على الله فان سؤالهم المذكور وهو الاتيان بقرآن غير هذا أو تبديله يتضمن القول بانه عليه السلام مفتر على الله فيما نسبه الى الله اذ لو كان من الله تعالى لم يقدر على اسعافهم

لايقدر على نفع ولاضر والمعبود ينبغى أن يكون مثيبا ومعاقبا حتى تعود عبادته بجلب نفع أودفع ضر (و يقولون هؤلاء) الاوثان (شفعاؤنا عندالله) تشفع لنا فيما يهمنا من أمور الدنيا أوفى الآخرة ان يكن بعث وكأنهم كانوا شاكين فيه وهذا من فرط جهالتهم حيث تركوا عبادة الموجد الضار النافع الى عبادة مايعلم قطعا أنه لايضر ولاينفع على توهم أنه ربما يشفع لهم عنده (قل أتنبؤن الله أتخبرونه (بما لايعلم) وهو أن له شريكا أوهؤلاء شفعاء عنده وما لايعلمه العالم بجميع المعلومات لايكون له تحقق ما وفيه تقريع وتهكم بهم (فى السموات ولافى الارض) حال من العائد المحذوف مؤكدة للنفى منبهة على أن مايعبدون من دون الله اماسماوى واماأرضى ولاشئ من الموجودات فيهما الا وهو حادث مقهور مثلهم لايليق أن يشرك به (سبحانه وتعالى عمايشركون) عن اشراكهم أوعن الشركاء الذين يشركونهم به وقرأ حمزة والكسائى هنا وفى الموضعين فى أول النحل والروم بالتاء (وما كان الناس الاأمة واحدة) موحدين على الفطرة أو متفقين على الحق وذلك فى عهد آدم عليه السلام الى أن قتل قابيل هابيل أو بعد الطوفان أوعلى الضلال فى فترة من الرسل (فاختلفوا) باتباع الهوى والاباطيل أو ببعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام فتبعتهم طائفة وأصرت أخرى (ولولا كلمة سبقت من ربك) بتأخير الحكم بينهم أوالعذاب الفاصل بينهم الى يوم القيامة فانه يوم الفصل والجزاء (لقضى بينهم) عاجلا (فيما فيه يختلفون) باهلاك المبطل وابقاء المحق (و يقولون لولا أنزل عليه آية من ربه) أى من الآيات التى اقترحوها (فقل انما الغيب لله) هو المختص بعلمه فلعله يعلم فى انزال الآيات المقترحة من مفاسد تصرف عن انزالها (فانتظروا) لنزول مااقترحتموه (انى معكم من المنتظرين) لما يفعل الله بكم بجحودكم ما نزل على من الآيات العظام واقتراحكم غيره (واذا أذقنا الناس رحمة) صحة وسعة (من بعد ضراء مستهم) كقحط ومرض (اذا لهم مكر فى آياتنا) بالطعن فيها والاحتيال فى دفعها قيل قحط أهل مكة سبع سنين حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم الله بالحيا فطفقوا يقدحون فى آيات الله و يكيدون رسوله (قل الله أسرع مكرا) منكم قد دبر عقابكم قبل أن تدبروا كيدكم وانما دل على سرعتهم المفضل عليها كلمة المفاجأة الواقعة جوابا لاذا الشرطية والمكر اخفاء الكيد وهو من الله تعالى اما الاستدراج أو الجزاء على المكر (ان رسلنا يكتبون ماتمكرون) تحقيق للانتقام وتنبيه على أن مادبروا فى اخفائه لم يخف على الحفظة فضلا أن يخفى على الله تعالى وعن يعقوب يمكرون بالياء ليوافق ماقبله (هو الذى يسيركم) يحملكم على السير و يمكنكم منه وقرأ ابن عامر ينشركم بالنون والشين من النشر (فى البر والبحر حتى اذا كنتم فى الفلك) فى السفن (وجرين بهم) بمن فيها عدل عن الخطاب الى الغيبة للمبالغة كأنه تذكرة لغيرهم ليتعجب من حالهم و ينكر عليهم (بريح طيبة) لينة الهبوب (وفرحوا بها) بتلك الريح (جاءتها) جواب اذا والضمير للفلك أوللريح الطيبة بمعنى تلقتها (ريح عاصف) ذات عصف شديدة الهبوب (وجاءهم الموج من كل مكان) يجئ الموج منه (وظنوا أنهم أحيط بهم) أهلكوا وسدت عليهم مسالك الخلاص كمن أحاط به العدو (دعوا الله مخلصين له الدين) من غير اشراك لتراجع الفطرة وزوال المعارض من شدة الخوف وهو بدل من ظنوا بدل اشتمال لان دعاءهم من لوازم ظنهم (لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين) على ارادة القول أو مفعول دعوا لانه من جملة القول (فلما أنجاهم) اجابة لدعائهم (اذا هم يبغون فى الارض) فاجؤا الفساد فيها وسارعوا الى ما كانوا عليه (بغير الحق) مبطلين فيه وهو احتراز عن تخريب المسلمين ديار الكفرة

(قوله يشفع لنا فيما يهمنا من أمور الدنيا أوفى الآخرة ان يكن بعث فكأنهم كانوا شاكين فيه) فيه نظر اذلم يفهم من قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله انهم شاكون فى البعث بل هو أمر مسكوت عنه بل ماحكى الله تعالى عنهم فى مواضع من الكتاب الكريم دال على قطعهم بنفى البعث كقوله تعالى هيهات هيهات لما توعدون ان هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ومانحن بمبعوثين والاولى ان يقال ان المراد انهم شفعاؤنا فى الآخرة ان كان بعث ويكون هذا القول منهم على سبيل الفرض والتقدير يعنى ان كان بعث كما زعمتم أيها المؤمنون فيكون هؤلاء شفعاء نافيها (قوله منبهة على ان مايعبدون من دون الله اماسماوى واماأرضى) فان بعض معبوداتهم الكوكب وهى سماوية (قوله كانه تذكرة لغيرهم) أى كانه يذكر حال المخاطبين لغيرهم ليتعجب من حالهم أى من كان مخاطبا أولا صاروا غائبين والذين يكون الكلام معهم أشخاص آخرون فذكر حال الاولين للآخرين (قوله أو مفعول دعوا الخ) فيه انه

واحراق زروعهم وقلع أشجارهم فانها افساد بحق (يا أيها الناس انما بغيكم على أنفسكم) فان وباله عليكم أو أنه على أمثالكم وأبناء جنسكم (متاع الحياة الدنيا) منفعة الحياة الدنيا لاتبقى ويبقى عقابها ورفعه على انه خبر بغيكم وعلى أنفسكم صلته أو خبر مبتدا محذوف تقديره ذلك متاع الحياة الدنيا وعلى أنفسكم خبر بغيكم ونصبه حفص على أنه مصدر مؤكد أى تتمتعون متاع الحياة الدنيا أو مفعول البغى لانه بمعنى الطلب فيكون الجار من صلته والخبر محذوف تقديره بغيكم متاع الحياة الدنيا محذور أو ضلال أو مفعول فعل دل عليه البغى وعلى أنفسكم خبره (ثم الينا مرجعكم) فى القيامة (فننبئكم بما كنتم تعملون) بالجزاء عليه (انما مثل الحياة الدنيا) حالها العجيبة فى سرعة تقضيها وذهاب نعيمها بعد اقبالها واغترار الناس بها (كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض) فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا (مما يأكل الناس والانعام) من الزروع والبقول والحشيش (حتى اذا أخذت الارض زخرفها) حسنها وبهجتها (وازينت) تزينت باصناف النبات وأشكالها وألوانها المختلفة كعروس أخذت من ألوان الثياب والزين فتزينت بها وازينت أصله تزينت فأدغم وقد قرئ على الاصل وأزينت على أفعلت من غير اعلال كاغيلت والمعنى صارت ذات زينة وازيانت كابياضت (وظن أهلها أنهم قادرون عليها) متمكنون من حصدها ورفع غلتها (أتاها أمرنا) ضرب زرعها ما يجتاحه (ليلا أو نهارا فجعلناها) فجعلنا زرعها (حصيدا) شبيها بما حصد من أصله (كأن لم تغن) كأن لم يغن زرعها أى لم يلبث والمضاف محذوف فى الموضعين للمبالغة وقرئ بالياء على الاصل (بالامس) فيما قبيله وهو مثل فى الوقت القريب والممثل به مضمون الحكاية وهو زوال خضرة النبات فجأة وذهابه حطاما بعد ما كان غضا والتف وزين الارض حتى طمع فيه أهله وظنوا أنه قد سلم من الجوائح لا الماء وان وليه حرف التشبيه لأنه من التشبيه المركب (كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون) فانهم المنتفعون به (والله يدعو الى دار السلام) دار السلامة من التقضى والآفة أو دار الله وتخصيص هذا الاسم أيضا للتنبيه على ذلك أو دار يسلم الله والملائكة فيها على من يدخلها والمراد الجنة (ويهدى من يشاء) بالتوفيق (الى صراط مستقيم) هو طريقها وذلك الاسلام والتدرع بلباس التقوى وفى تعميم الدعوة وتخصيص الهداية بالمشيئة دليل على أن الامر غير الارادة وأن المصر على الضلالة لم يرد الله رشده (للذين أحسنوا الحسنى) المثوبة الحسنى (وزيادة) وما يزيد على المثوبة تفضلا لقوله ويزيدهم من فضله وقيل الحسنى مثل حسناتهم والزيادة عشر أمثالها الى سبعمائة ضعف وأكثر وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان وقيل الحسنى الجنة والزيادة هى اللقاء (ولا يرهق وجوههم) لا يغشاها (قتر) غبرة فيها سواد (ولا ذلة) هوان والمعنى لا يرهقهم ما يرهق أهل النار أو لا يرهقهم ما يوجب ذلك من حزن وسوء حال (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) دائمون لا زوال فيها ولا انقراض لنعيمها بخلاف الدنيا وزخارفها (والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها) عطف على قوله للذين أحسنوا الحسنى على مذهب من يجوز فى الدار زيد والحجرة عمرو أو الذين مبتدأ والخبر جزاء سيئة مثلها على تقدير وجزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها أى أن تجازى سيئة بسيئة مثلها لا يزاد عليها وفيه تنبيه على أن الزيادة هى الفضل أو التضعيف أو كأنما أغشيت وجوههم أو أولئك أصحاب النار وما بينهما اعتراض فجزاء سيئة مبتدأ خبره محذوف أى فجزاء سيئة بمثلها واقع أو بمثلها على زيادة الباء أو تقدير مقدر بمثلها (وترهقهم ذلة) وقرئ بالياء (ما لهم من الله من عاصم) ما من أحد يعصمهم من سخط الله أو من جهة الله ومن عنده كما يكون للمؤمنين

على هذا يكون حق العبارة دعوا الله أى قالوا لله لئن أنجيتنا كما قال تعالى ما قلت لهم الا ما أمرتنى به (قوله والمضاف محذوف فى الموضعين) أى فى قوله فجعلناها لان المعنى فجعلنا زرعها وفى قوله كان لم تغن لان المعنى كان لم يغن زرع الارض لان الضمير مؤنث فى الموضعين وراجع الى الأرض لكن الحكم منها متعلق بالزرع فلا بد من المضاف (قوله والممثل به مضمون الحكاية وهو زوال خضرة النبات الخ) أى المشبه به ذلك والمشبه زوال الحياة بعد حصولها والدنيا واغترار الناس (قوله فانه من التشبيه المركب) أى لا يلزم فى التشبيه المركب ان تكون آلة التشبيه واردة على المشبه (قوله وفى تعميم الدعوة وتخصيص الهداية الخ) لان تخصيص الهداية بالمشيئة دال على انه تعالى لم يشأ هداية بعض فلو كانت الارادة أى المشيئة عين الامر لم يكن لتخصيصها بالبعض وجه لان الامر عام لكل أحد كما فهم من قوله تعالى والله يدعو الى دار السلام

(كأنما أغشيت) غطيت (وجوههم قطعا من الليل مظلما) لفرط سوادها وظلمتها ومظلما حال من الليل والعامل فيه أغشيت لانه العامل فى قطعا وهو موصوف بالجار والمجرور والعامل فى الموصوف عامل فى الصفة أو معنى الفعل فى من الليل وقرأ ابن كثير والكسائى و يعقوب قطعا بالسكون فعلى هذا يصح أن يكون مظلما صفة له أو حالا منه (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) مما يحتج به الوعيدية والجواب ان الآية فى الكفار لاشتمال السيئات على الكفر والشرك ولان الذين أحسنوا يتناول أصحاب الكبيرة من أهل القبلة فلا يتناولهم قسيمه (و يوم نحشرهم جميعا) يعنى الفريقين جميعا (ثم نقول للذين أشركوا مكانكم) الزموا مكانكم حتى تنظروا ما يفعل بكم (أنتم) تأكيد للضمير المنتقل اليه من عامله (وشركاؤكم) عطف عليه وقرئ بالنصب على المفعول معه (فزيلنا بينهم) ففرقنا بينهم وقطعنا الوصل التى كانت بينهم (وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون) مجاز عن براءة ما عبدوه من عبادتهم فانهم انما عبدوا فى الحقيقة أهواءهم لانها الآمرة بالاشراك لا ما أشركوا به وقيل ينطق الله الاصنام فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التى يتوقعون منها وقيل المراد بالشركاء الملائكة والمسيح وقيل الشياطين (فكفى بالله شهيدا بيننا و بينكم) فانه العالم بكنه الحال (ان كنا عن عبادتكم لغافلين) ان هى المخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة (هنالك) فى ذلك المقام (تبلو كل نفس ما أسلفت) تختبر ما قدمت من عمل فتعاين نفعه وضره وقرأ حمزة والكسائى تتلو من التلاوة أى تقرأ ذكر ما قدمت أو من التلو أى تتبع عملها فيقودها الى الجنة أو الى النار وقرئ نبلو بالنون ونصب كل وابدال ما منه والمعنى نختبرها أى نفعل بها فعل المختبر لحالها المتعرف لسعادتها وشقاوتها بتعرف ما أسلفت من أعمالها ويجوز أن يراد به نصيب بالبلاء أى بالعذاب كل نفس عاصية بسبب ما أسلفت من الشر فتكون ما منصوبة بنزع الخافض (وردوا الى الله) الى جزائه اياهم بما أسلفوا (مولاهم الحق) ربهم ومتولى أمرهم على الحقيقة لا ما اتخذوه مولى وقرئ الحق بالنصب على المدح أو المصدر المؤكد (وضل عنهم) وضاع عنهم (ما كانوا يفترون) من أن آلهتهم تشفع لهم أو ما كانوا يدعون أنها آلهة (قل من يرزقكم من السماء والارض) أى منهما جميعا فان الارزاق تحصل بأسباب سماوية ومواد أرضية أو من كل واحد منهما توسعة عليكم وقيل من لبيان من على حذف المضاف أى من أهل السماء والارض (أمن يملك السمع والابصار) أم من يستطيع خلقهما وتسويتهما أو من يحفظهما من الآفات مع كثرتها وسرعة انفعالهما من أدنى شئ (ومن يخرج الحى من الميت و يخرج الميت من الحى) ومن يحيى و يميت أو من ينشئ الحيوان من النطفة والنطفة منه (ومن يدبر الامر) ومن يلى تدبير أمر العالم وهو تعميم بعد تخصيص (فسيقولون الله)

(قوله والعامل فى الموصوف عامل فى الصفة) كذا فى الكشاف قال العلامة التفتازانى واعترض عليه صاحب التقريب بان من الليل ليس معمول أغشيت فضلا عن الليل بل هو صفة لفظا فيكون العامل فيه معنى الاستقرار والحصول كما فى سائر الظروف المستقرة ولو سلم فذو الحال هو الليل وهو معمول الجار لا الفعل وأجيب بان معنى كلامه ما تقرر فى علم النحو من ان الخبر والصفة والحال وغير ذلك هو الظرف لا عامله الذى هو كائن وحاصل أو يكون ويحصل حتى ان الضمير قد تحول اليه والعمل قد صار له وان الصفة معمول لما الموصوف معمول له وان كل مجرور بحرف الجر هو فى التحقيق معمول لفعل تعلق به الجار والمجرور ولان حروف الجر انما وضعت لافضاء معانى الافعال الى الاسماء حتى ان العامل فى مررت بهند جالسة هو الفعل لا حرف الجر مع القطع باتحاد عامل الحال وذى الحال وحينئذ لا اشكال فى كلام المصنف ولا غبار عليه ولا فرق فى كون من الليل معمول أغشيت بين ان تكون من للتبيين على ان المراد بالليل زمان كون الشمس تحت الافق فى الجملة والتبعيض على ان المراد به جميع ذلك الزمان أقول لا يخفى ان الدار فى قولنا زيد فى الدار لا يصلح للخبرية ولا يصح المعنى بدون اعتبار الامر المقدر فالحكم بكون الامر المقدر غير عامل بل شئ آخر تحكم بحسب الظاهر فتأمل (قوله أو معنى الفعل) فيكون العامل هو الامر المقدر (قوله وعلى هذا يصح ان يكون مظلما الخ) أى على تقدير ان يكون قطعا بسكون الطاء يكون مفردا فيصح جعل مظلما صفة له أو حالا منه واما بالتحريك فهو جمع فلا يصح جعل مظلما صفة أو حالا منه والا لوجب ان يقال مظلمة ليطابق الموصوف أو ذا الحال (قوله والجواب ان الآية فى الكفار الخ) فيكون اللام فى السيئات لاستغراق أنواع المعاصى ومن جملتها الشرك (قوله فتكون ما منصوبة بنزع الخافض) أى منصوبة بحذف الباء السببية (قوله أو من كل منهما توسعة عليكم) الظاهر انه متعلق بالاخير فانه قد يحصل الرزق من السماء وحده كالماء النازل من السماء ومن الارض وحده كالعيون التى يحصل منها الزرع والجواهر التى تحصل فيها (قوله من لبيان من الخ) لا يخفى ان الجواب لا يناسب هذا الوجه لان الله تعالى ليس من أهل السماء والارض

اذ لا يقدرون على المكابرة والعناد فى ذلك لفرط وضوحه (فقل أفلا تتقون) أنفسكم عقابه باشراكـكم اياه مالا يشاركه فى شئ من ذلك (فذلكم الله ربكم الحق) أى المتولى لهذه الامور المستحق للعبادة هو ربكم الثابت ربوبيته لانه الذى أنشأكم وأحياكم ورزقكم ودبر أموركم (فماذا بعد الحق الا الضلال) استفهام انكار أى ليس بعد الحق الا الضلال فمن تخطى الحق الذى هو عبادة الله تعالى وقع فى الضلال (فأنى تصرفون) عن الحق الى الضلال (كذلك حقت كلمت ربك) أى كما حقت الربوبية لله أو أن الحق بعده الضلال أو أنهم مصروفون عن الحق كذلك حقت كلمة الله وحكمه وقرأ نافع وابن عامر كلمات هنا وفى آخر السورة وفى غافر (على الذين فسقوا) تمردوا فى كفرهم وخرجوا عن حد الاستصلاح (انهم لا يؤمنون) بدل من الكلمة أو تعليل لحقيتها والمراد بها العدة بالعذاب (قل هل من شركائكم من يبدؤ الخلق ثم يعيده) جعل الاعادة كالابداء فى الالزام بها لظهور برهانها وان لم يساعدوا عليها ولذلك أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن ينوب عنهم فى الجواب فقال (قل الله يبدؤ الخلق ثم يعيده) لان لجاجهم لا يدعهم أن يعترفوا بها (فأنى تؤفكون) تصرفون عن قصد السبيل (قل هل من شركائكم من يهدى الى الحق) بنصب الحجج وارسال الرسل عليهم الصلاة والسلام والتوفيق للنظر والتدبر وهدى كما يعدى بالى لتضمنه معنى الانتهاء يعدى باللام للدلالة على أن المنتهى غاية الهداية وأنها لم تتوجه نحوه على سبيل الاتفاق ولذلك عدى بها ما أسند الى الله تعالى (قل الله يهدى للحق أفمن يهدى الى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدى الا أن يهدى) أم الذى لا يهتدى الا أن يهدى من قولهم هدى بنفسه اذا اهتدى أو لا يهدى غيره الا أن يهديه الله وهذا حال أشراف شركائهم كالملائكة والمسيح وعزير وقرأ ابن كثير وورش عن نافع وابن عامر يهدى بفتح الهاء وتشديد الدال و يعقوب وحفص بالكسر والتشديد والاصل يهتدى فأدغم وفتحت الهاء بحركة التاء أو كسرت لالتقاء الساكنين و روى أبو بكر يهدى باتباع الياء الهاء وقرأ أبو عمرو بالادغام المجرد ولم يبال بالتقاء الساكنين لان المدغم فى حكم المتحرك وعن نافع برواية قالون مثله وقرئ الا أن يهدى للمبالغة. (فما لكم كيف تحكمون) بما يقتضى صريح العقل بطلانه (وما يتبع أكثرهم) فيما يعتقدونه (الا ظنا) مستندا الى خيالات فارغة وأقيسة فاسدة كقياس الغائب على الشاهد والخالق على المخلوق بأدنى مشاركة موهومة والمراد بالأكثر الجميع أو من ينتمى منهم الى تمييز ونظر ولا يرضى بالتقليد الصرف (ان الظن لا يغنى من الحق) من العلم والاعتقاد الحق (شيأ) من الاغناء و يجوز أن يكون مفعولا به ومن الحق حالا منه وفيه دليل على أن تحصيل العلم فى الاصول واجب والاكتفاء بالتقليد والظن غير جائز (ان الله عليم بما يفعلون) وعيد على اتباعهم للظن واعراضهم عن البرهان (وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله) افتراء من الخلق (ولكن تصديق الذى بين يديه) مطابقا لما تقدمه من الكتب الالهية المشهود على صدقها ولا يكون كذبا كيف وهو لكونه معجزا دونها عيار عليها شاهد على صحتها ونصبه بأنه خبر لكان مقدرا أو علة لفعل محذوف تقديره ولكن أنزله الله تصديق الذى وقرئ بالرفع على تقدير ولكن هو تصديق (وتفصيل الكتاب) وتفصيل ما حقق وأثبت من العقائد والشرائع (لا ريب فيه) منتفيا عنه الريب وهو خبر ثالث داخل فى حكم لاستدراك ويجوز أن يكون حالا من الكتاب فانه مفعول فى المعنى وأن يكون استئنافا (من رب العالمين) خبر آخر تقديره كائنا من رب العالمين أو متعلق بتصديق أو بتفصيل ولا ريب فيه اعتراض أو بالفعل المعلل

ولهذا أشار الى ضعفه بقوله قبيل (قوله والمراد بهما العدة بالعذاب) أى على التوجيه الاخير واما على الاول فالمراد بالكلمة الحكم بعدم الايمان (قوله وفيه دليل على ان تحصيل العلم فى الاصول واجب) فيه ان المفهوم من الآية على ما ذكره هو ان ظنونهم مستندة الى خيالات فارغة وقياسات فاسدة والظن المسند الى خيال فارغ وقياس فاسد لا فائدة فيه ولا يلزم من مجرد ما ذكر عدم اعتبار الظن والتقليد مطلقا فلم لا يجوز اعتبار الظن والتقليد المطابقين للواقع سلمنا ان الظن مطلقا غير معتبر لكن لا يلزم عدم اعتبار التقليد المطابق للحق والجواب ان المراد من الظن فى قوله تعالى ان الظن لا يغنى من الحق شيأ مطلق الظن الشامل للصحيح والفاسد فكأنه قيل ما يتبع أكثرهم الا ظنا فاسدا والحال ان الظن مطلقا غير نافع فكيف الظن الفاسد (قوله داخل فى حكم الاستدراك) أى الاستدراك على انه ليس معنى مفترى من دون الله (قوله أو بالفعل المعلل بهما) الفعل المعلل بهما هو أنزله الله على ما ذكره

بهما و يجوز أن يكون حالا من الكتاب أو من الضمير فى فيه ومساق الآية بعد المنع عن اتباع الظن لبيان ما يجب اتباعه والبرهان عليه (أم يقولون) بل أيقولون (افتراه) محمد صلى الله عليه وسلم ومعنى الهمزة فيه للانكار (قل فأتوا بسورة مثله) فى البلاغة وحسن النظم وقوة المعنى على وجه الافتراء فانكم مثلى فى العربية والفصاحة وأشد تمرنا فى النظم والعبارة (وادعوا من استطعتم) ومع ذلك فاستعينوا بمن أمكنكم أن تستعينوا به (من دون الله) سوى الله تعالى فانه وحده قادر على ذلك (ان كنتم صادقين) أنه اختلقه (بل كذبوا) بل سارعوا الى التكذيب (بما لم يحيطوا بعلمه) بالقرآن أول ما سمعوه قبل أن يتدبروا آياته و يحيطوا بالعلم بشأنه أو بما جهلوه ولم يحيطوا به علما من ذكر البعث والجزاء وسائر ما يخالف دينهم (ولما يأتهم تأويله) ولم يقفوا بعد على تأويله ولم تبلغ أذهانهم معانيه أو ولم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الاخبار بالغيوب حتى يتبين لهم أنه صدق أم كذب والمعنى ان القرآن معجز من جهة اللفظ والمعنى ثم انهم فاجؤا تكذيبه قبل أن يتدبروا نظمه و يتفحصوا معناه ومعنى التوقع فى لما أنه قد ظهر لهم بالآخرة اعجازه لما كرر عليهم التحدى فرازوا قواهم فى معارضته فتضاءلت دونها أو لما شاهدوا وقوع ما أخبر به طبقا لاخباره مرارا فلم يقلعوا عن التكذيب تمردا وعنادا (كذلك كذب الذين من قبلهم) أنبياءهم (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) فيه وعيد لهم بمثل ما عوقب به من قبلهم (ومنهم) ومن المكذبين (من يؤمن به) من يصدق به فى نفسه و يعلم أنه حق ولكن يعاند أو من سيؤمن به و يتوب عن الكفر (ومنهم من لا يؤمن به) فى نفسه لفرط غباوته وقلة تدبره أو فيما يستقبل بل يموت على الكفر (وربك أعلم بالمفسدين) بالمعاندين أو المصرين (وان كذبوك) وان أصروا على تكذيبك بعد الزام الحجة (فقل لى عملى ولكم عملكم) فتبرأ منهم فقد أعذرت والمعنى لى جزاء عملى ولكم جزاء عملكم حقا كان أو باطلا (أنتم بريؤن مما أعمل وأنا برىء مما تعملون) لا تؤاخذون بعملى ولا أؤاخذ بعملكم ولما فيه من ايهام الاعراض عنهم وتخلية سبيلهم قيل انه منسوخ بآية السيف (ومنهم من يستمعون اليك) اذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكن لا يقبلون كالاصم الذى لا يسمع أصلا (أفأنت تسمع الصم) تقدر على اسماعهم (ولو كانوا لا يعقلون) ولو انضم الى صممهم عدم تعقلهم وفيه تنبيه على أن حقيقة استماع الكلام فهم المعنى المقصود منه ولذلك لا توصف به البهائم وهو لا يتأتى الا باستعمال العقل السليم فى تدبره وعقولهم لما كانت مؤفة بمعارضة الوهم ومشايعة الالف والتقليد تعذر افهامهم الحكم والمعانى الدقيقة فلم ينتفعوا بسرد الالفاظ عليهم غير ما ينتفع به البهائم من كلام الناعق (ومنهم من ينظر اليك) يعاينون دلائل نبوتك ولكن لا يصدقونك (أفأنت تهدى العمى) تقدر على هدايتهم (ولو كانوا لا يبصرون) وان انضم الى عدم البصر عدم البصيرة فان المقصود من الابصار هو الاعتبار والاستبصار والعمدة فى ذلك البصيرة ولذلك يحدس الاعمى المستبصر و يتفطن لما لا يدركه البصير الاحمق والآية كالتعليل للأمر بالتبرى والاعراض عنهم (ان الله لا يظلم الناس شيأ) بسلب حواسهم وعقولهم (ولكن الناس أنفسهم يظلمون) بافسادها وتفويت منافعها عليهم وفيه دليل على أن للعبد كسبا وأنه ليس بمسلوب الاختيار بالكلية كما زعمت المجبرة و يجوز أن يكون وعيدا لهم بمعنى أن ما يحيق بهم يوم القيامة من العذاب عدل من الله لا يظلمهم به ولكنهم ظلموا أنفسهم باقتراف أسبابه وقرأ أبو عمرو والكسائى بالتخفيف ورفع الناس (و يوم يحشرهم كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار) يستقصرون مدة لبثهم فى الدنيا أو

فيصير المعنى أنزله الله من رب العالمين أى من عنده باقامة المضمر مقام المظهر (قوله والبرهان عليه) أى البرهان على وجوب اتباع القرآن وهو كونه من عند الله (قوله فانكم مثلى فى العربية الخ) الظاهر انكم مثلى على زعمكم لانه فى نفس الامر كذلك وهذا كاف فى الالزام (قوله معنى التوقيع فى لما الخ) يعنى ان اتيان تأويله لهم بالمعنيين المذكورين متوقع لما ذكر من ظهور اعجازه أو لظهور صدق اخباره فى بعض ما شاهدوه

في القبور لطول ما يرون والجملة التشبيهية في موضع الحال أي يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة أو صفة ليوم والعائد محذوف تقديره كأن لم يلبثوا قبله أو لمصدر محذوف أي حشرا كأن لم يلبثوا قبله (يتعارفون بينهم) يعرف بعضهم بعضا كأنهم لم يتفارقوا الا قليلا وهذا أول مانشروا ثم ينقطع التعارف لشدة الأمر عليهم وهي حال أخرى مقدرة أو بيان لقوله كأن لم يلبثوا أو متعلق الظرف والتقدير يتعارفون يوم يحشرهم (قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله) استئناف للشهادة على خسرانهم والتعجب منه ويجوز أن يكون حالا من الضمير في يتعارفون على ارادة القول (وما كانوا مهتدين) لطرق استعمال مامنحوا من المعاون في تحصيل المعارف فاستكسبوا بها جهالات أدت بهم الى الردى والعذاب الدائم (واما نرينك) نبصرنك (بعض الذي نعدهم) من العذاب في حياتك كما أراه يوم بدر (أو نتوفينك) قبل أن نريك (فالينا مرجعهم) فنريكه في الآخرة وهو جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف مثل فذاك (ثم الله شهيد على مايفعلون) مجاز عليه ذكر الشهادة وأراد نتيجتها ومقتضاها ولذلك رتبها على الرجوع بثم أو مؤد شهادته على أفعالهم يوم القيامة (ولكل أمة) من الامم الماضية (رسول) يبعث اليهم ليدعوهم الى الحق (فاذا جاء رسولهم) بالبينات فكذبوه (قضي بينهم) بين الرسول ومكذبيه (بالقسط) بالعدل فأنجي الرسول وأهلك المكذبون (وهم لايظلمون) وقيل معناه لكل أمة يوم القيامة رسول تنسب اليه فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان قضي بينهم بانجاء المؤمنين وعقاب الكفار لقوله وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم (ويقولون متى هذا الوعد) استبعادا له واستهزاء به (ان كنتم صادقين) خطاب منهم للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (قل لاأملك لنفسي ضرا ولا نفعا) فكيف أملك لكم فأستعجل في جلب العذاب اليكم (الا ماشاء الله) أن أملكه أو ولكن ماشاء الله من ذلك كائن (لكل أمة أجل) مضروب لهلاكهم (اذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) لايتأخرون ولا يتقدمون فلا تستعجلوا فسيحين وقتكم وينجز وعدكم (قل أرأيتم ان أتاكم عذابه) الذي تستعجلون به (بياتا) وقت بيات واشتغال بالنوم (أو نهارا) حين كنتم مشتغلين بطلب معاشكم (ماذا يستعجل منه المجرمون) أي شيء من العذاب يستعجلونه وكله مكروه لايلائم الاستعجال وهو متعلق بأرأيتم لانه بمعنى أخبروني والمجرمون وضع موضع الضمير للدلالة على أنهم لجرمهم ينبغي أن يفزعوا من مجيء العذاب لاأن يستعجلوه وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال أو تعرفوا خطأه ويجوز أن يكون الجواب ماذا كقولك ان أتيتك ماذا تعطيني وتكون الجملة متعلقة بأرأيتم أو بقوله (أثم اذا ماوقع آمنتم به) بمعنى ان أتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان وماذا يستعجل اعتراض ودخول حرف الاستفهام على ثم لانكار التأخير (آلآن) على ارادة القول أي قيل لهم اذا آمنوا بعد وقوع العذاب آلآن آمنتم به وعن نافع آلان بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام (وقد كنتم به تستعجلون) تكذيبا واستهزاء (ثم قيل للذين ظلموا) عطف على قيل المقدر (ذوقوا عذاب الخلد) المؤلم على الدوام (هل تجزون الا بما كنتم تكسبون) من الكفر والمعاصي (ويستنبئونك) ويستخبرونك (أحق هو) أحق ماتقول من الوعد أو ادعاء النبوة تقوله بجد أم باطل تهزل به قاله حيي بن أخطب لما قدم مكة والاظهر أن الاستفهام فيه على أصله لقوله ويستنبئونك وقيل انه للانكار ويؤيده أنه قرئ آلحق هو فان فيه

(قوله وهو حال أخرى مقدرة أو بيان الخ) يعني ان التعارف بينهم ليس في الحشر فيجب ان يكون حالا مقدرة والتقدير يوم نحشرهم مقدرا التعارف بينهم واما كونه بيانا لما ذكر فلان التعارف دليل على عدم طول اللبث لان طوله يوجب النسيان وعدم التعارف فلم يحصل التعارف على عدم طول اللبث (قوله ويجوز أن يكون حالا من الضمير في يتعارفون على ارادة القول) فيكون التقدير يتعارفون مقولا لهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله (قوله ويجوز ان يكون الجواب ماذا الخ) فيكون المعنى إن أتاكم أمارات العذاب ماذا يستعجل منه المجرمون (قوله أو قوله اثم اذا ماوقع آمنتم به الآن) فيكون التقدير ثم اذا ماوقع آمنتم أي يقال لهم أكفرتم قبل وقوع العذاب ثم اذا وقع آمنتم (قوله وقيل انه للانكار الخ) فان قيل اذا كان للانكار فما معنى يستنبئونك قلنا المراد الاستنباء بحسب الظاهر وان كان انكارا في الحقيقة (قوله ويؤيده انه قرئ آلحق هو) أي لان فيه حصر الحق في القرآن

تعريضا بأنه باطل وأحق مبتدأ والضمير مرتفع به ساد مسد الخبر أو خبر مقدم والجملة فى موضع النصب يستنبؤنك (قل اى و ربى انه لحق) ان العذاب لكائن أو ما ادعيته لثابت وقيل كلا الضميرين للقرآن واى بمعنى نعم وهو من لوازم القسم ولذلك يوصل بواوه فى التصديق فيقال اى والله ولا يقال اى وحده (وما أنتم بمعجزين) بفائتين العذاب (ولو أن لكل نفس ظلمت) بالشرك أو التعدى على الغير (ما فى الارض) من خزائنها وأموالها (لافتدت به) لجعلته فدية لها من العذاب من قولهم افتداه بمعنى فداه (وأسروا الندامة لما رأوا العذاب) لانهم بهتوا بما عاينوا مما لم يحتسبوه من فظاعة الأمر وهوله فلم يقدروا أن ينطقوا وقيل أسروا الندامة أخلصوها لان اخفاءها اخلاصها أولانه يقال سر الشئ لخالصته من حيث انها تخفى ويضن بها وقيل أظهروها من قولهم اسر الشئ وأشره اذا أظهره (وقضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون) ليس تكريرا لان الاول قضاء بين الانبياء ومكذبيهم والثانى مجازاة المشركين على الشرك أو الحكومة بين الظالمين والمظلومين والضمير انما يتناولهم لدلالة الظلم عليهم (ألا ان لله ما فى السموات والارض) تقرير لقدرته تعالى على الاثابة والعقاب (ألا ان وعد الله حق) ما وعده من الثواب والعقاب كائن لا خلف فيه (ولكن أكثرهم لا يعلمون) لانهم لا يعلمون لقصور عقولهم الا ظاهرا من الحياة الدنيا (هو يحيى ويميت) فى الدنيا فهو يقدر عليهما فى العقبى لان القادر لذاته لا تزول قدرته والمادة القابلة بالذات للحياة والموت قابلة لهما أبدا (واليه ترجعون) بالموت أو النشور (يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين) أى قد جاءكم كتاب جامع للحكمة العملية الكاشفة عن محاسن الاعمال ومقابحها المرغبة فى المحاسن والزاجرة عن المقابح والحكمة النظرية التى هى شفاء لما فى الصدور من الشكوك وسوء الاعتقاد وهدى الى الحق واليقين ورحمة للمؤمنين حيث أنزلت عليهم فنجوا بها من ظلمات الضلال الى نور الايمان وتبدلت مقاعدهم من طبقات النيران بمصاعد من درجات الجنان والتنكير فيها للتعظيم (قل بفضل الله وبرحمته) بانزال القرآن والباء متعلقة بفعل يفسره قوله (فبذلك فليفرحوا) فان اسم الاشارة بمنزلة الضمير تقديره بفضل الله وبرحمته فليعتنوا أو فليفرحوا فبذلك فليفرحوا وفائدة ذلك التكرير التأكيد والبيان بعد الاجمال وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح أو بفعل دل عليه قد جاءتكم وذلك اشارة الى مصدره أى فبمجيئها فليفرحوا والفاء بمعنى الشرط كأنه قيل ان فرحوا بشئ فيهما فليفرحوا أو للربط بما قبلها والدلالة على ان مجئ الكتاب الجامع بين هذه الصفات موجب للفرح وتكريرها للتأكيد كقوله * واذا هلكت فعند ذلك فاجزعى * وعن يعقوب فلتفرحوا بالتاء على الاصل المرفوض وقد روى مرفوعا ويؤيده أنه قرئ فافرحوا (هو خير مما يجمعون) من حطام الدنيا فانها الى الزوال قريب وهو ضمير ذلك وقرأ ابن عامر تجمعون بالتاء على معنى فبذلك فليفرح المؤمنون فهو خير مما تجمعونه أيها المخاطبون (قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق) جعل الرزق منزلا لانه مقدر فى السماء محصل باسباب منها وما فى موضع النصب بانزل أو بأرأيتم فانه بمعنى أخبرونى ولكم دل على ان المراد منه ما حل ولذلك وبخ على التبعيض فقال (فجعلتم منه حراما وحلالا) مثل هذه أنعام وحرث حجر ما فى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا (قل آلله أذن لكم) فى التحريم والتحليل فتقولون ذلك بحكمه (أم على الله تفترون) فى نسبة ذلك اليه ويجوز أن تكون المنفصلة متصلة بأرأيتم وقل مكرر للتأكيد وان يكون الاستفهام للانكار

غير شائبة (قوله ليس تكريرا) أى ليس قوله تعالى فقضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون تكريرا لقوله تعالى قبل ذلك بآيات فاذا جاء رسولهم قضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون (قوله فهو يقدر عليهما فى العقبى) لك ان تقول فهو يقدر عليها أى على الحياة فى العقبى لان اعتبار الامانة فى العقبى خال عن الفائدة اذ لا امانة فيها ويمكن ان يقال انه ورد ان الوحوش حشرت ثم أميتت (قوله والتنكير فيها للتعظيم) أى التنكير فى الكلمات المذكور وهى موعظة وشفاء وغيرها المذكور (قوله فان اسم الاشارة بمنزلة الضمير) يعنى قوله فبذلك فليفرحوا بمنزلة قوله فبه فليفرحوا أى بفضل الله وبرحمته فليفرحوا فهذه قرينة ان فليفرحوا مقدر فى الاول (قوله أو بفعل الخ) فيكون المعنى قد جاءتكم موعظة من ربكم بفضل الله وبرحمته (قوله وللربط بما قبلها) أى زيادة الربط والا وأصل الربط يحصل بالجار والمجرور (قوله وتكريره للتأكيد) والمعنى فليفرحوا بذلك فليفرحوا (قوله على الاصل المرفوض) أى

تعالى آلله أذن لكم أم على الله تفترون (قوله تعالى وماظن الذين يفترون) المقصود من هذا الكلام ليس حقيقة الاستفهام بل المضاف مقدر ويكون المعنى وماظن الذين يفترون على الله الكذب فى شأن يوم القيامة أى ماظنهم فى شأنه وماوقع فيه الظنون عدم وقوع الجزاء فيه (قوله ويدل عليه انه قرئ بلفظ الماضى) أى يدل على كون يوم القيامة ظرف الظن قراءة ظن بصيغة الماضى لان أكثر أحوال القيامة عبر عنه فى القرآن

بصيغة الماضى (قوله تعميم للخطاب بعد تخصيصه بالنبى الذى هو رأسهم وقدوتهم) لان الخطابين الاولين للنبى صلى الله عليه وسلم والثالث شامل له ولامته (قوله والضمير فيه ومايتلوا منه له الخ) فيكون المعنى وما تتلوا تلاوة كائنة منه (قوله ولذلك ذكر حيث خص الخ) أى حيث خص الخطاب بالنبى ذكر نبأ عظيما فانه قال فى خطابه الشأن وتلاوة القرآن وحيث عم الخطاب للمؤمنين ذكر ماهو أعم فانه ذكر فى الخطاب العمل وهو شامل للجليل والحقير (قوله فان العامة لاتعرف ممكنا غيرهما ليس فيهما ولا متعلقا بهما) أى تخصيص الارض والسماء بالذكر مع ان فى الوجود اجراما خارجة عنهما لماذكر وهذا قبل اشتهار وجود العرش والكرسى وأما بعد اشتهار وجودهما فما ذكره ممنوع ثم ان وجود مايتعلق بهما وليس فيهما غير ظاهر ويمكن ان يقال المراد بما فى السموات مافى جوفها وبما يتعلق بهما ما

وأم منقطعة ومعنى الهمزة فيها تقرير لافترائهم على الله (وماظن الذين يفترون على الله الكذب) أى شئ ظنهم (يوم القيامة) أيحسبون أن لايجازوا عليه وهو منصوب بالظن ويدل عليه انه قرئ بلفظ الماضى لانه كائن وفى ابهام الوعيد تهديد عظيم (ان الله لذوفضل على الناس) حيث أنعم عليهم بالعقل وهداهم بارسال الرسل وانزال الكتب (ولكن أكثرهم لايشكرون) هذه النعمة (وماتكون فى شأن) ولاتكون فى أمر وأصله الهمز من شأنت شأنه اذا قصدت قصده والضمير فى (وماتتلو منه) له لان تلاوة القرآن معظم شأن الرسول أولان القراءة تكون لشأن فيكون التقدير من أجله ومفعول تتلو (من قرآن) على أن من تبعيضية أومزيدة لتأكيد النفى أو للقرآن واضماره قبل الذكر ثم بيانه تفخيم له أولله (ولاتعملون من عمل) تعميم للخطاب بعد تخصيصه بمن هو رأسهم ولذلك ذكر حيث خص مافيه فخامة وذكر حيث عم مايتناول الجليل والحقير (الا كنا عليكم شهودا) رقباء مطلعين عليه (اذ تفيضون فيه) تخوضون فيه وتندفعون (ومايعزب عن ربك) ولايبعد عنه ولايغيب عن علمه وقرأ الكسائى بكسر الزاى هنا وفى سبأ (من مثقال ذرة) موازن نملة صغيرة أوهباء (فى الأرض ولافى السماء) أى فى الوجود والامكان فان العامة لاتعرف ممكنا غيرهما ليس فيهما ولا متعلقا بهما وتقديم الأرض لان الكلام فى حال أهلها والمقصود منه البرهان على احاطة علمه بها (ولاأصغر من ذلك ولاأكبر الا فى كتاب مبين) كلام برأسه مقرر لماقبله ولا نافية وأصغر اسمها وفى كتاب خبرها وقرأ حمزة ويعقوب بالرفع على الابتداء والخبر ومن عطف على لفظ مثقال ذرة وجعل الفتح بدل الكسر لامتناع الصرف أوعلى محله مع الجار جعل الاستثناء منقطعا والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ (ألاان أولياء الله) الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة (لاخوف عليهم) من لحوق مكروه (ولاهم يحزنون) لفوات مأمول والآية كمجمل فسره قوله (الذين آمنوا وكانوا يتقون) وقيل الذين آمنوا وكانوا يتقون بيان لتوليهم اياه (لهم البشرى فى الحياة الدنيا) وهو مابشر به المتقين فى كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ومايريهم من الرؤيا الصالحة ومايسنح لهم من المكاشفات وبشرى الملائكة عند النزع (وفى الآخرة) بتلقى الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة بيان لتوليه لهم ومحل الذين آمنوا النصب أوالرفع على المدح أوعلى وصف الاولياء أوعلى الابتداء وخبره لهم البشرى (لاتبديل لكلمات الله) أى لاتغيير لاقواله ولااخلاف لمواعيده (ذلك) اشارة الى كونهم مبشرين فى الدارين (هو الفوز العظيم) هذه الجملة والتى قبلها اعتراض لتحقيق المبشر به وتعظيم شأنه وليس من شرطه أن يقع بعده كلام يتصل بماقبله (ولايحزنك قولهم) اشراكهم وتكذيبهم وتهديدهم وقرأ نافع يحزنك من أحزنه وكلاهما بمعنى (ان العزة لله جميعا) استئناف بمعنى التعليل ويدل عليه القراءة بالفتح كأنه

يكون جزء منه أوقائما والاولى ان يقال أريد بالارض الجهات السفلية وبالسماء الجهات العلوية قيل فكل مافى العالم فهو فى أحدهما وقد جوز المصنف ماذكرنا فى تفسير سورة البقرة (قوله جعل الاستثناء منقطعا) اذ لو كان متصلا لزم عزوب مافى الكتاب المبين من الله تعالى (قوله بيان لتوليه لهم) أى لتولى الله تعالى للمؤمنين فانه فسر أولياء الله بالذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة وذكر ان الذين آمنوا وكانوا يتقون بيان لتوليهم فههنا ذكر ان لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة بيان لتوليه لهم (قوله ويدل على كونه للتعليل قراءة ان بالفتح) اذ التقدير لان العزة لله

قيل لايحزن بقولهم ولاتبال بهم لان الغلبة لله جميعا لايملك غيره شيأ منها فهو يقهرهم و ينصرك عليهم (هو السميع) لاقوالهم (العليم) بعزماتهم فيكافئهم عليها (ألا ان لله من فى السموات ومن فى الارض) من الملائكة والثقلين واذا كان هؤلاء الذين هم أشرف الممكنات عبيدا لا يصلح أحد منهم للربوبية فمالا يعقل منها أحق أن لا يكون له ندا أو شريكا فهو كالدليل على قوله (ومايتبع الذين يدعون من دون الله شركاء) أى شركاء على الحقيقة وان كانوا يسمونها شركاء ويجوز أن يكون شركاء مفعول يدعون ومفعول يتبع محذوف دل عليه (ان يتبعون الا الظن) أى مايتبعون يقينا وانما يتبعون ظنهم انها شركاء ويجوز أن تكون ما استفهامية منصوبة يتبع أو موصولة معطوفة على من وقرئ تدعون بالتاء الخطابية والمعنى أى شئ يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين أى انهم لا يتبعون الا الله ولا يعبدون غيره فمالكم لا تتبعونهم فيه كقوله أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة فيكون الزاما بعد برهان ومابعده مصروف عن خطابهم لبيان سندهم ومنشأ رأيهم (وان هم الا يخرصون) يكذبون فيما ينسبون الى الله أو يحزرون ويقدرون انها شركاء تقديرا باطلا (هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا) تنبيه على كمال قدرته وعظم نعمته المتوحد هو بهما ليدلهم على تفرده باستحقاق العبادة وانما قال مبصرا ولم يقل لتبصروا فيه تفرقة بين الظرف المجرد والظرف الذى هو سبب (ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون) سماع تدبر واعتبار (قالوا اتخذ الله ولدا) أى تبناه (سبحانه) تنزيه له عن التبنى فانه لا يصح الا ممن يتصور له الولد وتعجب من كلمتهم الحمقاء (هو الغنى) علة لتنزيهه فان اتخاذ الولد مسبب عن الحاجة (له مافى السموات ومافى الارض) تقرير لغناه (ان عندكم من سلطان بهذا) نفى لمعارض ماأقامه من البرهان مبالغة فى تجهيلهم وتحقيقا لبطلان قولهم وبهذا متعلق بسلطان أو نعت له أو بعندكم كأنه قيل ان عندكم فى هذا من سلطان (أتقولون على الله مالا تعلمون) توبيخ وتقريع على اختلاقهم وجهلهم وفيه دليل على ان كل قول لادليل عليه فهو جهالة وان العقائد لابد لها من قاطع وان التقليد فيها غير سائغ (قل ان الذين يفترون على الله الكذب) باتخاذ الولد واضافة الشريك اليه (لا يفلحون) لا ينجون من النار ولا يفوزون بالجنة (متاع فى الدنيا) خبر مبتدأ محذوف أى افتراؤهم متاع فى الدنيا يقيمون به رئاستهم فى الكفر أو حياتهم أو تقلبهم متاع أو مبتدأ خبره محذوف أى لهم تمتع فى الدنيا (ثم الينا مرجعهم) بالموت فيلقون الشقاء المؤبد (ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون) بسبب كفرهم (واتل عليهم نبأ نوح) خبره مع قومه (اذ قال لقومه ياقوم ان كان كبر عليكم) عظم عليكم وشق (مقامى) نفسى كقولك فعلت كذا لمكان فلان أو كونى واقامتى بينكم مدة مديدة أو قيامى على الدعوة (وتذكيرى) اياكم (بآيات الله فعلى الله توكلت) وثقت به (فاجمعوا أمركم) فاعزموا عليه (وشركاءكم) أى مع شركائكم ويؤيده القراءة بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز من غير أن يؤكد للفصل وقيل انه معطوف على أمركم بحذف المضاف أى وأمر شركائكم وقيل انه منصوب بفعل محذوف تقديره وادعوا شركاءكم وقد قرئ به وعن نافع فاجمعوا من الجمع والمعنى أمرهم بالعزم أو الاجماع على قصده والسعى فى اهلاكه على أى وجه يمكنهم ثقة بالله وقلة مبالاة بهم (ثم لا يكن أمركم) فى قصدى (عليكم غمة) مستورا واجعلوه ظاهرا مكشوفا من غمه اذا ستره أو ثم لا يكن حالكم عليكم غما اذا أهلكتمونى وتخلصتم من ثقل مقامى وتذكيرى (ثم اقضوا) أدوا (الى) ذلك الامر الذى تريدون بى وقرئ ثم أفضوا الى بالفاء أى انتهوا الى بشركم أو ابرزوا الى من أفضى اذا خرج الى الفضاء (ولا تنظرون) ولا تمهلونى (فان توليتم) أعرضتم

(قوله فيكون الزاما بعد برهان) البرهان مستفاد من قوله تعالى ألا ان لله من فى السموات ومن فى الارض والالزام قوله ومايتبع الذين يدعون (قوله تفرقة بين الظرف المجرد والظرف الذى هو سبب) أى تفرقة بين الليل الذى هو لمجرد الظرفية وبين النهار الذى هو ظرف وسبب للابصار اذ لو قيل لتبصروا فيه لم يدل على كونه سببا للرؤية (قوله وفيه دليل الخ) أى فيه دليل على ان كل قول غير بديهى لادليل عليه فهو جهالة (قوله ويؤيده القراءة بالرفع) أى يؤيد المعنى المذكور وهو كون شركائكم مفعولا معه قراءة الرفع لان مآل القراءتين واحد (قوله أو ثم لا يكن حالكم غما الخ) الظاهر ان المعنى تفكروا فى أن لا يكون أمركم وحالكم غما عليكم اذا أهلكتمونى (قوله والمحكى مفهوم قولهم) أى المحكى وهو انه اسحر ليس بعينه ماقالوه على هذا التقدير وهو الاستفهام التقريرى والمحكى المذكور هو مفهوم هذا الاستفهام

عن تذكيري (فما سألتكم من أجر) يوجب توليكم لثقله عليكم واتهامكم اياى لاجله أو يفوتنى لتوليكم (ان أجرى) ماثوابى على الدعوة والتذكير (الا على الله) لاتعلق له بكم يثيبنى به آمنتم أو توليتم (وأمرت أن أكون من المسلمين) المنقادين لحكمه لاأخالف أمره ولاأرجو غيره (فكذبوه) فاصروا على تكذيبه بعد ماألزمهم الحجة وبين أن توليهم ليس الا لعنادهم وتمردهم لاجرم حقت عليهم كلمة العذاب (فنجيناه) من الغرق (ومن معه فى الفلك) وكانوا ثمانين (وجعلناهم خلائف) من الهالكين به (وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا) بالطوفان (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين) تعظيم لماجرى عليهم وتحذير لمن كذب الرسول صلى الله عليه وسلم وتسلية له (ثم بعثنا) أرسلنا (من بعده) من بعد نوح (رسلا الى قومهم) كل رسول الى قومه (فجاؤهم بالبينات) بالمعجزات الواضحة المثبتة لدعواهم (فما كانوا ليؤمنوا) فما استقام لهم أن يؤمنوا لشدة شكيمتهم فى الكفر وخذلان الله اياهم (بما كذبوا به من قبل) أى بسبب تعودهم تكذيب الحق وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام (كذلك نطبع على قلوب المعتدين) بخذلانهم لانهما كهم فى الضلال واتباع المألوف وفى أمثال ذلك دليل على ان الافعال واقعة بقدرة الله تعالى وكسب العبد وقدمر تحقيق ذلك (ثم بعثنا من بعدهم) من بعد هؤلاء الرسل (موسى وهرون الى فرعون وملئه بآياتنا) بالآيات التسع (فاستكبروا) عن اتباعهما (وكانوا قوما مجرمين) معتادين الاجرام فلذلك تهاونوا برسالة ربهم واجترؤا على ردها (فلما جاءهم الحق من عندنا) وعرفوه بتظاهر المعجزات الباهرة المزيلة للشك (قالوا) من فرط تمردهم (ان هذا لسحر مبين) ظاهر انه سحر أو فائق فى فنه واضح فيما بين اخوانه (قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم) انه لسحر فحذف المحكى المقول لدلالة ماقبله عليه ولايجوزان يكون (أسحر هذا) لانهم بتوا القول بل هو استئناف بانكار ماقالوه اللهم الا ان يكون الاستفهام فيه للتقرير والمحكى مفهوم قولهم ويجوزان يكون معنى أتقولون للحق أتعيبونه من قولهم فلان يخاف القالة كقوله تعالى سمعنا فتى يذكرهم فيستغنى عن المفعول (ولايفلح الساحرون) من تمام كلام موسى للدلالة على انه ليس بسحر فانه لو كان سحرا لاضمحل ولم يبطل سحر السحرة ولان العالم بانه لايفلح الساحر لايسحر أو من تمام قولهم ان جعل أسحر هذا محكيا كأنهم قالوا أجئتنا بالسحر تطلب به الفلاح ولايفلح الساحرون (قالوا أجئتنا لتلفتنا) لتصرفنا واللفت والفتل اخوان (عما وجدنا عليه آباءنا) من عبادة الاصنام (وتكون لكما الكبرياء فى الارض) الملك فيها سمى بها لاتصاف الملوك بالكبر أو التكبر على الناس باستتباعهم (ومانحن لكما بمؤمنين) بمصدقين فيما جئتما به (وقال فرعون ائتونى بكل ساحر) وقرأ حمزة والكسائى بكل سحار (عليم) حاذق فيه (فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ماأنتم ملقون فلما ألقوا قال موسى ماجئتم به السحر) أى الذى جئتم به هو السحر لاماسماه فرعون وقومه سحرا وقرأ أبو عمرو آلسحر على ان ما استفهامية مرفوعة بالابتداء وجئتم به خبرها وآلسحر بدل منه أو خبر مبتدا محذوف تقديره أهو السحر أو مبتدا خبره محذوف أى آلسحر هو ويجوزان ينتصب ما بفعل يفسره مابعده وتقديره أى شئ أتيتم (ان الله سيبطله) سيمحقه أو سيظهر بطلانه (ان الله لايصلح عمل المفسدين) لايثبته ولايقويه وفيه دليل على ان السحر افساد وتمويه لاحقيقة له (ويحق الله الحق) ويثبته (بكلماته) باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته (ولو كره المجرمون) ذلك (فما آمن لموسى) أى فى مبدأ أمره (الا ذرية من قومه) الاأولاد من أولاد قومه بنى اسرائيل دعاهم فلم يجيبوه خوفا من فرعون الا طائفة من شبابهم وقيل

(قوله أى بسبب تعودهم تكذيب الحق الخ) ظاهر العبارة مشعر بان ما المذكورة مصدرية وحينئذ يشكل أمر الضمير فى به ويمكن ان يقال المراد فما كانوا ليؤمنوا بحق كذبوا به قبل بعثة الرسل فان المشركين قبل بعثة الانبياء كانوا على الشرك ماأقروا بالتوحيد وبعد بعثة الانبياء أيضا كذلك اذ كانوا مطبوعى القلوب فتكون اللام فى للحق لبيان المعطوف فيه ٧ كما فى هيت لك (قوله ولم يبطل سحر السحرة) هذا فرع ان لايكون سحر فوق سحر آخر وفيه مافيه

الضمير

الضمير لفرعون والذرية طائفة من شبانهم آمنوا به أو مؤمن آل فرعون وامرأته آسية وخازنه وزوجته وماشطته (على خوف من فرعون وملئهم) أى مع خوف منهم والضمير لفرعون وجمعه على ماهو المعتاد فى ضمير العظماء أو على ان المراد بفرعون آله كما يقال ربيعة ومضر أو للذرية أو للقوم (أن يفتنهم) أن يعذبهم فرعون وهو بدل منه أو مفعول خوف وافراده بالضمير للدلالة على أن الخوف من الملأ كان بسببه (وان فرعون لعال فى الارض) لغالب فيها (وانه لمن المسرفين) فى الكبر والعتو حتى ادعى الربوبية واسترق أسباط الانبياء (وقال موسى) لما رأى تخوف المؤمنين به (ياقوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا) فثقوا به واعتمدوا عليه (ان كنتم مسلمين) مستسلمين لقضاء الله مخلصين له وليس هذا من تعليق الحكم بشرطين فان المعلق بالايمان وجوب التوكل فانه المقتضى له والمشروط بالاسلام حصوله فانه لا يوجد مع التخليط ونظيره ان دعاك زيد فاجبه ان قدرت (فقالوا على الله توكلنا) لانهم كانوا مؤمنين مخلصين ولذلك أجيبت دعوتهم (ربنا لاتجعلنا فتنة) موضع فتنة (للقوم الظالمين) أى لاتسلطهم علينا فيفتنونا (ونجنا برحمتك من القوم الكافرين) من كيدهم ومن شؤم مشاهدتهم وفى تقديم التوكل على الدعاء تنبيه على ان الداعى ينبغى له أن يتوكل أولا لتجاب دعوته (وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوآ) أى اتخذا مباءة (لقومكما بمصر بيوتا) تسكنون فيها أو ترجعون اليها للعبادة (واجعلوا) أنتما وقومكما (بيوتكم) تلك البيوت (قبلة) مصلى وقيل مساجد متوجهة نحو القبلة يعنى الكعبة وكان موسى صلى الله عليه وسلم يصلى اليها (وأقيموا الصلوة) فيها أمروا بذلك أول أمرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم (وبشر المؤمنين) بالنصرة فى الدنيا والجنة فى العقبى وانما ثنى الضمير أولا لان التبوأ للقوم واتخاذ المعابد مما يتعاطاه رؤس القوم بتشاور ثم جمع لان جعل البيوت مساجد والصلاة فيها مما ينبغى أن يفعله كل أحد ثم وحد لان البشارة فى الاصل وظيفة صاحب الشريعة (وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة) ما يتزين به من الملابس والمراكب ونحوهما (وأموالا فى الحيوة الدنيا) وأنواعا من المال (ربنا ليضلوا عن سبيلك) دعاء عليهم بلفظ الامر بما علم من ممارسة أحوالهم انه لا يكون غيره كقولك لعن الله ابليس وقيل اللام للعاقبة وهى متعلقة بآتيت ويحتمل ان تكون للعلة لان ايتاء النعم على الكفر استدراج وتثبيت على الضلال ولانهم لما جعلوها سببا للضلال فكأنهم أوتوها ليضلوا فيكون ربنا تكريرا للاول تأكيدا وتنبيها على ان المقصود عرض ضلالهم وكفرانهم تقدمة لقوله (ربنا اطمس على أموالهم) أى أهلكها والطمس المحق وقرئ اطمس بالضم (واشدد على قلوبهم) أى واقسها واطبع عليها حتى لاتنشرح للايمان (فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم) جواب للدعاء أو دعاء بلفظ النهى أو عطف على ليضلوا وما بينهما دعاء معترض (قال قد أجيبت دعوتكما) يعنى موسى وهرون لانه كان يؤمن (فاستقيما) فاثبتا على ما أنتما عليه من الدعوة والزام الحجة ولا تستعجلا فان ما طلبتما كائن ولكن فى وقته روى انه مكث فيهم بعد الدعاء أربعين سنة (ولا تتبعان سبيل الذين لايعلمون) طريق الجهلة فى الاستعجال أو عدم الوثوق والاطمئنان بوعد الله تعالى وعن ابن عامر برواية ابن ذكوان ولا تتبعان بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين ولا تتبعان من تبع ولا تتبعان أيضا (وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر) أى جوزناهم فى البحر حتى بلغوا الشط حافظين لهم وقرئ جوزنا وهو من فعل المرادف لفاعل كضعف وضاعف (فأتبعهم) فادركهم يقال تبعته حتى أتبعته (فرعون وجنوده بغيا وعدوا) باغين وعادين أو للبغى والعدو وقرئ وعدوا (حتى اذا أدركه الغرق) لحقه

(قوله على ماهو المعتاد فى ضمير العظماء) فيه خفاء لان رجع ضمير الجمع الى الواحد كما هو المعتاد فى ضمير العظماء يكون للتعظيم وهذا مما لاوجه له ههنا فان القائل بالكلام المذكور هو الله تعالى ولا معنى لتعظيم الله فرعون وامثاله ويمكن أن يقال المراد منه اظهار العظمة (قوله فان المعلق بالايمان وجوب التوكل الخ) فالمعنى ان كنتم آمنتم فوجب عليكم التوكل عليه وان كنتم مسلمين توكلتم عليه (قوله ان دعاك زيد فاجبه الخ) والمعنى ان دعاك زيد فأجبه أى وجبت الاجابة ان قدرت تجبه (قوله ان اتخذا مباءة) فيكون المعنى ان اتخذا مباءة بيوتا بمصر (قوله فيكون ربنا تكريرا للاول تأكيدا الخ) هذا على تقدير تعلقه بآتيت على أى معنى كانت اللام (قوله أى واقسها واطبع عليها) لك ان تقول اما ان يعلم موسى عليه السلام انهم لم يؤمنوا أولم يعلم فان كان الاول فما فائدة هذا الدعاء مع ان قوله مما علم من ممارسة أحوالهم انه لا يكون غيره يدل على انه علم ذلك وان كان الثانى فيرد ان الانبياء مبعوثون لاجل الدعوة الى

(قال آمنت أنه) أي بأنه (لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين) وقرأ حمزة والكسائي انه بالكسر على اضمار القول أو الاستئناف بدلا وتفسيرا لآمنت فنكب عن الايمان أوان القبول وبالغ فيه حين لا يقبل (آلآن) أتؤمن الآن وقد أيست من نفسك ولم يبق لك اختيار (وقد عصيت قبل) قبل ذلك مدة عمرك (وكنت من المفسدين) الضالين المضلين عن الايمان (فاليوم ننجيك) ننقذك مما وقع فيه قومك من قعر البحر ونجعلك طافيا أو نلقيك على نجوة من الارض ليراك بنو اسرائيل وقرأ يعقوب ننجيك من أنجى وقرئ ننحيك بالحاء أي نلقيك بناحية من الساحل (ببدنك) في موضع الحال أي ببدنك عاريا عن الروح أو كاملا سويا أو عريانا من غير لباس أو بدرعك وكانت له درع من ذهب يعرف بها وقرئ بأبدانك أي بأجزاء البدن كلها كقولهم هوى بأجرامه أو بدروعك كأنه كان مظاهرا بينها (لتكون لمن خلفك آية) لمن وراءك علامة وهم بنو اسرائيل اذ كان في نفوسهم من عظمته ما خيل اليهم أنه لا يهلك حتى كذبوا موسى عليه السلام حين أخبرهم بغرقه الى أن عاينوه مطرحا على ممرهم من الساحل أو لمن يأتي بعدك من القرون اذا سمعوا مآل أمرك ممن شاهدك عبرة ونكالا عن الطغيان أو حجة تدلهم على أن الانسان على ما كان عليه من عظم الشان وكبرياء الملك مملوك مقهور بعيد عن مظان الربوبية وقرئ لمن خلقك أي لخالقك آية أي كسائر الآيات فان افراده اياك بالالقاء الى الساحل دليل على انه تعمد منه لكشف تزويرك واماطة الشبهة في أمرك وذلك دليل على كمال قدرته وعلمه وارادته وهذا الوجه أيضا محتمل على المشهور (وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون) لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها (ولقد بوأنا) أنزلنا (بني اسرائيل مبوأ صدق) منزلا صالحا مرضيا وهو الشأم ومصر (ورزقناهم من الطيبات) من اللذائذ (فما اختلفوا حتى جاءهم العلم) فما اختلفوا في أمر دينهم الا من بعد ما قرؤا التوراة وعلموا أحكامها أو في أمر محمد صلى الله عليه وسلم الا من بعد ما علموا صدقه بنعوته وتظاهر معجزاته (ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) فيميز المحق من المبطل بالانجاء والاهلاك (فان كنت في شك مما أنزلنا اليك) من القصص على سبيل الفرض والتقدير (فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك) فانه محقق عندهم ثابت في كتبهم على نحو ما ألقينا اليك والمراد تحقيق ذلك والاستشهاد بما في الكتب المتقدمة وان القرآن مصدق لما فيها أو وصف أهل الكتاب بالرسوخ في العلم بصحة ما أنزل اليه أو تهييج الرسول صلى الله عليه وسلم وزيادة تثبيته لا امكان وقوع الشك له ولذلك قال عليه الصلاة والسلام لا أشك ولا أسأل وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد أمته أو لكل من يسمع أي ان كنت أيها السامع في شك مما نزلنا على لسان نبينا اليك وفيه تنبيه على ان كل من خالجته شبهة في الدين ينبغي أن يسارع الى حلها بالرجوع الى أهل العلم (لقد جاءك الحق من ربك) واضحا انه لا مدخل للمرية فيه بالآيات القاطعة (فلا تكونن من الممترين) بالتزلزل عما أنت عليه من الجزم واليقين (ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين) أيضا من باب التهييج والتثبيت وقطع الاطماع عنه كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين (ان الذين حقت عليهم) ثبتت عليهم (كلمة ربك) بأنهم يموتون على الكفر ويخلدون في العذاب (لا يؤمنون) اذ لا يكذب كلامه ولا ينتقض قضاؤه (ولو جاءتهم كل آية) فان السبب الاصلي لايمانهم وهو تعلق ارادة الله تعالى به مفقود (حتى يروا العذاب الأليم) وحينئذ لا ينفعهم كما لم ينفع فرعون (فلولا كانت قرية آمنت) فهلا كانت قرية من القرى التي أهلكناها آمنت قبل معاينة العذاب ولم تؤخر اليها كما أخر فرعون (فنفعها ايمانها) بأن يقبله الله منها ويكشف

الايمان وهذا ينافي هذا الدعاء والاولى ان يقال ان موسى عليه السلام علم انهم لم يؤمنوا والمقصود من هذا الدعاء زيادة القسوة والطبع حتى يزدادوا في الكفر والطغيان فيستحقوا زيادة العذاب (قوله وهذا الوجه محتمل أيضا على المشهورة) أي هذا الوجه الذي ذكرناه (قوله والمراد تحقيق ذلك) أي قوله وقيل لا يخفى ان هذه المقاصد حصلت اذ ثبتت حقيقة ما أنزل اليك بل حق العبارة استشهد على حقية القرآن بالسؤال من أهل الكتاب فالوجه ما أورده بقوله وقيل (قوله فهلا كانت قرية من القرى الخ) لك ان تقول الأولى ان تجعل القرية للجنس حتى يكون تنديما لأهل القرى جميعا أي الواجب على جميع القرى الايمان فلا وجه لاعتبار قرية منها الا ان يقال المراد زيادة التوبيخ بانه لم يؤمن قرية منها فان هذا أدخل في التوبيخ من ان يقال لم يؤمن جميع القرى

العذاب

العذاب عنها (الاقوم يونس) لكن قوم يونس عليه السلام (لما آمنوا) أوّل ماراوا أمارة العذاب ولم يؤخروه الى حلوله (كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحيوة الدنيا) ويجوز أن تكون الجملة فى معنى النفى لتضمن حرف التحضيض معناه فيكون الاستثناء متصلا لان المراد من القرى أهاليها كأنه قال ما آمن أهل قرية من القرى العاصية فنفعهم ايمانهم الاقوم يونس ويؤيده قراءة الرفع على البدل (ومتعناهم الى حين) الى آجالهم روى أن يونس عليه السلام بعث الى أهل نينوى من الموصل فكذبوه وأصروا عليه فوعدهم بالعذاب الى ثلاث وقيل الى ثلاثين وقيل الى أربعين فلما دنا الموعد أغامت السماء غيما أسود ذا دخان شديد فهبط حتى غشى مدينتهم فهابوا فطلبوا يونس فلم يجدوه فأيقنوا صدقه فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين كل والدة وولدها فحن بعضها الى بعض وعلت الاصوات والعجيج وأخلصوا التوبة وأظهروا الايمان وتضرعوا الى الله تعالى فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة (ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم) بحيث لايشذ منهم أحد (جميعا) مجتمعين على الايمان لايختلفون فيه وهو دليل على القدرية فى أنه تعالى لم يشأ ايمانهم أجمعين وأن من شاء ايمانه يؤمن لامحالة والتقييد بمشيئة الالجاء خلاف الظاهر (أفأنت تكره الناس) بما لم يشأ الله منهم (حتى يكونوا مؤمنين) وترتيب الاكراه على المشيئة بالفاء وايلاؤها حرف الاستفهام للانكار وتقديم الضمير على الفعل للدلالة على أن خلاف المشيئة مستحيل فلا يمكن تحصيله بالاكراه عليه فضلا عن الحث والتحريض عليه اذ روى انه كان حريصا على ايمان قومه شديد الاهتمام به فنزلت ولذلك قرره بقوله (وما كان لنفس أن تؤمن) بالله (الا باذن الله) الا بارادته وألطافه وتوفيقه فلا تجهد نفسك فى هداها فانه الى الله (ويجعل الرجس) العذاب أو الخذلان فانه سببه وقرئ بالزاى وقرأ أبو بكر ونجعل بالنون (على الذين لايعقلون) لايستعملون عقولهم بالنظر فى الحجج والآيات أو لايعقلون دلائله وأحكامه لما على قلوبهم من الطبع ويؤيد الاول قوله (قل انظروا) أى تفكروا (ماذا فى السموات والارض) من عجائب صنعه لتدلكم على وحدته وكمال قدرته وماذا ان جعلت استفهامية علقت انظروا عن العمل (وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لايؤمنون) فى علم الله وحكمه وما نافية أو استفهامية فى موضع النصب (فهل ينتظرون الا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم) مثل وقائعهم ونزول بأس الله بهم اذ لايستحقون غيره من قولهم أيام العرب لوقائعها (قل فانتظروا انى معكم من المنتظرين) لذلك أو فانتظروا هلاكى انى معكم من المنتظرين هلاككم (ثم ننجى رسلنا والذين آمنوا) عطف على محذوف دل عليه الا مثل أيام الذين خلوا كانه قيل نهلك الأمم ثم ننجى رسلنا ومن آمن بهم على حكاية الحال الماضية (كذلك حقا علينا ننج المؤمنين) كذلك الانجاء أو انجاء كذلك ننجى محمدا وصحبه حين نهلك المشركين وحقا علينا اعتراض ونصبه بفعله المقدر وقيل بدل من كذلك وقرأ حفص والكسائى ننجى مخففا (قل ياأيها الناس) خطاب لاهل مكة (ان كنتم فى شك من دينى) وصحته (فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم) فهذا خلاصة دينى اعتقادا وعملا فاعرضوها على العقل الصرف وانظروا فيها بعين الانصاف لتعلموا صحتها وهو أنى لاأعبد ما تخلقونه وتعبدونه ولكن أعبد خالقكم الذى هو يوجدكم ويتوفاكم وانما خص التوفى بالذكر للتهديد (وأمرت أن أكون من المؤمنين) بما دل عليه العقل ونطق به الوحى وحذف الجار من أن يجوز أن يكون من المطرد مع أن وأن وأن يكون من غيره كقوله

أمرتك الخير فافعل ما أمرت به * فقد تركتك ذا مال وذا نسب

(قوله وحذف الجار الخ) أى يحتمل ان يكون حذف حرف الجر من ان فى هذا الموضع بالنظر الى القياس المطرد وهو حذف حرف الجر من ان وان ويحتمل ان يكون نظرا الى خصوص لفظ أمرت من غير نظر الى القياس المذكور حتى لو فرض انه لم يكن ذلك القياس المطرد لجاز حذفه نظرا الى لفظ الأمر وجواب لسؤال مقدر عن تبعة الدعاء وتحرير السؤال ان يقال لم لايعبد مالا ينفع ولا يضر وأجيب بانه يستلزم الظلم

(وأن أقم وجهك للدين) عطف على أن أ كون غير أن صلة أن محكية بصيغة الامر ولافرق بينهما فى الغرض لان المقصود وصلها بما يتضمن معنى المصدر لتدل معه عليه وصيغ الافعال كلها كذلك سواء الخبر منها والطلب والمعنى وأمرت بالاستقامة فى الدين والاستبداد فيه بأداء الفرائض والانتهاء عن القبائح أو فى الصلاة باستقبال القبلة (حنيفا) حال من الدين أو الوجه (ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك) بنفسه ان دعوته أو خذلته (فان فعلت) فان دعوته (فانك اذا من الظالمين) جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر عن تبعة الدعاء (وان يمسسك الله بضر) وان يصبك به (فلا كاشف له) يرفعه (الا هو) الا الله (وان يردك بخير فلاراد) فلا دافع (لفضله) الذى أرادك به ولعله ذكر الارادة مع الخير والمس مع الضر مع تلازم الامرين للتنبيه على أن الخير مراد بالذات وأن الضر انما مسهم لا بالقصد الاول و وضع الفضل موضع الضمير للدلالة على انه متفضل بما يريد بهم من الخير لا استحقاق لهم عليه ولم يستثن لان مراد الله لا يمكن رده (يصيب به) بالخير (من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم) فتعرضوا لرحمته بالطاعة ولا تيأسوا من غفرانه بالمعصية (قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم) رسوله أو القرآن ولم يبق لكم عذر (فمن اهتدى) بالايمان والمتابعة (فانما يهتدى لنفسه) لان نفعه لها (ومن ضل) بالكفر بهما (فانما يضل عليها) لان و بال الضلال عليها (وما أنا عليكم بوكيل) بحفيظ موكول الى أمركم وانما أنا بشير ونذير (واتبع ما يوحى اليك) بالامتثال والتبليغ (واصبر) على دعوتهم وتحمل أذيتهم (حتى يحكم الله) بالنصرة أو بالامر بالقتال (وهو خير الحاكمين) اذ لا يمكن الخطأ فى حكمه لاطلاعه على السرائر اطلاعه على الظواهر * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة يونس أعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به و بعدد من غرق مع فرعون

(سورة هود مكية وهى مائة وثلاث وعشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الر كتاب) مبتدأ وخبر أو كتاب خبر مبتدأ محذوف (أحكمت آياته) نظمت نظما محكما لا يعتريه اخلال من جهة اللفظ والمعنى أو منعت من الفساد والنسخ فان المراد آيات السورة وليس فيها منسوخ أو أحكمت بالحجج والدلائل أو جعلت حكيمة منقول من حكم بالضم اذا صار حكيما لانها مشتملة على أمهات الحكم النظرية والعملية (ثم فصلت) بالفوائد من العقائد والاحكام والمواعظ والاخبار أو بجعلها سورا أو بالانزال نجما نجما أو فصل فيها ولخص ما يحتاج اليه وقرئ ثم فصلت أى فرقت بين الحق و الباطل وأحكمت آياته ثم فصلت على البناء للمتكلم وثم للتفاوت فى الحكم أو للتراخى فى الاخبار (من لدن حكيم خبير) صفة أخرى لكتاب أو خبر بعد خبر أو صلة لاحكمت أو فصلت وهو تقرير لاحكامها وتفصيلها على أكمل ما ينبغى باعتبار ما ظهر أمره وما خفى (ألا تعبدوا الا الله) لان لا تعبدوا وقيل أن مفسرة لان فى تفصيل الآيات معنى القول ويجوز أن يكون كلاما مبتدأ للاغراء على التوحيد أو الامر بالتبرى من عبادة الغير كانه قيل ترك عبادة غير الله بمعنى الزموه أو اتركوها تركا (اننى لكم منه) من الله (نذير وبشير) بالعقاب على الشرك والثواب على التوحيد (وأن استغفروا ربكم) عطف على ألا تعبدوا (ثم توبوا اليه) ثم توسلوا الى مطلوبكم بالتوبة فان المعرض عن طريق الحق لابد له من الرجوع وقيل استغفروا من الشرك ثم توبوا الى الله بالطاعة و يجوز أن يكون ثم لتفاوت ما بين الامرين (يمتعكم متاعا حسنا) يعيشكم فى أمن ودعة (الى أجل مسمى) هو آخر أعماركم المقدرة أو لا يهلككم بعذاب الاستئصال والارزاق والاحال

(قوله مع تلازم الأمرين) أى المس والارادة فان مس الخير وكذا الشر يستلزم الارادة وبالعكس

(سورة هود)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(قوله مبتدأ وخبر أو كتاب خبر مبتدأ محذوف) الاول على تقدير الحروف المذكورة أسماء السورة والثانى على تقدير غيره (قوله وثم للتفاوت فى الحكم الخ) فالاول باعتبار ان بين الاحكام والتفصيل تفاوتا بينا والثانى باعتبار ان الاخبار عن تفصيلها متأخر عن الاحكام (قوله كأنه قيل ترك عبادة غير الله) هذا تكلف بعيد والاولى ان يقدر الزموا ان لا تعبدوا الا الله (قوله ثم توصلوا الى مطلوبكم بالتوبة) الاولى ان يقال المقصود الرسوخ عليها اذ الاستغفار بدونه لا فائدة له

والآجال وان كانت متعلقة بالاعمار لكنها مسماة بالاضافة الى كل أحد فلا تتغير (ويؤت كل ذى فضل فضله) ويعط كل ذى فضل فى دينه جزاء فضله فى الدنيا والآخرة وهو وعد للموحد التائب بخير الدارين (وان تولوا) وان تتولوا (فانى أخاف عليكم عذاب يوم كبير) يوم القيامة وقيل يوم الشدائد وقد ابتلوا بالقحط حتى أكلوا الجيف وقرئ وان تولوا من ولى (الى الله مرجعكم) رجوعكم فى ذلك اليوم وهو شاذ عن القياس (وهو على كل شئ قدير) فيقدر على تعذيبكم أشد عذاب وكأنه تقدير لكبر اليوم (ألا انهم يثنون صدورهم) يثنونها عن الحق وينحرفون عنه أو يعطفونها على الكفر وعداوة النبى صلى الله عليه وسلم أو يولون ظهورهم وقرئ يثنونى بالياء والتاء من اثنونى وهو بناء مبالغة وتثنون وأصله تثنونن من الثن وهو الكلأ الضعيف أراد به ضعف قلوبهم أو مطاوعة صدورهم للثنى وتثنئن من اثنأن كابيأض بالهمزة وتثنوى (ليستخفوا منه) من الله بسرهم فلا يطلع رسوله والمؤمنين عليه قيل انها نزلت فى طائفة من المشركين قالوا اذا أرخينا ستورنا واستغشينا ثيابنا وطوينا صدورنا على عداوة محمد كيف يعلم وقيل نزلت فى المنافقين وفيه نظر اذ الآية مكية والنفاق حدث بالمدينة (ألا حين يستغشون ثيابهم) ألا حين يأوون الى فراشهم ويتغطون بثيابهم (يعلم ما يسرون) فى قلوبهم (وما يعلنون) بأفواههم يستوى فى علمه سرهم وعلنهم فكيف يخفى عليه ما عسى يظهرونه (انه عليم بذات الصدور) بالاسرار ذات الصدور أو بالقلوب وأحوالها (وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها) غذاؤها ومعاشها لتكفله اياه تفضلا ورحمة وانما أتى بلفظ الوجوب تحقيقا لوصوله وحملا على التوكل فيه (ويعلم مستقرها ومستودعها) أماكنها فى الحياة والممات أو الاصلاب والارحام أو مساكنها من الارض حين وجدت بالفعل ومودعها من المواد والمقار حين كانت بعد بالقوة (كل) كل واحد من الدواب وأحوالها (فى كتاب مبين) مذكور فى اللوح المحفوظ وكأنه أريد بالآية بيان كونه عالما بالمعلومات كلها وبما بعدها بيان كونه قادرا على الممكنات بأسرها تقريرا للتوحيد ولما سبق من الوعد والوعيد (وهو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام) أى خلقهما وما فيهما كما مر بيانه فى الاعراف أو ما فى جهتى العلو والسفل وجمع السموات دون الارض لاختلاف العلويات بالاصل والذات دون السفليات (وكان عرشه على الماء) قبل خلقهما لم يكن حائل بينهما لانه كان موضوعا على متن الماء واستدل به على امكان الخلاء وأن الماء أول حادث بعد العرش من أجرام هذا العالم وقيل كان الماء على متن الريح والله أعلم بذلك (ليبلوكم أيكم أحسن عملا) متعلق بخلق أى خلق ذلك كخلق من خلق ليعاملكم معاملة المبتلى لاحوالكم كيف تعملون فان جملة ذلك أسباب ومواد لوجودكم ومعاشكم وما تحتاج اليه أعمالكم ودلائل وأمارات تستدلون بها وتستنبطون منها وانما جاز تعليق فعل البلوى لما فيه من معنى العلم من حيث انه طريق اليه كالنظر والاستماع وانما ذكر صيغة التفضيل والاختبار شامل لفرق المكلفين باعتبار الحسن والقبح للتحريض على أحاسن المحاسن والتحضيض على الترقى دائما فى مراتب العلم والعمل فان المراد بالعمل ما يعم عمل القلب والجوارح ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم أيكم أحسن عقلا وأورع عن محارم الله وأسرع فى طاعة الله والمعنى أيكم أكمل علما وعملا (ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين) أى ما البعث أو القول به أو القرآن المتضمن لذكره الا كالسحر فى الخديعة أو البطلان وقرأ حمزة

من يجهل عليه عاقبة الامر ويريد ان يعلم فان قلت وجه خلق الارض وكذا خلق الكواكب لابتلاء الانسان ظاهر واما خلق السموات لاجله فغير ظاهر اذ السموات لم تكن محسوسة وليس لها حركة عند أهل الشرع بل الحركة للكواكب لا لها قلنا يمكن ان يكون خلقهن لأجل ان تكون أمكنة الكواكب أو أمكنة الملائكة العاملين فى السموات والأرض لاجل الانسان (قوله وانما جاز تعليق البلوى الخ) أى تعليق كلمة الاستفهام التى هى ايكم فانه من خصائص أفعال القلوب (قوله وانما ذكر صيغة التفضيل والاختبار شامل الخ) غرضه انه لما كان الاختبار والامتحان شاملا لجميع الفرق باعتبار العمل الحسن والقبيح اذ العامل قد يكون حسن العمل وقد يكون قبيحه فالظاهر ان يقال ليبلوكم بعمل الحسن أو بعمل القبيح فالعدول الى أحسن عملا الحث كل واحد على ان يسعى لتحصيل أحسن الاعمال وان يكون عمله أحسن من أعمال الآخرين واما بيان التحضيض على الترقى دائما فهو انه لما أفاد ان ظهر ايكم أحسن عملا كان هذا باعثا لكل أحد على الترقى دائما لدفع خوف ان يكون غيره أحسن عملا

(قوله على تضمن قلت معنى ذكرت) التضمين على ماعرفت ان يقصد بلفظ فعل معناه الحقيقي ويلاحظ معه معنى فعل آخر ولا يخفى انه لايناسب ههنا اذ يصير المعنى ولئن قلت ذاكرا انكم مبعوثون فالاولى ان يقال ان قلت بمعنى ذكرت (قوله توقعوا بعثكم) ظاهر هذه العبارة ان عل اسم فعل كما ان عليكم كذلك بمعنى احفظوا لكن هذا يحتاج الى نقل صريح ويمكن ان يقال أول العبارة بهذا المعنى كما قال فى لعلكم تتقون راجين ان تنخرطوا فى سلك المتقين (قوله وهو دليل على جواز تقديم

والكسائى الاساحر على أن الاشارة الى القائل وقرئ أنكم بالفتح على تضمن قلت معنى ذكرت أو أن يكون أن بمعنى عل أى ولئن قلت علكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم ولاتبتوا بانكاره لعدوه من قبيل مالاحقيقة له مبالغة فى انكاره (ولئن أخرنا عنهم العذاب) الموعود (الى أمة معدودة) الى جماعة من الاوقات قليلة (ليقولن) استهزاء (مايحبسه) مايمنعه من الوقوع (ألا يوم يأتيهم) كيوم بدر (ليس مصروفا عنهم) ليس العذاب مدفوعا عنهم ويوم منصوب بخبر ليس مقدم عليه وهو دليل على جواز تقديم خبرها عليها (وحاق بهم) وأحاط بهم وضع الماضى موضع المستقبل تحقيقا ومبالغة فى التهديد (ما كانوا به يستهزؤن) أى العذاب الذى كانوا به يستعجلون فوضع يستهزؤن موضع يستعجلون لان استعجالهم كان استهزاء (ولئن أذقنا الانسان منارحمة) ولئن أعطيناه نعمة بحيث يجد لذتها (ثم نزعناها منه) ثم سلبنا تلك النعمة منه (انه ليؤس) قطوع رجاءه من فضل الله تعالى لقلة صبره وعدم ثقته به (كفور) مبالغ فى كفران ماسلف له من النعمة (ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته) كصحة بعد سقم وغنى بعد عدم وفى اختلاف الفعلين نكتة لاتخفى (ليقولن ذهب السيآت عنى) أى المصائب التى ساءتنى (انه لفرح) بطر بالنعم مغتر بها (فخور) على الناس مشغول عن الشكر والقيام بحقها وفى لفظ الاذاقة والمس تنبيه على أن مايجده الانسان فى الدنيا من النعم والمحن كالانموذج لمايجده فى الآخرة وأنه يقع فى الكفران والبطر بادنى شئ لان الذوق ادراك الطعم والمس مبتدأ الوصول (الا الذين صبروا) على الضراء ايمانا بالله تعالى واستسلاما لقضائه (وعملوا الصالحات) شكرا لآلائه سابقها ولاحقها (أولئك لهم مغفرة) لذنوبهم (وأجر كبير) أقله الجنة والاستثناء من الانسان لان المراد به الجنس فاذا كان محلى باللام أفاد الاستغراق ومن حمله على الكافر لسبق ذكرهم جعل الاستثناء منقطعا (فلعلك تارك بعض مايوحى اليك) تترك تبليغ بعض مايوحى اليك وهو مايخالف رأى المشركين مخافة ردهم واستهزائهم به ولايلزم من توقع الشئ لوجود مايدعو اليه وقوعه لجواز أن يكون مايصرف عنه وهو عصمة الرسل عن الخيانة فى الوحى والثقة فى التبليغ ههنا (وضائق به صدرك) وعارض لك أحيانا ضيق صدرك بان تتلوه عليهم مخافة (أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز) ينفقه فى الاستتباع كالملوك (أوجاء معه ملك) يصدقه وقيل الضمير فى به مبهم يفسره أن يقولوا (انما أنت نذير) ليس عليك الا الانذار بما أوحى اليك ولاعليك ردوا أواقترحوا فما بالك يضيق به صدرك (والله على كل شئ وكيل) فتوكل عليه فانه عالم بحالهم وفاعل بهم جزاء أقوالهم وأفعالهم (أم يقولون افتراه) أم منقطعة والهاء لما يوحى (قل فأتوا بعشر سور مثله) فى البيان وحسن النظم تحداهم أولا بعشر سور ثم لما عجزوا عنها سهل الامر عليهم وتحداهم بسورة وتوحيد المثل باعتبار كل واحدة (مفتريات) مختلفات من عند أنفسكم ان صح أنى اختلقته من عند نفسى فانكم

خبرها عليها) ليس دليلا على جواز تقديم مطلق الخبر بل على جواز تقديم الخبر الذى يكون ظرفا وانما كان دليلا على ماذكر لانه اذا جاز تقديم معمول خبر ليس الذى هو الظرف عليها كان جواز تقديم نفس الخبر الذى يكون ظرفا عليها أولى (قوله وفى اختلاف الفعلين نكتة لاتخفى الخ) أى اختلاف فعل أذقناه ومسه أى لم يقل بعد ضراء أذقناه أو مسسناه بالنسبة الى المتكلم كما كان أذقناه كذلك للدلالة على ان مس الضر ليس مقصودا بالذات وانما وقع بالعرض والتبع بخلاف اذاقة النعماء وهذا الذى ذكر سابقا فى تفسير قوله تعالى وان يمسسك الله بضر (قوله وفى لفظ الاذاقة والمس تنبيه الخ) أى يستفاد من ظاهر تخصيص اللفظين المذكورين بالذكر وعدم التعرض لمايدل على كبر النعمة والضران اللذة الدنيوية تكون قليلا وكذا ضررها لان الاولى عبرت بالاذاقة والثانى بالمس وهما دالان على القلة والحقارة كذا ذكر عرب

(قوله ولايلزم من توقع وجود الشئ لوجود الخ) ظاهره يدل على ان الترك كان متوقعا منه صلى الله عليه وسلم ولم يقع لوجود الصارف وليس كذلك فالتوقع من بعض الناس لما رأوا من ضيق صدره بانكار المشركين اياه (قوله وعارض لك أحيانا ضيق صدر) هذا انما استفاده من صيغة اسم الفاعل التى للحدوث لا للثبوت (قوله وتوحيد المثل باعتبار كل واحد) فيكون المعنى بعشر سور كل واحد منها مثله

(قوله تقدرون على مثل ما أقدر عليه الخ) فيه نظر اذ كونهم قادرين على ما قدر عليه النبي صلى الله عليه وسلم بل أقدر منه دال على أن بلاغتهم أرفع وأعلى من بلاغته والظاهر انه ليس كذلك كيف وقد قال أنا أفصح من نطق بالضاد والعلماء جعلوا كلامه عليه الصلاة والسلام في البلاغة قريبا من القرآن ثم ان الدليل الذي ذكره لا يساعده فان تعلمهم القصص والاشعار لا يدل على كونهم أقدر على النظم والظاهر ان يقال ان هذا الزام لهم كأنه قيل لهم أنتم تزعمون القدرة على البيان والبلاغة فوق كل واحد فان ادعيتم اني اختلقت هذا القرآن من عند نفسي فاختلقوا انتم مثله (قوله والتنبيه الخ) عطف على قوله لان المؤمنين فكأنه قال اما لتعظيم الرسول أو لان المؤمنين الخ يعني أن في الخطاب لهم تنبيها على ان التحدي يوجب ماذكر فيجب ان لا تغفلوا عنه بل تشتغلوا به

عرب فصحاء مثلي تقدرون على مثل ما أقدر عليه بل أنتم أقدر لتعلمكم القصص والاشعار وتعودكم القريض والنظم (وادعوا من استطعتم من دون الله) الى المعاونة على المعارضة (ان كنتم صادقين) أنه مفترى (فان لم يستجيبوا لكم) باتيان ما دعوتم اليه وجمع الضمير اما لتعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم أو لان المؤمنين كانوا أيضا يتحدونهم وكان أمر الرسول صلى الله عليه وسلم متناولا لهم من حيث انه يجب اتباعه عليهم في كل أمر الا ما خصه الدليل وللتنبيه على أن التحدي مما يوجب رسوخ ايمانهم وقوة يقينهم فلا يغفلون عنه ولذلك رتب عليه قوله (فاعلموا أنما أنزل بعلم الله) ملتبسا بما لا يعلمه الا الله ولا يقدر عليه سواه (وأن لا اله الا هو) واعلموا أن لا اله الا الله لانه العالم القادر بما لا يعلم ولا يقدر عليه غيره ولظهور عجز آلهتهم ولتنصيص هذا الكلام الثابت صدقه باعجازه عليه وفيه تهديد واقناط من أن يجيرهم من بأس الله آلهتهم (فهل أنتم مسلمون) ثابتون على الاسلام راسخون فيه مخلصون اذا تحقق عندكم اعجازه مطلقا ويجوز أن يكون الكل خطابا للمشركين والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم أي فان لم يستجيبوا لكم الى المظاهرة لعجزهم وقد عرفتم من أنفسكم القصور عن المعارضة فاعلموا أنه نظم لا يعلمه الا الله وأنه منزل من عنده وأن ما دعاكم اليه من التوحيد حق فهل أنتم داخلون في الاسلام بعد قيام الحجة القاطعة وفي مثل هذا الاستفهام ايجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب والتنبيه على قيام الموجب وزوال العذر (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها) باحسانه وبره (نوف اليهم أعمالهم فيها) نوصل اليهم جزاء أعمالهم في الدنيا من الصحة والرئاسة وسعة الرزق وكثرة الاولاد وقرئ يوف بالياء أي يوف الله وتوف على البناء للمفعول ونوف بالتخفيف والرفع لان الشرط ماض كقوله

وان أتاه كريم يوم مسغبة * يقول لا غائب مالي ولا حرم

(وهم فيها لا يبخسون) لا ينقصون شيأ من أجورهم والآية في أهل الرياء وقيل في المنافقين وقيل في الكفرة وغرضهم وبرهم (أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار) مطلقا في مقابلة ما عملوا لانهم استوفوا ما تقتضيه صور أعمالهم الحسنة وبقيت لهم أوزار العزائم السيئة (وحبط ما صنعوا فيها) لانه لم يبق لهم ثواب في الآخرة أو لم يكن لانهم لم يريدوا به وجه الله والعمدة في اقتضاء ثوابها هو الاخلاص ويجوز تعليق الظرف بصنعوا على أن الضمير للدنيا (وباطل) في نفسه (ما كانوا يعملون) لانه لم يعمل على ما ينبغي وكأن كل واحدة من الجملتين علة لما قبلها وقرئ باطلا على أنه مفعول يعملون وما ابهامية أو في معنى المصدر كقوله * ولا خارجا من في زور كلام * وبطل على الفعل (أفمن كان على بينة

(قوله فاعلموا انه نظم لا يعلمه الا الله) هذا باعتبار ان انما قد تفيد الحصر كما في قوله انما الحكم الله واحد (قوله ونوف بالتخفيف والرفع لان الشرط ماض) أي بالتخفيف من باب الافعال وانما رفعه أي عدم جزمه فلان الشرط وكان ماض وهو القاعدة اذا كان الشرط ماضيا يجوز جزم الجزاء ورفعه (قوله مطلقا في مقابلة ما عملوا الخ) فالمرائي المسلم لا يكون له في مقابلة ما رأى فيه الا النار واما ايمانه فلا يكون فيه الرياء أصلا فيدخل آخر الامر في الجنة (قوله لانهم استوفوا ما تقتضيه صور أعمالهم الحسنة وبقيت لهم أوزار العزائم السيئة) أي استوفوا اجزاء أعمالهم التي لها صورة حسنة كالبر والاحسان ولكن لما لم يكن البر والاحسان الا من أجل ما هو فساد وافساد لان صورهم وعزائمهم حرام بقي لهم في الآخرة أوزار تلك العزائم لجوزوا بها (قوله وكأن كل واحدة من الجملتين علة لما قبلها) فيكون حبط ما صنعوا فيها علة لكونهم في الآخرة ليس لهم الا النار وقوله وباطل ما كانوا يعملون علة للحبوط المذكور فكأنه قيل حبوط أعمالهم وعدم ترتب ثواب عليها لبطلانها وكونها ليست على ما ينبغي (قوله وما ابهامية أو في معنى المصدر الخ) فعلى الاول معناه وباطلا أي باطل كانوا يعملونه لان ما الابهامية هي التي تؤكد ما سبقها وهو ههنا باطلا وعلى الثاني معناه وبطل بطلانا ما كانوا يعملونه

من ربه) برهان من الله يدله على الحق والصواب فيما يأتيه ويذره والهمزة لانكار أن يعقب من هذا شأنه هؤلاء المقصرين هممهم وأفكارهم على الدنيا وأن يقارب بينهم في المنزلة وهو الذي أغنى عن ذكر الخبر وتقديره أفمن كان على بينة كمن كان يريد الحياة الدنيا وهو حكم يعم كل مؤمن مخلص وقيل المراد به النبي صلى الله عليه وسلم وقيل مؤمنو أهل الكتاب (ويتلوه) ويتبع ذلك البرهان الذي هو دليل العقل (شاهد منه) شاهد من الله يشهد بصحته وهو القرآن (ومن قبله) ومن قبل القرآن (كتاب موسى) يعني التوراة فانها أيضا تتلوه في التصديق أو البينة هو القرآن ويتلوه من التلاوة والشاهد جبريل أو لسان الرسول صلى الله عليه وسلم على أن الضمير له أو من التلو والشاهد ملك يحفظه والضمير في يتلوه اما لمن أو للبينة باعتبار المعنى ومن قبله كتاب موسى جملة مبتدأة وقرئ كتاب بالنصب عطفا على الضمير في يتلوه أي يتلو القرآن شاهد ممن كان على بينة دالة على أنه حق كقوله وشهد شاهد من بني اسرائيل ويقرأ من قبل القرآن التوراة (اماما) كتابا مؤتما به في الدين (ورحمة) على المنزل عليهم لانه الوصلة الى الفوز بخير الدارين (أولئك) اشارة الى من كان على بينة (يؤمنون به) بالقرآن (ومن يكفر به من الاحزاب) من أهل مكة ومن تحزب معهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم (فالنار موعده) يردها لا محالة (فلا تك في مرية منه) من الموعد أو القرآن وقرئ مرية بالضم وهما الشك (انه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) لقلة نظرهم واختلال فكرهم (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) كان أسند اليه ما لم ينزله أو نفى عنه ما أنزله (أولئك) أي الكاذبون (يعرضون على ربهم) في الموقف بأن يحبسوا وتعرض أعمالهم (ويقول الاشهاد) من الملائكة والنبيين أو من جوارحهم وهو جمع شاهد كأصحاب أو شهيد كأشراف جمع شريف (هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين) تهويل عظيم مما يحيق بهم حينئذ لظلمهم بالكذب على الله (الذين يصدون عن سبيل الله) عن دينه (ويبغونها عوجا) يصفونها بالانحراف عن الحق والصواب أو يبغون أهلها أن يعوجوا بالردة (وهم بالآخرة هم كافرون) والحال أنهم كافرون بالآخرة وتكرير هم لتأكيد كفرهم واختصاصهم به (أولئك لم يكونوا معجزين في الارض) أي ما كانوا معجزين الله في الدنيا أن يعاقبهم (وما كان لهم من دون الله من أولياء) يمنعونهم من العقاب ولكنه أخر عقابهم الى هذا اليوم ليكون أشد وأدوم (يضاعف لهم العذاب) استئناف وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب يضعف بالتشديد (ما كانوا يستطيعون السمع) لتصامهم عن الحق وبغضهم له (وما كانوا يبصرون) لتعاميهم عن آيات الله وكأنه العلة لمضاعفة العذاب وقيل هو بيان ما نفاه من ولاية الآلهة بقوله وما كان لهم من دون الله من أولياء فان ما لا يسمع ولا يبصر لا يصلح للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض (أولئك الذين خسروا أنفسهم) باشتراء عبادة الآلهة بعبادة الله تعالى (وضل عنهم ما كانوا يفترون) من الآلهة وشفاعتها أو خسروا بما بدلوا وضاع عنهم ما حصلوا فلم يبق معهم سوى الحسرة والندامة (لا جرم أنهم في الآخرة هم الاخسرون) لا أحد أبين وأكثر خسرانا منهم (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبتوا الى ربهم) اطمأنوا اليه وخشعوا له من الخبت وهو الارض المطمئنة (أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) دائمون

هذا الموضع والاصل فأمن كان فتكون الفاء الفاء الجوابية والتقدير اذا كان الامر كذلك وهو ان من كان يريد الحياة الدنيا ليس له في الآخرة الا النار فامن كان على بينة من ربه الخ كهؤلاء الذين ليس لهم في الآخرة الا النار فتكون الهمزة لانكار التسوية والفاء مشيرة الى علة الانكار (قوله والشاهد ملك يحفظه) ولا يلزم ان يكون جبرائيل اذ ليس الحفظ المذكور مخصوصا به (قوله يضاعف لهم العذاب) فان قيل ما معنى مضاعفة العذاب وقد نص الله تعالى على ان من جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون قلنا معناه هو أن يضاعف عذاب شركهم بارتكاب أنواع الكفر والمعاصي الأخر فان قوله ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون دليل على ما ذكر اذ يستفاد منه انه لا يبصر شيأ مما دل على توحيد الله وصفاته مما ثبت في الآفاق والانفس ولم يسمعوا شيأ من آيات الله بل أعرضوا عنها وأبغضوها ولم يلتفتوا اليها رأسا فكان لهم بكل ما أعرضوا عنه وتهاونوا به نوع من العذاب فصار عذاب الشرك مضاعفا بسبب لحوق الانواع الأخر من العذاب اليه مثل

(قوله يجوز أن يراد تشبيه الكافر بالاعمى الخ) محصل ما ذكره انه يجوز ان يكون هناك أربع تشبيهات أحدها تشبيه الكافر بالاعمى وتشبيهه بالاصم وتشبيه المؤمن بالبصير وتشبيهه بالسميع وان يكون تشبيهان أحدهما تشبيه الكافر بالجامع بين العمى والصمم وتشبيه المؤمن بالجامع بين البصير والسميع ولا يخفى ان هذا الكلام من باب اللف والنشر فان كلا من الوصفين المتضادين مناسب لواحد من الفريقين ومن باب الطباق أيضا وهو جمع الضدين فى كلام وهو ههنا الاعمى والبصير والاصم والسميع (قوله بانى لكم) أى ملتبسا بقوله انى لكم (قوله ويجوز ان تكون مفسرة متعلقة بارسلنا وبنذير) فعلى الاول يكون المعنى أرسلنا نوحا برسالة وقول هو أن لا تعبدوا الا الله وعلى الثانى منذر بقوله هو أن لا تعبدوا الا الله (قوله لكن يوصف به العذاب أو زمانه الخ) يعنى يجوز ان يكون

(مثل الفريقين) الكافر والمؤمن (كالاعمى والاصم والبصير والسميع) يجوز أن يراد به تشبيه الكافر بالاعمى لتعاميه عن آيات الله وبالاصم لتصامه عن استماع كلام الله تعالى وتأبيه عن تدبر معانيه وتشبيه المؤمن بالسميع والبصير لان أمره بالضد فيكون كل واحد منهما مشبها باثنين باعتبار وصفين أو تشبيه الكافر بالجامع بين العمى والصمم والمؤمن بالجامع بين ضديهما والعاطف لعطف الصفة على الصفة كقوله * الصابح فالغانم فالآيب * وهذا من باب اللف والطباق (هل يستويان) هل يستوى الفريقان (مثلا) أى تمثيلا أو صفة أو حالا (أفلا تذكرون) بضرب الامثال والتأمل فيها (ولقد أرسلنا نوحا الى قومه انى لكم) بانى لكم قرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة بالكسر على ارادة القول (نذير مبين) أبين لكم موجبات العذاب ووجه الخلاص (ألا تعبدوا الا الله) بدل من انى لكم أو مفعول مبين ويجوز أن تكون أن مفسرة متعلقة بارسلنا أو بنذير (انى أخاف عليكم عذاب يوم أليم) مؤلم وهو فى الحقيقة صفة المعذب لكن يوصف به العذاب وزمانه على طريقة جد جده ونهاره صائم للمبالغة (فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا) لا مزية لك علينا تخصك بالنبوة ووجوب الطاعة (وما نراك اتبعك الا الذين هم أراذلنا) أخساؤنا جمع أرذل فانه بالغلبة صار مثل الاسم كالاكبر أو أرذل جمع رذل (بادى الرأى) ظاهر الرأى من غير تعمق من البدو أو أول الرأى من البدء والياء مبدلة من الهمزة لانكسار ما قبلها وقرأ أبو عمرو بالهمزة وانتصابه بالظرف على حذف المضاف أى وقت حدوث بادى الرأى والعامل فيه اتبعك وانما استرذلوهم لذلك أو لفقرهم فانهم لما لم يعلموا الا ظاهرا من الحياة الدنيا كان الاحظ بها أشرف عندهم والمحروم منها أرذل (وما نرى لكم) لك ولمتبعيك (علينا من فضل) يؤهلكم للنبوة واستحقاق المتابعة (بل نظنكم كاذبين) اياك فى دعوى النبوة واياهم فى دعوى العلم بصدقك فغلب المخاطب على الغائبين (قال يا قوم أرأيتم) أخبرونى (ان كنت على بينة من ربى) حجة شاهدة بصحة دعواى (وآتانى رحمة من عنده) بايتاء البينة أو النبوة (فعميت عليكم) خفيت عليكم فلم تهدكم وتوحيد الضمير لان البينة فى نفسها هى الرحمة أو لان خفاءها يوجب خفاء النبوة أو على تقدير فعميت بعد البينة وحذفها للاختصار أو لانه لكل واحدة منهما وقرأ حمزة والكسائى وحفص فعميت أى أخفيت وقرئ فعماها على أن الفعل لله (أنلزمكموها) أنكرهكم على الاهتداء بها (وأنتم لها كارهون) لا تختارونها ولا تتأملون فيها وحيث اجتمع

اليم صفة للعذاب فيكون جره للجوار على طريقة جحر ضب خرب وان يكون صفة اليوم وعلى كل من التقديرين النسبة مجازية للمبالغة فانه اذا وصف العذاب بانه مؤلم أى موجد للالم حصلت المبالغة بان هناك مؤلمين أحدهما المعذب والثانى العذاب وقس عليه الاحتمال الثانى (قوله فانه بالغلبة صار مثل الاسم الخ) أى الارذل صفة فى الاصل لكنه غلب فى نوع مخصوص كالاكبر لصيرورته بغلبة الاسمية فى حكم الاسماء فانه صار مشهورا فى الانسان الخسيس فهذا جمع على الاراذل لكن الظاهر انه لا حاجة الى اعتبار غلبة الاسمية لان الارذل أفعل التفضيل يجمع على لا فاعل كالافاضل والاكابر

وعبارة صاحب الكشاف والاراذل جمع لارذل كقوله أكابر مجرميها أحاسنكم أخلاقا (قوله أو أرذل جمع رذل) فالارذل بضم الذال جمع رذل بفتح الراء كالاكلب فانه يجمع على أكالب (قوله والياء مبدلة من الهمزة) أى اذا كان من البدء بمعنى الابتداء كان بادئ الرأى مهموز الآخر فقلب ياء لكسر ما قبله (قوله وانما استرذلوهم لذلك) أى لكونهم اتبعوا بادى الرأى فان من له عقل ومعرفة لا يتبع أحدا بادى الرأى بل لو اتبع لا تبع بعد فكر ونظر (قوله وتوحيد الضمير لان البينة فى نفسها الخ) أى ما سبق شيئان أحدهما البينة والثانى الرحمة فيجب بحسب الظاهر تثنية الضمير فيقال فعميتا عليكم فتوحيده اما باعتبار ان البينة والرحمة واحدة والعطف باعتبار تغايرهما بالاعتبار أو لا شياء أخر ذكرت

ضميران وليس أحدهما مرفوعا وقدم الاعرف منهما جاز في الثانى الفصل والوصل (و ياقوم لا أسألكم عليه) على التبليغ وهو وان لم يذكر فمعلوم مما ذكر (مالا) جعلا (ان أجرى الاعلى الله) فانه المأمول منه (وماأنا بطارد الذين آمنوا) جواب لهم حين سألوا طردهم (انهم ملاقوا ربهم) فيخاصمون طاردهم عنده أوانهم يلاقونه و يفوزون بقربه فكيف أطردهم (ولكنى أراكم قوما تجهلون) بلقاء ربكم أو باقدارهم أوفى التماس طردهم أو تتسفهون عليهم بان تدعوهم أراذل (و ياقوم من ينصرنى من الله) بدفع انتقامه (ان طردتهم) وهم بتلك الصفة والمثابة (أفلا تذكرون) لتعرفوا أن التماس طردهم وتوقيف الايمان عليه ليس بصواب (ولا أقول لكم عندى خزائن الله) رزقه وأمواله حتى جحدتم فضلى (ولا أعلم الغيب) عطف على عندى خزائن الله أى ولا أقول لكم أنا أعلم الغيب حتى تكذبونى استبعادا أوحتى أعلم أن هؤلاء اتبعونى بادى الرأى من غير بصيرة وعقد قلب وعلى الثانى يجوز عطفه على أقول (ولا أقول انى ملك) حتى تقولوا ماأنت الا بشر مثلنا (ولا أقول للذين تزدرى أعينكم) ولا أقول فى شأن من استرذلتموهم لفقرهم (لن يؤتيهم الله خيرا) فان ما أعده الله لهم فى الآخرة خير مما آتاكم فى الدنيا (الله أعلم بما فى أنفسهم انى اذا لمن الظالمين) ان قلت شيأ من ذلك والازدراء به افتعال من زرى عليه اذا عابه قلبت تاؤه دالا لتجانس الراء فى الجهر واسناده الى الاعين للمبالغة والتنبيه على انهم استرذلوهم بادى الرؤية من غير روية بما عاينوا من رثاثة حالهم وقلة مناالهم دون تأمل فى معانيهم وكمالاتهم (قالوا يانوح قد جادلتنا) خاصمتنا (فأكثرت جدالنا) فأطلته أوأتيت بأنواعه (فأتنا بما تعدنا) من العذاب (ان كنت من الصادقين) فى الدعوى والوعيد فان مناظرتك لا تؤثر فينا (قال انما يأتيكم به الله ان شاء) عاجلا أو آجلا (وما أنتم بمعجزين) بدفع العذاب أوالهرب منه (ولا ينفعكم نصحى ان أردت أن أنصح لكم) شرط ودليل جواب والجملة دليل جواب قوله (ان كان الله يريد أن يغويكم) وتقدير الكلام ان كان الله يريد أن يغويكم فان أردت أن أنصح لكم لا ينفعكم نصحى ولذلك نقول لو قال الرجل أنت طالق ان دخلت الدار ان كلمت زيدا فدخلت ثم كلمت لم تطلق وهو جواب لما أوهموا من أن جداله كلام بلا طائل وهو دليل على أن ارادة الله تعالى يصح تعلقها بالاغواء وأن خلاف مراده محال وقيل أن يغويكم أن يهلككم من غوى الفصيل غوى اذا بشم فهلك (هو ربكم) هو خالقكم والمتصرف فيكم وفق ارادته (واليه ترجعون) فيجازيكم على أعمالكم (أم يقولون افتراه قل ان افتريته فعلى اجرامى) و باله وقرئ أجرامى على الجمع (وأنا برىء مما تجرمون) من اجرامكم فى اسناد الافتراء الى (وأوحى الى نوح أنه لن يؤمن من قومك الامن قد آمن فلا تبتئس) فلا تحزن ولا تتأسف (بما كانوا يفعلون) أقنطه الله تعالى من ايمانهم ونهاه أن يغتم بما فعلوه من التكذيب والايذاء (واصنع الفلك بأعيننا) ملتبسا بأعيننا عبر بكثرة آلة الحس الذى يحفظ به الشئ و يراعى عن الاختلال والزيغ عن المبالغة فى الحفظ والرعاية على طريق التمثيل (ووحينا) اليك كيف تصنعها (ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا)

لا ينفعكم نصحى (قوله والجملة دليل جواب) أى مجموع قوله تعالى ولا ينفعكم نصحى ان أردت أن أنصح لكم دليل يدل على جواب الشرط وهو قوله ان كان الله يريد أن يغويكم (قوله ولذلك نقول لو قال الرجل أنت طالق الخ) لان التركيب المذكور على قياس ماذكر فى معنى ان كلمت زيدا ان دخلت الدار فانت طالق وهذا يقتضى ان يكون وقوع الطلاق مشروطا بان تكلم أولا ثم تدخل الدار فلو دخلت ثم تكلمت لم تطلق (قوله وهو جواب لما أوهموا ان جداله كلام بلا طائل) فمقصوده ان كلامى نصح وارشاد لأنه كلام بلا فائدة يكون المقصود منه مجرد الجدال والمخاصمة لكن عدم ترتب الفائدة عليه لارادة الله تعالى اغواءكم وضلالكم (قوله ودليل على ان ارادة الله تعالى يصح تعلقها بالاغواء الخ) هذا رد للمعتزلة (قوله من غوى الفصيل اذا بشم فهلك غوى)

بكسر الواو يقال بشم الفصيل اذا أكثر شرب اللبن (قوله على طريقة التمثيل) التمثيل هو التشبيه ولا يمكن العبارة المذكورة دالة على ان الاعين مجاز مرسل لانه استعمال الاعين التى هى مستلزمة الحفظ وعدم الاخلال فى لازمها الذى هو المبالغة فى الحفظ نعم لو أريد بالاعين ما به الحفظ والرعاية عن الاخلال وهو القدرة والارادة كان تمثيلا وهذا هو المفهوم من الكشاف فانه قال فانه يدل على ان لله صفات تكون منشأ لحفظه من الزيغ

ولا تراجعني فيهم ولا تدعني باستدفاع العذاب عنهم (انهم مغرقون) محكوم عليهم بالاغراق
فلا سبيل الى كفه (ويصنع الفلك) حكاية حال ماضية (وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا
منه) استهزؤا به لعمله السفينة فانه كان يعملها في برية بعيدة من الماء أوان عزته وكانوا يضحكون
منه ويقولون له صرت نجارا بعدما كنت نبيا (قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون)
اذا أخذكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة وقيل المراد بالسخرية الاستجهال (فسوف تعلمون
من يأتيه عذاب يخزيه) يعني به اياهم وبالعذاب الغرق (ويحل عليه) وينزل عليه أو يحل عليه
حلول الدين الذي لا انفكاك عنه (عذاب مقيم) دائم وهو عذاب النار (حتى اذا جاء أمرنا)
غاية لقوله ويصنع الفلك وما بينهما حال من الضمير فيه أو حتى هي التي يبتدأ بعدها الكلام (وفار التنور)
نبع الماء منه وارتفع كالقدر تفور والتنور تنور الخبز ابتدأ منه النبوع على خرق العادة وكان في الكوفة
في موضع مسجدها أو في الهند أو بعين وردة من أرض الجزيرة وقيل التنور وجه الارض أو أشرف
موضع فيها (قلنا احمل فيها) في السفينة (من كل) من كل نوع من الحيوانات المنتفع بها
(زوجين اثنين) ذكرا وأنثى هذا على قراءة حفص والباقون أضافوا على معنى احمل اثنين
من كل صنف ذكر وصنف أنثى (وأهلك) عطف على زوجين أو اثنين والمراد امرأته وبنوه
ونساؤهم (الا من سبق عليه القول) بأنه من المغرقين يريد ابنه كنعان وامه واعلة فانهما كانا
كافرين (ومن آمن) والمؤمنين من غيرهم (وما آمن معه الا قليل) قيل كانوا تسعة وسبعين
زوجته المسلمة وبنوه الثلاثة سام وحام ويافث ونساؤهم واثنان وسبعون رجلا وامرأة من غيرهم
روى أنه عليه الصلاة والسلام اتخذ السفينة في سنتين من الساج وكان طولها ثلثمائة ذراع وعرضها
خمسون وسمكها ثلاثون وجعل لها ثلاثة بطون فحمل في أسفلها الدواب والوحش وفي أوسطها الانس
وفي أعلاها الطير (وقال اركبوا فيها) أي صيروا فيها وجعل ذلك ركوبا لانها في الماء كالمركوب
في الارض (بسم الله مجراها ومرساها) متصل باركبوا حال من الواو أي اركبوا فيها مسمين الله
أو قائلين بسم الله وقت اجرائها وارسائها أو مكانهما على أن المجرى والمرسى للوقت أو المكان أو المصدر
والمضاف محذوف كقولهم آتيك خفوق النجم وانتصابهما بما قدرناه حالا ويجوز رفعهما بسم الله
على أن المراد بهما المصدر أو جملة من مبتدأ وخبر أي اجراؤها بسم الله على أن بسم الله خبر أو صلة والخبر
محذوف وهي اما جملة مقتضبة لا تعلق لها بما قبلها أو حال مقدرة من الواو أو الهاء وروى أنه كان اذا
أراد أن تجري قال بسم الله فجرت واذا أراد أن ترسو قال بسم الله فرست ويجوز أن يكون الاسم
مقحما كقوله * ثم اسم السلام عليكما * وقرأ حمزة والكسائي وعاصم برواية حفص مجراها
بالفتح من جرى وقرئ مرساها أيضا من رسا وكلاهما يحتمل الثلاثة ومجريها ومرسيها بلفظ الفاعل
صفتين لله (ان ربي لغفور رحيم) أي لولا مغفرته لفرطاتكم ورحمته اياكم لما نجاكم (وهي تجري
بهم) متصل بمحذوف دل عليه اركبوا أي فركبوا مسمين وهي تجري وهم فيها (في موج كالجبال) في
موج من الطوفان وهو ما يرتفع من الماء عند اضطرابه كل موجة منها كجبل في تراكمها وارتفاعها وما قيل
من أن الماء طبق ما بين السماء والأرض وكانت السفينة تجري في جوفه ليس بثابت والمشهور أنه علا
شوامخ الجبل خمسة عشر ذراعا وان صح فلعل ذلك قبل التطبيق (ونادى نوح ابنه) كنعان
وقرئ ابنها وابنه بحذف الالف على أن الضمير لامرأته وكان ربيبه وقيل كان لغير رشدة لقوله تعالى
فخانتاهما وهو خطأ اذ الانبياء عصمت من ذلك والمراد بالخيانة الخيانة في الدين وقرئ ابناه على الندبة

(قوله وانتصابهما بما قدرناه حالا) أي انتصاب مجراها ومرساها بما قدرناه حالا من ضمير اركبوا وهو مسمين أو قائلين بسم الله فيكونان ظرفين للمقدر (قوله على ان بسم الله خبر أو صلة والخبر محذوف) اذا كان صلة يكون التقدير اجراؤها وارساؤها بسم الله ثابت (قوله فهي اما جملة مقتضبة) الاقتضاب الارتجال وهو ان يبتدأ بكلام من غير تهيئة قبل ذلك والمراد ههنا ما فسره به وهو ان لا تعلق لها بما قبلها اذ كل ما تعلق بما قبله ففيه تتمة له (قوله أو حال مقدرة من الواو والهاء) أي اركبوا مقدرين اجراءها وارساءها (قوله ويجوز ان يكون مقحما) ويكون التقدير بالله مجراها ومرساها (قوله وكلاهما يحتمل الثلاثة) أي المجرى والمرسى على تقدير فتح الميم يحتمل الوجوه الثلاثة وهي كونها مفعولا فيه أو مصدرا ومع بسم الله جملة مستقلة (قوله وابنه بحذف الألف) فيكون بفتح الهاء وهذا دليل على انه ليس ابنه والا لم ينسب الى أمه بل الى أبيه ويمكن ان يقال النسبة الى الأم دون الأب لكونه كافرا (قوله وقيل كان بغير رشدة لقوله فخانتاهما الخ) أي كان ولادته من زنا وهو خطأ لانه عار عظيم معصوم عنه الأنبياء

ولكونها حكاية سوغ حذف الحرف (وكان في معزل) عزل فيه نفسه عن أبيه أو عن دينه مفعل للمكان من عزله عنه اذا أبعده (يابني اركب معنا) في السفينة والجمهور كسروا الياء ليدل على ياء الاضافة المحذوفة في جميع القرآن غير ابن كثير فانه وقف عليها في لقمان في الموضع الاول باتفاق الرواة وفي الثالث في رواية قنبل وعاصم فانه فتح ههنا اقتصارا على الفتح من الالف المبدلة من ياء لاضافة واختلفت الرواية عنه في سائر المواضع وقد أدغم الباء في الميم أبو عمرو والكسائي وحفص لتقاربهما (ولا تكن مع الكافرين) في الدين والانعزال (قال سآوي الى جبل يعصمني من الماء) أن يغرقني (قال لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم) الا الراحم وهو الله تعالى أو الا مكان من رحمهم الله وهم المؤمنون رد بذلك أن يكون اليوم معتصم من جبل ونحوه يعصم اللائذ به الا معتصم المؤمنين وهو السفينة وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة كقوله في عيشة راضية وقيل الاستثناء منقطع أي لكن من رحمه الله يعصمه (وحال بينهما الموج) بين نوح وابنه أو بين ابنه والجبل (فكان من المغرقين) فصار من المهلكين بالماء (وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي) نوديا بما ينادى به اولو العلم وأمرا بما يؤمرون به تمثيلا لكمال قدرته وانقيادهما لما يشاء تكوينه فيهما بالامر المطاع الذي يأمر المنقاد لحكمه المبادر الى امتثال أمره مهابة من عظمته وخشية من أليم عقابه والبلع النشف والاقلاع الامساك (وغيض الماء) نقص (وقضي الامر) وأنجز ما وعد من اهلاك الكافرين وانجاء المؤمنين (واستوت) واستقرت السفينة (على الجودي) جبل بالموصل وقيل بالشام وقيل بآمل روى أنه ركب السفينة عاشر رجب ونزل عنها عاشر المحرم فصام ذلك اليوم فصار ذلك سنة (وقيل بعدا للقوم الظالمين) هلاكا لهم يقال بعد بعدا و بعدا اذا بعد بعدا بعيدا بحيث لا يرجى عوده ثم استعير للهلاك وخص بدعاء السوء والآية في غاية الفصاحة لفخامة لفظها وحسن نظمها والدلالة على كنه الحال مع الايجاز الخالي عن الاخلال وفي ايراد الاخبار على البناء للمفعول دلالة على تعظيم الفاعل وأنه متعين في نفسه مستغن عن ذكره اذ لا يذهب الوهم الى غيره للعلم بأن مثل هذه الافعال لا يقدر عليها سوى الواحد القهار (ونادى نوح ربه) وأراد نداءه بدليل عطف قوله (فقال رب ان ابني من أهلي) فانه لنداء (وان وعدك الحق) وان كل وعد تعده حق لا يتطرق اليه الخلف وقد وعدت أن تنجي أهلي فما حاله أو فما له لم ينج ويجوز أن يكون هذا النداء قبل غرقه (وأنت أحكم الحاكمين) لانك أعلمهم وأعدلهم أو لانك أكثر حكمة من ذوي الحكم على أن الحاكم من الحكمة كالدارع من الدرع (قال يا نوح انه ليس من أهلك) لقطع الولاية بين المؤمن والكافر وأشار اليه بقوله (انه عمل غير صالح) فانه تعليل لنفي كونه من أهله واصله انه ذو عمل فاسد فجعل ذاته ذات العمل للمبالغة كقول الخنساء تصف ناقة

ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت * فانما هي اقبال وادبار

ثم بدل الفاسد بغير الصالح تصريحا بالمناقضة بين وصفيهما وانتفاء ما أوجب النجاة لمن نجا من أهله عنه وقرأ الكسائي ويعقوب انه عمل غير صالح أي عمل عملا غير صالح (فلا تسألن ما ليس لك به علم) ما لا تعلم أصواب هو أم ليس كذلك وانما سمى نداءه سؤالا لتضمن ذكر الوعد بنجاة أهله استنجازه في شأن ولده أو استفسار المانع للانجاز في حقه وانما سماه جهلا وزجره عنه بقوله (اني أعظك أن تكون من الجاهلين)

حذف الحرف (قوله وعاصم) عطف على ابن كثير أي غير ابن كثير وغير عاصم فانه فتح الياء ههنا بان قلب ياء المتكلم القائم أسقطت واكتفي بالفتحة (قوله الا مكان من رحمهم الله) فيكون اسناد العصمة الى المكان مجازيا فان قيل معنى الكلام ان لا يعصم بشيء من أمر الله وقضائه الا مكان من رحمة الله فيكون المكان عاصما من الله وواقيا له وليس كذلك اذ ليس شيء يرد أمر الله وقضاءه لقوله تعالى لا معقب لحكمه ولا راد لفضله قلنا المراد ههنا من العصمة من أمر الله العصمة من بلائه وهو الطوفان (قوله وأراد نداءه) لا حاجة الى ذلك بل يجوز ان يبقى النداء على حقيقته ويكون قوله فقال رب ان ابني من أهلي تفصيلا وتبيينا للنداء فتكون الفاء للترتيب الذكري لان نادى نوح ربه مجمل تفصيله قوله تعالى رب ان ابني من أهلي (قوله تصريحا بالمناقضة بين وصفيهما) أي للتصريح بالمناقضة بين وصفي العمل الصالح والعمل الفاسد وهذان الوصفان هما الصالح والفاسد فلما أقيم غير الصالح مقام الفاسد علم صريحا ان الصالح نقيض الفاسد لان النقيض الصريح للصالح غير الصالح

دل على انه من المستثنى المذكور فاستنجاز الوعد فى شأنه ليس كما ينبغى (قوله وانهم مع كثرتهم) ظاهر كلامه يدل على انه دليل ثان على انه لم يتعلمه فكانه قال ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يتعلمه لانه لم يخالط غيرهم وهم لم يعلمونه فكيف يعلمه أولا انهم مع كثرتهم لم يسمعوا فكيف يسمعه (قوله ثم توسلوا اليه بالتوبة) معناه على ما ظهر من قوله وأيضا التبرى من الغير الخ يدل على ان المراد من الايمان الايمان بوجوده تعالى وصفاته الكاملة والمراد من التوبة التوبة عن الشرك وقد صرح بذلك صاحب الكشاف لكن الظاهر الاتم ان يقال استغفروا ربكم بالايمان والتبرى عن الشرك ثم توبوا أى دوموا على التوبة هكذا ذكره الطيبى وغيره (قوله وقرئ بالجر حملا على المجرور وحده) أى قرئ بجر غيره بجعله صفة للمجرور الذى هو اله وحده لا بجعله صفة للجار والمجرور معا لان المجموع مرفوع محلا بانه اسم لا ولك ان تقول الاله

الجاهلين) لان استثناء من سبق عليه القول من أهله قد دله على الحال وأغناه عن السؤال لكن أشغله حب الولد عنه حتى اشتبه عليه الامر وقرأ ابن كثير بفتح اللام والنون الشديدة وكذلك نافع وابن عامر غير أنهما كسرا النون على أن أصله تسألنى فحذفت نون الوقاية لاجتماع النونات وكسرت الشديدة للياء ثم حذفت اكتفاء بالكسرة وعن نافع برواية رويس اثباتها فى الوصل (قال رب انى أعوذ بك أن أسألك) فيما يستقبل (ماليس لى به علم) مالا علم لى بصحته (والا تغفرلى) وان لم تغفرلى مافرط منى فى السؤال (وترحمنى) بالتوبة والتفضل على (أكن من الخاسرين) أعمالا (قيل يانوح اهبط بسلام منا) انزل من السفينة مسلما من المكاره من جهتنا أو مسلما عليك (وبركات عليك) ومباركا عليك أو زيادات فى نسلك حتى تصير آدما ثانيا وقرئ اهبط بالضم وبركة على التوحيد وهو الخير النامى (وعلى أمم ممن معك) وعلى أمم هم الذين معك سموا أمما لتحزبهم أو لتشعب الامم منهم أو وعلى أمم ناشئة ممن معك والمراد بهم المؤمنون لقوله (وأمم سنمتعهم) أى وممن معك أمم سنمتعهم فى الدنيا (ثم يمسهم مناعذاب أليم) فى الآخرة والمراد بهم الكفار من ذريته من معه وقيل هم قوم هود وصالح ولوط وشعيب والعذاب ما نزل بهم (تلك) اشارة الى قصة نوح ومحلها الرفع بالابتداء وخبرها (من أنباء الغيب) أى بعضها (نوحيها اليك) خبر ثان والضمير لها أى موحاة اليك أو حال من الانباء أو هو الخبر ومن أنباء متعلق به أو حال من الهاء فى نوحيها (ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا) خبر آخر أى مجهولة عندك وعند قومك من قبل ايحائنا اليك أو حال من الهاء فى نوحيها أو الكاف فى اليك أى جاهلا أنت وقومك بها وفى ذكرهم تنبيه على أنه لم يتعلمها اذ لم يخالط غيرهم وأنهم مع كثرتهم لما لم يسمعوها فكيف بواحد منهم (فاصبر) على مشاق الرسالة وأذية القوم كما صبر نوح (ان العاقبة) فى الدنيا بالظفر وفى الآخرة بالفوز (للمتقين) عن الشرك والمعاصى (والى عاد أخاهم هودا) عطف على قوله نوحا الى قومه وهودا عطف بيان (قال ياقوم اعبدوا الله) وحده (مالكم من اله غيره) وقرئ بالجر حملا على المجرور وحده (ان أنتم الا مفترون) على الله باتخاذ الاوثان شركاء وجعلها شفعاء (ياقوم لا أسألكم عليه أجرا ان أجرى الا على الذى فطرنى) خاطب كل رسول به قومه ازاحة للتهمة وتمحيضا للنصيحة فانها لا تنجع مادامت مشوبة بالمطامع (أفلا تعقلون) أفلا تستعملون عقولكم فتعرفوا المحق من المبطل والصواب من الخطأ (وياقوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه) اطلبوا مغفرة الله بالايمان ثم توسلوا اليها بالتوبة وأيضا التبرى من الغير انما يكون بعد الايمان بالله والرغبة فيما عنده (يرسل السماء عليكم مدرارا) كثير الدر (ويزدكم قوة الى قوتكم) ويضاعف قوتكم وانما رغبهم بكثرة المطر وزيادة القوة لانهم كانوا أصحاب زروع وعمارات وقيل حبس الله عنهم القطر وأعقم أرحام نسائهم ثلاثين سنة فوعدهم هود عليه السلام على الايمان والتوبة بكثرة الامطار وتضاعف القوة بالتناسل (ولا تتولوا) ولا تعرضوا عما أدعوكم اليه (مجرمين) مصرين على اجرامكم (قالوا ياهود ما جئتنا ببينة) بحجة تدل على صحة دعواك وهو لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم من المعجزات (ومانحن بتاركى آلهتنا) بتاركى عبادتهم (عن قولك) صادرين عن قولك حال من الضمير فى تاركى (ومانحن لك بمؤمنين) اقناط له من الاجابة والتصديق (ان نقول الا اعتراك) ما نقول الا قولنا اعتراك أى أصابك من عراه يعروه

مرفوع محلا وان كان مجرورا لفظا فيمكن رفع غيره بالحمل على محلهما وعلى محل المجرور وحده لكن قوله حملا على المجرور وحده دال على ان الجر بالحمل على المجرور وحده دون الرفع

اذا أصابه (بعض آلهتنا بسوء) بجنون لسبك اياها وصدك عنها ومن ذلك تهذي وتتكلم بالخرافات والجملة مقول القول والالغو لان الاستثناء مفرغ (قال انى أشهد الله واشهدوا أنى برىء مما تشركون من دونه فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون) أجاب به عن مقالتهم الحمقاء بان أشهد الله تعالى على براءته من آلهتهم وفراغه عن اضرارهم تأكيد الذلك وتثبيتا له وأمرهم بان يشهدوا عليه استهانة بهم وأن يجتمعوا على الكيد فى اهلاكه من غير انظار حتى اذا اجتهدوا فيه ورأوا أنهم عجزوا عن آخرهم وهم الاقوياء الاشداء أن يضروه لم يبق لهم شبهة أن آلهتهم التى هى جماد لا يضر ولا ينفع لا تتمكن من اضراره انتقاما منه وهذا من جملة معجزاته فان مواجهة الواحد الجم الغفير من الجبابرة الفتاك العطاش الى اراقة دمه بهذا الكلام ليس الا لثقته بالله وتثبطهم عن اضراره ليس الا بعصمته اياه ولذلك عقبه بقوله (انى توكلت على الله ربى وربكم) تقريرا له والمعنى أنكم وان بذلتم غاية وسعكم لن تضرونى فانى متوكل على الله واثق بكلاءته وهو مالكى ومالككم لا يحيق بى مالم يرده ولا تقدرون على مالم يقدره ثم برهن عليه بقوله (مامن دابة الاهو آخذ بناصيتها) أى الا وهو مالك لها قادر عليها يصرفها على ما يريد بها والاخذ بالنواصى تمثيل لذلك (ان ربى على صراط مستقيم) أى انه على الحق والعدل لا يضيع عنده معتصم ولا يفوته ظالم (فان تولوا) فان تتولوا (فقد أبلغتكم ما أرسلت به اليكم) فقد أديت ما على من الابلاغ والزام الحجة فلا تفريط منى ولا عذر لكم فقد أبلغتكم ما أرسلت به اليكم (ويستخلف ربى قوما غيركم) استئناف بالوعيد لهم بان الله يهلكهم ويستخلف قوما آخرين فى ديارهم وأموالهم أو عطف على الجواب بالفاء ويؤيده القراءة بالجزم على الموضع كأنه قيل وان تتولوا يعذرنى ربى ويستخلف (ولا تضرونه) بتوليكم (شيأ) من الضرر ومن جزم يستخلف أسقط النون منه (ان ربى على كل شئ حفيظ) رقيب فلا تخفى عليه أعمالكم ولا يغفل عن مجازاتكم أو حافظ مستول عليه فلا يمكن أن يضره شئ (ولما جاء أمرنا) عذابنا أو أمرنا بالعذاب (نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا) وكانوا أربعة آلاف (ونجيناهم من عذاب غليظ) تكرير لبيان ما نجاهم منه وهو السموم كانت تدخل أنوف الكفرة وتخرج من أدبارهم فتقطع أعضاءهم أو المراد به تنجيتهم من عذاب الآخرة أيضا والتعريض ان المهلكين كما عذبوا فى الدنيا بالسموم فهم معذبون فى الآخرة بالعذاب الغليظ (وتلك عاد) أنث اسم الاشارة باعتبار القبيلة أو لان الاشارة الى قبورهم وآثارهم (جحدوا بآيات ربهم) كفروا بها (وعصوا رسله) لانهم عصوا رسولهم ومن عصى رسولا فكأنما عصى الكل لانهم أمروا بطاعة كل رسول (واتبعوا أمر كل جبار عنيد) يعنى كبراءهم الطاغين وعنيد من عند عندا وعندا

(قوله والاستثناء مفرغ) ... دون الالغو عبارة عن عدم العمل فان الاستثناء المفرغ هو المعمول بحسب العامل المقدم على الاول والعامل ههنا القول المقدم وهذا يدل على ان المختار عنده ان الا قد تعمل فى المستثنى وهو مذهب المبرد والزجاج (قوله والاخذ صيغة تمثيل لذلك) أى تجوز عن ذلك وهو كون المأخوذ مأمورا منقادا الان كل دابة كانت ناصيتها بيد صاحبها فهى منقادة له (قوله بالجزم على الموضع) فان قوله تعالى فقد أبلغتكم مجزوم الموضع بكونه جزاءه (قوله أو عطف على الجواب بالفاء) أى الجواب مع الفاء وانما قال ذلك لانه لو كان معطوفا على الجواب بدون الفاء لكان داخلا تحت الفاء أيضا فيلزم ان يكون حرف واحد هو الفاء واجب الدخول على جملة هى قد أبلغتكم غير واجب الدخول على أخرى هى يستخلف والاولى ان يقال انه معطوف على مقدر هو الجزاء حقيقة فهو مقدر فى المعنى لان الابلاغ مقدم على التولى فكيف يكون جزاء له فيكون قد أبلغتكم علة للجزاء أقيم مقامه (قوله تكرير لبيان ما نجاهم عنه الخ) يعنى انه علم سابقا انه تعالى نجاهم من عذاب ولم يعلم كونه نجاهم من عذاب غليظ أو حقير فلما قيل نجيناهم من عذاب غليظ حصل بيان المجمل السابق لكن الاولى ان يقال الجملة الثانية للاشارة الى عظم النجاة فكان هذه النجاة نجاة متعددة ولبيان غلاظ العذاب (قوله أو المراد به تنجيتهم من عذاب الآخرة أيضا) عطف على قوله تكرير الخ يعنى يمكن ان تكون النجاة المذكورة ثانيا عين النجاة الاولى ويمكن أيضا ان تكون غيرها بان الاولى النجاة من عذاب الدنيا والثانية النجاة من عذاب العقبى (قوله ولان الاشارة الى قبورهم وآثارهم) فيكون المعنى وأصحاب تلك القبور (قوله لانهم أمروا بطاعة كل رسول) هذا الدليل لا يلزم منه المدعى وهو ان من عصى رسولا فقد عصى الكل والاولى ان يقال لان عصيان قوم رسول بان لا يسلموا له التوحيد وطاعة الله وكل رسول فهو آمر بما ذكر فمن أنكر التوحيد والايمان فقد كذب كل رسول (قوله تعالى واتبعوا أمر كل جبار عنيد الخ) فيه ان كل جبار داخل فى جملة عاد فيلزم ان يكونوا تابعين لجبارين آخرين والجواب ان يقال ان كل جبار لما وافق الجبارين الآخرين فكانه تابع لهم أو ان المراد ان أراذلهم تابعون لاكابرهم فيلزم عليه

وعندوا وعنودا اذا طغى والمعنى عصوا من دعاهم الى الايمان وما ينجيهم وأطاعوا من دعاهم الى الكفر وما يرديهم (وأتبعوا فى هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة) أى جعلت اللعنة تابعة لهم فى الدارين تكبهم فى العذاب (ألا ان عادا كفروا ربهم) جحدوه أو كفروا نعمه أو كفروا به فحذف الجار (ألا بعدا لعاد) دعاء عليهم بالهلاك والمراد به الدلالة على أنهم كانوا مستوجبين لما نزل عليهم بسبب ماحكى عنهم وانما كرر ألا وأعاد ذكرهم تفظيعا لامرهم وحثا على الاعتبار بحالهم (قوم هود) عطف بيان لعاد وفائدته تمييزهم عن عاد الثانية عاد ارم والايماء الى ان استحقاقهم للبعد بما جرى بينهم وبين هود (والى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره هو أنشأكم من الارض) هو كونكم منها لا غيره فانه خلق آدم ومواد النطف التى خلق نسله منها من التراب (واستعمركم فيها) عمركم فيها واستبقاكم من العمر أو أقدركم على عمارتها وأمركم بها وقيل هو من العمرى بمعنى أعمركم فيها دياركم ويرثها منكم بعد انصرام أعماركم أو جعلكم معمرين دياركم تسكنونها مدة عمركم ثم تتركونها لغيركم (فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربى قريب) قريب الرحمة (مجيب) لداعيه (قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا) لما نرى فيك من مخايل الرشد والسداد أن تكون لنا سيدا ومستشارا فى الامور أو ان توافقنا فى الدين فلما سمعنا هذا القول منك انقطع رجاؤنا عنك (أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا) على حكاية الحال الماضية (واننا لفى شك مما تدعونا اليه) من التوحيد والتبرى عن الاوثان (مريب) موقع فى الريبة من أرابه أو ذى ريبة على الاسناد المجازى من أراب فى الامر (قال يا قوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربى) بيان وبصيرة وحرف الشك باعتبار المخاطبين (وآتانى منه رحمة) نبوة (فمن ينصرنى من الله) فمن يمنعنى من عذابه (ان عصيته) فى تبليغ رسالته والمنع عن الاشراك به (فما تزيدوننى) اذن باستتباعكم اياى (غير تخسير) غير أن تخسرونى بابطال مامنحنى الله به والتعرض لعذابه أو فما تزيدوننى بما تقولون لى غير أن أنسبكم الى الخسران (ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية) انتصب آية على الحال وعاملها معنى الاشارة ولكم حال منها تقدمت عليها لتنكيرها (فذروها تأكل فى أرض الله) ترع نباتها وتشرب ماءها (ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب) عاجل لا يتراخى عن مسكم لها بالسوء الا يسيرا وهو ثلاثة أيام (فعقروها فقال تمتعوا فى داركم) عيشوا فى منازلكم أو فى داركم الدنيا (ثلاثة أيام) الاربعاء والخميس والجمعة ثم تهلكون (ذلك وعد غير مكذوب) أى غير مكذوب فيه فاتسع فيه باجرائه مجرى المفعول به كقوله * ويوم شهدناه سليما وعامرا * أو غير مكذوب على المجاز وكأن الواعد قال له أفى بك فان وفى به صدقه والا كذبه أو وعد غير كذب على أنه مصدر كالمجلود والمعقول (فلما جاء أمرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزى يومئذ) أى ونجيناهم من خزى يومئذ وهو هلاكهم بالصيحة أو ذلهم وفضيحتهم يوم القيامة وعن نافع يومئذ بالفتح على اكتساب المضاف البناء من المضاف اليه هنا وفى المعارج فى قوله من عذاب يومئذ (ان ربك هو القوى العزيز) القادر

(قوله بمعنى أعمركم فيها دياركم ويرثها منكم الى آخر الكلام (قوله موقع فى الريبة) ان قيل مامعنى كون الشك موقعا فى الريبة قلنا كونه موقعا فيها اما باعتبار ان شك جمع يوجب وقوع الريبة لآخر فان الطباع مجبولة على التقليد أو باعتبار ان أصل الشك قد يوجب استمراره (قوله على الاسناد المجازى) فيكون الشك مريبا ككون الجد ذا جد فى جد جده (قوله وحرف الشك باعتبار المخاطبين) حرف الشك هو ان وكونه باعتبار المخاطبين معناه انه من باب ارخاء العنان والاستدراج مع المخاطبين (قوله ولكم حال منهما) قال العلامة الطيبى قيل هذا قول لم يقل به أحد والاولى ان يقال ان لكم حال عمل فيها معنى الاشارة وانه حال من الضمير فيه (قوله غير مكذوب فيه فاتسع فيه الخ) أى حذف الجار واستتر الضمير فى المكذوب لصيرورته مفعولا به قائما مقام الفاعل (قوله أو غير مكذوب على المجاز) بجعل الوعد كالشخص الذى قيل له القول فان المكذوب هو الذى قيل له الكذب فجعل الوعد كذلك الشخص فاسند اليه المكذوب مجازا عقليا (قوله تعالى ومن خزى يومئذ) يدل على ان المعنى نجينا صالحا والذين آمنوا معه من العذاب ومن الخزى فى ذلك اليوم فان ما وقع عليهم عذاب وخزى وعلى هذا ظهر ما فى كلام المصنف من التقصير فى التفسير (قوله على اكتساب المضاف البناء من المضاف اليه) أى جعلوا اليوم مبنيا لاضافته الى المبنى الذى هو اذ فقد يعطى

على كل شيء والغالب عليه (وأخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في ديارهم جاثمين) قد سبق تفسير ذلك في سورة الاعراف (كأن لم يغنوا فيها ألا ان ثمود كفروا ربهم) نونه أبو بكر ههنا وفي النجم والكسائي في جميع القرآن وابن كثير ونافع وابن عامر وأبو عمرو في قوله (ألا بعدا لثمود) ذهابا الى الحي أو الاب الاكبر (ولقد جاءت رسلنا ابراهيم) يعني الملائكة قيل كانوا تسعة وقيل ثلاثة جبريل وميكائيل واسرافيل (بالبشرى) ببشارة الولد وقيل بهلاك قوم لوط (قالوا سلاما) سلمنا عليك سلاما ويجوز نصبه بقالوا على معنى ذكروا سلاما (قال سلام) أي أمركم أو جوابي سلام أو وعليكم سلام رفعه اجابة باحسن من تحيتهم وقرأ حمزة والكسائي سلم وكذلك في الذاريات وهما لغتان كحرم وحرام وقيل المراد به الصلح (فما لبث أن جاء بعجل حنيذ) فما أبطأ مجيئه به أو فما أبطأ في المجيء به أو فما تأخر عنه والجار في أن مقدر أو محذوف والحنيذ المشوي بالرضف وقيل الذي يقطر ودكه من حنذت الفرس اذا عرقته بالجلال لقوله بعجل سمين (فلما رأى أيديهم لا تصل اليه) لا يمدون اليه أيديهم (نكرهم وأوجس منهم خيفة) أنكر ذلك منهم وخاف أن يريدوا به مكروها ونكر وأنكر واستنكر بمعنى والايجاس الادراك وقيل الاضمار (قالوا) له لما أحسوا منه أثر الخوف (لا تخف انا أرسلنا الى قوم لوط) انا ملائكة مرسلة اليهم بالعذاب وانما لم نمد اليه أيدينا لانا لا نأكل (وامرأته قائمة) وراء الستر تسمع محاورتهم أو على رؤسهم للخدمة (فضحكت) سرورا بزوال الخيفة أو بهلاك أهل الفساد أو باصابة رأيها فانها كانت تقول لابراهيم اضمم اليك لوطا فاني أعلم ان العذاب ينزل بهؤلاء القوم وقيل فضحكت فحاضت قال الشاعر

وعهدي بسلمى ضاحكا في لبابة * ولم يعد حقا ثديها أن تحلما

ومنه ضحكت السمرة اذا سال صمغها وقرئ بفتح الحاء (فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب) نصبه ابن عامر وحمزة وحفص بفعل يفسره مادل عليه الكلام وتقديره ووهبنا ها من وراء اسحق يعقوب وقيل انه معطوف على موضع باسحق أو على لفظ اسحق وفتحته للجر فانه غير مصروف ورد للفصل بينه وبين ما عطف عليه بالظرف وقرأ الباقون بالرفع على أنه مبتدأ وخبره الظرف أي ويعقوب مولود من بعده وقيل الوراء ولد الولد ولعله سمي به لانه بعد الولد وعلى هذا تكون اضافته الى اسحق ليس من حيث ان يعقوب عليه الصلاة والسلام وراءه بل من حيث انه وراء ابراهيم من جهته وفيه نظر والاسمان يحتمل وقوعهما في البشارة كيحيى ويحتمل وقوعهما في الحكاية بعد أن ولدا فسميا به وتوجيه البشارة اليها للدلالة على ان الولد المبشر به يكون منها لا من هاجر ولانها كانت عقيمة حريصة على الولد (قالت ياويلتى) ياعجبا وأصله في الشر فاطلق على كل أمر فظيع وقرئ بالياء على الاصل (أألد وأنا عجوز) ابنة تسعين أو تسع وتسعين (وهذا بعلي) زوجي وأصله القائم بالامر (شيخا) ابن مائة أو مائة وعشرين ونصبه على الحال والعامل فيها معنى اسم الاشارة وقرئ بالرفع على أنه خبر محذوف أي هو شيخ أو خبر بعد خبر أو هو الخبر وبعلي بدل (ان هذا لشيء عجيب) يعني الولد من هرمين وهو استعجاب من حيث العادة دون القدرة ولذلك (قالوا أتعجبين من أمر الله رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت) منكرين عليها فان خوارق العادات

القبيلة يكون غير منصرف بالتأنيث والعلمية فلا يدخله التنوين (قوله والجار مقدر أو محذوف الخ) اذا كان مقدرا كان ما بعده باقيا على الجر واذا كان محذوفا لم يكن مجرورا بل منصوبا (قوله بالرضف) الرضف الحجارة المحماة (قوله وخاف ان يريدوا به مكروها) لان العادة ان من له ارادة سوء باحد لابد اذا كان حضره لم يأكل طعامه (قوله وانما لم نمد اليه أيدينا لانا لا نأكل) أي ليس عدم أكلنا للعداوة ولقصد الاذى وانما لم نأكل لان حالنا المستمر عدم الاكل (قوله للفصل بينه وبين ما عطف عليه بالظرف الخ) الاولى ان يقال للفصل بينه وبين الحرف العاطفة بالظرف فانه لا يجوز اذا كان المعطوف عليه مجرورا لان الحرف العاطف كحرف الجر ولا يجوز الفصل بين حرف الجر ومجروره واما الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه فجائز (قوله بل من حيث انه وراء ابراهيم من جهته) وفيه نظر وجه النظر انه لا يفهم ما ذكر من هذه الاضافة بل المفهوم خلاف ما ذكر (قوله والاسمان يحتمل وقوعهما في البشارة الخ) أي باعتبار يحتمل ان الملائكة بشروها بالولدين وعينوا اسميهما لها ويحتمل انهم لم يذكروا اسميهما لها بل قالوا لها بشرناك بابن وابن ابن (قوله فاطلق في كل أمر فظيع) أي شديد جاوز الحد

باعتبار أهل بيت النبوّة ومهبط المعجزات وتخصيصهم بمزيد النعم والكرامات ليس ببدع ولا حقيق بان يستغرب به عاقل فضلا عمن نشأت وشابت فى ملاحظة الآيات وأهل البيت نصب على المدح أو النداء لقصد التخصيص كقولهم اللهم اغفر لنا أيتها العصابة (انه حميد) فاعل مايستوجب به الحمد (مجيد) كثير الخير والاحسان (فلما ذهب عن ابراهيم الروع) أى ماأوجس من الخيفة واطمأن قلبه بعرفانهم (وجاءته البشرى) بدل الروع (يجادلنا فى قوم لوط) يجادل رسلنا فى شأنهم ومجادلته اياهم قوله ان فيها لوطا وهو اما جواب لما جىء به مضارعا على حكاية الحال أو لانه فى سياق الجواب بمعنى الماضى كجواب لو أو دليل جوابه المحذوف مثل اجترأ على خطابنا أو شرع فى جدالنا أو متعلق به أقيم مقامه مثل أخذ أو أقبل يجادلنا (ان ابراهيم لحليم) غير عجول على الانتقام من المسىء اليه (أوّاه) كثير التأوّه من الذنوب والتأسف على الناس (منيب) راجع الى الله والمقصود من ذلك بيان الحامل له على المجادلة وهو رقة قلبه وفرط ترحمه (ياابراهيم) على ارادة القول أى قالت الملائكة ياابراهيم (أعرض عن هذا) الجدال (انه قد جاء أمر ربك) قدره بمقتضى قضائه الازلى بعذابهم وهو أعلم بحالهم (وانهم آتيهم عذاب غير مردود) مصروف بجدال ولا دعاء ولا غير ذلك (ولما جاءت رسلنا لوطا سىء بهم) ساءه مجيئهم لانهم جاؤه فى صورة غلمان فظن انهم أناس فخاف عليهم أن يقصدهم قومه فيعجز عن مدافعتهم (وضاق بهم ذرعا) وضاق بمكانهم صدره وهو كناية عن شدة الانقباض للعجز عن مدافعة المكروه والاحتيال فيه (وقال هذا يوم عصيب) شديد من عصبه اذا شده (وجاءه قومه يهرعون اليه) يسرعون اليه كأنهم يدفعون دفعا لطلب الفاحشة من أضيافه (ومن قبل) أى ومن قبل ذلك الوقت (كانوا يعملون السيآت) الفواحش فتمرنوا بها ولم يستحيوا منها حتى جاؤا يهرعون لها مجاهرين (قال ياقوم هؤلاء بناتى) فدى بهن أضيافه كرما وحمية والمعنى هؤلاء بناتى فتزوجوهن وكانوا يطلبونهن من قبل فلا يجيبهم لخبثهم وعدم كفاءتهم لا لحرمة المسلمات على الكفار فانه شرع طارئ أو مبالغة فى تناهى خبث مايرومونه حتى ان ذلك أهون منه أو اظهارا لشدة امتعاضه من ذلك كى يرقوا له وقيل المراد بالبنات نساؤهم فان كل نبى أبو أمته من حيث الشفقة والتربية وفى حرف ابن مسعود وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم (هن أطهر لكم) أنظف فعلا وأقل فحشا كقولك الميتة أطيب من المغصوب وأحل منه وقرئ أطهر بالنصب على الحال على ان هن خبر بناتى كقولك هذا أخى هو لا فصل فانه لا يقع بين الحال وصاحبها (فاتقوا الله) بترك الفواحش أو بايثارهن عليهم (ولا تخزون) ولا تفضحونى من الخزى أو ولا تخجلونى من الخزاية بمعنى الحياء (فى ضيفى) فى شأنهم فان اخزاء ضيف الرجل اخزاؤه (أليس منكم رجل رشيد) يهتدى الى الحق ويرعوى عن القبيح (قالوا لقد علمت مالنا فى بناتك من حق) من حاجة (وانك لتعلم مانريد) وهو اتيان الذكران (قال لو أن لى بكم قوّة) لو قويت بنفسى على دفعكم (أو آوى الى ركن شديد) الى قوى أتمنع به عنكم شبهه بركن الجبل فى شدته وعن النبى صلى الله عليه وسلم رحم الله أخى لوطا كان يأوى الى ركن شديد وقرئ أو آوى بالنصب باضمار أن كأنه قال لو أن لى بكم قوّة أو أويا وجواب لو محذوف تقديره لدفعتكم روى انه أغلق بابه دون أضيافه وأخذ يجادلهم من وراء الباب فتسوّروا الجدار فلما رأت الملائكة ماعلى لوط من الكرب (قالوا يالوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك) لن يصلوا الى اضرارك باضرارنا فهوّن عليك ودعنا واياهم فخلاهم أن يدخلوا فضرب جبريل عليه السلام بجناحه وجوههم فطمس أعينهم وأعماهم فخرجوا يقولون

اجترأ على خطابنا أو شرع فى جدالنا فى قوم لوط ولا يناسب جعله دليلا عليه فالاولى انه بيان للجواب المقدر (قوله فانه شرع طارئ) أى هذا أمر حادث فى شرع نبينا صلى الله عليه وسلم (قوله أو مبالغة فى تناهى خبث مايرومونه) عطف على قوله كرما وحمية أى يحتمل أن يكون قوله هؤلاء بناتى هن أطهر لكم ليس للكرم بل للنقل من الافحش الى الاهون (قوله أو اظهارا لشدة امتعاضه من ذلك كى يرقوا له) يقال امتعض من الشئ اذا غضب منه وشق ذلك الشئ عليه والمقصود أن لوطا أظهر بالقول المذكور شدة مايرومونه عليه كى يرقوا أى يرجوا عليه وينتهوا عما أرادوا (قوله أنظف فعلا أو أقل فحشا كقولك الميتة أطيب من المغصوب) دفع شبهة هى ان لقائل ان يقول لا طيب لما يرومونه فكيف يكون بناته أطيب منه فاجاب بما ذكر وهذا ناظر الى قوله أنظف فعلا أى على تقدير ان يكون لما يرومونه نظافة فبناته أنظف (قوله ولا فصل الخ) أى ليس هو ضمير فصل على تقدير نصب أطهر اذ لا يقع ضمير الفصل بين الحال وذيها (قوله كان يأوى الى ركن شديد) أى كان يأوى الى حول الله وقوته (قوله أو آوى)

يعنى يكون الفعل بما دخل عليه حرف المصدر فيكون بمعنى المصدر (قوله بالقطع من الاسراء) أى لفظ أسر بفتح الهمزة من باب الافعال (قوله وفى المعنى للوط) الاولى ان يقال لوط ومن معه من أهله (قوله وهذا انما يصح على تأويل الالتفات بالتخلف فانه ان فسر) الى قوله من أحد أى اذا فسر الالتفات بالتخلف يصح ان يكون الاستثناء من الاهل ومن أحد فالمعنى على الاول فاسر باهلك بقطع من الليل الا امرأتك ولا يتخلف منكم أحد وعلى الثانى يكون المعنى فاسر باهلك بقطع من الليل ولا يتخلف منكم أحد الا امرأتك فانها تتخلف ولا تناقض بين المعنيين لان المراد من لا يتخلف منكم أحد على التقدير الاول لا يتخلف منكم أحد غير المرأة المذكورة بقرينة الاستثناء السابق تقديرا واما اذا فسر الالتفات بالنظر الى الوراء فلو استثنى المرأة من أهلك كان المعنى فاسر باهلك بقطع من الليل الا امرأتك فانها لم تسر وهذا يوجب عدم التفاتها الى الوراء فى اثناء السرى لانه فرع السرى لكن على تقدير رفع امرأتك على البدل من أحد كما هو قراءة ابن كثير وأبى عمرو يلزم التفات المرأة الى الوراء فيلزم ان يكون لها السرى مع لوط فلزم التناقض وقوله لان القواطع لا يصح حملها على المعانى المتناقضة معناه ان القرآن قطعى الصحة على كل قراءة فلا يصح ان يحمل لفظ القرآن على معنيين متناقضين لان أحد المتناقضين لا بد ان يكون كاذبا فلزم الكذب فيه وهو محال هذا توضيح ما ذكره قال العلامة الطيبى

النجاء النجاء فان فى بيت لوط سحرة (فأسر بأهلك) بالقطع من الاسراء وقرأ ابن كثير ونافع بالوصل حيث وقع فى القرآن من السرى (بقطع من الليل) بطائفة منه (ولا يلتفت منكم أحد) ولا يتخلف أو لا ينظر الى ورائه والنهى فى اللفظ لاحد وفى المعنى للوط (الا امرأتك) استثناء من قوله فأسر بأهلك ويدل عليه انه قرئ فأسر بأهلك بقطع من الليل الا امرأتك وهذا انما يصح على تأويل الالتفات بالتخلف فانه ان فسر بالنظر الى الوراء فى الذهاب ناقض ذلك قراءة ابن كثير وأبى عمرو بالرفع على البدل من أحد ولا يجوز حمل القراءتين على الروايتين فى انه خلفها مع قومها أو أخرجها فلما سمعت صوت العذاب التفتت وقالت يا قوماه فأدركها حجر فقتلها لان القواطع لا يصح حملها على المعانى المتناقضة والاولى جعل الاستثناء فى القراءتين من قوله ولا يلتفت مثله فى قوله تعالى ما فعلوه الا قليل ولا يبعد ان يكون أكثر القراء على غير الافصح ولا يلزم من ذلك أمرها بالالتفات بل عدم نهيها عنه استصلاحا ولذلك علله على طريقة الاستئناف بقوله (انه مصيبها ما أصابهم) ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعا على قراءة الرفع (ان موعدهم الصبح) كأنه علة الامر بالاسراء (أليس الصبح بقريب) جواب لاستعجال لوط واستبطائه العذاب (فلما جاء أمرنا) عذابنا أو أمرنا به ويؤيده الاصل وجعل التعذيب مسببا عنه بقوله (جعلنا عاليها سافلها) فانه جواب لما وكان حقه جعلوا عاليها سافلها أى الملائكة المأمورون به فاسند الى نفسه من حيث انه المسبب تعظيما للامر فانه روى أن جبريل عليه السلام أدخل جناحه تحت مدائنهم ورفعها الى السماء حتى سمع أهل السماء نباح الكلاب وصياح

أجاب عنه بعض فضلاء الغرب بان تقول انه مستثنى من قوله فاسر باهلك ومعنى لا يلتفت عدم النظر الى الوراء فى الذهاب قولكم فلزم ان لا تسرى معهم وهذا ينافى ان يكون مرفوعا على البدل من أحد بسبب انه يستلزم ان تسرى معهم اذا فسر الالتفات بما ذكر قلنا عدم السرى معهم ممنوع غاية الامر ان لوطا لم يسر بها لم لا يجوز ان تسرى هى بنفسها (قوله والاولى جعل الاستثناء فى القراءتين عن قوله ولا يلتفت) وحينئذ يصح حمل الالتفات على التخلف وعلى التوجه الى الوراء فان كان الواقع ذهابها معهم كان محمولا على الثانى وان تحقق عدم ذهابها معهم كان الالتفات محمولا على الاول أى على التخلف (قوله ولا بعد ان يكون أكثر القراء على غير الافصح) أى يلزم من ذلك ان يكون أكثرهم على غير الافصح وهو النصب لأن الافصح فى مثله الرفع على البدل لكن أكثر القراء على النصب (قوله بل عدم نهيها عنه استصلاحا) قيد للنهى أى نهيها عنه استصلاحا معدوم (قوله ولذلك علله على طريقة الاستئناف الخ) أى لاجل ان المقصود عدم نهيها عنه استصلاحا علله بطريق الاستئناف فكأنه سأل سائل لم لم تنهها عن الالتفات فقيل لانه مصيبها ما أصابهم وفى عبارته شئ لان هذا التعليل أيضا يصح على تقدير لزوم أمر الالتفات فتأمل (قوله ولا يحسن جعل الاستثناء منقطعا على قراءة الرفع) لانه يكون بدل الغلط وهو لا يقع فى فصيح الكلام فكيف فى القرآن (قوله ويؤيده الاصل وجعل التعذيب مسببا عنه بقوله جعلنا عاليها سافلها الخ) أى يؤيد تقدير الثانى أمران أحدهما ان الامر هو الاصل من وجهين أحدهما ان يكون على هذا التوجيه يبقى لفظ الامر على الاصل أى على الحقيقة والثانى ان لا اصل فى وقوع الاشياء أمر الله والثانى انه جعل الانقلاب وهو جعل الاعالى أسافل مسببا على مجئ الامر فلا يكون الامر عبارة عن العذاب والا لصار المعنى فلما جاء عذابنا عذبناهم ويرد عليه انه لزم على هذا التقدير ان لا يصح حمل الامر على الانقلاب ويمكن حمله عليه ان كان العذاب شيأ آخر غير جعل عاليها سافلها (قوله فانه روى الخ)

وصياح الديكة ثم قلبها عليهم (وأمطرنا عليها) على المدن أو على شذاذها (حجارة من سجيل) من طين متحجر لقوله حجارة من طين وأصله سنك كل فعرب وقيل انه من أسجله اذا أرسله وأدر عطيته والمعنى من مثل الشئ المرسل أو من مثل العطية فى الادرار أو من السجل أى مما كتب الله أن يعذبهم به وقيل أصله من سجين أى من جهنم فأبدلت نونه لاما (منضود) نضد معد العذابهم أو نضد فى الارسال بتتابع بعضه بعضا كقطار الامطار أو نضد بعضه على بعض وألصق به (مسوّمة) معلمة للعذاب وقيل معلمة ببياض وحمرة أو بسيما تميز به عن حجارة الارض أو باسم من يرمى بها (عند ربك) فى خزائنه (وماهى من الظالمين ببعيد) فانهم بظلمهم حقيق بأن تمطر عليهم وفيه وعيد لكل ظالم وعنه عليه الصلاة والسلام أنه سأل جبريل عليه السلام فقال يعنى ظالمى أمتك مامن ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى أى هى قريبة من ظالمى مكة يمرون بها فى أسفارهم الى الشام وتذكير البعيد على تأويل الحجر أو المكان (والى مدين أخاهم شعيبا) أراد أولاد مدين بن ابراهيم عليه السلام أو أهل مدين وهو بلد بناه فسمى باسمه (قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان) أمرهم بالتوحيد أولا فانه ملاك الامر ثم نهاهم عما اعتادوه من البخس المنافى للعدل المخل بحكمة التعاوض (انى أراكم بخير) بسعة تغنيكم عن البخس أو بنعمة حقها ان تتفضلوا على الناس شكرا عليها لا أن تنقصوا حقوقهم أو بسعة فلا تزيلوها بما أنتم عليه وهو فى الجملة علة للنهى (وانى أخاف عليكم عذاب يوم محيط) لا يشذ منه أحد منكم وقيل عذاب مهلك من قوله وأحيط بثمره والمراد عذاب يوم القيامة أو عذاب الاستئصال ووصف اليوم بالاحاطة وهى صفة العذاب لاشتماله عليه (وياقوم أوفوا المكيال والميزان) صرح بالامر بالايفاء بعد النهى عن ضده مبالغة وتنبيها على أنه لا يكفيهم الكف عن تعمدهم التطفيف بل يلزمهم السعى فى الايفاء ولو بزيادة لا يتأتى بدونها (بالقسط) بالعدل والسوية من غير زيادة ولا نقصان فان الازدياد ايفاء وهو مندوب غير مأمور به وقد يكون محظورا (ولا تبخسوا الناس أشياءهم) تعميم بعد تخصيص فانه أعم من أن يكون فى المقدار أو فى غيره وكذا قوله (ولا تعثوا فى الارض مفسدين) فان العثو يعم تنقيص الحقوق وغيره من أنواع الفساد وقيل المراد بالبخس المكس كاخذ العشور فى المعاملات والعثو السرقة وقطع الطريق والغارة وفائدة الحال اخراج مايقصد به الاصلاح كما فعله الخضر عليه السلام وقيل معناه ولا تعثوا فى الارض مفسدين أمر دينكم ومصالح آخرتكم (بقيت الله) ما أبقاه لكم من الحلال بعد التنزه عما حرم عليكم (خير لكم) مما تجمعون بالتطفيف (ان كنتم مؤمنين) بشرط أن تؤمنوا فان خيريتها باستتباع الثواب مع النجاة وذلك مشروط بالايمان أو ان كنتم مصدقين لى فى قولى لكم وقيل البقية الطاعة كقوله والباقيات الصالحات وقرئ تقية الله بالتاء وهى تقواه التى تكف عن المعاصى (وما أنا عليكم بحفيظ) أحفظكم عن القبائح أو أحفظ عليكم أعمالكم فأجازيكم عليها وانما أنا ناصح مبلغ وقد أعذرت حين أنذرت أو لست بحافظ عليكم نعم الله لو لم تتركوا سوء صنيعكم (قالوا ياشعيب أصلواتك تأمرك أن نترك مايعبد آباؤنا) من الاصنام أجابوا به آمرهم بالتوحيد على الاستهزاء به والتهكم بصلواته والاشعار بأن مثله لا يدعو اليه داع عقلى وانما دعاك اليه خطرات ووساوس من جنس ماتواظب عليه وكان شعيب كثير الصلاة فلذلك جمعوا وخصوا الصلاة بالذكر وقرأ حمزة والكسائى وحفص على الافراد والمعنى أصلواتك تأمرك بتكليف أن نترك فحذف المضاف لان الرجل لا يؤمر بفعل غيره (أو أن نفعل فى أموالنا مانشاء) عطف على

على أنه فعل الملائكة ويمكن ان يكون دليلا على تعظيم الامر لانه فعل عظيم حصل من ملك عظيم (قوله أو على شذاذها) الجماعة الخارجون من المدن (قوله وتذكير البعيد على تأويل المكان أو الحجر) أى لما كان المبتدا وهى هى مؤنثا وجب ان يقال بعيدة على تطابق المبتدأ لكن ذكر بتأويل حجر أو مكان أى ماهى أى الحجارة من الظالمين بحجر بعيد أو ماهى أى القرى من الظالمين بمكان بعيد (قوله ولو بزيادة لا يتأتى دونها) أى بزيادة لا يتأتى ترك تعمد التطفيف دونها (قوله وقد يكون محظورا) أى يكون اعطاء الزيادة محظورا كما فى الربويات (قوله من غير زيادة ونقصان) أى من غير زيادة حرام كما فى الربويات ولا نقص أصلا ولا حيلة ترى بان الايفاء حاصل وليس بحاصل وعبارة القاضى وهى قوله فان الازدياد ايفاء وهو مندوب يدل على ان اعطاء الزيادة مندوب مطلقا وفيه مافيه (قوله والعثو) معطوف على البخس (قوله لان الرجل لا يؤمر بفعل غيره) هذا علة التقدير المذكور والمعنى انه ان لم

يقدر ماذكر لزم ان يؤمر شعيب عليه السلام بترك قومه عبادة الاوثان ولا معنى له فيجب ان يقدر ماذكره (قوله وقرئ بالتاء فيهما) أى قرئ تفعل وتشاء بتاء الخطاب والمعنى أصلواتك تأمرك ياشعيب ان تفعل فى أموالنا ماتشاء وفعله فى أموالهم هو أمرهم بعدم التطفيف وايفاء الحق (قوله ينهاهم عن تقطيع الدراهم والدنانير) أراد به تنقيصها فان من قطع بعضا من شئ فقد نقصه فهم أرادوا بقولهم ان نفعل فى أموالنا مانشاء التقطيع المذكور (قوله تهكموا به الخ) يعنى هذه العبارة تحتمل وجهين أحدهما ان يكون قصدهم التهكم والسخرية فيكون مقصودهم من وصفه بالحلم والرشد وصفه بضديهما أى نهيك ياشعيب بواسطة اتصافك بالطيش والسفاهة الثانى ان يكون مقصودهم انك فى الحقيقة موصوف بالحلم والرشد لكن مايصدر منك من النهى عن التصرف فى الاموال كيف يشاء صاحبها مناف لهما فيجب عليك ان تترك النهى (قوله أى ما أريد ان آتى ما أنهاكم عنه لاستبد به) أى ما أريد بالنهى المذكور ان تنتهوا عنه حتى استقل به واستبد به أى انفرد

به (قوله وخالفته عنه اذا كان الامر بالعكس) أى اذا قصد الغير فعله وأنت مول عنه (قوله أهمها وأعلاها حق الله الخ) فالجواب الاول وهو قوله قال ياقوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربى ورزقنى منه رزقا حسنا رعاية حق الله تعالى والثانى وهو قوله وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه رعاية حق النفس اذ على كل احد أن ينهى نفسه عما ينهى غيره من المعاصى الثالث رعاية حق الناس وهو قوله ان أريد الا الاصلاح ما استطعت وانما كان ذلك يقتضى ماذكر أما الاول فلان من حق الله على العبد ان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وأما الثانى فلأن حق النفس على الشخص ان يفعل مايوجب نجاتها وذلك بالامر والنهى المذكورين (قوله ما مصدرية واقعة موقع الظرف) والمعنى مدة استطاعتى (قوله المقدار الذى استطعته) أى المقدار من الاصلاح الذى استطعته فيكون بدل البعض (قوله وفيه اشارة الى محض التوحيد الذى هو أقصى مراتب العلم بالمبدأ) فان قلت أقصى مراتب العلم به تعالى هو ان يعلم بجميع صفاته الثبوتية والسلبية لا مجرد العلم بالتوحيد قلنا مراده العلم بتوحيد الافعال بان يعلم ان لا فاعل سواه بل هو تعالى فاعل مستقل للكل من غير توسط وهذا العلم لا يحصل الا بعد معرفته بصفاته الثبوتية والسلبية فان الفاعل المستقل بجميع ما فى العالم لابد ان يكون عالما قادرا مريدا سميعا بصيرا الى غير ذلك كما لا يخفى على الفطن وانما كان ماذكر اشارة الى توحيد الافعال لان حصر التوكل فى جميع الامور عليه تعالى كما هو مقتضى تقديم الظرف يدل على ان لا فاعل غيره أيضا اذ لو كان غيره فاعلا لم ينحصر التوكل عليه فقط بل يكون التوكل عليه وعلى ذلك الغير (قوله على الله متعلق بالحصر) أى يفيد حصر الانابة على الله لسبب تقديم الصلة

ما أى وأن نترك فعلنا ما نشاء فى أموالنا وقرئ بالتاء فيهما على أن العطف على أن نترك وهو جواب النهى عن التطفيف والامر بالايفاء وقيل كان ينهاهم عن تقطيع الدراهم والدنانير فأرادوا به ذلك (انك لأنت الحليم الرشيد) تهكموا به وقصدوا وصفه بضد ذلك أو عللوا انكار ما سمعوا منه واستبعاده بأنه موسوم بالحلم والرشد المانعين عن المبادرة الى أمثال ذلك (قال ياقوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربى) اشارة الى ما آتاه الله من العلم والنبوة (ورزقنى منه رزقا حسنا) اشارة الى ما آتاه الله من المال الحلال وجواب الشرط محذوف تقديره فهل يسع لى مع هذا الانعام الجامع للسعادات الروحانية والجسمانية أن أخون فى وحيه وأخالفه فى أمره ونهيه وهو اعتذار عما أنكروا عليه من تغيير المألوف والنهى عن دين الآباء والضمير فى منه لله أى من عنده وباعانته بلا كد منى فى تحصيله (وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه) أى وما أريد أن آتى ما أنهاكم عنه لأستبد به دونكم فلو كان صوابا لآثرته ولم أعرض عنه فضلا عن أن أنهى عنه يقال خالفت زيدا الى كذا اذا قصدته وهو مول عنه وخالفته عنه اذا كان الامر بالعكس (ان أريد الا الاصلاح ما استطعت) ما أريد الا أن أصلحكم بأمرى بالمعروف ونهيى عن المنكر مادمت أستطيع الاصلاح فلو وجدت الصلاح فيما أنتم عليه لما نهيتكم عنه ولهذه الاجوبة الثلاثة على هذا النسق شأن وهو التنبيه على أن العاقل يجب أن يراعى فى كل ما يأتيه ويذره أحد حقوق ثلاثة أهمها وأعلاها حق الله تعالى وثانيها حق النفس وثالثها حق الناس وكل ذلك يقتضى ان آمركم بما أمرتكم به وأنهاكم عما نهيتكم عنه وما مصدرية واقعة موقع الظرف وقيل خبرية بدل من الاصلاح أى المقدار الذى استطعته أو اصلاح ما استطعته فحذف المضاف (وما توفيقى الا بالله) وما توفيقى لاصابة الحق والصواب الا بهدايته ومعونته (عليه توكلت) فانه القادر المتمكن من كل شئ وما عداه عاجز فى حد ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار وفيه اشارة الى محض التوحيد الذى هو أقصى مراتب العلم بالمبدا (واليه أنيب) اشارة الى معرفة المعاد وهو أيضا يفيد الحصر بتقديم الصلة على الفعل وفى هذه الكلمات طلب التوفيق لاصابة الحق فيما يأتيه ويذره من الله تعالى والاستعانة به فى مجامع أمره والاقبال عليه

بشراشره

(قوله لايكسبنكم) أي لايحصل لكم شقاقي اصابة ماأصاب الاقوام المذكورين نهى الشقاق عن الكسب وأريد نهيهم عما يوجب البلايا بسبب الشقاق وفي هذا مبالغة لانه نهي الشقاق الذي لايصح ان ينهى فلزم نهي المشاقين بطريق الاولى لانه اذا نهي الشقاق الذي ليس من شأنه ان يطلب منه شئ ففيه دليل على ان من يطلب النهي عنه هو أصحاب الشقاق (قوله وهو منقول من المتعدي الى مفعول) أي أجرم منقول من جرم المتعدي الى مفعول واحد اذ لو كان منقولا من جرم المتعدي الى مفعولين لكان له ثلاثة مفاعيل (قوله لاضافته الى المبني) فان القاعدة أن مثل اذا أضيف الى المبني بني على الفتح ولو قال لاضافته الى ما لكان أولى لان مجرد الاضافة الى المبني لاتوجب البناء (قوله لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت) الاستشهاد بلفظ غير فانه مضاف الى ان نطقت وهو مبني في هذه الحالة (قوله وقيل قالوا ذلك استهانة الخ) أي قالوا ما قالوا لعدم المبالاة بكلامه وقوله كما تقول لمن لاتبالي شأنه لا أفهم كلامك وغرضك

بشر اشره وحسم أطماع الكفار واظهار الفراغ عنهم وعدم المبالاة بعاداتهم وتهديدهم بالرجوع الى الله للجزاء (وياقوم لايجرمنكم) لايكسبنكم (شقاقي) معاداتي (أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح) من الغرق (أو قوم هود) من الريح (أو قوم صالح) من الرجفة وأن بصلتها ثاني مفعولي جرم فانه يعدى الى واحد والى اثنين ككسب وعن ابن كثير يجرمنكم بالضم وهو منقول من المتعدي الى مفعول واحد والاول أفصح فان أجرم أقل دورانا على ألسنة الفصحاء وقرئ مثل بالفتح لاضافته الى المبني كقوله

لم يمنع الشرب منها غير أن نطقت * حمامة في غصون ذات أوقال

(وما قوم لوط منكم ببعيد) زمانا أو مكانا فان لم تعتبروا بمن قبلهم فاعتبروا بهم أو ليسوا ببعيد منكم في الكفر والمساوي فلا يبعد عنكم ما أصابهم وافراد البعيد لان المراد وما اهلاكهم أو وما هم بشئ بعيد ولا يبعد أن يسوى في أمثاله بين المذكر والمؤنث لانها على زنة المصادر كالصهيل والشهيق (واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه) عما أنتم عليه (ان ربي رحيم) عظيم الرحمة للتائبين (ودود) فاعل بهم من اللطف والاحسان ما يفعل البليغ المودة بمن يوده وهو وعد على التوبة بعد الوعيد على الاصرار (قالوا يا شعيب ما نفقه) ما نفهم (كثيرا مما تقول) كوجوب التوحيد وحرمة البخس وما ذكرت دليلا عليهما وذلك لقصور عقولهم وعدم تفكرهم وقيل قالوا ذلك استهانة بكلامه أو لانهم لم يلقوا اليه أذهانهم لشدة نفرتهم عنه (وانا لنراك فينا ضعيفا) لاقوة لك فتمتنع منا ان أردنا بك سوأ أو مهينا لاعزلك وقيل أعمى بلغة حمير وهو مع عدم مناسبته يرده التقييد بالظرف ومنع بعض المعتزلة استنباء الاعمى قياسا على القضاء والشهادة والفرق بين (ولولا رهطك) قومك وعزتهم عندنا لكونهم على ملتنا لا لخوف من شوكتهم فان الرهط من الثلاثة الى العشرة وقيل الى التسعة (لرجمناك) لقتلناك برمي الاحجار أو بأصعب وجه (وما أنت علينا بعزيز) فتمنعنا عزتك عن الرجم وهذا ديدن السفيه المحجوج يقابل الحجج والآيات بالسب والتهديد وفي ايلاء ضميره حرف النفي تنبيه على أن الكلام فيه لا في ثبوت العزة وأن المانع لهم عن ايذائه عزة قومه ولذلك (قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا) وجعلتموه كالمنسي المنبوذ وراء الظهر باشراككم به والاهانة برسوله فلا تبقون على الله وتبقون علي لرهطي وهو يحتمل الانكار والتوبيخ

ان لا معنى لكلام القائل أو تقول لا افهم كلامك لمن ينفر عنه وعن كلامه وغرضك الاعراض عنه وأمره بالسكوت (قوله وهو مع عدم مناسبته الخ) عدم المناسبة لاجل ان العمى لايوجب عدم اعتبار قول صاحبه مطلقا ولا قلة مبالاة بشأنه ومع عدم المناسبة يرده الجار والمجرور اذ لاوجه لقول القائل انا لنراك فينا أعمى اذ من كان أعمى فهو أعمى في الواقع لا بالنسبة الى جماعة دون جماعة فلا فائدة في التقييد بقوله فينا (قوله ومنع بعض المعتزلة استنباء الاعمى الخ) يعني ان بعض المعتزلة منع جعل الاعمى نبيا قياسا على ما ذكر لكن القياس قياس مع الفارق فان النبوة اخبار من الله تعالى للعباد ولاحاجة الى البصر فان النبوة أمر يفاض على الباطن وأما القضاء فانه حكم على شخص معين لشخص آخر فيحتاج الى معرفتهما بالتعيين ولاتحصل معرفة الشخص الا بالرؤية والشهادة اثبات حق لشخص معين على شخص آخر فتحتاج الى رؤية الشخصين وأيضا النبوة اذا حصلت لابد من عصمة الله من الخطأ لانه مقصود بخلاف القضاء والشهادة (قوله فان الرهط من الثلاثة الى العشرة) هذا دليل على عدم الخوف اذ ليس بهذا القدر شوكة يخاف منها (قوله لقتلناك برمي الاحجار أو باصعب وجه) فعلى الاول يكون الرجم مستعملا في معناه الحقيقي وعلى الثاني في معناه المجازي (قوله تعالى قال ياقوم الخ) فيه اشكال لان قوله ارهطي أعز عليكم من الله يدل على ان لله تعالى عزة عندهم وقوله واتخذتموه وراءكم ظهريا يدل على خلافه ويمكن دفعه بان يقال ان الاعزية على الفرض والتقدير أي لو كان لله عز عندكم لكان قومي أعز عليكم منه وهذا لاينافي عدم العزة مطلقا في الواقع (قوله وهو يحتمل الانكار والتوبيخ

والرد والتكذيب) الاولان ظاهران وأما الرد والتكذيب فهو باعتبار ردهم وتكذيبهم فى دعواهم ان عدم رجمهم الشعيب بسبب عزة قومه فكأنه قال ادعيتم انكم تقدرون على رجمى لكن عدم رجمكم اياى بسبب قومى لكنكم كاذبون فى هذه الدعوى لانكم لا تقدرون على رجمى واهلاكى لان الله تعالى يدمركم منى (قوله فهو أبلغ فى التهويل) لانه مشعر بانه مما يستحق ان يسأل

عنه و يتوجه اليه (قوله ومن هو كاذب على زعمهم) فيه ان من هو كاذب على زعمهم معلوم الآن ولا وجه لتعليق العلم به بالمستقبل لانهم كذبوه الآن فان المعلوم ان الكاذب على زعمهم هو شعيب بل المعنى الصحيح أن يقال سوف تعلمون من هو كاذب فى الواقع فان الكاذب فى زعمهم هو شعيب لكن الكاذب فى الواقع قومه المنكرون له (قوله يجرى مجرى السبب) لان الوعيد فى ايقاعه للموعود كالسبب الموجب للسبب لكنه ليس السبب الحقيقى بل السبب الحقيقى هو كفرهم وطغيانهم فلذلك قال يجرى مجرى السبب فان قيل فى كلام شعيب عليه الصلاة والسلام ذكر الوعد أيضا وهو قوله ياقوم اعملوا على مكانتكم الى قوله رقيب غاية الامر انه لم يذكر بلفظ الوعد قلنا يمكن أن يحمل ماذكر على العذاب الدنيوى و يمكن أن يقال ان ذكر الفاء فى الموضعين

والرد والتكذيب وظهر يا منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات النسب (ان ربى بما تعملون محيط) فلا يخفى عليه شئ منها فيجازى عليها (و ياقوم اعملوا على مكانتكم انى عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه) سبق مثله فى سورة الانعام والفاء فى فسوف تعلمون ثمة للتصريح بان الاصرار والتمكن فيما هم عليه سبب لذلك وحذفها ههنا لانه جواب سائل قال فماذا يكون بعد ذلك فهو أبلغ فى التهويل (ومن هو كاذب) عطف على من يأتيه لا لانه قسيم له كقولك ستعلم الكاذب والصادق بل لانهم لما أوعدوه وكذبوه قال سوف تعلمون من المعذب والكاذب منى ومنكم وقيل كان قياسه ومن هو صادق لينصرف الاول اليهم والثانى اليه لكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب على زعمهم (وارتقبوا) وانتظروا ما أقول لكم (انى معكم رقيب) منتظر فعيل بمعنى الراقب كالصريم أو المراقب كالعشير أو المرتقب كالرفيع (ولما جاء أمرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا) انما ذكره بالواو كما فى قصة عاد اذ لم يسبقه ذكر وعد يجرى مجرى السبب له بخلاف قصتى صالح ولوط فانه ذكر بعد الوعد وذلك قوله وعد غير مكذوب وقوله ان موعدهم الصبح فلذلك جاء بفاء السببية (وأخذت الذين ظلموا الصيحة) قيل صاح بهم جبريل عليه السلام فهلكوا (فاصبحوا فى ديارهم جاثمين) ميتين وأصل الجثوم اللزوم فى المكان (كأن لم يغنوا فيها) كأن لم يقيموا فيها (ألا بعدا لمدين كما بعدت ثمود) شبههم بهم لان عذابهم كان أيضا بالصيحة غير ان صيحتهم كانت من تحتهم وصيحة مدين كانت من فوقهم وقرئ بعدت بالضم على الاصل فان الكسر تغيير لتخصيص معنى البعد بما يكون بسبب الهلاك والبعد مصدر لهما والبعد مصدر المكسور (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) بالتوراة أو المعجزات (وسلطان مبين) وهو المعجزات القاهرة أو العصا وافرادها بالذكر لانها أبهرها ويجوز أن يراد بهما واحد أى ولقد أرسلناه بالجامع بين كونه آياتنا وسلطانا له على نبوته واضحا فى نفسه أو موضحا اياها فان أبان جاء لازما ومتعديا والفرق بينهما ان الآية تعم الامارة والدليل القاطع والسلطان يخص بالقاطع والمبين يخص بما فيه جلاء (الى فرعون وملئه فاتبعوا أمر فرعون) فاتبعوا أمره بالكفر بموسى أو فما اتبعوا موسى الهادى الى الحق المؤيد بالمعجزات القاهرة الباهرة واتبعوا طريقة فرعون المنهمك فى الضلال والطغيان الداعى الى مالا يخفى فساده على من له أدنى مسكة من العقل لفرط جهالتهم وعدم استبصارهم (وما أمر فرعون برشيد) مرشد أو ذى رشد وانما هو غى محض وضلال صريح (يقدم قومه يوم القيامة) الى النار كما كان يقدمهم فى الدنيا الى الضلال يقال قدم بمعنى تقدم (فأوردهم النار) ذكره بلفظ الماضى مبالغة فى تحقيقه ونزل النار لهم منزلة الماء فسمى اتيانها موردا ثم قال (و بئس الورد المورود) أى بئس المورد الذى وردوه فانه يراد لتبريد الاكباد وتسكين العطش والنار بالضد والآية كالدليل على قوله وما أمر فرعون برشيد فان من كان هذه عاقبته لم يكن فى أمره رشد أو تفسير له على ان المراد بالرشيد ما يكون مأمون العاقبة حميدها (وأتبعوا فى هذه) الدنيا (لعنة ويوم القيامة) أى يلعنون فى الدنيا والآخرة

لقرب عذاب قوم صالح ولوط للوعد المذكور من غير فصل بعيد (قوله بخلاف قصتى صالح ولوط) فانه ذكر بعد الوعد قصة صالح بعد ذكر الوعيد وأما قصة لوط فليست كذلك (قوله ونزل النار لهم منزلة الماء فسمى اتيانها موردا) فيكون ههنا تشبيه النار بالماء فكان الماء المحوظ ذهنا مقدرا استعارة بالكناية والورود استعارة تخييلية و يمكن أن يكون تشبيه النار بالماء بئس للتضاد فان كلا منهما ضد الآخر

(قوله وهو اللعنة فى الدارين) الاولى كما قال صاحب الكشاف أن يقال الرفد اللعنة فى الدنيا فانه رفد العذاب فى الآخرة ومدد له وقد رفدت باللعنة فى الآخرة (قوله فيكون محل الكاف النصب على المصدر) أى أخذ ربك أخذا مثل ذلك الاخذ وفيه ان المصدر النوعى متقدم على الفعل (قوله لعلمه بان ما حاق بهم الخ) وذلك لان عذاب

الآخرة الا كبر لقوله تعالى ولعذاب الآخرة

(بئس الرفد المرفود) بئس العون المعان أو العطاء المعطى وأصل الرفد ما يضاف الى غيره ليعمده والمخصوص بالذم محذوف أى رفدهم وهو اللعنة فى الدارين (ذلك) أى ذلك النبأ (من أنباء القرى) المهلكة (نقصه عليك) مقصوص عليك (منها قائم) من تلك القرى باق كالزرع القائم (وحصيد) ومنها عافى الاثر كالزرع المحصود والجملة مستأنفة وقيل حال من الهاء فى نقصه وليس بصحيح اذ لا واو ولا ضمير (وما ظلمناهم) باهلاكنا اياهم (ولكن ظلموا أنفسهم) بأن عرضوها له بارتكاب ما يوجبه (فما أغنت عنهم) فما نفعتهم ولا قدرت أن تدفع عنهم بل ضرتهم (آلهتهم التى يدعون من دون الله من شئ لما جاء أمر ربك) حين جاءهم عذابه ونقمته (وما زادوهم غير تتبيب) هلاك أو تخسير (وكذلك) ومثل ذلك الاخذ (أخذ ربك) وقرئ أخذ ربك بالفعل وعلى هذا يكون محل الكاف النصب على المصدر (اذا أخذ القرى) أى أهلها وقرئ اذ لان المعنى على المضى (وهى ظالمة) حال من القرى وهى فى الحقيقة لاهلها لكنها لما أقيمت مقامه أجريت عليها وفائدتها الاشعار بأنهم أخذوا بظلمهم وانذار كل ظالم ظلم نفسه أو غيره من وخامة العاقبة (ان أخذه أليم شديد) وجيع غير مرجو الخلاص منه وهو مبالغة فى التهديد والتحذير (ان فى ذلك) أى فيما نزل بالامم الهالكة أو فيما قصه الله تعالى من قصصهم (لآية) لعبرة (لمن خاف عذاب الآخرة) يعتبر به عظمته لعلمه بأن ما حاق بهم أنموذج مما أعد الله للمجرمين فى الآخرة أو ينزجر به عن موجباته لعلمه بانها من اله مختار يعذب من يشاء ويرحم من يشاء فان من أنكر الآخرة وأحال فناء هذا العالم لم يقل بالفاعل المختار وجعل تلك الوقائع لاسباب فلكية اتفقت فى تلك الايام لا لذنوب المهلكين بها (ذلك) اشارة الى يوم القيامة وعذاب الآخرة دل عليه (يوم مجموع له الناس) أى يجمع له الناس والتغيير للدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وانه من شأنه لا محالة وان الناس لا ينفكون عنه فهو أبلغ من قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع ومعنى الجمع له الجمع لما فيه من المحاسبة والمجازاة (وذلك يوم مشهود) أى مشهود فيه أهل السموات والارضين فاتسع فيه باجراء الظرف مجرى المفعول به كقوله * فى محفل من نواصى الناس مشهود * أى كثير شاهدوه ولو جعل اليوم مشهودا فى نفسه لبطل الغرض من تعظيم اليوم وتمييزه فان سائر الايام كذلك (وما نؤخره) أى اليوم (الا لاجل معدود) الا لانتهاء مدة معدودة متناهية على حذف المضاف وارادة مدة التأجيل كلها بالاجل لا منتهاها فانه غير معدود (يوم يأتى) أى الجزاء أو اليوم كقوله ان تأتيهم الساعة على ان يوم بمعنى حين أو الله عز وجل كقوله تعالى هل ينظرون الا أن يأتيهم الله فى ظلل ونحوه وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة يأت بحذف الياء اجتزاء عنها بالكسرة (لا تكلم نفس) لا تتكلم بما ينفع وينجى من جواب أو شفاعة وهو الناصب للظرف ويحتمل نصبه باضمار اذكر أو بالانتهاء المحذوف (الا باذنه) الا باذن الله كقوله لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وهذا فى موقف وقوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون فى موقف آخر أو المأذون فيه هى الجوابات الحقة والممنوع عنه

أكبر لو كانوا يعلمون وللاخبار الواردة فى شدة عذاب الآخرة وزيادته على عذاب الدنيا بما لا يتناهى (قوله والتغيير للدلالة على ثبات معنى الجمع) أى التغيير عن الفعل وهو يجمع الى اسم المفعول لما ذكر فان يجمع يدل صريحا على الاستقبال ولا يتوهم منه الثبوت دائما بخلاف المجموع فانه يتوهم منه الثبوت دائما وان كان فى الواقع الحدوث فى المستقبل والغرض ان التعبير بصيغة تدل ظاهرا على الثبوت الدائمى أبلغ من صيغة تدل صريحا على الحدوث فى المستقبل فان قيل ان اسم الفاعل والمفعول موضوعان للحدوث قلنا صرح بعض المحققين بانهما ليسا موضوعين للحدوث بل لمطلق ثبوت المصدر واذا كان وضعهما لمطلق الثبوت يمكن أن يدلا على الثبوت الدائمى فى المقام الظنى لان تخصيصه بزمان دون زمان لابد فيه من

مرجح فيكون التخصيص حاصلا من الخارج لا من نفس الصيغة (قوله على ان اليوم بمعنى الحين) اذ لا يلزم أن يكون وقت عدم تكلم كل نفس الا باذنه اليوم المتعارف وهو زمان طلوع الشمس فوق الافق (قوله وهو الناصب للظرف الخ) أى الناصب ليوم يأت اما لا تكلم نفس أو اذكر المقدر والمعنى اذكر يوم يأت أى هذا الوقت المخصوص أو الانتهاء المحذوف والمعنى لانتهاء أجل معدود يوم يأت (قوله وهذا فى موقف الخ) الغرض منه ازالة التنافى بين القولين المذكورين فى القرآن

هى الاعذار الباطلة (فمنهم شقى) وجبت له النار بمقتضى الوعيد (وسعيد) وجبت له الجنة بموجب الوعد والضمير لاهل الموقف وان لم يذكر لانه معلوم مدلول عليه بقوله لاتكلم نفس أو للناس (فاما لذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق) الزفير اخراج النفس والشهيق رده واستعمالهما فى أوّل النهيق وآخره والمراد بهما الدلالة على شدة كربهم وغمهم وتشبيه حالهم بمن استولت الحرارة على قلبه وانحصر فيه روحه أو تشبيه صراخهم باصوات الحمير وقرئ شقوا بالضم (خالدين فيها مادامت السموات والارض) ليس لارتباط دوامهم فى النار بدوامهما فان النصوص دالة على تأبيد دوامهم وانقطاع دوامهما بل التعبير عن التأبيد والمبالغة بما كانت العرب يعبرون به عنه على سبيل التمثيل ولو كان للارتباط لم يلزم أيضا من زوال السموات والارض زوال عذابهم ولا من دوامه دوامهما الا من قبيل المفهوم لان دوامهما كالملزوم لدوامه وقد عرفت ان المفهوم لا يقاوم المنطوق وقيل المراد سموات الآخرة وأرضها ويدل عليه قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وان أهل الآخرة لابد لهم من مظل ومقل وفيه نظر لانه تشبيه بما لا يعرف أكثر الخلق وجوده ودوامه ومن عرفه فانما يعرفه بما يدل على دوام الثواب والعقاب فلا يجدى له التشبيه (الا ماشاء ربك) استثناء من الخلود فى النار لان بعضهم وهم فساق الموحدين يخرجون منها وذلك كاف فى صحة لاستثناء لان زوال الحكم عن الكل يكفيه زواله عن البعض وهم المراد بالاستثناء الثانى فانهم مفارقون عن الجنة أيام عذابهم فان التأبيد من مبدإ معين ينتقض باعتبار الابتداء كما ينتقض باعتبار الانتهاء وهؤلاء وان شقوا بعصيانهم فقد سعدوا بايمانهم ولا يقال فعلى هذا لم يكن قوله فمنهم شقى وسعيد تقسيما صحيحا لان من شرطه أن تكون صفة كل قسم منتفية عن قسيمه لان ذلك الشرط حيث التقسيم لانفصال حقيقى أومانع من الجمع وههنا المراد ان أهل الموقف لا يخرجون عن القسمين وان حالهم لا يخلو عن السعادة والشقاوة وذلك لا يمنع اجتماع الامرين فى شخص باعتبارين أولان أهل النار ينقلون منها الى الزمهرير وغيره من العذاب أحيانا وكذلك أهل الجنة ينعمون بما هو أعلى من الجنة كالاتصال بجناب القدس والفوز برضوان الله ولقائه أو من أصل الحكم والمستثنى زمان توقفهم فى الموقف للحساب لان ظاهره يقتضى أن يكونوا فى النار حين يأتى اليوم أو مدة لبثهم فى الدنيا والبرزخ ان كان الحكم مطلقا غير مقيد باليوم وعلى هذا التأويل يحتمل أن يكون الاستثناء من الخلود على ماعرفت وقيل هو

(قوله لان دوامهما كالملزوم لدوامه الخ) اذا كان دوامهما ملزوما ودوام العذاب لازما فلا يخفى انه لا يلزم من وجود اللازم وجود الملزوم فلا يلزم من دوام العذاب دوامهما فعلم ان قوله لان الخ دليل على قوله ولا من دوامه دوامهما الا لقوله الا من قبل المفهوم وانما عرف من قبل المفهوم لانه لو لم يكن ماذكر مفهومه لم يكن للربط المذكور كبير وجه فتأمل (قوله وفيه نظر لانه تشبيه بما لا يعرف أكثر الخلق وجوده الخ) فيه انه تشبيه ما لا يعرف وهو سموات الآخرة وأرضها بما يعرف الخلق وجوده وهو السموات والأرض فى الدنيا وانقلب الأمر على المصنف (قوله ومن عرفه فانما يعرفه بما يدل على دوام الثواب والعقاب الخ) أى من عرف دوام السموات والارض فى الآخرة استدل عليه بدوام الثواب والعقاب بانه لما كان الثواب والعقاب أبديين كان الخلائق فى الآخرة أبدية والخلق لابد لهما من مقل ومظل هما الارض والسموات فلابد ان يكون السموات والارض موجودين فى الآخرة فلا يكون هذا التشبيه مفيدا له اذ الغرض من هذا التشبيه دوام ارتباط عذابهم بدوام السموات والارض لكن دوام عذابهم ثابت قبل اثبات السموات والارض كما قرر فتأمل (قوله فان التأبيد من مبدإ معين ينتقض باعتبار الابتداء كما ينتقض باعتبار الانتهاء) أى اذا قيل ان فلانا فى محل كذا خالد من اليوم الفلانى الى الابد فاذا لم يكن فى ابتداء ذلك اليوم فى المحل المذكور يصح ان يقال انه خالد فيه من ذلك اليوم الى الأبد الا فى ابتدائه (قوله وكذلك أهل الجنة ينعمون بما هو أعلى الخ) فيه نظر لان الاتصال بجناب القدس أمر روحانى وهذا لا يوجب عدم كون المتصل فى الجنة وخروجها عنها والعبارة من الواضحة ان يقال المراد من خالدين فيها خالدين فى نعيمها والتنعم بها وحينئذ يكون الاستثناء من الخالدين صحيحا لأنه يصح أن يكون فى الجنة ولا يكون فى التنعم بنعيمها لعدم تلذذه بما فيها لاتصاله بما هو أعلى منها وذهول عنها (قوله وعلى هذا التأويل يحتمل أن يكون الاستثناء الخ) ظاهر العبارة انه يحتمل على التأويل الثانى وهو ان يكون المستثنى مدة لبثهم فى الدنيا والبرزخ أن يكون الاستثناء استثناء من الخلود ويرد الاحتمال الاوّل أيضا وهو ان يكون المستثنى الوقوف فى الموقف للحساب ان يكون استثناء من الخلود أيضا فالوجه ان يقال ان المراد من قوله هذا التأويل هو جعله استثناء من أصل الحكم فيكون المعنى اذا جعل الاستثناء استثناء من أصل الحكم يمكن أن يجعل الاستثناء من الخلود أيضا غاية ما فى الأمر ان يكون مستثنى واحد مستثنى من شيئين وهو جائز اذا لم يختل المعنى كقول القائل ماهو

، أبَ ولاابن الأزيد اصرح به الرضى (قوله ولأجله فرق بين الثواب والعقاب بالتأبيد) أى لأجل ان هذه الآية صريحة فى تأبيد النعيم والثواب وكون الآية الأولى غيرصريحة فى تأبيد العذاب كامر وان كان كونهم فى النارخالدا اذ لايلزم من الكون فى النار العذاب لان الله تعالى يقدر على دفع ضرالنار كمادفع ضرها عن ابراهيم عليه السلام ذهب بعض الأكابر الى انقطاع العذاب دون الثواب (قوله يقتضى التماثل فى المسببات) ليس المراد انه يستلزم ذلك بل المرادمن شأنه ان يكون كذلك (قوله فانك تقول وفيته حقه الخ) فاما اذا قيل غيرمنقوص ذهب الاحتمال المذكوراذ لاوجه لان يقال وفيت بعض حقه غير منقوص (قوله فحذفت أولاهن) اذ يلزم من حذف أحد الآخرين عدم الادغام الذى هو المقصود من القلب (قوله أو بالعكس) بان تكون اللام الثانية للتوطئة والاولى للتأكيد فعلى هذا يكون التقدير وان كلا والله لماليوفينهم وعلى التقدير الاول يكون المعنى وان كلا لوالله ليوفينهم حتى يكون اللام للتأكيد الداخل على خبر ان (قوله ولذلك قال عليه السلام شيبتنى هود) فان قلت قد وردت هذه العبارة وهو فاستقم كما أمرت فى سورة الشورى أيضا فلم نسب التشييب الى سورة هود ولم ينسبه الى الشورى قلنا لأجل ان

من قوله لهم فيها زفير وشهيق وقيل الا ههنا بمعنى سوى كقولك على ألف الاالالفان القديمان والمعنى سوى ماشاء ربك من الزيادة التى لا آخر لها على مدة بقاء السموات والأرض (ان ربك فعال لما يريد) من غير اعتراض (وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض الاماشاء ربك عطاء غيرمجذوذ) غير مقطوع وهو تصريح ان الثواب لاينقطع وتنبيه على أن المراد من الاستثناء فى الثواب ليس الانقطاع ولاجله فرق بين الثواب والعقاب بالتأبيد وقرأ حمزة والكسائى وحفص سعدوا على البناء للمفعول من سعده الله بمعنى أسعده وعطاء نصب على المصدر المؤكد أى أعطوا عطاء أو الحال من الجنة (فلاتك فى مرية) شك بعد ما أنزل عليك من مآل أمر الناس (مما يعبد هؤلاء) من عبادة هؤلاء المشركين فى أنها ضلال مؤد الى مثل ماحل بمن قبلهم ممن قصصت عليك سوء عاقبة عبادتهم أو من حال مايعبدونه فى أنه يضر ولاينفع (مايعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل) استئناف معناه تعليل النهى عن المرية أى هم وآباؤهم سواء فى الشرك أى مايعبدون عبادة الا كعبادة آبائهم أو مايعبدون شيأ الامثل ماعبدوه من الاوثان وقد بلغك مالحق آباءهم من ذلك فسيلحقهم مثله لان التماثل فى الاسباب يقتضى التماثل فى المسببات ومعنى كما يعبد كما كان يعبد فحذف لدلالة من قبل عليه (وانا لموفوهم نصيبهم) حظهم من العذاب كآبائهم أو من الرزق فيكون عذر التأخير العذاب عنهم مع قيام مايوجبه (غيرمنقوص) حال من النصيب لتقييد التوفية فانك تقول وفيته حقه وتريد به وفاء بعضه ولو مجازا (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه) فآمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف هؤلاء فى القرآن (ولولا كلمة سبقت من ربك) يعنى كلمة الانظار الى يوم القيامة (لقضى بينهم) بانزال مايستحقه المبطل ليتميز به عن المحق (وانهم) وان كفار قومك (لفى شك منه) من القرآن (مريب) موقع فى الريبة (وان كلا) وان كل المختلفين المؤمنين منهم والكافرين والتنوين بدل من المضاف اليه وقرأ ابن كثير ونافع وأبو بكر بالتخفيف مع الاعمال اعتبارا للاصل (لما ليوفينهم ربك أعمالهم) اللام الاولى موطئة للقسم والثانية للتأكيد أو بالعكس وما مزيدة بينهما للفصل وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما بالتشديد على ان أصله لمن ما فقلبت النون ميما للادغام فاجتمعت ثلاث ميمات فحذفت أولاهن والمعنى لمن الذين يوفينهم ربك جزاء أعمالهم وقرئ لما بالتنوين أى جميعا كقوله أكلا لما وان كل لما على أن ان نافية ولما بمعنى الا وقد قرئ به (انه بما يعملون خبير) فلايفوته شئ منه وان خفى (فاستقم كما أمرت) لما بين أمر المختلفين فى التوحيد والنبوة وأطنب فى شرح الوعد والوعيد أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بالاستقامة مثل ما أمر بها وهى شاملة للاستقامة فى العقائد كالتوسط بين التشبيه والتعطيل بحيث يبقى العقل مصونا من الطرفين والاعمال من تبليغ الوحى وبيان الشرائع كما أنزل والقيام بوظائف العبادات من غير تفريط وافراط مفوت للحقوق ونحوها وهى فى غاية العسر ولذلك قال عليه الصلاة والسلام شيبتنى هود (ومن تاب معك) أى تاب من الشرك والكفر وآمن

نزول سورة هود أسبق واما الاقتران الأمر بالاستقامة باقتران أمر أمته بها والحال انه صلى الله عليه وسلم شديد الشفقة على أمته فشق عليه أمر أمته بالاستقامة لخوفه من عدم اطاعتهم ولاستحقاقهم العذاب وقال بعض المحققين ان نسبة التشييب الى سورة هود ليست لأجل الآية الواردة بل لأجل الآية الواردة فى قصة هود وهو قوله تعالى مامن دابة الاهو آخذ بناصيتها فانه صريح فى ان لااختيار للمخلوقين بل هم تحت حكم قدرة الخالق يذهبون اضطرارا الى حيث تقسرون عليه فشق عليه صلى الله عليه وسلم ان العباد مأمورون مكلفون مع

انهم بحث حكم القادر على النحو المذكور (قوله وفي الآية دليل على وجوب اتباع النصوص الخ) هذا يمكن أن يستفاد من قوله تعالى فاستقم كما أمرت لأن الخروج عن مقتضى النصوص والتمسك بالقياس مع وجودها ذهاب عن المأمور الخ وعن حكم النص الى الاجتها وهو خلاف الاستقامة وان يستنبط في (١٢٤) من قوله ولا تطغوا فان التجاوز عن النصوص طغيان وخروج عن الحد (قوله الى من وجد منه مايسمى ظلما) هذا بالنظر الى ان الذين ظلموا من وجد منه الظلم في الزمان الماضي ولا يخفى ان هذا في غير التائب فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له (قوله ثم لاستبعاد نصره اياهم) لا يخفى ان ثم وقع على عدم النصر لا على النصر فتعين استبعاده فهذا وأمثاله يفيد ان ثم يكون لاستبعاد ماسيجيء بعدها أعم من أن يكون متصلا بها أولا (قوله لأنه مضاف الى الظرف) أي لما كان طرفي النهار مضافا الى النهار صار في حكم الظرف (قوله وقيل الظهر والعصر) هذا هو الاولى لأنه على تفسير المصنف لزم عدم ذكر الظهر (قوله عدل عن المضمر الخ) اى ليكون لفظة الاحسان كالبرهان على عدم الاضاعة فان الاحسان يقتضي أن لا يضاع (قوله وايماء بأنه لا يعتد بهما دون الاخلاص) فيكون الاحسان هو الاخلاص لأن من لا يخلص العمل فهو غير محسن ولذا ورد في الحديث الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه (قوله أولو بقية من الرأي والعقل) تسمية الرأي والعقل بالبقية لبقاء أثرهما (قوله أفضل مايخرجه) أي أفضل من جنس مايخرجه من ماله (قوله ولا يصح اتصاله الا اذا جعل الخ) النفي اللازم من التخصيص هو ان ليس من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد وحينئذ يصح الاتصال اذ يصح ان يقال ليس من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد الا قليلا ممن أنجيناهم

معك وهو عطف على المستكن في استقم وان لم يؤكد بمنفصل لقيام الفاصل مقامه (ولا تطغوا) ولا تخرجوا عما حد لكم (انه بما تعملون بصير) فهو مجازيكم عليه وهو في معنى التعليل للامر والنهي وفي الآية دليل على وجوب اتباع النصوص من غير تصرف وانحراف بنحو قياس واستحسان (ولا تركنوا الى الذين ظلموا) ولا تميلوا اليهم أدنى ميل فان الركون هو الميل اليسير كالتزيي بزيهم وتعظيم ذكرهم واستدامته (فتمسكم النار) بركونكم اليهم واذا كان الركون الى من وجد منه مايسمى ظلما كذلك فما ظنك بالركون الى الظالمين أي الموسومين بالظلم ثم بالميل اليهم كل الميل ثم بالظلم نفسه والانهماك فيه ولعل الآية أبلغ مايتصور في النهي عن الظلم والتهديد عليه وخطاب الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين بها للتثبيت على الاستقامة التي هي العدل فان الزوال عنها بالميل الى أحد طرفي افراط وتفريط فانه ظلم على نفسه أو غيره بل ظلم في نفسه وقرئ تركنوا فتمسكم بكسر التاء على لغة تميم وتركنوا على البناء للمفعول من أركنه (ومالكم من دون الله من أولياء) من أنصار يمنعون العذاب عنكم والواو للحال (ثم لا تنصرون) أي ثم لا ينصركم الله اذ سبق في حكمه أن يعذبكم ولا يبقي عليكم وثم لاستبعاد نصره اياهم وقد أوعدهم بالعذاب عليه وأوجبه لهم ويجوز أن يكون منزلا منزلة الفاء لمعنى الاستبعاد فانه لما بين ان الله معذبهم وأن غيره لا يقدر على نصرهم أنتج ذلك أنهم لا ينصرون أصلا (وأقم الصلوة طرفي النهار) غدوة وعشية وانتصابه على الظرف لانه مضاف اليه (وزلفا من الليل) وساعات منه قريبة من النهار فانه من أزلفه اذا قربه وهو جمع زلفة وصلاة الغداة صلاة الصبح لانها أقرب الصلاة من أول النهار وصلاة العشية صلاة العصر وقيل الظهر والعصر لان مابعد الزوال عشي وصلاة الزلف المغرب والعشاء وقرئ زلفا بضمتين وضمة وسكون كبسر وبسر في بسرة وزلفى بمعنى زلفة كقربى وقربة (ان الحسنات يذهبن السيآت) يكفرنها وفي الحديث ان الصلاة الى الصلاة كفارة مابينهما ما اجتنبت الكبائر وفي سبب النزول أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني قد أصبت من امرأة غير أني لم آتها فنزلت (ذلك) اشارة الى قوله فاستقم ومابعده وقيل الى القرآن (ذكرى للذاكرين) عظة للمتعظين (واصبر) على الطاعات وعن المعاصي (فان الله لا يضيع أجر المحسنين) عدول عن الضمير ليكون كالبرهان على المقصود ودليلا على أن الصلاة والصبر احسان وايماء بأنه لا يعتد بهما دون الاخلاص (فلولا كان) فهلا كان (من القرون من قبلكم أولو بقية) من الرأي والعقل أو أولو فضل وانما سمي بقية لان الرجل يستبقي أفضل مايخرجه ومنه يقال فلان من بقية القوم أي من خيارهم ويجوز أن يكون مصدرا كالتقية أي ذوو ابقاء على أنفسهم وصيانة لها من العذاب ويؤيده أنه قرئ بقية وهي المرة من مصدر بقاه يبقيه اذا راقبه (ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن أنجينا منهم) لكن قليلا منهم أنجيناهم لانهم كانوا كذلك ولا يصح اتصاله الا اذا جعل استثناء من النفي اللازم للتحضيض (واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه) ما نعموا فيه من الشهوات واهتموا بتحصيل اسبابها

(قوله واتبع الذين ظلموا جزاء ما أترفوا) أي صار تابعا لهم فيكون جزاء ما أترفوا فاعلا مؤخرا عن مفعوله وانما يعضده ما ذكر لان حصول النجاة للبعض يناسب حصول العذاب لمخالفيهم (قوله فتكون الواو للحال) ويكون صاحب الحال ضمير منهم (قوله ويجوز أن تفسر به المشهورة) أي يجوز أن يفسر به اتبع على القراءة المشهورة (قوله ولذلك قدم الفقهاء الخ) أي لاجل ان الله تعالى سامح

أسبابها وأعرضوا عما وراء ذلك (وكانوا مجرمين) كافرين كأنه أراد أن يبين ما كان السبب لاستئصال الامم السالفة وهو فشو الظلم فيهم واتباعهم للهوى وترك النهي عن المنكرات مع الكفر وقوله واتبع معطوف على مضمر دل عليه الكلام اذ المعنى فلم ينهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا وكانوا مجرمين عطف على اتبع أو اعتراض وقرئ وأتبع أي وأتبعوا جزاء ما أترفوا فتكون الواو للحال ويجوز أن تفسر به المشهورة ويعضده تقدم الانجاء (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم) بشرك (وأهلها مصلحون) فيما بينهم لايضمون الى شركهم فسادا وتباغيا وذلك لفرط رحمته ومسامحته في حقوقه ومن ذلك قدم الفقهاء عند تزاحم الحقوق حقوق العبادة وقيل الملك يبقى مع الشرك ولا يبقى مع الظلم (ولوشاء ربك لجعل الناس أمة واحدة) مسلمين كلهم وهو دليل ظاهر على أن الامر غير الارادة وأنه تعالى لم يرد الايمان من كل أحد وأن ما أراده يجب وقوعه (ولا يزالون مختلفين) بعضهم على الحق وبعضهم على الباطل لاتكاد تجد اثنين يتفقان مطلقا (الا من رحم ربك) الا ناسا هداهم الله من فضله فاتفقوا على ما هو أصول دين الحق والعمدة فيه (ولذلك خلقهم) ان كان الضمير للناس فالاشارة الى الاختلاف واللام للعاقبة أو اليه والى الرحمة وان كان لمن فالى الرحمة (وتمت كلمة ربك) وعيده أو قوله للملائكة (لأملأن جهنم من الجنة والناس) أي من عصاتهما (أجمعين) أو منهما أجمعين لامن أحدهما (وكلا) وكل نبأ (نقص عليك من أنباء الرسل) نخبرك به (ما نثبت به فؤادك) بيان لكلا أو بدل منه وفائدته التنبيه على المقصود من الاقتصاص وهو زيادة يقينه وطمأنينة قلبه وثبات نفسه على أداء الرسالة واحتمال أذى الكفار أو مفعول وكلا منصوب على المصدر بمعنى كل نوع من أنواع الاقتصاص نقص عليك ما نثبت به فؤادك من أنباء الرسل (وجاءك في هذه) السورة أو الانباء المقتصة عليك (الحق) ما هو حق (وموعظة وذكرى للمؤمنين) اشارة الى سائر فوائده العامة (وقل للذين لايؤمنون اعملوا على مكانتكم) على حالكم (انا عاملون) على حالنا (وانتظروا) بنا الدوائر (انا منتظرون) أن ينزل بكم نحو ما نزل على أمثالكم (ولله غيب السموات والارض) خاصة لايخفى عليه خافية مما فيهما (واليه يرجع الامر كله) فيرجع لامحالة أمرهم وأمرك اليه وقرأ نافع وحفص يرجع على البناء للمفعول (فاعبده وتوكل عليه) فانه كافيك وفي تقديم الامر بالعبادة على التوكل تنبيه على أنه انما ينفع العابد (وما ربك بغافل عما تعملون) أنت وهم فيجازي كلا ما يستحقه وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالياء هنا وفي آخر النمل * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هود أعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح ومن كذب به وهود وصالح وشعيب ولوط وابراهيم وموسى وكان يوم القيامة من السعداء ان شاء الله تعالى

﴿سورة يوسف عليه السلام مكية وآيها مائة واحدى عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

في حقه وهو رفع الشرك واستئصال المشركين ولم يسامح في حق العباد بظلم بعضهم على بعض بل يستأصل الظالمين قدم الفقهاء حقوق العباد اذا اجتمع حقوق الله تعالى وحقوق الناس وههنا كلام وهو ان الفقهاء قالوا اذا اجتمع حق الله كالزكاة ودين الناس على حي ولم يكن محجورا عليه قدم حق الله تعالى لقوله صلى الله عليه وسلم فدين الله أحق أن يقضى متفق عليه وان كان محجورا عليه قدم حق الآدمي ويؤخر حق الله تعالى مادام حيا وأما اذا اجتمعا في تركة الميت فحق الله مقدم وظهر ان اطلاق المصنف مخالف لكلام الفقهاء (قوله وهو دليل ظاهر على ان الامر غير الارادة الخ) اما الاول فلأنه أمر الكل بان يكونوا أمة واحدة مسلمين لكنه لم يشأ ذلك اذ لوشاء ربك لجعل الناس أمة واحدة مسلمين وأما الثاني والثالث فظاهر (قوله أو اليه والى الرحمة) أي لهما معا أي للمجموع منهما فيكون خلق الناس لهذين الامرين أي الاختلاف والرحمة وتكون الرحمة متعلقة بالبعض (قوله أي من عصاتهما أجمعين أو منهما أجمعين لامن أحدهما) فالأول استغراق أشخاص العصاة والثاني لشمول الصنفين وهذا يدل على ان أجمعين يجوز ان يكون تأكيدا للمثنى وهو خلاف ما قاله النحاة (قوله تنبيه على انه انما ينتفع به العابد) أي التوكل انما ينفع العابد دون غيره ﴿سورة يوسف﴾

(الر تلك آيات الكتاب المبين) تلك اشارة الى آيات السورة وهى المراد بالكتاب أى تلك الآيات آيات السورة الظاهر أمرها فى الاعجاز أو الواضحة معانيها أو المبينة لمن تدبرها أنها من عندالله أو لليهود ماسألوا اذ روى ان علماءهم قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشأم الى مصر وعن قصة يوسف عليه السلام فنزلت (انا أنزلناه) أى الكتاب (قرآنا عربيا) سمى البعض قرآنا لانه فى الاصل اسم جنس يقع على الكل والبعض وصار علما للكل بالغلبة ونصبه على الحال وهو فى نفسه اما توطئة للحال التى هى عربيا أو حال لانه مصدر بمعنى مفعول وعربيا صفة له أو حال من الضمير فيه أو حال بعد حال وفى كل ذلك خلاف (لعلكم تعقلون) علة لانزاله بهذه الصفة أى أنزلناه مجموعا أو مقروأ بلغتكم كى تفهموه وتحيطوا بمعانيه أو تستعملوا فيه عقولكم فتعلموا أن اقتصاصه كذلك ممن لم يتعلم القصص معجز لايتصور الا بالايحاء (نحن نقص عليك أحسن القصص) أحسن الاقتصاص لانه اقتص على أبدع الاساليب أو أحسن مايقص لاشتماله على العجائب والحكم والآيات والعبر فعل بمعنى مفعول كالنقض والسلب واشتقاقه من قص أثره اذا تبعه (بما أوحينا اليك) أى بايحائنا (هذا القرآن) يعنى السورة ويجوز أن يجعل هذا مفعول نقص على أن أحسن نصب على المصدر (وان كنت من قبله لمن الغافلين) عن هذه القصة لم تخطر ببالك ولم تقرع سمعك قط وهو تعليل لكونه موحى وان هى المخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة (اذ قال يوسف) بدل من أحسن القصص ان جعل مفعولا بدل الاشتمال أو منصوب باضمار اذكر ويوسف عبرى ولو كان عربيا لصرف وقرئ بفتح السين وكسرها على التلعب به لا على أنه مضارع بنى للمفعول أو الفاعل من آسف لان المشهورة شهدت بعجمته (لابيه) يعقوب بن اسحق ابن ابراهيم عليهم السلام وعنه عليه الصلاة والسلام الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم (ياأبت) أصله ياأبى فعوض عن الياء تاء التأنيث لتناسبهما فى الزيادة ولذلك قلبها هاء فى الوقف ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وكسرها لانها عوض حرف يناسبها وفتحها ابن عامر فى كل القرآن لانها حركة أصلها أو لانه كان ياأبتا فحذف الالف وبقى الفتحة وانما جاز ياأبتا ولم يجز ياأبتى لانه جمع بين العوض والمعوض وقرئ بالضم اجراء لها مجرى الاسماء المؤنثة بالتاء من غير اعتبار التعويض وانما لم تسكن كأصلها لانها حرف صحيح منزل منزلة الاسم فيجب تحريكها ككاف الخطاب (انى رأيت) من الرؤيا لامن الرؤية لقوله لاتقصص رؤياك ولقوله هذا تأويل رؤياى من قبل (أحد عشر كوكبا والشمس والقمر) روى عن جابر رضى الله تعالى عنه أن يهوديا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أخبرنى يامحمد عن النجوم

(قوله وهو فى نفسه اما توطئة للحال) كونه توطئة للحال باعتبار كون المراد به لسورة فانه بهذا المعنى بعينه لايدل على هيئة صح بها ان يقع حالا نعم هو يدل على الهيئة باعتبار المعنى الاصلى الذى هو كونه مصدرا بمعنى المفعول فلذا جوّز كونه حالا باعتبار هذا المعنى (قوله لاشتماله على العجائب الخ) اما العجائب فتمكن يوسف من امرأة العزيز غاية مع صون نفسه وقطع النساء أيديهن من التعجب والهيمان فى حسنه ووصوله من كونه عبدا الى السلطنة بواسطة تعبير المنامات ووقوعها على ماعبره ووجدان يعقوب ريحه من مسافة أيام ولايخفى ان ماذكر آيات وعبر واما الحكم فلاشتماله على ماورد من البلاء والرخاء عليه فثبت قلبه على الصبر والسكون فى كل ماوقع فيستحق به أجرا وعلى تنبيه السامع على ان لايتضجر عما وقع عليه من البلاء لانه قد يفضى الى سعادة الدارين وعلى الاشارة بنبوّته فى أوّل الأمر برؤياه وعلى تقلبه فى أطوار الشدة والرخاء ليستعد للسلطنة لان السلطان يناسبه التقلب المذكور حتى يعلم ايقاع كل منهما موقعه وفيها غير ماذكر كما لايخفى (قوله وفى كل ذلك خلاف) الظاهر ان مراده انهم اختلفوا فى هذه الاحتمالات فبعضهم اختار بعضها والبعض الآخر منهم اختار البعض الآخر منها (قوله كالنقض والسلب) النقض بفتحتين بمعنى المنقوض والسلب المسلوب (قوله يعنى السورة) يعنى المراد من قوله تعالى هذا القرآن السورة (قوله على التلعب) يعنى المراد أى على جعله علما تارة بضم السين وتارة بفتحها وأخرى بكسرها باختلاف الروايات (قوله لتناسبهما فى الزيادة) أى لكون كل منهما من الحروف التى الزيادة ولان التاء علامة التأنيث كما قد تكون الياء علامة له أيضا فى اسم الاشارة والفعل المضارع للواحدة المخاطبة (قوله ولذلك قلبها هاء فى الوقف الخ) أى لاجل ان التاء تاء التأنيث قلبها فى القراءة المذكورة هاء فى الوقف (قوله وكسرها لانها عوض حرف يناسبها) أى كسر التاء لان التاء عوض عن حرف يناسب الكسرة وهو الياء فكسر التاء ليدل على انها مقلوبة عن الياء (قوله لانها حرف صحيح منزل منزلة الاسم) أى منزلة ياء المتكلم التى هى اسم

التى رآهن يوسف فسكت فنزل جبريل عليه السلام فاخبره بذلك فقال اذا أخبرتك هل تسلم قال نعم قال جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذوالكتفين رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودى اى والله انها الأسماؤها (رأيتهم لى ساجدين) استئناف لبيان حالهم التى رآهم عليها فلا تكرير وانما أجريت مجرى العقلاء لوصفها بصفاتهم (قال يابنى) تصغير ابن صغره للشفقة أو لصغر السن لانه كان ابن اثنتى عشرة سنة وقرأ حفص هنا وفى الصافات بفتح الياء (لاتقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا) فيحتالوا لاهلاكك حيلة فهم يعقوب عليه السلام من رؤياه أن الله يصطفيه لرسالته ويفوقه على اخوته فخاف عليه حسدهم وبغيهم والرؤيا كالرؤية غير أنها مختصة بما يكون فى النوم فرق بينهما بحرفى التأنيث كالقربة والقربى وهى انطباع الصورة المنحدرة من أفق المتخيلة الى الحس المشترك والصادقة منها انما تكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما من التناسب عند فراغهما من تدبير البدن أدنى فراغ فتتصور بما فيهما مما يليق بها من المعانى الحاصلة هناك ثم ان المتخيلة تحاكيه بصورة تناسبه فترسلها الى الحس المشترك فتصير مشاهدة ثم ان كانت شديدة المناسبة لذلك المعنى بحيث لا يكون التفاوت الا بالكلية والجزئية استغنت الرؤيا عن التعبير والا احتاجت اليه وانما عدى كاد باللام وهو متعد بنفسه لتضمنه معنى فعل يتعدى به تاكيدا ولذلك أكد بالمصدر وعلله بقوله (ان الشيطان للانسان عدو مبين) ظاهر العداوة لما فعل بآدم عليه السلام وحواء فلا يألو جهدا فى تسويلهم واثارة الحسد فيهم حتى يحملهم على الكيد (وكذلك) أى وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا الدالة على شرف وعز وكمال نفس (يجتبيك ربك) للنبوة والملك أو لامور عظام والاجتباء من جبيت الشئ اذا حصلته لنفسك (ويعلمك) كلام مبتدأ خارج عن التشبيه كأنه قيل وهو يعلمك (من تأويل الاحاديث) من تعبير الرؤيا لانها أحاديث الملك ان كانت صادقة وأحاديث لنفس أو الشيطان ان كانت كاذبة أو من تاويل غوامض كتب الله تعالى وسنن الانبياء وكلمات الحكماء وهو اسم جمع للحديث كأباطيل اسم جمع للباطل (ويتم نعمته عليك) بالنبوة أو بان يصل نعمة الدنيا بنعمة الآخرة (وعلى آل يعقوب) يريد به سائر بنيه ولعله استدل على نبوتهم بضوء الكواكب أو نسله (كما أتمها على أبويك) بالرسالة وقيل على ابراهيم بالخلة والانجاء من النار وعلى اسحق بانقاذه من الذبح وفدائه بذبح عظيم (من قبل) أى من قبلك أو من قبل هذا الوقت (ابراهيم واسحق) عطف بيان لابويك (ان ربك عليم) بمن يستحق الاجتباء (حكيم) يفعل الاشياء على ماينبغى (لقد كان فى يوسف واخوته) أى فى قصتهم (آيات) دلائل قدرة الله تعالى وحكمته أو علامات نبوتك وقرأ ابن كثير آية (للسائلين) لمن سأل عن قصتهم والمراد باخوته بنو علاته العشرة وهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوى وزبالون ويشخر ودينة من بنت خالته ليا تزوجها يعقوب أولا فلما توفيت تزوج أختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف وقيل جمع بينهما ولم يكن الجمع محرما حينئذ وأربعة آخرون دان ونفتالى وجاد وآشر من سريتين زلفة وبلهة (اذ قالوا ليوسف وأخوه) بنيامين وتخصيصه بالاضافة لاختصاصه بالاخوة من الطرفين (أحب الى أبينا منا) وحده لان أفعل من لايفرق فيه بين الواحد ومافوقه والمذكر وما يقابله بخلاف أخويه فان الفرق واجب فى المحلى جائز فى المضاف (ونحن عصبة) والحال أنا جماعة أقوياء أحق بالمحبة من صغيرين لا كفاية فيهما والعصبة والعصابة العشرة فصاعدا سموا بذلك لان الامور تعصب بهم (ان أبانا لفى ضلال مبين) لتفضيله المفضول أو لترك التعديل فى المحبة

(قوله من أفق المتخيلة الى الحس المشترك) المتخيلة قوة حاصلة فى مقدم البطن الاوسط من الدماغ شأنها تركيب الصور والمعانى بعضها ببعض وشأنها ان تفعل فى اليقظة والنوم فاذا فرغ الحس المشترك من الصور المتأدية من الخارج بسبب النوم عملت المتخيلة تركيب الصور والمعانى بعضها مع بعض وبعد التركيب انطبعت تلك الصور فى الحس المشترك فصارت فى حكم المرئى (قوله لتضمنه معنى فعل يتعدى به تأكيدا) هذا الفعل هو احتال (قوله كلام مبتدأ خارج عن التشبيه) تبع فى هذا الكشاف وهو من تدقيقاته فان تشبيه الاجتباء بالنبوة والأمور العظام بالاجتباء بالرؤيا المذكورة يلائم غاية الملائمة بخلاف تشبيه التعليم بالاجتباء فى الرؤيا المذكورة فانه ليس يلائم تلك الملائمة فان الاجتباء المقيد بالرؤيا المذكورة يناسبه ان يقابله اجتباء مقيد بشئ آخر دون التعليم كما لا يخفى على من له ذوق صحيح فتأمل (قوله والمراد باخوته بنو علاته العشرة) المراد من العلات الاخوة الذين أبوهم واحد وأمهاتهم شتى (قوله لاختصاصه بالاخوة من الطرفين) أى لاختصاصه بانه أخو يوسف من الاب والام

روى أنه كان أحب اليه لما يرى فيه من المخايل وكان اخوته يحسدونه فلما رأى الرؤيا ضاعف له المحبة بحيث لم يصبر عنه فتبالغ حسدهم حتى حملهم على التعرض له (اقتلوا يوسف) من جملة المحكى بعد قوله اذ قالوا كأنهم اتفقوا على ذلك الأمر الا من قال لا تقتلوا يوسف وقيل انما قاله شمعون أو دان ورضى به الآخرون (أو اطرحوه أرضا) منكورة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها وابهامها ولذلك نصبت كالظروف المبهمة (يخل لكم وجه أبيكم) جواب الامر والمعنى يصف لكم وجه أبيكم فيقبل بكليته عليكم ولا يلتفت عنكم الى غيركم ولا ينازعكم فى محبته أحد (وتكونوا) جزم بالعطف على يخل أو نصب باضمار أن (من بعده) من بعد يوسف أو الفراغ من أمره أو قتله أو طرحه (قوما صالحين) تائبين الى الله تعالى عما جنيتم أو صالحين مع أبيكم يصلح ما بينكم و بينه بعذر تمهدونه أو صالحين فى أمر دنياكم فانه ينتظم لكم بعده بخلو وجه أبيكم (قال قائل منهم) يعنى يهوذا وكان أحسنهم فيه رأيا وقيل روبيل (لا تقتلوا يوسف) فان القتل عظيم (وألقوه فى غيابت الجب) فى قعره سمى بها لغيبوبته عن أعين الناظرين وقرأ نافع فى غيابات فى الموضعين على الجمع كأنه لتلك الجب غيابات وقرئ غيبة وغيابات بالتشديد (يلتقطه) يأخذه (بعض السيارة) بعض الذين يسيرون فى الارض (ان كنتم فاعلين) بمشورتى أو ان كنتم على أن تفعلوا ما يفرق بينه و بين أبيه (قالوا يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف) لم تخافنا عليه (وانا له لناصحون) ونحن نشفق عليه ونريد له الخير أرادوا به استنزاله عن رأيه فى حفظه منهم لما تنسم من حسدهم والمشهور تأمنا بالادغام باشمام وعن نافع بترك الاشمام ومن الشواذ ترك الادغام لانهما من كلمتين وتيمنا بكسر التاء (أرسله معنا غدا) الى الصحراء (نرتع) نتسع فى أكل الفواكه ونحوها من الرتعة وهى الخصب (ونلعب) بالاستباق والانتضال وقرأ ابن كثير نرتع بكسر العين على أنه من ارتعى يرتعى ونافع بالكسر والياء فيه وفى يلعب وقرأ الكوفيون و يعقوب بالياء والسكون على اسناد الفعل الى يوسف وقرئ يرتع من أرتع ماشيته و يرتع بكسر العين و يلعب بالرفع على الابتداء (وانا له لحافظون) من أن يناله مكروه (قال انى ليحزننى أن تذهبوا به) لشدة مفارقته على وقلة صبرى عنه (وأخاف أن يأكله الذئب) لان الارض كانت مذأبة وقيل رأى فى المنام أن الذئب قد شد على يوسف وكان يحذره عليه وقد همزها على الاصل ابن كثير ونافع فى رواية قالون وفى رواية اليزيدى وأبو عمرو وقفا وعاصم وابن عامر وحمزة درجا واشتقاقه من تذاءبت الريح اذا هبت من كل جهة (وأنتم عنه غافلون) لاشتغالكم بالرتع واللعب أو لقلة اهتمامكم بحفظه (قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة) اللام موطئة للقسم وجوابه (انا اذا لخاسرون) ضعفاء مغبونون أو مستحقون لان يدعى عليهم بالخسار والواو فى ونحن عصبة للحال (فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه فى غيابت الجب) وعزموا على القائه فيها والبئر بئر بيت المقدس أو بئر بأرض الاردن أو بين مصر ومدين أو على ثلاثة فراسخ من مقام يعقوب وجواب لما محذوف مثل فعلوا به مافعلوا من الاذى فقد روى أنهم لما برزوا به الى الصحراء أخذوا يؤذونه و يضربونه حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح و يستغيث فقال يهوذا أما عاهدتمونى أن لا تقتلوه فأتوا به الى البئر فدلوه فيها فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم و يحتالوا به على أبيهم فقال يا اخوتاه ردوا على قميصى أتوارى به فقالوا ادع الاحد عشر كوكبا والشمس والقمر يلبسوك و يؤنسوك فلما بلغ نصفها ألقوه وكان فيها ماء فسقط فيه ثم آوى الى صخرة كانت فيها فقام عليها يبكى فجاءه جبريل بالوحى كما قال (وأوحينا اليه) وكان ابن سبع عشرة سنة وقيل كان مراهقا أوحى اليه فى صغره كما أوحى الى يحيى وعيسى عليهم الصلاة والسلام وفى القصص ان ابراهيم عليه السلام حين ألقى فى النار جرد عن ثيابه فأتاه جبريل

(قوله أو نصب باضمار ان) قال الطيبى فيكون المعنى يخل لكم وجه أبيكم مع كونكم قوما صالحين (قوله وحده) أى أورد صيغة الواحد والحال انه صيغة الاثنين يوسف وأخيه لما ذكر من ان أفعل اذا استعمل بمن فرد مذكر لا غير (قوله بخلاف أخويه) أى أفعل التفضيل المحلى باللام والمضاف (قوله لان الامور تعصب بهم) أى قرنت بهم (قوله وهو معنى تنكيرها وابهامها) أى المقصود من تنكير الارض وابهامها كونها بعيدة فان التنكير قد يقصد به النوع والمراد به ههنا النوع من الارض وهو البعيد (قوله يصف لكم) من صفا يصفو أى يخلص لكم من غير شركة يوسف عليه السلام (قوله واشتقاقه من تذاءبت الريح) الاخذ منه فان الذيب يأتى من كل جانب كالريح

عليه السلام بقميص من حرير الجنة فألبسه اياه فدفعه ابراهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله فى تميمة علقها بيوسف فأخرجه جبريل عليه السلام وألبسه اياه (لتنبئنهم بأمرهم هذا) لتحدثنهم بما فعلوا بك (وهم لا يشعرون) انك يوسف لعلو شأنك و بعده عن أوهامهم وطول العهد المغير للحلى والهيآت وذلك اشارة الى ما قال لهم بمصر حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون بشره بما يؤل اليه أمره ايناساله وتطييبا لقلبه وقيل وهم لا يشعرون متصل بأوحينا أى آنسناه بالوحى وهم لا يشعرون ذلك (وجاؤا أباهم عشاء) أى آخر النهار وقرئ عشيا وهو تصغير عشى وعشى بالضم والقصر جمع أعشى أى عشوا من البكاء (يبكون) متباكين روى أنه لما سمع بكاءهم فزع وقال مالكم يابنى وأين يوسف (قالوا ياأبانا اناذهبنا نستبق) نتسابق فى العدو أوفى الرمى وقد يشترك الافتعال والتفاعل كالانتضال والتناضل (وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا) بمصدق لنا (ولو كنا صادقين) لسوء ظنك بنا وفرط محبتك ليوسف (وجاؤا على قميصه بدم كذب) أى ذى كذب بمعنى مكذوب فيه و يجوز أن يكون وصفا بالمصدر للمبالغة وقرئ بالنصب على الحال من الواو أى جاؤا كاذبين وكدب بالدال غير المعجمة أى كدر أو طرى وقيل أصله البياض الخارج على أظفار الاحداث فشبه به الدم اللاصق على القميص وعلى قميصه فى موضع النصب على الظرف أى فوق قميصه أو على الحال من الدم ان جوز تقديمها على المجرور روى أنه لما سمع بخبر يوسف صاح وسأل عن قميصه فأخذه وألقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال ما رأيت كاليوم ذئبا أحلم من هذا أكل ابنى ولم يمزق عليه قميصه ولذلك (قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا) أى سهلت لكم أنفسكم وهونت فى أعينكم أمرا عظيما من السول وهو الاسترخاء (فصبر جميل) أى فأمرى صبر جميل أو فصبر جميل أجمل وفى الحديث الصبر الجميل الذى لا شكوى فيه الى الخلق (والله المستعان على ما تصفون) على احتمال ما تصفونه من اهلاك يوسف وهذه الجريمة كانت قبل استنبائهم ان صح (وجاءت سيارة) رفقة يسيرون من مدين الى مصر فنزلوا قريبا من الجب وكان ذلك بعد ثلاث من القائه فيه (فارسلوا واردهم) الذى يرد الماء ويستقى لهم وكان مالك بن ذعر الخزاعى (فادلى دلوه) فارسلها فى الجب ليملأها فتدلى بها يوسف فلما رآه (قال يابشرى هذا غلام) نادى البشرى بشارة لنفسه أو لقومه كأنه قال تعالى فهذا أوانك وقيل هو اسم لصاحب له ناداه ليعينه على اخراجه وقرأ غير الكوفيين يابشراى بالاضافة وأمال فتحة الراء حمزة والكسائى وقرأ ورش بين اللفظين وقرئ يابشرى بالادغام وهو لغة و بشراى بالسكون على قصد الوقف (وأسروه) أى الوارد وأصحابه من سائر الرفقة وقيل أخفوا أمره وقالوا لهم دفعه الينا أهل الماء لنبيعه لهم بمصر وقيل الضمير لاخوة يوسف وذلك ان يهوذا كان يأتيه كل يوم بالطعام فأتاه يومئذ فلم يجده فيها فاخبر اخوته فاتوا الرفقة وقالوا هذا غلامنا أبق منا فاشتروه فسكت يوسف مخافة أن يقتلوه (بضاعة) نصب على الحال أى أخفوه متاع التجارة واشتقاقه من البضع فانه ما بضع من المال للتجارة (والله عليم بما يعملون) لم يخف عليه أسرارهم أو صنيع اخوة يوسف بأبيهم وأخيهم (وشروه) و باعوه وفى مرجع الضمير الوجهان أو اشتروه من اخوته (بثمن بخس) مبخوس لزيفه أو نقصانه (دراهم) بدل من الثمن (معدودة) قليلة فانهم كانوا يزنون ما بلغ الاوقية و يعدون ما دونها قيل كان عشرين درهما وقيل كان اثنين وعشرين درهما (وكانوا فيه) فى يوسف (من الزاهدين) الراغبين عنه والضمير فى وكانوا ان كان للاخوة فظاهر وان كان للرفقة وكانوا بائعين فزهدهم فيه لانهم التقطوه والملتقط للشئ متهاون به خائف من انتزاعه مستعجل

(قوله وفرط محبتك له) فان من افرط المحبة لشئ لا تطمئن نفسه باعتقاد هلاكه ولا يسلم هلاكه (قوله ما رأيت كاليوم ذئبا أحلم من هذا) والمعنى ما رأيت ذئبا أحلم من هذا الذئب قبل ذلك اليوم مثل رؤيتى هذا الذئب فى هذا اليوم (قوله فانه ما بضع من المال للتجارة) أى شئ قطع من المال لها (قوله فى مرجع الضمير وجهان) أى يحتمل ان يكون المرجع الوارد والرفقة و يحتمل ان يكون اخوة يوسف

فى بيعه وان كانو امبتاعين فلانهم اعتقدوا انه آبق وفيه متعلق بالزاهدين ان جعل اللام للتعريف وان جعل بمعنى الذى فهو متعلق بمحذوف يبينه الزاهدين لان متعلق الصلة لا يتقدم على الموصول (وقال الذى اشتراه من مصر) وهو العزيز الذى كان على خزائن مصر واسمه قطفير أو اطفير وكان الملك يومئذ ريان بن الوليد العمليق وقد آمن بيوسف عليه السلام ومات فى حياته وقيل كان فرعون موسى عاش أربعمائة سنة بدليل قوله تعالى ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات والمشهور أنه من أولاد فرعون يوسف والآية من قبيل خطاب الاولاد باحوال الآباء روى أنه اشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة ولبث فى منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره الريان وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفى وهو ابن مائة وعشرين سنة واختلف فيما اشتراه به من جعل شراءه غير الاول فقيل عشرون دينارا وزوجا نعل وثوبان أبيضان وقيل ملؤه فضة وقيل ذهبا (لامرأته) راعيل أو زليخا (أكرمى مثواه) اجعلى مقامه عندنا كريما أى حسنا والمعنى أحسنى تعهده (عسى أن ينفعنا) فى ضياعنا وأموالنا ونستظهر به فى مصالحنا (أو نتخذه ولدا) نتبناه وكان عقيما لما تفرس فيه من الرشد ولذلك قيل أفرس الناس ثلاثة عزيز مصر وابنة شعيب التى قالت ياأبت استأجره وأبو بكر حين استخلف عمر رضى الله تعالى عنهما (وكذلك مكنا ليوسف فى الارض) وكما مكنا محبته فى قلب العزيز أو كما مكناه فى منزله أو كما أنجيناه وعطفنا عليه العزيز مكناله فيها (ولنعلمه من تاويل الاحاديث) عطف على مضمر تقديره ليتصرف فيها بالعدل ولنعلمه أى كان القصد فى انجائه وتمكينه الى أن يقيم العدل ويدبر أمور الناس ويعلم معانى كتب الله تعالى وأحكامه فينفذها أو تعبير المنامات المنبهة على الحوادث الكائنة ليستعد لها ويشتغل بتدبيرها قبل أن تحل كما فعل لسنيه (والله غالب على أمره) لا يرده شئ ولا ينازعه فيما يشاء أو على أمر يوسف أراد به اخوته شيأ وأراد الله غيره فلم يكن الا ما أراده (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أن الامر كله بيده أو لطائف صنعه وخفايا لطفه (ولما بلغ أشده) منتهى اشتداد جسمه وقوته وهو سن الوقوف ما بين الثلاثين والاربعين وقيل سن الشباب ومبدؤه بلوغ الحلم (آتيناه حكما) حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل أو حكما بين الناس (وعلما) يعنى علم تاويل الاحاديث (وكذلك نجزى المحسنين) تنبيه على أنه تعالى انما آتاه ذلك جزاء على احسانه فى عمله واتقائه فى عنفوان أمره (وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه) طلبت منه وتمحلت أن يواقعها من راد يرود اذا جاء وذهب لطلب شئ ومنه الرائد (وغلقت الابواب) قيل كانت سبعة والتشديد للتكثير أو للمبالغة فى الايثاق (وقالت هيت لك) أى أقبل وبادر أو تهيأت والكلمة على الوجهين اسم فعل بنى على الفتح كأين واللام للتبيين كالتى فى سقيالك وقرأ ابن كثير بالضم وفتح الهاء تشبيها له بحيث ونافع وابن عامر بالفتح وكسر الهاء كعيط وقرأ هشام كذلك الا أنه يهمز وقد روى عنه ضم التاء وهو لغة فيه وقرئ هيت كجير وهئت كجئت من هاء يهيء اذا تهيأ وقرئ هيئت وعلى هذا فاللام من صلته (قال معاذ الله) أعوذ بالله معاذا (انه) ان الشأن (ربى أحسن مثواى) سيدى قطفير أحسن تعهدى اذقال لك فى أكرمى مثواه فما جزاؤه أن أخونه فى أهله وقيل الضمير لله تعالى أى انه خالقى أحسن منزلتى بان عطف على قلبه فلا أعصيه (انه لا يفلح الظالمون) المجازون الحسن بالسيئ وقيل الزناة فان الزنا ظلم على الزانى والمزنى باهله (ولقد همت به وهم بها) قصدت مخالطته وقصد مخالطتها والهم بالشئ قصده والعزم عليه ومنه الهمام وهو الذى اذا هم بشئ أمضاه والمراد بهمه عليه السلام ميل الطبع ومنازعة الشهوة لا القصد الاختيارى وذلك مما لا يدخل تحت التكليف بل الحقيق بالمدح والاجر الجزيل من الله من يكف نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهم

او

(قوله تعالى أشده) قال صاحب الصحاح هو مفرد فى لفظ الجمع مثل آنك ولا نظير لهما (قوله والتشديد للتكثير أو للمبالغة فى الاتيان) يعنى باب التفعيل باعتبار كثرة التغليق بسبب كثرة الابواب أو باعتبار المبالغة فى التغليق بسبب الاهتمام به فان باب التفعيل يجيء للمعنيين (قوله واللام للتبيين) أى ليس للصلة اذ لا يقتضيه اسم الفاعل وكون اللام للتبيين باعتبار ان معناه ان الخطاب لك فيكون لتبيين المخاطب واعلم ان تفسير هيت ليس فى الصحاح بل هو مذكور فى كتاب المغنى لكنه صرح بانه اذا كان بمعنى تهيأت كان اللام صلة له لا للتبيين قال واما قوله تعالى وقالت هيت لك فمن قرأ بهاء مفتوحة وياء ساكنة وتاء مفتوحة اومضمومة أو مكسورة فهيت اسم فعل ثم قيل مسماه فعل ماض تهيأت واللام متعلقة به كما تتعلق بمسماه لو صرح به وقيل مسماه فعل امر بمعنى أقبل وتعال واللام للتبيين أي ارادتى لك أو أقول لك

أومشارفة الهم كقولك قتلته لولم أخف الله (لولا أن رأى برهان ربه) فى قبح الزنا وسوء مغبته لخالطها الشبق الغلمة وكثرة المبالغة ولايجوز أن يجعل وهم بها جواب لولا فانها فى حكم أدوات الشرط فلا يتقدم عليها جوابها بل الجواب محذوف يدل عليه وقيل رأى جبريل عليه الصلاة والسلام وقيل تمثل له يعقوب عاضا على أنامله وقيل قطفير وقيل نودى يا يوسف أنت مكتوب فى الانبياء وتعمل عمل السفهاء (كذلك) أى مثل ذلك التثبيت ثبتناه أو الامر مثل ذلك (لنصرف عنه السوء) خيانة السيد (والفحشاء) الزنا (انه من عبادنا المخلصين) الذين أخلصهم الله لطاعته وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب بالكسر فى كل القرآن اذا كان فى أوله الالف واللام أى الذين اخلصوا دينهم لله (واستبقا الباب) أى تسابقا الى الباب فحذف الجار أو ضمن الفعل معنى الابتدار وذلك أن يوسف فر منها ليخرج وأسرعت وراءه لتمنعه الخروج (وقدت قميصه من دبر) اجتذبته من ورائه فانقد قميصه والقد الشق طولا والقط الشق عرضا (وألفيا سيدها) وصادفا زوجها (لدى الباب قالت ماجزاء من أراد بأهلك سوأ الا أن يسجن أو عذاب أليم) ايهاما بأنها فرت منه تبرئة لساحتها عند زوجها وتغييره على يوسف واغراءه به انتقاما منه وما نافية أو استفهامية بمعنى أى شئ جزاؤه الا السجن (قال هى راودتنى عن نفسى) طالبتنى بالمؤاتاة وانما قال ذلك دفعا لما عرضته له من السجن أو العذاب الاليم ولو لم تكذب عليه لما قاله (وشهد شاهد من أهلها) قيل ابن عم لها وقيل ابن خال لها صبيا فى المهد وعن النبى صلى الله عليه وسلم تكلم أربعة صغارا ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى بن مريم عليه السلام وانما ألقى الله الشهادة على لسان أهلها لتكون ألزم عليها (ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين) لانه يدل على أنها قدت قميصه من قدامه بالدفع عن نفسها أو أنه أسرع خلفها فتعثر بذيله فانقد جيبه (وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين) لانه يدل على أنها تبعته فاجتذبت ثوبه فقدته والشرطية محكية على ارادة القول أو على أن فعل الشهادة من القول وتسميتها شهادة لانها أدت مؤداها والجمع بين ان وكان على تأويل ان يعلم انه كان ونحوه ونظيره قولك ان أحسنت الى اليوم فقد أحسنت اليك من قبل فان معناه ان تمنن على باحسانك أمنن عليك باحسانى لك السابق وقرئ من قبل ومن دبر بالضم لانهما قطعا عن الاضافة كقبل وبعد وبالفتح كأنهما جعلا علمين للجهتين فمنعا الصرف وبسكون العين (فلما رأى قميصه قد من دبر قال انه) ان قولك ماجزاء من أراد باهلك سوأ أو ان السوء أو ان هذا الامر (من كيدكن) من حيلتكن والخطاب لها ولامثالها أو لسائر النساء (ان كيدكن عظيم) فان كيد النساء ألطف وأعلق بالقلب وأشد تأثيرا فى النفس ولانهن يواجهن به الرجال والشيطان يوسوس به مسارقة (يوسف) حذف منه حرف النداء لقربه وتفطنه للحديث (أعرض عن هذا) اكتمه ولا تذكره (واستغفرى لذنبك) يا راعيل (انك كنت من الخاطئين) من القوم المذنبين من خطئ اذا أذنب متعمدا والتذكير للتغليب (وقال نسوة) هى اسم لجمع امرأة وتأنيثه بهذا الاعتبار غير حقيقى ولذلك جرد فعله وضم النون لغة فيها (فى المدينة) ظرف لقال أى أشعن الحكاية فى مصر أو صفة نسوة وكن خمسا زوجة الحاجب والساقى والخباز والسجان وصاحب الدواب (امرأت العزيز تراود فتاها عن نفسه) تطلب مواقعة غلامها اياها والعزيز بلسان العرب الملك وأصل فتى فتى لقولهم فتيان والفتوة شاذة (قد شغفها حبا) شق شغاف قلبها وهو حجابه حتى وصل الى فؤادها حبا ونصبه على التمييز لصرف الفعل عنه وقرئ شعفها من شعف البعير اذا هنأه بالقطران فأحرقه (انا لنراها فى ضلال مبين) فى ضلال عن الرشد وبعد عن الصواب (فلما سمعت

(قوله قتلته لو لم أخف الله) فان المراد من قتلته المشارفة على القتل لا نفسه والمعنى شارفت على القتل لو لم أخف الله لقتلته (قوله بالكسر) أى بكسر لام المخلصين (قوله أو الامر مثل ذلك) فعلى هذا يكون التقدير فعلنا ما فعلنا لنصرف عنه السوء (قوله أو ضمن الفعل معنى الابتدار) أى ابتدر الباب مستبقين (قوله تعالى وألفيا سيدها) أى زوجها انما لم يقل سيده أو سيدهما لان منشأ الغيرة والقهر الزوجية فقط لا لكونه صاحبا له (قوله والجمع بين ان وكان الخ) يفهم منه انه لايجوز الجمع بين ان وكان الا اذا قدر شئ لان ان مقتضاه الاستقبال وكان بمعنى الماضى لا ينقلب الى الاستقبال (قوله فمنعا من الصرف للعلمية والتأنيث المعنوى) لان معناهما الجهة التى هى مؤنث (قوله وتأنيثه بهذا الاعتبار غير حقيقى) أى تأنيث نسوة غير حقيقى لانه بالتأويل باعتبار الجمعية ولهذا جرد فعله عن التأنيث لانك فى الظاهر غير الحقيقى بالخيار (قوله وأصل فتى فتى) أى هو يائى لا واوى والا قيل فى تثنيته فتوان (قوله لصرف الفعل عنه) أى الاصل ان ينسب شغف الى الحب ويقال قد شغفها

بمكرهن) باغتيابهن وانما سماه مكرا لانهن أخفينه كما يخفى الماكر مكره أو قلن ذلك لتريهن يوسف أو لانها استكتمتهن سرها فأفشينه عليها (أرسلت اليهن) تدعوهن قيل دعت أربعين امرأة فيهن الخمس المذكورات (وأعتدت لهن متكأ) ما يتكئن عليه من الوسائد (وآتت كل واحدة منهن سكينا) حتى يتكئن والسكاكين بأيديهن فاذا خرج عليهن يبهتن ويشغلن عن نفوسهن فتقع أيديهن على أيديهن فيقطعنها فيبكتن بالحجة أو يهاب يوسف مكرها اذا خرج وحده على أربعين امرأة فى أيديهن الخناجر وقيل متكأ طعاما أو مجلس طعام فانهم كانوا يتكئون للطعام والشراب ترفا ولذلك نهى عنه قال جميل

فظللنا بنعمة واتكأنا * وشربنا الحلال من قلله

وقيل المتكأ طعام يحز حزا كان القاطع يتكئ عليه بالسكين وقرئ متكا بحذف الهمزة ومتكاء باشباع الفتحة كمنتزاح ومتكا وهو الاترج أو ما يقطع من متك الشئ اذا بتكه ومتكأ من تكئ يتكأ اذا اتكأ (وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه) عظمنه وهبن حسنه الفائق وعن النبى صلى الله عليه وسلم رأيت يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر وقيل كان يرى تلألؤ وجهه على الجدران وقيل أكبرن بمعنى حضن من أكبرت المرأة اذا حاضت لانها تدخل الكبر بالحيض والهاء ضمير للمصدر أو ليوسف عليه الصلاة والسلام على حذف اللام أى حضن له من شدة الشبق كما قال المتنبى

خف الله واستر ذا الجمال ببرقع * فان لحت حاضت فى الخدور العواتق

(وقطعن أيديهن) جرحنها بالسكاكين من فرط الدهشة (وقلن حاش لله) تنزيها له من صفات العجز وتعجبا من قدرته على خلق مثله وأصله حاشا كما قرأه أبو عمرو فى الدرج فحذفت ألفه الاخيرة تخفيفا وهو حرف يفيد معنى التنزيه فى باب الاستثناء فوضع موضع التنزيه واللام للبيان كما فى قولك سقيا لك وقرئ حاش الله بغير لام بمعنى براءة الله وحاشا الله بالتنوين على تنزيله منزلة المصدر وقيل حاشا فاعل من الحشا الذى هو الناحية وفاعله ضمير يوسف أى صار فى ناحية لله مما يتوهم فيه (ماهذا بشرا) لان هذا الجمال غير معهود للبشر وهو على لغة الحجاز فى اعمال ما عمل ليس لمشاركتها فى نفى الحال وقرئ بشر بالرفع على لغة تميم وبشرى أى بعبد مشترى لئيم (ان هذا الا ملك كريم) فان الجمع بين الجمال الرائق والكمال الفائق والعصمة البالغة من خواص الملائكة أو لان جماله فوق جمال البشر ولا يفوقه فيه الا الملك (قالت فذلكن الذى لمتننى فيه) أى فهو ذلك العبد الكنعانى الذى لمتننى فى الافتتان به قبل أن تتصورنه حق تصوره ولو تصورتنه بما عاينتن لعذرتننى أو فهذا هو الذى لمتننى فيه فوضع ذلك موضع هذا رفعا لمنزلة المشار اليه (ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) فامتنع طلبا للعصمة أقرت لهن حين عرفت أنهن يعذرنها كى يعاونها على الانة عريكته (ولئن لم يفعل ما آمره) أى ما آمر به فحذف الجار أو أمرى اياه بمعنى موجب أمرى فيكون الضمير ليوسف (ليسجنن وليكونا من الصاغرين) من الاذلاء وهو من صغر بالكسر يصغر صغرا وصغارا والصغير من صغر بالضم صغرا وقرئ ليكونن وهو يخالف خط المصحف لان النون كتبت فيه بالالف كنسفعا على حكم الوقف وذلك فى الخفيفة لشبهها بالتنوين (قال رب السجن) وقرأ يعقوب بالفتح على المصدر (أحب الى مما يدعوننى اليه) أى آثر عندى من مؤاتاتها زنا نظرا الى العاقبة وان كان هذا مما تشتهيه النفس وذلك مما تكرهه واسناد الدعوة اليهن جميعا لانهن خوفنه من مخالفتها وزين له مطاوعتها ودعونه الى انفسهن وقيل انما ابتلى بالسجن لقوله هذا وانما كان الاولى به أن يسأل

الله

حبه فلما صرف عنه الى يوسف نصب على التمييز كما فى طاب زيد أبا اذ الاصل طاب ابو زيد فلما صرف طاب عن الاب ونسب الى زيد نصب أبا على التمييز (قوله و بشرى) بكسر الباء فيكون من حروف الجر و يكون المعنى ما هذا ملتبس ببشرى اى عبد مشترى لهم بل هو ملك كريم (قوله يعاونها على الانة عريكته) أى على تليين شدة يوسف وامالته على اطاعتها (قوله وقرأ يعقوب بالفتح على المصدر) أى بفتح السين (قوله ولذلك رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على من سأل الصبر) لان سؤال الصبر متضمن للبلاء لان الصبر يكون على البلاء ولا يليق بالعبد ان يسأل البلاء من الله تعالى وعلى تقدير عدم تضمنه له يكون سؤال العافية أولى لانه متضمن لسؤال عدم وقوعه فى البلاء

الله العافية ولذلك رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على من كان يسأل الصبر (والا تصرف عني) وان لم تصرف عني (كيدهن) في تحبيب ذلك الي وتحسينه عندي بالتثبيت على العصمة (أصب اليهن) امل الى جانبهن أو الى أنفسهن بطبعي ومقتضى شهوتي والصبوة الميل الى الهوى ومنه الصبا لان النفوس تستطيبها وتميل اليها وقرئ أصب من الصبابة وهي الشوق (وأكن من الجاهلين) من السفهاء بارتكاب ما يدعونني اليه فان الحكيم لا يفعل القبيح أو من الذين لا يعملون بما يعلمون فانهم والجهال سواء (فاستجاب له ربه) فأجاب الله دعاءه الذي تضمنه قوله والا تصرف (فصرف عنه كيدهن) فثبته بالعصمة حتى وطن نفسه على مشقة السجن وآثرها على اللذة المتضمنة للعصيان (انه هو السميع) لدعاء الملتجئين اليه (العليم) بأحوالهم وما يصلحهم (ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات) ثم ظهر للعزيز وأهله من بعد ما رأوا الشواهد الدالة على براءة يوسف كشهادة الصبي وقد القميص وقطع النساء أيديهن واستعصامه عنهن وفاعل بدا مضمر يفسره (ليسجننه حتى حين) وذلك لانها خدعت زوجها وحملته على سجنه زمانا حتى تبصر ما يكون منه أو يحسب الناس انه المجرم فلبث في السجن سبع سنين وقرئ بالتاء على ان بعضهم خاطب به العزيز على التعظيم أو العزيز ومن يليه وعتى بلغة هذيل (ودخل معه السجن فتيان) أي أدخل يوسف السجن واتفق أنه أدخل حينئذ آخران من عبيد الملك شرابيه وخبازه للاتهام بانهما يريدان أن يسماه (قال أحدهما) يعني الشرابي (اني أراني) أي في المنام وهي حكاية حال ماضية (أعصر خمرا) أي عنبا وسماه خمرا باعتبار ما يؤول اليه (وقال الآخر) أي الخباز (اني أراني أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه) تنهس منه (نبئنا بتأويله انا نراك من المحسنين) من الذين يحسنون تأويل الرؤيا أو من العالمين وانما قالا ذلك لانهما رأياه في السجن يذكر الناس ويعبر رؤياهم أو من المحسنين الى أهل السجن فاحسن الينا بتأويل ما رأينا ان كنت تعرفه (قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله) أي بتأويل ما قصصتما علي أو بتأويل الطعام يعني بيان ماهيته وكيفيته فانه يشبه تفسير المشكل كأنه أراد أن يدعوهما الى التوحيد ويرشدهما الى الطريق القويم قبل أن يسعف الى ما سألاه منه كما هو طريقة الانبياء والنازلين منازلهم من العلماء في الهداية والارشاد فقدم ما يكون معجزة له من الاخبار بالغيب ليدلهما على صدقه في الدعوة والتعبير (قبل أن يأتيكما ذلكما) أي ذلك التأويل (مما علمني ربي) بالالهام والوحي وليس من قبيل التكهن أو التنجيم (اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون) تعليل لما قبله أي علمني ذلك لاني تركت ملة أولئك (واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحق ويعقوب) أو كلام مبتدأ لتمهيد الدعوة واظهار أنه من بيت النبوة لتقوى رغبتهما في الاستماع اليه والوثوق عليه ولذلك جوز للخامل أن يصف نفسه حتى يعرف فيقتبس منه وتكرير الضمير للدلالة على اختصاصهم وتأكيد كفرهم بالآخرة (ما كان لنا) ما صح لنا معشر الانبياء (أن نشرك بالله من شئ) أي شئ كان (ذلك) أي التوحيد (من فضل الله علينا) بالوحي (وعلى الناس) وعلى سائر الناس ببعثنا لارشادهم وتثبيتهم عليه (ولكن أكثر الناس) المبعوث اليهم (لا يشكرون) هذا الفضل فيعرضون عنه ولا يتنبهون أو من فضل الله علينا وعليهم بنصب الدلائل وانزال الآيات ولكن أكثرهم لا ينظرون اليها ولا يستدلون بها فيلغونها كمن يكفر النعمة ولا يشكرها (ياصاحبي السجن) أي يا ساكنيه أو ياصاحبي فيه فاضافهما اليه على الاتساع كقوله * ياسارق الليلة أهل الدار * (أأرباب متفرقون) شتى متعددة متساوية الاقدام (خير أم الله الواحد) المتوحد بالالوهية (القهار) الغالب الذي لا يعادله ولا يقاومه غيره (ما تعبدون

(قوله قطع النساء أيديهن) فيه أن قطع النساء أيديهن دال على غاية حسن يوسف ولا يدل على براءته ولو قال واستعصامه عنهن مع قطعهن أيديهن لكان أولى لانه يدل على عصمته مع شدة حبهن له وميلهن اليه وهذا أدخل في العصمة (قوله انما لم يقل ذلك أول الامر بل طلب المهلة) لانه لو عبر رؤياهما أول الامر لا مكن ان يشك فيه وأراد يوسف ان يقدم على التعبير أمورا صارت سببا لقبولهما تعبيره واليه أشار بقوله فقدم ما يكون الخ (قوله فانه يشبه تفسير المشكل) أي تسميته بالتأويل الذي هو التعبير ههنا لانه يشبه تفسير المشكل

(قوله بين لهم أولا رجحان التوحيد الخ) أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار حكم بان كون الخلق لهم معبود واحد خير من
ان يكون لهم معبودون مستقلة متعددة وهذا أمر ظني واما قوله ما تعبدون من دونه الخ حجة قاطعة على ان ما عبدوه ليست آلهة (قوله
الظان يوسف ان ذكر ذلك الخ) فان الحاصل من الاجتهاد ليس الا الظن وان كان عن وحي فلا يمكن ان يكون الظان يوسف لان الوحي
اليقين لا الظن الا ان يقال المراد من الظن اليقين (قوله فاضاف اليه المصدر لملابسته له) أي الاصل ان يقول ذكره لربه لكن أضاف
الذكر الى الرب للملابسة بينهما (قوله لما لبث في السجن سبعا بعد الخمس) هذا يدل على أن يوسف عليه السلام

من دونه) خطاب لهما ولمن على دينهما من أهل مصر (الأسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل
الله بها من سلطان) أي الا أشياء باعتبار أسام أطلقتم عليها من غير حجة تدل على تحقق مسمياتها
فيها فكأنكم لا تعبدون الا الاسماء المجردة والمعنى أنكم سميتم ما لم يدل على استحقاقه الالوهية عقل
ولا نقل آلهة ثم أخذتم تعبدونها باعتبار ما تطلقون عليها (ان الحكم) ما الحكم في أمر العبادة (الا لله)
لانه المستحق لها بالذات من حيث انه الواجب لذاته الموجد للكل والمالك لامره (أمر) على لسان
أنبيائه (ألا تعبدوا الا اياه) الذي دلت عليه الحجج (ذلك الدين القيم) الحق وأنتم لا تميزون
المعوج عن القويم وهذا من التدرج في الدعوة والزام الحجة بين لهم أولا رجحان التوحيد على اتخاذ
الآلهة على طريق الخطابة ثم برهن على أن ما يسمونها آلهة ويعبدونها لا تستحق الالهية فان
استحقاق العبادة اما بالذات واما بالغير وكلا القسمين منتف عنها ثم نص على ما هو الحق القويم
والدين المستقيم الذي لا يقتضي العقل غيره ولا يرتضي العلم دونه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون)
فيخبطون في جهالاتهم (ياصاحبي السجن أما أحدكما) يعني الشرابي (فيسقي ربه خمرا)
كما كان يسقيه قبل ويعود الى ما كان عليه (وأما الآخر) يريد به الخباز (فيصلب فتأكل الطير
من رأسه) فقالا كذبنا فقال (قضي الامر الذي فيه تستفتيان) أي قطع الامر الذي تستفتيان
فيه وهو ما يؤول اليه أمركما ولذلك وحده فانهما وان استفتيا في أمرين لكنهما أرادا استبانة عاقبة
ما نزل بهما (وقال للذي ظن أنه ناج منهما) الظان يوسف ان ذكر ذلك عن اجتهاد وان ذكره
عن وحي فهو الناجي الا أن يؤول الظن باليقين (اذكرني عند ربك) اذكر حالي عند الملك
كي يخلصني (فأنساه الشيطان ذكر ربه) فأنسى الشرابي أن يذكره لربه فاضاف اليه المصدر
لملابسته له أو على تقدير ذكر اخبار ربه أو أنسى يوسف ذكر الله حتى استعان بغيره ويؤيده قوله
عليه الصلاة والسلام رحم الله أخي يوسف لو لم يقل اذكرني عند ربك لما لبث في السجن سبعا بعد
الخمس والاستعانة بالعباد في كشف الشدائد وان كانت محمودة في الجملة لكنها لا تليق بمنصب الانبياء
(فلبث في السجن بضع سنين) البضع ما بين الثلاث الى التسع من البضع وهو القطع (وقال الملك
اني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف) لما دنا فرجه رأى الملك سبع بقرات سمان خرجن
من نهر يابس وسبع بقرات مهازيل فابتلعت المهازيل السمان (وسبع سنبلات خضر) قد
انعقد حبها (وأخر يابسات) وسبعا أخر يابسات قد أدركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى
غلبت عليها وانما استغنى عن بيان حالها بما قص من حال البقرات وأجرى السمان على المميز دون

المميز

لبث في السجن اثني عشر سنة وقوله تعالى فلبث في السجن بضع سنين يدل على انه ليس كذلك ويمكن ان يقال ان المراد انه لبث في السجن بعد الاستغاثة المذكورة بضع سنين وعلى هذا يحتمل ان يكون مدة مكثه قبل الاستغاثة وبعدها اثني عشر سنة لكن قول المصنف سابقا في تفسير ليسجننه انه مكث سبع سنين ينافيه (قوله لكنها لا تليق بمنصب الانبياء) قال المحققون الاستغاثة بغير الله في دفع الظلم جائزة فقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم يأخذه النوم ليلة من الليالي وكان يطلب من يحرسه حتى جاء سعد بن أبي وقاص فنام وقال تعالى حكاية عن عيسى من أنصاري الى الله ولا خلاف في جواز الاستعانة بالكفار في دفع الظلم والحرق والغرق الا أن يوسف عليه السلام عوتب على قوله اذكرني
عند ربك لوجوه منها انه لم يقتد بالخليل جده عليه السلام حين وضع في المنجنيق ولقيه جبرائيل في الهواء
وقال هل لك من حاجة قال اما اليك فلا مع انه زعم انه اتبع ملة آبائه ومنها انه قال عند ربك ومعاذ الله انه زعم بانه الرب بمعنى الاله الا أن اطلاق
هذا اللفظ على غير الله لا يليق عليه وان كان رب الدار ورب الغلام مستعملا في كلامهم الى غير ذلك من الوجوه (قوله وانما استغنى عن
بيان حالها بما قص من حال البقرات) أي اكتفى عن تفصيل حال السنابل بحال البقرات فكأنه قيل سبع سنبلات خضر وأخر
يابسات حالهما شبيه بحال البقرات السمان والبقرات العجاف لغلبة السنابل اليابسة على الخضر (قوله وأجرى السمان على المميز دون
المميز الخ) أي جعل السمان صفة البقرات دون السبع والا لقيل سبع بقرات سمانا وانما جعل كذلك لان التمييز أي تميز هذه البقرات بما

وقع في مقابلها بها أي بالسمان فكأنها التمييز حقيقة فوجب ان يكون مجرورا (قوله لتعذر التمييز بها مجردا عن الموصوف فانه لبيان الجنس) أي التمييز لبيان الجنس لكن لم يعلم من العجاف بيان الجنس فلا يصح جعله تمييزا ولك ان تقول لو جعل عجاف تمييزا وأضيف اليه السبع وقيل سبع عجاف علم ان سبع بقرات عجاف نقيضه للتقابل فلما حذف المميز ايجازا لعدم اللبس انقلب الموصوف تابعا للمميز فارتفع الاعتناء بشأن الوصف لان المقصود الابتلاء بالشدة بعد الرخاء وبيان الكمية بالعدد والكيفية بالبقرات تابع

المميز لان التمييز بها ووصف السبع الثاني بالعجاف لتعذر التمييز بها مجردا عن الموصوف فانه لبيان الجنس وقياسه عجف لانه جمع عجفاء لكنه حمل على سمان لانه نقيضه (يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي) عبروها (ان كنتم للرؤيا تعبرون) ان كنتم عالمين بعبارة الرؤيا وهي الانتقال من الصور الخيالية الى المعاني النفسانية التي هي مثالها من العبور وهي المجاوزة وعبرت الرؤيا عبارة أثبت من عبرتها تعبيرا واللام للبيان أو لتقوية العامل فان الفعل لما أخر عن مفعوله ضعف فقوي باللام كاسم الفاعل أو لتضمن تعبرون معنى فعل يعدى باللام كأنه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا (قالوا أضغاث أحلام) أي هذه أضغاث أحلام وهي تخاليطها جمع ضغث وأصله ما جمع من أخلاط النبات وحزم فاستعير للرؤيا الكاذبة وانما جمعوا للمبالغة في وصف الحلم بالبطلان كقولهم فلان يركب الخيل أو لتضمنه أشياء مختلفة (وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين) يريدون بالاحلام المنامات الباطلة خاصة أي ليس لها تأويل عندنا وانما التأويل للمنامات الصادقة فهو كأنه مقدمة ثانية للعذر في جهلهم بتأويله (وقال الذي نجا منهما) من صاحبي السجن وهو الشرابي (وادكر بعد أمة) وتذكر يوسف بعد جماعة من الزمان مجتمعة أي مدة طويلة وقرئ امة بكسر الهمزة وهي النعمة اي بعد ما أنعم عليه بالنجاة وأمه أي نسيان يقال أمه يأمه أمها اذا نسي والجملة اعتراض ومقول القول (أنا أنبئكم بتأويله فارسلون) أي الى من عنده علمه أو الى السجن (يوسف أيها الصديق) اي فارسل الى يوسف فجاء فقال يا يوسف وانما وصفه بالصديق وهو المبالغ في الصدق لانه جرب أحواله وعرف صدقه في تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه (أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات) أي في رؤيا ذلك (لعلي أرجع الى الناس) أعود الى الملك ومن عنده أو الى أهل البلد اذ قيل ان السجن لم يكن فيه (لعلهم يعلمون) تأويلها أو فضلك ومكانك وانما لم يبت الكلام فيهما لانه لم يكن جازما بالرجوع فربما اخترم دونه ولا بعلمهم (قال تزرعون سبع سنين دأبا) أي على عادتكم المستمرة وانتصابه على الحال بمعنى دائبين أو المصدر باضمار فعله أي تدأبون دأبا وتكون الجملة حالا وقرأ حفص دأبا بفتح الهمزة وكلاهما مصدر دأب في العمل وقيل تزرعون أمر أخرجه في صورة الخبر مبالغة لقوله (فما حصدتم فذروه في سنبله) لئلا يأكله السوس وهو على الاول نصيحة خارجة عن العبارة (الا قليلا مما تأكلون) في تلك السنين (ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن) أي يأكل أهلهن ما ادخرتم لاجلهن فاسند اليهن على المجاز تطبيقا بين المعبر والمعبر به (الا قليلا مما تحصنون) تحرزون لبذور الزراعة (ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس) يمطرون من الغيث أو يغاثون من القحط من الغوث (وفيه يعصرون) ما يعصر كالعنب والزيتون لكثرة الثمار وقيل يحلبون الضروع وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على تغليب المستفتي وقرئ على بناء المفعول من عصره اذا أنجاه ويحتمل أن يكون المبني للفاعل منه أي يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا أو من أعصرت السحابة عليهم فعدي بنزع الخافض أو بتضمينه معنى المطر وهذه بشارة بشرهم

ومن ثم ترك التمييز في القرائن الثلاث سبع عجاف وأخر يابسات سبع شداد (قوله وانما جمعوا للمبالغة في وصف الحكم بالبطلان) أي بلغ هذا الحكم في قوة الوصف بالبطلان الى درجة كأن قوة بطلانه في مرتبة بطلان منامات باطلة متعددة (قوله أو لتضمنها أشياء مختلفة) أي لتضمنها أشياء مختلفة مشتملا كل منها على تخاليط فكأنه حصل فيه تخاليط متعددة فلذا جمع (قوله وهو على الاول نصيحة خارجة عن العبارة) أي قوله تعالى فما حصدتم فذروه على الاول وهو ان يكون تزرعون بمعناه الحقيقي نصيحة خارجة عن التعبير وقوله تعالى تزرعون دأبا داخل في العبارة لأنه خبر واما على التقدير الثاني وهو أن يكون تزرعون بمعنى الامر فهو أي تزرعون ايضا خارج عن العبارة (قوله تطبيقا بين المعبر والمعبر به) يعني لما عبر البقرات بالسنين نسب الاكل الى السنين حتى يحصل التطابق بين المعبر وهو المنام وبين المعبر به وهو التأويل والتعبير (قوله على تغليب المستفتي) أي تغليب المخاطب الذي هو المستفتي عن تعبير الرؤيا (قوله أي يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا) التوجيه الاول بالنظر الى المبني للمفعول والثاني بالنظر الى صيغة المبني للفاعل (قوله أو من أعصرت السحابة الخ) هذا معطوف على قوله من عصره (قوله فعدي بنزع الخافض) فيصير أعصرتهم السحابة فاذا بني للمفعول وحذف الفاعل صار يعصرون وأما اذا كان أعصر بمعنى مطر فلا حاجة الى

بها بعد ان أول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخصبة والعجاف واليابسات بسنين مجدبة وابتلاع العجاف السمان بأكل ماجمع فى السنين المخصبة فى السنين المجدبة ولعله علم ذلك بالوحى أو بان انتهاء الجدب بالخصب أو بان السنة الالهية على ان يوسع على عباده بعد ماضيق عليهم (وقال الملك ائتونى به) بعد ماجاءه الرسول بالتعبير (فلما جاءه الرسول) ليخرجه (قال ارجع الى ربك فاسأله مابال النسوة اللاتى قطعن أيديهن) انما تأنى فى الخروج وقدم سؤال النسوة وفحص حالهن لتظهر براءة ساحته ويعلم أنه سجن ظلما فلا يقدر الحاسد أن يتوسل به الى تقبيح أمره وفيه دليل على انه ينبغى أن يجتهد فى نفى التهم ويتقى مواقعها وعن النبى صلى الله عليه وسلم لو كنت مكانه ولبثت فى السجن مالبث لأسرعت الاجابة وانما قال فاسأله مابال النسوة ولم يقل فاسأله أن يفتش عن حالهن تهييجا له على البحث وتحقيق الحال وانما لم يتعرض لسيدته مع ماصنعت به كرما ومراعاة للادب وقرئ النسوة بضم النون (ان ربى بكيدهن عليم) حين قلن لى أطع مولاتك وفيه تعظيم كيدهن والاستشهاد بعلم الله عليه وعلى أنه برىء مما قذف به والوعيد لهن على كيدهن (قال ماخطبكن) قال الملك لهن ماشأنكن والخطب أمر يحق أن يخاطب فيه صاحبه (اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله) تنزيه له وتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله (ماعلمنا عليه من سوء) من ذنب (قالت امرأت العزيز الآن حصحص الحق) ثبت واستقر من حصحص البعير اذا ألقى مباركه ليناخ قال

فحصحص فى صم الصفا ثفناته * وناء بسلمى نوأة ثم صمما

أوظهر من حص شعره اذا استأصله بحيث ظهرت بشرة رأسه وقرئ على البناء للمفعول (أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين) فى قوله هى راودتنى عن نفسى (ذلك ليعلم) قاله يوسف لما عاد اليه الرسول وأخبره بكلامهن أى ذلك التثبت ليعلم العزيز (أنى لم أخنه بالغيب) بظهر الغيب وهو حال من الفاعل أو المفعول أى لم أخنه وأنا غائب عنه أو وهو غائب عنى أو ظرف أى بمكان الغيب وراء الاستار والابواب المغلقة (وأن الله لايهدى كيد الخائنين) لاينفذه ولا يسدده أو لايهدى الخائنين بكيدهم فاوقع الفعل على الكيد مبالغة وفيه تعريض براعيل فى خيانتها زوجها وتوكيد لامانته ولذلك عقبه بقوله (وما أبرئ نفسى) أى لا أنزهها تنبيها على أنه لم يرد بذلك تزكية نفسه والعجب بحاله بل اظهار ما أنعم الله عليه من العصمة والتوفيق وعن ابن عباس أنه لما قال ليعلم أنى لم أخنه بالغيب قال له جبريل ولا حين هممت فقال ذلك (ان النفس لامارة بالسوء) من حيث انها بالطبع مائلة الى الشهوات فتهم بها وتستعمل القوى والجوارح فى أثرها كل الأوقات (الا مارحم ربى) الا وقت رحمة ربى أو الا مارحمه الله من النفوس فعصمه من ذلك وقيل الاستثناء منقطع أى ولكن رحمة ربى هى التى تصرف الاساءة وقيل الآية حكاية قول راعيل والمستثنى نفس يوسف واضرابه وعن ابن كثير ونافع بالسو على قلب الهمزة واوا ثم الادغام (ان ربى غفور رحيم) يغفر هم النفس ويرحم من يشاء بالعصمة أو يغفر للمستغفر لذنبه المعترف على نفسه ويرحمه ما استغفره واسترحمه مما ارتكبه (وقال الملك ائتونى به أستخلصه لنفسى) أجعله خالصا لنفسى (فلما كلمه) أى فلما أتوا به فكلمه وشاهد منه الرشد والدهاء (قال انك اليوم لدينا مكين) ذومكانة ومنزلة (أمين) مؤتمن على كل شئ روى انه لما خرج من السجن اغتسل وتنظف ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم انى أسألك من خيره وأعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرية فقال الملك ماهذا اللسان قال لسان آبائى وكان الملك يعرف سبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه فقال أحب أن

اسمع

ماذكر فيكون بمعنى يمطرون كما يقال مطرنا (قوله أو بان انتهاء الجدب بالخصب) مراده انه لما رأى السنبلات اليابسة سبعا تفطن ان القحط فى سبع لاغير فيكون قوله ذلك اشارة الى قوله ثم يأتى من بعد ذلك عام (قوله وعن النبى صلى الله عليه وسلم الخ) فان قلت مافعله يوسف أولى أو مضمون ماقاله النبى صلى الله عليه وسلم قلت الثانى لان التخلص من البلاء اذا حصل الله تعالى سبب النجاة أولى لان ترك التخلص فرع طلب البلاء وهو خلاف الاولى والاولى طلب المعافاة من بلاء الله تعالى والعافية رزقناها الله تعالى (قوله فحصحص الخ) الثفنات جمع ثفنة بكسر الفاء وهى مايقع من أعضاء البعير على الارض وناء الحمل اذا أثقله والتصميم المضى فى الامر يعنى ركبت عليه سلمى ونهض بها وسار (قوله فاوقع الفعل على الكيد مبالغة) فيه انه لم يقع فى التركيب فعل الهداية بل نفى عنه فلا يفيد المبالغة نعم لو كان الفعل مثبتا لافاد ماذكر ولهذا لم يذكره صاحب الكشاف ولا غيره

أسمع رؤياي منك فحكاها ونعت له البقرات والسنابل وأماكنها على ما رآها فأجلسه على السرير وفوض اليه أمره وقيل توفي قطفير في تلك الليالي فنصبه منصبه وزوج منه راعيل فوجدها عذراء وولدله منها افرائيم وميشا (قال اجعلني على خزائن الارض) ولني أمرها والارض أرض مصر (اني حفيظ) لها ممن لايستحقها (عليم) بوجوه التصرف فيه ولعله عليه السلام لما رأى انه يستعمله في أمره لامحالة آثر ماتعم فوائده وتجل عوائده وفيه دليل على جواز طلب التولية واظهار انه مستعد لها والتولي من يد الكافر اذا علم انه لاسبيل الى اقامة الحق وسياسة الخلق الا بالاستظهار به وعن مجاهد ان الملك أسلم على يده (وكذلك مكنا ليوسف في الارض) في أرض مصر (يتبوأ منها حيث يشاء) ينزل من بلادها حيث يهوى وقرأ ابن كثير نشاء بالنون (نصيب برحمتنا من نشاء) في الدنيا والآخرة (ولا نضيع أجر المحسنين) بل نوفي أجورهم عاجلا وآجلا (ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون) الشرك والفواحش لعظمه ودوامه (وجاء اخوة يوسف) روى أنه لما استوزره الملك أقام العدل واجتهد في تكثير الزراعات وضبط الغلات حتى دخلت السنون المجدبة وعم القحط مصر والشام ونواحيهما وتوجه اليه الناس فباعها أولا بالدراهم والدنانير حتى لم يبق معهم شئ منها ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا ثم عرض الامر على الملك فقال الرأى رأيك فاعتقهم ورد عليهم أموالهم وكان قد أصاب كنعان ما أصاب سائر البلاد فارسل يعقوب بنيه غير بنيامين اليه للميرة (فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون) أى عرفهم يوسف ولم يعرفوه لطول العهد ومفارقتهم اياه في سن الحداثة ونسيانهم اياه وتوهمهم أنه هلك وبعد حاله التي رأوه عليها من حاله حين فارقوه وقلة تأملهم في حلاه من التهيب والاستعظام (ولما جهزهم بجهازهم) أصلحهم بعدتهم وأوقر ركائبهم بما جاؤا لاجله والجهاز ما يعد من الامتعة للنقلة كعدد السفر وما يحمل من بلدة الى أخرى وما تزف به المرأة الى زوجها وقرئ بجهازهم بالكسر (قال ائتوني باخ لكم من أبيكم) روى انهم لما دخلوا عليه قال من أنتم وما أمركم لعلكم عيون قالوا معاذ الله انما نحن بنو أب واحد وهو شيخ كبير صديق نبي من الانبياء اسمه يعقوب قال كم أنتم قالوا كنا اثني عشر فذهب أحدنا الى البرية فهلك قال فكم أنتم ههنا قالوا عشرة قال فاين الحادي عشر قالوا عند أبينا يتسلى به عن الهالك قال فمن يشهد لكم قالوا لايعرفنا أحد ههنا فيشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندي رهينة وائتوني بأخيكم من أبيكم حتى أصدقكم فاقترعوا فاصابت شمعون وقيل كان يوسف يعطي لكل نفر حملا فسألوه حملا زائدا الاخ لهم من أبيهم فاعطاهم وشرط عليهم أن يأتوه به ليعلم صدقهم (ألا ترون أني أوف الكيل) اتمه (وأنا خير المنزلين) للضيف والمضيفين لهم وكان أحسن انزالهم وضيافتهم (فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون) أى ولا تقربوني ولا تدخلوا دياري وهو اما نهي أونفي معطوف على الجزاء (قالوا سنراود عنه أباه) سنجتهد في طلبه من أبيه (وانا لفاعلون) ذلك لانتواني فيه (وقال لفتيته) لغلمانه الكيالين جمع فتى وقرأ حمزة والكسائي وحفص لفتيانه على انه جمع الكثرة ليوافق قوله (اجعلوا بضاعتهم في رحالهم) فانه وكل بكل رحل واحدا يعبي فيه بضاعتهم التي شروا بها الطعام وكانت نعالا وأدما وانما فعل ذلك توسيعا وتفضلا عليهم وترفعا من أن يأخذ ثمن الطعام منهم وخوفا من ان لايكون عند أبيه ما يرجعون به (لعلهم يعرفونها) لعلهم يعرفون حق ردها أو لكي يعرفوها (اذا انقلبوا) انصرفوا ورجعوا (الى أهلهم) وفتحوا أوعيتهم (لعلهم يرجعون) لعل معرفتهم ذلك تدعوهم الى الرجوع (فلما رجعوا الى أبيهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل) حكم بمنعه بعد هذا ان لم نذهب ببنيامين (فارسل معنا أخانا نكتل) نرفع المانع

(قوله لعلهم يعرفون حق ردها الخ) انما قدر في الاول دون الثاني لانهم يعرفون بضاعتهم البتة فلايناسبه لعل التي تفيد الاحتمال

من الكيل ونكتل مانحتاج اليه وقرأ حمزة والكسائى بالياء على اسناده الى الاخ أى يكتل لنفسه فينضم اكتياله الى اكتيالنا (وانا له لحافظون) من أن يناله مكروه (قال هل آمنكم عليه الا كما أمنتكم على أخيه من قبل) وقد قلتم فى يوسف وانا له لحافظون (فالله خير حفظا) فأتوكل عليه وأفوض أمرى اليه وانتصاب حفظا على التمييز وحافظا على قراءة حمزة والكسائى وحفص يحتمله والحال كقوله لله دره فارسا وقرئ خير حافظ وخير الحافظين (وهو أرحم الراحمين) فارجوأن يرحمنى بحفظه ولا يجمع على مصيبتين (ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم) وقرئ ردت بنقل كسرة الدال المدغمة الى الراء نقلها فى بيع وقيل (قالوا يا أبانا ما نبغى) ماذا نطلب هل من مزيد على ذلك أكرمنا وأحسن مثوانا وباع منا ورد علينا متاعنا أولا نطلب وراء ذلك احسانا أولا نبغى فى القول ولا نزيد فيما حكينا لك من احسانه وقرئ ما تبغى على الخطاب أى أى شئ تطلب وراء هذا من الاحسان أو من الدليل على صدقنا (هذه بضاعتنا ردت الينا) استئناف موضح لقوله ما نبغى (ونمير أهلنا) معطوف على محذوف أى ردت الينا فنستظهر بها ونمير أهلنا بالرجوع الى الملك (ونحفظ أخانا) عن المخاوف فى ذهابنا وايابنا (ونزداد كيل بعير) وسق بعير باستصحاب أخينا هذا اذا كانت ما استفهامية فاما اذا كانت نافية احتمل ذلك واحتمل أن تكون الجمل معطوفة على ما نبغى أى لا نبغى فيما نقول ونمير أهلنا ونحفظ أخانا (ذلك كيل يسير) أى مكيل قليل لا يكفينا استقلوا ما كيل لهم فارادوا أن يضاعفوه بالرجوع الى الملك ويزدادوا اليه ما يكال لاخيهم ويجوز أن تكون الاشارة الى كيل بعير أى ذلك شئ قليل لا يضايقنا فيه الملك ولا يتعاظمه وقيل انه من كلام يعقوب ومعناه ان حمل بعير شئ يسير لا يخاطر لمثله بالولد (قال لن أرسله معكم) اذ رأيت منكم ما رأيت (حتى تؤتون موثقا من الله) حتى تعطونى ما أتوثق به من عند الله أى عهدا مؤكدا بذكر الله (لتأتننى به) جواب القسم اذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتأتننى به (الا أن يحاط بكم) الا أن تغلبوا فلا تطيقوا ذلك أو الا أن تهلكوا جميعا وهو استثناء مفرغ من أعم الاحوال والتقدير لتأتننى به على كل حال الا حال الاحاطة بكم أو من أعم العلل على ان قوله لتأتننى به فى تأويل النفى أى لا تمتنعون من الاتيان به الا للاحاطة بكم كقولهم أقسمت بالله الا فعلت أى ما أطلب الا فعلك (فلما آتوه موثقهم) عهدهم (قال الله على ما نقول) من طلب الموثق واتيانه (وكيل) رقيب مطلع (وقال يا بنى لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة) لانهم كانوا ذوى جمال وأبهة مشتهرين فى مصر بالقربة والكرامة عند الملك فخاف عليهم أن يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا ولعله لم يوصهم بذلك فى الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين حينئذ أو كان الداعى اليها خوفه على بنيامين وللنفس آثار منها العين والذى يدل عليه قوله عليه الصلاة والسلام فى عوذته اللهم انى أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة (وما أغنى عنكم من الله من شئ) مما قضى عليكم بما أشرت به اليكم فان الحذر لا يمنع القدر (ان الحكم الا لله) يصيبكم لا محالة ان قضى عليكم سوأ ولا ينفعكم ذلك (عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون) جمع بين الحرفين فى عطف الجملة على الجملة لتقدم الصلة للاختصاص كأن الواو للعطف والفاء لافادة التسبب فان فعل الانبياء سبب لان يقتدى بهم (ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم) أى من أبواب متفرقة فى البلد (ما كان يغنى عنهم) رأى يعقوب واتباعهم له (من الله من شئ) مما قضاه عليهم كما قال يعقوب عليه السلام فسرقوا وأخذ بنيامين بوجدان الصواع فى رحله وتضاعفت المصيبة على يعقوب (الا حاجة فى نفس يعقوب) استثناء منقطع أى ولكن حاجة فى نفسه يعنى شفقته عليهم وحرازته من أن يعانوا (قضاها) أظهرها ووصى بها

(قوله وقد قلتم فى يوسف الخ) الغرض من هذا الكلام انى لا آمنكم عليه انكم قلتم فى يوسف ما تقولون الآن ووقع ما وقع (قوله هذا اذا كانت استفهامية الخ) يفهم منه انها اذا كانت استفهامية لا يجوز الاحتمال الثانى وسببه انه يلزم منه عطف الاخبار على الانشاء الذى هو الاستفهام وفيه ان الاستفهام المذكور للانكار فهو فى المعنى خبر (قوله جواب القسم) لا يخفى ان قوله لتأتننى ليس بعينه جواب القسم لكن يستفاد منه الحلف اذ المعنى حتى تقولوا والله لتأتنن به (قوله أقسمت بالله الا فعلت الخ) أراد ان مجموع الكلام المذكور ماذكره فان العلامة الطيبى روى عن المصنف أى صاحب الكشاف انه قال قولهم أقسمت بالله لما فعلت اثبات فى الظاهر وليس باثبات لانه نفى وقسم وليس بقسم لانه فى معنى الطلب وظاهر لما الوقت وليس بوقت لانه فى معنى الاستثناء وما بعده فعل وليس بفعل لانه بمعنى الاسم فالكلام كله اذن ليس على ظاهره ولذلك أغفل على سيبويه حتى سأل عنه الخليل (قوله الهامة) كل ذى سم قاتل والمراد باللامة ما يجمع الشر على المعيون (قوله كأن الواو الخ) قد قيل كأن ولم يجزم لانه يحتمل ان تكون وانه

(وانه لذو علم لما علمناه) بالوحي ونصب الحجج ولذلك قال وما أغني عنكم من الله من شيء ولم يغتر بتدبيره (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) سر القدر وأنه لا يغني عنه الحذر (ولما دخلوا على يوسف آوى اليه أخاه) ضم اليه بنيامين على الطعام أو في المنزل روي انه أضافهم فاجلسهم مثنى مثنى فبقي بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان أخي يوسف حيا لجلس معي فاجلسه معه على مائدته ثم قال لينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا الاثاني له فيكون معي فبات عنده وقال له أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك قال من يجد أخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وقام اليه وعانقه و (قال اني أنا أخوك فلا تبتئس) فلا تحزن افتعال من البؤس (بما كانوا يعملون) في حقنا فيما مضى (فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية) المشربة (في رحل أخيه) قيل كانت مشربة جعلت صاعا يكال به وقيل كانت تسقى الدواب بها ويكال بها وكانت من فضة وقيل من ذهب وقرئ وجعل على حذف جواب فلما تقديره أمهلهم حتى انطلقوا (ثم أذن مؤذن) نادى مناد (أيتها العير انكم لسارقون) لعله لم يقله بأمر يوسف عليه الصلاة والسلام أو كان تعبية السقاية والنداء عليها برضا بنيامين وقيل معناه انكم لسارقون يوسف من أبيه أو أئنكم لسارقون والعير القافلة وهو اسم الابل التي عليها الاحمال لانها تعير أي تتردد فقيل لاصحابها كقوله عليه الصلاة والسلام يا خيل الله اركبي وقيل جمع عير وأصله فعل كسقف فعل به ما فعل ببيض تجوز به لقافلة الحمير ثم استعير لكل قافلة (قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون) أي شيء ضاع منكم والفقد غيبة الشيء عن الحس بحيث لا يعرف مكانه وقرئ تفقدون من أفقدته اذا وجدته فقيدا (قالوا نفقد صواع الملك) وقرئ صاع وصوع بالفتح والضم والعين والغين وصواغ من الصياغة (ولمن جاء به حمل بعير) من الطعام جعلا له (وأنا به زعيم) كفيل أؤديه الى من رده وفيه دليل على جواز الجعالة وضمان الجعل قبل تمام العمل (قالوا تالله) قسم فيه معنى التعجب والتاء بدل من الباء مختصة باسم الله تعالى (لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين) استشهدوا بعلمهم على براءة أنفسهم لما عرفوا منهم في كرتي مجيئهم ومداخلتهم للملك مما يدل على فرط أمانتهم كرد البضاعة التي جعلت في رحالهم وكعم الدواب لئلا تتناول زرعا أو طعاما لاحد (قالوا فما جزاؤه) فما جزاء السارق أو السرق أو الصواع على حذف المضاف (ان كنتم كاذبين) في ادعاء البراءة (قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه) أي جزاء سرقته أخذ من وجد في رحله واسترقاقه هكذا كان شرع يعقوب عليه الصلاة والسلام وقوله فهو جزاؤه تقرير للحكم والزام له أو خبر من والفاء لتضمنها معنى الشرط أو جواب لها على أنها شرطية والجملة كما هي خبر جزاؤه على اقامة الظاهر فيها مقام الضمير كأنه قيل جزاؤه من وجد في رحله فهو هو (كذلك نجزي الظالمين) بالسرقة (فبدأ بأوعيتهم) فبدأ المؤذن وقيل يوسف لانهم ردوا الى مصر (قبل وعاء أخيه) بنيامين نفيا للتهمة (ثم استخرجها) أي السقاية أو الصواع لانه يذكر ويؤنث (من وعاء أخيه) وقرئ بضم الواو وبقلبها همزة (كذلك) مثل ذلك الكيد (كدنا ليوسف) بأن علمناه اياه وأوحينا به اليه (ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك) ملك مصر لان دينه الضرب وتغريم ضعف ما أخذ دون الاسترقاق وهو بيان للكيد (الا أن يشاء الله) أن يجعل ذلك الحكم حكم الملك فالاستثناء من أعم الاحوال ويجوز أن يكون منقطعا أي لكن أخذه بمشيئة الله تعالى واذنه (نرفع درجات من نشاء) بالعلم كما رفعنا درجته (وفوق كل ذي علم عليم) أرفع درجة منه واحتج به من زعم أنه تعالى عالم بذاته اذ لو كان ذا علم لكان فوقه من هو أعلم منه والجواب أن المراد كل ذي علم من الخلق لان الكلام فيهم ولان العليم هو الله سبحانه وتعالى ومعناه الذي له العلم البالغ لغة ولانه لا فرق بينه وبين قولنا فوق

الفاء للعطف على مقدر وتقدير الكلام وعليه ليتوكل المتوكلون (قوله لعله لم يقله بأمر يوسف) يعني نسبة السرقة اليهم لما كان كذبا لا يناسب ان يكون بامر يوسف واما قوله أو كان ففيه انه لا يصح نسبة السرقة الى الغير الا أن يقال المراد ان فيكم سارقا واعلم ان الوجه الاول لا يرفع الاشكال مطلقا لان جعل السقاية في رحل أخيه بالقصد المذكور وهو ان ينسب السرقة اليه لا يناسب يوسف فلا بد أن يكون برضا بنيامين فالوجه الوجيه هو الثاني (قوله مثل ذلك الكيد) ليس الغرض منه التشبيه بل المقصود انا كدنا ليوسف ذلك الكيد المخصوص (قوله واحتج به من زعم انه تعالى عالم بذاته) يعني من زعم ان علمه عين ذاته كما يقوله الفلاسفة لا زائد عليه كما يقول أهل السنة استدل بما ذكر (قوله ولان العليم) أي المراد ان فوق كل ذي علم غير بالغ العلم عليم كامل هو الله تعالى فيكون كل ذي علم عاما مخصوصا يخرج عنه الخالق أي كل ذي علم مخلوق كما ان فوق كل العلماء عليم عام مخصوص

كل العلماء عليم وهو مخصوص (قالوا ان يسرق) بنيامين (فقد سرق أخ له من قبل) يعنون يوسف قيل ورثت عمته من أبيها منطقة ابراهيم عليه السلام وكانت تحضن يوسف وتحبه فلما شب أراد يعقوب انتزاعه منها فشدت المنطقة على وسطه ثم أظهرت ضياعها فتفحص عنها فوجدت محزومة عليه فصارت أحق به فى حكمهم وقيل كان لابى أمه صنم فسرقه وكسره وألقاه فى الجيف وقيل كان فى البيت عناق أو دجاجة فأعطاها السائل وقيل دخل كنيسة وأخذ تمثالا صغيرا من الذهب (فاسرها يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم) أكنها ولم يظهرها لهم والضمير للاجابة أو المقالة أو نسبة السرقة اليه وقيل انها كناية بشريطة التفسير يفسرها قوله (قال أنتم شر مكانا) فانه بدل من أسرها والمعنى قال فى نفسه أنتم شر مكانا أى منزلة فى السرقة لسرقتكم أخاكم أو فى سوء الصنيع مما كنتم عليه وتأنيثها باعتبار الكلمة أو الجملة وفيه نظر اذ المفسر بالجملة لا يكون الا ضمير الشان (والله أعلم بما تصفون) وهو يعلم أن الامر ليس كما تصفون (قالوا يا أيها العزيز ان له أبا شيخا كبيرا) أى فى السن أو القدر ذكروا له حاله استعطافا عليه (فخذ أحدنا مكانه) بدله فان أباه ثكلان على أخيه الهالك مستأنس به (انا نراك من المحسنين) الينا فأتمم احسانك أو من المتعودين بالاحسان فلا تغير عادتك (قال معاذ الله أن نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده) فان أخذ غيره ظلم على فتواكم فلو أخذنا أحدكم مكانه (انا اذا لظالمون) فى مذهبكم هذا وان مراده ان الله أذن فى أخذ من وجدنا الصاع فى رحله لمصلحته ورضاه عليه فلو أخذت غيره كنت ظالما (فلما استيأسوا منه) يئسوا من يوسف واجابته اياهم وزيادة السين والتاء للمبالغة (خلصوا) انفردوا واعتزلوا (نجيا) متناجين وانما وحده لانه مصدر أو بزنته كما قيل هم صديق وجمعه أنجية كندى وأندية (قال كبيرهم) فى السن وهو روبيل أو فى الرأى وهو شمعون وقيل يهوذا (ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من الله) عهدا وثيقا وانما جعل حلفهم بالله موثقا منه لانه باذن منه وتأكيد من جهته (ومن قبل) ومن قبل هذا (ما فرطتم فى يوسف) قصرتم فى شأنه وما مزيدة ويجوز أن تكون مصدرية فى موضع النصب بالعطف على مفعول تعلموا ولا بأس بالفصل بين العاطف والمعطوف بالظرف أو على اسم ان وخبره فى يوسف أو من قبل أو الرفع بالابتداء والخبر من قبل وفيه نظر لان قبل اذا كان خبرا أو صلة لا يقطع عن الاضافة حتى لا ينقص وأن تكون موصولة أى ما فرطتموه بمعنى ما قدمتموه فى حقه من الجناية ومحله ما تقدم (فلن أبرح الارض) فلن أفارق أرض مصر (حتى يأذن لى أبى) فى الرجوع (أو يحكم الله لى) أو يقضى لى بالخروج منها أو بخلاص أخى منهم أو بالمقاتلة معهم لتخليصه روى انهم كلموا العزيز فى اطلاقه فقال روبيل أيها الملك والله لتتركنا أو لاصيحن صيحة تضع منها الحوامل ووقفت شعور جسده فخرجت من ثيابه فقال يوسف عليه السلام لابنه قم الى جنبه فمسه وكان بنو يعقوب عليه السلام اذا غضب أحدهم فمسه الآخر ذهب غضبه فقال روبيل من هذا ان فى هذا البلد لبزرا من بزر يعقوب (وهو خير الحاكمين) لان حكمه لا يكون الا بالحق (ارجعوا الى أبيكم فقولوا يا أبانا ان ابنك سرق) على ما شاهدناه من ظاهر الامر وقرئ سرق أى نسب الى السرقة (وما شهدنا) عليه (الا بما علمنا) بان رأينا أن الصواع استخرج من وعائه (وما كنا للغيب) لباطن الحال (حافظين) فلا ندرى انه سرق أو سرق ودس الصواع فى رحله أو وما كنا للعواقب عالمين فلم ندر حين أعطيناك الموثق انه سيسرق أو انك تصاب به كما أصبت بيوسف (واسأل القرية التى كنا فيها) يعنون مصر أو قرية بقربها لحقهم المنادى فيها والمعنى أرسل الى أهلها واسألهم عن

(قوله والضمير للاجابة الخ) أى أخفى جوابهم فى نفسه أو أخفى حقية مقالتهم أو نسبة السرقة اليه ولم يبين ان تلك السرقة كيف وقعت وان ليس فيهما يوجب العار والتم (قوله وخبره فى يوسف أو من قبل) فاذا كان الخبر فى يوسف كان المعنى ان تفريطكم كائن فى يوسف من قبل واذا كان الخبر من قبل كان المعنى ان تفريطكم فى يوسف كائن من قبل (قوله لان قبل اذا كان خبرا أو صلة الخ) اما أن يلتزم هذا النظر على تقدير ان يكون من قبل خبرا أو يجب بيان الفرق بينه وبين ما اذا كان المبتدأ وتوضيح ما ذكر ان الخبر والصلة انما يهتم بشأنه فاستكره ان يكونا ناقصين (قوله ومحله) أى محل ما فرطتم فى يوسف على هذا التقدير هو محله على تقدير كون ما مصدرية أى محلهما من الاعراب واحد

القصة (والعير التى أقبلنا فيها) وأصحاب العير التى توجهنا فيهم وكنا معهم (وانا لصادقون) تأكيد فى محل القسم (قال بل سولت) أى فلما رجعوا الى أبيهم وقالوا له ما قال لهم أخوهم قال بل سولت أى زينت وسهلت (لكم أنفسكم أمرا) أردتموه فقدرتموه والا فما أدرى الملك أن السارق يؤخذ بسرقته (فصبر جميل) أى فأمرى صبر جميل أو فصبر جميل أجمل (عسى الله أن يأتينى بهم جميعا) بيوسف وبنيامين وأخيهما الذى توقف بمصر (انه هو العليم) بحالى وحالهم (الحكيم) فى تدبيرهما (وتولى عنهم) وأعرض عنهم كراهة لما صادف منهم (وقال يا أسفا على يوسف) أى يا أسفا تعال فهذا أوانك والاسف أشد الحزن والحسرة والالف بدل من ياء المتكلم وانما تأسف على يوسف دون أخويه والحادث رزؤهما لان رزأه كان قاعدة المصيبات وكان غضا آخذا بمجامع قلبه ولانه كان واثقا بحياتهما دون حياته وفى الحديث لم تعط أمة من الامم انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة الا أمة محمد صلى الله عليه وسلم ألا ترى الى يعقوب عليه الصلاة والسلام حين أصابه ما أصابه لم يسترجع وقال يا أسفا (وابيضت عيناه من الحزن) لكثرة بكائه من الحزن كأن العبرة محقت سوادهما وقيل ضعف بصره وقيل عمى وقرئ من الحزن وفيه دليل على جواز التأسف والبكاء عند التفجع ولعل أمثال ذلك لا تدخل تحت التكليف فانه قل من يملك نفسه عند الشدائد ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون (فهو كظيم) مملوء من الغيظ على أولاده ممسك له فى قلبه لا يظهره فعيل بمعنى مفعول كقوله تعالى وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملئه أو بمعنى فاعل كقوله والكاظمين الغيظ من كظم الغيظ اذا اجترعه وأصله كظم البعير جرته اذا ردها فى جوفه (قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف) أى لا تفتأ ولا تزال تذكره تفجعا عليه فحذف لا كما فى قوله ❊ فقلت يمين الله أبرح قاعدا ❊ لانه لا يلتبس بالاثبات فان القسم اذا لم يكن معه علامة الاثبات كان على النفى (حتى تكون حرضا) مريضا مشفيا على الهلاك وقيل الحرض الذى أذابه هم أو مرض وهو فى الاصل مصدر ولذلك لا يؤنث ولا يجمع والنعت بالكسر كدنف ودنف وقد قرئ به وبضمتين كجنب (أو تكون من الهالكين) من الميتين (قال انما أشكو بثى وحزنى) همى الذى لا أقدر الصبر عليه من البث بمعنى النشر (الى الله) لا الى أحد منكم ومن غيركم فخلونى وشكايتى (وأعلم من الله) من صنعه ورحمته فانه لا يخيب داعيه ولا يدع الملتجئ اليه أو من الله بنوع من الالهام (ما لا تعلمون) من حياة يوسف قيل رأى ملك الموت فى المنام فسأله عنه فقال هو حى وقيل علم من رؤيا يوسف أنه لا يموت حتى يخر له اخوته سجدا (يا بنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه) فتعرفوا منهما وتفحصوا عن حالهما والتحسس تطلب الاحساس (ولا تيأسوا من روح الله) ولا تقنطوا من فرجه وتنفيسه وقرئ من روح الله أى من رحمته التى يحيى بها العباد (انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون) بالله وصفاته فان العارف المؤمن لا يقنط من رحمته فى شئ من الاحوال (فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز) بعد ما رجعوا الى مصر رجعة ثانية (مسنا وأهلنا الضر) شدة الجوع (وجئنا ببضاعة مزجاة) رديئة وقليلة ترد وتدفع رغبة عنها من أزجيته اذا دفعته ومنه تزجية الزمان قيل كانت دراهم زيوفا وقيل صوفا وسمنا وقيل الصنوبر والحبة الخضراء وقيل الاقط وسويق المقل (فأوف لنا الكيل) فأتمم لنا الكيل (وتصدق علينا) برد أخينا أو بالمسامحة وقبول المزجاة أو بالزيادة على ما يساويها واختلف فى أن حرمة الصدقة تعم الانبياء عليهم الصلاة والسلام أو تختص بنبينا صلى الله عليه وسلم (ان الله يجزى المتصدقين) أحسن الجزاء والتصدق التفضل مطلقا ومنه قوله عليه الصلاة والسلام فى القصر هذه

(قوله علامة الاثبات) هو اللام والنون قال صاحب الكشاف لو كان اثباتا لم يكن بد من اللام والنون (قوله همى الخ) هو تفسير للبث قال العلامة النيسابورى قال العلماء اذا أسر الانسان حزنه كان هما فاذا لم يقدر على اسراره فذكره لغيره كان بثا فمعنى الآية لا أذكر الحزن الشديد ولا الحزن القليل الا مع الله تمنحا لوليه ٧

صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته لكنه اختص عرفا بما يبتغى به ثواب من الله تعالى (قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه) أى هل علمتم قبحه فتبتم عنه وفعلهم بأخيه افراده عن يوسف واذلاله حتى كان لا يستطيع أن يكلمهم الا بعجز وذلة (اذ أنتم جاهلون) قبحه فلذلك أقدمتم عليه أو عاقبته وانما قال ذلك تنصيحا لهم وتحريضا على التوبة وشفقة عليهم لما رأى من عجزهم وتمسكنهم لا معاتبة وتثريبا وقيل اعطوه كتاب يعقوب فى تخليص بنيامين وذكروا له ما هو فيه من الحزن على فقد يوسف وأخيه فقال لهم ذلك وانما جهلهم لان فعلهم كان فعل الجهال أو لانهم كانوا حينئذ صبيانا طياشين (قالوا أئنك لأنت يوسف) استفهام تقرير ولذلك حقق بان ودخول اللام عليه وقرأ ابن كثير على الايجاب قيل عرفوه برَوائه وشمائله حين كلمهم به وقيل تبسم فعرفوه بثناياه وقيل رفع التاج عن رأسه فرأوا علامة بقرنه تشبه الشامة البيضاء وكانت لسارة و يعقوب مثلها (قال أنا يوسف وهذا أخى) من أبى وأمى ذكره تعريفا لنفسه به وتفخيما لشأنه وادخالا له فى قوله (قد من الله علينا) أى بالسلامة والكرامة (انه من يتق) أى يتق الله (ويصبر) على البليات أو على الطاعات وعن المعاصى (فان الله لا يضيع أجر المحسنين) وضع المحسنين موضع الضمير للتنبيه على أن المحسن من جمع بين التقوى والصبر (قالوا تالله لقد آثرك الله علينا) اختارك علينا بحسن الصورة وكمال السيرة (وان كنا لخاطئين) والحال ان شأننا انا كنا مذنبين بما فعلنا معك (قال لا تثريب عليكم) لا تأنيب عليكم تفعيل من الثرب وهو الشحم الذى يغشى الكرش للازالة كالتجليد فاستعير للتقريع الذى يمزق العرض ويذهب ماء الوجه (اليوم) متعلق بالتثريب أو بالمقدر للجار الواقع خبرا للا تثريب والمعنى لا أثربكم اليوم الذى هو مظنته فما ظنكم بسائر الايام أو بقوله (يغفر الله لكم) لانه صفح عن جريمتهم حينئذ واعترفوا بها (وهو أرحم الراحمين) فانه يغفر الصغائر والكبائر و يتفضل على التائب ومن كرم يوسف عليه السلام أنهم لما عرفوه أرسلوا اليه وقالوا انك تدعونا بالبكرة والعشى الى الطعام ونحن نستحى منك لما فرط منا فيك فقال ان أهل مصر كانوا ينظرون الى بالعين الاولى و يقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت بكم وعظمت فى عيونهم حيث علموا أنكم اخوتى وأنى من حفدة ابراهيم عليه السلام (اذهبوا بقميصى هذا) القميص الذى كان عليه وقيل القميص المتوارث الذى كان فى التعويذ (فألقوه على وجه أبى يأت بصيرا) أى يرجع بصيرا أى ذا بصر (وأتونى) أنتم وأبى (بأهلكم أجمعين) بنسائكم وذراريكم ومواليكم (ولما فصلت العير) من مصر وخرجت من عمرانها (قال أبوهم) لمن حضره (انى لأجد ريح يوسف) أوجده الله ريح ما عبق بقميصه من ريحه حين أقبل به اليه يهوذا من ثمانين فرسخا (لولا أن تفندون) تنسبونى الى الفند وهو نقصان عقل يحدث من هرم ولذلك لا يقال عجوز مفندة لان نقصان عقلها ذاتى وجواب لولا محذوف تقديره لصدقتمونى أو لقلت انه قريب (قالوا) أى الحاضرون (تالله انك لفى ضلالك القديم) لفى ذهابك عن الصواب قدما بالافراط فى محبة يوسف واكثار ذكره والتوقع للقائه (فلما أن جاء البشير) يهوذا روى أنه قال كما أحزنته بحمل قميصه الملطخ بالدم اليه فافرحه بحمل هذا اليه (ألقاه على وجهه) طرح البشير القميص على وجه يعقوب عليه السلام أو يعقوب نفسه (فارتد بصيرا) عاد بصيرا لما انتعش فيه من القوة (قال ألم أقل لكم انى أعلم من الله ما لا تعلمون) من حياة يوسف عليه السلام وانزال الفرج وقيل انى أعلم كلام مبتدأ والمقول لا تيأسوا من روح الله أو انى لأجد ريح يوسف (قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين) ومن حق المعترف بذنبه أن يصفح عنه

(قوله فاستعير للتقريع الذى يمزق العرض) أى التثريب الذى هو فى الاصل ازالة الثرب استعمل فى تمزيق العرض واذهاب ماء الوجه الذى هو عبارة عن زوال الخيرية والوجاهة (قوله لما انتعش فيه من القوة) هذا ليس كما ينبغى لانه لم تعد قوة البصر اذا ذهبت بالكلية بسبب قوة البدن والاولى أن يقال ان هذا كان معجزة ليعقوب أو ليوسف

و سأله المغفرة (قال سوف أستغفر لكم ربى انه هو الغفور الرحيم) أخره الى السحر أو الى صلاة الليل أو الى ليلة الجمعة تحريا لوقت الاجابة أو الى أن يستحل لهم من يوسف أو يعلم أنه عفا عنهم فان عفو المظلوم شرط المغفرة ويؤيده ما روى أنه استقبل القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما أذلة خاشعين حتى نزل جبريل وقال ان الله قد أجاب دعوتك فى ولدك وعقد مواثيقهم بعدك على النبوة وهو ان صح فدليل على نبوتهم وأن ما صدر عنهم كان قبل استنبائهم (فلما دخلوا على يوسف) روى أنه وجه اليه رواحل وأموالا ليتجهز اليه بمن معه واستقبله يوسف والملك بأهل مصر وكان أولاده الذين دخلوا معه مصر اثنين وسبعين رجلا وامرأة وكانوا حين خرجوا مع موسى عليه الصلاة والسلام ستمائة ألف وخمسمائة و بضعة وسبعين رجلا سوى الذرية والهرمى (آوى اليه أبويه) ضم اليه أباه وخالته واعتنقهما نزلها منزلة الام تنزيل العم منزلة الاب فى قوله واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق أو لان يعقوب عليه السلام تزوجها بعد أمه والرابة تدعى أما (وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين) من القحط وأصناف المكاره والمشيئة متعلقة بالدخول المكيف بالامن والدخول الاول كان فى موضع خارج البلد حين استقبلهم (ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا) تحية وتكرمة له فان السجود كان عندهم يجرى مجراها وقيل معناه خروا لاجله سجدا لله شكرا وقيل الضمير لله تعالى والواو لابويه واخوته والرفع مؤخر عن الخرور وان قدم لفظا للاهتمام بتعظيمه لهما (وقال يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل) التى رأيتها أيام الصبا (قد جعلها ربى حقا) صدقا (وقد أحسن بى اذ أخرجنى من السجن) ولم يذكر الجب لئلا يكون تثريبا عليهم (وجاء بكم من البدو) من البادية لانهم كانوا أصحاب المواشى وأهل البدو (من بعد أن نزغ الشيطان بينى و بين اخوتى) أفسد بيننا وحرش من نزغ الرائض الدابة اذا نخسها وحملها على الجرى (ان ربى لطيف لما يشاء) لطيف التدبير له اذ ما من صعب الا وتنفذ فيه مشيئته ويتسهل دونها (انه هو العليم) بوجوه المصالح والتدابير (الحكيم) الذى يفعل كل شئ فى وقته وعلى وجه يقتضى الحكمة روى ان يوسف طاف بأبيه عليهما الصلاة والسلام فى خزائنه فلما أدخله خزانة القراطيس قال يا بنى ما أعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت الى على ثمان مراحل قال أمرنى جبريل عليه السلام قال أو ما تسأله قال أنت أبسط منى اليه فاسأله فقال جبريل الله أمرنى بذلك لقولك وأخاف أن يأكله الذئب قال فهلا خفتنى (رب قد آتيتنى من الملك) بعض الملك وهو ملك مصر (وعلمتنى من تأويل الاحاديث) الكتب أو الرؤيا ومن أيضا للتبعيض لانه لم يؤت كل التأويل (فاطر السموات والارض) مبدعهما وانتصابه على انه صفة المنادى أو منادى برأسه (أنت وليى) ناصرى ومتولى أمرى (فى الدنيا والآخرة) أو الذى يتولانى بالنعمة فيهما (توفنى مسلما) اقبضنى (وألحقنى بالصالحين) من آبائى أو بعامة الصالحين فى الرتبة والكرامة روى أن يعقوب عليه السلام أقام معه أربعا وعشرين سنة ثم توفى وأوصى أن يدفن بالشام الى جنب أبيه فذهب به ودفنه ثمة ثم عاد وعاش بعده ثلاثا وعشرين سنة ثم تاقت نفسه الى الملك المخلد فتمنى الموت فتوفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم أهل مصر فى مدفنه حتى هموا بالقتال فرأوا ان يجعلوه فى صندوق من مرمر ويدفنوه فى النيل بحيث يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا شرعا فيه ثم نقله موسى عليه الصلاة والسلام الى مدفن آبائه وكان عمره مائة وعشرين سنة وقد ولد له من راعيل افرائيم وميشا وهو جد يوشع بن نون ورحمة امرأة أيوب عليه السلام (ذلك) اشارة الى ما ذكر من نبأ يوسف عليه السلام والخطاب فيه للرسول صلى الله عليه وسلم وهو مبتدأ (من أنباء الغيب نوحيه

(قوله على انه صفة المنادى) والمعنى على هذا يكون يا الله فاطر السموات والارض

اليك) خبران له (وما كنت لديهم اذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون) كالدليل عليهما والمعنى ان
هذا النبأ غيب لم تعرفه الا بالوحى لانك لم تحضر اخوة يوسف حين عزموا على ماهموا به من ان يجعلوه فى
غيابة الجب وهم يمكرون به وبابيه ليرسله معهم ومن المعلوم الذى لا يخفى على مكذبيك انك مالقيت أحدا
سمع ذلك فتعلمته منه وانما حذف هذا الشق استغناء بذكره فى غير هذه القصة كقوله ما كنت
تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا (وما أكثر الناس ولو حرصت) على ايمانهم وبالغت فى اظهار
الآيات عليهم (بمؤمنين) لعنادهم وتصميمهم على الكفر (وما تسألهم عليه) على الانباء
أو القرآن (من أجر) من جعل كما يفعله حملة الاخبار (ان هو الا ذكر) عظة من الله تعالى
(للعالمين) عامة (وكأين من آية) وكم من آية والمعنى وكأى عدد شئت من الدلائل الدالة على وجود
الصانع وحكمته وكمال قدرته وتوحيده (فى السموات والارض يمرون عليها) على الآيات
ويشاهدونها (وهم عنها معرضون) لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها وقرئ والارض بالرفع على
انه مبتدأ خبره يمرون فيكون لها الضمير فى عليها وبالنصب على ويطؤن الارض وقرئ والارض
يمشون عليها أى يترددون فيها فيرون آثار الامم الهالكة (وما يؤمن أكثرهم بالله) فى اقرارهم
بوجوده وخالقيته (الا وهم مشركون) بعبادة غيره أو باتخاذ الاحبار أربابا ونسبة التبنى اليه تعالى
أو القول بالنور والظلمة أو النظر الى الاسباب ونحو ذلك وقيل الآية فى مشركى مكة وقيل فى المنافقين
وقيل فى أهل الكتاب (أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله) عقوبة تغشاهم وتشملهم
(أو تأتيهم الساعة بغتة) فجأة من غير سابقة علامة (وهم لا يشعرون) باتيانها غير مستعدين لها
(قل هذه سبيلى) يعنى الدعوة الى التوحيد والاعداد للمعاد ولذلك فسر السبيل بقوله (أدعو الى
الله) وقيل هو حال من الياء (على بصيرة) بيان وحجة واضحة غير عمياء (أنا) تأكيد للمستتر
فى ادعو أو على بصيرة لانه حال منه أو مبتدأ خبره على بصيرة (ومن اتبعنى) عطف عليه
(وسبحان الله وما أنا من المشركين) وانزهه تنزيها من الشركاء (وما أرسلنا من قبلك الا رجالا)
رد لقولهم لو شاء ربنا لانزل ملائكة وقيل معناه نفى استنباء النساء (يوحى اليهم) كما يوحى اليك
ويميزون بذلك عن غيرهم وقرأ حفص نوحى فى كل القرآن ووافقه حمزة والكسائى فى سورة الانبياء
(من أهل القرى) لان أهلها اعلم واحلم من أهل البدو (أفلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان
عاقبة الذين من قبلهم) من المكذبين بالرسل والآيات فيحذروا تكذيبك أو من المشغوفين بالدنيا
المتهالكين عليها فيقلعوا عن حبها (ولدار الآخرة) ولدار الحال أو الساعة أو الحياة الآخرة (خير
للذين اتقوا) الشرك والمعاصى (أفلا يعقلون) يستعملون عقولهم ليعرفوا انها خير وقرأ نافع
وابن عامر وعاصم ويعقوب بالتاء حملا على قوله قل هذه سبيلى أى قل لهم أفلا تعقلون (حتى اذا
استيأس الرسل) غاية محذوف دل عليه الكلام أى لا يغررهم تمادى أيامهم فان من قبلهم امهلوا حتى
أيس الرسل عن النصر عليهم فى الدنيا وعن ايمانهم لانهماكهم فى الكفر مترفهين متمادين فيه من غير
وازع (وظنوا أنهم قد كذبوا) أى كذبتهم أنفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون أو كذبهم القوم
بوعد الايمان وقيل الضمير للمرسل اليهم أى وظن المرسل اليهم أن الرسل قد كذبوهم بالدعوة والوعيد
وقيل الاول للمرسل اليهم والثانى للرسل أى وظنوا أن الرسل قد كذبوا وأخلفوا فيما وعدلهم من النصر
وخلط الامر عليهم وما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان الرسل ظنوا أنهم أخلفوا ما وعدهم الله
من النصر ان صح فقد أراد بالظن ما يهجس فى القلب على طريق الوسوسة هذا وان المراد به المبالغة
فى التراخى والامهال على سبيل التمثيل وقرأ غير الكوفيين بالتشديد أى وظن الرسل أن القوم قد

كذبوهم

(قوله وانما حذف هذا الشق استغناء الخ) أى انما لم يتعرض الى نفى استماع النبى صلى الله عليه وسلم القصة المذكورة من أحد لانه معلوم ذلك ولك أن تقول ان عدم كونه صلى الله عليه وسلم لم يكن معهم فى الوقت المذكور وهو وقت اجماعهم الامر ومكرهم فى غاية الظهور وأظهر من عدم الاستماع فهو أحق بعدم الذكر فالاولى أن يقال ان الحالة المذكورة وهو اجماعهم الامر المذكور لا يطلع عليه غيرهم اذا كانوا فى صدد اخفائه عن غيرهم فلا يطلع عليه أحد فلا حاجة الى التعرض لنفى استماع النبى صلى الله عليه وسلم من غيره فتأمل (قوله وقيل هو حال من الياء) أى ياء المتكلم الذى يضاف اليه سبيل ولعله باعتبار انه مفعول مصدر مقدر أى سبيل سلوك (قوله أو على بصيرة لانه حال منه) أى أنا تأكيد للضمير المستتر فى على بصيرة لانه أى الجار والمجرور حال من ضمير أدعو لان تقديره أدعو كائنا على بصيرة فيكون فاعل الظرف ضمير المتكلم المستقر ويكون أنا تأكيدا له أو مبتدأ خبره على بصيرة أى أنا مبتدأ وعلى بصيرة خبره (قوله وان المراد به المبالغة فى التراخى والامهال على سبيل التمثيل) أى التشبيه

بأن شبه المبالغة فى التراخى بظن الكذب باعتبار استلزام كل منهما لعدم قرب حصول المطلوب فاستعمل لفظ ظن الكذب فى المبالغة فى التراخى (قوله وظنوا انهم قد كذبوا عند قومهم الخ) أى ظنوا ان القوم على انهم كاذبون (قوله وانما لم يعينهم للدلالة الخ) يمكن أن يقال للدلالة على ان مدار الامور على مجرد الارادة والمشيئة لا على الاستحقاق (قوله وفيه بيان للشيئين) أى فيه بيان قوله تعالى من نشاء أى يعلم منه ان من لم يشأ الله نجاتهم هم غير المؤمنين فيكون المستثنى صفة لجمع الذكور (قوله اذ ما من أمر دينى الخ) فيكون المراد من قوله تعالى وتفصيل كل شئ تفصيل الامور الدينية أى تبيينها بوجه ﴿سورة الرعد﴾ (قوله أو القرآن) عطف على السورة أى أو يعنى بالكتاب القرآن (قوله ومحله الجر بالعطف على الكتاب) عطف العام على الخاص الخ فيه نظر لانه فسر الكتاب تفسيرين أحدهما السورة والآخر القرآن ولا يخفى ان القرآن كله ليس أعم من الاول بل أحدهما

كل والآخر جزء وكذا ليس بأعم من

كذبوهم فيما أوعدوهم وقرئ كذبوا بالتخفيف وبناء الفاعل أى وظنوا أنهم قد كذبوا فيما حدثوا به عند قومهم لما تراخى عنهم ولم يروا له أثرا (جاءهم نصرنا فننجى من نشاء) النبى والمؤمنين وانما لم يعينهم للدلالة على انهم الذين يستأهلون ان يشاء نجاتهم لا يشاركهم فيه غيرهم وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب على لفظ الماضى المبنى للمفعول وقرئ فنجا (ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين) اذا نزل بهم وفيه بيان للشيئين (لقد كان فى قصصهم) فى قصص الانبياء وأممهم أو فى قصة يوسف واخوته (عبرة لأولى الالباب) لذوى العقول المبرأة من شوائب الالف والركون الى الحس (ما كان حديثا يفترى) ما كان القرآن حديثا يفترى (ولكن تصديق الذى بين يديه) من الكتب الالهية (وتفصيل كل شئ) يحتاج اليه فى الدين اذ ما من أمر دينى الا وله سند من القرآن بوسط أو بغير وسط (وهدى) من الضلال (ورحمة) ينال بها خير الدارين (لقوم يؤمنون) يصدقونه * وعن النبى صلى الله عليه وسلم علموا أرقاءكم سورة يوسف فانه أيما مسلم تلاها وعلمها أهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت وأعطاه القوة أن لا يحسد مسلما

﴿سورة الرعد مدنية وقيل مكية الا قوله ويقول الذين كفروا الآية وهى ثلاث وأربعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(المر) قيل معناه أنا الله أعلم وأرى (تلك آيات الكتاب) يعنى بالكتاب السورة وتلك اشارة الى آياتها أى تلك الآيات آيات السورة الكاملة أو القرآن (والذى أنزل اليك من ربك) هو القرآن كله ومحله الجر بالعطف على الكتاب عطف العام على الخاص أو احدى الصفتين على الاخرى أو الرفع بالابتداء وخبره (الحق) والجملة كالحجة على الجملة الاولى وتعريف الخبر وان دل على اختصاص المنزل بكونه حقا فهو أعم من المنزل صريحا أو ضمنا كالمثبت بالقياس وغيره مما نطق المنزل بحسن اتباعه (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) لاخلالهم بالنظر والتأمل فيه (الله الذى رفع السموات) مبتدأ وخبر ويجوز ان يكون الموصول صفة والخبر يدبر الامر (بغير عمد) أساطين جمع عماد كاهاب وأهب أو عمود كأديم وأدم وقرئ عمد كرسل (ترونها) صفة لعمد أو استئناف للاستشهاد برؤيتهم السموات كذلك وهو دليل على وجود الصانع الحكيم فان ارتفاعها على سائر الاجسام

القرآن (قوله والجملة كالحجة على الجملة الاولى) أى قوله والذى أنزل اليك الخ كالدليل على تلك آيات الكتاب لانه اذا كان حقا كان الآيات آيات السورة الكاملة لان من ادعى انه منزل عليه ادعى ذلك وانما قال كالحجة لانهما فى رتبة واحدة فلا يصح ان يجعل أحدهما دليلا على الآخر اذ كونه آيات الكتاب وكونه منزلا من الرب متساويان بل لا يبعد أن يدعى العكس (قوله وتعريف الخبر وان كان الخ) دفع وهم وهو انه اذا كان المنزل مختصا باتصافه بالحق كان ماسواه غير حق لكن القياس ليس أمرا منزلا بل هو من تصرفات المجتهدين فلزم ان لا يكون القياس حقا بل باطلا فأجاب

بان المراد بالمنزل ماهو منزل صريحا أو ضمنا والقياس مما أنزل ضمنا وان لم ينزل صريحا وههنا نظر وهو ان حصر الحق فى المنزل على النبى صلى الله عليه وسلم اما أن يكون حصرا حقيقيا أولا لا سبيل الى الاول اذ يلزم أن يكون كل ماسوى القرآن باطلا وليس كذلك ولا الى الثانى لان الحصر الاضافى اما أن يكون بالنسبة الى ماوراءه من الكتب السماوية وليس كذلك اذ يلزم بطلان ماوراءه واما أن يكون بالنسبة الى غيره وهو أمر مبهم لا يفهم انه بالاضافة الى أى شئ والجواب أن يقال المراد ان الذى أنزل اليك من ربك هو الحق البالغ الى نهاية الكمال فى الحقية والصدق وليس سائر الكتب كذلك فان حقيقة القرآن تعلم من نفسه لانه معجز بخلاف سائر الكتب فهذا سبب الحصر المستفاد من قوله والذى أنزل اليك من ربك هو الحق لا مزيد عليه (قوله فان ارتفاعها على سائر الاجسام الخ) هذا بناء على ما ثبت فى علم الكلام من أن الاجسام مركبة من أجزاء لا تتجزأ لا من الهيولى والصورة كما قاله الفلاسفة

المساوية لها فى حقيقة الجرمية واختصاصها بما يقتضى ذلك لابد وأن يكون بمخصص ليس بجسم ولا جسمانى يرجح بعض الممكنات على بعض بارادته وعلى هذا المنهاج سائر ماذكر من الآيات (ثم استوى على العرش) بالحفظ والتدبير (وسخر الشمس والقمر) ذللهما لما أراد منهما كالحركة المستمرة على حد من السرعة ينفع فى حدوث الكائنات وبقائها (كل يجرى لاجل مسمى) لمدة معينة يتم فيها أدواره أو لغاية مضروبة ينقطع دونها سيره وهى اذا الشمس كوّرت واذا النجوم انكدرت (يدبر الامر) أمر ملكوته من الايجاد والاعدام والاحياء والاماتة وغير ذلك (يفصل الآيات) ينزلها ويبينها مفصلة أو يحدث الدلائل واحدا بعد واحد (لعلكم بلقاء ربكم توقنون) لكى تتفكروا فيها وتتحققوا كمال قدرته فتعلموا أن من قدر على خلق هذه الاشياء وتدبيرها قدر على الاعادة والجزاء (وهو الذى مد الارض) بسطها طولا وعرضا لتثبت عليها الاقدام ويتقلب عليها الحيوان (وجعل فيها رواسى) جبالا ثوابت من رسا الشئ اذا ثبت جمع راسية والتاء للتأنيث على انها صفة أجبل أو للمبالغة (وأنهارا) ضمها الى الجبال وعلق بهما فعلا واحدا من حيث ان الجبال أسباب لتولدها (ومن كل الثمرات) متعلق بقوله (جعل فيها زوجين اثنين) أى وجعل فيها من جميع أنواع الثمرات صنفين اثنين كالحلو والحامض والاسود والابيض والصغير والكبير (يغشى الليل النهار) يلبسه مكانه فيصير الجوّ مظلما بعدما كان مضيأ وقرأ حمزة والكسائى وأبو بكر يغشى بالتشديد (ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) فيها فان تكوّنها وتخصصها بوجه دون وجه دليل على وجود صانع حكيم دبر أمرها وهيأ أسبابها (وفى الارض قطع متجاورات) بعضها طيبة وبعضها سبخة وبعضها رخوة وبعضها صلبة وبعضها تصلح للزرع دون الشجر وبعضها بالعكس ولولا تخصيص قادر موقع لافعاله على وجه دون وجه لم تكن كذلك لاشتراك تلك القطع فى الطبيعة الارضية وما يلزمها ويعرض لها بتوسط ما يعرض من الاسباب السماوية من حيث انها متضامة متشاركة فى النسب والاوضاع (وجنات من أعناب وزرع ونخيل) وبساتين فيها أنواع الاشجار والزروع وتوحيد الزرع لانه مصدر فى أصله وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وحفص وزرع ونخيل بالرفع عطفا على وجنات (صنوان) نخلات أصلها واحد (وغير صنوان) ومتفرقات مختلفات الاصول وقرأ حفص بالضم وهو لغة بنى تميم كقنوان فى جمع قنو (تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل) فى الثمر شكلا وقدرا ورائحة وطعما وذلك أيضا مما يدل على الصانع الحكيم فان اختلافها مع اتحاد الاصول والاسباب لايكون الا بتخصيص قادر مختار وقرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب يسقى بالتذكير على تأويل ما ذكر وحمزة والكسائى يفضل بالياء ليطابق قوله يدبر الامر (ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) يستعملون عقولهم بالتفكر (وان تعجب) يامحمد من انكارهم البعث (فعجب قولهم) حقيق بان يتعجب منه فان من قدر على انشاء ما قص عليك كانت الاعادة أيسر شئ عليه والآيات المعدودة كما هى دالة على وجود المبدا فهى دالة على امكان الاعادة من حيث انها تدل على كمال علمه وقدرته وقبول المواد لانواع تصرفاته (أئذا كنا ترابا أئنا لفى خلق جديد) بدل من قولهم أو مفعول له والعامل فى اذا محذوف دل عليه أئنا لفى خلق جديد (أولئك الذين كفروا بربهم) لانهم كفروا بقدرته على البعث (وأولئك الاغلال فى أعناقهم) مقيدون بالضلال لا يرجى خلاصهم أو يغلون يوم القيامة (وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) لا ينفكون عنها وتوسيط الفصل لتخصيص الخلود بالكفار (ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة) بالعقوبة قبل العافية وذلك لانهم استعجلوا ما هددوا به من عذاب الدنيا استهزاء (وقد خلت من

قبلهم

اذ على هذا القول يمكن أن يكون ارتفاعها بمقتضى طباعها كما يقولون ولك أن تقول كونها مركبة من اجزاء لاتتجزأ لايقتضى تساويها فى الحقيقة والصفات اذ يجوز أن تكون الاجزاء المذكورة مختلفة الحقائق كما هو مذهب بعض المتكلمين وبعضها يقتضى الرفع وبعضها السفل والحق ان أمثال هذه الدلائل تفيد الظن بالنسبة الى الناظرين وتنبيها للكاملين المستعدين لحصول اليقين (قوله أو لغاية مضروبة الخ) لايخفى ان مجرد قوله تعالى اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت لايدل على انقطاع سيرها فى ذلك الوقت بل لابد له من دليل آخر (قوله تعالى يغشى الليل النهار) لم يقل يغشى النهار الليل وان كان النهار سترا لليل لان التغشية وهى الستر أنسب بالليل (قوله وضمير الفصل لتخصيص الخلود بالكفار) فيكون الخلود بمعنى الابد هنا وان كان بمعنى المكث الطويل فى المواضع الاخر (قوله وقرئ المثلات بالتخفيف الخ) أى بفتح الميم وسكون الثاء والمثلات بضم الميم والثاء والمثلات بضم الميم

قبلهم المثلات) عقوبات أمثالهم من المكذبين فمالهم لم يعتبروا بها ولم يجوزوا حلول مثلها عليهم والمثلة بفتح الثاء وضمها كالصدقة والصدقة العقوبة لانها مثل المعاقب عليه ومنه المثال للقصاص وأمثل الرجل من صاحبه اذا اقتصته منه وقرئ المثلات بالتخفيف والمثلات باتباع الفاء العين والمثلات بالتخفيف بعد الاتباع والمثلات بفتح الثاء على أنها جمع مثلة كركبة وركبات (وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم) مع ظلمهم أنفسهم ومحله النصب على الحال والعامل فيه المغفرة والتقييد به دليل على جواز العفو قبل التوبة فان التائب ليس على ظلمه ومن منع ذلك خص الظلم بالصغائر المكفرة لمجتنب الكبائر أو أوّل المغفرة بالستر والامهال (وان ربك لشديد العقاب) للكفار أولمن شاء وعن النبي صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله وتجاوزه لما هنأ أحدا العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل أحد (ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه) لعدم اعتدادهم بالآيات المنزلة عليه واقتراحا لنحو ما أوتي موسى وعيسى عليهما السلام (انما أنت منذر) مرسل للانذار كغيرك من الرسل وما عليك الا الاتيان بما تصح به نبوّتك من جنس المعجزات لا بما يقترح عليك (ولكل قوم هاد) نبي مخصوص بمعجزات من جنس ما هو الغالب عليهم يهديهم الى الحق ويدعوهم الى الصواب أو قادر على هدايتهم وهو الله تعالى لكن لا يهدي الا من يشاء هدايته بما ينزل عليك من الآيات ثم أردف ذلك بما يدل على كمال علمه وقدرته وشمول قضائه وقدره تنبيها على أنه تعالى قادر على انزال ما اقترحوه وانما لم ينزل لعلمه بان اقتراحهم للعناد دون الاسترشاد وأنه قادر على هدايتهم وانما لم يهدهم لسبق قضائه عليهم بالكفر فقال (الله يعلم ما تحمل كل أنثى) أي حملها أو ما تحمله على أي حال هو من الاحوال الحاضرة والمترقبة (وما تغيض الارحام وما تزداد) وما تنقصه وما تزداده في الجثة والمدة والعدد وأقصى مدة الحمل أربع سنين عندنا وخمس عند مالك وسنتان عند أبي حنيفة روى أن الضحاك ولد لسنتين وهرم بن حيان لاربع سنين وأعلى عدده لا حد له وقيل نهايته ما عرف به أربعة واليه ذهب أبو حنيفة رضي الله عنه وقال الشافعي رحمه الله أخبرني شيخ باليمن أن امرأته ولدت بطونا في كل بطن خمسة وقيل المراد نقصان دم الحيض وازدياده وغاض جاء متعديا ولازما وكذا ازداد قال تعالى وازدادوا تسعا فان جعلتهما لازمين تعين اما أن تكون مصدرية واسنادهما الى الارحام على المجاز فانهما لله تعالى أولما فيها (وكل شئ عنده بمقدار) بقدر لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله تعالى انا كل شئ خلقناه بقدر فانه تعالى خص كل حادث بوقت وحال معينين وهيأ له أسبابا مسوقة اليه تقتضي ذلك وقرأ ابن كثير هاد ووال وواق وما عند الله باق بالتنوين في الوصل فاذا وقف وقف بالياء في هذه الاحرف الاربعة حيث وقعت لا غير والباقون يصلون بالتنوين ويقفون بغير ياء (عالم الغيب) الغائب عن الحس (والشهادة) الحاضر له (الكبير) العظيم الشان الذي لا يخرج عن علمه شئ (المتعال) المستعلي على كل شئ بقدرته أو الذي كبر عن نعت المخلوقين وتعالى عنه (سواء منكم من أسر القول) في نفسه (ومن جهر به) لغيره (ومن هو مستخف بالليل) طالب للخفاء في مختبأ بالليل (وسارب) بارز (بالنهار) يراه كل أحد من سرب سروبا اذا برز وهو عطف على من أو مستخف على أن من في معنى الاثنين كقوله * نكن مثل من ياذئب يصطحبان * كأنه قال سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار والآية متصلة بما قبلها مقررة لكمال علمه وشموله (له) لمن أسر أو جهر أو استخفى أو سرب (معقبات) ملائكة تعتقب في حفظه جمع معقبة من عقبه مبالغة عقبه اذا جاء على عقبه كأن بعضهم يعقب بعضا ولانهم يعقبون أقواله وأفعاله فيكتبونها أو اعتقب فادغمت التاء في القاف والتاء للمبالغة أو لان المراد بالمعقبات جماعات وقرئ

وسكون الثاء والمثلات بضم الميم وفتح الثاء (قوله فان التائب ليس على ظلمه) فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له (قوله ومن منع ذلك خص الظلم الخ) تقييد من غير دليل وعلى الثاني لزم ان يكون الله تعالى غافرا للكفار ولا يطلق هذا الاسم عليه تعالى بالنسبة الى الكفار (قوله أي حملها) فتكون ما مصدرية أو ما تحمله فتكون ما موصولة أو موصوفة (قوله تعين ان تكون ما مصدرية) اذ لو كانت موصولة أو موصوفة لزم خلو الجملة عن العائد الى ما اذ لا يمكن أن يقال التقدير وما تغيضه الارحام لان الكلام على تقدير ان يكون الفعل لازما فلا يكون له مفعول (قوله فانهما لله أو لما فيهما) فالاول على تقدير أن يكون الفعل متعديا والثاني على تقدير ان يكون لازما (قوله وهو عطف على من أو مستخف الخ) فعلى الاول يكون من مقدرا على قوله وسارب بالنهار حتى يكون المتصف بالصفتين المذكورتين شخصين ولذا قال في الاحتمال الثاني على ان يكون من في معنى الاثنين وانما اعتبر ذلك لان الاستواء لا بد ان يكون بين اثنين (قوله نكن مثل من ياذئب الخ) نداء وقع اعتراضا بين من وصلته أي نكن مثل رجلين يصطحبان (قوله والتاء للمبالغة أو لان المراد بالمعقبات) أراد ان المعقبات جمع معقبة

فثناء المعقبة اما الاجل المبالغة واما الاجل التأنيث باعتبار ان موصوفها الجماعة (قوله أومن الاعمال الخ) فيكون المعنى من عمل بين يديه وهو المقدم ومن عمل خلفه وهو المؤخر فيكون المعنى من أجل حفظ الاعمال ماقدم وما أخر (قوله الجلاوزة) جمع جلواز وهو الشرطي الذي يعمل بشرط أخذ شئ (قوله يحفظونه فى توهمه من قضاء الله) أي يحفظونه بزعمه لا انهم يحفظونه فى الواقع اذ لا حافظ عن قضاء الله بحسب الواقع (قوله والعامل

فى اذا مادل عليه الجواب) لايخفى ان المصدر الواقع فى الجزاء وهو المراد

معاقيب جمع معقب أو معقبة على تعويض الياء من حذف احدى القافين (من بين يديه ومن خلفه) من جوانبه أومن الاعمال ماقدم وأخر (يحفظونه من أمر الله) من بأسه متى أذنب بالاستمهال أوالاستغفار له أو يحفظونه من المضار أو يراقبون أحواله من أجل أمر الله تعالى وقد قرئ به وقيل من بمعنى الباء وقيل من أمر الله صفة ثانية لمعقبات وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه فى توهمه من قضاء الله تعالى (ان الله لايغير مابقوم) من العافية والنعمة (حتى يغيروا مابأنفسهم) من الاحوال الجميلة بالاحوال القبيحة (واذا أراد الله بقوم سوأ فلا مرد له) فلا راد له فالعامل فى اذا مادل عليه الجواب (ومالهم من دونه من وال) ممن يلى أمرهم فيدفع عنهم السوء وفيه دليل على أن خلاف مراد الله تعالى محال (هو الذى يريكم البرق خوفا) من أذاه (وطمعا) فى الغيث وانتصابهما على العلة بتقدير المضاف أى ارادة خوف وطمع أوالتأويل بالاخافة والاطماع أوالحال من البرق أوالمخاطبين على اضمار ذو أواطلاق المصدر بمعنى المفعول أوالفاعل للمبالغة وقيل يخاف المطر من يضره و يطمع فيه من ينفعه (و ينشئ السحاب) الغيم المنسحب فى الهواء (الثقال) وهو جمع ثقيلة وانما وصف به السحاب لانه اسم جنس فى معنى الجمع (و يسبح الرعد) و يسبح سامعوه (بحمده) ملتبسين به فيضجون بسبحان الله والحمد لله أو يدل الرعد بنفسه على وحدانية الله وكمال قدرته ملتبسا بالدلالة على فضله ونزول رحمته وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن الرعد فقال ملك موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب (والملائكة من خيفته) من خوف الله تعالى واجلاله وقيل الضمير للرعد (و يرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء) فيهلكه (وهم يجادلون فى الله) حيث يكذبون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يصفه به من كمال العلم والقدرة والتفرد بالالوهية واعادة الناس ومجازاتهم والجدال التشدد فى الخصومة من الجدل وهو الفتل والواو اما لعطف الجملة على الجملة أو للحال فانه روى أن عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة أخا لبيد وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قاصدين لقتله فاخذه عامر بالمجادلة ودار أربد من خلفه ليضربه بالسيف فتنبه له رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله على اربد صاعقة فقتلته ورمى عامرا بغدة فمات فى بيت سلولية وكان يقول غدة كغدة البعير وموت فى بيت سلولية فنزلت (وهو شديد المحال) المماحلة المكايدة لأعدائه من محل فلان بفلان اذا كايده وعرضه للهلاك ومنه تمحل اذا تكلف استعمال الحيلة ولعل أصله المحل بمعنى القحط وقيل فعال من المحل بمعنى القوة وقيل مفعل من الحول أوالحيلة أعل على غير قياس و يعضده أنه قرئ بفتح الميم على أنه مفعل من حال يحول اذا احتال و يجوز أن يكون بمعنى الفقار فيكون مثلا فى القوة والقدرة كقولهم ساعد الله أشد وموساه أحد (له دعوة الحق) الدعاء الحق فانه

صالح لان يكون عاملا فى اذا بفعله مادل عليه الجزاء عاملا لانفسه امالان معمول المصدر لا يتقدم وقد ذكرنا مرارا وذكرنا الجواب عنه ان بعض المحققين جوز تقديم معمول المصدر عليه اذا كان ظرفا واما لان مابعد الفاء لايعمل فيما قبلها وهو أيضا مردود بما ذكر العلامة التفتازانى فى حاشية الكشاف بانه منقوض بقوله تعالى وربك فكبر قال وهو كثير فى الكلام من غير خلاف فى ان المصدر مفعول الفعل (قوله وفيه دليل على ان خلاف مراد الله تعالى الخ) فان قلت مضمون الآية هو ان الله تعالى اذا أراد بقوم سوأ فيجب وقوعه وخلافه محال ولا يدل على ان كل ما أراد الله تعالى كذلك قلنا بل دل أنه لافرق بين ارادة السوء وارادة غيره فاذا كان ارادته السوء يستحيل رده فكذلك غيره (قوله

وانتصابهما الخ) أى انتصاب كل منهما كونه مفعولا له وانما وجب تقدير المضاف لانه شرط فى نصب المفعول الذى له ان يكون فعلا لفاعل الفعل المعلل (قوله أو يدل الرعد بنفسه) الوجه الذى ذكر أولا مجاز الحذف بان قدر مضاف هو السابقون وهذا مجاز فى الكلمة وهو يسبح حتى يكون بمعنى يدل لان تسبيح الله مستلزم للدلالة على كماله فى ذاته تعالى وصفاته فاستعمل التسبيح الذى هو الملزوم فى الدلالة التى هى اللازم والوجه الثالث وهو الذى يدل عليه حديث ابن عباس لامجاز فيه أصلا بل يكون التسبيح على حقيقته ولا تقدير أيضا (قوله كقولهم ساعد الله أشد وموساه أحد) الساعد مجاز عن القوة كما ان اليد مجاز عن القدرة والموسى عبارة عن شئ

الذى يحق أن يعبد ويدعى الى عبادته دون غيره أوله الدعوة المجابة فان من دعاه أجابه ويؤيده مابعده والحق على الوجهين ماينافض الباطل واضافة الدعوة اليه لما بينهما من الملابسة أو على تأويل دعوة المدعو الحق وقيل الحق هو الله تعالى وكل دعاء اليه دعوة الحق والمراد بالجملتين ان كانت الآية فى أربد وعامر أن اهلاكهما من حيث لم يشعرا به محال من الله اجابة لدعوة رسوله صلى الله عليه وسلم أو دلالة على أنه على الحق وان كانت عامة فالمراد وعيد الكفرة على مجادلة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحلول محاله بهم وتهديدهم باجابة دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم عليهم أو بيان ضلالهم وفساد رأيهم (والذين يدعون) أى والاصنام الذين يدعوهم المشركون فحذف الراجع أو والمشركون الذين يدعون الاصنام فحذف المفعول لدلالة (من دونه) عليه (لايستجيبون لهم بشئ) من الطلبات (الا كباسط كفيه) الا استجابة كاستجابة من بسط كفيه (الى الماء ليبلغ فاه) يطلب منه أن يبلغه (وماهو ببالغه) لانه جماد لايشعر بدعائه ولا يقدر على اجابته والاتيان بغير ماجبل عليه وكذلك آلهتهم وقيل شبهوا فى قلة جدوى دعائهم لها بمن أراد أن يغترف الماء ليشرب به فبسط كفيه ليشرب به وقرئ تدعون بالتاء و باسط بالتنوين (ومادعاء الكافرين الا فى ضلال) فى ضياع وخسار و باطل (ولله يسجد من فى السموات والارض طوعا وكرها) يحتمل أن يكون السجود على حقيقته فانه يسجد له الملائكة والمؤمنون من الثقلين طوعا حالتى الشدة والرخاء والكفرة كرها حال الشدة والضرورة (وظلالهم) بالعرض وأن يراد به انقيادهم لاحداث ماأراده منهم شاؤا أو كرهوا وانقياد ظلالهم لتصريفه اياها بالمد والتقليص وانتصاب طوعا وكرها بالحال أو العلة وقوله (بالغدو والآصال) ظرف ليسجد والمراد بهما الدوام أو حال من الظلال وتخصيص الوقتين لان الظلال انما تعظم وتكثر فيهما والغدو جمع غداة كقنى جمع قناة والآصال جمع أصيل وهو مابين العصر والمغرب وقيل الغدو مصدر ويؤيده أنه قد قرئ والايصال وهو الدخول فى الاصيل (قل من رب السموات والارض) خالقهما ومتولى أمرهما (قل الله) أجب عنهم بذلك اذ لاجواب لهم سواه ولانه البين الذى لايمكن المراء فيه أو لقنهم الجواب به (قل أفاتخذتم من دونه) ثم ألزمهم بذلك لان اتخاذهم منكر بعيد عن مقتضى العقل (أولياء لايملكون لأنفسهم نفعا ولاضرا) لايقدرون على أن يجلبوا اليها نفعا أو يدفعوا عنها ضرا فكيف يستطيعون انفاع الغير ودفع الضر عنه وهو دليل ثان على ضلالهم وفساد رأيهم فى اتخاذهم أولياء رجاء أن يشفعوا لهم (قل هل يستوى الأعمى والبصير) المشرك الجاهل بحقيقة العبادة والموجب لها والموحد العالم بذلك وقيل المعبود الغافل عنكم والمعبود المطلع على أحوالكم (أم هل تستوى الظلمات والنور) الشرك والتوحيد وقرأ حمزة والكسائى وأبو بكر بالياء (أم جعلوا لله شركاء) بل أجعلوا والهمزة للانكار وقوله (خلقوا كخلقه) صفة لشركاء داخلة فى حكم الانكار (فتشابه الخلق عليهم) خلق الله وخلقهم والمعنى أنهم مااتخذوا لله شركاء خالقين مثله حتى يتشابه عليهم الخلق فيقولوا هؤلاء خلقوا كما خلق الله فاستحقوا العبادة كما استحقها ولكنهم اتخذوا

دعائهم الخ) أى شبهوا بمن أراد أن يغترف الماء ليشرب به فبسط كفيه ولم تلق كفاه أصلا قال العلامة الطيبى الوجه الاول أنهما من التشبيه التمثيلى فشبه حالة عدم استجابة الاصنام دعاءهم وانهم لم يفوزوا من دعائهم الاصنام بالاجابة والنفع بحالة عدم استجابة الماء لمن بسط كفيه اليه يطلب منه ان يبلغ فاه والوجه عدم استطاعته اجابة الدعاء مع العجز عن ايصال النفع وهو كماترى منتزع من عدة أمور والوجه الثانى انهما من التشبيه الغير المركب العقلى شبهوا فى عدم انتفاعهم بدعاء آلهتهم بشخص يروم من الماء الشرب ويفعل مالايحصل منه على شئ والوجه قلة جدوى توجد المطلوب (قوله وانتصاب طوعا وكرها بالحال او العلة) فان قيل لا يصلح كرها مفعولا له ليسجد لانه ليس بعلة للسجود لان كراهة الشئ ليست علة لحصوله قلنا هذا اذا كان الكره بمعنى الكراهة اما اذا كان بمعنى الشدة والضرورة فيكون علة للسجود لان الشدة العارضة للشخص توجب عليه غاية التواضع (قوله والمراد بهما الدوام) أى المراد من السجود فى هذين الوقتين السجود فى جميع الازمان وهذا على تقدير ان يكون السجود محمولا على المعنى المجازى (قوله لان الامتداد والتقلص فيهما أظهر) المراد من التقلص النقصان فيكون المعنى الامتداد فى الآصال أظهر والتقلص فى الغدو أظهر اما الاول فلان فى الاصيل يزيد الظل فى زمان قصير قدرا كثيرا واما الثانى فلان نقصانه فى الغداة فى زمان قليل كثير

شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا عما يقدر عليه الخالق (قل الله خالق كل شئ) أى لا خالق غيره فيشاركه فى العبادة جعل الخلق موجب العبادة ولازم استحقاقها ثم نفاه عمن سواه ليدل على قوله (وهو الواحد) المتوحد بالالوهية (القهار) الغالب على كل شئ (أنزل من السماء ماء) من السحاب أو من جانب السماء أو من السماء نفسها فان المبادئ منها (فسالت أودية) أنهار جمع واد وهو الموضع الذى يسيل الماء فيه بكثرة فاتسع فيه واستعمل للماء الجارى فيه وتنكيرها لان المطر يأتى على تناوب بين البقاع (بقدرها) بمقدارها الذى علم الله تعالى أنه نافع غير ضار او بمقدارها فى الصغر والكبر (فاحتمل السيل زبدا) رفعه والزبد وضر الغليان (رابيا) عاليا (ومما توقدون عليه فى النار) يعم الفلزات كالذهب والفضة والحديد والنحاس على وجه التهاون بها اظهارا لكبريائه (ابتغاء حلية) أى طلب حلى (أو متاع) كالاوانى وآلات الحرب والحرث والمقصود من ذلك بيان منافعها (زبد مثله) أى ومما يوقدون عليه زبد مثل زبد الماء وهو خبثه ومن للابتداء أو للتبعيض وقرأ حمزة والكسائى وحفص بالياء على أن الضمير للناس واضماره للعلم به (كذلك يضرب الله الحق والباطل) مثل الحق والباطل فانه مثل الحق فى افادته وثباته بالماء الذى ينزل من السماء فتسيل به الاودية على قدر الحاجة والمصلحة فينتفع به أنواع المنافع ويمكث فى الارض بان يثبت بعضه فى مناقعه ويسلك بعضه فى عروق الارض الى العيون والقنى والآبار وبالفلز الذى ينتفع به فى صوغ الحلى واتخاذ الامتعة المختلفة ويدوم ذلك مدة متطاولة والباطل فى قلة نفعه وسرعة زواله بزبدهما وبين ذلك بقوله (فأما الزبد فيذهب جفاء) يجفأ به أى يرمى به السيل والفلز المذاب وانتصابه على الحال وقرئ جفالا والمعنى واحد (وأما ما ينفع الناس) كالماء وخلاصة الفلز (فيمكث فى الارض) ينتفع به أهلها (كذلك يضرب الله الامثال) لايضاح المشتبهات (للذين استجابوا) للمؤمنين الذين استجابوا (لربهم الحسنى) الاستجابة الحسنى (والذين لم يستجيبوا له) وهم الكفرة واللام متعلقة بيضرب على أنه جعل ضرب المثل لشان الفريقين ضرب المثل لهما وقيل للذين استجابوا خبر الحسنى وهى المثوبة أو الجنة والذين لم يستجيبوا مبتدأ خبره (لو أن لهم ما فى الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به) وهو على الاول كلام مبتدأ لبيان مآل غير المستجيبين (أولئك لهم سوء الحساب) وهو المناقشة فيه بان يحاسب الرجل بذنبه لا يغفر منه شئ (ومأواهم) مرجعهم (جهنم وبئس المهاد) المستقر والمخصوص بالذم محذوف (أفمن يعلم انما أنزل اليك من ربك الحق) فيستجيب (كمن هو أعمى) عمى القلب لا يستبصر فيستجيب والهمزة للانكار أن تقع شبهة فى تشابههما بعد ما ضرب من المثل (انما يتذكر أولو الالباب) ذوو العقول المبرأة عن مشايعة الالف ومعارضة الوهم (الذين يوفون بعهد الله) ما عقدوه على أنفسهم من الاعتراف بربوبيته حين قالوا بلى أو ما عهد الله تعالى عليهم فى كتبه (ولا ينقضون الميثاق) ما وثقوه من المواثيق بينهم وبين الله تعالى وبين العباد وهو تعميم بعد تخصيص (والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل) من الرحم وموالاة المؤمنين والايمان بجميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام ويندرج فى ذلك مراعاة جميع حقوق الناس (ويخشون ربهم) وعيده عموما (ويخافون سوء الحساب) خصوصا فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا (والذين صبروا) على ما تكرهه النفس ويخالفه الهوى (ابتغاء وجه ربهم) طلبا لرضاه لا لجزاء وسمعة ونحوهما (وأقاموا الصلوة) المفروضة (وأنفقوا مما رزقناهم) بعضه الذى وجب عليهم انفاقه (سرا) لمن لم يعرف بالمال (وعلانية) لمن عرف به (ويدرؤن بالحسنة السيئة) ويدفعونها بها فيجازون الاساءة بالاحسان

(قوله أو من جانب السماء أو من السماء نفسها فان المبادئ منها) أى لما كان مبادئ الماء من جانب السماء فانه يحصل بارتفاع الأبخرة الحاصلة من حركات الكواكب على طريق العادة (قوله واتسع فيه الخ) أى تجوز فيه فاطلق اسم الوادى الذى هو المحل على الحال الذى هو الماء (قوله لان المطر يأتى على تناوب بين البقاع) أى ليس سيل جميع الأودية فى زمان واحد بل بعض فى بقعة فى زمان وبعض فى زمان آخر فى بقعة أخرى (قوله على وجه التهاون اظهارا لكبريائه) أى ما ذكر الفلزات بل ذكرها بوصف نازل هو ايقاد النار عليه اظهارا لكبريائه باعتبار أن ما هو أشرف الامور الدنيوية عند أكثر الخلق فهو خسيس عند الله تعالى (قوله يجفأ به) أى يجفاء السيل وهو رميه به

أو يتبعون السيئة الحسنة فتمحوها (أولئك لهم عقبى الدار) عاقبة الدنيا وما ينبغي أن يكون مآل أهلها وهي الجنة والجملة خبر الموصولات ان رفعت بالابتداء وان جعلت صفات لأولي الالباب فاستئناف بذكر ما استوجبوا بتلك الصفات (جنات عدن) بدل من عقبى الدار أو مبتدأ خبره (يدخلونها) والعدن الاقامة أي جنات يقيمون فيها وقيل هو بطنان الجنة (ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم) عطف على المرفوع في يدخلون وانما ساغ للفصل بالضمير الآخر أو مفعول معه والمعنى أنه يلحق بهم من صلح من أهلهم وان لم يبلغ مبلغ فضلهم تبعا لهم وتعظيما لشأنهم وهو دليل على أن الدرجة تعلو بالشفاعة أو أن الموصوفين بتلك الصفات يقرن بعضهم ببعض لما بينهم من القرابة والوصلة في دخول الجنة زيادة في أنسهم وفي التقييد بالصلاح دلالة على أن مجرد الانساب لا تنفع (والملائكة يدخلون عليهم من كل باب) من أبواب المنازل أو من أبواب الفتوح والتحف قائلين (سلام عليكم) بشارة بدوام السلامة (بما صبرتم) متعلق بعليكم أو بمحذوف أي هذا بما صبرتم لا بسلام فان الخبر فاصل والباء للسببية أو للبدلية (فنعم عقبى الدار) وقرئ فنعم بفتح النون والاصل نعم فسكن العين بنقل كسرتها الى الفاء وبغيره (والذين ينقضون عهد الله) يعني مقابلي الاولين (من بعد ميثاقه) من بعد ما أوثقوه به من الاقرار والقبول (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الارض) بالظلم وتهييج الفتن (أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار) عذاب جهنم أو سوء عاقبة الدنيا لانه في مقابلة عقبى الدار (الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) يوسعه ويضيقه (وفرحوا) أي أهل مكة (بالحيوة الدنيا) بما بسط لهم في الدنيا (وما الحيوة الدنيا في الآخرة) أي في جنب الآخرة (الا متاع) الامتعة لا تدوم كعجالة الراكب وزاد الراعي والمعنى انهم أشروا بما نالوا من الدنيا ولم يصرفوه فيما يستوجبون به نعيم الآخرة واغتروا بما هو في جنبه نزر قليل النفع سريع الزوال (ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه قل ان الله يضل من يشاء) باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات (ويهدي اليه من أناب) أقبل الى الحق ورجع عن العناد وهو جواب يجري مجرى التعجب من قولهم كانه قال قل لهم ما أعظم عنادكم ان الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم فلا سبيل الى اهتدائهم وان أنزلت كل آية ويهدي اليه من أناب بما جئت به بل بأدنى منه من الآيات (الذين آمنوا) بدل من من أو خبر مبتدأ محذوف (وتطمئن قلوبهم بذكر الله) أنسا به واعتمادا عليه ورجاء منه أو بذكر رحمته بعد القلق من خشيته أو بذكر دلائله الدالة على وجوده ووحدانيته أو بكلامه يعني القرآن الذي هو أقوى المعجزات (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) تسكن اليه (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) مبتدأ خبره (طوبى لهم) وهو فعلى من الطيب قلبت ياؤه واوا لضمة ما قبلها مصدر لطاب كبشرى وزلفى ويجوز فيه الرفع والنصب ولذلك قرئ (وحسن مآب) بالنصب (كذلك) مثل ذلك يعني ارسال الرسل قبلك (أرسلناك في أمة قد خلت من قبلها) تقدمتها (أمم) أرسلوا اليهم فليس ببدع ارسالك اليهم (لتتلو عليهم الذي أوحينا اليك) لتقرأ عليهم الكتاب الذي أوحيناه اليك (وهم يكفرون بالرحمن) وحالهم أنهم يكفرون بالبليغ الرحمة الذي أحاطت بهم نعمته ووسعت كل شيء رحمته فلم يشكروا نعمه وخصوصا ما أنعم عليهم بارسالك اليهم وانزال القرآن الذي هو مناط المنافع الدينية والدنياوية عليهم وقيل نزلت في مشركي أهل مكة حين قيل لهم اسجدوا للرحمن فقالوا وما الرحمن (قل هو ربي) أي الرحمن خالقي ومتولي أمري (لا اله الا هو) لا مستحق للعبادة سواه (عليه توكلت) في نصرتي عليكم (واليه متاب) مرجعي ومرجعكم

(قوله وهو دليل على أن الدرجة تعلو بالشفاعة) يعني اذا كان المراد ما ذكر وهو انه لحق بهم من صلح من أهليهم الخ فهو يفيد ان الشفاعة توجب رفع الدرجة واما المعنى الآخر فهو لا يفيد ذلك اذ المعنى انهم يدخلون الجنة مع هؤلاء لا بسببهم وشفاعتهم بل بسبب أعمالهم لكن مصاحبتهم معهم بسبب قرابة (قوله لا بسلام فان الخبر فاصل) أي لا يتعلق بما صبرتم بسلام لوجود الفاصل بينهما وهو عليكم وهذا خلاف ما قاله صاحب الكشاف فانه قال يجوز ان يتعلق بما صبرتم بسلام أي يسلم عليكم ويكرمكم بصبركم وما قاله المصنف هو المشهور بين النحاة لان المصدر في حكم ان مع الفعل والفصل بين بعض الصلة وبعضها لا يجوز وقال الرضي أنا لا أرى منعا من ذلك وليس كل ما أول بشيء بكلمة حكم ما أول به فلا منع من تأويله بالحرف المصدري من جهة المعنى مع انه لا يلزمه أحكامه وكلام صاحب الكشاف يؤيد ما ذكره الرضي (قوله يجوز فيه الرفع والنصب) الرفع بانه مبتدأ ولهم خبره أو خبر ولهم صلة والنصب بانه مفعول فعل مقدر وهو طابوا

(قوله حين ما قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن) فالمعنى يكفرون باطلاق هذا الاسم عليه تعالى أي ينكرون اطلاقه عليه

(قوله وتذكيركلم خاصة) أى تذكيره دون قطعت وسيرت (قوله وهو اضراب عما تضمنته لو من معنى النفى) اذ يفهم منها انه لم يوجد قرآن كذلك فكأنه قيل لم يوجد قرآن سيرت به الجبال الخ بل لله الأمر جميعا بمعنى الاضراب عن المقدر المذكور لكن لا يخفى ان الملائم للاضراب ان يكون الجواب المقدر لما آمنوا حتى يكون المعنى ولو وجد قرآن بالوصف المذكور لما آمنوا أى ليس القرآن المذكور موجبا لايمانهم بل لله الامر جميعا فايمانهم منوط بارادته ويؤيد ذلك ماسيجيء من قوله أفلم ييأس الذين آمنوا من ايمانهم ونعم ماقال بعضهم من انه معطوف على محذوف تقديره ليس لك من الأمر شئ بل لله الأمر جميعا (قوله فان الميؤس عنه لا يكون الا معلوما) لان اليأس عن حصول الشئ لا يكون الا بعد العلم به لان اليأس عنه هو اعتقاد عدم حصوله (قوله فان معناه نفى هدى بعض الناس الخ) فان قلت لا يلزم من نفى هدى بعض الناس اليأس من ايمان المشركين المذكورين اذ يجوز ان يكون البعض المذكور غيرهم قلنا المراد من الناس المذكورين فى هذا الموضع المشركون المذكورون بقرينة ان نزول الآية المذكورة فيهم لا مطلق الناس فيفهم من الكلام ان ايمان بعض هؤلاء المشركين غير مراد (قوله ملاوة) قال فى الصحاح أقمت بهذه ملاوة وملاءة أى حينا و برهة (قوله استئناف أوعطف) قيل الاستئناف لا يكون بالواو فكيف جعل وجعلوا لله شركاء استئنافا قلنا الاستئناف على نوعين أحدهما ويكون المعتبر عند النحاة ما يكون مسبوقا بواو الاستئناف بان يكون كلاما مستقلا (قوله أولم يوحدوه وجعلوا عطف عليه الخ) يعنى العطف يحتمل وجهين أحدهما أن يكون جعلوا عطفا على كسبت بان يكون بمعنى الكسب وجعل بمعنى الجعل عطف المصدر على المصدر حقيقة أو يكون ههنا جملة مقدرة وهى لم يوحدوه ويكون جعلوا له شركاء للتنبيه على ان الالوهية موجب لاستحقاق العبادة وأيضا للنداء على فساد ما كلهم بانهم جعلوا الجماد شركاء للذات المقدسة الجامعة لجميع الكمالات

(ولو أن قرآنا سيرت به الجبال) شرط حذف جوابه والمراد منه تعظيم شأن القرآن أو المبالغة فى عناد الكفرة وتصميمهم أى ولو أن كتابا زعزعت به الجبال عن مقارها (أو قطعت به الارض) تصدعت من خشية الله عند قراءته أو شققت فجعلت أنهارا وعيونا (أو كلم به الموتى) فتسمع فتقرؤه أو فتسمع وتجيب عند قراءته لكان هذا القرآن لانه الغاية فى الاعجاز والنهاية فى التذكير والانذار أو لما آمنوا به كقوله ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة الآية وقيل ان قريشا قالوا يا محمد ان سرك أن نتبعك فسير بقرآنك الجبال عن مكة حتى تتسع لنا فنتخذ فيها بساتين وقطائع أو سخر لنا به الريح لنركبها ونتجر الى الشام أو ابعث لنا به قصى بن كلاب وغيره من آبائنا ليكلمونا فيك فنزلت وعلى هذا فتقطيع الارض قطعها بالسير وقيل الجواب مقدم وهو قوله وهم يكفرون بالرحمن وما بينهما اعتراض وتذكير كلم خاصة لاشتمال الموتى على المذكر الحقيقى (بل لله الامر جميعا) بل لله القدرة على كل شئ وهو اضراب عما تضمنته لو من معنى النفى أى بل الله قادر على الاتيان بما اقترحوه من الآيات الا أن ارادته لم تتعلق بذلك لعلمه بأنه لا تلين له شكيمتهم ويؤيد ذلك قوله (أفلم ييأس الذين آمنوا) عن ايمانهم مع ما رأوا من أحوالهم وذهب أكثرهم الى أن معناه أفلم يعلم لما روى أن عليا وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين قرؤا أفلم يتبين وهو تفسيره وانما استعمل اليأس بمعنى العلم لانه مسبب عن العلم فان الميؤس عنه لا يكون الا معلوما ولذلك علقه بقوله (أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا) فان معناه نفى هدى بعض الناس لعدم تعلق المشيئة باهتدائهم وهو على الاول متعلق بمحذوف تقديره أفلم ييأس الذين آمنوا عن ايمانهم علما منهم أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا أو بآمنوا (ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا) من الكفر وسوء الاعمال (قارعة) داهية تقرعهم وتقلقلهم (أو تحل قريبا من دارهم) فيفزعون منها ويتطاير اليهم شررها وقيل الآية فى كفار مكة فانهم لا يزالون مصابين بما صنعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فانه عليه الصلاة والسلام كان لا يزال يبعث السرايا عليهم فتغير حواليهم وتختطف مواشيهم وعلى هذا يجوز أن يكون تحل خطابا للرسول عليه الصلاة والسلام فانه حل بجيشه قريبا من دارهم عام الحديبية (حتى يأتى وعد الله) الموت أو القيامة أو فتح مكة (ان الله لا يخلف الميعاد) لامتناع الكذب فى كلامه (ولقد استهزئ برسل من قبلك فامليت للذين كفروا) تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد للمستهزئين به والمقترحين عليه والاملاء أن يترك ملاوة من الزمان فى دعة وأمن (ثم أخذتهم فكيف كان عقاب) أى عقابى اياهم (أفمن هو قائم على كل نفس) رقيب عليها (بما كسبت) من خير أو شر لا يخفى عليه شئ من أعمالهم ولا يفوت عنده شئ من جزائهم والخبر محذوف تقديره كمن ليس كذلك (وجعلوا لله شركاء) استئناف أو عطف على كسبت ان جعلت ما مصدرية أو لم يوحدوه وجعلوا عطف عليه

(قوله وهذا احتجاج بليغ الخ) فقوله تعالى أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت حجة على نفي الشريك لانه ليس كذلك وقوله تعالى قل سموهم احتجاج آخر اذ يدل على ان ليس للشركاء صفة يستحقون بها العبادة والتسمية بالاله وقوله تعالى أم تنبئونه بما لا يعلم في الارض حجة ثالثة على نفي الشريك لانه ليس كذلك اذ لو كان لعلمه الله لان علمه

محيط بالاشياء وقوله تعالى أم بظاهر من

ويكون الظاهر فيه موضع الضمير للتنبيه على أنه المستحق للعبادة وقوله (قل سموهم) تنبيه على أن هؤلاء الشركاء لا يستحقونها والمعنى صفوهم فانظروا هل لهم ما يستحقون به العبادة ويستأهلون الشركة (أم تنبؤنه) بل أتنبؤنه وقرئ تنبؤنه بالتخفيف (بما لا يعلم في الارض) بشركاء يستحقون العبادة لا يعلمهم أو بصفات لهم يستحقونها لاجلها لا يعلمها وهو العالم بكل شئ (أم بظاهر من القول) أم تسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير حقيقة واعتبار معنى كتسمية الزنجي كافورا وهذا احتجاج بليغ على أسلوب عجيب ينادى على نفسه بالاعجاز (بل زين للذين كفروا مكرهم) تمويههم فتخيلوا أباطيل ثم خالوها حقا أو كيدهم للاسلام بشركهم (وصدوا عن السبيل) سبيل الحق وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وصدوا بالفتح أي وصدوا الناس عن الايمان وقرئ بالكسر وصد بالتنوين (ومن يضلل الله) يخذله (فما له من هاد) يوفقه للهدى (لهم عذاب في الحياة الدنيا) بالقتل والاسر وسائر ما يصيبهم من المصائب (ولعذاب الآخرة أشق) لشدته ودوامه (وما لهم من الله) من عذابه أو من رحمته (من واق) حافظ (مثل الجنة التي وعد المتقون) صفتها التي هي مثل في الغرابة وهو مبتدأ خبره محذوف عند سيبويه أي فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وقيل خبره (تجري من تحتها الانهار) على طريقة قولك صفة زيد أسمر أو على حذف موصوف أي مثل الجنة جنة تجري من تحتها الانهار أو على زيادة المثل وهو على قول سيبويه حال من العائد المحذوف أو من الصلة (أكلها دائم) لا ينقطع ثمرها (وظلها) أي وظلها كذلك لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس (تلك) أي الجنة الموصوفة (عقبى الذين اتقوا) مآلهم ومنتهى أمرهم (وعقبى الكافرين النار) لا غير وفي ترتيب النظمين اطماع للمتقين واقناط للكافرين (والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك) يعني المسلمين من أهل الكتاب كابن سلام وأصحابه ومن آمن من النصارى وهم ثمانون رجلا أربعون بنجران وثمانية باليمن واثنان وثلاثون بالحبشة أو عامتهم فانهم كانوا يفرحون بما يوافق كتبهم (ومن الاحزاب) يعني كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة ككعب بن الاشرف وأصحابه والسيد والعاقب وأشياعهما (من ينكر بعضه) وهو ما يخالف شرائعهم أو ما يوافق ما حرفوه منها (قل انما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به) جواب للمنكرين أي قل لهم اني أمرت فيما أنزل الي بان أعبد الله وأوحده وهو العمدة في الدين ولا سبيل لكم الى انكاره وأما ما تنكرونه لما يخالف شرائعكم فليس ببدع مخالفة الشرائع والكتب الالهية في جزئيات الاحكام وقرئ ولا أشرك بالرفع على الاستئناف (اليه أدعو) لا الى غيره (واليه مآب) واليه مرجعي للجزاء لا الى غيره وهذا هو القدر المتفق عليه بين الانبياء وأما ما عدا ذلك من التفاريع فمما يختلف بالاعصار والامم فلا معنى لانكاركم المخالفة فيه (وكذلك) ومثل ذلك الانزال المشتمل على أصول الديانات المجمع عليها (أنزلناه حكما) يحكم في القضايا والوقائع بما تقتضيه الحكمة (عربيا) مترجما بلسان العرب ليسهل لهم فهمه وحفظه وانتصابه على الحال (ولئن

القول حجة رابعة اذ معناه ان أخذهم الشركاء ليس بما له حقيقة بل مجرد أمر ظاهر خال عن المعنى وايراده هذه الحجج بهذه العبارات الوجيزة من أعجب الاساليب (قوله فتخيلوا أباطيل) أي تكلفوا وسعوا في حصول أباطيل في خيالهم حتى حصلت فيه (قوله وهو على قول سيبويه حال الخ) اذا كان مثل الجنة مبتدأ خبره محذوف يكون تجري من تحتها الانهار حالا من الضمير المحذوف العائد الى الموصول أي مثل الجنة التي وعدها المتقون حال كونها تجري من تحتها الانهار والاولى ان يقال ان الجملة استئناف فكأن سائلا قال ما حال تلك الجنة فأجيب تجري من تحتها الانهار (قوله أي مثل الجنة) فيكون المثل بمعنى المثل (قوله على طريق قولك صفة زيد أسمر الخ) فان المراد منه ان صفته هو الاسمر بعينه لان الاسمر صادق عليها كما يقال ان زيدا أسمر

والمراد ان حال الجنة هو بعينه مفهوم تجري من تحتها الانهار لا أن تجري من تحتها الانهار صادق على حال الجنة (قوله وفي ترتيب النظمين) أي في ذكر تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار بعد قوله تعالى مثل الجنة الاطماع والاقناط المذكوران اذ يفهم من تلك عقبى الذين اتقوا مع المقابل الآخر ان الجنة للذين اتقوا دون الكافرين وان النار عقبى لهم دون الذين اتقوا (قوله وانتصابه على الحال) يدل على ان عربيا حال لكن حكما حال وعربيا صفته وقد صرح

اتبعت أهواءهم) التى يدعونك اليها كتقرير دينهم والصلاة الى قبلتهم بعدما حولت عنها (بعد ماجاءك من العلم) بنسخ ذلك (مالك من الله من ولى ولاواق) ينصرك و يمنع العقاب عنك وهو حسم لاطماعهم وتهييج للمؤمنين على الثبات فى دينهم (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك) بشرا مثلك (وجعلنا لهم أزواجا وذرية) نساء وأولادا كما هى لك (وما كان لرسول) وماصح له ولم يكن فى وسعه (أن يأتى بآية) تقترح عليه وحكم يلتمس منه (الاباذن الله) فانه الملى بذلك (لكل أجل كتاب) لكل وقت وأمد حكم يكتب على العباد على مايقتضيه استصلاحهم (يمحوالله مايشاء) ينسخ مايستصوب نسخه (و يثبت) ماتقتضيه حكمته وقيل يمحو سيآت التائب و يثبت الحسنات مكانها وقيل يمحو من كتاب الحفظة مالايتعلق به جزاء و يترك غيره مثبتا أو يثبت مارآه وحده فى صميم قلبه وقيل يمحو قرنا و يثبت آخرين وقيل يمحوالفاسدات و يثبت الكائنات وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائى و يثبت بالتشديد (وعنده أم الكتاب) أصل الكتب وهو اللوح المحفوظ اذ مامن كائن الا وهو مكتوب فيه (واما نرينك بعض الذى نعدهم أو نتوفينك) وكيفما دارت الحال أريناك بعض ماوعدناهم أو توفيناك قبله (فانما عليك البلاغ) لاغير (وعلينا الحساب) للمجازاة لاعليك فلاتحتفل باعراضهم ولاتستعجل بعذابهم فانافاعلون له وهذا طلائعه (أولم يروا أنانأتى الارض) أرض الكفرة (ننقصها من أطرافها) بما نفتحه على المسلمين منها (والله يحكم لامعقب لحكمه) لاراد له وحقيقته الذى يعقب الشئ بالابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفو غريمه بالاقتضاء والمعنى انه حكم للاسلام بالاقبال وعلى الكفر بالادبار وذلك كائن لايمكن تغييره ومحل لامع المنفى النصب على الحال أى يحكم نافذا حكمه (وهو سريع الحساب) فيحاسبهم عما قليل فى الآخرة بعدماعذبهم بالقتل والاجلاء فى الدنيا (وقد مكر الذين من قبلهم) بانبيائهم والمؤمنين منهم (فلله المكر جميعا) اذ لايؤبه بمكر دون مكره فانه القادر على ماهو المقصود منه دون غيره (يعلم ماتكسب كل نفس) فيعد جزاءها (وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار) من الحزبين حيثما يأتيهم العذاب المعد لهم وهم فى غفلة منه وهذا كالتفسير لمكر الله تعالى بهم واللام تدل على أن المراد بالعقبى العاقبة المحمودة مع مافى الاضافة الى الدار كما عرفت وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو الكافر على ارادة الجنس وقرئ الكافرون والذين كفروا والكفر أى أهله وسيعلم من أعلمه اذا أخبره (ويقول الذين كفروا لست مرسلا) قيل المراد بهم رؤساء اليهود (قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم) فانه أظهر من الادلة على رسالتى مايغنى عن شاهد يشهد عليها (ومن عنده علم الكتاب) علم القرآن وما ألف عليه من النظم المعجز أو علم التوراة وهو ابن سلام وأضرابه أو علم اللوح المحفوظ وهو الله تعالى أى كفى بالذى يستحق العبادة و بالذى لايعلم مافى اللوح المحفوظ الاهو شهيدا بيننا فيخزى الكاذب منا و يؤيده قراءة من قرأ ومن عنده بالكسر وعلم الكتاب وعلى الاول مرتفع بالظرف فانه معتمد على الموصول و يجوز أن يكون مبتدأ والظرف خبره وهو متعين على الثانى وقرئ ومن عنده علم الكتاب على الحرف والبناء للمفعول *عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرعد أعطى من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيامة و بعث يوم القيامة من الموفين بعهد الله

﴿سورة ابراهيم عليه السلام مكية وهى اثنتان وخمسون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الر كتاب) أى هو كتاب (أنزلناه اليك لتخرج الناس) بدعائك اياهم الى ماتضمنه (من

صاحب الكشاف بان حكما عربيا حال لكن فى كلام المصنف اشارة الى ان الحال فى الحقيقة هو عربيا كما صرحوا فى قوله تعالى قرآنا عربيا (قوله وهذا طلائعه) أى الاخبار بان علينا الحساب طليعة العذاب أى مقدمته اذ هو مخبر عنه (قوله لانه يقفو غريمه بالاقتضاء) أى يعقب غريمه ملتبسا بالتقاضى (قوله اذ لايؤبه) أى لايبالى ولا يعتبر (قوله واللام تدل على ان المراد بالعقبى الخ) لان اللام للنفع (قوله و يؤيده قراءة من قرأ ومن عنده) أى قراءة من عنده الذى هو من الحروف الجارة والتأييد لاجل ان الذى حصل من عنده علم الكتاب هو الله تعالى يؤيد قول من قال من بفتح الميم عبارة عن الله (قوله وهو مبين للثانية) أى كون الظرف خبرا وعلم الكتاب مبتدأ مبين للقراءة الثانية وهى قراءة من بالكسر اذ لا يصح أن يجعل فاعلا للظرف اذ لااعتماد له على هذا التقدير

﴿سورة ابراهيم﴾

(قوله بدعائك اياهم الى ماتضمنه) أى الى ماتضمنه الكتاب

(قوله تسهيل الحجاب) أى تسهيل ما تعذر وفيه ان اللازم مماذكر استعمال المقيد الذى هو الاذن بمعنى تسهيل الحجاب فى المطلق فيكون مجازا مرسلا لا استعارة (قوله أو حال من فاعله أو مفعوله) فعلى الاول يكون التقدير ليخرج الناس ملتبسا باذن ربهم وعلى الثانى ملتبسين به (قوله أو استئناف) كان سائلا قال الى أى نور الاخراج فقيل الى صراط العزيز الحميد (قوله وتخصيص الوصفين بالذكر) اما عدم اذلال السالك فلان العزة والغلبة تناسب اعزاز من قصد السلوك فى سبيله واما عدم التخييب فلان الحميد

(الظلمات) من أنواع الضلال (الى النور) الى الهدى (باذن ربهم) بتوفيقه وتسهيله مستعار من الاذن الذى هو تسهيل الحجاب وهو صلة لتخرج أو حال من فاعله أو مفعوله (الى صراط العزيز الحميد) بدل من قوله الى النور بتكرير العامل أو استئناف على أنه جواب لمن يسأل عنه واضافة الصراط الى الله تعالى اما لانه مقصده أو المظهر له وتخصيص الوصفين للتنبيه على أنه لا يذل سالكه ولا يخيب سابله (الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض) على قراءة نافع وابن عامر مبتدأ وخبر أو الله خبر مبتدا محذوف والذى صفته وعلى قراءة الباقين عطف بيان للعزيز لانه كالعلم لاختصاصه بالمعبود على الحق (وويل للكافرين من عذاب شديد) وعيد لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات الى النور والويل نقيض الوأل وهو النجاة وأصله النصب لانه مصدر الا أنه لم يشتق منه فعل لكنه رفع لافادة الثبات (الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة) يختارونها عليها فان المختار للشئ يطلب من نفسه أن يكون أحب اليها من غيره (ويصدون عن سبيل الله) بتعويق الناس عن الايمان وقرئ ويصدون من أصده وهو منقول من صد صدودا اذا تنكب وليس فصيحا لان فى صده مندوحة عن تكلف التعدية بالهمزة (ويبغونها عوجا) ويبغون لها زيغا ونكوبا عن الحق ليقدحوا فيه فحذف الجار وأوصل الفعل الى الضمير والموصول بصلته يحتمل الجر صفة للكافرين والنصب على الذم والرفع عليه أو على أنه مبتدأ خبره (أولئك فى ضلال بعيد) أى ضلوا عن الحق ووقعوا عنه بمراحل والبعد فى الحقيقة للضال فوصف به فعله للمبالغة أو للامر الذى به الضلال فوصف به لملابسته (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه) الا بلغة قومه الذى هو منهم وبعث فيهم (ليبين لهم) ما أمروا به فيفقهوه عنه بيسر وسرعة ثم ينقلوه ويترجموه الى غيرهم فانهم أولى الناس اليه بان يدعوهم وأحق بان ينذرهم ولذلك أمر النبى صلى الله عليه وسلم بانذار عشيرته أولا ولو نزل على من بعث الى أمم مختلفة كتب على ألسنتهم استقل ذلك بنوع من الاعجاز لكن أدى الى اختلاف الكلمة واضاعة فضل الاجتهاد فى تعلم الالفاظ ومعانيها والعلوم المتشعبة منها وما فى اتعاب القرائح وكد النفوس من القرب المقتضية لجزيل الثواب وقرئ بلسن وهو لغة فيه كريش ورياش ولسن بضمتين وضمة وسكون على الجمع كعمد وعمد وقيل الضمير فى قومه لمحمد صلى الله عليه وسلم وان الله تعالى أنزل الكتب كلها بالعربية ثم ترجمها جبريل عليه السلام أو كل نبى بلغة المنزل عليهم وذلك ليس بصحيح يرده قوله ليبين لهم فانه ضمير القوم والتوراة والانجيل ونحوهما لم تنزل لتبين للعرب (فيضل الله من يشاء) فيخذله عن الايمان (ويهدى من يشاء) بالتوفيق له (وهو العزيز) فلا يغلب على مشيئته (الحكيم) الذى لا يضل ولا يهدى الا لحكمة (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) يعنى اليد والعصا وسائر معجزاته (أن أخرج قومك من الظلمات الى النور) بمعنى أى أخرج لان فى الارسال معنى القول أو بان أخرج فان صيغ الافعال سواء فى الدلالة على المصدر فيصح أن توصل بها أن الناصبة

بمعنى المحمود والمحمود من أوصل النعمة الى الغير حتى يستحق أن يحمد اذ الحميد من كان كاملا فى حد ذاته مستحقا للحمد وهو يناسب عدم تخييب السائل (قوله أو الله خبر مبتدأ محذوف) فيكون التقدير هو الله الذى ومرجع الضمير العزيز الحميد (قوله لانه كالعلم الخ) هذا يدل على ان عطف البيان يجب أن يكون علما أو فى حكمه فى الاختصاص (قوله فان المختار للشئ الخ) فيكون يستحبون مجازا مرسلا من باب اطلاق اسم اللازم على ملزومه (قوله اذا تنكب) أى مال عن الحق (قوله وليس فصيحا الخ) لان الفعل المتعدى اذا وجد لا حاجة الى تعدية اللازم لانه تكلف وتبع فى هذا صاحب الكشاف وفيه ان القراآت تؤخذ من الرواية لا من الدراية فلا وجه للقول بان فى صده مندوحة عن تكلف التعدية (قوله والنصب على الذم والرفع عليه) فعلى الاول اذم الذين يستحبون الحياة الدنيا وعلى الثانى بئس الذين يستحبون (قوله وذلك يؤدى الى اختلاف الكلمة) أى لى اختلاف ما تمسك به الفرق من الكتب والالفاظ فلا يتفقون على كتاب واحد وذلك يفضى الى كثرة الاختلاف اذ لو كانت الكتب كثيرة باختلاف الالسنة لحصل الاختلاف بين كل طائفة فى كتابهم فيتضاعف الاختلافات (قوله واضاعة فضل الاجتهاد الخ) اذ لما كان القرآن منزلا بلغة العرب يبذل جماعة من كل طائفة وسعهم فى تحقيق لغات العرب واعرابها وأحوالها

[مفرداتها وتراكيبها ولو كان الكتب مختلفة لكان لكل طائفة اكتفاء بما هو معهم فلم يحصل لهم فضل الاجتهاد (قوله ويجوز ان ينتصب بعليكم ان جعلت الخ) أي يجوز نصب اذ أنجاكم بعليكم اذا جعلت عليكم ظرفا مستقرا لانه حينئذ مقدر بالفعل

(وذكرهم بأيام الله) بوقائعه التي وقعت على الامم الدارجة وأيام العرب حروبها وقيل بنعمائه وبلائه (ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور) يصبر على بلائه ويشكر على نعمائه فانه اذا سمع بما نزل على من قبله من البلاء وأفيض عليهم من النعماء اعتبر وتنبه لما يجب عليه من الصبر والشكر وقيل المراد لكل مؤمن وانما عبر عنه بذلك تنبيها على ان الصبر والشكر عنوان المؤمن (واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ أنجاكم من آل فرعون) أي اذكروا انعامه عليكم وقت انجائه اياكم ويجوز أن ينتصب بعليكم ان جعلت مستقرة غير صلة للنعمة وذلك اذا أريد بها العطية دون الانعام ويجوز أن يكون بدلا من نعمة الله بدل الاشتمال (يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم) أحوال من آل فرعون أو من ضمير المخاطبين والمراد بالعذاب ههنا غير المراد به في سورة البقرة والاعراف لانه مفسر بالتذبيح والقتل ثمة ومعطوف عليه التذبيح ههنا وهو اما جنس العذاب أو استعبادهم واستعمالهم بالاعمال الشاقة (وفي ذلكم) من حيث انه باقدار الله اياهم وامهالهم فيه (بلاء من ربكم عظيم) ابتلاء منه ويجوز أن تكون الاشارة الى الانجاء والمراد بالبلاء النعمة (واذ تأذن ربكم) أيضا من كلام موسى صلى الله عليه وسلم وتأذن بمعنى آذن كتوعد وأوعد غير أنه أبلغ لما في التفعل من معنى التكلف والمبالغة (لئن شكرتم) يا بني اسرائيل ما أنعمت عليكم من الانجاء وغيره بالايمان والعمل الصالح (لأزيدنكم) نعمة الى نعمة (ولئن كفرتم) ما أنعمت عليكم (ان عذابي لشديد) فلعلي أعذبكم على الكفران عذابا شديدا ومن عادة أكرم الاكرمين أن يصرح بالوعد ويعرض بالوعيد والجملة مقول قول مقدر أو مفعول تأذن على أنه جار مجرى قال لانه ضرب منه (وقال موسى ان تكفروا أنتم ومن في الارض جميعا) من الثقلين (فان الله لغني) عن شكركم (حميد) مستحق للحمد في ذاته محمود تحمده الملائكة وتنطق بنعمته ذرات المخلوقات فما ضررتم بالكفران الا أنفسكم حيث حرمتموها مزيد الانعام وعرضتموها للعذاب الشديد (ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود) من كلام موسى عليه الصلاة والسلام أو كلام مبتدأ من الله (والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله) جملة وقعت اعتراضا أو الذين من بعدهم عطف على ماقبله ولا يعلمهم اعتراض والمعنى انهم لكثرتهم لا يعلم عددهم الا الله ولذلك قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه كذب النسابون (جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم) فعضوها غيظا مما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام كقوله تعالى عضوا عليكم الانامل من الغيظ أو وضعوها عليها تعجبا منه أو استهزاء عليه كمن غلبه الضحك أو اسكاتا للانبياء عليهم الصلاة والسلام وأمرا لهم باطباق الافواه أو أشاروا بها الى ألسنتهم وما نطقت به من قولهم انا كفرنا تنبيها على أن لا جواب لهم سواه أو ردوها في أفواه الانبياء يمنعونهم من التكلم وعلى هذا يحتمل ان يكون تمثيلا وقيل الايدي بمعنى الايادي أي ردوا أيادي الانبياء التي هي مواعظهم وما أوحي اليهم من الحكم والشرائع في أفواههم لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكأنهم ردوها الى حيث جاءت منه (وقالوا انا كفرنا بما أرسلتم به) على زعمكم (وانا لفي شك مما تدعوننا اليه) من الايمان وقرئ تدعونا بالادغام (مريب) موقع في الريبة أو ذي ريبة وهي قلق النفس وان لا تطمئن الى الشيء (قالت رسلهم أفي الله شك) أدخلت همزة الانكار على الظرف لان الكلام في المشكوك فيه لا في الشك أي

فيصلح ان يكون عاملا اما اذا كان صلة للنعمة فلا يصلح ان يكون عاملا اذ ليس مقدرا بالفعل وحينئذ تكون النعمة بمعنى العطية لا بمعنى الانعام اذ لو كان بمعنى الانعام لكان عليكم صلة له (قوله وهو اما جنس العذاب) وعلى هذا فعطف يذبحون عليه عطف الخاص على العام (قوله ومن عادة أكرم الاكرمين ان يصرح بالوعد ويعرض بالوعيد) فانه تعالى صرح بالوعد فقال لازيدنكم وعرض بالوعيد فقال ان عذابي لشديد من جهة انه لم يقل وان كفرتم عذبتكم (قوله والجملة مفعول قول مقدر) فيكون التقدير واذ تأذن ربكم قائلا لئن شكرتم الخ (قوله جملة وقعت اعتراضا) لان مجموع هذا الكلام لا يصح ان يجعل معطوفا على ماقبله (قوله ولذلك قال ابن مسعود) المراد من النسابين الذين يدعون العلم بالآباء الموجودين في تلك الازمنة المتقدمة وانما كذبهم لان الله تعالى نفى علم الآباء المذكورة عنهم أي عن النسابين (قوله وعلى هذا يحتمل ان يكون تمثيلا) أي يحتمل ان يكون استعارة بأن يكون المراد من رد الايدي في الافواه منعهم عن التكلم من غير اعتبار المعنى الحقيقي لليد انما (قوله لان الكلام في المشكوك فيه لا للشك) لان القاعدة ان يلي الهمزة ما يتعلق به الغرض

انما ندعوكم الى الله وهو لا يحتمل الشك لكثرة الادلة وظهور دلالتها عليه وأشاروا الى ذلك بقولهم (فاطر السموات والارض) وهو صفة أو بدل وشك مرتفع بالظرف (يدعوكم) الى الايمان ببعثه ايانا (ليغفر لكم) أو يدعوكم الى المغفرة كقولك دعوته لينصرني على اقامة المفعول له مقام المفعول به (من ذنوبكم) بعض ذنوبكم وهو ما بينكم و بينه تعالى فان الاسلام يجبه دون المظالم وقيل مجىء بمن فى خطاب الكفرة دون المؤمنين فى جميع القرآن تفرقة بين الخطابين ولعل المعنى فيه ان المغفرة حيث جاءت فى خطاب الكفار مرتبة على الايمان وحيث جاءت فى خطاب المؤمنين مشفوعة بالطاعة والتجنب عن المعاصى ونحو ذلك فتتناول الخروج عن المظالم (ويؤخركم الى أجل مسمى) الى وقت سماه الله تعالى وجعله آخر أعماركم (قالوا ان أنتم الا بشر مثلنا) لا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوّة دوننا ولو شاء الله ان يبعث الى البشر رسلا لبعث من جنس أفضل (تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا) بهذه الدعوى (فأتونا بسلطان مبين) يدل على فضلكم واستحقاقكم لهذه المزية أو على صحة ادعائكم النبوّة كأنهم لم يعتبروا ما جاؤا به من البينات والحجج واقترحوا عليهم آية أخرى تعنتا ولجاجا (قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده) سلموا مشاركتهم فى الجنس وجعلوا الموجب لاختصاصهم بالنبوّة فضل الله ومنه عليهم وفيه دليل على ان النبوّة عطائية وان ترجيح بعض الجائزات على بعض بمشيئة الله تعالى (وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان الا باذن الله) أى ليس الينا الاتيان بالآيات ولا تستبد به استطاعتنا حتى نأتى بما اقترحتموه وانما هو أمر يتعلق بمشيئة الله تعالى فيخص كل نبى بنوع من الآيات (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) فلنتوكل عليه فى الصبر على معاندتكم ومعاداتكم عمموا الامر للاشعار بما يوجب التوكل وقصدوا به أنفسهم قصدا أوليا ألا ترى قوله تعالى (ومالنا ألا نتوكل على الله) أى أى عذر لنا فى أن لا نتوكل عليه (وقد هدانا سبلنا) التى بها نعرفه ونعلم ان الامور كلها بيده وقرأ أبو عمرو بالتخفيف ههنا وفى العنكبوت (ولنصبرن على ما آذيتمونا) جواب قسم محذوف أكدوا به توكلهم وعدم مبالاتهم بما يجرى من الكفار عليهم (وعلى الله فليتوكل المتوكلون) فليثبت المتوكلون على ما استحدثوه من توكلهم المسبب عن ايمانهم (وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن فى ملتنا) حلفوا على ان يكون أحد الامرين اما اخراجهم للرسل أو عودهم الى ملتهم وهو بمعنى الصيرورة لانهم لم يكونوا على ملتهم قط و يجوز ان يكون الخطاب لكل رسول ومن آمن معه فغلبوا الجماعة على الواحد (فأوحى اليهم ربهم) أى الى رسلهم (لنهلكن الظالمين) على اضمار القول أو اجراء الايحاء مجراه لانه نوع منه (ولنسكننكم الارض من بعدهم) أى أرضهم وديارهم كقوله تعالى وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها وقرئ ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا لاوحى كقولك أقسم زيد ليخرجن (ذلك) اشارة الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين (لمن خاف مقامى) موقفى وهو الموقف الذى يقيم فيه العباد للحكومة يوم القيامة أو قيامى عليه وحفظى لاعماله وقيل المقام مقحم (وخاف وعيد) أى وعيدى بالعذاب أو عذابى الموعود للكفار (واستفتحوا) سألوا من الله الفتح على أعدائهم أو القضاء بينهم و بين أعدائهم من الفتاحة كقوله ربنا افتح بيننا و بين قومنا بالحق وهو معطوف على فأوحى والضمير للانبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل للكفرة وقيل للفريقين فان كلهم سألوه أن ينصر المحق و يهلك المبطل وقرئ بلفظ الامر عطفا على ليهلكن (وخاب كل جبار عنيد) أى ففتح لهم فأفلح المؤمنون وخاب كل جبار عات متكبر على الله

وهو الله تعالى (قوله تنزيل المفعول له منزلة المفعول به) فتكون اللام بمعنى الى والفعل بمعنى المصدر (قوله فيتناول الخروج عن المظالم) أى يتناول خطاب المؤمنين الخروج عن المظالم فلم يبق عليهم سوى ما يتعلق بحق الله تعالى فاذا تابوا يغفر الله جميع ذنوبهم واما الايمان فلا يحصل لنه الخروج من المظالم فيغفر ماسواها ولذا دخل من على مغفرة ذنوبهم ليدل على التبعيض (قوله وان ترجيح بعض الجائزات على بعض بمشيئة الله تعالى) ان قيل لم لا يجوز ان يكون تخصيصهم بالنبوّة بسبب استعدادهم وقابلياتهم المناسبة فيكون معنى الآية ولكن الله يخص من يشاء من عباده بالنبوّة بسبب قابليته واستعداده قلنا جاء الكلام فى اختصاصهم بتلك الاستعدادات بان سبب الاختصاص ماذا فتأمل (قوله عمموا الامر للاشعار بما يوجب التوكل الخ) أى عمموا الحكم بان على جميع المؤمنين التوكل على الله لكن المقصود بالذات الرسل فكأنما قالوا ان عليهم التوكل (قوله فغلبوا الجماعة على الواحد) وعلى كل فالعود بمعنى الصيرورة

معاند للحق فلم يفلح ومعنى الخيبة اذا كان الاستفتاح من الكفرة أو من القبيلين كان أوقع (من ورائه جهنم) أى من بين يديه فانه مرصد بها واقف على شفيرها فى الدنيا مبعوث اليها فى الآخرة وقيل من وراء حياته وحقيقته ما توارى عنك (ويسقى من ماء) عطف على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقى من ماء (صديد) عطف بيان لماء وهو ما يسيل من جلود أهل النار (يتجرعه) يتكلف جرعه وهو صفة لماء أو حال من الضمير فى يسقى (ولا يكاد يسيغه) ولا يقارب أن يسيغه فكيف يسيغه بل يغص به فيطول عذابه والسوغ جواز الشراب على الحلق بسهولة وقبول نفس (ويأتيه الموت من كل مكان) أى أسبابه من الشدائد فتحيط به من جميع الجهات وقيل من كل مكان من جسده حتى من أصول شعره وابهام رجله (وما هو بميت) فيستريح (ومن ورائه) ومن بين يديه (عذاب غليظ) أى يستقبل فى كل وقت عذابا أشد مما هو عليه وقيل هو الخلود فى النار وقيل حبس الانفاس وقيل الآية منقطعة عن قصة الرسل نازلة فى أهل مكة طلبوا الفتح الذى هو المطر فى سنيهم التى أرسل الله تعالى عليهم بدعوة رسوله فخيب رجاءهم فلم يسقهم ووعدهم أن يسقيهم فى جهنم بدل سقياهم صديد أهل النار (مثل الذين كفروا بربهم) مبتدأ خبره محذوف أى فيما يتلى عليكم صفتهم التى هى مثل فى الغرابة أو قوله (أعمالهم كرماد) وهو على الاول جملة مستأنفة لبيان مثلهم وقيل أعمالهم بدل من المثل والخبر كرماد (اشتدت به الريح) حملته وأسرعت الذهاب به وقرأ نافع الرياح (فى يوم عاصف) العصف اشتداد الريح وصف به زمانه للمبالغة كقولهم نهاره صائم وليله قائم شبه صنائعهم من الصدقة وصلة الرحم واغاثة الملهوف وعتق الرقاب ونحو ذلك من مكارمهم فى حبوطها وذهابها هباء منثورا لبنائها على غير أساس من معرفة الله تعالى والتوجه بها اليه أو أعمالهم للاصنام برماد طيرته الريح العاصف (لا يقدرون) يوم القيامة (مما كسبوا) من أعمالهم (على شئ) لحبوطه فلا يرون له أثرا من الثواب وهو فذلكة التمثيل (ذلك) اشارة الى ضلالهم مع حسبانهم أنهم محسنون (هو الضلال البعيد) فانه الغاية فى البعد عن طريق الحق (ألم تر) خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به أمته وقيل لكل واحد من الكفرة على التلوين (أن الله خلق السموات والارض بالحق) بالحكمة والوجه الذى يحق أن تخلق عليه وقرأ حمزة والكسائى خالق السموات (ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد) يعدمكم ويخلق خلقا آخر مكانكم رتب ذلك على كونه خالقا للسموات والارض استدلالا به عليه فان من خلق أصولهم وما يتوقف عليه تخليقهم ثم كونهم بتبديل الصور وتغيير الطبائع قدر أن يبدلهم بخلق آخر ولم يمتنع عليه ذلك كما قال (وما ذلك على الله بعزيز) بمتعذر أو متعسر فانه قادر لذاته لا اختصاص له بمقدور دون مقدور ومن كان هذا شأنه كان حقيقا أن يؤمن به ويعبد رجاء لثوابه وخوفا من عقابه يوم الجزاء (وبرزوا لله جميعا) أى يبرزون من قبورهم يوم القيامة لامر الله تعالى ومحاسبته أو لله على ظنهم فانهم كانوا يخفون ارتكاب الفواحش ويظنون انها تخفى على الله تعالى فاذا كان يوم القيامة انكشفوا لله تعالى عند أنفسهم وانما ذكر بلفظ الماضى لتحقق وقوعه (فقال الضعفاء) الاتباع جمع ضعيف يريد به ضعاف الرأى وانما كتبت بالواو على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو (للذين استكبروا) لرؤسائهم الذين استتبعوهم واستغووهم (انا كنا لكم تبعا) فى تكذيب الرسل والاعراض عن نصائحهم وهو جمع تابع كغائب وغيب أو مصدر نعت به للمبالغة أو على اضمار مضاف (فهل أنتم مغنون عنا) دافعون عنا (من عذاب الله من شئ) من الاولى للبيان واقعة موقع الحال والثانية للتبعيض واقعة موقع المفعول أى بعض الشئ الذى هو عذاب الله ويجوز أن تكونا للتبعيض أى بعض شئ هو

بعض

والفرق بين الوجهين ان فى الاول الخطاب مع الانبياء فقط دون غيرهم وفى الثانى الخطاب مع الانبياء والمؤمنين (قوله ومعنى الخيبة اذا كان الاستفتاح من الكفرة الخ) لان تحصيل نقيض ما ادعوه أشد فى الخيبة والخسران (قوله واقف على شفيرها) أى واقف على شفير جهنم فى الدنيا باعتبار القرب واستعداده لحصوله فيها (قوله على التلوين) أى تغيير الكلام من طور الى طور آخر وهو ههنا الالتفات من الغيبة الى الخطاب (قوله أو لله على ظنهم) فيه انه لزم أن يكون المعنى برزوا يوم القيامة لله على ظنهم فيكون البروز لله مظنونا لهم يوم القيامة لكن البروز المذكور معلوم لهم لا مظنون الا أن يقال الظن بمعنى العلم والاولى أن يقال برزوا لله على علمهم أو برزوا على خلاف ظنهم فى الدنيا (قوله انكشفوا لله عند أنفسهم) أى تيقنوا فى تلك الحالة انهم مكشوفون لله تعالى

بعض عـذاب الله والاعراب ماسبق و يحتمل ان تـكون الاولى مفعولا والثانية مصدرا أى فهل أنتم مغنون بعض العذاب بعض الاغناء (قالوا) أى الذين استكبر واجوابا عن معاتبة الاتباع واعتذارا عمافعلوابهم (لوهدانا الله) للايمان ووفقناله (لهدينا كم) ولكن ضللنا فأضللنا كم أى اخترنا لكم مااخترناه لانفسنا أو لوهدانا الله طريق النجاة من العذاب لهدينا كم وأغنيناه عنكم كما عرضنا كم له لكن سـد دونناطريق الخلاص (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا) مستو يان علينا الجزع والصبر (مالنا من محيص) منجا ومهرب من العذاب من الحيص وهو العدول على جهة القرار وهو يحتمل ان يكون مكانا كالمبيت ومصـدرا كالمغيب و يجوز ان يكون قوله سواء علينا من كلام الفريقين و يؤيده ماروى انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصـبرون كذلك ثم يقولون سواء علينا (وقال الشيطان لما قضى الأمر) أحكم وفرغ منه ودخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار خطيبا فى الاشقياء من الثقلين (ان الله وعدكم وعد الحق) وعدا من حقه أن ينجز أو وعدا أنجزه وهو الوعد بالبعث والجزاء (ووعدتكم) وعد الباطل وهو ان لابعث ولا حساب وان كانا فالاصنام تشفع لكم (فأخلفتكم) جعل تبين خلف وعـده كالاخلاف منـه (وما كان لى عليكم من سلطان) تسلط فالجئكم الى الكفر والمعاصى (الا أن دعوتكم) الا دعائى اياكم اليها بتسويلى وهو ليس من جنس السلطان ولكنه على طريقة قولهم * تحية بينهم ضرب وجيع * ويجوز ان يكون الاستثناء منقطعا (فاستجبتم لى) أسرعتم اجابتى (فلا تلومونى) بوسوستى فان من صرح العداوة لايلام بأمثال ذلك (ولوموا أنفسكم) حيث أطعتمونى اذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم لما دعاكم واحتجت المعتزلة بأمثال ذلك على استقلال العبد بافعاله وليس فيها مايدل عليه اذ يكفى لصحتها ان يكون لقدرة العبد مدخل مافى فعله وهو الكسب الذى يقوله أصحابنا (ما أنا بمصرخكم) بمغيثكم من العذاب (وما أنتم بمصرخى) بمغيثى وقرأ حمزة بكسر الياء على الاصل فى التقاء الساكنين وهو أصل مرفوض فى مثله لمافيه من اجتماع ياءين وثلاث كسرات مع ان حركة ياء الاضافة الفتح فاذا لم تكسر وقبلها ألف فبالحرى ان لاتكسر وقبلها ياء أو على لغة من يزيد ياء على ياء الاضافة اجراء لها مجرى الهاء والكاف فى ضربته وأعطيتكه وحـذف الياء اكتفاء بالكسرة (انى كفرت بما أشركتمون من قبل) ما اما مصـدرية ومن متعلقة باشركتمونى أى كفرت اليوم باشراككم اياى من قبل هذا اليوم أى فى الدنيا بمعنى تبرأت منه واستنكرته كقوله ويوم القيامة يكفرون بشرككم أو موصولة بمعنى من نحو ما فى قولهم سبحان ما سخركن لنا ومن متعلقة بكفرت أى كفرت بالذى أشركتمونيه وهو الله تعالى بطاعتكم اياى فيما دعوتكم اليه من عبادة الاصنام وغيرها من قبل اشراككم حين رددت أمره بالسجود لآدم عليه الصلاة والسلام وأشرك منقول من شركت زيدا للتعدية الى مفعول ثان (ان الظالمين لهم عذاب أليم) تتمة كلامه أو ابتداء كلام من الله تعالى وفى حكاية أمثال ذلك لطف للسامعين وايقاظ لهم حتى يحاسبوا أنفسهم ويتـدبروا عواقبهم (وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم) باذن الله تعالى وأمره والمدخلون هـم الملائكة وقرئ وأدخل على التكلم فيكون قوله باذن ربهم متعلقا بقوله (تحيتهم فيها سلام) أى تحييهم الملائكة فيها بالسلام باذن ربهم (ألم تر كيف ضرب الله مثلا) كيف اعتمده ووضعه (كلمة طيبة كشجرة طيبة) أى جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا ويجوز أن تكون كلمة بدلا من مثلا وكشجرة صفتها أو خبر مبتدا محـذوف أى هى كشجرة وان تـكون أول مفعولى ضرب اجراء له

(قوله والاعراب ماسبق) بان يكون من عذاب حالا ومن شئ مفعولا (قوله وعدا من حقه أن ينجزه أو وعدا أنجزه) فالاول باعتبار استحقاقه للانجاز والثانى باتصافه بالانجاز بالفعل (قوله ولكنه على طريقة قولهم تحية بينهم الخ) فتكون الدعوة سلطنة تقديرا كما يقال الضرب تحية (قوله وهو الكسب الذى يقوله أصحابنا) لايخفى ان الكسب فعل مافعل بايجاد الله تعالى كسائر الافعال الأخر ويمكن أن يقال ان كلام الشيطان لايصح ان يحتج به سيما ان غرض اللعين فى ذلك الموطن اسكات تبعه (قوله فاذا لم تكسر وقبلها الالف الخ) أى اذا لم تكسر ياء الاضافة وقبلها ألف فى مثل غلاماى فبطريق الاولى ان لاتكسر وقبلها ياء لزيادة الثقل (قوله اجراء لها مجرى الهاء والكاف) فكما انه يزاد الواو والياء بعد الهاء والكاف ثم حـذف الياء واكتفى بالكسر كذلك حذف الهاء ههنا واكتفى بالكسر (قوله باشراككم اياى) اشراكهم الشيطان باعتبار ان عبادة الاصنام فى الحقيقة عبادة الشيطان لانه أوقعهم فى عبادتها

مجرى جعل وقد قرئت بالرفع على الابتداء (أصلها ثابت) فى الارض ضارب بعروقه فيها (وفرعها) وأعلاها (فى السماء) ويجوز أن يريد وفروعها أى افنانها على الاكتفاء بلفظ الجنس لاكتسابه الاستغراق من الاضافة وقرئ ثابت أصلها والاوّل على أصله ولذلك قيل انه أقوى ولعل الثانى أبلغ (تؤتى أكلها) تعطى ثمرها (كل حين) وقته الله تعالى لاثمارها (باذن ربها) بارادة خالقها وتكوينه (ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون) لان فى ضربها زيادة افهام وتذكير فانه تصوير للمعانى وادناء لها من الحس (ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة) كمثل شجرة خبيثة (اجتثت) استؤصلت وأخذت جثتها بالكلية (من فوق الارض) لان عروقها قريبة منه (مالها من قرار) استقرار واختلف فى الكلمة والشجرة ففسرت الكلمة الطيبة بكلمة التوحيد ودعوة الاسلام والقرآن والكلمة الخبيثة بالشرك بالله تعالى والدعاء الى الكفر وتكذيب الحق ولعل المراد بهما مايعم ذلك فالكلمة الطيبة ما أعرب عن حق أودعا الى صلاح والكلمة الخبيثة ما كان على خلاف ذلك وفسرت الشجرة الطيبة بالنخلة وروى ذلك مرفوعا وبشجرة فى الجنة والخبيثة بالحنظلة والكشوث ولعل المراد بهما أيضا مايعم ذلك (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) الذى ثبت بالحجة عندهم وتمكن فى قلوبهم (فى الحياة الدنيا) فلايزلون اذا فتنوا فى دينهم كزكريا ويحيى عليهما السلام وجرجيس وشمعون والذين فتنهم أصحاب الاخدود (وفى الآخرة) فلايتلعثمون اذا سئلوا عن معتقدهم فى الموقف ولاتدهشهم أهوال يوم القيامة وروى أنه صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم تعاد روحه فى جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فى قبره ويقولان له من ربك ومادينك ومن نبيك فيقول ربى الله ودينى الاسلام ونبيى محمد صلى الله عليه وسلم فينادى مناد من السماء ان صدق عبدى فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت (ويضل الله الظالمين) الذين ظلموا أنفسهم بالاقتصار على التقليد فلايهتدون الى الحق ولايثبتون فى مواقف الفتن (ويفعل الله مايشاء) من تثبيت بعض واضلال آخرين من غير اعتراض عليه (ألم تر الى الذين بدلوا نعمت الله كفرا) أى شكر نعمته كفرا بأن وضعوه مكانه أو بدلوا نفس النعمة كفرا فانهم لما كفروها سلبت منهم فصاروا تاركين لها محصلين الكفر بدلها كاهل مكة خلقهم الله تعالى وأسكنهم حرمه وجعلهم قوام بيته ووسع عليهم أبواب رزقه وشرفهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا ذلك فقحطوا سبع سنين وأسروا وقتلوا يوم بدر وصاروا أذلاء فبقوا مسلوبى النعمة موصوفين بالكفر وعن عمر وعلى رضى الله تعالى عنهما هم الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو أمية فاما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر وأما بنو أمية فمتعوا الى حين (وأحلوا قومهم) الذين شايعوهم فى الكفر (دار البوار) دار الهلاك بحملهم على الكفر (جهنم) عطف بيان لها (يصلونها) حال منها أو من القوم أى داخلين فيها مقاسين لحرها أو مفسر لفعل مقدر ناصب لجهنم (وبئس القرار) أى وبئس المقر جهنم (وجعلوا لله أندادا ليضلوا عن سبيله) الذى هو التوحيد وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ورويس عن يعقوب بفتح الياء وليس الضلال ولا الاضلال غرضهم فى اتخاذ الانداد لكن لما كان نتيجته جعل كالغرض (قل تمتعوا) بشهواتكم أو بعبادة الاوثان فانها من قبيل الشهوات التى يتمتع بها وفى التهديد بصيغة الامر ايذان بان المهدد عليه كالمطلوب لافضائه الى المهدد به وأن الامرين كائنان لامحالة ولذلك علله بقوله (فان مصيركم الى النار) وان المخاطب لانهماكه فيه كالمأمور به من آمر مطاع (قل لعبادى الذين آمنوا) خصهم بالاضافة تنويها لهم وتنبيها على انهم المقيمون لحقوق العبودية ومفعول قل محذوف يدل عليه جوابه أى قل لعبادى الذين آمنوا أقيموا الصلاة وأنفقوا (يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم) فيكون

(قوله لاكتسابه الاستغراق من الاضافة) لما تقرر فى الاصول (قوله والاول على أصله) لان الثبات للاصل حقيقة فالاصل ان يجعل له الثبات لا للشجر وانما كان أقوى لاشتماله على تكرر الاسناد (قوله ولعل الثانى أبلغ) لعل أبلغيته باعتبار ان العناية ههنا بالثبات والثانى قدم فيه لثبات فكان أبلغ ويمكن أن يقال انه اذا اجرى ثابت على شجرة وجعل صفة لها فكان فيه ايماء الى ثبوت الشجرة وان كان الثبوت فى الحقيقة للاصل بخلاف ما اذا قيل أصلها ثابت فانه ليس فيه الايماء المذكور (قوله واما بنو أمية فمتعوا حتى حين) هذا على تقدير ان يكون المراد من الكفر الكفران لا الكفر المقابل للايمان اذ ليس بنو أمية كافرين (قوله جعل ذلك كالغرض بادخال اللام) فتكون اللام استعارة تبعية كما فى قوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا

(قوله ويجوز ان يقدر بلام الامر ليصح تعلق القول بهما) المراد من تعلق القول بهما ان يكونا مقول القول فيكونا مثل قوله تعالى قل للذين كفروا سيغلبون بقراءة الياء على الغيبة فيكون المعنى على ان يحكى أمر الله لهم باقامة الصلاة وعبارة الكشاف وجوزوا ان يكون يقيموا و ينفقوا بمعنى ليقيموا ليقيموا فيكون هذا هو المقول وانما جاز حذف اللام

لان الامر الذى هو قل عوض عنه

ايذانا بأنهم لفرط مطاوعتهم للرسول صلى الله عليه وسلم بحيث لا ينفك فعلهم عن أمره وأنه كالسبب الموجب له ويجوز أن يقدر بلام الامر ليصح تعلق القول بهما وانما حسن ذلك ههنا ولم يحسن فى قوله

محمد تفد نفسك كل نفس * اذا ما خفت من أمر تبالا

لدلالة قل عليه وقيل هما جوابا أقيموا وأنفقوا مقامين مقامهما وهو ضعيف لانه لا بد من مخالفة ما بين الشرط وجوابه ولان أمر المواجهة لا يجاب بلفظ الغيبة إذا كان الفاعل واحدا (سرا وعلانية) منتصبان على المصدر أى انفاق سر وعلانية أو على الحال أى ذوى سر وعلانية أو على الظرف أى وقتى سر وعلانية والاحب اعلان الواجب واخفاء المتطوع به (من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه) فيبتاع المقصر ما يتدارك به تقصيره أو يفدى به نفسه (ولا خلال) ولا مخالة فيشفع لك خليل أو من قبل أن يأتى يوم لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة وانما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله تعالى وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب بالفتح فيهما على النفى العام (الله الذى خلق السموات والارض) مبتدأ وخبره (وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم) تعيشون به وهو يشمل المطعوم والملبوس مفعول لأخرج ومن الثمرات بيان له وحال منه ويحتمل عكس ذلك ويجوز أن يراد به المصدر فينتصب بالعلة أو المصدر لان أخرج فى معنى رزق (وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره) بمشيئته الى حيث توجهتم (وسخر لكم الانهار) فجعلها معدة لانتفاعكم وتصرفكم وقيل تسخير هذه الاشياء تعليم كيفية اتخاذها (وسخر لكم الشمس والقمر دائبين) يدأبان فى سيرهما وانارتهما واصلاح ما يصلحانه من المكونات (وسخر لكم الليل والنهار) يتعاقبان لسباتكم ومعاشكم (وآتاكم من كل ما سألتموه) أى بعض جميع ما سألتموه يعنى من كل شئ سألتموه شيأ فان الموجود من كل صنف بعض ما فى قدرة الله تعالى ولعل المراد بما سألتموه ما كان حقيقا بان يسئل لاحتياج الناس اليه سئل أو لم يسئل وما يحتمل أن تكون موصولة وموصوفة ومصدرية ويكون المصدر بمعنى المفعول وقرئ من كل بالتنوين أى وآتاكم من كل شئ ما احتجتم اليه وسألتموه بلسان الحال ويجوز أن تكون ما نافية فى موقع الحال أى وآتاكم من كل شئ غير سائليه (وان تعدوا نعمت الله لا تحصوها) لا تحصروها ولا تطيقوا عد أنواعها فضلا عن أفرادها فانها غير متناهية وفيه دليل على أن المفرد يفيد الاستغراق بالاضافة (ان الانسان لظلوم) يظلم النعمة باغفال شكرها أو يظلم نفسه بان يعرضها للحرمان (كفار) شديد الكفران وقيل ظلوم فى الشدة يشكو ويجزع كفار فى النعمة يجمع ويمنع (واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد) بلد مكة (آمنا) ذا أمن لمن فيها والفرق بينه و بين قوله اجعل هذا بلدا آمنا ان المسؤل فى الاول ازالة الخوف عنه وتصييره آمنا وفى الثانى جعله من البلاد الآمنة (واجنبنى و بنى) بعدنى واياهم (أن نعبد الاصنام) واجعلنا منها فى جانب وقرئ وأجنبنى وهما على لغة نجد وأما أهل الحجاز فيقولون جنبنى شره وفيه دليل على أن عصمة الانبياء

(قوله وهو ضعيف الخ) اذ لو كانا جوابى أقيموا لكان المعنى أقيموا الصلاة ان تقيموا الصلاة يقيموا و ينفقوا فلزم الامران المذكوران أحدهما اتحاد الشرط والجزاء والثانى ان يكون الشرط بصيغة الخطاب والجزاء بصيغة الغيبة فعلم ما ذكر ان يقيموا الصلاة الخ جواب لقل أى قل لهم أقيموا أو لتقل لهم أقيموا يقيموا (قوله لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة) أى كما فى المبايعة والمخالة الواقعين فى الدنيا (قوله ويحتمل عكس ذلك) بان يكون من الثمرات بمعنى بعض الثمرات مفعولا ورزقا حالا (قوله فان الموجود من كل صنف بعض ما فى قدرة الله تعالى) تخصيص كل صنف بالبعض اذ السؤال فى الاكثر عن الصنف لا الشخص كما اذا سئل أحد صنفا هو الخبز مثلا فاعطى بعض أفراده ولا يعطى جميع هذا الصنف لان كل ما يخرج الى الفعل من أفراده فهو بعض ما فى

قدرة الله تعالى من هذا الصنف اذ فى قدرته ايجاد أفراد أخر (قوله وما يحتمل الخ) وعلى الاول وآتاكم من كل الذى سألتموه وعلى الثانى المعنى آتاكم من كل سؤلكم أى مسؤلكم (قوله وفيه دليل على ان المفرد الخ) فيه نظر لان هذا يفهم بسبب الحكم بعدم لاحصاء فهو ناشئ يدل على عمومه معنى لأنه يحصل من مجرد الاضافة (قوله تعالى ان الانسان لظلوم كفار) قد قيل لعدم التناهى لان الظلوم والكفار صيغتا مبالغة فيناسب عدم تناهى النعمة (قوله والفرق بينه الخ)

توفيق الله وحفظه اياهم وهو بظاهره لا يتناول أحفاده وجميع ذريته وزعم ابن عيينة أن أولاد اسمعيل عليه الصلاة والسلام لم يعبدوا الصنم محتجا به وانما كانت لهم حجارة يدورون بها ويسمونها الدوار ويقولون البيت حجر فحيثما نصبنا حجرا فهو بمنزلته (رب انهن أضللن كثيرا من الناس) فلذلك سألت منك العصمة واستعذت بك من اضلالهن واسناد الاضلال اليهن باعتبار السببية كقوله تعالى وغرتهم الحياة الدنيا (فمن تبعني) على ديني (فانه مني) أي بعضي لا ينفك عني في أمر الدين (ومن عصاني فانك غفور رحيم) تقدر أن تغفر له وترحمه ابتداء أو بعد التوفيق للتوبة وفيه دليل على أن كل ذنب فلله أن يغفره حتى الشرك الا أن الوعيد فرق بينه و بين غيره (ربنا اني أسكنت من ذريتي) أي بعض ذريتي أو ذرية من ذريتي فحذف المفعول وهم اسمعيل ومن ولد منه فان اسكانه متضمن لاسكانهم (بواد غير ذي زرع) يعني وادي مكة فانها حجرية لا تنبت (عند بيتك المحرم) الذي حرمت التعرض له والتهاون به أو لم يزل معظما ممنعا يهابه الجبابرة أو منع منه الطوفان فلم يستول عليه ولذلك سمي عتيقا أي أعتق منه ولو دعا بهذا الدعاء أول ما قدم فلعله قال ذلك باعتبار ما كان أو ما سيؤل اليه روي أن هاجر كانت لسارة رضي الله عنها فوهبتها لابراهيم عليه السلام فولدت منه اسمعيل عليه السلام فغارت عليهما فناشدته أن يخرجهما من عندها فاخرجهما الى أرض مكة فاظهر الله عين زمزم ثم ان جرهم رأوا ثم طيورا فقالوا لا طير الا على الماء فقصدوه فرأوهما وعندهما عين فقالوا أشركينا في مائك نشركك في ألباننا ففعلت (ربنا ليقيموا الصلاة) اللام لام كي وهي متعلقة باسكنت أي ما أسكنتهم بهذا الوادي البلقع من كل مرتفق ومرتزق الا لاقامة الصلاة عند بيتك المحرم وتكرير النداء وتوسيطه للاشعار بانها المقصودة بالذات من اسكانهم ثمة والمقصود من الدعاء توفيقهم لها وقيل لام الامر والمراد هو الدعاء لهم باقامة الصلاة كأنه طلب منهم الاقامة وسأل من الله تعالى أن يوفقهم لها (فاجعل أفئدة من الناس) أي أفئدة من أفئدة الناس ومن للتبعيض ولذلك قيل لو قال أفئدة الناس لازدحمت عليهم فارس والروم ولحجت اليهود والنصارى أو للابتداء كقولك القلب مني سقيم أي أفئدة ناس وقرأ هشام أفئيدة بخلف عنه بياء بعد الهمزة وقرئ آفدة وهو يحتمل أن يكون مقلوب أفئدة كآدر في أدؤر وأن يكون اسم فاعل من أفدت الرحلة اذا عجلت أي جماعة يعجلون نحوهم وأفدة بطرح الهمزة للتخفيف وان كان الوجه فيه اخراجها بين بين ويجوز أن يكون من أفد (تهوي اليهم) تسرع اليهم شوقا ووداد اوقرئ تهوى على البناء للمفعول من اهوى اليه غيره وتهوى من هوى يهوى اذا أحب وتعديته بالى لتضمنه معنى النزوع (وارزقهم من الثمرات) مع سكناهم واديا لا نبات فيه (لعلهم يشكرون) تلك النعمة فأجاب الله عز وجل دعوته فجعله حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شئ حتى توجد فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد (ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن) تعلم سرنا كما تعلم علننا والمعنى انك أعلم بأحوالنا ومصالحنا وأرحم بنا منا بأنفسنا فلا حاجة لنا الى الطلب لكنا ندعوك اظهارا لعبوديتك وافتقارا الى رحمتك واستعجالا لنيل ما عندك وقيل ما نخفي من وجد الفرقة وما نعلن من التضرع اليك والتوكل عليك وتكرير النداء للمبالغة في التضرع واللجأ الى الله تعالى (وما يخفى على الله من شئ في الارض ولا في السماء) لانه العالم بعلم ذاتي يستوي نسبته الى كل معلوم ومن للاستغراق (الحمد لله الذي وهب لي على الكبر) أي وهب لي وأنا كبير آيس من الولد قيد الهبة بحال الكبر استعظاما للنعمة واظهارا لما فيها من آلائه (اسمعيل واسحق) روي أنه ولد له اسمعيل لتسع وتسعين سنة واسحق لمائة واثنتي عشرة سنة (ان ربي لسميع الدعاء) أي لمجيبه من قولك سمع الملك كلامي اذا اعتد به وهو

من

أي قوله تعالى اجعل هذا بلدا آمنا يدل على انه سأل جعله بلدا ذا أمن لان البلد مفعول يجعل وقوله تعالى اجعل هذا البلد آمنا يدل على انه سأل جعله ذا أمن لا جعله بلدا (قوله ولو دعا بهذا الدعاء أول ما قدم) الظاهر ان مراده من الدعاء هو مجموع قول ابراهيم في قوله واذ قال الى قوله لعلهم يشكرون فيكون قوله هذا البلد وقوله عند بيتك المحرم باحد الاعتبارين (قوله وتكرير النداء وتوسيطه) أي ايراد لفظ ربنا على ليقيموا الصلاة دل على ان مجرد الاقامة مقصود بالذات دون الاسكان بخلاف ما لو لم تكرر والظاهر انه لو لم يكرر ولم يوسط لدل الكلام على ذلك لكن حصل من التكرار قوة لدلالة (قوله فلا حاجة لنا الى الطلب) فيه ان علمه تعالى بجميع الاحوال لا يلزم ان لا حاجة لنا الى لطلب (قوله لانه يعلم بعلم الخ) الاولى أن يقال ان كل شئ موجود بارادته تعالى فيجب ان يكون علمه محيطا بها

من أبنية لمبالغة العاملة عمل الفعل أضيف الى مفعوله أو فاعله على اسناد السماع الى دعاء الله تعالى على المجاز وفيه اشعار بانه دعا ربه وسأل منه الولد فاجابه ووهب له سؤله حين ماوقع اليأس منه ليكون من أجل النعم وأجلاها (رب اجعلني مقيم الصلاة) معدلا لها مواظبا عليها (ومن ذريتي) عطف على المنصوب في اجعلني والتبعيض لعلمه باعلام الله أو استقراء عادته في الامم الماضية انه يكون في ذريته كفار (ربنا وتقبل دعاء) واستجب دعائي أو وتقبل عبادتي (ربنا اغفر لي ولوالدي) وقرئ ولابوي وقد تقدم عذر استغفاره لهما وقيل أراد بهما آدم وحواء (وللمؤمنين يوم يقوم الحساب) يثبت مستعار من القيام على الرجل كقولهم قامت الحرب على ساق أو يقوم اليه أهله فحذف المضاف أو أسند اليه قيامهم مجازا (ولاتحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد به تثبيته على ماهو عليه من أنه تعالى مطلع على أحوالهم وأفعالهم لايخفى عليه خافية والوعيد بأنه معاقبهم على قليله وكثيره لامحالة أو لكل من توهم غفلته جهلا بصفاته واغترارا بامهاله وقيل انه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم (انما يؤخرهم) يؤخر عذابهم وعن أبي عمرو بالنون (ليوم تشخص فيه الابصار) أي تشخص فيه أبصارهم فلا تقر في أماكنها من هول ماترى (مهطعين) أي مسرعين الى الداعي أو مقبلين بأبصارهم لايطرفون هيبة وخوفا وأصل الكلمة هو الاقبال على الشئ (مقنعي رؤسهم) رافعيها (لايرتد اليهم طرفهم) بل تثبت عيونهم شاخصة لاتطرف أو لايرجع اليهم نظرهم فينظر والى أنفسهم (وأفئدتهم هواء) خلاء أي خالية عن الفهم لفرط الحيرة والدهشة ومنه يقال للاحمق وللجبان قلبه هواء أي لارأي فيه ولاقوة قال زهير * من الظلمان جؤجؤه هواء * وقيل خالية عن الخير خاوية عن الحق (وأنذر الناس) يامحمد (يوم يأتيهم العذاب) يعني يوم القيامة أو يوم الموت فانه أول أيام عذابهم وهو مفعول ثان لانذر (فيقول الذين ظلموا) بالشرك والتكذيب (ربنا أخرنا الى أجل قريب) أخر العذاب عنا أو ردنا الى الدنيا وأمهلنا الى حد من الزمان قريب أو أخر آجالنا وأبقنا مقدار مانؤمن بك ونجيب دعوتك (نجب دعوتك ونتبع الرسل) جواب للامر ونظيره لولا أخرتني الى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين (أولم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال) على ارادة القول ومالكم جواب القسم جاء بلفظ الخطاب على المطابقة دون الحكاية والمعنى أقسمتم أنكم باقون في الدنيا لاتزالون بالموت ولعلهم أقسموا بطرا وغرورا أو دل عليه حالهم حيث بنوا شديدا وأملوا بعيدا وقيل أقسموا أنهم لاينتقلون الى دار أخرى وأنهم اذا ماتوا لايزالون عن تلك الحالة الى حالة أخرى كقوله وأقسموا بالله جهد أيمانهم لايبعث الله من يموت (وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم) بالكفر والمعاصي كعاد وثمود وأصل سكن أن يعدى بفي كقر وغنى وأقام وقد يستعمل بمعنى التبوئ فيجري مجراه كقولك سكنت الدار (وتبين لكم كيف فعلنا بهم) بما تشاهدونه في منازلهم من آثار ما نزل بهم وما تواتر عندكم من أخبارهم (وضربنا لكم الامثال) من أحوالهم أي بينا لكم أنكم مثلهم في الكفر واستحقاق العذاب أو صفات مافعلوا وفعل بهم التي هي في الغرابة كالامثال المضروبة (وقد مكروا مكرهم) المستفرغ فيه جهدهم لابطال الحق وتقرير الباطل (وعند الله مكرهم) ومكتوب عنده فعلهم فهو مجازيهم عليه أو عنده مايمكرهم به جزاء لمكرهم وابطالا له (وان كان مكرهم) في العظم والشدة (لتزول منه الجبال) مسوى لازالة الجبال وقيل ان نافية واللام مؤكدة لها كقوله وما كان الله ليعذبهم على ان الجبال مثل لامر النبي صلى الله عليه وسلم ونحوه وقيل مخففة من الثقيلة والمعنى انهم مكروا ليزيلوا ماهو كالجبال الراسية ثباتا وتمكنا من آيات الله تعالى وشرائعه[١] وقرأ الكسائي لتزول بالفتح والرفع على

---

١ قوله على المطابقة دون الحكاية) أي فالتعبير بالخطاب في قوله تعالى مالكم من زوال ليس على الحكاية عن قولهم اذ عبارتهم ليست على طريق الخطاب بل على طريق التكلم بل الخطاب بناء على مطابقته مع أقسمتم (قوله ولعلهم أقسموا بطرا وغرورا الخ) أي ليس قسمهم بناء على اعتقادهم انهم لا يموتون لان هذا الاعتقاد خلاف صريح العقل وشهادة الاموات وانما قالوا ذلك باللسان تكبرا وغرورا والمراد انهم فعلوا مايدل على انهم لايموتون فنزل حالهم منزلة القسم (قوله مخففة من المثقلة) خبر ان المخففة يلزمها اللام المفتوحة ولهذا قال صاحب المغني يلزمها لام الابتداء الااذا دل دليل على ان ان للاثبات ليست بنافية كما في قراءة أبي رجاء وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا بكسر اللام (قوله وقرئ بالفتح والكسر) أي بفتح اللام وكسرها على قول من يجعل لام كي مفتوحة

أنها المخففة واللام هي الفاصلة ومعناه تعظيم مكرهم وقرئ بالفتح والنصب على لغة من يفتح لام كي وقرئ وإن كاد مكرهم (فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله) مثل قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لأغلبن أنا ورسلي وأصله مخلف رسله وعده فقدم المفعول الثاني ايذانا بأنه لا يخلف الوعد أصلا كقوله ان الله لا يخلف الميعاد واذا لم يخلف وعده أحدا فكيف يخلف رسله (ان الله عزيز) غالب لا يماكر قادر لا يدافع (ذو انتقام) لاوليائه من أعدائه (يوم تبدل الارض غير الارض) بدل من يوم يأتيهم أو ظرف للانتقام أو مقدر باذكر أو لا يخلف وعده ولا يجوز أن ينتصب بمخلف لان ما قبل ان لا يعمل فيما بعده (والسموات) عطف على الارض وتقديره والسموات غير السموات والتبديل يكون في الذات كقولك بدلت الدراهم دنانير وعليه قوله بدلناهم جلودا غيرها وفي الصفة كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا أذبتها وغيرت شكلها وعليه قوله يبدل الله سيآتهم حسنات والآية تحتملهما فعن علي رضي تعالى عنه تبدل أرضا من فضة وسموات من ذهب وعن ابن مسعود وأنس رضي الله تعالى عنهما يحشر الناس على أرض بيضاء لم يخطئ عليها أحد خطيئة وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هي تلك الارض وانما تغير صفاتها ويدل عليه ماروى أبو هريرة رضي الله تعالى عنه أنه عليه الصلاة والسلام قال تبدل الارض غير الارض فتبسط وتمد مد الاديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا أمتا واعلم أنه لا يلزم على الوجه الاول أن يكون الحاصل بالتبديل أرضا وسماء على الحقيقة ولا يبعد على الثاني أن يجعل الله الارض جهنم والسموات الجنة على ما أشعر به قوله تعالى كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وقوله ان كتاب الفجار لفي سجين (وبرزوا) من أجداثهم (لله الواحد القهار) لمحاسبته ومجازاته وتوصيفه بالوصفين للدلالة على أن الامر في غاية الصعوبة كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار فان الامر اذا كان لواحد غلاب لا يغلب فلا مستغاث لاحد الى غيره ولا مستجار (وترى المجرمين يومئذ مقرنين) قرن بعضهم مع بعض بحسب مشاركتهم في العقائد والاعمال كقوله واذا النفوس زوجت أو قرنوا مع الشياطين أو مع ما كسبوا من العقائد الزائغة والملكات الباطلة أو قرنت أيديهم وأرجلهم الى رقابهم بالاغلال وهو يحتمل أن يكون تمثيلا لمؤاخذتهم على ما اقترفته أيديهم وأرجلهم (في الاصفاد) متعلق بمقرنين أو حال من ضميره والصفد القيد وقيل الغل قال سلامة بن جندل

وزيد الخيل قد لاقى صفادا * يعض بساعد وبعظم ساق

وأصله الشد (سرابيلهم) قمصانهم (من قطران) وجاء قطران لغتين فيه وهو ما يتحلب من الابهل فيطبخ فتهنأ به الابل الجربى فيحرق الجرب بحدته وهو أسود منتن تشتعل فيه النار بسرعة تطلى به جلود أهل النار حتى يكون طلاؤه لهم كالقمص ليجتمع عليهم لذع القطران ووحشة لونه ونتن ريحه مع اسراع النار في جلودهم على أن التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين ويحتمل ان يكون تمثيلا لما يحيط بجوهر النفس من الملكات الرديئة والهيآت الوحشية فيجلب اليها أنواعا من الغموم والآلام وعن يعقوب قطرآن والقطر النحاس أو الصفر المذاب والآني المتناهي حره والجملة حال ثانية أو حال من الضمير في مقرنين (وتغشى وجوههم النار) وتتغشاها لانهم لم يتوجهوا بها الى الحق ولم يستعملوا في تدبره مشاعرهم وحواسهم التي خلقت فيها لاجله كما تطلع على أفئدتهم لانها فارغة عن المعرفة مملوأة بالجهالات ونظيره قوله تعالى أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وقوله تعالى يوم يسحبون في النار على وجوههم (ليجزي الله كل نفس) أي يفعل بهم ذلك ليجزي كل نفس مجرمة (ما كسبت) أو كل نفس من مجرمة أو مطيعة لانه اذا بين أن المجرمين يعاقبون

فيه انه فيه التبديل بعود الجلود بعينها (قوله وعليه قوله يبدل الله سيآتهم حسنات) فيه انه فسر هذا التبديل بمحو سوابق المعاصي بالتوبة واثبات لواحق الطاعات كأنها ولا يخفى ان هذا تبديل الذات لا تبديل الصفة (قوله واعلم أنه لا يلزم على الوجه الاول الخ) لان تبديل الارض يحتمل أن يكون البدل لا على صفة الارضية وحقيقتها بل على حقيقة وصفة أخرى وانما قال على الوجه الاول اذ على الثاني حقيقة الارضية والسماوية باقية (قوله وتوصيفه بالوصفين الخ) لانه اذا كان الامر للواحد القهار فلا مطمع للنجاة بسبب شخص آخر ولا بشفاعته بالاستقلال وبالجملة حصل اليأس من نصرة الغير بوجه من الوجوه فهو دال على شدة الامر ولا يخفى دلالة صفة القهار على الشدة (قوله وهو يحتمل أن يكون تمثيلا) أي يحتمل أن يكون التقرين بين الايدي والارجل استعارة عن اقتران ما كسبته أيديهم وأرجلهم بالاعضاء المذكورة فالمعنى مقرونين بما اكتسبته أيديهم وأرجلهم (قوله ويحتمل أن يكون تمثيلا لما يحيط بجوهر النفس)

فشبه حال النفس مع الهيآت النفسانية المؤذية بحال الشخص مع تلبسه بالقطران ووجه الشبه تألم اللابس بالملبوس وكراهته له فيستعار هذا اللفظ المركب وهو سرابيلهم من قطران للسيآت الحاصلة للنفوس الموجبة لآلامهم ومضارهم وعقوباتهم (قوله ويتعين ذلك ان علق اللام ببرزوا) لان ضمير برزوا راجع الى جميع الخلائق المؤمنين والمجرمين فيكون الجزاء شاملا للاثابة والعقوبة وأما اذا كان اللام متعلقا بتغشى كان صريحا في بيان حال المجرمين وحال المؤمنين تعلم بالمقايسة (قوله منتهى كمالها التوحيد) فيه نظر لان التوحيد ليس منتهى كمالها بل منتهى كمالها معرفة الصفات الالهية والآيات المبينة فى الآفاق والانفس بل نقول التوحيد أول مراتب الايمان فتكميل الرسل مستفاد من قوله تعالى ولينذروا به لان الانذار للرسل والاستكمال بالقوة النظرية يستفاد من قوله تعالى

لاجرامهم علم أن المطيعين يثابون لطاعتهم ويتعين ذلك ان علق اللام ببرزوا (ان الله سريع الحساب) لانه لايشغله حساب عن حساب (هذا) اشارة الى القرآن أو السورة أو مافيه من العظة والتذكير أو ماوصفه من قوله ولاتحسبن الله (بلاغ للناس) كفاية لهم فى الموعظة (ولينذروا به) عطف على محذوف أى لينصحوا ولينذروا بهذا البلاغ فتكون اللام متعلقة بالبلاغ ويجوز أن تتعلق بمحذوف تقديره ولينذروا به أنزل أو تلى وقرئ بفتح الياء من نذر به اذا علمه واستعد له (وليعلموا أنما هو اله واحد) بالنظر والتأمل فيما فيه من الآيات الدالة عليه أو المنبهة على مايدل عليه (وليذكر أولو الالباب) فيرتدعوا عما يرديهم ويتدرعوا بما يحظيهم واعلم أنه سبحانه وتعالى ذكر لهذا البلاغ ثلاث فوائد هى الغاية والحكمة فى انزال الكتب تكميل الرسل للناس واستكمال القوة النظرية التى منتهى كمالها التوحيد واستصلاح القوة العملية الذى هو التدرع بلباس التقوى جعلنا الله تعالى من الفائزين بهما * وعن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ابراهيم أعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من عبد الاصنام وعدد من لم يعبدها

﴿سورة الحجر مكية وهى تسع وتسعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين) الاشارة الى آيات السورة والكتاب هو السورة وكذا القرآن وتنكيره للتفخيم أى آيات الجامع لكونه كتابا كاملا وقرآنا يبين الرشد من الغى بيانا غريبا (ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين) حين عاينوا حال المسلمين عند نزول النصر أو حلول الموت أو يوم القيامة وقرأ نافع وعاصم ربما بالتخفيف وقرئ ربما بالفتح والتخفيف وفيه ثمان لغات ضم الراء وفتحها مع التشديد والتخفيف وبتاء التأنيث ودونها وما كافة تكفه عن الجر فيجوز دخوله على الفعل وحقه أن يدخل الماضى لكن لما كان المترقب فى اخبار الله تعالى كالماضى فى تحققه أجرى مجراه وقيل مانكرة موصوفة كقوله

ربما تكره النفوس من الامر * له فرجة كحل العقال

ومعنى التقليل فيه الايذان بانهم لو كانوا يودون الاسلام مرة فبالحرى أن يسارعوا اليه فكيف وهم يودونه كل ساعة وقيل تدهشهم أهوال القيامة فان حانت منهم افاقة فى بعض الاوقات تمنوا ذلك والغيبة فى حكاية ودادتهم كالغيبة فى قولك حلف بالله ليفعلن (ذرهم) دعهم (يأكلوا ويتمتعوا)

وليعلموا أنما هو اله واحد واستصلاح القوة العملية مستفاد من قوله تعالى وليذكر أولو الالباب

﴿سورة الحجر﴾

(قوله وتنكيره للتفخيم) أى اذا كان القرآن عبارة عن السورة فيجب أن يكون معرفا كالكتاب فاجاب بان تنكيره للتفخيم (قوله أى آيات الجامع الخ) كذا فى الكشاف وقال الطيبى فان قلنا المآل الى أن الكتاب وقرآن مبين وصفان لموصوف واحد اقيما مقامه فذلك الموصوف فان قدرته معرفة يأباه وقرآن مبين لانه نكرة وان قدرته نكرة يأباه قوله تعالى الكتاب قلت أقدره معرفة وقرآن مبين فى تأويل المعرفة لان معناه البالغ فى القراءة الى حد الاعجاز (قوله حين عاينوا حال المسلمين عند حصول النصر أو الموت الخ) الظاهر ان الموت عطف على النصر ويلزم وداد هم الاسلام حين عاينوا حال المسلمين حال الموت وذلك بان كشف الله عليهم عند الموت حسن حال المسلمين ووخامة عاقبة الكافرين ويمكن أن يكون معطوفا على عاينوا فيكون المعنى حين عاينوا أو عند حلول الموت (قوله وفيه ثمان لغات) ضم الراء مع التخفيف ومع التشديد وفتح الراء مع التخفيف ومع التشديد فهذه أربعة وكل منها اما مع التاء أولا فيحصل ثمانية (قوله وحقه ان يدخل الماضى) لانها وضعت لتقليل المحقق الواقع أو تحقيقه (قوله ربما تكره النفوس من الامر الخ) اذ لمعنى رب شئ تكرهه لنفوس (قوله ومعنى التقليل فيه انهم الخ) غرضه ان رب ههنا المقصود منه التكثير لكن عبر عنه بلفظ رب المفيدة للتقليل فى أصل وضعه اشعارا بما ذكر (قوله والغيبة فى حكاية ودادتهم الخ) أى الظاهر أن يقال ربما يود الذين كفروا

بدنياهم (ويلههم الامل) ويشغلهم توقعهم لطول الاعمار واستقامة الاحوال عن الاستعداد للمعاد (فسوف يعلمون) سوء صنيعهم اذا عاينوا جزاءه والغرض اقناط الرسول صلى الله عليه وسلم من ارعوائهم وايذانه بأنهم من أهل الخذلان وان نصحهم بعد اشتغال بما لا طائل تحته وفيه الزام للحجة وتحذير عن ايثار التنعم ومايؤدى اليه طول الامل (وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم) أجل مقدر كتب فى اللوح المحفوظ والمستثنى جملة واقعة صفة لقرية والاصل أن لا تدخلها الواو كقوله الا لها منذرون ولكن لما شابهت صورتها صورة الحال أدخلت عليها تأكيدا للصوقها بالموصوف (ماتسبق من أمة أجلها ومايستأخرون) أى ومايستأخرون عنه وتذكير ضمير أمة فيه للحمل على المعنى (وقالوا ياأيها الذى نزل عليه الذكر) نادوا به النبى صلى الله عليه وسلم على التهكم ألا ترى الى ماناداوه له وهو قولهم (انك لمجنون) ونظير ذلك قول فرعون ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون والمعنى انك لتقول قول المجانين حين تدعى أن الله تعالى نزل عليك الذكر أى القرآن (لوماتأتينا) ركب لو مع ما كما ركبت مع لا لمعنيين امتناع الشئ لوجود غيره والتحضيض (بالملائكة) ليصدقوك ويعضدوك على الدعوة كقوله تعالى لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا أو للعقاب على تكذيبنا لك كما أتت الامم المكذبة قبل (ان كنت من الصادقين) فى دعواك (ماينزل الملائكة) بالياء ونصب الملائكة على أن الضمير لله تعالى وقرأ حمزة والكسائى وحفص بالنون وأبو بكر بالتاء والبناء للمفعول ورفع الملائكة وقرئ تنزل بمعنى تتنزل (الا بالحق) الا تنزيلا ملتبسا بالحق أى بالوجه الذى قدره واقتضته حكمته ولا حكمة فى أن تأتيكم بصور تشاهدونها فانه لا يزيدكم الا لبسا ولا فى معاجلتكم بالعقوبة فان منكم ومن ذراريكم من سبقت كلمتنا له بالايمان وقيل الحق الوحى أو العذاب (وما كانوا اذا منظرين) اذا جواب لهم وجزاء لشرط مقدر أى ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين (انا نحن نزلنا الذكر) رد لانكارهم واستهزائهم ولذلك أكده من وجوه وقرره بقوله (وانا له لحافظون) أى من التحريف والزيادة والنقص بأن جعلناه معجزا مباينا لكلام البشر بحيث لا يخفى تغيير نظمه على أهل اللسان أو نفى تطرق الخلل اليه فى الدوام بضمان الحفظ له كما نفى أن يطعن فيه بأنه المنزل له وقيل الضمير فى له للنبى صلى الله عليه وسلم (ولقد أرسلنا من قبلك فى شيع الاولين) فى فرقهم جمع شيعة وهى الفرقة المتفقة على طريق ومذهب من شاعه اذا تبعه وأصله الشياع وهو الحطب الصغار توقد به الكبار والمعنى نبأنا رجالا فيهم وجعلناهم رسلا فيما بينهم (وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن) كما يفعل هؤلاء وهو تسلية للنبى عليه الصلاة والسلام وما للحال لا يدخل الا مضارعا بمعنى الحال أو ماضيا قريبا منه وهذا على حكاية الحال الماضية (كذلك نسلكه) ندخله (فى قلوب المجرمين) والسلك ادخال الشئ فى الشئ كالخيط فى المخيط والرمح فى المطعون والضمير للاستهزاء وفيه دليل على أن الله تعالى يوجد الباطل فى قلوبهم وقيل للذكر فان الضمير الآخر فى قوله (لا يؤمنون به) له وهو حال من هذا الضمير والمعنى مثل ذلك السلك نسلك الذكر فى قلوب المجرمين مكذبا غير مؤمن به أو بيان للجملة المتضمنة له وهذا الاحتجاج ضعيف اذ لا يلزم من تعاقب الضمائر توافقها فى المرجوع اليه ولا يتعين أن تكون الجملة حالا من الضمير لجواز أن تكون حالا من المجرمين ولا ينافى كونها مفسرة للمعنى الاول بل يقويه (وقد خلت سنة الأولين) أى سنة الله فيهم بان خذلهم

على المعنى لان الغالب من الأمة مذكرون (قوله والمعنى انك تقول قول المجانين حتى تدعى الخ) أى حتى يصل جنونك الى مرتبة ادعاء النبوّة (قوله ركب مع ما كما ركب مع لا لمعنيين الخ) يدل على ان لوما له معنيان أحدهما امتناع الشئ لوجود غيره والثانى التحضيض وعبارة الكشاف أصرح منه فانه قال لو ركب مع لا وما لمعنيين أحدهما امتناع الشئ لوجود غيره كقول الشاعر

لولا الحياء ولولا الدين عبتكما
ببعض مافيكما اذ عبتما عورى

والثانى التحضيض (قوله ولذا أكده من وجوه) الاوّل ايراد ان الثانى ايراد الجملة الاسمية الثالث تكرير الاسناد (قوله أو نفى تطرق الخلل الخ) معطوف على قوله قدرة والمعنى ان قوله تعالى وانا له لحافظون اما مؤكد لقوله نزلنا الذكر والغرض نفى تطرق الخلل اليه فيما يستقبل من الزمان يعنى ان الغرض منه انه مؤكد للجملة السابقة أو انه مفيد معنى آخر (قوله وهذا الاحتجاج ضعيف) أى الاستدلال بان الضميرين المذكورين لمرجع واحد ضعيف (قوله لجواز أن يكون حالا من المجرمين) الاولى ان يقال يجوز أن يكون حالا من قلوب المجرمين اذ هو مفعول به بواسطة

وسلك

وسلك الكفر فى قلوبهم أو باهلاك من كذب الرسل منهم فيكون وعيدا لأهل مكة (ولو فتحنا عليهم) أى على هؤلاء المقترحين (بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون) يصعدون اليها ويرون عجائبها طول نهارهم مستوضحين لما يرون أو تصعد الملائكة وهم يشاهدونهم (لقالوا) من غلوهم فى العناد وتشكيكهم فى الحق (انما سكرت أبصارنا) سدت عن الابصار بالسحر من السكر ويدل عليه قراءة ابن كثير بالتخفيف أو حيرت من السكر ويدل عليه قراءة من قرأ سكرت (بل نحن قوم مسحورون) قد سحرنا محمد بذلك كما قالوه عند ظهور غيره من الآيات وفى كلمتى الحصر والاضراب دلالة على البت بان ما يرونه لا حقيقة له بل هو باطل خيل اليهم بنوع من السحر (ولقد جعلنا فى السماء بروجا) اثنى عشر مختلفة الهيآت والخواص على مادل عليه الرصد والتجربة مع بساطة السماء (وزيناها) بالاشكال والهيآت البهية (للناظرين) المعتبرين المستدلين بها على قدرة مبدعها وتوحيد صانعها (وحفظناها من كل شيطان رجيم) فلا يقدر أن يصعد اليها ويوسوس الى أهلها ويتصرف فى أمرها ويطلع على أحوالها (الا من استرق السمع) بدل من كل شيطان واستراق السمع اختلاسه سرا شبه به خطفتهم اليسيرة من قطان السموات لما بينهم من المناسبة فى الجوهر أو بالاستدلال من أوضاع الكواكب وحركاتها وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى عليه الصلاة والسلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من كلها بالشهب ولا يقدح فيه تكونها قبل المولد لجواز أن يكون لها أسباب أخر وقيل الاستثناء منقطع أى ولكن من استرق السمع (فأتبعه) فتبعه ولحقه (شهاب مبين) ظاهر للمبصرين والشهاب شعلة نار ساطعة وقد يطلق للكوكب والسنان لما فيهما من البريق (والارض مددناها) بسطناها (وألقينا فيها رواسى) جبالا ثوابت (وأنبتنا فيها) فى الارض أو فيها وفى الجبال (من كل شئ موزون) مقدر بمقدار معين تقتضيه حكمته أو مستحسن مناسب من قولهم كلام موزون أو ما يوزن ويقدر أوله وزن فى أبواب النعمة والمنفعة (وجعلنا لكم فيها معايش) تعيشون بها من المطاعم والملابس وقرئ معائش بالهمزة على التشبيه بشمائل (ومن لستم له برازقين) عطف على معايش أو على محل لكم ويريد به العيال والخدم والمماليك وسائر ما يظنون أنهم يرزقونهم ظنا كاذبا فان الله يرزقهم واياهم وفذلكة الآية الاستدلال بجعل الارض ممدودة بمقدار وشكل معينين مختلفة الاجزاء فى الوضع محدثة فيها أنواع النبات والحيوان المختلفة خلقة وطبيعة مع جواز أن لا تكون كذلك على كمال قدرته وتناهى حكمته والتفرد فى الالوهية والامتنان على العباد بما أنعم عليهم فى ذلك ليوحدوه ويعبدوه ثم بالغ فى ذلك وقال (وان من شئ الا عندنا خزائنه) أى وما من شئ الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه أضعاف ما وجد منه فضرب الخزائن مثلا لاقتداره أو شبه مقدوراته بالاشياء المخزونة التى لا يحوج اخراجها الى كلفة واجتهاد (وما ننزله) من بقاع القدرة (الا بقدر معلوم) حده الحكمة وتعلقت به المشيئة فان تخصيص بعضها بالايجاد فى بعض الاوقات مشتملا على بعض الصفات والحالات لا بد له من مخصص حكيم (وأرسلنا الرياح لواقح) حوامل شبه الريح التى جاءت بخير من انشاء سحاب ماطر بالحامل كما شبه ما لا يكون كذلك بالعقيم أو ملقحات للشجر أو السحاب ونظيره الطوائح بمعنى المطيحات فى قوله * ومختبط مما تطيح الطوائح * وقرئ وأرسلنا الريح على تأويل الجنس (فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه) فجعلناه لكم سقيا (وما أنتم له بخازنين) قادرين متمكنين من اخراجه نفى عنهم ما أثبته لنفسه أو حافظين فى الغدران والعيون والآبار وذلك أيضا يدل على المدبر الحكيم

(قوله ويدل عليه قراءة ابن كثير بالتخفيف) أى بصيغة المجهول المخففة فانه يدل على ان الفعل من السكر بكسر السين وهو السحر اذ لو كان من السكر بضم السين لما بنى منه الفعل المجهول لانه لازم (قوله ويدل عليه قراءة من قرأ سكرت) أى تدل قراءة من قرأ سكرت بفتح السين وتخفيف الكاف المكسورة انها من السكر بضم السين (قوله مع بساطة السماء) أراد ان حصول البروج المختلفة فى الخواص مع اتحادها فى الحقيقة لبساطة السماء دال على الصانع القدير المختار وفيه ان اختلاف الخواص نشأ من الكواكب الحالة فيها وهى مختلفة الطبائع فالاولى الاستدلال بحلول كل كوكب بمكان معين مع اتحاد الامكنة فى الحقيقة (قوله لما بينهم من المناسبة بالجوهر) لا حاجة الى الملابسة بالجوهر بل يخطفون لقربهم من السماء (قوله ولا يقدح فيه تكونها قبل المولد) أى لا يقدح فى كلام ابن عباس تكون الشهب قبل المولد لاحتمال أن يكون لها قبل تولد النبى وعيسى عليهما السلام أسباب أخر غير ما ذكر (قوله فضرب الخزائن مثلا لاقتداره) أى شبه اقتداره على كل شئ

وايجاده بالخزائن المودوعة فيها الاشياء المهيأة المعدودة ليؤذن ان مقدره كأنه حاصل موجود (قوله وتكرير الضمير للدلالة على الحصر) أى تكرير ضمير المتكلم الدلالة على ان الاحياء والاماتة منحصران فى الله تعالى لا يتصف غيره بشئ منهما فان نحن من قبيل ضمير المنفصل (قوله والتنبيه على ان ماسبق من الدلالة الخ) يعنى تأكيد وقوع الحشر بعد ذكر العلم الكامل والقدرة الكاملة

كما تدل حركة الهواء فى بعض الاوقات من بعض الجهات على وجه ينتفع به الناس فان طبيعة الماء تقتضى الغور فوقوفه دون حد لابد له من سبب مخصص (وانا لنحن نحيي) بايجاد الحياة فى بعض الاجسام القابلة لها (ونميت) بازالتها وقد أول الحياة بما يعم الحيوان والنبات وتكرير الضمير للدلالة على الحصر (ونحن الوارثون) الباقون اذا مات الخلائق كلها (ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين) من استقدم ولادة وموتا ومن استأخر ومن خرج من أصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد أو من تقدم فى الاسلام والجهاد وسبق الى الطاعة أو تأخر لا يخفى علينا شئ من أحوالكم وهو بيان لكمال علمه بعد الاحتجاج على كمال قدرته فان ما يدل على قدرته دليل على علمه وقيل رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الصف الاول فازدحموا عليه فنزلت وقيل ان امرأة حسناء كانت تصلى خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقدم بعض القوم لئلا ينظر اليها وتأخر بعض ليبصرها فنزلت (وان ربك هو يحشرهم) لامحالة للجزاء وتوسيط الضمير للدلالة على أنه القادر والمتولى لحشرهم لا غير وتصدير الجملة بان لتحقيق الوعد والتنبيه على أن ماسبق من الدلالة على كمال قدرته وعلمه بتفاصيل الاشياء يدل على صحة الحكم كما صرح به بقوله (انه حكيم) باهر الحكمة متقن فى أفعاله (عليم) وسع علمه كل شئ (ولقد خلقنا الانسان من صلصال) من طين يابس يصلصل أى يصوت اذا نقر وقيل هو من صلصل اذا أنتن تضعيف صل (من حمأ) طين تغير واسود من طول مجاورة الماء وهو صفة صلصال أى كائن من حمأ (مسنون) مصور من سنة الوجه أو مصبوب ليبيس ويتصور كالجواهر المذابة تصب فى القوالب من السن وهو الصب كأنه أفرغ الحمأ فصور منها تمثال انسان أجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غير ذلك طورا بعد طور حتى سواه ونفخ فيه من روحه أو منتن من سننت الحجر على الحجر اذا حككته به فان ما يسيل بينهما يكون منتنا ويسمى السنين (والجان) أبا الجن وقيل ابليس ويجوز أن يراد به الجنس كما هو الظاهر من الانسان لان تشعب الجنس لما كان من شخص واحد خلق من مادة واحدة كان الجنس باسره مخلوقا منها وانتصابه بفعل يفسره (خلقناه من قبل) من قبل خلق الانسان (من نار السموم) من نار الحر الشديد النافذ فى المسام ولا يمتنع خلق الحياة فى الاجرام البسيطة كما لا يمتنع خلقها فى الجواهر المجردة فضلا عن الاجساد المؤلفة التى الغالب فيها الجزء النارى فانها أقبل لها من التى الغالب فيها الجزء الارضى وقوله من نار باعتبار الغالب كقوله خلقكم من تراب ومساق الآية كما هو للدلالة على كمال قدرة الله تعالى وبيان بدء خلق الثقلين فهو للتنبيه على المقدمة الثانية التى يتوقف عليها امكان الحشر وهو قبول المواد للجمع والاحياء (واذ قال ربك) واذكر وقت قوله (للملائكة انى خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون فاذا سويته) عدلت خلقته وهيأته لنفخ الروح فيه (ونفخت فيه من روحى) حتى جرى آثاره فى تجاويف أعضائه فحيي وأصل النفخ اجراء الريح فى تجويف جسم آخر ولما كان الروح يتعلق أولا بالبخار اللطيف المنبعث من القلب وتفيض عليه القوة الحيوانية فيسرى حاملا لها فى تجاويف الشرايين الى أعماق البدن جعل تعلقه بالبدن نفخا واضافة الروح الى نفسه لما مر فى النساء (فقعوا له

يدل على ان تحقق وقوع الحشر مستفاد من الامرين المذكورين وهما العلم والقدرة ويدل على ذلك قوله تعالى انه حكيم عليم يعنى ان الحكمة والعلم الكاملين يدلان على وقوع الحشر لان من كان له العلم والقدرة الكاملان لابد أن يكون قادرا على صحة الاعادة ولما أخبر بوقوعها كان محققا (قوله ولا يمتنع خلق الحياة فى الاجرام البسيطة الخ) جواب سؤال مقدر وهو انه كيف يخلق الحياة فى النار وهو جرم بسيط لكن المشاهدة والقياس ان الحياة لا تكون الا فى المركب فاجاب بانا لا نسلم امتناع خلق الحياة فى الجسم البسيط كما لا يمتنع خلقها فى المجردات مع انها أبعد من الحياة من الجسم ولا يخفى ان هذا قول بالمجردات ولما لم يثبت وجودها بل منع جمهور المتكلمين وجودها لا وجه لان يجعل معينا عليها ثم ان المراد من خلق الجان من النار هو ان الجزء الغالب عليه النار كما ان الجزء الغالب على الانسان التراب ولذا يميل بالطبع الى أسفل فلا يبقى كل منهما على بساطته (قوله جعل تعليقه بالبدن نفخا) أى الروح لا ينفخ فى البدن لانه أمر خارج عن البدن مجرد على ما هو مقتضى كلامه ههنا وصرح سابقا بوجود المجردات لكن لما كان متعلقا بالبخار اللطيف الذى حل القلب ولابسه بتبخير لطائف الاخلاط الجائية من الكبد اليه وهذا البخار نافذ فى التجاويف

فاسقطوا

منفوخ فيها فنسبة النفخ الى الروح باعتبار تعلقه بما هو منفوخ حقيقة فتكون النسبة مجازا عقليا على قاعدتهم ولا حاجة الى هذا التأويل بل يقال ان المراد بالروح نفس هذا البخار وعند وجود هذا البخار ونفخه فى البدن تتعلق النفس الناطقة (قوله وفيه نظر اذ لو كان كذلك كان الثانى حالا لا تأكيدا) يعنى يجب أن يكون أجمعين منصوبا بالحالية لامرفوعا بانه تأكيد (قوله وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته) لانه يتضمن ان تركه السجود ليس بسبب انه أشرف فى الواقع من آدم ولكن لشقاء فيه

فاسقطواله (ساجدين) أمر من وقع يقع (فسجد الملائكة كلهم أجمعون) أكد بتأكيدين للمبالغة فى التعميم ومنع التخصيص وقيل أكد بالكل للاحاطة و باجعين للدلالة على أنهم سجدوا مجتمعين دفعة وفيه نظر اذ لو كان الامر كذلك كان الثانى حالا لا تأكيدا (الا ابليس) ان جعل منقطعا اتصل به قوله (أبى أن يكون مع الساجدين) أى ولكن ابليس أبى وان جعل متصلا كان استئنافا على أنه جواب سائل قال هلا سجد (قال يا ابليس مالك ألا تكون) أى غرض لك فى أن لا تكون (مع الساجدين) لآدم (قال لم أكن لأسجد) اللام لتأكيد النفى أى لا يصح منى و ينافى حالى أن أسجد (لبشر) جسمانى كثيف وأنا ملك روحانى (خلقته من صلصال من حمأ مسنون) وهو أخس العناصر وخلقتنى من نار وهى أشرفها استنقص آدم عليه السلام باعتبار النوع والاصل وقد سبق الجواب عنه فى سورة الاعراف (قال فاخرج منها) من السماء أو الجنة أو زمر الملائكة (فانك رجيم) مطرود من الخير والكرامة فان من يطرد يرجم بالحجر أو شيطان يرجم بالشهب وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته (وان عليك اللعنة) هذا الطرد والابعاد (الى يوم الدين) فانه منتهى أمد اللعن فانه يناسب أيام التكليف ومنه زمان الجزاء وما فى قوله فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين بمعنى آخر ينسى عنده هذه وقيل انما حد اللعن به لانه أبعد غاية يضرب بها الناس أو لانه يعذب فيه بما ينسى اللعن معه فيصير كالزائل (قال رب فأنظرنى) فأخرنى والفاء متعلقة بمحذوف دل عليه فاخرج منها فانك رجيم (الى يوم يبعثون) أراد أن يجد فسحة فى الاغواء أو نجاة من الموت اذ لا موت بعد وقت البعث فأجابه الى الاول دون الثانى (قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) المسمى فيه أجلك عند الله أو انقراض الناس كلهم وهو النفخة الاولى عند الجمهور ويجوز أن يكون المراد بالايام الثلاثة يوم القيامة واختلاف العبارات لاختلاف الاعتبارات فعبر عنه أولا بيوم الجزاء لما عرفته وثانيا بيوم البعث اذ به يحصل العلم بانقطاع التكليف واليأس عن التضليل وثالثا بالمعلوم لوقوعه فى الكلامين ولا يلزم من ذلك أن لا يموت فلعله يموت أول اليوم و يبعث مع الخلائق فى تضاعيفه وهذه المخاطبة وان لم تكن بواسطة لم تدل على منصب ابليس لان خطاب الله له على سبيل الاهانة والاذلال (قال رب بما أغويتنى) الباء للقسم وما مصدرية وجوابه (لأزينن لهم فى الارض) والمعنى أقسم باغوائك اياى لأزينن لهم المعاصى فى الدنيا التى هى دار الغرور كقوله أخلد الى الارض وفى انعقاد القسم بافعال الله تعالى خلاف وقيل للسببية والمعتزلة أولوا الاغواء بالنسبة الى الغى أو التسبب له بأمره اياه بالسجود لآدم عليه السلام أو بالاضلال عن طريق الجنة واعتذر واعن امهال الله له وهو سبب لزيادة غيه وتسليط له على اغواء بنى آدم بان الله تعالى علم منه وممن تبعه أنهم يموتون على الكفر و يصيرون الى النار أمهل أو لم يمهل وان فى امهاله تعريضا لمن خالفه لاستحقاق مزيد الثواب وضعف

وسوء خاتمة و بعده عن الخير (قوله فانه منتهى أمد اللعن) المراد مجرد البعد عن الرحمة منه يوم الدين واما فى اليوم فليس مجرد البعد بل هو مع أنواع العذاب (قوله أو لانه الخ) والفرق بينه و بين ماذكره المصنف انه على كلام المصنف لم يبق اللعن المذكور فى الآية اذ المراد مجرد اللعن وهو غير باق حقيقة واما على كلام صاحب القيل فاللعن المذكور فى الآية باق لكنه فى حكم الزائل (قوله متعلق بمحذوف) والتقدير لما أخرجتنى ورجمتنى فانظرنى (قوله وثانيا بيوم البعث اذ به يحصل الخ) هذا الايلائم وجه تسميته اليوم يوم البعث والاولى ان يقال تسميته به لان الخلائق يبعثون فيه والوجه ان يقال يسمى بالبعث لما ذكرنا وانما طلب اللعين الانظار الى يوم البعث لانقطاع التكاليف بعد البعث فلا

يحصل بعده الاغواء الذى هو غرضه من الانظار (قوله فلعله يموت أول اليوم و يبعث مع الخلائق فى تضاعيفه) أى لاحتمال ان يموت ابليس أول يوم القيامة ولا يلزم ان يكون بعث كل الخلق فى أول آن ذلك اليوم بل يمكن ان يبعث الخلق فى أثناء ذلك اليوم (قوله وهذه المخاطبة وان لم تكن بواسطة) أى هذه المخاطبة التى جرت بين الله تعالى و بين ابليس وان لم تكن بواسطة الاولى ان يقال هذه المخاطبة ان لم تكن بواسطة بحذف الواو لان بعض المتكلمين على انه تعالى خاطبه بلسان بعض الملائكة رسله (قوله وضعف

ذلك لايخفى على ذوى الألباب) لان تأويل الاغواء بماذكر بعيد لاباعث عليه ولان الامهال لاجل ماذكر مع اشتماله على المضار الغير المتناهية لايناسب قواعدهم (قوله وتغيير الوضع لتعظيم المخلصين) أى تغيير وضع النظم فان فيما سبق كان المستثنى منه الناس والمستثنى المخلصين وههنا العباد المستثنى منه والغاوون مستثنى (قوله وعلى هذا يكون الاستثناء منقطعا) أى اذا كان المراد ان ليس له سلطان وحكم عليهم يكون الاستثناء منقطعا لانه نفى ان يكون له سلطان عليهم مطلقا فلو كان الاستثناء متصلا لزم ان يكون له سلطان على الغاوين وليس كذلك (قوله وعلى الاول) أى على جعل الاستثناء متصلا لزم اندفاع قول من شرط ان يكون المستثنى أقل من الباقى والالزم التناقض لانه على هذا القول لزم ان يكون المخلصون وهو المستثنى فى الكلام المقدم أقل من الباقين فيكون الغاوون أكثر ولما كان الغاوون مستثنى فى الاستثناء الثانى لزم ان يكون الغاوون أقل والمخلصون أكثر وانما قال

ذلك لايخفى على ذوى الالباب (ولأغوينهم أجمعين) ولاحملنهم أجمعين على الغواية (الاعبادك منهم المخلصين) الذين أخلصتهم لطاعتك وطهرتهم من الشوائب فلايعمل فيهم كيدى وقرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو بالكسر فى كل القرآن أى الذين أخلصوا نفوسهم لله تعالى (قال هذا صراط علىّ حق علىّ أن أراعيه (مستقيم) لاانحراف عنه والاشارة الى ماتضمنه الاستثناء وهو تخليص المخلصين من اغوائه أو الاخلاص على معنى انه طريق على يؤدى الى الوصول الى من غير اعوجاج وضلال وقرئ علىٌ من علو الشرف (ان عبادى ليس لك عليهم سلطان الامن اتبعك من الغاوين) تصديق لابليس فيما استثناه وتغيير الوضع لتعظيم المخلصين ولان المقصود بيان عصمتهم وانقطاع مخالب الشيطان عنهم أو تكذيب له فيما أوهم أن له سلطانا على من ليس بمخلص من عباده فان منتهى تزيينه التحريض والتدليس كما قال وما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لى وعلى هذا يكون الاستثناء منقطعا وعلى الاول يدفع قول من شرط أن يكون المستثنى أقل من الباقى لافضائه الى تناقض الاستثناءين (وان جهنم لموعدهم) لموعد الغاوين أو المتبعين (أجمعين) تأكيد للضمير أو حال والعامل فيها الموعد ان جعلته مصدرا على تقدير مضاف ومعنى الاضافة ان جعلته اسم مكان فانه لايعمل (لها سبعة أبواب) يدخلون منها لكثرتهم أو طبقات ينزلونها بحسب مراتبهم فى المتابعة وهى جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية ولعل تخصيص العدد لانحصار مجامع المهلكات فى الركون الى المحسوسات ومتابعة القوّة الشهوية والغضبية أو لان أهلها سبع فرق (لكل باب منهم) من الاتباع (جزء مقسوم) أفرز له فأعلاها للموحدين العصاة والثانى لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين وقرأ أبو بكر جزؤ بالتثقيل وقرئ جز على حذف الهمزة والقاء حركتها على الزاى ثم الوقف عليه بالتشديد ثم اجراء الوصل مجرى الوقف ومنهم حال منه أو من المستكن فى الظرف لافى مقسوم لان الصفة لاتعمل فيما تقدم موصوفها (ان المتقين) من اتباعه فى الكفر والفواحش فان غيرها مكفرة (فى جنات وعيون) لكل واحد جنة وعين أو لكل عدة منهما كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم قوله ومن دونهما جنتان وقوله مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار

على الاول أى على جعل الاستثناء متصلا لان القائل المذكور انما قال ماقال فى الاستثناء المتصل لافى المنقطع (قوله على تقدير مضاف) أى على وان جهنم لمحل موعدهم (قوله ومعنى الاضافة ان جعلته اسم مكان) فيقدر فعل هكذا موعد ينسب اليهم (قوله لكثرتهم) أى لكثرة الداخلين فيها فيناسب تعدد الابواب حتى لايحتاج دخولهم الى طول زمان (قوله أو طبقات الخ) فتكون الابواب اشارة للطبقات باعتبار اشتمالها على الابواب (قوله فى الركون الى المحسوسات) جعل المحسوسات خمسا بناء على جعل الحواس الظاهرة خمسا فان قلت الحواس الباطنة خمس كالظاهرة فيجب زيادة الابواب قلت الركون الى الباطنة تابع للركون الى الظاهرة فلذا اقتصر عليه (قوله من أفرز له) أى لكل باب بعض من أتباع الشياطين أفرز له أى عين من بينهم للدخول فى ذلك الباب (قوله ثم أجرى الوصل مجرى الوقف) بان شدد الزاء فى الوصل (قوله ومنهم حال منه الخ) وتقديمه على صاحبه وهو الجزء لكون الحال نكرة وكونه حالا منه لان الجزء فاعل الظرف فيكون التقدير لكل باب جزء مقسوم منهم أو حال من المستكن فى الظرف وهو لكل باب وهذا اذا كان جزء مبتدأ قدم عليه الخبر (قوله لانه مقسوم لان الصفة الخ) أى لزم بماذكر ان يكون المقسوم عاملا فى الحال لذى هو منهم وهو مقدم على الجزء الذى هو موصوف المقسوم وهذا غير جائز عندهم (قوله وقوله مثل الجنة الخ) اذ اللام فى المتقين للاستغراق فيكون المعنى مثل الجنة التى وعد لكل من المتقين فيها أنهار فيكون لجنة كل واحد أنهار

من ماء غير آسن الآية وقرأ نافع وحفص وأبو عمرو وهشام وعيون والعيون بضم العين حيث وقع والباقون بكسر العين (ادخلوها) على ارادة القول وقرئ بقطع الهمزة وكسر الخاء على أنه ماض فلا يكسر التنوين (بسلام) سالمين أو مسلما عليكم (آمنين) من الآفة والزوال (ونزعنا) فى الدنيا بما ألف بين قلوبهم أو فى الجنة بتطييب نفوسهم (مافى صدورهم من غل) من حقد كان فى الدنيا وعن على رضى الله تعالى عنه أرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم أو من التحاسد على درجات الجنة ومراتب القرب (اخوانا) حال من الضمير فى جنات أو فاعل ادخلوها أو الضمير فى آمنين أو الضمير المضاف اليه والعامل فيها معنى الاضافة وكذا قوله (على سرر متقابلين) ويجوز أن يكونا صفتين لاخوانا أو حالين من ضميره لانه بمعنى متصافين وأن يكون متقابلين حالا من المستقر فى على سرر (لايمسهم فيها نصب) استئناف أو حال بعد حال أو حال من الضمير فى متقابلين (وماهم منها بمخرجين) فان تمام النعمة بالخلود (نبئ عبادى أنى أنا الغفور الرحيم وأن عذابى هو العذاب الاليم) فذلكة ماسبق من الوعد والوعيد وتقريرله وفى ذكر المغفرة دليل على أنه لم يرد بالمتقين من يتقى الذنوب باسرها كبيرها وصغيرها وفى توصيف ذاته بالغفران والرحمة دون التعذيب ترجيح الوعد وتاكيده وفى عطف (ونبئهم عن ضيف ابراهيم) على نبئ عبادى تحقيق لهما بما يعتبرون به (اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما) أى نسلم عليك سلاما أو سلمنا سلاما (قال انا منكم وجلون) خائفون وذلك لانهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت ولانهم امتنعوا من الاكل والوجل اضطراب النفس لتوقع ماتكره (قالوا لاتوجل) وقرئ لاتأجل ولا توجل من أوجله ولا تواجل من واجله بمعنى أوجله (انا نبشرك) استئناف فى معنى التعليل للنهى عن الوجل فان المبشر لايخاف منه وقرأ حمزة نبشرك بفتح النون والتخفيف من البشر (بغلام) هو اسحق عليه السلام لقوله وبشرناه باسحق (عليم) اذا بلغ (قال أبشرتمونى على أن مسنى الكبر) تعجب من أن يولد له مع مس الكبر اياه او انكار لان يبشر به فى مثل هذه الحالة وكذا قوله (فبم تبشرون) أى فبأى أعجوبة تبشرون أو فبأى شئ تبشرون فان البشارة بما لا يتصور وقوعه عادة بشارة بغير شئ وقرأ ابن كثير بكسر النون مشددة فى كل القرآن على ادغام نون الجمع فى نون الوقاية وكسرها وقرأ نافع بكسرها مخففة على حذف نون الجمع استثقالا لاجتماع المثلين ودلالة بابقاء نون الوقاية وكسرها على الياء (قالوا بشرناك بالحق) بما يكون لامحالة أو باليقين الذى لالبس فيه أو بطريقة هى حق وهو قول الله تعالى وأمره (فلا تكن من القانطين) من الآيسين من ذلك فانه تعالى قادر على أن يخلق بشرا من غير أبوين فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر وكان استعجاب ابراهيم عليه السلام باعتبار العادة دون القدرة ولذلك (قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون) المخطؤن طريق المعرفة فلا يعرفون سعة رحمة الله وكمال علمه وقدرته كما قال تعالى لاييأس من روح الله الا القوم الكافرون وقرأ أبو عمرو والكسائى يقنط بالكسر وقرئ بالضم وماضيهما قنط بالفتح (قال فما خطبكم أيها المرسلون) أى فما شأنكم الذى أرسلتم لاجله سوى البشارة ولعله علم أن كمال المقصود ليس البشارة لانهم كانوا عددا والبشارة لاتحتاج الى العدد ولذلك اكتفى بالواحد فى بشارة زكريا ومريم عليهما السلام أو لانهم بشروه فى تضاعيف الحال لازالة الوجل ولو كانت تمام المقصود لابتدؤا بها (قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين) يعنى قوم لوط (الا آل لوط) ان كان استثناء من قوم كان منقطعا اذ القوم مقيد

المرادون بعبادى بقرينة ماسبق وهو قوله تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان واذا كان كذلك كان المراد بالمغفرة المغفرة للمتقين فلم يرد بالتقوى عدم صدور الذنب والالم تتعلق المغفرة به (قوله وفى عطف ونبئهم عن ضيف ابراهيم على نبئ عبادى تحقيق لهما بما يعتبرون به) أى فى هذا العطف تحقيق للرحمة والعذاب بدليل يحصل لهم أى للعباد الاعتبار بهذا الدليل فان قصة ابراهيم المذكورة ههنا مفيدة للرحمة على ابراهيم والعذاب على قوم لوط (قوله فبأى أعجوبة تبشرونى أو فبأى شئ تبشرونى) أراد بالاول تعظيم البشارة فيكون المعنى بشرتمونى بأمر عظيم وبالثانى تقوية الانكار السابق فى قوله أبشرتمونى والغرض الاصلى من هذين الكلامين تحقيق البشارة وقوة اليقين بها واطمئنان القلب كما قال عليه السلام ولكن ليطمئن قلبى فيكون الانكار بحسب الظاهر لاحقيقة وكيف ينكر ما بشر به الملائكة صلوات الله عليهم (قوله لانهم

بشروا به فى تضاعيف الحال الخ) أى بشروا به فى أثناء الحكاية وزمان الملاقاة لازالة الخوف ولو كان المقصود بالذات هو البشارة لابتدؤا بها حتى يحصل المقصود بالذات وهو البشارة وازالة الخوف أيضا (قوله ان كان استثناء من قوم كان منقطعا) لان آل لوط

أن يكونوا مجرمين والمستثنى منه القوم المجرمون فيكون المعنى أنا مرسلون الى الجماعة المجرمين الا آل لوط فانا لم نرسل اليهم فيكون آل لوط داخلا في الجماعة المجرمين حتى يمكن اخراجهم بالاستثناء واما اذا كان مستثنى من ضمير مجرمين يكون استثناء آل لوط من المتصفين بالاجرام فالاستثناء يفيد عدم اتصافهم به اذ المعنى جماعة متصفة بالاجرام جميعهم الا آل لوط (قوله وهو استئناف اذا اتصل الاستثناء الخ) أي اذا كان الاستثناء المذكور وهو آل لوط متصلا كان الكلام تاما عند قوله الا آل لوط فيكون انا لمنجوهم أجمعين ابتداء كلام آخر أو استئناف كأنه قال ما حال آل لوط فقيل (١٧٢) انا لمنجوهم أجمعين اذ يحتمل ان يتوهم ان آل لوط داخلون في العذاب وان كان خلاف

بالاجرام وان كان استثناء من الضمير في مجرمين كان متصلا والقوم والارسال شاملين للمجرمين وآل لوط المؤمنين به وكان المعنى انا أرسلنا الى قوم أجرم كلهم الا آل لوط منهم لنهلك المجرمين وننجي آل لوط منهم ويدل عليه قوله (انا لمنجوهم أجمعين) أي مما يعذب به القوم وهو استئناف اذا اتصل الاستثناء ومتصل بآل لوط جار مجرى خبر لكن اذا انقطع وعلى هذا جاز أن يكون قوله (الا امرأته) استثناء من آل لوط أو من ضميرهم وعلى الاول لا يكون الا من ضميرهم لاختلاف الحكمين اللهم الا أن يجعل انا لمنجوهم اعتراضا وقرأ حمزة والكسائي لمنجوهم مخففا (قدرنا انها لمن الغابرين) الباقين مع الكفرة لتهلك معهم وقرأ أبو بكر عن عاصم قدرنا هنا وفي النمل بالتخفيف وانما علق والتعليق من خواص أفعال القلوب لتضمنه معنى العلم ويجوز أن يكون قدرنا أجرى مجرى قلنا لان التقدير بمعنى القضاء قول وأصله جعل الشئ على مقدار غيره واسنادهم اياه الى أنفسهم وهو فعل الله سبحانه وتعالى لما لهم من القرب والاختصاص به (فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون) تنكركم نفسي وتنفر عنكم مخافة أن تطرقوني بشر (قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون) أي ما جئناك بما تنكر لاجله بل جئناك بما يسرك ويشفي لك من عدوك وهو العذاب الذي توعدتهم به فيمترون فيه (وأتيناك بالحق) باليقين من عذابهم (وانا لصادقون) فيما أخبرناك به (فاسر باهلك) فاذهب بهم في الليل وقرأ الحجازيان بوصل الهمزة من السرى وهما بمعنى وقرئ فسر من السير (بقطع من الليل) في طائفة من الليل وقيل في آخره قال

افتحي الباب وانظري في النجوم * كم علينا من قطع ليل بهيم

(واتبع أدبارهم) وكن على أثرهم تذودهم وتسرع بهم وتطلع على حالهم (ولا يلتفت منكم أحد) لينظر ما وراءه فيرى من الهول ما لا يطيقه أو فيصيبه ما أصابهم أو ولا ينصرف أحدكم ولا يتخلف لامر فيصيبه العذاب وقيل نهوا عن الالتفات ليوطنوا نفوسهم على المهاجرة (وامضوا حيث تؤمرون) الى حيث أمركم الله بالمضي اليه وهو الشام أو مصر فعدي وامضوا الى حيث وتؤمرون الى ضميره المحذوف على الاتساع (وقضينا) اليه أي وأوحينا (اليه) مقضيا ولذلك عدي بالى (ذلك الامر) مبهم يفسره (أن دابر هؤلاء مقطوع) ومحله النصب على البدل منه وفي ذلك تفخيم للامر وتعظيم له وقرئ بالكسر على الاستئناف والمعنى أنهم يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم أحد (مصبحين) داخلين في الصبح وهو حال من هؤلاء أو من الضمير في مقطوع وجمعه

الظاهر اذ قد يشمل العذاب من لا يكون مجرما وان كان الاستثناء المذكور منقطعا كان المستثنى ابتداء كلام آخر فيكون انا لمنجوهم أجمعين مقامه (قوله وعلى هذا جاز ان يكون الخ) أي اذا كان الاستثناء منقطعا يمكن ان يكون الا امرأته مستثنى من آل لوط ويكون المعنى لكن آل لوط الا امرأته منجوهم منه وان يكون مستثنى من ضميرهم أي انا لمنجوهم الا امرأته واما على الاول وهو ان يكون الاستثناء متصلا لا يجوز ان يكون الا امرأته مستثنى من ضمير آل لوط لاختلاف الحكمين لان آل لوط متعلق بارسلنا والا امرأته متعلق بمنجوهم هكذا في الكشاف واعترض عليه بان الارسال اذا كان بمعنى الاهلاك فلا اختلاف اذ التقدير الا آل لوط لم يهلكوا بمعنى منجوهم وجواز الاستثناء من الاستثناء شرطه أيضا ان يتخلل لفظة هي الاستثناء بين متعدد يصلح مستثنى منه وههنا يتخلل انا لمنجوهم فلو قال الا آل لوط الا امرأته لجاز ذلك المحمل

أقول فيكفي هذا في عدم كونه مستثنى من آل لوط ولا حاجة الى اعتبار اختلاف الحكمين (قوله وانما علق والتعليق من خواص افعال القلوب الخ) التعليق ههنا بادخال ان على الاسمين قال الرضي ومن المعلقات ان المكسورة اذا لم يمكن فتحها بادخال اللام على الخبر (قوله افتحي الباب الخ) كأنه طال عليه الليل فخاطب صبيحته بذلك أو كان يحب طول الليل للوصال (قوله وامضوا الى حيث) يعني الأصل ان يقال وامضوا الى حيث تؤمرون لأن معنى مضى ذهب فحذف الى وعدي الفعل بنفسه للاتساع (قوله وفي ذلك تفخيم للامر)

للحمل على المعنى فان دابر هؤلاء فى معنى مدبرى هؤلاء (وجاء أهل المدينة) سدوم (يستبشرون) باضياف لوط طمعا فيهم (قال ان هؤلاء ضيفى فلا تفضحون) بفضيحة ضيفى فان من أسىء الى ضيفه فقد أسىء اليه (واتقوا الله) فى ركوب الفاحشة (ولا تخزون) ولا تذلونى بسببهم من الخزى وهو الهوان أو لا تخجلونى فيهم من الخزاية وهو الحياء (قالوا أولم ننهك عن العالمين) عن أن تجير منهم أحدا أو تمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل أحد وكان لوط يمنعهم عنه بقدر وسعه أو عن ضيافة الناس وانزالهم (قال هؤلاء بناتى) يعنى نساء القوم فان نبى كل أمة بمنزلة أبيهم وفيه وجوه ذكرت فى سورة هود (ان كنتم فاعلين) قضاء الوطر أو ما أقول لكم (لعمرك) قسم بحياة المخاطب والمخاطب فى هذا القسم هو النبى عليه الصلاة والسلام وقيل لوط عليه السلام قالت الملائكة له ذلك والتقدير لعمرك قسمى وهو لغة فى العمر يختص به القسم لايثار الاخف فيه لانه كثير الدور على ألسنتهم (انهم لفى سكرتهم) لفى غوايتهم أو شدة غلمتهم التى أزالت عقولهم وتمييزهم بين خطئهم والصواب الذى يشار به اليهم (يعمهون) يتحيرون فكيف يسمعون نصحك وقيل الضمير لقريش والجملة اعتراض (فأخذتهم الصيحة) يعنى صيحة هائلة مهلكة وقيل صيحة جبريل عليه السلام (مشرقين) داخلين فى وقت شروق الشمس (فجعلنا عاليها) عالى المدينة أو عالى قراهم (سافلها) وصارت منقلبة بهم (وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل) من طين متحجر أو طين عليه كتاب من السجل وقد تقدم مزيد بيان لهذه القصة فى سورة هود (ان فى ذلك لآيات للمتوسمين) للمتفكرين المتفرسين الذين يتثبتون فى نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشئ بسمته (وانها) وان المدينة أو القرى (لبسبيل مقيم) ثابت يسلكه الناس ويرون آثارها (ان فى ذلك لآية للمؤمنين) بالله ورسله (وان كان أصحاب الايكة لظالمين) هم قوم شعيب كانوا يسكنون الغيضة فبعثه الله اليهم فكذبوه فاهلكوا بالظلة والايكة الشجرة المتكاثفة (فانتقمنا منهم) بالاهلاك (وانهما) يعنى سدوم والايكة وقيل الايكة ومدين فانه كان مبعوثا اليهما فكان ذكر احدهما منبها على الأخرى (لبامام مبين) لبطريق واضح والامام اسم ما يؤتم به فسمى به الطريق ومطمر البناء واللوح لانهما مما يؤتم به (ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين) يعنى ثمود كذبوا صالحا ومن كذب واحدا من الرسل فكانما كذب الجميع ويجوز أن يكون المراد بالمرسلين صالحا ومن معه من المؤمنين والحجر واد بين المدينة والشام يسكنونه (وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين) يعنى آيات الكتاب المنزل على نبيهم أو معجزاته كالناقة وسقبها وشربها ودرها أو ما نصب لهم من الادلة (وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين) من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الاعداء لوثاقتها أو من العذاب لفرط غفلتهم أو حسبانهم أن الجبال تحميهم منه (فأخذتهم الصيحة مصبحين فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) من بناء البيوت الوثيقة واستكثار الأموال والعدد (وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق) الا خلقا ملتبسا بالحق لا يلائم استمرار الفساد ودوام الشرور فلذلك اقتضت الحكمة اهلاك أمثال هؤلاء وازاحة فسادهم من الارض (وان الساعة لآتية) فينتقم الله لك فيها ممن كذبك (فاصفح الصفح الجميل) ولا تعجل بالانتقام منهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم وقيل هو منسوخ بآية السيف (ان ربك هو الخلاق) الذى خلقك وخلقهم وبيده أمرك وأمرهم (العليم) بحالك وحالهم فهو حقيق بأن تكل ذلك اليه ليحكم بينكم أو هو الذى خلقكم وعلم الاصلح لكم وقد علم أن الصفح اليوم أصلح وفى مصحف عثمان وأبى رضى الله عنهما هو الخالق وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق يختص بالكثير (ولقد آتيناك سبعا) سبع آيات وهى الفاتحة وقيل سبع سور وهى الطوال وسابعتها

لان التعيين بعد الأبهام انما هو ليتقرر فى ذهن المخاطب ولا يكون ذلك الا فيما يهتم المتكلم بشأنه (قوله جعل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم) وأشار بقوله الى ضعف قول صاحب الكشاف حيث جعل الخطاب للوط بتقدير القول وما قاله المصنف أقوى لأنه لما أمكن الحمل على ما هو المفهوم من ظاهر الكلام رجح عليه وأما ما قيل ان التقدير لغير ضرورة لا يجوز والا لم يبق للنقل اعتبار أصلا لانه ما من نقل الا وأمكن التقدير فيه فوجب الحمل على انه قسم بحياته صلى الله عليه وسلم كذا نقله الطيبى عن بعضهم ففيه انه يجتمع قرائن تفيد الظاهر وتمنع التأويل مطلقا (قوله لفرط غفلتهم أو حسبانهم) الحسبان المذكور وان كان أيضا من فرط الغفلة لكن المراد من فرط الغفلة ههنا مع عدم الحسبان بقرينة المقابلة (قوله وقيل هو منسوخ بآية السيف) انما قال قيل لان المراد بالصفح على ما ذكره هو عدم التعجيل وهذا لا ينافى قتالهم بالسيف لانه يمكن ان يكون النبى صلى الله عليه وسلم مأمورا بالحلم وعدم التعجيل وبالقتال معهم أيضا بان يكون مأمورا أولا بالحلم

الانفال والتوبة فانهما فى حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما بالتسمية وقيل التوبة وقيل يونس أو الحواميم السبع وقيل سبع صحائف وهى الاسباع (من المثانى) بيان للسبع والمثانى من التثنية أو الثناء فان كل ذلك مثنى تكرر قراءته أو ألفاظه أو قصصه ومواعظه أو مثنى عليه بالبلاغة والاعجاز أو مثن على الله بما هو أهله من صفاته العظمى وأسمائه الحسنى ويجوز أن يراد بالمثانى القرآن أو كتب الله كلها فتكون من للتبعيض (والقرآن العظيم) ان أريد بالسبع الآيات أو السور فمن عطف الكل على البعض أو العام على الخاص وان أريد به الاسباع فمن عطف أحد الوصفين على الآخر (لاتمدن عينيك) لاتطمح ببصرك طموح راغب (الى ماامتعنابه أزواجا منهم) أصنافا من الكفار فانه مستحقر بالاضافة الى ماأوتيته فانه كمال مطلوب بالذات مفض الى دوام اللذات وفى حديث أبى بكر رضى الله تعالى عنه من أوتى القرآن فرأى أن أحدا أوتى من الدنيا أفضل مما أوتى فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وروى أنه عليه الصلاة والسلام وافى باذرعات سبع قوافل ليهود بنى قريظة والنضير فيها أنواع البز والطيب والجواهر وسائر الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها وأنفقناها فى سبيل الله فقال لهم لقد أعطيتم سبع آيات هى خير من هذه القوافل السبع (ولا تحزن عليهم) انهم لم يؤمنوا وقيل انهم المتمتعون به (واخفض جناحك للمؤمنين) وتواضع لهم وارفق بهم (وقل انى أنا النذير المبين) أنذركم ببيان وبرهان ان عذاب الله نازل بكم ان لم تؤمنوا (كما أنزلنا على المقتسمين) مثل العذاب الذى أنزلناه عليهم فهو وصف لمفعول النذير أقيم مقامه والمقتسمون هم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة أيام الموسم لينفروا الناس عن الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم فأهلكهم الله تعالى يوم بدر أو الرهط الذين اقتسموا أى تقاسموا على أن يبيتوا صالحا عليه الصلاة والسلام وقيل هو صفة مصدر محذوف يدل عليه ولقد آتيناك فانه بمعنى أنزلنا اليك والمقتسمون هم الذين جعلوا القرآن عضين حيث قالوا عنادا بعضه حق موافق للتوراة والانجيل وبعضه باطل مخالف لهما أو قسموه الى شعر وسحر وكهانة وأساطير الاولين أو أهل الكتاب آمنوا ببعض كتبهم وكفروا ببعض على ان القرآن مايقرؤنه من كتبهم فيكون ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله لاتمدن عينيك الخ اعتراضا ممدا لها (الذين جعلوا القرآن عضين) أجزاء جمع عضة وأصلها عضوة من عضى الشاة اذا جعلها أعضاء وقيل فعلة من عضهته اذا بهته وفى الحديث لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم العاضهة والمستعضهة وقيل أسحارا وعن عكرمة العضة السحر وانما جمع جمع السلامة جبرا لما حذف منه والموصول بصلته صفة للمقتسمين أو مبتدأ خبره (فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون) من التقسيم أو النسبة الى السحر فنجازيهم عليه وقيل هو عام فى كل مافعلوا من الكفر والمعاصى (فاصدع بما تؤمر) فاجهر به من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا أو فافرق به بين الحق والباطل وأصله الابانة والتمييز وما مصدرية أو موصولة والراجع محذوف أى بما تؤمر به من الشرائع (وأعرض عن المشركين) ولا تلتفت الى مايقولون (انا كفيناك المستهزئين) بقمعهم واهلاكهم قيل كانوا خمسة من أشراف قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وعدى بن قيس والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب يبالغون فى ايذاء النبى صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به فقال جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت ان أكفيكهم فاومى الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فأصاب عرقا فى عقبه فقطعه فمات وأومأ الى أخمص العاص فدخلت فيه شوكة فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات وأشار الى أنف عدى بن قيس

المقيد بقيد وهو ان يكون قبل ظهور العناد و بالقتل المقيد بقيد وهو ان يكون بعد ظهوره والحال يختص بالكثير أى تختص بمن له كثرة الآثار (قوله ومثن على الله بما هو أهله) بصيغة الفاعل فكان المثانى جمع مثن (قوله فمن عطف الكل على البعض أو العام على الخاص) الاول على تقدير ان يكون المراد بالقرآن مجموع السور والثانى على ان يكون المراد بالقرآن مفهوم الكل وهو الكلام المنزل من الله تعالى على النبى للاعجاز فان قلت كيف يكون انباء هذا المفهوم العام قلنا انباؤه فى ضمن الخصوصيات (قوله فقد صغر عظيما الخ) صغر عظيما هو القرآن وعظم صغيرا هو غيره (قوله ولاتمدن الخ) اعتراض أى بين الشيئين المتصلين وهما قوله تعالى ولقد آتيناك الآية وقوله تعالى كما أنزلنا

فامتخط قيحا فمات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في أصل شجرة فجعل ينطح رأسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات والى عيني الاسود بن المطلب فعمي (الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون) عاقبة أمرهم في الدارين (ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون) من الشرك والطعن في القرآن والاستهزاء بك (فسبح بحمد ربك) فافزع الى الله تعالى فيما نابك بالتسبيح والتحميد يكفك ويكشف الغم عنك أو فنزهه عما يقولون حامدا له على ان هداك للحق (وكن من الساجدين) من المصلين وعنه عليه الصلاة والسلام انه كان اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) أي الموت فانه متيقن لحاقه كل حي مخلوق والمعنى فاعبده مادمت حيا ولا تخل بالعبادة لحظة ﴿ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجر كان له من الأجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد صلى الله عليه وسلم والله أعلم

﴿سورة النحل مكية غير ثلاث آيات في آخرها وهي مائة وثمان وعشرون آية﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(أتى أمر الله فلا تستعجلوه) كانوا يستعجلون ما أوعدهم الرسول صلى الله عليه وسلم من قيام الساعة أو اهلاك الله تعالى اياهم كما فعل يوم بدر استهزاء وتكذيبا ويقولون ان صح ما تقوله فالاصنام تشفع لنا وتخلصنا منه فنزلت والمعنى ان الامر الموعود به بمنزلة الآتي المتحقق من حيث انه واجب الوقوع فلا تستعجلوا وقوعه فانه لاخير لكم فيه ولا خلاص لكم منه (سبحانه وتعالى عما يشركون) تبرأ وجل عن ان يكون له شريك فيدفع ما أراد بهم وقرأ حمزة والكسائي بالتاء على وفق قوله فلا تستعجلوه والباقون بالياء على تلوين الخطاب أو على ان الخطاب للمؤمنين أو لهم ولغيرهم لما روي انه لما نزلت أتى أمر الله فوثب النبي صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه (ينزل الملائكة بالروح) بالوحي أو القرآن فانه يحيي به القلوب الميتة بالجهل أو يقوم في الدين مقام الروح في الجسد وذكره عقيب ذلك اشارة الى الطريق الذي به علم الرسول صلى الله عليه وسلم ما تحقق موعدهم به ودنوه وازاحة لاستبعادهم اختصاصه بالعلم به وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ينزل من أنزل وعن يعقوب مثله وعنه تنزل بمعنى تتنزل وقرأ أبو بكر تنزل على المضارع المبني للمفعول من التنزيل (من أمره) بأمره أو من أجله (على من يشاء من عباده) ان يتخذه رسولا (أن أنذروا) بان أنذروا أي اعلموا من نذرت بكذا اذا علمته (أنه لا اله الا أنا فاتقون) ان الشأن لا اله الا أنا فاتقون أو خوفوا أهل الكفر والمعاصي بأنه لا اله الا أنا وقوله فاتقون رجوع الى مخاطبتهم بما هو المقصود وان مفسرة لان الروح بمعنى الوحي الدال على القول أو مصدرية في موضع الجر بدلا من الروح أو النصب بنزع الخافض أو مخففة من الثقيلة والآية تدل على ان نزول الوحي بواسطة الملائكة وان حاصله التنبيه على التوحيد الذي هو منتهى كمال القوة العلمية والامر بالتقوى الذي هو أقصى كمال القوة العملية وان النبوة عطائية والآيات التي بعدها دليل على وحدانيته من حيث انها تدل على انه تعالى هو الموجد لاصول العالم وفروعه على وفق الحكمة والمصلحة ولو كان له شريك لقدر على ذلك فيلزم التمانع (خلق السموات والارض بالحق) أوجدهما على مقدار وشكل وأوضاع وصفات مختلفة قدرها وخصصها بحكمته (تعالى عما يشركون) منهما أو مما يفتقر في وجوده أو بقائه اليهما ومما لا يقدر على خلقهما

كان الخطاب للمؤمنين فلا التفات بل فاعل لا تستعجلوا جماعة وفاعل يشركون جماعة أخرى ويفهم انه اذا كان الخطاب لهم ولغيرهم لا يكون التفاتا أيضا لان الفاعل في الكلام مختلفان وان كان بالكلية والجزئية (قوله وذكره عقيب ذلك) أي ذكر ينزل الملائكة بالروح الآية للاشارة الى ان سبب اختصاصه بالعلم بما ذكروه وقرب اتيان أمر الله فان علمه به بواسطة الوحي وليس لغيره ذلك (قوله أو النصب بنزع الخافض) فيكون التقدير بان أنذروا فتكون الباء للسببية فيكون المعنى تنزل الملائكة بسبب الانذار (قوله والآية تدل على ان) ظاهر كلامه ان الآية تدل على ان الوحي لا يكون الا بواسطة الملك وفي هذا الحصر خفاء (قوله على التوحيد الذي هو منتهى كمال القوة العلمية) لعل المراد من منتهى كمال القوة العلمية ان يقينا توحيدا أشرف الاعتقادات اليقينية (قوله وان النبوة عطائية الخ) هو مذهب أهل الحق لا كسبية كما هو رأي الخارجين عن الاسلام وفيه مثل النظر المذكور سابقا (قوله عما يشركون منهما) أي من السموات والارض فان بعض الكفرة يعبدون الكواكب وبعضهم يعبدون ما يحتاج في وجوده أو بقائه الى السموات والارض كالاشجار والاحجار

(قوله وفيه دليل على ان الله تعالى ليس من الاجرام) لان كل ماهو جرم امامن السموات أومن الأرض وخالقهما ومافيهما هو الله تعالى فهو تعالى ليس من الاجرام وفيه

انه يدل على انه تعالى ليس من السموات والأرض ولكن لايدل على انه ليس

وفيه دليل على انه تعالى ليس من قبيل الاجرام (خلق الانسان من نطفة) جماد لاحس بها ولاحراك سيالة لاتحفظ الوضع والشكل (فاذاهو خصيم) منطيق مجادل (مبين) للحجة أوخصيم مكافح لخالقه قائل من يحيي العظام وهي رميم روى ان أبيّ بن خلف أتى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم رميم وقال يامحمد أترى الله يحيي هذا بعد ماقد رم فنزلت (والانعام) الابل والبقر والغنم وانتصابها بمضمر يفسره (خلقها لكم) أو بالعطف على الانسان وخلقها لكم بيان ماخلقت لأجله ومابعده تفصيل له (فيها دفء) مايدفأ به فيقي البرد (ومنافع) نسلها ودرها وظهورها وانما عبر عنها بالمنافع ليتناول عوضها (ومنها تأكلون) أى تأكلون مايؤكل منها من اللحوم والشحوم والالبان وتقديم الظرف للمحافظة على رؤس الآى أولان الأكل منها هو المعتاد المعتمد عليه فى المعاش وأما الأكل من سائر الحيوانات المأكولة فعلى سبيل التداوى أوالتفكه (ولكم فيها جمال) زينة (حين تريحون) تردونها من مراعيها الى مراحها بالعشى (وحين تسرحون) تخرجونها بالغداة الى المراعى فان الافنية تتزين بها فى الوقتين ويجل أهلها فى أعين الناظرين اليها وتقديم الاراحة لان الجمال فيها أظهر فانها تقبل ملأى البطون حافلة الضروع ثم تأوى الى الحظائر حاضرة لاهلها وقرئ حينا على ان تريحون وتسرحون وصفان له بمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه (وتحمل أثقالكم) أحمالكم (الى بلد لم تكونوا بالغيه) أى ان لم تكن الانعام ولم تخلق فضلا ان تحملوها على ظهوركم اليه (الابشق الأنفس) الابكلفة ومشقة وقرئ بالفتح وهو لغة فيه وقيل المفتوح مصدر شق الأمر عليه وأصله الصدع والمكسور بمعنى النصف كأنه ذهب نصف قوته بالتعب (ان ربكم لرؤف رحيم) حيث رحمكم بخلقها لانتفاعكم وتيسير الامر عليكم (والخيل والبغال والحمير) عطف على الانعام (لتركبوها وزينة) أى لتركبوها وتتزينوا بها زينة وقيل هى معطوفة على محل لتركبوها وتغيير النظم لان الزينة بفعل الخالق والركوب ليس بفعله ولان المقصود من خلقها الركوب واما التزين بها فحاصل بالعرض وقرئ بغير واو وعلى هذا يحتمل ان يكون علة لتركبوها أومصدرا فى موضع الحال من أحد الضميرين أى متزينين أومتزينا بها واستدل به على حرمة لحومها ولادليل فيه اذ لايلزم من تعليل الفعل بمايقصد منه غالبا ان لايقصد منه غيره أصلا ويدل عليه ان الآية مكية وعامة المفسرين والمحدثين على ان الحمر الاهلية حرمت عام خيبر (ويخلق مالاتعلمون) لما فصل الحيوانات التى يحتاج اليها غالبا احتياجا ضروريا أوغير ضرورى أجمل غيرها ويجوز ان يكون اخبارا بان له من الخلائق مالاعلم لنا به وان يراد به ماخلق فى الجنة والنار ممالم يخطر على قلب بشر (وعلى الله قصد السبيل) بيان مستقيم الطريق الموصل الى الحق أواقامة السبيل وتعديلها رحمة وفضلا أوعليه قصد السبيل يصل اليه من يسلكه لامحالة يقال سبيل قصد وقاصد أى مستقيم كأنه يقصد الوجه الذى يقصده السالك لايميل عنه والمراد من السبيل الجنس ولذلك أضاف اليه القصد وقال (ومنها جائر) حائد عن القصد أوعن الله وتغيير الاسلوب لانه ليس بحق على الله تعالى ان يبين طرق الضلالة أولان المقصود بيان سبيله وتقسيم السبيل الى القصد والجائر انما جاء بالعرض وقرئ ومنكم جائر أى عن القصد (ولو شاء) الله (لهداكم أجمعين) أى ولو شاء هدايتكم أجمعين لهداكم الى قصد السبيل هداية مستلزمة للاهتداء (هو الذى أنزل من السماء) من السحاب أومن جانب السماء (ماء لكم منه شراب) ماتشربونه

من الاجرام اذمن الاجرام مالايكون شيأ منهما مع ان المجسمة يقولون بان الله تعالى هو المتمكن على العرش وهو من جنس السموات والأرض الاأن يقال ان المراد بالسموات والأرض جهة العلو والسفل (قوله اولأن الأكل منها هو المعتاد الخ) أى يحتمل ان يكون تقديم الظرف للاختصاص أى منها تأكلون بحسب العادة لامن غيرها ولايردان الأكل ليس مخصوصا بها بل يشمل غيرها من الحبوب لأن الحصر اضافى (قوله وقيل هى معطوفة على محل لتركبوا) يعنى ان التزين سبب المنافع المترتبة عليها وهى بفعل الخالق بخلاف الركوب (قوله لأن المقصود من خلقها الركوب الخ) فقرن اللام الصريحة بما هو المقصود الأصلى (قوله و يدل عليه ان الآية مكية الخ) أى يدل على ماذكرنا من عدم دلالة الآية على حرمة الخيل ان الآية نزلت بمكة وحرمة الحمر الاهلية عام خيبر وهو بعد الهجرة فلو كانت الآية دالة على حرمة ماذكر فيها لكانت الحمر الأهلية محرمة من حين نزول الآية (قوله بيان مستقيم الطريق) الى قوله رحمة وفضلا أى على الله بحسب الفضل والكرم ان يبين طريق الهداية بمعنى انه يناسب كرمه وفضله بيان طريق الهداية واذا بين علم ان خلافه ضلالة فلاحاجة الى بيانه

ولكم صلة أنزل أو خبر شراب ومن تبعيضية متعلقة به وتقديمها يوهم حصر المشروب فيه ولا بأس به لان مياه العيون والآبار منه لقوله فسلكه ينابيع وقوله فاسكناه فى الارض (ومنه شجر) ومنه يكون شجر يعنى الشجر الذى ترعاه المواشى وقيل كل ما نبت على الارض شجر قال

يعلفها اللحم اذا عز الشجر * والخيل فى اطعامها اللحم ضرر

(فيه تسيمون) ترعون من سامت الماشية وأسامها صاحبها وأصله السومة وهى العلامة لانها تؤثر بالرعى علامات (ينبت لكم به الزرع) وقرأ أبو بكر بالنون على التفخيم (والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات) وبعض كلها اذ لم ينبت فى الارض كل ما يمكن من الثمار ولعل تقديم ما يسام فيه على ما يؤكل منه لانه سيصير غذاء حيوانيا هو أشرف الاغذية ومن هذا تقديم الزرع والتصريح بالاجناس الثلاثة وترتيبها (ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون) على وجود الصانع وحكمته فان من تأمل ان الحبة تقع فى الارض وتصل اليها نداوة تنفذ فيها فينشق أعلاها ويخرج منه ساق الشجرة وينشق أسفلها فيخرج منه عروقها ثم ينمو ويخرج منه الاوراق والازهار والاكمام والثمار ويشتمل كل منها على أجسام مختلفة الاشكال والطباع مع اتحاد المواد ونسبة الطبائع السفلية والتأثيرات الفلكية الى الكل علم ان ذلك ليس الا بفعل فاعل مختار مقدس عن منازعة الاضداد والانداد ولعل فصل الآية به لذلك (وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم) بان هيأها لمنافعكم (مسخرات بامره) حال من الجميع أى نفعكم بها حال كونها مسخرات لله تعالى خلقها ودبرها كيف شاء أو لما خلقن له بايجاده وتقديره أو لحكمه وفيه ايذان بالجواب عما عسى ان يقال ان المؤثر فى تكوين النبات حركات الكواكب وأوضاعها فان ذلك ان سلم فلا ريب فى انها أيضا ممكنة الذات والصفات واقعة على بعض الوجوه المحتملة فلا بد لها من موجد مخصص مختار واجب الوجود دفعا للدور والتسلسل أو مصدر ميمى جمع لاختلاف الانواع وقرأ حفص والنجوم مسخرات على الابتداء والخبر فيكون تعميما للحكم بعد تخصيصه ورفع ابن عامر الشمس والقمر أيضا (ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) جمع الآية وذكر العقل لانها تدل أنواعا من الدلالة ظاهرة لذوى العقول السليمة غير محوجة الى استيفاء فكر كأحوال النبات (وما ذرأ لكم فى الارض) عطف على الليل أى وسخر لكم ما خلق لكم فيها من حيوان ونبات (مختلفا ألوانه) أصنافه فانها تتخالف باللون غالبا (ان فى ذلك لآية لقوم يذكرون) ان اختلافها فى الطباع والهيآت والمناظر ليس الا بصنع صانع حكيم (وهو الذى سخر البحر) جعله بحيث تتمكنون من الانتفاع به بالركوب والاصطياد والغوص (لتأكلوا منه لحما طريا) هو السمك ووصفه بالطراوة لانه أرطب اللحوم يسرع اليه الفساد فيسارع الى أكله ولاظهار قدرته فى خلقه عذبا طريا فى ماء زعاق وتمسك به مالك والثورى على ان من حلف ان لا يأكل لحما حنث بأكل السمك وأجيب عنه بان مبنى الايمان على العرف وهو لا يفهم منه عند الاطلاق ألا ترى أن الله تعالى سمى الكافر دابة ولا يحنث الحالف على أن لا يركب دابة بركوبه (وتستخرجوا منه حلية تلبسونها) كاللؤلؤ والمرجان أى تلبسها نساؤكم فاسند اليهم لانهن من جلتهم ولانهن يتزين بها لاجلهم (وترى الفلك) السفن (مواخر فيه) جوارى فيه تشقه بحيزومها من المخر وهو شق الماء وقيل صوت جرى الفلك (ولتبتغوا من فضله) من سعة رزقه بركوبها للتجارة (ولعلكم تشكرون) أى تعرفون نعم الله تعالى فتقومون بحقها ولعل تخصيصه بتعقيب الشكر لانه أقوى فى باب الانعام من حيث انه جعل المهالك سببا للانتفاع وتحصيل المعاش (وألقى فى الارض رواسى) جبالا رواسى (أن تميد بكم) كراهة أن تميل بكم وتضطرب وذلك لان

(قوله ولا بأس به الخ) وكذا كل ما يشرب كعصير الاثمار والأوراق (قوله أو مصدر جمع لاختلاف النوع) عطف على قوله حال أى مسخرات اما حال أو مصدر ميمى جمع لاختلاف التسخيرات (قوله فانها تتخالف باللون غالبا) أى قيل ألوانه وأريد أصنافه من قبيل المجاز المرسل أطلق اسم اللازم وأريد به الملزوم (قوله تشقه بحيزومها) الحيزوم وسط الصدر

الارض قبل ان تخلق فيها الجبال كانت كرة خفيفة بسيطة الطبع وكان من حقها ان تتحرك بالاستدارة كالافلاك أو ان تتحرك بادنى سبب للتحريك فلما خلقت الجبال على وجهها تفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز فصارت كالاوتاد التي تمنعها عن الحركة وقيل لما خلق الله الارض جعلت تمور فقالت الملائكة ماهي بمقر أحد على ظهرها فأصبحت وقد أرسيت بالجبال (وأنهارا) وجعل فيها أنهارا لان ألقى فيه معناه (وسبلا لعلكم تهتدون) لمقاصدكم أو الى معرفة الله سبحانه وتعالى (وعلامات) معالم يستدل بها السابلة من جبل وسهل وريح ونحو ذلك (وبالنجم هم يهتدون) بالليل في البراري والبحار والمراد بالنجم الجنس ويدل عليه قراءة وبالنجم بضمتين وضمة وسكون على الجمع وقيل الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدي ولعل الضمير لقريش لانهم كانوا كثيري الاسفار للتجارة مشهورين بالاهتداء في مسايرهم بالنجوم واخراج الكلام عن سنن الخطاب وتقديم النجم واقحام الضمير للتخصيص كأنه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فالاعتبار بذلك والشكر عليه ألزم لهم وأوجب عليهم (أفمن يخلق كمن لا يخلق) انكار بعد اقامة الدلائل المتكاثرة على كمال قدرته وتناهي حكمته والتفرد بخلق ما عدد من مبدعاته لان يساويه ويستحق مشاركته ما لا يقدر على خلق شئ من ذلك بل على ايجاد شئ ما وكان حق الكلام أفمن لا يخلق كمن يخلق لكنه عكس تنبيها على انهم بالاشراك بالله سبحانه وتعالى جعلوه من جنس المخلوقات العجزة شبيها بها والمراد بمن لا يخلق كل ما عبد من دون الله سبحانه وتعالى مغلبا فيه أولو العلم منهم أو الاصنام وأجروها مجرى أولي العلم لانهم سموها آلهة ومن حق الاله ان يعلم أو للمشاكلة بينه وبين من يخلق أو للمبالغة وكأنه قيل ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من أولي العلم فكيف بما لا علم عنده (أفلا تذكرون) فتعرفوا فساد ذلك فانه لجلائه كالحاصل للعقل الذي يحضر عنده بادنى تذكر والتفات (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) لا تضبطوا عددها فضلا أن تطيقوا القيام بشكرها أتبع ذلك تعداد النعم والزام الحجة على تفرده باستحقاق العبادة تنبيها على أن وراء ما عدد نعما لا تنحصر وأن حق عبادته تعالى غير مقدور (ان الله لغفور) حيث يتجاوز عن تقصير في أداء شكرها (رحيم) لا يقطعها لتفريطكم فيه ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها (والله يعلم ما تسرون وما تعلنون) من عقائدكم وأعمالكم وهو وعيد وتزييف للشرك باعتبار العلم بعد تزييفه باعتبار القدرة (والذين تدعون من دون الله) أي والآلهة الذين تعبدونهم من دونه وقرأ أبو بكر يدعون بالياء وقرأ حفص ثلاثتها بالياء (لا يخلقون شيأ) لما نفى المشاركة بين من يخلق ومن لا يخلق بين أنهم لا يخلقون شيأ لينتج أنهم لا يشاركونه ثم أكد ذلك بأن أثبت لهم صفات تنافي الالوهية فقال (وهم يخلقون) لانهم ذوات ممكنة مفتقرة الوجود الى التخليق والاله ينبغي أن يكون واجب الوجود (أموات) هم أموات لا تعتريهم الحياة أو أموات حالا أو مآلا (غير أحياء) بالذات ليتناول كل معبود والاله ينبغي أن يكون حيا بالذات لا يعتريه الممات (وما يشعرون أيان يبعثون) ولا يعلمون وقت بعثهم أو بعث عبدتهم فكيف يكون لهم وقت جزاء على عبادتهم والاله ينبغي أن يكون عالما بالغيوب مقدرا الثواب والعقاب وفيه تنبيه على أن البعث من توابع التكليف (الهكم اله واحد) تكرير للمدعى بعد اقامة الحجج (فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون) بيان لما اقتضى اصرارهم بعد وضوح الحق وذلك عدم ايمانهم بالآخرة فان المؤمن بها يكون طالبا للدلائل متأملا فيما يسمع فينتفع به والكافر بها يكون حاله بالعكس وانكار قلوبهم ما لا يعرف الا بالبرهان اتباعا للاسلاف وركونا الى المألوف فانه ينافي النظر والاستكبار عن اتباع الرسول وتصديقه والالتفات الى قوله والاول هو العمدة في الباب ولذلك رتب عليه ثبوت

الآخرين

(قوله وكان من حقها ان تتحرك بالاستدارة الخ) لا وجه لهذا الكلام لا على مذهب أهل الحق ولا على مذهب الفلاسفة أما الاول فظاهر اذ الكل ليس الا بارادة الله تعالى وليس من حق شئ ومقتضى ذاته ان يتصف بالحركة ولو سلم ان الافلاك تستحق ان تتحرك بالاستدارة لتعلق ارادته وهو موجب للحركة فلا نسلم ان الارض كذلك وأما الثاني فلان الفلاسفة لم يقولوا ان حق الارض ان تتحرك بالاستدارة (قوله وكان حق الكلام أفمن لا يخلق الخ) لان المشركين ما شبهوا الخالق بالاصنام بل شبهوا الاصنام بالخالق فحق العبارة ان يقال انكارا عليهم أفمن لا يخلق كمن يخلق لكنه اذا قوى وجه الشبه بين الامرين يرجع التشبيه الى التشابه فيقال وجه الخليفة كالقمر والقمر كوجه الخليفة والمشركون لما عاملوها بما ينبغي ان يعامل به مع الخالق لم يبق عندهم فرق بينها وبينه تعالى عما يقول الظالمون (قوله هم أموات لا يعتريهم الحياة أو أموات حالا أو مآلا) فالاول اذا كان المراد الاصنام وسائر ما ليس له علم والثاني ما هو يشمل لذي العلم وغيره (قوله وفيه تنبيه الخ) لانه يعلم منه ان البعث للجزاء والجزاء من توابع التكليف

فيكون البعث كذلك (قوله وهو فى موضع الرفع بجرم لانه مصدر أو فعل) لا يخفى انه اذا كان لاجرم بمعنى حقا لم يصح حينئذ ان يكون عاملا فلا يستحق فاعلا اذ لا يبقى على معناه الحقيقى نعم اذا كان فعلا وكان بمعنى ثبت كان ما ذكر فاعلا ويكون لا رد الكلام السابق كأنه قيل لا يصح الاستكبار ثم قيل ثبت ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون (قوله فضلا عن الذين الخ) أى لا يحب المستكبرين مطلقا فضلا عن الذين استكبروا عن توحيده (قوله على التهكم) اذ اعتقادهم انه غير منزل من عند الله (قوله هم المقتسمون) أى المقتسمون الذين جعلوا القرآن عضين (قوله و بعض أوزار ضلال من يضلونهم الخ) يفهم منه ان أوزار

الآخرين (لاجرم) حقا (ان الله يعلم مايسرون ومايعلنون) فيجازيهم وهو فى موضع الرفع بجرم لانه مصدر أو فعل (انه لايحب المستكبرين) فضلا عن الذين استكبروا عن توحيده أو اتباع الرسول (واذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم) القائل بعضهم على التهكم أو الوافدون عليهم أو المسلمون (قالوا أساطير الاولين) أى ما تدعون نزوله أو المنزل أساطير الاولين وانما سموه منزلا على التهكم أو على الفرض أى على تقدير أنه منزل فهو أساطير الاولين لا تحقيق فيه والقائلون قيل هم المقتسمون (ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيمة) أى قالوا ذلك اضلالا للناس فحملوا أوزار ضلالهم كاملة فان اضلالهم نتيجة رسوخهم فى الضلال (ومن أوزار الذين يضلونهم) و بعض أوزار ضلال من يضلونهم وهو حصة التسبب (بغير علم) حال من المفعول أى يضلون من لا يعلم انهم ضلال وفائدتها الدلالة على أن جهلهم لا يعذرهم اذ كان عليهم أن يبحثوا و يميزوا بين المحق والمبطل (ألا ساء ما يزرون) بئس شيأ يزرونه فعلهم (قد مكر الذين من قبلهم) أى سووا منصوبات ليمكروا بها رسل الله عليهم الصلاة والسلام (فأتى الله بنيانهم من القواعد) فأتاها أمره من جهة العمد التى بنوا عليها بأن ضعضعت (فخر عليهم السقف من فوقهم) وصار سبب هلاكهم (وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) لا يحتسبون ولا يتوقعون وهو على سبيل التمثيل وقيل المراد به نمرود بن كنعان بنى الصرح ببابل سمكه خمسة آلاف ذراع ليترصد أمر السماء فاهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا (ثم يوم القيمة يخزيهم) يذلهم أو يعذبهم بالنار كقوله تعالى ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته (و يقول أين شركائى) أضاف الى نفسه استهزاء أو حكاية لاضافتهم زيادة فى توبيخهم (الذين كنتم تشاقون فيهم) تعادون المؤمنين فى شأنهم وقرأ نافع بكسر النون بمعنى تشاقوننى فان مشاقة المؤمنين كمشاقة الله عز وجل (قال الذين أوتوا العلم) أى الانبياء أو العلماء الذين كانوا يدعونهم الى التوحيد فيشاقونهم و يتكبرون عليهم أو الملائكة (ان الخزى اليوم والسوء) الذلة والعذاب (على الكافرين) وفائدة قولهم اظهار الشماتة بهم وزيادة الاهانة وحكايته لان يكون لطفا ووعظا لمن سمعه (الذين تتوفاهم الملائكة) وقرأ حمزة بالياء وقرئ بادغام التاء فى التاء وموضع الموصول يحتمل الاوجه الثلاثة (ظالمى أنفسهم) بأن عرضوها للعذاب المخلد (فألقوا السلم) فسالموا وأخبتوا حين عاينوا الموت (ما كنا) قائلين ما كنا (نعمل من سوء) كفر وعدوان و يجوز أن يكون تفسير السلم على أن المراد به القول الدال على الاستسلام (بلى) أى فتجيبهم الملائكة بلى (ان الله عليم بما كنتم تعملون) فهو يجازيكم عليه وقيل قوله فألقوا السلم الى آخر الآية استئناف ورجوع الى شرح حالهم يوم القيامة وعلى هذا أول من لم يجوز الكذب يومئذ ما كنا

ضلال من يضلونهم قسمان قسم متعلق بالمباشرة وقسم متعلق بالتسبب فيحمل المضل القسم المتعلق بالتسبب من غير ان ينقص من وزر زوال الضلال شئ (قوله وهو على سبيل التمثيل) يعنى ليس المقصود من أتى الله بنيانهم الآية المعنى الحقيقى انما المراد استئصالهم واهلاكهم بما جعلوه سببا لبقائهم ونجاتهم فشبه حال الماكرين فى وضع المنصوبات وقصد هلاك العدو ورجوع وخامة عاقبة المكر اليهم أى بالماكرين بمن بنى بنيانا قصد به هلاك العدو ووضع مأدبة فيه ليكيد بها العدو فتنقلب عليه من حيث لا يشعر ثم استعمل العبارة الثانية فى معنى هلاك الماكرين بانقلاب مكرهم عليهم ومن هذا يعلم أن فى المشبه به محذوفا وهو قصد صاحب البنيان المكر بعدوه حتى يتم التشبيه واعلم أن المنصوبة بمعنى الحيلة وهى فى الاصل للشبكة والحبالة جرت مجرى الاسماء كالدابة (قوله يحتمل الاوجه الثلاثة) فانه يحتمل أن يكون صفة للكافرين أو منصوب بالاختصاص أو خبر مبتدأ محذوف (قوله وعلى هذا أول من لم يجوز الكذب يومئذ) أى اذا كان المراد من هذا بيان حالهم فى الآخرة لزم وقوع الكذب فى يوم القيامة فمن لم يجوز أن يكذب أحد فى ذلك اليوم لابد أن يؤول هذا القول وهو ما كنا نعمل من سوء بان المراد ما كنا عاملين السوء فى اعتقادنا أى ما كنا معتقدين انا نعمل السوء

(قوله وفى نصبه دليل على أنهم لم يتلعثموا فى الجواب) دليل على أنهم لم يتلكئوا فى الجواب لان نصب خيرا بجعله مفعولا به لأنزل هو الظاهر السابق الى الفهم المطابق للسؤال فكان هذا الجواب لاحاجة له الى تأويل وأما رفعه فلم يطابق السؤال بل يخالفه نوع مخالفة لان السؤال جملة فعلية والجواب جملة اسمية على تقدير الرفع فيحتاج الى تأمل ما (قوله ويجوز أن يكون بما بعده حكاية الخ) الاولى كما قال صاحب الكشاف أن يقال يجوز أن يكون للذين أحسنوا مع ما بعده بدلا عن قوله خيرا أى قالوا للذين أحسنوا الآيتين (قوله وهو يؤيد الوجه الاول) وهو أن يكون جنات عدن الخ خبر مبتدأ محذوف لانه اذا كان جنات عدن مخصوصا بالمدح كان

نعمل من سوء بأن لم نكن فى زعمنا واعتقادنا عاملين سوأ واحتمل أن يكون الراد عليهم هو الله تعالى أو أولو العلم (فادخلوا أبواب جهنم) كل صنف بابها المعدله وقيل أبواب جهنم أصناف عذابها (خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين) جهنم (وقيل للذين اتقوا) يعنى المؤمنين (ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا) أى أنزل خيرا وفى نصبه دليل على أنهم لم يتلعثموا فى الجواب وأطبقوه على السؤال معترفين بالانزال على خلاف الكفرة روى أن أحياء العرب كانوا يبعثون أيام الموسم من يأتيهم بخبر النبى صلى الله عليه وسلم فاذا جاء الوافد المقتسمين قالوا له ماقالوا واذا جاء المؤمنين قالوا له ذلك (للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة) مكافأة فى الدنيا (ولدار الآخرة خير) أى ولثوابهم فى الآخرة خير منها وهو عدة للذين اتقوا على قولهم ويجوز أن يكون بما بعده حكاية لقولهم بدلا وتفسيرا لخيرا على أنه منتصب بقالوا (ولنعم دار المتقين) دار الآخرة فحذفت لتقدم ذكرها وقوله (جنات عدن) خبر مبتدأ محذوف ويجوز أن يكون المخصوص بالمدح (يدخلونها تجرى من تحتها الانهار لهم فيها مايشاؤن) من أنواع المشتهيات وفى تقديم الظرف تنبيه على أن الانسان لايجد جميع مايريده الا فى الجنة (كذلك يجزى الله المتقين) مثل هذا الجزاء يجزيهم وهو يؤيد الوجه الاول (الذين تتوفاهم الملائكة طيبين) طاهرين من ظلم أنفسهم بالكفر والمعاصى لانه فى مقابلة ظالمى أنفسهم وقيل فرحين ببشارة الملائكة اياهم بالجنة أو طيبين بقبض أرواحهم لتوجه نفوسهم بالكلية الى حضرة القدس (يقولون سلام عليكم) لايحيقكم بعد مكروه (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) حين تبعثون فانها معدة لكم على أعمالكم وقيل هذا التوفى وفاة الحشر لان الامر بالدخول حينئذ (هل ينظرون) ماينتظر الكفار المار ذكرهم (الا أن تأتيهم الملائكة) لقبض أرواحهم وقرأ حمزة والكسائى بالياء (أو يأتى أمر ربك) القيامة أو العذاب المستأصل (كذلك) مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب (فعل الذين من قبلهم) فأصابهم ما أصابوا (وما ظلمهم الله) بتدميرهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بكفرهم ومعاصيهم المؤدية اليه (فأصابهم سيآت ماعملوا) أى جزاء سيآت أعمالهم على حذف المضاف أو تسمية الجزاء باسمها (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) وأحاط بهم جزاؤه والحيق لايستعمل الا فى الشر (وقال الذين أشركوا لو شاء الله ماعبدنا من دونه من شئ نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شئ) انما قالوا ذلك استهزاء أو منعا للبعثة والتكليف متمسكين بان ماشاء الله يجب ومالم يشأ يمتنع فما الفائدة فيهما أو انكار القبح ماأنكر عليهم من الشرك وتحريم البحائر ونحوها محتجين بانها لو كانت مستقبحة لما شاء الله صدورها عنهم ولشاء خلافه ملجئا اليه لا اعتذارا اذ

الكلام كالصريح فى ان جنات عدن جزاء المتقين فيكون قوله تعالى كذلك يجزى الله المتقين تأكيدا بخلاف ما اذا كان خبر مبتدأ محذوف فانه لم يعلم صريحا ان جنات عدن جزاء المتقين كما علم من الصورة الاولى واعلم أنه ليس المقصود من قوله تعالى كذلك تشبيها بل المقصود ان هذا الجزاء المخصوص يجزى الله المتقين فالاحسن أن يفسر هكذا (قوله حين تبعثون الخ) لك أن تقول بل تدخل أرواحهم فى الجنة حين الموت فالمخاطب بقوله سلام عليكم ادخلوا الجنة أرواح الطيبين ولاحاجة الى القول بان المراد من الدخول الدخول حين البعث أو المراد من التوفى وفاة الحشر وقوله لان الامر بالدخول حينئذ ممنوع نعم يتم ماذكر اذا كان المراد بالدخول دخول الابدان فى الجنة حينئذ وأما دخول الارواح فلا نسلم انه لايكون الاحينئذ

(قوله ماينتظر الكفار) أى ليس الكفار الا فى صورة من ينتظر (قوله الامرين المذكورين) لانهم لما فعلوا مايوجب العذاب فكانهم ينتظرون له (قوله فما الفائدة فيهما) أى لما تيسر له تعالى أن يدخل بعض العباد فى الجنة وبعضهم فى النار من غير تكليف وبعث للرسل فما الفائدة فيهما (قوله استهزاء) انما كان ذلك استهزاء لان الكلام فى صورة الاعتذار وليس باعتذار حينئذ (قوله لا اعتذارا) عطف على قوله استهزاء أى قالوا ذلك استهزاء أو منعا للبعثة لا اعتذارا وهو اظهار العذر أى لم يقولوا ذلك على وجه العذر وهو انا معذورون فى تلك الاعمال لان الله تعالى أرادها فكيف لا تفعل

اذلم يعتقدوا وقبح أعمالهم وفيما بعده تنبيه على الجواب عن الشبهتين (كذلك فعل الذين من قبلهم) فاشركوا بالله وحرموا حله وردوا رسله (فهل على الرسل الا البلاغ المبين) الا الابلاغ الموضح للحق وهو لا يؤثر فى هدى من شاء الله هداه لكنه يؤدى اليه على سبيل التوسط وما شاء الله وقوعه انما يجب وقوعه لامطلقا بل باسباب قدرها له ثم بين أن البعثة أمر جرت به السنة الالهية فى الامم كلها سببا لهدى من أراد اهتداءه وزيادة لضلال من أراد ضلاله كالغذاء الصالح فانه ينفع المزاج السوى و يقويه و يضر المنحرف و يفنيه بقوله تعالى (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) يامر بعبادة الله تعالى واجتناب الطاغوت (فمنهم من هدى الله) وفقهم للايمان بارشادهم (ومنهم من حقت عليه الضلالة) اذلم يوفقهم ولم يرد هداهم وفيه تنبيه على فساد الشبهة الثانية لما فيه من الدلالة على أن تحقق الضلال وثباته بفعل الله تعالى وارادته من حيث انه قسيم من هدى الله وقد صرح به فى الآية الاخرى (فسيروا فى الارض) يامعشر قريش (فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) من عاد وثمود وغيرهم لعلكم تعتبرون (ان تحرص) يامحمد (على هداهم فان الله لايهدى من يضل) من يريد ضلاله وهو المعنى بمن حقت عليه الضلالة وقرأ غير الكوفيين لايهدى على البناء للمفعول وهو أبلغ (ومالهم من ناصرين) من ينصرهم بدفع العذاب عنهم (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لايبعث الله من يموت) عطف على وقال الذين أشركوا ايذانا بانهم كما أنكروا التوحيد أنكروا البعث مقسمين عليه زيادة فى البت على فساده ولقد رد الله عليهم أبلغ رد فقال (بلى) يبعثهم (وعدا) مصدر مؤكد لنفسه وهو مادل عليه بلى فان يبعث موعد من الله (عليه) انجازه لامتناع الخلف فى وعده أو لان البعث مقتضى حكمته (حقا) صفة أخرى للوعد (ولكن أكثر الناس لايعلمون) أنهم يبعثون اما لعدم علمهم بانه من مواجب الحكمة التى جرت عادته بمراعاتها واما لقصور نظرهم بالمألوف فيتوهمون امتناعه ثم انه تعالى بين الامرين فقال (ليبين لهم) أى يبعثهم ليبين لهم (الذى يختلفون فيه) وهو الحق (وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين) فيما يزعمون وهو اشارة الى السبب الداعى الى البعث المقتضى له من حيث الحكمة وهو المميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل بالثواب والعقاب ثم قال (انما قولنا لشئ اذا أردناه أن نقول له كن فيكون) وهو بيان امكانه وتقريره أن تكوين الله بمحض قدرته ومشيئته لاتوقف له على سبق المواد والمدد والالزم التسلسل فكما أمكن له تكوين الاشياء ابتداء بلاسبق مادة ومثال أمكن له تكوينها اعادة بعده ونصب ابن عامر والكسائى ههنا وفى يس فيكون عطفا على نقول أو جوابا للامر (والذين هاجروا فى الله من بعد ماظلموا) هم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه المهاجرون ظلمهم قريش فهاجر بعضهم الى الحبشة ثم الى المدينة و بعضهم الى المدينة أو المحبوسون المعذبون بمكة بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم بلال وصهيب وخباب وعمار وعابس وأبو جندل وسهيل رضى الله تعالى عنهم وقوله فى الله اى فى حقه ولوجهه (لنبوئنهم فى الدنيا حسنة) مباءة حسنة وهى المدينة أو تبوئة حسنة (ولأجر الآخرة أكبر) مما يعجل لهم فى الدنيا وعن عمر رضى الله تعالى عنه أنه كان اذا أعطى رجلا من المهاجرين عطاء قال له خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك الله فى الدنيا وما ادخر لك فى الآخرة أفضل (لوكانوا يعلمون) الضمير للكفار أى لو علموا أن الله يجمع لهؤلاء المهاجرين خير الدارين لوافقوهم أو للمهاجرين أى لو علموا ذلك لزادوا فى اجتهادهم وصبرهم (الذين صبروا) على الشدائد كأذى الكفار ومفارقة الوطن ومحله النصب او الرفع على المدح (وعلى ربهم يتوكلون) منقطعين الى الله مفوضين اليه الامر كله (وما أرسلنا من قبلك

(قوله تنبيه على الجواب من الشبهتين) فيه خفاء (قوله تنبيه على فساد الشبهة الثانية الخ) وهى ماقاله المشركون لوكان مافعلنا مستقبحا لما شاء الله صدورها عنا اذ من المعلوم أن الضلالة قبيحة والحاصل أنه يعلم من الكلام أن الشركة ضلالة والضلالة قبيحة وهذا يهدم شبهتهم وانما قال من حيث انه قسيم من هدى الله لان ظاهر قوله تعالى ومنهم من حقت عليه الضلالة لايدل على ما ذكرنا وانما يدل عليه من الحيثية المذكورة فيكون معناه من حقت عليه الضلالة بارادة الله تعالى (قوله وهو أبلغ) لان هذه الصيغة تدل على ان من يضله الله لايهدى أصلا وأما على البناء للفاعل فيدل على ان الله تعالى لايهدى من يضل ولا ينفى صريحا ان لا يهديه غيره تعالى (قوله أو جوابا للامر) ليس هذا فى الكشاف بل اقتصر على لوجه الاول ولاوجه لكونه جوابا للامر ههنا اذ كونه جوابا لكن انما يحصل بان يكون المعنى ليكن منك الكون ثم الكون منى كما صح أن يقال زرنى فأكرمك بالنصب فيكون المعنى

الارجالا يوحي اليهم) رد لقول قريش الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا أي جرت السنة الالهية بان لا يبعث للدعوة العامة الا بشرا يوحي اليه على ألسنة الملائكة والحكمة في ذلك قد ذكرت في سورة الانعام فان شككتم فيه (فاسئلوا أهل الذكر) أهل الكتاب أو علماء الاحبار ليعلموكم (ان كنتم لا تعلمون) وفي الآية دليل على أنه تعالى لم يرسل امرأة ولا ملكا للدعوة العامة وقوله جاعل الملائكة رسلا معناه رسلا الى الملائكة أو الى الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل لم يبعثوا الى الانبياء الا متمثلين بصورة الرجال ورد بما روي أنه عليه الصلاة والسلام رأى جبريل صلوات الله عليه على صورته التي هو عليها مرتين وعلى وجوب المراجعة الى العلماء فيما لا يعلم (بالبينات والزبر) أي أرسلناهم بالبينات والزبر أي المعجزات والكتب كأنه جواب قائل قال بم أرسلوا ويجوز أن يتعلق بما أرسلنا داخلا في الاستثناء مع رجالا أي وما أرسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط أو صفة لهم أي رجالا متلبسين بالبينات أو بيوحي على المفعولية أو الحال من القائم مقام فاعله على أن قوله فاسألوا اعتراض أو بلا تعلمون على أن الشرط للتبكيت والالزام (وأنزلنا اليك الذكر) أي القرآن وانما سمي ذكرا لانه موعظة وتنبيه (لتبين للناس ما نزل اليهم) في الذكر بتوسط انزاله اليك مما أمروا به ونهوا عنه أو مما تشابه عليهم والتبيين أعم من أن ينص بالمقصود أو يرشد الى ما يدل عليه كالقياس ودليل العقل (ولعلهم يتفكرون) وارادة أن يتأملوا فيه فيتنبهوا للحقائق (أفأمن الذين مكروا السيآت) أي المكرات السيآت وهم الذين احتالوا لهلاك الانبياء أو الذين مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم وراموا صد أصحابه عن الايمان (أن يخسف الله بهم الارض) كما خسف بقارون (أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون) بغتة من جانب السماء كما فعل بقوم لوط (أو يأخذهم في تقلبهم) أي متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم (فما هم بمعجزين أو يأخذهم على تخوف) على مخافة بان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأتيهم العذاب وهم متخوفون أو على ان ينقصهم شيأ بعد شئ في أنفسهم وأموالهم حتى يهلكوا من تخوفته اذا تنقصته روي أن عمر رضي الله تعالى عنه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال هل تعرف العرب ذلك في أشعارها قال نعم قال شاعرنا أبو كبير يصف ناقته

تخوف الرحل منها تامكا قردا * كما تخوف عود النبعة السفن

فقال عمر عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم (فان ربكم لرؤف رحيم) حيث لا يعاجلكم بالعقوبة (أولم يروا الى ما خلق الله من شئ) استفهام انكار أي قد رأوا أمثال هذه الصنائع فما بالهم لم يتفكروا فيها ليظهر لهم كمال قدرته وقهره فيخافوا منه وما موصولة مبهمة بيانها (يتفيؤ ظلاله) أي أولم ينظروا الى المخلوقات التي لها ظلال متفيئة وقرأ حمزة والكسائي تروا بالتاء وأبو عمرو تتفيؤ بالتاء (عن اليمين والشمائل) عن أيمانها وعن شمائلها أي عن جانبي كل واحد منها استعارة من يمين الانسان وشماله ولعل توحيد اليمين وجمع الشمائل باعتبار اللفظ والمعنى كتوحيد الضمير في ظلاله وجمعه في قوله (سجدا لله وهم داخرون) وهما حالان من الضمير في ظلاله والمراد من السجود الاستسلام سواء كان بالطبع أو الاختيار يقال سجدت النخلة اذا مالت لكثرة الحمل وسجد البعير اذا طأطأ رأسه ليركب أو سجدا حال من الظلال وهم داخرون حال من الضمير والمعنى يرجع الظلال بارتفاع الشمس وانحدارها أو باختلاف مشارقها ومغاربها بتقدير الله تعالى من جانب الى جانب منقادة لما قدر لها من التفيؤ أو واقعة على الارض ملتصقة بها على هيئة الساجد والاجرام في أنفسها أيضا داخرة أي صاغرة منقادة لافعال الله تعالى فيها

ليكن منك زيارة فاكرام مني وقد صرح الرضي بعدم جواز كونه منصوبا على جواب الامر (قوله أو الحال من القائم مقام فاعله) وهو الجار والمجرور وهو اليهم (قوله على أن قوله فاسئلوا اعتراض) هذا متعلق بقوله ويجوز أن يتعلق بما أرسلنا الخ اذ على كل من التقادير المذكورة كان قوله تعالى فاسئلوا جملة معترضة بين أمرين متصلين (قوله على ان الشرط للتبكيت والالزام) اذ ليس الشرط على حقيقته اذ من المعلوم المقرر انهم لم يعلموا البينات والزبر (قوله تخوف الرحل منها تامكا قردا) التامك طويل السنام (قوله وتوحيد اليمين وجمع الشمائل باعتبار اللفظ والمعنى) توحيد اليمين باعتبار توحيد لفظ ما وجمع الشمائل باعتبار ان ما يشمل عليه ما متعدد (قوله وهما حالان من الضمير في ظلاله) فيكون جمع الحالين باعتبار المعنى فان قلت الحال يجب أن يكون من الفاعل أو المفعول به وضمير ظلاله ليس شيأ منهما قلنا لا نسلم أن يكون كل ذي حال يجب أن يكون فاعلا أو مفعولا بل قد يكون

تفسيرهما ولهذا اعترض الرضى على ابن الحاجب قال ويخرج من تعريف الحال الحال من المضاف اليه اذا لم يكن المضاف عاملا فى المضاف اليه كقوله تعالى ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين (قوله وجمع داخرون بالواو لان من جلتهامن يعقل) لانه قرر ان سجد الله وهم داخرون حال من الضمير فى ظلاله فيكون ذو الحال أصحاب الظلال ولا يخفى أن بعضهم عقلاء و بعضهم غير العقلاء (قوله لان الدخور من أوصاف العقلاء) لان الدخور كما بينه هو الصغار والانقياد وهو صفة أولى العقل (قوله يعم الانقياد لارادته الخ) أى المراد من الانقياد المطلق العام ليشمل جميع ما فى السموات وما فى الارض وفيه أنه لو كان المراد الانقياد لارادته طبعا لم الجميع أيضا (قوله أو عطف المجردات على الجسمانيات و به احتج من قال ان الملائكة أرواح مجردة) وجه الاستدلال ان ما فى السموات وما فى الارض من الشيئين أحدهما الدابة والآخر الملائكة فتكون الملائكة خارجين من الدابة أى المتحرك الحركة الجسمانية فلا تكون أجساما لان الجسم

وجمع داخرون بالواو لان من جلتهامن يعقل أو لان الدخور من أوصاف العقلاء وقيل المراد باليمين والشمائل يمين الفلك وهو جانبه الشرقى لان الكواكب تظهر منه آخذة فى الارتفاع والسطوع وشماله وهو الجانب الغربى المقابل له من الارض فان الظلال فى أول النهار تبتدئ من المشرق واقعة على الربع الغربى من الارض وعند الزوال تبتدئ من المغرب واقعة على الربع الشرقى من الارض (ولله يسجد ما فى السموات وما فى الارض) أى ينقاد انقيادا يعم الانقياد لارادته وتأثيره طبعا والانقياد لتكليفه وأمره طوعا ليصح اسناده الى عامة أهل السموات والارض وقوله (من دابة) بيان لهما لان الدبيب هو الحركة الجسمانية سواء كانت فى أرض أو سماء (والملائكة) عطف على المبين به عطف جبريل على الملائكة للتعظيم أو عطف المجردات على الجسمانيات و به احتج من قال ان الملائكة أرواح مجردة أو بيان لما فى الارض والملائكة تكرير لما فى السموات وتعيين له اجلالا وتعظيما أو المراد بها ملائكتها من الحفظة وغيرهم وما لما استعمل للعقلاء كما استعمل لغيرهم كان استعماله حيث اجتمع القبيلان أولى من اطلاق من تغليبا للعقلاء (وهم لا يستكبرون) عن عبادته (يخافون ربهم من فوقهم) يخافونه أن يرسل عذابا من فوقهم أو يخافونه وهو فوقهم بالقهر كقوله تعالى وهو القاهر فوق عباده والجملة حال من الضمير فى لا يستكبرون أو بيان له وتقرير لان من خاف الله تعالى لم يستكبر عن عبادته (ويفعلون ما يؤمرون) من الطاعة والتدبير وفيه دليل على ان الملائكة مكلفون مدارون بين الخوف والرجاء (وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين) ذكر العدد مع ان المعدود يدل عليه دلالة على ان مساق النهى اليه أو ايماء بان الاثنينية تنافى الالوهية كما ذكر الواحد فى قوله (انما هو اله واحد) للدلالة على ان المقصود اثبات الوحدانية دون الالهية أو للتنبيه على أن الوحدة من لوازم الالهية (فاياى فارهبون) نقل من الغيبة الى التكلم مبالغة فى الترهيب وتصريحا بالمقصود فكأنه قال فانا ذلك الاله الواحد فاياى فارهبون لا غير (وله ما فى السموات والارض) خلقا وملكا (وله الدين) أى الطاعة (واصبا) لازما لما تقرر من أنه الاله وحده والحقيق بان يرهب منه وقيل واصبا من الوصب أى وله الدين ذا كلفة وقيل الدين الجزاء أى وله الجزاء دائما لا ينقطع ثوابه لمن آمن وعقابه لمن كفر (أفغير الله تتقون) ولا ضار سواه كما لا نافع غيره كما قال تعالى (وما بكم من نعمة فمن الله)

لابد أن يكون له حركة جسمانية فكانوا داخلين فى الدابة وفيه نظر لما ذكر من أنه يمكن انه تخصيص بعد تعميم (قوله أو بيان لما فى الارض الخ) عطف على قوله بيان لهما والمقصود أن من دابة اما أن يكون بيانا لما فى السموات وما فى الارض أو بيانا لما فى الارض فيكون المراد من الدابة ما يدب على وجه الارض وتكون الملائكة بيانا لما فى السموات وتعيينا له اجلالا وتعظيما للملائكة بتكرير ذكرهم (قوله أو المراد بها ملائكتها من الحفظة وغيرهم) يعنى أو يكون المراد من الملائكة ملائكة الارض من الحفظة وهم الكرام الكاتبون وغيرهم فتكون الدابة والملائكة بيان لما فى الارض ويكون المراد من الدابة غير الملائكة (قوله وما لما استعمل للعقلاء الخ) انما كان أولى لان استعمال من للمجتمع من العقلاء وغيرهم لا يخلو عن تكلف والاولى أن يقال لو استعمل من لتوهم أن الحكم مخصوص بالعقلاء لان أصل وضعه للعقلاء بخلاف ما (قوله انهم مكلفون مدارون بين الخوف والرجاء) أى قائمون بين الخوف والرجاء وفيه أنه يفهم من الآية ان لهم فرقا وأما الرجاء فلا يفهم من الآية فتأمل تعرف ويمكن ان يقال ان اطاعتهم لما يؤمرون به قرينة الرجاء لان من أطاع الكريم فى أمره يحصل له رجاء الكرم والعفو فكيف من يطيع أكرم الاكرمين فى جميع أوامره ونواهيه (قوله ايماء بان الاثنينية تنافى الالهية) لان ذكر الاثنين مع كونه معلوما من المعدود لابد له من فائدة يمكن ان تكون هى الايماء المذكور لان فيه ايماء الى ان النهى بواسطة الاثنينية فيلزم تناف بينها و بين الالوهية كما ان ذكر الواحد فى هذا المقام مع كونه معلوما يمكن ان يكون لما ذكر من ان الوحدة من لوازم الالوهية

أي وأي شيء اتصل بكم من نعمة فهو من الله وما شرطية أو موصولة متضمنة معنى الشرط باعتبار الاخبار دون الحصول فان استقرار النعمة بهم يكون سببا للاخبار بانها من الله لا لحصولها منه (ثم اذا مسكم الضر فاليه تجأرون) فما تتضرعون الا اليه والجؤار رفع الصوت في الدعاء والاستغاثة (ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم) وهم كفاركم (بربهم يشركون) بعبادة غيره هذا اذا كان الخطاب عاما فان كان خاصا بالمشركين كان من للبيان كأنه قال اذا فريق وهم أنتم ويجوز أن تكون من للتبعيض على أن يعتبر بعضهم كقوله تعالى فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد (ليكفروا بما آتيناهم) من نعمة الكشف عنهم كأنهم قصدوا بشركهم كفران النعمة أو انكار كونها من الله تعالى (فتمتعوا) أمر تهديد (فسوف تعلمون) أغلظ وعيده وقرىء فيمتعوا مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا وعلى هذا جاز أن تكون اللام لام الامر الوارد للتهديد والفاء للجواب (ويجعلون لما لا يعلمون) أي لآلهتهم التي لا علم لها لانها جماد فيكون الضمير لما أو التي لا يعلمونها فيعتقدون فيها جهالات مثل انها تنفعهم وتشفع لهم على ان العائد الى ما محذوف أو لجهلهم على أن ما مصدرية والمجعول له محذوف للعلم به (نصيبا مما رزقناهم) من الزروع والانعام (تالله لتسألن عما كنتم تفترون) من انها آلهة حقيقة بالتقرب اليها وهو وعيد لهم عليه (ويجعلون لله البنات) كانت خزاعة وكنانة يقولون الملائكة بنات الله (سبحانه) تنزيه له من قولهم أو تعجب منه (ولهم ما يشتهون) يعني البنين ويجوز فيما يشتهون الرفع بالابتداء والنصب بالعطف على البنات على ان الجعل بمعنى الاختيار وهو وان أفضى الى أن يكون ضمير الفاعل والمفعول لشيء واحد لكنه لا يبعد تجويزه في المعطوف (واذا بشر أحدهم بالانثى) أخبر بولادتها (ظل وجهه) صار أو دام النهار كله (مسودا) من الكآبة والحياء من الناس واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام والتشوير (وهو كظيم) مملوء غيظا من المرأة (يتوارى من القوم) يستخفي منهم (من سوء ما بشر به) من سوء المبشر به عرفا (أيمسكه) محدثا نفسه متفكرا في أن يتركه (على هون) ذل (أم يدسه في التراب) أي يخفيه فيه ويئده وتذكير الضمير للفظ ما وقرىء بالتأنيث فيهما (ألا ساء ما يحكمون) حيث يجعلون لمن تعالى عن الولد ما هذا محله عندهم (للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء) صفة السوء وهي الحاجة الى الولد المنادية بالموت واستبقاء الذكور استظهارا بهم وكراهة الاناث وأد هن خشية الاملاق (ولله المثل الاعلى) وهو الوجوب الذاتي والغنى المطلق والجود الفائق والنزاهة عن صفات المخلوقين (وهو العزيز الحكيم) المنفرد بكمال القدرة والحكمة (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم) بكفرهم ومعاصيهم (ما ترك عليها) على الارض وانما أضمرها من غير ذكر لدلالة الناس والدابة عليها (من دابة) قط بشؤم ظلمهم وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن آدم أو من دابة ظالمة وقيل لو أهلك الآباء بكفرهم لم يكن الابناء (ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى) سماه لاعمارهم أو لعذابهم كي يتوالدوا (فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) بل هلكوا أو عذبوا حينئذ لا محالة ولا يلزم من عموم الناس واضافة الظلم اليهم أن يكونوا كلهم ظالمين حتى الانبياء عليهم الصلاة والسلام لجواز أن يضاف اليهم ما شاع فيهم وصدر عن أكثرهم (ويجعلون لله ما يكرهون) أي ما يكرهونه لانفسهم من البنات والشركاء في الرياسة والاستخفاف بالرسل وأراذل الاموال (وتصف ألسنتهم الكذب) مع ذلك وهو (أن لهم الحسنى) أي عند الله كقوله ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وقرىء الكذب جمع كذوب صفة للألسنة (لا جرم أن لهم النار) رد لكلامهم واثبات لضده (وأنهم مفرطون) مقدمون الى النار من افرطته في

حتى انتهى الامر الى ان ذكر الاله يوجب ذكر الواحد (قوله باعتبار الاخبار دون الحصول) فيكون المعنى ما اتصل بكم من نعمة فيخبر كم انها من الله لا لحصولها منه لان استقرار النعمة مسبب عن حصولها لا سبب له (قوله ويجوز ان تكون من للتبعيض) فيكون المعنى اذا كشف الضر عنكم كان فريق منكم عائدا الى الشرك وفريق منكم مستقيما على التوحيد

طلب الماء اذا قدمته وقرأ نافع بكسر الراء على أنه من الافراط فى المعاصى وقرئ بالتشديد مفتوحا من فرطته فى طلب الماء ومكسورا من التفريط فى الطاعات (تالله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم) فأصروا على قبائحها وكفروا بالمرسلين (فهو وليهم اليوم) أى فى الدنيا وعبر باليوم عن زمانها أو فهو وليهم حين كان يزين لهم أو يوم القيامة على انه حكاية حال ماضية أو آتية ويجوز أن يكون الضمير لقريش أى زين الشيطان للكفرة المتقدمين أعمالهم وهو ولى هؤلاء اليوم يغريهم ويغويهم وان يقدر مضاف أى فهو ولى أمثالهم والولى القرين أو الناصر فيكون نفيا للناصر لهم على أبلغ الوجوه (ولهم عذاب أليم) فى القيامة (وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم) للناس (الذى اختلفوا فيه) من التوحيد والقدر وأحوال المعاد وأحكام الافعال (وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) معطوفان على محل لتبين فانهما فعلا المنزل بخلاف التبيين (والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الارض بعد موتها) أنبت فيها أنواع النبات بعد يبسها (ان فى ذلك لآية لقوم يسمعون) سماع تدبر وانصاف (وان لكم فى الانعام لعبرة) دلالة يعبر بها من الجهل الى العلم (نسقيكم مما فى بطونه) استئناف لبيان العبرة وانما ذكر الضمير ووحده ههنا للفظ وأنثه فى سورة المؤمنين للمعنى فان الانعام اسم جمع ولذلك عده سيبويه فى المفردات المبنية على أفعال كأخلاق وأكياش ومن قال انه جمع نعم جعل الضمير للبعض فان اللبن لبعضها دون جميعها أو لواحده أو له على المعنى فان المراد به الجنس وقرأ نافع وابن عامر وأبو بكر ويعقوب نسقيكم بالفتح هنا وفى المؤمنين (من بين فرث ودم لبنا) فانه يخلق من بعض أجزاء الدم المتولد من الاجزاء اللطيفة التى فى الفرث وهو الاشياء المأكولة المنهضمة بعض الانهضام فى الكرش وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان البهيمة اذا اعتلفت وانطبخ العلف فى كرشها كان أسفله فرثا وأوسطه لبنا وأعلاه دما ولعله ان صح فالمراد ان أوسطه يكون مادة اللبن وأعلاه مادة الدم الذى يغذى البدن لانهما لا يتكونان فى الكرش بل الكبد يجذب صفاوة الطعام المنهضم فى الكرش ويبقى ثفله وهو الفرث ثم يمكسها ريثما يهضمها هضما ثانيا فيحدث أخلاطا أربعة معها مائية فتميز القوة المميزة تلك المائية بما زاد على قدر الحاجة من المرتين وتدفعها الى الكلية والمرارة والطحال ثم يوزع الباقى على الاعضاء بحسبها فيجرى الى كل حقه على ما يليق به بتقدير الحكيم العليم ثم ان كان الحيوان أنثى زاد أخلاطها على قدر غذائها لاستيلاء البرد والرطوبة على مزاجها فيندفع الزائد أولا الى الرحم لاجل الجنين فاذا انفصل انصب ذلك الزائد أو بعضه الى الضروع فيبيض بمجاورة لحومها الغددية البيض فيصير لبنا ومن تدبر صنع الله تعالى فى احداث الاخلاط والألبان واعداد مقارها ومجاريها والاسباب المولدة لها والقوى المتصرفة فيها كل وقت على ما يليق به اضطر الى الاقرار بكمال حكمته وتناهى رحمته ومن الأولى تبعيضية لان اللبن بعض ما فى بطونها والثانية ابتدائية كقولك سقيت من الحوض لان بين الفرث والدم المحل الذى يبتدأ منه الاسقاء وهى متعلقة بنسقيكم أو حال من لبنا قدم عليه لتنكيره وللتنبيه على انه موضع العبرة (خالصا) صافيا لا يستصحب لون الدم ولا رائحة الفرث أو مصفى عما يصحبه من الاجزاء الكثيفة بتضييق مخرجه (سائغا للشاربين) سهل المرور فى حلقهم وقرئ سيغا بالتشديد والتخفيف (ومن ثمرات النخيل والأعناب) متعلق بمحذوف أى ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب أى من عصيرهما وقوله (تتخذون منه سكرا) استئناف لبيان الاسقاء أو بتتخذون ومنه تكرير للظرف تأكيدا أو خبر لمحذوف صفته تتخذون أى ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه وتذكير الضمير على الوجهين الاولين لانه للمضاف المحذوف الذى هو العصير أو لان الثمرات بمعنى الثمر والسكر مصدر سمى به

(قوله على أنه حكاية حال ماضية أو آتية) فالاول بالنظر الى المعنى الذى ذكره أولا وهو انه وليهم حين كان يزين لهم والثانى بالنسبة الى المعنى الثانى وهو ان يكون وليهم يوم القيامة (قوله فانهما فعلا المنزل بخلاف التبيين) أى ذكر هدى ورحمة بالنصب بانهما مفعول لهما لانهما فعلا فاعل الفعل المعلل واما التبيين فاما لم يكن كذلك بل هو فعل الرسول ذكره بصيغة الفعل (قوله فانه يخلق من بين أجزاء الدم الخ) توضيحه انه يحصل اللبن من بين الاجزاء التى فى الفرث ثم من بين الاجزاء التى فى الدم فالمعنى من بين أجزاء فرث وبين أجزاء دم (قوله أو لواحده أو له على المعنى) يعنى ان ضمير بطونه راجع الى واحد من الانعام وحينئذ فالمراد من بطون واحد من الانعام الاشياء التى فى باطنه (قوله متعلق بمحذوف) انما قال متعلق بمحذوف لانه لا يصح ان يكون متعلقا بنسقيكم المذكور لان قوله تعالى وان لكم فى الانعام يمنع منه

الخمر (ورزقاحسنا) كالتمر والزبيب والدبس والخل والآية ان كانت سابقة على تحريم الخمر فدالة على كراهتها والجامعة بين العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ وقيل الطعم قال

* جعلت اعراض الكرام سكرا * أى تنقلت بأعراضهم وقيل مايسد الجوع من السكر فيكون الرزق مايحصل من اثمانه (ان فى ذلك لآية لقوم يعقلون) يستعملون عقولهم بالنظر والتأمل فى الآيات (وأوحى ربك الى النحل) ألهمها وقذف فى قلوبها وقرئ الى النحل بفتحتين (أن اتخذى) بأن اتخذى ويجوز أن تكون ان مفسرة لان فى الايحاء معنى القول وتأنيث الضمير على المعنى فان النحل مذكر (من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون) ذكر بحرف التبعيض لانها لاتبنى فى كل جبل وكل شجر وكل مايعرش من كرم أوسقف ولا فى كل مكان منها وانما سمى ماتبنيه لتتعسل فيه بيتا تشبيها ببناء الانسان لما فيه من حسن الصنعة وصحة القسمة التى لايقوى عليها حذاق المهندسين الابآلات وأنظار دقيقة ولعل ذكره للتنبيه على ذلك وقرئ بيوتا بكسر الباء وقرأ ابن عامر وأبو بكر يعرشون بضم الراء (ثم كلى من كل الثمرات) من كل ثمرة تشتهينها مرها وحلوها (فاسلكى) ماأكلت (سبل ربك) فى مسالكه التى يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا من أجوافك أوفاسلكى الطرق التى ألهمك فى عمل العسل أوفاسلكى راجعة الى بيوتك سبل ربك لاتتوعر عليك ولاتلتبس (ذللا) جمع ذلول وهى حال من السبل أى مذللة ذللها الله تعالى وسهلها لك أومن الضمير فى اسلكى أى وأنت ذلل منقادة لما أمرت به (يخرج من بطونها) كأنه عدل به عن خطاب النحل الى خطاب الناس لانه محل الانعام عليهم والمقصود من خلق النحل والهامه لأجلهم (شراب) يعنى العسل لانه مما يشرب واحتج به من زعم ان النحل تأكل الازهار والاوراق العطرة فتستحيل فى بطنها عسلا ثم تقىء ادخارا للشتاء ومن زعم أنها تلتقط بافواهها أجزاء طلية حلوة صغيرة متفرقة على الاوراق والازهار وتضعها فى بيوتها ادخارا فاذا اجتمع فى بيوتها شئ كثير منها كان العسل فسر البطون بالافواه (مختلف ألوانه) أبيض وأصفر وأحمر وأسود بحسب اختلاف سن النحل والفصل (فيه شفاء للناس) امابنفسه كما فى الامراض البلغمية أومع غيره كما فى سائر الامراض اذ قلما يكون معجون الا والعسل جزء منه مع أن التنكير فيه مشعر بالتبعيض ويجوز أن يكون للتعظيم وعن قتادة أن رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان أخى يشتكى بطنه فقال اسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قدسقيته فمانفع فقال اذهب واسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن أخيك فسقاه فشفاه الله تعالى فبرأ فكأنما أنشط من عقال وقيل الضمير للقرآن أولما بين الله من أحوال النحل (ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون) فان من تدبر اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة والافعال العجيبة حق التدبر علم قطعا انه لابد له من خالق قادر حكيم يلهمها ذلك ويحملها عليه (والله خلقكم ثم يتوفاكم) بآجال مختلفة (ومنكم من يرد) يعاد (الى أرذل العمر) أخسه يعنى الهرم الذى يشابه الطفولية فى نقصان القوة والعقل وقيل هو خمس وتسعون سنة وقيل خمس وسبعون (لكيلا يعلم بعد علم شيأ) ليصير الى حالة شبيهة بحالة الطفولية فى النسيان وسوء الفهم (ان الله عليم) بمقادير أعماركم (قدير) يميت الشاب النشيط ويبقى الهرم الفانى وفيه تنبيه على ان تفاوت آجال الناس ليس الابتقدير قادر حكيم ركب أبنيتهم وعدل أمزجتهم على قدر معلوم ولو كان ذلك مقتضى الطبائع لم يبلغ التفاوت هذا المبلغ (والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق) فنكم غنى ومنكم فقير ومنكم موال يتولون رزقهم ورزق غيرهم ومنكم مماليك حالهم على خلاف ذلك (فما الذين فضلوا

(قوله والجامعة بين العتاب والمنة) أى اذا كان نزول هذه الآية بعد حرمة الخمر تكون الاية جامعة بين العتاب بسبب اشتمالها على اتخاذ السكر وبين المنة نظرا الى الرزق الحسن (قوله جعلت أعراض الكرام سكرا) فجعل اعراض الكرام عن خطأ الشخص سكرا أى نقلا يتنقل به هكذا ذكره المعلقون على الكشاف (قوله وقيل مايسد الجوع) مقصوده ان المراد من السكر المذكور فى القرآن هو السكر المطعوم الذى يسد الجوع فيكون الرزق الحسن هو منه (قوله وتأنيث الضمير على المعنى الخ) أى يكون التأنيث باعتبار ان الخطاب مع جماعة النحل (قوله ولعل ذكره للتنبيه على ذلك) أى لعل ذكر اتخاذ البيوت لاجل التنبيه على ان بيوته مشتملة على ماذكر (قوله عدل به عن خطاب النحل الى خطاب الناس) العدول عن خطاب النحل مسلم واما العدول الى خطاب الناس فباعتبار ان المعنى يخرج لكم أيها الناس شراب مختلف ألوانه (قوله بسبب اختلاف سن النحل والفصل) ويمكن أيضا باختلاف مايلتقط (قوله ولو كان ذلك مقتضى الطبائع لم يبلغ التفاوت هذا المبلغ) فيه نظر لايخفى

برادى رزقهم) بمعطى رزقهم (على ما ملكت أيمانهم) على مماليكهم فان ما يردون عليهم رزقهم الذى جعله الله فى أيديهم (فهم فيه سواء) فالموالى والمماليك سواء فى أن الله رزقهم فالجملة لازمة للجملة المنفية أو مقررة لها ويجوز أن تكون واقعة موقع الجواب كأنه قيل فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيمانهم فيستووا فى الرزق على انه رد وانكار على المشركين فانهم شركون بالله بعض مخلوقاته فى الالوهية ولا يرضون أن يشاركهم عبيدهم فيما أنعم الله عليهم فيساووهم فيه (أفبنعمة الله يجحدون) حيث يتخذون له شركاء فانه يقتضى أن يضاف اليهم بعض ما أنعم الله عليهم ويجحدوا انه من عند الله أو حيث أنكروا أمثال هذه الحجج بعد ما أنعم الله عليهم بايضاحها والباء لتضمن الجحود معنى الكفر وقرأ أبو بكر تجحدون بالتاء لقوله خلقكم وفضل بعضكم (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا) أى من جنسكم لتأنسوا بها ولتكون أولادكم مثلكم وقيل هو خلق حواء من آدم (وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة) وأولاد أولاد أو بنات فان الحافد هو المسرع فى الخدمة والبنات يخدمن فى البيوت أتم خدمة وقيل هم الأختان على البنات وقيل الربائب ويجوز أن يراد بها البنون أنفسهم والعطف لتغاير الوصفين (ورزقكم من الطيبات) من اللذائذ أو الحلالات ومن للتبعيض فان المرزوق فى الدنيا أنموذج منها (أفبالباطل يؤمنون) وهو ان الأصنام تنفعهم أو أن من الطيبات ما يحرم عليهم كالبحائر والسوائب (وبنعمت الله هم يكفرون) حيث أضافوا نعمه الى الأصنام أو حرموا ما أحل الله لهم وتقديم الصلة على الفعل اما للاهتمام أو لايهام التخصيص مبالغة أو للمحافظة على الفواصل (ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والأرض شيأ) من مطر ونبات ورزقا ان جعلته مصدرا فشيأ منصوب به والا فبدل منه (ولا يستطيعون) أن يملكوه أو لا استطاعة لهم أصلا وجمع الضمير فيه وتوحيده فى لا يملك لأن ما مفرد فى معنى الآلهة ويجوز أن يعود الى الكفار أى ولا يستطيع هؤلاء مع انهم أحياء متصرفون شيأ من ذلك فكيف بالجماد (فلا تضربوا لله الأمثال) فلا تجعلوا له مثلا تشركونه به أو تقيسونه عليه فان ضرب المثل تشبيه حال بحال (ان الله يعلم) فساد ما تعوّلون عليه من القياس على أن عبادة عبيد الملك أدخل فى التعظيم من عبادته وعظم جرمكم فيما تفعلون (وأنتم لا تعلمون) ذلك ولو علمتموه لما جرأتم عليه فهو تعليل للنهى أو انه يعلم كنه الأشياء وأنتم لا تعلمونه فدعوا رأيكم دون نصه ويجوز أن يراد فلا تضربوا لله الأمثال فانه يعلم كيف تضرب الأمثال وأنتم لا تعلمون ثم علمهم كيف يضرب فضرب مثلا لنفسه ولمن عبد دونه فقال (ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شئ ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون) مثل ما يشرك به بالمملوك العاجز عن التصرف رأسا ومثل نفسه بالحر المالك الذى رزقه الله مالا كثيرا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف يشاء واحتج بامتناع الاشتراك والتسوية بينهما مع تشاركهما فى الجنسية والمخلوقية على امتناع التسوية بين الأصنام التى هى أعجز المخلوقات وبين الله الغنى القادر على الاطلاق وقيل هو تمثيل للكافر المخذول والمؤمن الموفق وتقييد العبد بالمملوكية للتمييز عن الحر فانه أيضا عبد الله وبسلب القدرة للتمييز عن المكاتب والمأذون وجعله قسيما للمالك المتصرف يدل على أن المملوك لا يملك والاظهر ان من نكرة موصوفة ليطابق عبدا وجمع الضمير فى يستوون لأنه للجنسين فان المعنى هل يستوى الاحرار والعبيد (الحمد

ملكت أيمانهم أى لما كان السادات لم يكونوا رادى رزق أنفسهم على المماليك بل يردون على المماليك رزق المماليك لزم منه ان تكون السادات والعبيد متساويين فى كونهما مرزوقين من الله تعالى (قوله ويجوز أن تكون واقعة موقع الجواب) أى واقعة موقع جواب النفى المقدم اذ التقدير ما ذكر كقولك ما تأتينا فتحدثنا ويمكن ان يقال التقدير فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيمانهم ان ردوه فهم فيه سواء فهو فى الحقيقة جواب شرط مقدر (قوله أو مقدرة) الاولى ان يقال ومقدرة لها لانها صالحة للأمرين معا (قوله هو خلق حواء من آدم) فان قيل فما معنى جمع الانفس و الازواج قلنا لعله يقول المراد من الانفس والازواج البعض أى من بعض الانفس بعض الازواج (قوله والعطف لتغاير الوصفين) أى عطف الحفدة على البنين وان كانا متحدين لتغاير وصفى الابن والحافد (قوله أو لايهام التخصيص مبالغة) أى تقديم بنعمة الله على يكفرون لايهام تخصيص الكفران بالنعمة فكأن كفرهم مخصوص بالنعمة وانما قال لايهام التخصيص ولم يقل للتخصيص اذ ليس كفرهم مخصوصا بنعمة الله بل كفرهم يكون باشياء اخر (قوله وجعله قسيما للمالك المتصرف الخ) فيه نظر فانه لم يجعل

لله) كل الحمد له لايستحقه غيره فضلا عن العبادة لأنه مولى النعم كلها (بل أكثرهم لايعلمون)
فيضيفون نعمه الى غيره و يعبدونه لأجلها (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم) ولد أخرس
لايفهم ولا يفهم (لا يقدر على شئ) من الصنائع والتدابير لنقصان عقله (وهو كلّ على مولاه)
عيال وثقل على من يلي أمره (أينما يوجهه) حيثما يرسله مولاه فى أمر وقرئ يوجه على البناء
للمفعول و يوجه بمعنى يتوجه كقوله أينما أوجه ألق سعدا وتوجه بلفظ الماضى (لايأت بخير)
بنجح وكفاية مهم (هل يستوى هو ومن يأمر بالعدل) ومن هو فهم منطيق ذو كفاية و رشد ينفع
الناس بحثهم على العدل الشامل لجامع الفضائل (وهو على صراط مستقيم) وهو فى نفسه على
طريق مستقيم لايتوجه الى مطلب الا و يبلغه باقرب سعى وانما قابل تلك الصفات بهذين الوصفين
لأنهما كمال ما يقابلهما وهذا تمثيل ثان ضربه الله تعالى لنفسه وللاصنام لابطال المشاركة بينه و بينها
أو للمؤمن والكافر (ولله غيب السموات والأرض) يختص به علمه لايعلمه غيره وهو ماغاب فيهما
عن العباد بان لم يكن محسوسا ولم يدل عليه محسوس وقيل يوم القيامة فان علمه غائب عن أهل
السموات والأرض (وما أمر الساعة) وما أمر قيام الساعة فى سرعته وسهولته (الا كلمح
البصر) الا كرجع الطرف من أعلى الحدقة الى أسفلها (أوهو أقرب) أوأمرها أقرب منه بان
يكون فى زمان نصف تلك الحركة بل فى الآن الذى تبتدئ فيه فانه تعالى يحيي الخلائق دفعة ومايوجد
دفعة كان فى آن وأو للتخيير أو بمعنى بل وقيل معناه ان قيام الساعة وان تراخى فهو عند الله كالشئ
الذى تقولون فيه هو كلمح البصر أوهو أقرب مبالغة فى استقرابه (ان الله على كل شئ قدير) فيقدر أن
يحيي الخلائق دفعة كما قدر ان أحياهم متدرجا ثم دل على قدرته فقال (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم)
وقرأ الكسائى بكسر الهمزة على انه لغة أواتباع لما قبلها وحمزة بكسرها وكسر الميم والهاء مزيدة
مثلها فى اهراق (لاتعلمون شيأ) جهالا مستصحبين جهل الجمادية (وجعل لكم السمع والابصار
والافئدة) أداة تتعلمون بها فتحسون بمشاعركم جزئيات الاشياء فتدركونها ثم تتنبهون بقلوبكم
لمشاركات ومباينات بينها بتكرر الاحساس حتى تتحصل لكم العلوم البديهية وتتمكنوا من تحصيل
المعالم الكسبية بالنظر فيها (لعلكم تشكرون) كى تعرفوا ما أنعم عليكم طورا بعد طور فتشكروه (ألم
يروا الى الطير) قرأ ابن عامر وحمزة و يعقوب بالتاء على أنه خطاب للعامة (مسخرات) مذللات
للطيران بما خلق لها من الاجنحة والاسباب المؤاتية له (فى جوّ السماء) فى الهواء المتباعد من
الارض (ما يمسكهن) فيه (الا الله) فان ثقل جسدها يقتضى سقوطها ولا علاقة فوقها ولا دعامة
تحتها تمسكها (ان فى ذلك لآيات) تسخير الطير للطيران بان خلقها خلقة يمكن معها الطيران وخلق
الجو بحيث يمكن الطيران فيه وامساكها فى الهواء على خلاف طبعها (لقوم يؤمنون) لانهم هم
المنتفعون بها (والله جعل لكم من بيوتكم سكنا) موضعا تسكنون فيه وقت اقامتكم كالبيوت
المتخذة من الحجر والمدر فعل بمعنى مفعول (وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا) هى القباب
المتخذة من الادم و يجوز أن يتناول المتخذة من الوبر والصوف والشعر فانها من حيث انها نابتة على
جلودها يصدق عليها انها من جلودها (تستخفونها) تجدونها خفيفة يخف عليكم حملها ونقلها (يوم
ظعنكم) وقت ترحالكم (ويوم اقامتكم) و وضعها أوضربها وقت الحضر أو النزول وقرأ
الحجازيان والبصريان يوم ظعنكم بالفتح وهو لغة فيه (ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها) الصوف
للضائنة والوبر للابل والشعر للمعز واضافتها الى ضمير الانعام لانها من جملتها (أثاثا) مايلبس و يفرش
(ومتاعا) ما يتجر به (الى حين) الى مدة من الزمان فانها لصلابتها تبقى مدة مديدة أو الى حين مماتكم

قسيم المالك المتصرف مطلقا بل المالك خاص ينفق سرا وجهرا ولوسلم انه قسيم المالك المتصرف لايلزم منه ان لا يكون العبد مالكا أصلا وانما يلزم منه ان لا يكون مالكا متصرفا وقد يكون الشخص مالكا ولا يكون متصرفا كالصبي والسفيه والمجنون (قوله جزئيات الاشياء فتدركونها ثم تتنبهون بقلوبكم الخ) هذا كلام الفلاسفة ومن يحذو حذوهم فانهم قالوا ان النفس فى أول الفطرة خالية عن العلوم ثم اذا استعملت الاشياء أى المشاعر أدركت صورا جزئية وتنبهت لمشاركات جزئية بين الاشياء و مباينات جزئية بينها فاستعدت لان يفيض عليها من المبدأ الفياض المشاركات الكلية لكن أهل السنة لاحاجة لهم الى القول بهذا الطريق بل لهم ان يقولوا اذا استعملت النفس المشاعر يمكن ان يحصل لها معانى جزئية وكلية معا غاية الامر ان الادراك فى أول الامر كان ناقصا ثم يترقى تدريجا (قوله و وضعها أوضربها) هما مرفوعان معطوفان على حملها ونقلها

أو الى أن تقضوا منه أوطاركم (والله جعل لكم مما خلق) من الشجر والجبل والابنية وغيرها (ظلالا) تتقون بها حر الشمس (وجعل لكم من الجبال أكنانا) مواضع تسكنون بها من الكهوف والبيوت المنحوتة فيها جمع كن (وجعل لكم سرابيل) ثيابا من الصوف والكتان والقطن وغيرها (تقيكم الحر) خصه بالذكر اكتفاء باحد الضدين أو لان وقاية الحر كانت أهم عندهم (وسرابيل تقيكم بأسكم) يعني الدروع والجواشن والسربال يعم كل ما يلبس (كذلك) كاتمام هذه النعم التي تقدمت (يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون) أي تنظرون في نعمه فتؤمنون به وتنقادون لحكمه وقرئ تسلمون من السلامة أي تشكرون فتسلمون من العذاب أو تنظرون فيها فتسلمون من الشرك وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع (فان تولوا) أعرضوا ولم يقبلوا منك (فانما عليك البلاغ المبين) فلا يضرك فانما عليك البلاغ وقد بلغت وهذا من اقامة السبب مقام المسبب (يعرفون نعمة الله) أي يعرف المشركون نعمة الله التي عددها عليهم وغيرها حيث يعترفون بها و بانها من الله تعالى (ثم ينكرونها) بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم انها بشفاعة آلهتنا أو بسبب كذا أو باعراضهم عن أداء حقوقها وقيل نعمة الله نبوة محمد صلى الله عليه وسلم عرفوها بالمعجزات ثم أنكروها عنادا ومعنى ثم استبعادا لانكار بعد المعرفة (وأكثرهم الكافرون) الجاحدون عنادا وذكر الاكثر اما لان بعضهم لم يعرف الحق لنقصان العقل أو التفريط في النظر أو لم تقم عليه الحجة لانه لم يبلغ حد التكليف واما لانه يقام مقام الكل كما في قوله بل أكثرهم لا يعلمون (ويوم نبعث من كل أمة شهيدا) وهو نبيها يشهد لهم وعليهم بالايمان والكفر (ثم لا يؤذن للذين كفروا) في الاعتذار اذ لا عذر لهم وقيل في الرجوع الى الدنيا وثم لزيادة ما يحيق بهم من شدة المنع عن الاعتذار لما فيه من الاقناط الكلي على ما يمنون به من شهادة الانبياء عليهم الصلاة والسلام (ولاهم يستعتبون) ولاهم يسترضون من العتبى وهي الرضا وانتصاب يوم بمحذوف تقديره اذكر أو خوفهم أو يحيق بهم ما يحيق وكذا قوله (واذا رأى الذين ظلموا العذاب) عذاب جهنم (فلا يخفف عنهم) أي العذاب (ولاهم ينظرون) يمهلون (واذا رأى الذين أشركوا شركاءهم) أوثانهم التي دعوها شركاء أو الشياطين الذين شاركوهم في الكفر بالحمل عليه (قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك) نعبدهم أو نطيعهم وهو اعتراف بانهم كانوا مخطئين في ذلك أو التماس لأن يشطر عذابهم (فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون) أي أجابوهم بالتكذيب في أنهم شركاء الله أو أنهم ما عبدوهم حقيقة وانما عبدوا أهواءهم كقوله تعالى كلا سيكفرون بعبادتهم ولا يمتنع انطاق الله الاصنام به حينئذ أو في أنهم حملوهم على الكفر وألزموهم اياه كقوله وما كان لي عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لي (وألقوا) وألقى الذين ظلموا (الى الله يومئذ السلم) الاستسلام لحكمه بعد الاستكبار في الدنيا (وضل عنهم) وضاع عنهم و بطل (ما كانوا يفترون) من ان آلهتهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرؤا منهم (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) بالمنع عن الاسلام والحمل على الكفر (زدناهم عذابا) لصدهم (فوق العذاب) المستحق بكفرهم (بما كانوا يفسدون) بكونهم مفسدين بصدهم (ويوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم) يعني نبيهم فان نبي كل أمة بعث منهم (وجئنا بك) يا محمد (شهيدا على هؤلاء) على أمتك (ونزلنا عليك الكتاب) استئناف أو حال باضمار قد (تبيانا) بيانا بليغا (لكل شيء) من أمور الدين على التفصيل أو الاجمال بالاحالة الى السنة أو القياس (وهدى ورحمة) للجميع وانما حرمان المحروم من تفريطه (وبشرى للمسلمين) خاصة (ان الله يأمر بالعدل) بالتوسط في الامور اعتقادا كالتوحيد المتوسط بين التعطيل

(قوله وذكر الاكثر اما لان بعضهم الخ) أي كون أكثرهم جاحدين يدل على ان بعضهم ليسوا بجاحدين وعدم جحودهم دليل على عدم علمهم لان الجحود هو انكار الشيء مع العلم به كما قال تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا (قوله فعدم العلم اما لنقصان عقولهم أو لتفريطهم) او لانه لم يقم الحجة عليه (قوله وثم لزيادة ما يحيق بهم الخ) لان ثم دال على بعد الاذن عن الوقوع فيدل على ان مانعا شديدا يمنع وقوعه وهو يدل على الاقناط الكلي (قوله أو يحيق بهم ما يحيق بهم) أي نصب يوم بما ذكر او بهذا الفعل الذي هو يحيق (قوله أو في انهم حملوهم الخ) ما ذكر هو متعلق بالاصنام المذكورة سابقا أوثانهم التي دعوها شركاء أو الشياطين الذين شاركوهم (قوله استئناف أو حال) فالاول على تقدير ان لا يكون وجئنا بك شهيدا معطوفا على نبعث والثاني على ان يكون معطوفا على نبعث (قوله وانما حرمان المحروم من تفريطه)

والتشريك والقول بالكسب المتوسط بين محض الجبر والقدر وعملا كالتعبد بأداء الواجبات المتوسط بين البطالة والترهب وخلقا كالجود المتوسط بين البخل والتبذير (والاحسان) احسان الطاعات وهو اما بحسب الكمية كالتطوع بالنوافل أو بحسب الكيفية كما قال عليه الصلاة والسلام الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك (وايتاء ذي القربى) واعطاء الاقارب ما يحتاجون اليه وهو تخصيص بعد تعميم للمبالغة (وينهى عن الفحشاء) عن الافراط في متابعة القوة الشهوية كالزنا فانه أقبح أحوال الانسان وأشنعها (والمنكر) ما ينكر على متعاطيه في اثارة القوة الغضبية (والبغي) والاستعلاء والاستيلاء على الناس والتجبر عليهم فانها الشيطنة التي هي مقتضى القوة الوهمية ولا يوجد من الانسان شر الا وهو مندرج في هذه الاقسام صادر بتوسط احدى هذه القوى الثلاث ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه هي أجمع آية في القرآن للخير والشر وصارت سبب اسلام عثمان بن مظعون رضي الله تعالى عنه ولو لم يكن في القرآن غير هذه الآية لصدق عليه أنه تبيان لكل شئ وهدى ورحمة للعالمين ولعل ايرادها عقيب قوله ونزلنا عليك الكتاب للتنبيه عليه (يعظكم) بالامر والنهي والميز بين الخير والشر (لعلكم تذكرون) تتعظون (واوفوا بعهد الله) يعني البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام لقوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقيل كل أمر يجب الوفاء به ولا يلائمه قوله (اذا عاهدتم) وقيل النذور وقيل الايمان بالله (ولا تنقضوا الايمان) أي ايمان البيعة أو مطلق الايمان (بعد توكيدها) بعد توثيقها بذكر الله تعالى ومنه أكد بقلب الواو همزة (وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) شاهدا بتلك البيعة فان الكفيل مراع لحال المكفول به رقيب عليه (ان الله يعلم ما تفعلون) من نقض الايمان والعهود (ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها) ما غزلته مصدر بمعنى المفعول (من بعد قوة) متعلق بنقضت أي نقضت غزلها من بعد ابرام واحكام (انكاثا) طاقات نكث فتلها جمع نكث وانتصابه على الحال من غزلها أو المفعول الثاني لنقضت فانه بمعنى صيرت والمراد به تشبيه الناقض بمن هذا شأنه وقيل هي ريطة بنت سعد بن تيم القرشية فانها كانت خرقاء تفعل ذلك (تتخذون أيمانكم دخلا بينكم) حال من الضمير في ولا تكونوا أو في الجار الواقع موقع الخبر أي لا تكونوا متشبهين بامرأة هذا شأنها متخذي أيمانكم مفسدة ودخلا بينكم واصل الدخل ما يدخل الشئ ولم يكن منه (أن تكون أمة هي أربى من أمة) لان تكون جماعة أزيد عددا وأوفر مالا من جماعة والمعنى لا تغدروا بقوم لكثرتكم وقلتهم أو لكثرة منابذيهم وقوتهم كقريش فانهم كانوا اذا رأوا شوكة في أعادي حلفائهم نقضوا عهدهم وحالفوا أعداءهم (انما يبلوكم الله به) الضمير لان تكون أمة لانه بمعنى المصدر أي يختبركم بكونهم أربى لينظر أتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وبيعة رسوله أم تغترون بكثرة قريش وشوكتهم وقلة المؤمنين وضعفهم وقيل الضمير للرباء وقيل للامر بالوفاء (وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون) اذا جازاكم على أعمالكم بالثواب والعقاب (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) متفقة على الاسلام (ولكن يضل من يشاء) بالخذلان (ويهدي من يشاء) بالتوفيق (ولتسئلن عما كنتم تعملون) سؤال تبكيت ومجازاة (ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم) تصريح بالنهي عنه بعد التضمين تأكيدا ومبالغة في قبح المنهي (فتزل قدم) أي عن محجة الاسلام (بعد ثبوتها) عليها والمراد أقدامهم وانما وحد ونكر للدلالة على أن زلل قدم واحدة عظيم فكيف بأقدام كثيرة (وتذوقوا السوء) العذاب في الدنيا (بما صددتم عن سبيل الله) بصدكم عن الوفاء أو صدكم غيركم عنه فان من نقض البيعة وارتد جعل ذلك سنة لغيره (ولكم عذاب عظيم) في الآخرة (ولا

تشتروا

أي من كان محروما من رحمة القرآن فهو لتقصيره والا فرحمة القرآن شاملة لكل أحد (قوله ولا يلائمه قوله اذا عاهدتم) لان الظاهر منه ان المراد الامر بالايفاء بما يجب الوفاء به اعم من ان يكون مما وقع العهد به في الماضي أو المستقبل فلا يلائمه قوله تعالى اذا عاهدتم لانه يوجب اختصاصه بالاستقبال

تشتروا بعهد الله) ولا تستبدلوا عهد الله و بيعة رسوله صلى الله عليه وسلم (ثمنا قليلا) عرضا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدون لضعفاء المسلمين و يشترطون لهم على الارتداد (ان ما عند الله) من النصر والتغنيم فى الدنيا والثواب فى الآخرة (هو خير لكم) مما يعدونكم (ان كنتم تعلمون) ان كنتم من أهل العلم والتمييز (ماعندكم) من أعراض الدنيا (ينفد) ينقضى ويفنى (وما عند الله) من خزائن رحمته (باق) لا ينفد وهو تعليل للحكم السابق ودليل على أن نعيم أهل الجنة باق (وليجزين الذين صبروا أجرهم) على الفاقة وأذى الكفار أو على مشاق التكاليف وقرأ ابن كثير وعاصم بالنون (بأحسن ما كانوا يعملون) بما يرجح فعله من أعمالهم كالواجبات والمندوبات أو بجزاء أحسن من أعمالهم (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى) بينه بالنوعين دفعا للتخصيص (وهو مؤمن) اذ لا اعتداد بأعمال الكفرة فى استحقاق الثواب وانما المتوقع عليها تخفيف العذاب (فلنحيينه حياة طيبة) فى الدنيا يعيش عيشا طيبا فانه ان كان موسرا فظاهر وان كان معسرا يطيب عيشه بالقناعة والرضا بالقسمة وتوقع الأجر العظيم فى الآخرة بخلاف الكافر فانه ان كان معسرا فظاهر وان كان موسرا لم يدعه الحرص وخوف الفوات أن يتهنأ بعيشه وقيل فى الآخرة (ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) من الطاعة (فاذا قرأت القرآن) اذا أردت قراءته كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة (فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم) فاسأل الله أن يعيذك من وساوسه لئلا يوسوسك فى القراءة والجمهور على أنه للاستحباب وفيه دليل على أن المصلى يستعيذ فى كل ركعة لان الحكم المترتب على شرط يتكرر بتكرره قياسا وتعقيبه لذكر العمل الصالح والوعد عليه ايذان بأن الاستعاذة عند القراءة من هذا القبيل وعن ابن مسعود قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت أعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم فقال قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أقرأنيه جبريل عن القلم عن اللوح المحفوظ (انه ليس له سلطان) تسلط وولاية (على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) على أولياء الله تعالى المؤمنين به والمتوكلين عليه فانهم لا يطيعون أوامره ولا يقبلون وساوسه الا فيما يحتقرون على ندور وغفلة ولذلك أمروا بالاستعاذة فذكر السلطنة بعد الامر بالاستعاذة لئلا يتوهم منه أن له سلطانا (انما سلطانه على الذين يتولونه) يحبونه ويطيعونه (والذين هم به) بالله أو بسبب الشيطان (مشركون واذا بدلنا آية مكان آية) بالنسخ فجعلنا الآية الناسخة مكان المنسوخة لفظا أو حكما (والله أعلم بما ينزل) من المصالح فلعل ما يكون مصلحة فى وقت يصير مفسدة بعده فينسخه وما لا يكون مصلحة حينئذ يكون مصلحة الآن فيثبته مكانه وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ينزل بالتخفيف (قالوا) أى الكفرة (انما أنت مفتر) متقول على الله تأمر بشئ ثم يبدو لك فتنهى عنه وهو جواب اذا والله أعلم بما ينزل اعتراض لتوبيخ الكفار على قولهم والتنبيه على فساد سندهم ويجوز أن يكون حالا (بل أكثرهم لا يعلمون) حكمة الاحكام ولا يميزون الخطأ من الصواب (قل نزله روح القدس) يعنى جبريل عليه السلام واضافة الروح الى القدس وهو الطهر كقولهم حاتم الجود وقرأ ابن كثير روح القدس بالتخفيف وفى ينزل ونزله تنبيه على أن انزاله مدرجا على حسب المصالح بما يقتضى التبديل (من ربك بالحق) ملتبسا بالحكمة (ليثبت الذين آمنوا) ليثبت الله الذين آمنوا على الايمان بأنه كلامه وأنهم اذا سمعوا الناسخ وتدبروا ما فيه من رعاية الصلاح والحكمة رسخت عقائدهم واطمأنت قلوبهم (وهدى وبشرى للمسلمين) المنقادين لحكمه وهما معطوفان على محل ليثبت أى تثبيتا وهداية وبشارة وفيه تعريض بحصول أضداد ذلك لغيرهم وقرئ ليثبت بالتخفيف (ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر) يعنون

(قوله بينه بالنوعين دفعا للتخصيص) اذ قد يتوهم من لفظة من المذكر (قوله مكان الآية المنسوخة لفظا أو حكما) فالمنسوخة لفظا فقط ما نسخت قراءته وبقى حكمها كآية الرجم والمنسوخة حكما ما ثبتت قراءتها لكن ترك حكمها (قوله وفى ينزل ونزله تنبيه على أن انزاله مدرجا) لان تدريج انزاله بحسب المصالح والحال ان المصالح تختلف بالازمان ففى زمان المصلحة فى عدم وجوب شئ وفى زمان آخر المصلحة فى وجوبه فيقتضى نسخ الحكم الاول وهو عبارة عن التبديل

جبرا الرومى غلام عامر بن الحضرمى وقيل جبرا و يسارا كانا يصنعان السيوف بمكة و يقرآن التوراة والانجيل وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يمر عليهما ويسمع ما يقرآنه وقيل عائشا غلام حويطب ابن عبد العزى قد أسلم وكان صاحب كتب وقيل سلمان الفارسى (لسان الذين يلحدون اليه أعجمى) لغة الرجل الذى يميلون قولهم عن الاستقامة اليه مأخوذ من لحد القبر وقرأ حمزة والكسائى يلحدون بفتح الياء والحاء لسان أعجمى غير بين (وهذا) وهذا القرآن (لسان عربى مبين) ذو بيان وفصاحة والجملتان مستأنفتان لابطال طعنهم وتقريره يحتمل وجهين أحدهما أن ما سمعه منه كلام أعجمى لا يفهمه هو ولا أنتم والقرآن عربى تفهمونه بأدنى تأمل فكيف يكون ما تلقفه منه وثانيهما هب أنه تعلم منه المعنى باستماع كلامه لكن لم يتلقف منه اللفظ لان ذلك أعجمى وهذا عربى والقرآن كما هو معجز باعتبار المعنى فهو معجز من حيث اللفظ مع أن العلوم الكثيرة التى فى القرآن لا يمكن تعلمها الا بملازمة معلم فائق فى تلك العلوم مدة متطاولة فكيف تعلم جميع ذلك من غلام سوقى سمع منه فى بعض أوقات مروره عليه كليمات أعجمية لعلهما لم يعرفا معناها وطعنهم فى القرآن بأمثال هذه الكلمات الركيكة دليل على غاية عجزهم (ان الذين لا يؤمنون بآيات الله) لا يصدقون أنها من عند الله (لا يهديهم الله) الى الحق أو الى سبيل النجاة وقيل الى الجنة (ولهم عذاب أليم) فى الآخرة هددهم على كفرهم بالقرآن بعد ما أماط شبهتهم ورد طعنهم فيه ثم قلب الامر عليهم فقال (انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله) لانهم لا يخافون عقابا يردعهم عنه (وأولئك) اشارة الى الذين كفروا أو الى قريش (هم الكاذبون) أى الكاذبون على الحقيقة أو الكاملون فى الكذب لان تكذيب آيات الله والطعن فيها بهذه الخرافات أعظم الكذب أو الذين عادتهم الكذب لا يصرفهم عنه دين ولا مروأة أو الكاذبون فى قولهم انما أنت مفتر انما يعلمه بشر (من كفر بالله من بعد ايمانه) بدل من الذين لا يؤمنون وما بينهما اعتراض أو من أولئك أو من الكاذبون أو مبتدأ خبره محذوف دل عليه قوله فعليهم غضب و يجوز أن ينتصب بالذم وأن تكون من شرطية محذوفة الجواب دل عليه قوله (الا من أكره) على الافتراء أو كلمة الكفر استثناء متصل لان الكفر لغة يعم القول والعقد كالايمان (وقلبه مطمئن بالايمان) لم تتغير عقيدته وفيه دليل على أن الايمان هو التصديق بالقلب (ولكن من شرح بالكفر صدرا) اعتقده وطاب به نفسا (فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم) اذ لا أعظم من جرمه روى أن قريشا أكرهوا عمارا وأبويه ياسرا وسمية على الارتداد فربطوا سمية بين بعيرين وجئ بحربة فى قبلها وقالوا انك أسلمت من أجل الرجال فقتلت وقتلوا ياسرا وهما أول قتيلين فى الاسلام وأعطاهم عمار بلسانه ما أرادوا مكرها فقيل يا رسول الله ان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فأتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكى فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه و يقول مالك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت وهو دليل على جواز التكلم بالكفر عند الاكراه وان كان الافضل أن يتجنب عنه اعزازا للدين كما فعله أبواه لما روى أن مسيلمة أخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول فى محمد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فما تقول فى فقال أنت أيضا فخلاه وقال للآخر ما تقول فى محمد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فما تقول فى قال أنا أصم فأعاد عليه ثلاثا فأعاد جوابه فقتله فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أما الاول فقد أخذ برخصة الله وأما الثانى فقد صدع بالحق فهنيأ له (ذلك) اشارة الى الكفر بعد الايمان أو الوعيد (بأنهم استحبوا الحيوة الدنيا على الآخرة) بسبب أنهم آثروها عليها (وأن الله لا يهدى القوم الكافرين) أى الكافرين فى علمه الى ما يوجب ثبات الايمان

(قوله أى الكاذبون على الحقيقة الخ) معناه ان الكذب الحقيقى صفتهم لا صفة الغير أو هم الكاملون فى الكذب لا غيرهم أو المراد من الكاذبين الذين عادتهم الكذب والغرض تصحيح الحصر المستفاد من الكلام (قوله بدل من الذين لا يؤمنون الخ) ههنا سؤالان أحدهما أن المراد بقوله تعالى انما يفترى الكذب رد قريش وهم كفار فى الاصل لا انهم كفروا بعد الايمان والثانى أنه اذا كان بدلا كان المعنى انما يفترى الكذب من كفر بالله من بعد ايمانه لكن ليس الامر كذلك اذ الحصر ممنوع والجواب عنهما أن يقال المراد من كفر بالله من بعد تمكنه من الايمان وقريش كذلك والحصر أيضا صحيح كما يظهر بالتأمل (قوله أو ملتبسين) حاصله أن من يعمل السوء لغلبة الشهوة لا للجهل بالله و بعقابه يصدق عليه انه يعمل السوء ملتبسا بجهالته بالله و بعقابه ولا يصدق عليه أنه يعمل السوء بسبب جهالته بالله فالجهالة شاملة للجهل بالله و بعقابه على التقدير الثانى غير شاملة لهما على التقدير الاول فقوله لغلبة الشهوة متعلق بعملوا السوء

ولا يعصمهم من الزيغ (أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم) فأبت عن ادراك الحق والتأمل فيه (وأولئك هم الغافلون) الكاملون فى الغفلة اذ أغفلتهم الحالة الراهنة عن تدبر العواقب (لاجرم أنهم فى الآخرة هم الخاسرون) اذ ضيعوا أعمارهم وصرفوها فيما أفضى بهم الى العذاب المخلد (ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد مافتنوا) أى عذبوا كعمار رضى الله تعالى عنه بالولاية والنصر وثم لتباعد حال هؤلاء عن حال أولئك وقرأ ابن عامر فتنوا بالفتح أى من بعد ماعذبوا المؤمنين كالحضرمى أكره مولاه جبرا حتى ارتد ثم أسلما وهاجرا (ثم جاهدوا وصبروا) على الجهاد وما أصابهم من المشاق (ان ربك من بعدها) من بعد الهجرة والجهاد والصبر (لغفور) لما فعلوا وقبل (رحيم) منعم عليهم مجازاة على ماصنعوا بعد (يوم تأتى كل نفس) منصوب برحيم أو باذكر (تجادل عن نفسها) تجادل عن ذاتها وتسعى فى خلاصها لايهمها شأن غيرها فتقول نفسى نفسى (وتوفى كل نفس ماعملت) جزاء ماعملت (وهم لايظلمون) لاينقصون أجورهم (وضرب الله مثلا قرية) أى جعلها مثلا لكل قوم أنعم الله عليهم فأبطرتهم النعمة فكفروا فأنزل الله بهم نقمته أولمكة (كانت آمنة مطمئنة) لايزعج أهلها خوف (يأتيها رزقها) أقواتها (رغدا) واسعا (من كل مكان) من نواحيها (فكفرت بأنعم الله) بنعمه جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وأدرع أوجمع نعم كبؤس وأبؤس (فأذاقها الله لباس الجوع والخوف) استعار الذوق لادراك أثر الضرر واللباس لما غشيهم واشتمل عليهم من الجوع والخوف وأوقع الاذاقة عليه بالنظر الى المستعار له كقول كثير

غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا * غلقت لضحكته رقاب المال

فانه استعار الرداء للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه وأضاف اليه الغمر الذى هو وصف المعروف والنوال لاوصف الرداء نظرا الى المستعار له وقد ينظر الى المستعار كقوله

ينازعنى ردائى عبد عمرو * رويدك ياأخا عمرو بن بكر

لى الشطر الذى ملكت يمينى * ودونك فاعتجر منه بشطر

استعار الرداء لسيفه ثم قال فاعتجر نظرا الى المستعار (بما كانوا يصنعون) بصنيعهم (ولقد جاءهم رسول منهم) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم والضمير لاهل مكة عاد الى ذكرهم بعدما ذكر مثلهم (فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون) أى حال التباسهم بالظلم والعذاب ماأصابهم من الجدب الشديد أووقعة بدر (فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا) أمرهم بأكل ماأحل الله لهم وشكر ماأنعم عليهم بعد مازجرهم عن الكفر وهددهم عليه بماذكر من التمثيل والعذاب الذى حل بهم صدالهم عن صنيع الجاهلية ومذاهبها الفاسدة (واشكروا نعمت الله ان كنتم اياه تعبدون) تطيعون أوان صح زعمكم انكم تقصدون بعبادة الآلهة عبادته (انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولاعاد فان الله غفور رحيم) لما أمرهم بتناول ماأحل لهم عدد عليهم محرماته ليعلم أن ماعداها حل لهم ثم أكد ذلك بالنهى عن التحريم والتحليل باهوائهم فقال (ولاتقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام) كماقالوا مافى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا الآية ومقتضى سياق الكلام وتصدير الجملة بانما حصر المحرمات فى الاجناس الاربعة الا ماضم اليه دليل كالسباع والحمر الاهلية وانتصاب الكذب بلاتقولوا وهذا حلال وهذا حرام بدل منه أومتعلق بتصف على ارادة القول أى ولاتقولوا الكذب لما تصفه ألسنتكم فتقولوا هذا حلال وهذا حرام أومفعول لاتقولوا والكذب منتصب بتصف ومامصدرية أى ولاتقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف

ألسنتكم الكذب أي لاتحرموا ولاتحللوا بمجرد قول تنطق به ألسنتكم من غير دليل ووصف ألسنتهم الكذب مبالغة في وصف كلامهم بالكذب كأن حقيقة الكذب كانت مجهولة وألسنتهم تصفها وتعرفها بكلامهم هذا ولذلك عد من فصيح الكلام كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر وقرئ الكذب بالجر بدلا من ما والكذب جمع كذوب أو كذاب بالرفع صفة للالسنة وبالنصب على الذم أو بمعنى الكلم الكواذب (لتفتروا على الله الكذب) تعليل لايتضمن الغرض (ان الذين يفترون على الله الكذب لايفلحون) لما كان المفتري يفتري لتحصيل مطلوب نفي عنهم الفلاح وبينه بقوله (متاع قليل) أي مايفترون لاجله أوماهم فيه منفعة قليلة تنقطع عن قريب (ولهم عذاب أليم) في الآخرة (وعلى الذين هادوا حرمنا ماقصصنا عليك) أي في سورة الانعام في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر (من قبل) متعلق بقصصنا أو بحرمنا (وماظلمناهم) بالتحريم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) حيث فعلوا ماعوقبوا به عليه وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم في التحريم وانه كما يكون للمضرة يكون للعقوبة (ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة) بسببها أو ملتبسين بها ليعم الجهل بالله وبعقابه وعدم التدبر في العواقب لغلبة الشهوة والسوء يعم الافتراء على الله وغيره (ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها) من بعد التوبة (لغفور) لذلك السوء (رحيم) يثيب على الانابة (ان ابراهيم كان أمة) لكماله واستجماعه فضائل لاتكاد توجد الامفرقة في أشخاص كثيرة كقوله

ليس من الله بمستنكر * أن يجمع العالم في واحد

وهو رئيس الموحدين وقدوة المحققين الذي جادل فرق المشركين وأبطل مذاهبهم الزائغة بالحجج الدامغة ولذلك عقب ذكره بتزييف مذاهب المشركين من الشرك والطعن في النبوة وتحريم ماأحله أو لانه كان وحده مؤمنا وكان سائر الناس كفارا وقيل هي فعلة بمعنى مفعول كالرحلة والنخبة من أمه اذا قصده أو اقتدى به فان الناس كانوا يؤمونه للاستفادة ويقتدون بسيرته كقوله اني جاعلك للناس اماما (قانتا لله) مطيعا له قائما بأوامره (حنيفا) مائلا عن الباطل (ولم يك من المشركين) كما زعموا فان قريشا كانوا يزعمون انهم على ملة ابراهيم (شاكرا لانعمه) ذكر بلفظ القلة للتنبيه على أنه كان لايخل بشكر النعم القليلة فكيف بالكثيرة (اجتباه) للنبوة (وهداه الى صراط مستقيم) في الدعوة الى الله (وآتيناه في الدنيا حسنة) بان حببه الى الناس حتى ان أرباب الملل يتولونه ويثنون عليه ورزقه أولادا طيبة وعمرا طويلا في السعة والطاعة (وانه في الآخرة لمن الصالحين) لمن أهل الجنة كما سأله بقوله وألحقني بالصالحين (ثم أوحينا اليك) يامحمد وثم امالتعظيمه والتنبيه على أن أجل ماأوتي ابراهيم اتباع الرسول عليه السلام ملته أو لتراخي أيامه (أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا) في التوحيد والدعوة اليه بالرفق وايراد الدلائل مرة بعد أخرى والمجادلة مع كل أحد على حسب فهمه (وما كان من المشركين) بل كان قدوة الموحدين (انما جعل السبت) تعظيم السبت أو التخلي فيه للعبادة (على الذين اختلفوا فيه) أي على نبيهم وهم اليهود أمرهم موسى عليه السلام أن يتفرغوا للعبادة يوم الجمعة فأبوا وقالوا نريد يوم السبت لانه تعالى فرغ فيه من خلق السموات والارض فالزمهم الله السبت وشدد الامر عليهم وقيل معناه انما جعل وبال السبت وهو المسخ على الذين اختلفوا فيه فاحلوا الصيد فيه تارة وحرموه أخرى واحتالوا له الحيل وذكرهم هنا لتهديد المشركين كذكر القرية التي كفرت بانعم الله (وان ربك ليحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون) بالمجازاة على الاختلاف أو بمجازاة كل فريق بما يستحقه (ادع) من بعثت اليهم (الى سبيل ربك)

(قوله وانه كما يكون للمضرة الخ) يعني ان حرمة الشئ قد تكون للمضرة كالميتة والدم ولحم الخنزير وقد يكون تحريم الشئ لعقوبة جمع كتحريم الاشياء المذكورة في سورة الانعام على يهود (قوله وهو رئيس الموحدين وقدوة المحققين) لعل مراده أنه رئيس الموحدين يكونون في عصره والافقد تقدم عليه الانبياء والمرسلون والنبي صلى الله عليه وسلم أفضل منه فكيف يكون رئيس الكل (قوله الذي جادل فرق المشركين وأبطل مذاهبهم الزائغة) كما ألزم الذي حاجه في ربه وكما ألزم عبدة الكواكب كما ذكر في سورة الانعام وكما ألزم أباه وقومه من عبدة الاصنام

الى الاسلام (بالحكمة) بالمقالة المحكمة وهو الدليل الموضح للحق المزيح للشبهة (والموعظة الحسنة) الخطابات المقنعة والعبر النافعة فالاولى لدعوة خواص الامة الطالبين للحقائق والثانية لدعوة عوامهم (وجادلهم) وجادل معانديهم (بالتى هى أحسن) بالطريقة التى هى أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين وايثار الوجه الايسر والمقدمات التى هى أشهر فان ذلك أنفع فى تسكين لهبهم وتبيين شغبهم (ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) أى انما عليك البلاغ و لدعوة وأما حصول الهداية والضلال والمجازاة عليهما فلا اليك بل الله أعلم بالضالين والمهتدين وهو المجازى لهم (وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) لما أمره بالدعوة و بين له طرقها أشار اليه والى من يتابعه بترك المخالفة ومراعاة العدل مع من يناصبهم فان الدعوة لا تنفك عنه من حيث انها تتضمن رفض العادات وترك الشهوات والقدح فى دين الاسلاف والحكم عليهم بالكفر والضلال وقيل انه عليه السلام لما رأى حمزة وقد مثل به فقال والله لئن أظفرنى الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وفيه دليل على أن للمقتص أن يماثل الجانى وليس له أن يجاوزه وحث على العفو تعريضا بقوله وان عاقبتم وتصريحا على الوجه الآكد بقوله (ولئن صبرتم لهو) أى الصبر (خير للصابرين) من الانتقام للمنتقمين ثم صرح بالامر به لرسوله لانه أولى الناس به لزيادة علمه بالله ووثوقه عليه فقال (واصبر وما صبرك الا بالله) الا بتوفيقه وتثبيته (ولا تحزن عليهم) على الكافرين أو على المؤمنين وما فعل بهم (ولا تك فى ضيق مما يمكرون) فى ضيق صدر من مكرهم وقرأ ابن كثير فى ضيق بالكسر هنا وفى النمل وهما لغتان كالقول والقيل ويجوز أن يكون الضيق تخفيف ضيق (ان الله مع الذين اتقوا) المعاصى (والذين هم محسنون) فى أعمالهم بالولاية والفضل أو مع الذين اتقوا الله بتعظيم أمره والذين هم محسنون بالشفقة على خلقه * عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله بما أنعم عليه فى دار الدنيا وان مات فى يوم تلاها أو ليلة كان له من الاجر كالذى مات وأحسن الوصية

﴿سورة بنى اسرائيل مكية وقيل الا قوله تعالى وان كادوا ليفتنونك الى آخر ثمان آيات وهى مائة واحدى عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(سبحان الذى أسرى بعبده ليلا) سبحان اسم بمعنى التسبيح الذى هو التنزيه وقد يستعمل علما له فيقطع عن الاضافة و يمنع عن الصرف قال

قد قلت لما جاءنى فخره * سبحان من علقمة الفاخر

وانتصابه بفعل متروك اظهاره وتصديرا لكلام به للتنزيه عن العجز عما ذكر بعد وأسرى وسرى بمعنى وليلا نصب على الظرف وفائدته الدلالة بتنكيره على تقليل مدة الاسراء ولذلك قرئ من الليل أى بعضه كقوله ومن الليل فتهجد به (من المسجد الحرام) بعينه لما روى أنه عليه الصلاة والسلام قال بينا أنا فى المسجد الحرام فى الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ أتانى جبريل بالبراق أو من الحرم وسماه المسجد الحرام لانه كله مسجد أو لانه محيط به أو ليطابق المبدأ المنتهى لما روى أنه صلى الله عليه وسلم كان نائما فى بيت أم هانئ بعد صلاة العشاء فأسرى به و رجع من ليلته وقص القصة عليها وقال مثل لى

هذا ما قاله النحاة قال الرضى ولا دليل عليه لان أكثر ما يستعمل مضافا فلا يكون علما قالوا والدليل على علميته سبحان من علقمة الفاخر ولا منع من أن يقال حذف المضاف اليه وهو مراد للعلم به وأبقى المضاف على حاله مراعاة لاغلب أحواله أعنى التجرد عن التنوين (قوله وتصدير الكلام به للتنزيه عن العجز عما ذكر بعده) فههنا لتنزيه الله تعالى عن العجز عن اسرائه عبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى (قوله واسرى وسرى بمعنى) أسرى لازم كسرى فيحتاج فى التعدية الى الباء (قوله وفائدته الدلالة بتنكيره على تقليل مدة الاسراء) أى تم أمر الاسراء المذكور فى ليلة واحدة من الليالى ولم يقل تنكيره دال على أن تمام الاسراء فى بعض من ليلة واحدة كما قاله صاحب الكشاف اذ هذه الدلالة ممنوعة (قوله ليطابق المبدأ المنتهى) لان عوده صلى الله عليه وسلم من الاسراء الى بيت أم هانئ وهو خارج من المسجد الحرام فلو كان بداية اسرائه أيضا خارجا من المسجد الحرام كانت البداية تطابق النهاية فان قيل الرواية وهى أنه صلى الله عليه وسلم كان فى بيت أم هانئ فأسرى به الخ تدل على انه من خارج الحرام فما وجه قول من قال ان بدايته من المسجد حقيقة قلنا يمكن أنه صلى الله عليه وسلم خرج من بيت أم هانئ الى المسجد ثم خرج منه

الانبياء عليهم الصلاة والسلام فصليت بهم ثم خرج الى المسجد الحرام وأخبر به قريشا فتعجبوا منه استحالة وارتد ناس ممن آمن به وسعى رجال الى أبي بكر رضي الله تعالى عنه فقال ان كان قال لقد صدق فقالوا أتصدقه على ذلك قال انى لاصدقه على أبعد من ذلك فسمى الصديق واستنعته طائفة سافروا الى بيت المقدس فجلى له فطفق ينظر اليه و ينعته لهم فقالوا أما النعت فقد أصاب فقالوا أخبرنا عن عيرنا فأخبرهم بعدد جمالها وأحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل أورق فخرجوا يشتدون الى الثنية فصادفوا العير كما أخبر ثم لم يؤمنوا وقالوا ماهذا الاسحر مبين وكان ذلك قبل الهجرة بسنة واختلف فى انه كان فى المنام أو فى اليقظة بروحه أو بجسده والا كثر على أنه اسرى بجسده الى بيت المقدس ثم عرج به الى السموات حتى انتهى الى سدرة المنتهى ولذلك تعجب قريش واستحالوه والاستحالة مدفوعة بما ثبت فى الهندسة أن مابين طرفى قرص الشمس ضعف مابين طرفى كرة الارض مائة ونيفا وستين مرة ثم ان طرفها الاسفل يصل موضع طرفها الاعلى فى أقل من ثانية وقد برهن فى الكلام أن الاجسام متساوية فى قبول الاعراض وان الله قادر على كل الممكنات فيقدر أن يخلق مثل هذه الحركة السريعة فى بدن النبي صلى الله عليه وسلم أو فيما يحمله والتعجب من لوازم المعجزات (الى المسجد الاقصى) بيت المقدس لانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد (الذى باركنا حوله) ببركات الدين والدنيا لانه مهبط الوحى ومتعبد الانبياء عليهم الصلاة والسلام من لدن موسى عليه الصلاة والسلام ومحفوف بالانهار والاشجار (لنريه من آياتنا) كذهابه فى برهة من الليل مسيرة شهر ومشاهدته بيت المقدس وتمثل الانبياء عليهم الصلاة والسلام له ووقوفه على مقاماتهم وصرف الكلام من الغيبة الى التكلم لتعظيم تلك البركات والآيات وقرئ ليريه بالياء (انه هو السميع) لاقوال محمد صلى الله عليه وسلم (البصير) بأفعاله فيكرمه ويقربه على حسب ذلك (وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى اسرائيل ألا تتخذوا) على أن لاتتخذوا كقولك كتبت اليك أن افعل كذا وقرأ أبو عمرو بالياء على لان لايتخذوا (من دونى وكيلا) ربا تكلون اليه أموركم غيرى (ذرية من حملنا مع نوح) نصب على الاختصاص أو النداء ان قرئ أن لاتتخذوا بالتاء على النهى يعنى قلنا لهم لاتتخذوا من دونى وكيلا أو على أنه أحد مفعولى لاتتخذوا ومن دونى حال من وكيلا فيكون كقوله ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا وقرئ بالرفع على أنه خبر مبتدا محذوف أو بدل من واو تتخذوا وذرية بكسر الذال وفيه تذكير بانعام الله تعالى عليهم فى انجاء آبائهم من الغرق بحملهم مع نوح عليه السلام فى السفينة (انه) ان نوحا عليه السلام (كان عبدا شكورا) يحمد الله تعالى على مجامع حالاته وفيه ايماء بان انجاءه ومن معه كان ببركة شكره وحث للذرية على الاقتداء به وقيل الضمير لموسى عليه الصلاة والسلام (وقضينا الى بنى اسرائيل) وأوحينا اليهم وحيا مقضيا مبتوتا (فى الكتاب) فى التوراة (لتفسدن فى الارض) جواب قسم محذوف أو قضينا على اجراء القضاء المبتوت مجرى القسم (مرتين) افسادتين أولاهما مخالفة أحكام التوراة وقتل شعياء وقيل أرمياء وثانيهما قتل زكريا ويحيى وقصد قتل عيسى عليهم السلام (ولتعلن علوا كبيرا) ولتستكبرن عن طاعة الله تعالى أو لتظلمن الناس (فاذا جاء وعد أولاهما) وعد عقاب أولاهما (بعثنا عليكم عبادا لنا) بختنصر عامل لهراسف على بابل وجنوده وقيل جالوت الجزرى وقيل سنحاريب من أهل نينوى (أولى بأس شديد) ذوى قوة و بطش فى الحرب شديد (فجاسوا) فترددوا لطلبكم وقرئ بالحاء المهملة وهما أخوان (خلال الديار) وسطها للقتل والغارة فقتلوا كبارهم وسبوا صغارهم وحرقوا التوراة وخربوا المسجد والمعتزلة لما منعوا تسليط الله الكافر على ذلك أولوا البعث

(قوله ولذلك تعجب قريش واستحالوه) لك أن تقول لعل انكارهم لعدم وصول فهمهم الى عروج الروح على الوجه المذكور فلذا استحالوه فلا يدل انكارهم على أن الاسراء بالجسد (قوله ثم ان طرفها الاسفل الخ) الاولى أن يقال ان طرفها المؤخر يصل موضع طرفها المقدم فى أقل من ثانية واعلم أن الثانية جزء من ستين جزأ من الدقيقة التى هى جزء من ستين جزأ من ساعة هى جزء من أربع وعشرين جزأ من اليوم والليلة (قوله لانه لم يكن حينئذ من ورائه مسجد الخ) أى انما سمى بيت المقدس بالمسجد الاقصى أى الابعد اذ ليس بعده مسجد آخر (قوله وصرف الكلام من الغيبة الخ) لانه وان كان بطريق الغيبة يفهم منه كثرة البركات وتعظيمها لكن التكلم صريح فى أنه فعل الله تعالى لاحاجة الى القرينة ففيه زيادة تعظيم فان الاكابر اذا أرادوا تعظيم فعل نسبوه الى أنفسهم (قوله نصب على الاختصاص أو على النداء) فالمعنى على الاول أعنى ذرية من حملنا الخ والثانى ياذرية من حملنا (قوله أو قضينا) أى أو يكون جواب قضينا

بالتخلية وعدم المنع (وكان وعدا مفعولا) وكان وعدعقابهم لابد أن يفعل (ثم رددنا لكم الكرة) أى الدولة والغلبة (عليهم) على الذين بعثوا عليكم وذلك بأن ألقى الله فى قلب بهمن بن اسفنديار لما ورث الملك من جده كشتاسف بن لهراسف شفقة عليهم فرد أسراهم الى الشام وملك دانيال عليهم فاستولوا على من كان فيها من أتباع بختنصر أو بان سلط الله داود عليه الصلاة والسلام على جالوت فقتله (وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا) مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر وهم المجتمعون للذهاب الى العدو (ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم) لان ثوابها لها (وان أسأتم فلها) فان وبالها عليها وانما ذكرها باللام ازدواجا (فاذا جاء وعد الآخرة) وعد عقوبة المرة الآخرة (ليسوؤا وجوهكم) أى بعثناهم ليسوؤا وجوهكم أى يجعلوها بادية آثار المساءة فيها فحذف لدلالة ذكره أولا عليه وقرأ ابن عامر وحمزة وأبو بكر ليسوء على التوحيد والضمير فيه للوعد أو للبعث أو لله ويعضده قراءة الكسائى بالنون وقرئ لنسوأن بالنون والياء والنون المخففة والمثقلة ولنسوأن بفتح اللام على الاوجه الاربعة على أنه جواب اذا واللام فى قوله (وليدخلوا المسجد) متعلق بمحذوف هو بعثناهم (كما دخلوه أول مرة وليتبروا) ليهلكوا (ما علوا) ما غلبوه واستولوا عليه أو مدة علوهم (تتبيرا) وذلك بان سلط الله عليهم الفرس مرة أخرى فغزاهم ملك بابل من ملوك الطوائف اسمه جودرز وقيل حردوس قيل دخل صاحب الجيش مذبح قرابينهم فوجد فيه دما يغلى فسألهم عنه فقالوا دم قربان لم يقبل منا فقال ما صدقونى فقتل عليه ألوفا منهم فلم يهدأ الدم ثم قال ان لم تصدقونى ما تركت منكم أحدا فقالوا انه دم يحيى فقال لمثل هذا ينتقم ربكم منكم ثم قال يا يحيى قد علم ربى وربك ما أصاب قومك من أجلك فاهدأ باذن الله تعالى قبل أن لا أبقى أحدا منهم فهدأ (عسى ربكم أن يرحمكم) بعد المرة الآخرة (وان عدتم) نوبة أخرى (عدنا) مرة ثالثة الى عقوبتكم وقد عادوا بتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وقصد قتله فعاد الله تعالى بتسليطه عليهم فقتل قريظة وأجلى بنى النضير وضرب الجزية على الباقين هذا لهم فى الدنيا (وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) محبسا لا يقدرون على الخروج منها أبد الآباد وقيل بساطا كما يبسط الحصير (ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم) للحالة أو الطريقة التى هى أقوم الحالات أو الطرق (ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا) وقرأ حمزة والكسائى ويبشر بالتخفيف (وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما) عطف على أن لهم أجرا كبيرا والمعنى أنه يبشر المؤمنين ببشارتين ثوابهم وعقاب أعدائهم أو على يبشر باضمار يخبر (ويدع الانسان بالشر) ويدعو الله تعالى عند غضبه بالشر على نفسه وأهله وماله أو يدعوه بما يحسبه خيرا وهو شر (دعاءه بالخير) مثل دعائه بالخير (وكان الانسان عجولا) يسارع الى كل ما يخطر بباله لا ينظر عاقبته وقيل المراد آدم عليه الصلاة والسلام فانه لما انتهى الروح الى سرته ذهب لينهض فسقط روى أنه عليه السلام دفع أسيرا الى سودة بنت زمعة فرحمته لأنينه فارخت كتافه فهرب فدعا عليها بقطع اليد ثم ندم فقال عليه السلام اللهم انما أنا بشر فمن دعوت عليه فاجعل دعائى رحمة له فنزلت ويجوز أن يريد بالانسان الكافر وبالدعاء استعجاله بالعذاب استهزاء كقول النضر بن الحرث اللهم انصر خير الحزبين اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية فاجيب له فضرب عنقه صبرا يوم بدر (وجعلنا الليل والنهار آيتين) تدلان على القادر الحكيم بتعاقبهما على نسق واحد بامكان غيره (فمحونا آية الليل) أى الآية التى هى الليل بالاشراق والاضافة فيهما للتبيين كاضافة العدد الى المعدود (وجعلنا آية النهار مبصرة) مضيئة أو مبصرة للناس من أبصره فبصر أو مبصرا أهله كقولهم أجبن

(قوله والاضافة فيهما للتبيين الخ) المراد من التبيين أن الاضافة اضافة بيانية كخاتم فضة لصحة حمل المضاف اليه على المضاف (قوله وانما ذكر باللام للازدواج) أى للمشاكلة مع القرينة السابقة (قوله والضمير فيه للوعيد) أو للبعث أو لله (قوله على الاوجه الاربعة) هى المفهوم من قوله وقرئ ليسوؤا بالنون والياء

(قوله ويعضده قراءة يعقوب) أي ويقوي الحالية قراءة يعقوب لأنه على هذه القراءة لا يحتمل إلا الحالية فيكون حالا من فاعل يخرج
(قوله وتذكيره) أي يجب بحسب الظاهر أن يقال حسيبة لأنه صفة النفس لكنه ذكر إما باعتبار أن الحاسب

الرجل إذا كان أهلا جبناء وقيل الآيتان القمر والشمس وتقدير الكلام وجعلنا نيري الليل والنهار
آيتين أو جعلنا الليل والنهار ذوي آيتين ومحوا آية الليل التي هي القمر جعلها مظلمة في نفسها مطموسة
النور أو نقص نورها شيأ فشيأ إلى المحاق وجعل آية النهار التي هي الشمس مبصرة جعلها ذات شعاع
تبصر الأشياء بضوئها (لتبتغوا فضلا من ربكم) لتطلبوا في بياض النهار أسباب معاشكم وتتوصلوا
به إلى استبانة أعمالكم (ولتعلموا) باختلافهما أو بحركاتهما (عدد السنين والحساب)
وجنس الحساب (وكل شيء) تفتقرون إليه في أمر الدين والدنيا (فصلناه تفصيلا) بيناه بيانا غير
ملتبس (وكل إنسان ألزمناه طائره) عمله وما قدر له كأنه طير إليه من عش الغيب ووكر القدر لما
كانوا يتيمنون ويتشاءمون بسنوح الطائر وبروحه استعير لما هو سبب الخير والشر من قدر الله تعالى
وعمل العبد (في عنقه) لزوم الطوق في عنقه (ونخرج له يوم القيامة كتابا) هي صحيفة عمله
أو نفسه المنتقشة بآثار أعماله فإن الأعمال الاختيارية تحدث في النفس أحوالا ولذلك يفيد
تكريرها لها ملكات ونصبه بأنه مفعول أو حال من مفعول محذوف وهو ضمير الطائر ويعضده
قراءة يعقوب ويخرج من خرج ويخرج وقرئ ويخرج أي الله عز وجل (يلقاه منشورا)
لكشف الغطاء وهما صفتان للكتاب أو يلقاه صفة ومنشورا حال من مفعوله وقرأ ابن عامر يلقاه على
البناء للمفعول من لقيته كذا (اقرأ كتابك) على إرادة القول (كفى بنفسك اليوم عليك
حسيبا) أي كفى نفسك والباء مزيدة وحسيبا تمييز وعلى صلته لأنه إما بمعنى الحاسب كالصريم بمعنى
الصارم وضريب القداح بمعنى ضاربها من حسب عليه كذا أو بمعنى الكافي فوضع موضع الشهيد
لأنه يكفي المدعي ما أهمه وتذكيره على أن الحساب والشهادة مما يتولاه الرجال أو على تأويل النفس
بالشخص (من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها) لا ينجي اهتداؤه غيره
ولا يردي ضلاله سواه (ولا تزر وازرة وزر أخرى) ولا تحمل نفس حاملة وزرا وزر نفس أخرى بل
إنما تحمل وزرها (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) يبين الحجج ويمهد الشرائع فيلزمهم الحجة
وفيه دليل على أن لا وجوب قبل الشرع (وإذا أردنا أن نهلك قرية) وإذا تعلقت إرادتنا بإهلاك
قوم لنفاذ قضائنا السابق أو دنا وقته المقدر كقولهم إذا أراد المريض أن يموت ازداد مرضه شدة
(أمرنا مترفيها) متنعميها بالطاعة على لسان رسول بعثناه إليهم ويدل على ذلك ما قبله وما بعده فإن
الفسق هو الخروج عن الطاعة والتمرد في العصيان فيدل على الطاعة من طريق المقابلة وقيل أمرناهم
بالفسق لقوله (ففسقوا فيها) كقولك أمرته فقرأ فإنه لا يفهم منه إلا الأمر بالقراءة على أن الأمر
مجاز من الحمل عليه أو التسبب له بأن صب عليهم من النعم ما أبطرهم وأفضى بهم إلى الفسوق ويحتمل
أن لا يكون له مفعول منوي كقولهم أمرته فعصاني وقيل معناه كثرنا يقال أمرت الشيء وآمرته فأمر
إذا كثرته وفي الحديث خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة أي كثيرة النتاج وهو أيضا مجاز من
معنى الطلب ويؤيده قراءة يعقوب آمرنا ورواية أمرنا عن أبي عمرو ويحتمل أن يكون منقولا من
أمر بالضم إمارة أي جعلناهم أمراء وتخصيص المترفين لأن غيرهم يتبعهم ولأنهم أسرع إلى الحماقة
وأقدر على الفجور (فحق عليها القول) يعني كلمة العذاب السابقة بحلوله أو بظهور معاصيهم
أو بانهماكهم في المعاصي (فدمرناها تدميرا) أهلكناها بإهلاك أهلها وتخريب ديارهم (وكم

والشاهد في الأغلب صفة
للمذكور فغلب التذكير
على التأنيث أو باعتبار أن
النفس بمعنى الشخص
(قوله تعالى من اهتدى
الخ) فإن قيل قد يكون
اهتداء الشخص سببا
لاهتداء غيره وضلاله سببا
لضلال غيره بأن أضله عن
الطريق قلنا المقصود أن
مجرد اهتداء الشخص
لا ينفع غيره ومجرد ضلاله
لا يضر غيره وأما الهداية
والإضلال فليستا نفس
الاهتداء والضلالة (قوله
وإذا تعلقت إرادتنا الخ)
فإن قلت إذا تعلقت إرادة
الله تعالى بشيء لا بد أن
يوجد أوان التعلق
لكن الكلام صريح في
أنه يتوقف الإهلاك على
الإرادة ولا يقع إلا بعد زمان
طويل قلنا معناه إذا تعلق
إرادتنا بإهلاك قرية بسبب
فسق مترفيها في زمان
أمرنا مترفيها الخ (قوله
كقولهم إذا أراد المريض
أن يموت الخ) أي ويكون
وإذا أردنا أن نهلك قرية
بمعنى دنا وقت هلاكها كما
يقال إذا أراد المريض أن
يموت دنا وقت موته لعلاقة
بين إرادة الشيء ودنو وقته
في إرادته تعالى للشيء ودنو وقته قريبان (قوله سكة مأبورة ومهرة مأمورة) قال في الصحاح السكة الطريقة
المصطفة من النخل والمأبورة الملقحة والمهرة الأنثى من ولد الفرس قال ومعنى هذا الكلام خير المال نتاج أو زرع

أهلكنا

أهلكنا) وكثيرا أهلكنا (من القرون) بيان لكم وتمييز له (من بعد نوح) كعاد وثمود (وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا) يدرك بواطنها وظواهرها فيعاقب عليها وتقديم الخبير لتقدم متعلقه (من كان يريد العاجلة) مقصورا عليها همه (عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد) قيد المعجل والمعجل له بالمشيئة والارادة لانه لا يجد كل متمن ما يتمناه ولا كل واحد جميع ما يهواه وليعلم ان الامر بالمشيئة والهم فضل ولمن نريد بدل من له بدل البعض وقرئ ما يشاء والضمير فيه لله تعالى حتى يطابق المشهورة وقيل لمن فيكون مخصوصا بمن أراد الله تعالى به ذلك وقيل الآية في المنافقين كانوا يراؤن المسلمين ويغزون معهم ولم يكن غرضهم الا مساهمتهم في الغنائم ونحوها (ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا) مطرودا من رحمة الله تعالى (ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها) حقها من السعي وهو الاتيان بما أمر به والانتهاء عما نهي عنه لا التقرب بما يخترعون بآرائهم وفائدة اللام اعتبار النية والاخلاص (وهو مؤمن) ايمانا صحيحا لا شرك معه ولا تكذيب فانه العمدة (فأولئك) الجامعون للشروط الثلاثة (كان سعيهم مشكورا) من الله تعالى أي مقبولا عنده مثابا عليه فان شكر الله الثواب على الطاعة (كلا) كل واحد من الفريقين والتنوين بدل من المضاف اليه (نمد) بالعطاء مرة بعد أخرى ونجعل آنفه مددا لسالفه (هؤلاء وهؤلاء) بدل من كلا (من عطاء ربك) من معطاه متعلق بنمد (وما كان عطاء ربك محظورا) ممنوعا لا يمنعه في الدنيا من مؤمن ولا كافر تفضلا (انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض) في الرزق وانتصاب كيف بفضلنا على الحال (وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا) أي التفاوت في الآخرة أكبر لان التفاوت فيها بالجنة ودرجاتها والنار ودركاتها (لا تجعل مع الله الها آخر) الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمراد به أمته أو لكل أحد (فتقعد) فتصير من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كأنها حربة أو فتعجز من قولهم قعد عن الشئ اذا عجز عنه (مذموما مخذولا) جامعا على نفسك الذم من الملائكة والمؤمنين والخذلان من الله تعالى ومفهومه ان الموحد يكون ممدوحا منصورا (وقضى ربك) وأمر أمرا مقطوعا به (أن لا تعبدوا) بان لا تعبدوا (الا اياه) لان غاية التعظيم لا تحق الا لمن له غاية العظمة ونهاية الانعام وهو كالتفصيل لسعي الآخرة ويجوز أن تكون ان مفسرة ولا ناهية (وبالوالدين احسانا) وبان تحسنوا أو وأحسنوا بالوالدين احسانا لانهما السبب الظاهر للوجود والتعيش ولا يجوز أن تتعلق الباء بالاحسان لان صلته لا تتقدم عليه (اما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما) اما هي ان الشرطية زيدت عليها ما تأكيدا ولذلك صح لحوق النون المؤكدة للفعل وأحدهما فاعل يبلغن وبدل على قراءة حمزة والكسائي من ألف يبلغان الراجع الى الوالدين وكلاهما عطف على أحدهما فاعلا أو بدلا ولذلك لم يجز أن يكون تأكيدا للالف ومعنى عندك أن يكونا في كنفك وكفالتك (فلا تقل لهما أف) فلا تضجر مما يستقذر منهما وتستثقل من مؤنتهما وهو صوت يدل على تضجر وقيل هو اسم الفعل الذي هو أتضجر وهو مبني على الكسر لالتقاء الساكنين وتنوينه في قراءة نافع

يطابق القراءة المشهورة وهو قراءة من نشاء بالنون والمراد من مطابقة القراءتين كون الفاعل للفعلين هو الله تعالى (قوله وقيل لمن) أي ضمير نشاء لمن فيكون مخصوصا بمن أراد الله اذ ليس كل من أراد شيأ عجل له ما يشاء بل مقيد بارادة الله تعالى (قوله لا التقرب بما يخترعون بآرائهم) أي التقرب الحقيقي الى الله تعالى هو التقرب بالاتيان بما أمر الله به والانتهاء عما نهى عنه لا التقرب بما تخترعه آراؤهم الفاسدة (قوله واحد من الفريقين) الفريق الاول مريد العاجلة والفريق الثاني من أراد الآخرة وسعى لها سعيها (قوله وانتصاب كيف بفضلنا على الحال) أي انظر فضلنا بعضهم على بعض كائنا على اي حال وكيفية (قوله ويجوز ان تكون ان مفسرة ولا ناهية) فيكون المعنى قضى ربك شيأ هو عبادة الرب دون غيره (قوله لان صلته لا تتقدم عليه) أي صلة المصدر لا تتقدم على المصدر وقد مر مرارا ان معمول المصدر اذا كان ظرفا وجارا ومجرورا جاز أن يتقدم عليه (قوله ولذلك صح لحوقها النون المؤكدة الخ) للقاعدة المقررة في النحو ان فعل الشرط يؤكد بالنون المؤكدة اذا لحق ما حرف الشرط (قوله ولذلك لم يجز أن يكون تاكيدا للالف) أي لاجل انه معطوف على أحدهما لا يجوز ان يكون تأكيدا الالف يبلغان

(قوله وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالفتح على التخفيف) ليس المراد بالتخفيف تخفيف الفاء اذ ليس هو قراءة ابن عامر بل المراد ان فتح الفاء هو تخفيف الكسرة (قوله وقيل عرفا الخ) أى يدل عرفا على ماذكره فيكون معناه ماذكر وهو المنع من سائر الاذى كما ان قولهم فلان لايملك النقير والقطمير معناه انه لايملك شيأ (قوله جعل للذل جناحا كما جعل الخ) نقل فى

المطول عن اسرار البلاغة ان الاستعارة على قسمين أحدهما أن ينتقل الاسم عن مسماه الى أمر متحقق يمكن ان ينص عليه ويشار اليه نحو رأيت أسدا أى رجلا شجاعا والثانى أن يؤخذ الاسم عن حقيقته ويوضع موضعا لايتبين فيه شئ يشار اليه فيقال هذا هو المراد بالاسم كقول لبيد وغداة ريح قد كشفت وقرة * اذ أصبحت بيد الشمال زمامها جعل للشمال يدا من غير أن يشير الى معنى يجرى عليه اسم اليد ولهذا لايصح ان يقال اذا أصبحت بشئ مثل اليد للشمال كما يقال رأيت رجلا مثل الاسد هذا كلامه ولا يخفى ما فيه من البعد والغرابة والظاهر ان يقال ان اليد فى المثال المذكور استعيرت للقوة الموجودة فى الريح التى هى سبب حركته وهى مدافعته وميله الى جانب الحركة فالوجه ههنا ماذكرنا ان المراد بالجناح الذليل أو المذلول وهو الرحمة فاستعير الجناح

وحفص للتنكير وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بالفتح على التخفيف وقرئ به منونا وبالضم للاتباع كمنذ منونا وغير منون والنهى عن ذلك يدل على المنع من سائر أنواع الايذاء قياسا بطريق الاولى وقيل عرفا كقولك فلان لايملك النقير والقطمير ولذلك منع رسول الله صلى الله عليه وسلم حذيفة من قتل أبيه وهو فى صف المشركين نهى عما يؤذيهما بعد الامر بالاحسان بهما (ولا تنهرهما) ولا تزجرهما عما لايعجبك باغلاظ وقيل النهى والنهر والنهم أخوات (وقل لهما) بدل التأفيف والنهر (قولا كريما) جميلا لاشراسة فيه (واخفض لهما جناح الذل) تذلل لهما وتواضع فيهما جعل للذل جناحا كما جعل لبيد فى قوله

وغداة ريح قد كشفت وقرة * اذ أصبحت بيد الشمال زمامها

للشمال يدا وللقرة زماما وأمره بخفضه مبالغة أو أراد جناحه كقوله تعالى واخفض جناحك للمؤمنين واضافته الى الذل للبيان والمبالغة كما أضيف حاتم الى الجود والمعنى واخفض لهما جناحك الذليل وقرئ الذل بالكسر وهو الانقياد والنعت منه ذلول (من الرحمة) من فرط رحمتك عليهما لافتقارهما الى من كان أفقر خلق الله تعالى اليهما بالامس (وقل رب ارحمهما) وادع الله تعالى أن يرحمهما برحمته الباقية ولا تكتف برحمتك الفانية وان كانا كافرين لان من الرحمة أن يهديهما (كما ربيانى صغيرا) رحمة مثل رحمتهما على وتربيتهما وارشادهما لى فى صغرى وفاء بوعدك للراحمين روى أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان أبوى بلغا من الكبر أنى ألى منهما ما وليا منى فى الصغر فهل قضيتهما حقهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وأنت تفعل ذلك وتريد موتهما (ربكم أعلم بما فى نفوسكم) من قصد البر اليهما واعتقاد ما يجب لهما من التوقير وكأنه تهديد على أن يضمر لهما كراهة واستثقالا (ان تكونوا صالحين) قاصدين للصلاح (فانه كان للأوابين) للتوابين (غفورا) ما فرط منهم عند حرج الصدر من أذية أو تقصير وفيه تشديد عظيم ويجوز أن يكون عاما لكل تائب ويندرج فيه الجانى على أبويه التائب من جنايته لوروده على أثره (وآت ذا القربى حقه) من صلة الرحم وحسن المعاشرة والبر عليهم وقال أبو حنيفة حقهم اذا كانوا محارم فقراء أن ينفق عليهم وقيل المراد بذى القربى أقارب الرسول صلى الله عليه وسلم (والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا) بصرف المال فيما لاينبغى وانفاقه على وجه الاسراف وأصل التبذير التفريق وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لسعد وهو يتوضأ ما هذا السرف قال أوفى الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر جار (ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين) أمثالهم فى الشرارة فان التضييع والاتلاف شر أو أصدقاءهم وأتباعهم لانهم يطيعونهم فى الاسراف والصرف فى المعاصى روى انهم كانوا ينحرون الابل ويتياسرون عليها ويبذرون أموالهم فى السمعة فنهاهم الله عن ذلك وأمرهم بالانفاق فى القربات (وكان الشيطان لربه كفورا) مبالغا فى الكفر به فينبغى أن لايطاع (واما تعرضن عنهم) وان أعرضت عن ذى القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد ويجوز أن يراد بالاعراض

عنهم

للرحمة لأنه كما اشتمل الجناح على الشئ اشتملت الرحمة عليه (قوله كما جعل لبيد فى قوله وغداة ريح قد كشفت وقرة الخ) أى كشفت وصرفت شدة الزمان عن الناس والقرة البرودة والظاهر ان مراده ان بيد الشمال زمام القرة اذ حيث ذهب الريح ذهبت القرة أى البرودة معه (قوله لافتقارهما الى من كان الخ) أى لافتقارهما الى ولدهما الذى كان قبل ذلك أى حين الطفولية أحوج خلق الله اليهما فان احتياج الطفل الى الأبوين أشد من كل من هو غيره اليهما (قوله حياء من الرد) أى حياء من رد

سؤالهم يدل عليه ماروى صاحب الكشاف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا سئل شيأ وليس عنده أعرض عن السائل وسكت

(قوله أو منتظرين له) يعني ان ابتغاء اما مفعول له واما حال من

ضمير ذوى القربى وغيرهم فيكون المعنى واما

عنهم أن لا ينفعهم على سبيل الكناية (ابتغاء رحمة من ربك ترجوها) لانتظار رزق من الله ترجوه أن يأتيك فتعطيه أو منتظرين له وقيل معناه لفقد رزق من ربك ترجوه أن يفتح لك فوضع الابتغاء موضعه لانه مسبب عنه ويجوز أن يتعلق بالجواب الذى هو قوله تعالى (فقل لهم قولا ميسورا) أى فقل لهم قولا لينا ابتغاء رحمة الله برحمتك عليهم باجمال القول لهم والميسور من يسر الامر مثل سعد الرجل ونحس وقيل القول الميسور الدعاء لهم بالميسور وهو اليسر مثل أغنا كم الله تعالى ورزقنا الله واياكم (ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط) تمثيلان لمنع الشحيح واسراف المبذر نهى عنهما آمرا بالاقتصاد بينهما الذى هو الكرم (فتقعد ملوما) فتصير ملوما عند الله وعند الناس بالاسراف وسوء التدبير (محسورا) نادما أو منقطعا بك لا شئ عندك من حسره السفر اذا بلغ منه وعن جابر بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس أتاه صبي فقال ان أمي تستكسيك درعا فقال صلى الله عليه وسلم من ساعة الى ساعة فعد الينا فذهب الى أمه فقالت قل له ان أمي تستكسيك الدرع الذى عليك فدخل صلى الله عليه وسلم داره ونزع قميصه وأعطاه وقعد عريانا وأذن بلال وانتظروه للصلاة فلم يخرج فانزل الله ذلك ثم سلاه بقوله (ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) يوسعه ويضيقه بمشيئته التابعة للحكمة البالغة فليس ما يرهقك من الاضاقة الا لمصلحتك (انه كان بعباده خبيرا بصيرا) يعلم سرهم وعلنهم فيعلم من مصالحهم ما يخفى عليهم ويجوز أن يراد ان البسط والقبض من أمر الله تعالى العالم بالسرائر والظواهر فأما العباد فعليهم أن يقتصدوا أو انه تعالى يبسط تارة ويقبض أخرى فاستنوا بسنته ولا تقبضوا كل القبض ولا تبسطوا كل البسط وأن يكون تمهيدا لقوله تعالى (ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق) مخافة الفاقة وقتلهم أولادهم هو وأدهم بناتهم مخافة الفقر فنهاهم عنه وضمن لهم أرزاقهم فقال (نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا) ذنبا كبيرا لما فيه من قطع التناسل وانقطاع النوع والخطأ الاثم يقال خطئ خطأ كاثم اثما وقرأ ابن عامر خطأ وهو اسم من أخطأ يضاد الصواب وقيل لغة فيه كمثل ومثل وحذر وحذر وقرأ ابن كثير خطاء بالمد والكسر وهو اما لغة فيه أو مصدر خاطأ وهو وان لم يسمع لكنه جاء تخاطأ فى قوله

تخاطأه القناص حتى وجدته * وخرطومه فى منقع الماء راسب

وهو مبنى عليه وقرئ خطاء بالفتح والمد وخطا بحذف الهمزة مفتوحا ومكسورا (ولا تقربوا الزنا) بالعزم والاتيان بالمقدمات فضلا عن أن تباشروه (انه كان فاحشة) فعلة ظاهرة القبح زائدته (وساء سبيلا) وبئس طريقا طريقه وهو الغصب على الابضاع المؤدى الى قطع الانساب وهيج الفتن (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق) الا باحدى ثلاث كفر بعد ايمان وزنا بعد احصان وقتل مؤمن معصوم عمدا (ومن قتل مظلوما) غير مستوجب للقتل (فقد جعلنا لوليه) للذى يلى أمره بعد وفاته وهو الوارث (سلطانا) تسلطا بالمؤاخذة بمقتضى القتل على من عليه أو بالقصاص على القاتل فان قوله تعالى مظلوما يدل على ان القتل عمد عدوان فان الخطأ لا يسمى ظلما (فلا يسرف) أى القاتل (فى القتل) بان يقتل من لا يستحق قتله فان العاقل لا يفعل ما يعود عليه بالهلاك أو الولى بالمثلة أو قتل غير القاتل ويؤيد الاول قراءة أبى فلا تسرفوا وقرأ حمزة والكسائى فلا تسرف على خطاب

تعرض عن ذوى القربى وغيرهم حال كونهم منتظرين (قوله تمثيلان لمنع الشحيح واسراف المبذر) الظاهر من كلامه أن ههنا استعارتين تمثيليتين فالمشبه فى الاول هو بخل الشخص بما فى يده وتصرفه الى الغاية والمشبه به جعل اليد مغلولة الى العنق فاستعمل ما هو موضوع الثانى فى الاول وقس عليه التمثيل الثانى (قوله أو منقطعا بك) على صيغة المفعول (قوله اذا بلغ منه) يقال بلغ منه المرض اذا أثر فيه تأثيرا تاما (قوله صلى الله عليه وسلم من ساعة الى ساعة) معناه أخر سؤاله من ساعة ليس لها فيها درع الى زمان حصل لنا فيه درع (قوله فليس ما يرهقك من الاضاقة) أى ليس ما يغشاك من الاضاقة أى التضييق فى المال والعيش الا لمصلحتك وان كانت خافية عليك (قوله وهو مبنى عليه) أى تخاطؤ من باب التفاعل مبنى على خاطأ الذى هو من باب المفاعلة (قوله ويؤيد الاول قراءة أبى فلا

تسرفوا) فان لا تسرفوا يناسب ان يكون الخطاب للناس حتى يوجب نهيهم عن القتل اما اذا كان الخطاب للولى فينبغى أن يكون الفعل للواحد الغائب لا للجمع وانما قال يؤيد الاول ولم يقل نص فيه لانه يمكن أن يكون جمع الضمير باعتبار تعدد الاولياء (قوله على خطاب أحدهما) أى القاتل أو الولى

أحدهما (انه كان منصورا) علة النهي على الاستئناف والضمير اما للمقتول فانه منصور فى الدنيا بثبوت القصاص بقتله وفى الآخرة بالثواب واما لوليه فان الله تعالى نصره حيث أوجب القصاص له وأمر الولاة بمعونته واما للذى يقتله الولى اسرافا بايجاب القصاص أو التعزير والوزر على المسرف (ولا تقربوا مال اليتيم) فضلا أن تتصرفوا فيه (الا بالتى هى أحسن) الا بالطريقة التى هى أحسن (حتى يبلغ أشده) غاية لجواز التصرف الذى دل عليه الاستثناء (وأوفوا بالعهد) بما عاهدكم الله من تكاليفه أو ما عاهدتموه وغيره (ان العهد كان مسؤلا) مطلوبا يطلب من المعاهد أن لا يضيعه ويفى به أو مسؤلا عنه يسئل الناكث ويعاتب عليه لم نكثت أو يسئل العهد تبكيتا للناكث كما يقال للموؤدة بأى ذنب قتلت فيكون تخييلا ويجوز أن يراد أن صاحب العهد كان مسؤلا (وأوفوا الكيل اذا كلتم) ولا تبخسوا فيه (وزنوا بالقسطاس المستقيم) بالميزان السوى وهو رومى عرب ولا يقدح ذلك فى عربية القرآن لان العجمى اذا استعملته العرب وأجرته مجرى كلامهم فى الاعراب والتعريف والتنكير ونحوها صار عربيا وقرأ حمزة والكسائى وحفص بكسر القاف هنا وفى الشعراء (ذلك خير وأحسن تأويلا) وأحسن عاقبة تفعيل من آل اذا رجع (ولا تقف) ولا تتبع وقرئ ولا تقف من قاف أثره اذا قفاه ومنه القافة (ما ليس لك به علم) ما لم يتعلق به علمك تقليدا أو رجما بالغيب واحتج به من منع اتباع الظن وجوابه أن المراد بالعلم هو الاعتقاد الراجح المستفاد من سند سواء كان قطعا أو ظنا واستعماله بهذا المعنى سائغ شائع وقيل انه مخصوص بالعقائد وقيل بالرمى وشهادة الزور ويؤيده قوله عليه الصلاة والسلام من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله فى ردغة الخبال حتى يأتى بالمخرج وقول الكميت

ولا أرمى البرىء بغير ذنب * ولا أقفو الحواصن ان قفينا

(ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك) أى كل هذه الاعضاء فأجراها مجرى العقلاء لما كانت مسؤلة عن أحوالها شاهدة على صاحبها هذا وان أولاء وان غلب فى العقلاء لكنه من حيث انه اسم جمع لذا وهو يعم القبيلين جاء لغيرهم كقوله * والعيش بعد أولئك الأيام * (كان عنه مسؤلا) فى ثلاثتها ضمير كل أى كان كل واحد منها مسؤلا عن نفسه يعنى عما فعل به صاحبه ويجوز أن يكون الضمير فى عنه لمصدر لا تقف أو لصاحب السمع والبصر وقيل مسؤلا مسند الى عنه كقوله تعالى غير المغضوب عليهم والمعنى يسئل صاحبه عنه وهو خطأ لان الفاعل وما يقوم مقامه لا يتقدم وفيه دليل على أن العبد مؤاخذ بعزمه على المعصية وقرئ والفواد بقلب الهمزة واوا بعد الضمة ثم ابدالها بالفتح (ولا تمش فى الارض مرحا) أى ذا مرح وهو الاختيال وقرئ مرحا وهو باعتبار الحكم أبلغ وان كان المصدر آكد من صريح النعت (انك لن تخرق الارض) لن تجعل فيها خرقا بشدة وطأتك (ولن تبلغ الجبال طولا) بتطاولك وهو تهكم بالمختال وتعليل للنهى بان الاختيال حماقة مجردة لا تعود بجدوى ليس فى التذلل (كل ذلك) اشارة الى الخصال الخمس والعشرين المذكورة من قوله تعالى لا تجعل مع الله الها آخر وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنها المكتوبة فى ألواح موسى عليه السلام (كان سيئه) يعنى المنهى عنه فان المذكورات مأمورات ومناه وقرأ الحجازيان والبصريان سيئة على أنها خبر كان والاسم ضمير كل وذلك اشارة الى ما نهى عنه خاصة

للسؤال تعييرا وتوبيخا للناكث (قوله قرئ ولا تقف) هذا أجوف بضم القاف والاول بسكونه وضم الفاء ناقص (قوله سواء كان قطعا أو ظنا) فان المجتهد اذا ظن شيأ وجب عليه العمل (قوله فى ردغة الخبال) قال فى الصحاح قيل الخبال صديد أهل النار وقال أيضا الردغة الطين ويحتمل أن المراد طين يحصل من امتزاج التراب بصديد أهل النار (قوله ضمير عليها) أى فى كان وعنه ومسؤلا ضمير راجع الى كل (قوله وهو خطأ لان الفاعل وما يقوم مقامه لا يقدم) هذا رد على الكشاف حيث قال وعنه فى موضع الرفع بالفاعلية ويمكن أن يقال عدم تقديم الفاعل لاجل اشتباهه بالمبتدأ ولا اشتباه فى تقديم الجار والمجرور على المسؤل ونقل هذا عن صاحب التقريب (قوله وهو باعتبار الحكم أبلغ) أى قراءة مرحا حتى يكون صفة أبلغ وآكد باعتبار الحكم أى باعتبار النهى عن المرح فان قراءة مرحا يدل على النهى عن المرح أى الاختيال مطلقا وأما قراءة مرحا بفتح الراء فليس فى مرتبة ذلك التأكيد لانه يدل على النهى عن المبالغة فى المرح والاختيال لانه فى الظاهر نهى عن أن يكون الماشى بين المرح وان كان الاتصاف بالمصدر آكد من الاتصاف بالصفة وعلى

(قوله أوصفة لها محمولة على المعنى) أى عند ربك مكروه وهاصفة محمولة على المعنى والاوجب بحسب اللفظ أن يقال مكروهة لأنه صفة السيئة التى هى المؤنث (قوله والمراد به المبغوض الخ) أى ليست الكراهة بالمعنى المقابل للارادة كما هو مذهب المعتزلة لان كل ماوقع فهو مراد الله تعالى عند أهل الحق فيجب أن تكون الكراهة بمعنى المقت والبغض وعدم الرضا وحاصله الاعتراض والمؤاخذة بفعله (قوله رتب عليه أولا ماهو عائدة الشرك فى الدنيا) حيث قال فى أول الآيات لا تجعل مع الله الها آخر فتقعد مذموما مخذولا (قوله ثم بتفضيل أنفسكم عليه) عطف على قوله باضافة الاولاد اليه وكذا قوله لم يجعل الملائكة وأما قوله لسرعة زوالها أى اسرعة زوال ذلك البعض حتى يكون ولده قائما مقامه ويمكن أن يقال الاولاد خاصة لبعض الاجسام الذى هو فى قوة النقص والله تعالى فى غاية الكمال (قوله ويجوز أن يراد بهذا القرآن ابطال اضافة البنات اليه) فيكون من باب اطلاق الشئ على مايفهم منه وهو قريب من اطلاق اسم المحل على الحال (قوله أو قعنا التصريف فيه) معناه انه جعلناه مكانا للتكرير والغرض ماذكر (قوله على أن الكلام مع الرسول) فكأنه قيل قل لهم مضمون هذه الآية (قوله فانه من خواص مايمتنع بقاؤه) الاولى أن يقال ان الولد دل على الجسمية الموجبة للحدوث والنقص لأجل ان فائدة الولد الاعانة (قوله والمعنى لطلبوا الخ) يعنى لو كان الآلهة موجودة كما زعموا فاما أن يكونوا أمثاله تعالى فطلبوا الى المقاومة سبيلاً وأدنى منه تعالى فطلبوا التقريب اليه لكن الآلهة التى لكم ليست كذلك (قوله ويجوز أن يحمل التسبيح على المشترك بين اللفظ والدلالة الخ) أى معنى مشترك بينهما والاولى أن يقال على معنى مشترك بين دلالة اللفظ ودلالة الحال وهو مطلق الدلالة (قوله وعليهما الخ) أى يمكن أن يراد بالتسبيح التسبيح باللفظ والحال

وعلى هذا قوله (عند ربك مكروها) بدل من سيئة أو صفة لها محمولة على المعنى فانه بمعنى سيأ وقد قرئ به ويجوز أن ينتصب مكروها على الحال من المستكن فى كان أو فى الظرف على أنه صفة سيئة والمراد به المبغوض المقابل للمرضى لا مايقابل المراد لقيام القاطع على أن الحوادث كلها واقعة بارادته تعالى (ذلك) اشارة الى الاحكام المتقدمة (مما أوحى اليك ربك من الحكمة) التى هى معرفة الحق لذاته والخير للعمل به (ولا تجعل مع الله الها آخر) كرره للتنبيه على أن التوحيد مبدأ الامر ومنتهاه فان من لا قصد له بطل عمله ومن قصد بفعله أو تركه غيره ضاع سعيه وأنه رأس الحكمة وملاكها ورتب عليه أولا ماهو عائدة الشرك فى الدنيا وثانيا ماهو نتيجته فى العقبى فقال تعالى (فتلقى فى جهنم ملوما) تلوم نفسك (مدحورا) مبعدا من رحمة الله تعالى (أفأصفاكم ربكم بالبنين) خطاب لمن قالوا الملائكة بنات الله والهمزة للانكار والمعنى أفخصكم ربكم بأفضل الاولاد وهم البنون (واتخذ من الملائكة اناثا) بنات لنفسه وهذا خلاف ماعليه عقولكم وعادتكم (انكم لتقولون قولا عظيما) باضافة الاولاد اليه وهى خاصة بعض الاجسام لسرعة زوالها ثم بتفضيل أنفسكم عليه حيث تجعلون له ماتكرهون ثم بجعل الملائكة الذين هم من أشرف خلق الله أدونهم (ولقد صرفنا) كررنا هذا المعنى بوجوه من التقرير (فى هذا القرآن) فى مواضع منه ويجوز أن يراد بهذا القرآن ابطال اضافة البنات اليه على تقدير ولقد صرفنا القول فى هذا المعنى أو أوقعنا التصريف فيه وقرئ صرفنا بالتخفيف (ليذكروا) ليتذكروا وقرأ حمزة والكسائى هنا وفى الفرقان ليذكروا من الذكر الذى هو بمعنى التذكر (ومايزيدهم الا نفورا) عن الحق وقلة طمأنينة اليه (قل لو كان معه آلهة كما تقولون) أيها المشركون وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم بالياء فيه وفيما بعده على أن الكلام مع الرسول صلى الله عليه وسلم ووافقهما نافع وابن عامر وأبو عمرو وأبو بكر ويعقوب فى الثانية على أن الأولى مما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يخاطب به المشركين والثانية مما نزه به نفسه عن مقالتهم (اذا لابتغوا الى ذى العرش سبيلا) جواب عن قولهم وجزاء للو والمعنى لطلبوا الى من هو مالك الملك سبيلا بالمعازة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض أو بالتقرب اليه والطاعة لعلمهم بقدرته وعجزهم كقوله تعالى أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة (سبحانه) ينزه تنزيها (وتعالى عما يقولون علوا) تعاليا (كبيرا) متباعدا غاية البعد عما يقولون فانه فى أعلى مراتب الوجود وهو كونه واجب الوجود والبقاء لذاته واتخاذ الولد من أدنى مراتبه فانه من خواص مايمتنع بقاؤه (تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شئ الا يسبح بحمده) ينزهه عما هو من لوازم الامكان وتوابع الحدوث بلسان الحال حيث تدل بامكانها وحدوثها على الصانع القديم الواجب لذاته (ولكن لا تفقهون تسبيحهم) أيها المشركون لاخلالكم بالنظر الصحيح الذى به يفهم تسبيحهم ويجوز أن يحمل التسبيح على المشترك بين اللفظ والدلالة لاسناده الى مايتصور منه اللفظ والى مالا يتصور منه وعليهما عند من

جوز اطلاق اللفظ على معنييه وقرأ ابن كثير وابن عامر ونافع وأبو بكر يسبح بالياء (انه كان حليما) حيث لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وشرككم (غفورا) لمن تاب منكم (واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا) يحجبهم عن فهم ما تقرؤه عليهم (مستورا) ذا ستر كقوله تعالى وعده مأتيا وقولهم سيل مفعم أو مستورا عن الحس أو بحجاب آخر لا يفهمون ولا يفهمون أنهم لا يفهمون نفى عنهم أن يفهموا ما أنزل عليهم من الآيات بعدما نفى عنهم التفقه للدلالات المنصوبة فى الانفس والآفاق تقريرا له وبيانا لكونهم مطبوعين على الضلالة كما صرح به بقوله (وجعلنا على قلوبهم أكنة) تكنها وتحول دونها عن ادراك الحق وقبوله (أن يفقهوه) كراهة ان يفقهوه ويجوز ان يكون مفعولا لما دل عليه قوله وجعلنا على قلوبهم أكنة أى منعناهم أن يفقهوه (وفى آذانهم وقرا) يمنعهم عن استماعه ولما كان القرآن معجزا من حيث اللفظ والمعنى أثبت لمنكريه ما يمنع عن فهم المعنى وادراك اللفظ (واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده) واحدا غير مشفوع به آلهتهم مصدر وقع موقع الحال وأصله يحد وحده بمعنى واحدا وحده (ولوا على أدبارهم نفورا) هربا من استماع التوحيد ونفرة أو تولية ويجوز أن يكون جمع نافر كقاعد وقعود (نحن أعلم بما يستمعون به) بسببه ولاجله من الهزء بك وبالقرآن (اذ يستمعون اليك) ظرف لاعلم وكذا (واذ هم نجوى) أى نحن أعلم بغرضهم من الاستماع حين هم مستمعون اليك مضمرون له وحين هم ذوو نجوى يتناجون به ونجوى مصدر ويحتمل أن يكون جمع نجى (اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا) مقدر باذكر أو بدل من اذ هم نجوى على وضع الظالمون موضع الضمير للدلالة على أن تناجيهم بقولهم هذا من باب الظلم والمسحور هو الذى سحر فزال عقله وقيل الذى له سحر وهو الرئة أى الا رجلا يتنفس ويأكل ويشرب مثلكم (أنظر كيف ضربوا لك الامثال) مثلوك بالشاعر والساحر والكاهن والمجنون (فضلوا) عن الحق فى جميع ذلك (فلا يستطيعون سبيلا) الى طعن موجه فيتهافتون ويخبطون كالمتحير فى أمره لا يدرى ما يصنع أو الى الرشاد (وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا) حطاما (أئنا لمبعوثون خلقا جديدا) على الانكار والاستبعاد لما بين غضاضة الحى ويبوسة الرميم من المباعدة والمنافاة والعامل فى اذا ما دل عليه مبعوثون لا نفسه لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها وخلقا مصدر أو حال (قل) جوابا لهم (كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر فى صدوركم) أى مما يكبر عندكم عن قبول الحياة لكونه أبعد شئ منها فان قدرته تعالى لا تقصر عن احيائكم لاشتراك الاجسام فى قبول الاعراض فكيف اذا كنتم عظاما مرفوتة وقد كانت غضة موصوفة بالحياة قبل والشئ أقبل لما عهد فيه مما لم يعهد (فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم أول مرة) وكنتم ترابا وما هو أبعد منه من الحياة (فسينغضون اليك رؤسهم) فسيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء (ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا) فان كل ما هو آت قريب وانتصابه على الخبر أو الظرف أى يكون فى زمان قريب وأن يكون اسم عسى أو خبره والاسم مضمر (يوم يدعوكم فتستجيبون) أى يوم يبعثكم فتنبعثون استعار لهما الدعاء والاستجابة للتنبيه على سرعتهما وتيسر أمرهما وأن المقصود منهما الاحضار للمحاسبة والجزاء (بحمده) حال منهم أى حامدين الله تعالى على كمال قدرته كما قيل انهم ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك أو منقادين لبعثه انقياد الحامدين عليه (وتظنون ان لبثتم الا قليلا) وتستقصرون مدة لبثكم فى القبور كالذى مر على قرية أو مدة حياتكم لما ترون من الهول (وقل لعبادى) يعنى

فمعناه من يجوز ان يراد باللفظ المشترك معنياه (قوله ذا ستر كقوله وعده مأتيا) أنما حمل على ذلك لان المستور معناه الحقيقى ما يستره شئ لكن الحجاب ليس كذلك فمعناه ذو ستر أى صاحب الستر على معنى أن يتصف بان يستر شيأ كما فى قوله تعالى وعده مأتيا فان المأتى ما أتاه شئ لكن الوعد ليس كذلك بل هو الآتى فمعناه ذو اتيان أى اتصف به (قوله لا يفهمون ولا يفهمون الخ) هذا اثبات للحجابين فالحجاب الاول عدم الفهم والحجاب الثانى عدم فهم عدم الفهم (قوله للدلالة المنصوبة فى الآفاق والانفس) هى تسبيح الموجودات على المعنى الذى ذكر (قوله بسببه أو لاجله) فتكون الباء فى به للسببية (قوله وقيل الذى له سحر) فيه ضم السين وفتحها مع سكون الحاء المهملة وفتحها (قوله لما بين غضاضة الحى ويبوسة الرميم من المباعدة والمنافاة) الاولى أن يقال لما بين العظام والاجزاء المتفتتة المنتشرة فى الاطراف والبدن المجتمعة والاجزاء التى فيها الحياة والقوى والآثار الحيوانية والانسانية من التباعد والتنافر (قوله ما دل عليه مبعوثون) فالمعنى أنبعث اذا متنا وكنا ترابا (قوله وأن المقصود منهما الاحضار الخ) فان الدعوة تشعر بالاحضار

المؤمنين

المؤمنين (يقولوا التي هي أحسن) الكلمة التي هي أحسن ولا يخاشنوا المشركين (ان الشيطان
ينزغ بينهم) يهيج بينهم المراء والشر فلعل المخاشنة بهم تفضي الى العناد وازدياد الفساد (ان الشيطان
كان للانسان عدوا مبينا) ظاهر العداوة (ربكم أعلم بكم ان يشأ يرحمكم أو ان يشأ يعذبكم) تفسير
للتي هي أحسن وما بينهما اعتراض أي قولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا تصرحوا بانهم من أهل النار
فانه يهيجهم على الشر مع أن ختام أمرهم غيب لا يعلمه الا الله (وما أرسلناك عليهم وكيلا) موكولا
اليك أمرهم تقسرهم على الايمان وانما أرسلناك مبشرا ونذيرا فدارهم ومر أصحابك بالاحتمال
منهم وروي أن المشركين أفرطوا في ايذائهم فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل شتم
عمر رضي الله عنه رجل منهم فهم به فامره الله بالعفو (وربك أعلم بمن في السموات والارض)
وباحوالهم فيختار منهم لنبوته وولايته من يشاء وهو رد لاستبعاد قريش أن يكون يتيم أبي طالب نبيا
وأن يكون العراة الجوع أصحابه (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) بالفضائل النفسانية والتبرئ
عن العلائق الجسمانية لا بكثرة الاموال والاتباع حتى داود عليه السلام فان شرفه بما أوحي اليه من
الكتاب لا بما أوتيه من الملك قيل هو اشارة الى تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله (وآتينا
داود زبورا) تنبيه على وجه تفضيله وهو أنه خاتم الانبياء وأمته خير الامم المدلول عليه بما كتب
في الزبور من أن الارض يرثها عبادي الصالحون وتنكيره ههنا وتعريفه في قوله ولقد كتبنا في الزبور
لانه في الاصل فعول للمفعول كالحلوب أو المصدر كالقبول ويؤيده قراءة حمزة بالضم وهو كالعباس
أو الفضل أو لان المراد وآتينا داود بعض الزبر أو بعضا من الزبور فيه ذكر الرسول عليه الصلاة
والسلام (قل ادعوا الذين زعمتم) أنها آلهة (من دونه) كالملائكة والمسيح وعزير (فلا
يملكون) فلا يستطيعون (كشف الضر عنكم) كالمرض والفقر والقحط (ولا تحويلا)
ولا تحويل ذلك منكم الى غيركم (أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة) هؤلاء الآلهة
يبتغون الى الله القرابة بالطاعة (أيهم أقرب) بدل من واو يبتغون أي يبتغي من هو أقرب منهم
الى الله الوسيلة فكيف بغير الاقرب (ويرجون رحمته ويخافون عذابه) كسائر العباد فكيف
تزعمون أنهم آلهة (ان عذاب ربك كان محذورا) حقيقا بان يحذره كل أحد حتى الرسل والملائكة
(وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة) بالموت والاستئصال (أو معذبوها عذابا
شديدا) بالقتل وأنواع البلية (كان ذلك في الكتاب) في اللوح المحفوظ (مسطورا) مكتوبا
(وما منعنا أن نرسل بالآيات) وما صرفنا عن ارسال الآيات التي اقترحها قريش (الا أن كذب بها
الاولون) الا تكذيب الاولين الذين هم أمثالهم في الطبع كعاد وثمود وانها لو أرسلت لكذبوا بها
تكذيب أولئك واستوجبوا الاستئصال على ما مضت به سنتنا وقد قضينا أن لا نستأصلهم لان منهم
من يؤمن أو يلد من يؤمن ثم ذكر بعض الامم المهلكة بتكذيب الآيات المقترحة فقال (وآتينا
ثمود الناقة) بسؤالهم (مبصرة) بينة ذات ابصار أو بصائر أو جاعلتهم ذوي بصائر وقرئ بالفتح
(فظلموا بها) فكفروا بها أو فظلموا أنفسهم بسبب عقرها (وما نرسل بالآيات) أي بالآيات المقترحة
(الا تخويفا) من نزول العذاب المستأصل فان لم يخافوا نزل أو بغير المقترحة كالمعجزات وآيات
القرآن الا تخويفا بعذاب الآخرة فان أمر من بعثت اليهم مؤخر الى يوم القيامة والباء مزيدة أو في
موقع الحال والمفعول محذوف (واذ قلنا لك) واذكر اذ أوحينا اليك (ان ربك أحاط بالناس)
فهم في قبضة قدرته أو أحاط بقريش بمعنى أهلكهم من أحاط بهم العدو فهي بشارة بوقعة بدر والتعبير
بلفظ الماضي لتحقق وقوعه (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك) ليلة المعراج وتعلق به من قال انه كان

والاستجابة مشعرة
بالسؤال المشعر بالجزاء
لان السؤال يكون له (قوله
كالعباس والفضل) أي
يجوز في الزبور التعريف
والتنكير كما يجوز في العباس
والفضل (قوله أو لان المراد
بعض الزبر أو بعضا من
الزبور) فيه ان ذكر الرسول
في الاحتمال الثاني فيه خفاء
ولذا اختلف فيه المعلقون
على الكشاف (قوله ذات
ابصار أو بصائر) أي
سبب للابصار أو البصيرة
فان حق من ظهر له مثل
هذه الآية أن يرى آثار
صنعه أو يدركها بقلبه أن
يؤمن به (قوله والباء
مزيدة أو في موقع الحال
والمفعول محذوف الخ)
أي اما أن تكون بالآيات
مفعولا فتكون الباء
مزيدة أو غيره فتكون حالا
والمفعول محذوف والمعنى
وما نرسل النبي ملتبسا
بالآيات الا الخ

(قوله أومنه) أى أوحال من الموصول نفسه لامن الراجع اليه و يجوز أن يكون الخطاب للتابعين على الالتفات فيكون المعنى فان جهنم جزاؤكم يا أتباعه حتى يحصل الربط (قوله أو حال موطئة لقوله موفورا) قال بعضهم والمعنى ذوى جزاء موفورا فيكون حالا من الضمير فى يجزون وقال العلامة الطيبى الاولى أن يقال انه حال مؤكدة عن مضمون الجملة السابقة كقولك زيد حاتم جودا (قوله والخيل الخيالة) أى أصحاب الخيل (قوله و يجوز أن يكون تمثيلا لتسلطه على من يغويه الخ) أى يجوز أن يكون استفزازه بمن استطاع منهم وجلبه عليهم بخيله ورجله تمثيلا أى استعارة تمثيلية فيكون المشبه تسلطه عليهم وتصرفه فيهم و وسوسته واضلاله اياهم والمشبه به الاستفزاز بالصوت والجلب بالخيل والرجل ووجه الشبه كونهم منقادين لحكمه عاملين لما أراده منهم فيكون الطرفان ووجه الشبه مركبات (قوله تسلطه على من يغويه بمغوار الخ) المغوار المقاتل

فى المنام ومن قال انه كان فى اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية أو عام الحديبية حين رأى أنه دخل مكة وفيه أن الآية مكية الا أن يقال رآها بمكة وحكاها حينئذ ولعلهر ؤيا رآها فى وقعة بدر لقوله تعالى اذ يريكهم الله فى منامك قليلا ولما روى أنه لما ورد ماءه قال لكأنى أنظر الى مصارع القوم هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان فتسامعت به قريش واستسخروا منه وقيل رأى قوما من بنى أمية يرقون منبره و ينزون عليه نزو القردة فقال هذا حظهم من الدنيا يعطونه باسلامهم وعلى هذا كان المراد بقوله (الا فتنة للناس) ما حدث فى أيامهم (والشجرة الملعونة فى القرآن) عطف على الرؤيا وهى شجرة الزقوم لما سمع المشركون ذكرها قالوا ان محمدا يزعم أن الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر ولم يعلموا ان من قدر أن يحمى و بر السمندل من أن تأكله النار وأحشاء النعامة من أذى الجمر وقطع الحديد المحماة الحمر التى تبتلعها قدر أن يخلق فى النار شجرة لا تحرقها ولعنها فى القرآن لعن طاعميها وصفت به على المجاز للمبالغة أو وصفها بأنها فى أصل الجحيم فانه أبعد مكان من الرحمة أو بأنها مكروهة مؤذية من قولهم طعام ملعون لما كان ضارا وقد أولت بالشيطان وأبى جهل والحكم بن أبى العاصى وقرئت بالرفع على الابتداء والخبر محذوف أى والشجرة الملعونة فى القرآن كذلك (ونخوفهم) بأنواع التخويف (فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا) الا عتوا متجاوز الحد (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال أأسجد لمن خلقت طينا) لمن خلقته من طين فنصب بنزع الخافض و يجوز أن يكون حالا من الراجع الى الموصول أى خلقته وهو طين أو منه أى أأسجد له وأصله طين وفيه على الوجوه الثلاثة ايماء بعلة الانكار (قال أرأيتك هذا الذى كرمت على) الكاف لتأكيد الخطاب لا محل له من الاعراب وهذا مفعول أول والذى صفته والمفعول الثانى محذوف لدلالة صلته عليه والمعنى أخبرنى عن هذا الذى كرمته على بامرى بالسجود له لم كرمته على (لئن أخرتنى الى يوم القيامة) كلام مبتدأ واللام موطئة للقسم وجوابه (لاحتنكن ذريته الا قليلا) أى لاستأصلنهم بالاغواء الا قليلا لا أقدر أن أقاوم شكيمتهم من احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها أكلا مأخوذ من الحنك وانما علم ان ذلك يتسهل له اما استنباطا من قول الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها مع التقرير أو تفرسا من خلقه ذا وهم وشهوة وغضب (قال اذهب) امض لما قصدته وهو طرد وتخلية بينه و بين ما سولت له نفسه (فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم) جزاؤك وجزاؤهم فغلب المخاطب على الغائب و يجوز أن يكون الخطاب للتابعين على الالتفات (جزاء موفورا) مكملا من قولهم فر لصاحبك عرضه وانتصاب جزاء على المصدر باضمار فعله أو بما فى جزاؤكم من معنى تجازون أو حال موطئة لقوله موفورا (واستفزز) واستخفف (من استطعت منهم) أن تستفزه والفز الخفيف (بصوتك) بدعائك الى الفساد (وأجلب عليهم) وصح عليهم من الجلبة وهى الصياح (بخيلك ورجلك) باعوانك من راكب وراجل والخيل الخيالة ومنه قوله عليه الصلاة والسلام ياخيل الله اركبى والرجل اسم جمع للراجل كالصحب والركب و يجوز أن يكون تمثيلا لتسلطه على من يغويه بمغوار صوت على قوم فاستفزهم من أماكنهم واجلب عليهم بجنده حتى استأصلهم وقرأ حفص ورجلك بالكسر وغيره بالضم وهما لغتان كندس وندس ومعناه وجمعك الرجل وقرئ ورجالك ورجالك (وشاركهم فى الاموال) بحملهم على كسبها وجمعها من الحرام والتصرف فيها على ما لا ينبغى (والاولاد) بالحث على التوصل الى الولد بالسبب المحرم والاشراك فيه بتسميته عبد العزى والتضليل بالحمل على الاديان الزائغة والحرف الذميمة والافعال القبيحة (وعدهم) المواعيد الباطلة كشفاعة الآلهة والاتكال على كرامة الآباء وتأخير التوبة لطول الامل (وما يعدهم الشيطان الا غرورا)

اعتراض

(قوله اعتراض) فانه وقع بين الجمل التى خاطب الله بها الشياطين (قوله وتعظيم الاضافة الخ) أى ظاهر قوله تعالى عبادى يفيد العموم لكن الاضافة المفيدة لتعظيم العباد وتقييدها فى قوله الاعبادك منهم المخلصين يدلان على أن المراد بعبادى بعض عباده

اعتراض لبيان مواعيده الباطلة والغرور تزيين الخطأ بما يوهم انه صواب (ان عبادى) يعنى المخلصين وتعظيم الاضافة والتقييد فى قوله الاعبادك منهم المخلصين يخصصهم (ليس لك عليهم سلطان) أى على اغوائهم قدرة (وكفى بربك وكيلا) يتوكلون عليه فى الاستعاذة منك على الحقيقة (ربكم الذى يزجى) هو الذى يجرى (لكم الفلك فى البحر لتبتغوا من فضله) الربح وأنواع الامتعة التى لا تكون عندكم (انه كان بكم رحيما) حيث هيأ لكم ما تحتاجون اليه وسهل عليكم ما تعسر من أسبابه (واذا مسكم الضر فى البحر) خوف الغرق (ضل من تدعون) ذهب عن خواطركم كل من تدعونه فى حوادثكم (الا اياه) وحده فانكم حينئذ لا يخطر ببالكم سواه فلا تدعون لكشفه الا اياه أو ضل كل من تعبدونه عن اغاثتكم الا الله (فلما نجاكم) من الغرق (الى البر أعرضتم) عن التوحيد وقيل اتسعتم فى كفران النعمة كقول ذى الرمة

عطاء فتى تمكن فى المعالى * فأعرض فى المكارم واستطالا

(وكان الانسان كفورا) كالتعليل للاعراض (أفأمنتم) الهمزة فيه للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره أنجوتم فأمنتم فحملكم ذلك على الاعراض فان من قدر أن يهلككم فى البحر بالغرق قادر أن يهلككم فى البر بالخسف وغيره (أن يخسف بكم جانب البر) أن يقلبه الله وأنتم عليه أو يقلبه بسببكم فبكم حال أو صلة ليخسف وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالنون فيه وفى الاربعة التى بعده وفى ذكر الجانب تنبيه على أنهم كما وصلوا الساحل كفروا وأعرضوا وان الجوانب والجهات فى قدرته سواء لا معقل يؤمن فيه من أسباب الهلاك (أو يرسل عليكم حاصبا) ريحا تحصب أى ترمى بالحصباء (ثم لا تجدوا لكم وكيلا) يحفظكم من ذلك فانه لا راد لفعله (أم أمنتم أن يعيدكم فيه) فى البحر (تارة أخرى) بخلق دواع تلجئكم الى أن ترجعوا فتركبوه (فيرسل عليكم قاصفا من الريح) لا تمر بشىء الا قصفته أى كسرته (فيغرقكم) وعن يعقوب بالتاء على اسناده الى ضمير الريح (بما كفرتم) بسبب اشراككم أو كفرانكم نعمة الانجاء (ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا) مطالبا يتبعنا بانتصار أو صرف (ولقد كرمنا بنى آدم) بحسن الصورة والمزاج الاعدل واعتدال القامة والتميز بالعقل والافهام بالنطق والاشارة والخط والتهدى الى أسباب المعاش والمعاد والتسلط على ما فى الارض والتمكن من الصناعات وانسياق الاسباب والمسببات العلوية والسفلية الى ما يعود عليهم بالمنافع الى غير ذلك مما يقف الحصر دون احصائه ومن ذلك ما ذكره ابن عباس وهو ان كل حيوان يتناول طعامه بفيه الا الانسان فانه يرفعه اليه بيده (وحملناهم فى البر والبحر) على الدواب والسفن من حملته حملا اذا جعلت له ما يركبه أو حملناهم فيهما حتى لم تخسف بهم الارض ولم يغرقهم الماء (ورزقناهم من الطيبات) المستلذات مما يحصل بفعلهم وبغير فعلهم (وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) بالغلبة والاستيلاء أو بالشرف والكرامة والمستثنى جنس الملائكة عليهم الصلاة والسلام أو الخواص منهم ولا يلزم من عدم تفضيل الجنس عدم تفضيل بعض افراده والمسئلة موضع نظر وقد أوّل الكثير بالكل وفيه تعسف (يوم ندعو) نصب باضمار اذكر أو ظرف لما دل عليه ولا يظلمون وقرئ يدعو ويدعى ويدعو على قلب الالف واوا فى لغة من يقول أفعو فى أفعى أو على ان

(قوله فيكم حال أو صلة) فعلى التقدير الاول أن يخسف جانب البر كائنا معكم (قوله تنبيه على أنهم كما وصلوا الخ) لان الجانب والساحل جهة البر (قوله لا معقل) قال فى الصحاح المعقل الملجأ (قوله والمستثنى جنس الملائكة أو الخواص منهم ولا يلزم الخ) أى قوله تعالى وفضلناهم على كثير يفيد ان بعضا من الخلق لا يفضل عليهم الانسان والا لما كان للفظ كثير وجه وجيه فهذا البعض الذى لا يفضل عليه الانسان هو الملائكة وعلى هذا يلزم سؤال وهو أن هذا مناف لقاعدة أهل السنة أن الانسان أفضل من الملك فأجاب بقوله ولا يلزم الخ أى لا يلزم من عدم تفضيل جنس البشر على جنس الملك أو الخواص منهم أن لا يكون خواص البشر أعلى من خواص الملك فان عدم تفضيل جنس البشر معناه ان ليس كل فرد من أفراد جنس البشر أفضل من كل فرد من أفراد جنس الملك وهذا لا ينافى ان يكون الخواص من البشر أفضل من خواص الملك (قوله وفيه تعسف) اما أوّلا فلان استعمال الكثير بمعنى الكل خلاف الظاهر جدا واما ثانيا فلانه لا فائدة للفظ الكثير مقام لفظ الكل (قوله ويدعو على قلب الالف واوا الخ) أى قراءة يدعو بصيغة المجهول وهو يحتمل وجهين أحدهما ان تكون صيغة مفرد غائب فتقلب ألفها واوا كما فى أفعى فانه قد تقلب ألفه واوا ويحتمل ان يكون صيغة جمع

الواو علامة الجمع كما فى قوله وأسروا النجوى الذين ظلموا أو ضميره وكل بدل منه والنون محذوفة لقلة المبالاة بها فانها ليست الا علامة الرفع وهو قد يقدر كما فى يدعى (كل أناس بامامهم) بمن ائتموا به من نبى أو مقدم فى الدين أو كتاب أو دين وقيل بكتاب أعمالهم التى قدموها فيقال يا صاحب كتاب كذا أى تنقطع علقة الانساب وتبقى نسبة الاعمال وقيل بالقوى الحاملة لهم على عقائدهم وأفعالهم وقيل بامهاتهم جمع أم كخف وخفاف والحكمة فى ذلك اجلال عيسى عليه السلام واظهار شرف الحسن والحسين رضى الله عنهما وأن لا يفتضح أولاد الزنا (فمن أوتى) من المدعوين (كتابه بيمينه) أى كتاب عمله (فاولئك يقرؤن كتابهم) ابتهاجا وتبجحا بما يرونه فيه (ولا يظلمون فتيلا) ولا ينقصون من أجورهم أدنى شئ وجمع اسم الاشارة والضمير لان من أوتى فى معنى الجمع وتعليق القراءة بايتاء الكتاب باليمين يدل على أن من أوتى كتابه بشماله اذا اطلع على مافيه غشيهم من الخجل والحيرة ما يحبس ألسنتهم عن القراءة ولذلك لم يذكرهم مع أن قوله (ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى) أيضا مشعر بذلك فان الاعمى لا يقرأ الكتاب والمعنى ومن كان فى هذه الدنيا أعمى القلب لا يبصر رشده كان فى الآخرة أعمى لا يرى طريق النجاة (وأضل سبيلا) منه فى الدنيا لزوال الاستعداد وفقدان الآلة والمهلة وقيل لان الاهتداء بعد لا ينفعه والاعمى مستعار من فاقد الحاسة وقيل الثانى للتفضيل من عمى بقلبه كالاجهل والابله ولذلك لم يمله أبو عمرو ويعقوب فان أفعل التفضيل تمامه بمن فكانت ألفه فى حكم المتوسطة كما فى أعمالكم بخلاف النعت فان ألفه واقعة فى الطرف لفظا وحكما فكانت معرضة للامالة من حيث انها تصير ياء فى التثنية وقد أمالهما حمزة والكسائى وأبو بكر وقرأ ورش بين بين فيهما (وان كادوا ليفتنونك) نزلت فى ثقيف قالوا لا ندخل فى أمرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبى فى صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة وأن تحرم وادينا كما حرمت مكة فان قالت العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله أمرنى وقيل فى قريش قالوا لا نمكنك من استلام الحجر حتى تلم بآلهتنا وتمسها بيدك وان هى المخففة واللام هى الفارقة والمعنى ان الشأن قاربوا بمبالغتهم أن يوقعوك فى الفتنة بالاستنزال (عن الذى أوحينا اليك) من الاحكام (لتفترى علينا غيره) غير ما أوحينا اليك (واذا لاتخذوك خليلا) ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك بافتتانك ولياً لهم بريئا من ولايتى (ولولا أن ثبتناك) ولولا تثبيتنا اياك (لقد كدت تركن اليهم شيأ قليلا) لقاربت أن تميل الى اتباع مرادهم والمعنى انك كنت على صدد الركون اليهم لقوة خدعهم وشدة احتيالهم لكن أدركتك عصمتنا فمنعت أن تقرب من الركون فضلا عن أن تركن اليهم وهو صريح فى أنه عليه الصلاة والسلام ما هم باجابتهم مع قوة الدواعى اليها ودليل على أن العصمة بتوفيق الله وحفظه (اذا لأذقناك) أى لو قاربت لأذقناك (ضعف الحياة وضعف الممات) أى عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ضعف ما نعذب به فى الدارين بمثل هذا الفعل غيرك لان خطأ الخطير أخطر وكان أصل الكلام عذابا ضعفا فى الحياة وعذابا ضعفا فى الممات بمعنى مضاعفا ثم حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه ثم أضيفت كما يضاف موصوفها وقيل الضعف من أسماء العذاب وقيل المراد بضعف الحياة عذاب الآخرة وضعف الممات عذاب القبر (ثم لا تجد لك علينا نصيرا) يدفع العذاب عنك (وان كادوا) وان كاد أهل مكة (ليستفزونك) ليزعجونك بمعاداتهم (من الارض) أرض مكة (ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلفك) ولو خرجت لا يبقون بعد خروجك (الا قليلا) الا زمانا قليلا وقد كان كذلك فانهم أهلكوا ببدر بعد هجرته بسنة وقيل الآية نزلت فى اليهود حسدوا مقام النبى بالمدينة فقالوا الشام مقام الانبياء فان

وتكون نونه محذوفة لقلة المبالاة والاعتناء بها لما ذكره وحينئذ فتكون الواو علامة الجمع والفاعل كل اناس أو تكون الواو ضمير الفعل وفاعله وكل أناس بدل منه (قوله والحكمة فى ذلك اجلال عيسى وشرف الحسن والحسين) أى الحكمة فى دعوة الخلق بالأمهات بان يقال يا فلان بن فلانة اجلال عيسى واظهار شرف السبطين اذ لو دعى الخلق بالآباء لكان هذا نوع نقص بالنسبة الى عيسى بان يدعى بالأم والخلق بالآباء وفيه اظهار شرف السبطين بان يدعيا بأمهما التى هى بنت سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وعدم افتضاح أولاد الزنا ظاهرا فانه لو دعى الخلق بالآباء وأولاد الزنا بالامهات لكان هذا تصريحا بكونهم أولاد الزنا وليس لهم آباء (قوله من عمى بقلبه الخ) يعنى ان العمى وان كان من العيوب لا يبنى منه أفعل التفضيل لكنه اذا كان بمعنى فقد الحاسة اما اذا كان المراد عمى القلب يكون كالجهل فيبنى منه أفعل التفضيل (قوله لا نعشر ولا نحشر ولا نجبى فى صلاتنا) والاول معناه لا يؤخذ عشر أموالنا

كنت نبيا فالحق بها حتى نؤمن بك فوقع ذلك في قلبه فخرج مرحلة فنزلت فرجع ثم قتل منهم
بنو قريظة وأجلى بنو النضير بقليل وقرئ لا يلبثوا منصوبا باذا على أنه معطوف على جملة قوله
وان كادوا ليستفزونك لا على خبر كاد فان اذا لا تعمل اذا كان معتمدا ما بعدها على ما قبلها وقرأ
ابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب وحفص خلافك وهو لغة فيه قال الشاعر

عفت الديار خلافهم فكأنما * بسط الشواطب بينهن حصيرا

(سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا) نصب على المصدر أي سن الله ذلك سنة وهو أن يهلك كل أمة
أخرجوا رسولهم من بين أظهرهم فالسنة لله واضافتها الى الرسل لانها من أجلهم ويدل عليه (ولا تجد
لسنتنا تحويلا) أي تغييرا (أقم الصلاة لدلوك الشمس) لزوالها ويدل عليه قوله عليه الصلاة
والسلام أتاني جبريل لدلوك الشمس حين زالت فصلى بي الظهر وقيل لغروبها وأصل التركيب
للانتقال ومنه الدلك فان الدالك لا تستقر يده وكذا كل ما تركب من الدال واللام كدلج ودلح
ودلع ودلف ودله وقيل الدلوك من الدلك لان الناظر اليها يدلك عينيه ليدفع شعاعها واللام للتأقيت
مثلها في لثلاث خلون (الى غسق الليل) الى ظلمته وهو وقت صلاة العشاء الاخيرة (وقرآن
الفجر) وصلاة الصبح سميت قرآنا لانه ركنها كما سميت ركوعا وسجودا واستدل به على وجوب
القراءة فيها ولا دليل فيه لجواز أن يكون التجوز لكونها مندوبة فيها نعم لو فسر بالقراءة في صلاة
الفجر دل الامر باقامتها على الوجوب فيها نصا وفي غيرها قياسا (ان قرآن الفجر كان مشهودا)
تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار أو شواهد القدرة من تبدل الظلمة بالضياء والنوم الذي
هو أخو الموت بالانتباه أو كثير من المصلين أو من حقه أن يشهده الجم الغفير والآية جامعة للصلوات
الخمس ان فسر الدلوك بالزوال ولصلوات الليل وحدها ان فسر بالغروب وقيل المراد بالصلاة
صلاة المغرب وقوله لدلوك الشمس الى غسق الليل بيان لمبدا الوقت ومنتهاه واستدل به على أن
الوقت يمتد الى غروب الشفق (ومن الليل فتهجد به) وبعض الليل فاترك الهجود للصلاة والضمير
للقرآن (نافلة لك) فريضة زائدة لك على الصلوات المفروضة أو فضيلة لك لاختصاص وجوبه بك
(عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) مقاما يحمده القائم فيه وكل من عرفه وهو مطلق في كل مقام
يتضمن كرامة والمشهور أنه مقام الشفاعة لما روى أبو هريرة رضي الله تعالى عنه أنه عليه الصلاة
والسلام قال هو المقام الذي أشفع فيه لامتي ولاشعاره بان الناس يحمدونه لقيامه فيه وما ذاك الا مقام
الشفاعة وانتصابه على الظرف باضمار فعله أي فيقيمك مقاما أو بتضمين يبعثك معناه أو الحال بمعنى
أن يبعثك ذا مقام (وقل رب أدخلني) أي في القبر (مدخل صدق) ادخالا مرضيا (وأخرجني)
أي منه عند البعث (مخرج صدق) اخراجا ملقى بالكرامة وقيل المراد ادخال المدينة والاخراج
من مكة وقيل ادخاله مكة ظاهرا عليها واخراجه منها آمنا من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه
منه سالما وقيل ادخاله فيما حمله من أعباء الرسالة واخراجه منه مؤديا حقه وقيل ادخاله في كل
ما يلابسه من مكان أو أمر واخراجه منه وقرئ مدخل ومخرج بالفتح على معنى أدخلني فادخل
دخولا وأخرجني فأخرج خروجا (واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا) حجة تنصرني على من خالفني
أو ملكا ينصر الاسلام على الكفر فاستجاب له بقوله فان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين
كله ليستخلفنهم في الارض (وقل جاء الحق) الاسلام (وزهق الباطل) وذهب وهلك الشرك
من زهق روحه اذا خرج (ان الباطل كان زهوقا) مضمحلا غير ثابت عن ابن مسعود رضي الله
عنه أنه عليه الصلاة والسلام دخل مكة يوم الفتح وفيها ثلثمائة وستون صنما فجعل ينكت بمخصرته

والثاني معناه لا نبعث الى المغازي ولا يضرب علينا البعوث والثالث التجبية وهو ان يضع يديه على ركبتيه (قوله لان اذن لا تعمل اذا اعتمد ما بعدها على ما قبلها) الاعتماد على ما قبل هو ان يكون من تتمته (قوله نعم لو فسر بالقراءة الخ) لان معناه حينئذ أقم قراءة صلاة الفجر فتكون القراءة في صلاة الفجر واجبة (قوله والاية جامعة للصلوات الخمس ان فسرنا الدلوك بالزوال وبصلوات الليل وحدها ان فسر بالغروب) ليس كذلك بل على التقدير الثاني شاملة لصلاة العشاءين وصلاة الصبح مع ان صلاة الصبح من صلاة النهار عند أهل الشرع فان ابتداء النهار عندهم من طلوع الفجر الصادق ولقد أحسن صاحب الكشاف حيث قال ان كان الدلوك الزوال فالآية جامعة للصلوات الخمس وان كان الغروب فقد خرج منها الظهر والعصر

فى عين واحد واحد منها فيقول جاء الحق و زهق الباطل فينكب لوجهه حتى ألقى جميعها و بقى صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من صفر فقال ياعلى ارم به فصعد فرمى به فكسره (وننزل من القرآن ماهو شفاء و رحمة للمؤمنين) ماهو فى تقويم دينهم واستصلاح نفوسهم كالدواء الشافى للمرضى ومن للبيان فان كله كذلك وقيل انه للتبعيض والمعنى أن منه مايشفى من المرض كالفاتحة وآيات الشفاء وقرأ البصريان ننزل بالتخفيف (ولايزيد الظالمين الاخسارا) لتكذيبهم وكفرهم به (واذا أنعمنا على الانسان) بالصحة والسعة (أعرض) عن ذكر الله (ونأى بجانبه) لوى عطفه و بعد بنفسه عنه كأنه مستغن مستبد بامره ويجوز أن يكون كناية عن الاستكبار لانه من عادة المستكبرين وقرأ ابن عامر برواية ابن ذكوان هنا وفى فصلت وناء على القلب أو على أنه بمعنى نهض (واذا مسه الشر) من مرض أوفقر (كان يؤسا) شديد اليأس من روح الله (قل كل يعمل على شاكلته) قل كل أحد يعمل على طريقته التى تشاكل حاله فى الهدى والضلالة أوجوهر روحه وأحواله التابعة لمزاج بدنه (فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا) أسد طريقا وأبين منهجا وقد فسرت الشاكلة بالطبيعة والعادة والدين (ويسئلونك عن الروح) الذى يحيا به بدن الانسان ويدبره (قل الروح من أمر ربى) من الابداعيات الكائنة بكن من غير مادة وتولد من أصل كأعضاء جسده أووجد بأمره وحدث بتكوينه على أن السؤال عن قدمه وحدوثه وقيل مما استأثره الله بعلمه لما روى أن اليهود قالوا لقريش سلوه عن أصحاب الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح فان أجاب عنها أو سكت فليس بنبى وان أجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبى فبين لهم القصتين وأبهم أمر الروح وهو مبهم فى التوراة وقيل الروح جبريل وقيل خلق أعظم من الملك وقيل القرآن ومن أمر ربى معناه من وحيه (وما أوتيتم من العلم الاقليلا) تستفيدونه بتوسط حواسكم فان اكتساب العقل للمعارف النظرية انما هو من الضروريات المستفادة من احساس الجزئيات ولذلك قيل من فقد حسا فقد فقد علما ولعل أكثر الاشياء لايدركه الحس ولاشيأ من أحواله المعرفة لذاته وهواشارة الى أن الروح مما لايمكن معرفة ذاته الا بعوارض تميزه عما يلتبس به فلذلك اقتصر على هذا الجواب كما اقتصر موسى فى جواب ومارب العالمين بذكر بعض صفاته روى أنه عليه الصلاة والسلام لما قال لهم ذلك قالوا أنحن مختصون بهذا الخطاب فقال بل نحن وأنتم فقالوا ماأعجب شأنك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولوأن مافى الارض من شجرة أقلام وماقالوه لسوء فهمهم لان الحكمة الانسانية أن يعلم من الخير والحق ماتسعه القوة البشرية بل ماينتظم به معاشه ومعاده وهو بالاضافة الى معلومات الله التى لانهاية لها قليل ينال به خير الدارين وهو بالاضافة اليه كثير (ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا اليك) اللام الأولى موطئة للقسم ولنذهبن جوابه النائب مناب جزاء الشرط والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه من المصاحف والصدور (ثم لاتجد لك به علينا وكيلا) من يتوكل علينا استرداده مسطورا محفوظا (الارحمة من ربك) فانها ان نالتك فلعلها تسترده عليك ويجوز أن يكون استثناء منقطعا بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به فيكون امتنانا بابقائه بعد المنة فى تنزيله (ان فضله كان عليك كبيرا) كارساله وانزال الكتاب عليه وابقائه فى حفظه (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن) فى البلاغة وحسن النظم وكمال المعنى (لايأتون بمثله) وفيهم العرب العرباء وأرباب البيان وأهل التحقيق

(قوله ماأعجب شأنك الخ) ادعوا ان فى القرآن تناقضا فانه تارة ادعى ان من أوتى الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وتارة يدعى انه لايؤتى الانسان الا العلم القليل فلا يعطى الخير الكثير وهذا نص فى سوء فهمهم فان كثرة شئ لاتنافى قلته اذ يمكن ان يكون شئ كثيرا بالنسبة الى شئ وقليلا بالنسبة الى غيره ومانحن فيه كذلك فان ماأوتى الانسان من الحكمة كثيرا بالسبة اليه وفى غاية القلة بالنسبة الى علم الله تعالى

وهو جواب قسم محذوف دل عليه اللام الموطئة ولولاهي لكان جواب الشرط بلا جزم لكون الشرط ماضيا كقول زهير

وان أتاه خليل يوم مسئلة * يقول لا غائب مالي ولا حرم

(ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) ولو تظاهروا على الاتيان به ولعله لم يذكر الملائكة لان اتيانهم بمثله لا يخرجه عن كونه معجزا ولانهم كانوا وسائط في اتيانه ويجوز أن تكون الآية تقريرا لقوله ثم لا تجد لك به علينا وكيلا (ولقد صرفنا) كررنا بوجوه مختلفة زيادة في التقرير والبيان (للناس في هذا القرآن من كل مثل) من كل معنى هو كالمثل في غرابته ووقوعه موقعها في الانفس (فأبى أكثر الناس الا كفورا) الا جحودا وانما جاز ذلك ولم يجز ضربت الا زيدا لانه متأول بالنفي (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا) تعنتا واقتراحا بعد ما لزمتهم الحجة ببيان اعجاز القرآن وانضمام غيره من المعجزات اليه وقرأ الكوفيون ويعقوب تفجر بالتخفيف والارض أرض مكة والينبوع عين لا ينضب ماؤها يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء اذا زخر (أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا) أو يكون لك بستان يشتمل على ذلك (أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا) يعنون قوله تعالى أو نسقط عليهم كسفا من السماء وهو كقطع لفظا ومعنى وقد سكنه ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي ويعقوب في جميع القرآن الا في الروم وابن عامر الا في هذه السورة وأبو بكر ونافع في غيرهما وحفص فيما عدا الطور وهو اما مخفف من المفتوح كسدرة وسدر أو فعل بمعنى مفعول كالطحن (أو تأتي بالله والملائكة قبيلا) كفيلا بما تدعيه أي شاهدا على صحته ضامنا لدركه أو مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر وهو حال من الله وحال الملائكة محذوفة لدلالتها عليها كما حذف الخبر في قوله * فاني وقيار بها لغريب * أو جماعة فيكون حالا من الملائكة (أو يكون لك بيت من زخرف) من ذهب وقد قرئ به وأصله الزينة (أو ترقى في السماء) في معارجها (ولن نؤمن لرقيك) وحده (حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه) وكان فيه تصديقك (قل سبحان ربي) تعجبا من اقتراحاتهم أو تنزيها لله من أن يأتي أو يتحكم عليه أو يشاركه أحد في القدرة وقرأ ابن كثير وابن عامر قال سبحان ربي أي قال الرسول (هل كنت الا بشرا) كسائر الناس (رسولا) كسائر الرسل وكانوا لا يأتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم على ما يلائم حال قومهم ولم يكن أمر الآيات اليهم ولا لهم أن يتحكموا على الله حتى تتخيروها على هذا هو الجواب المجمل وأما التفصيل فقد ذكر في آيات أخر كقوله ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا (وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى) أي وما منعهم الايمان بعد نزول الوحي وظهور الحق (الا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا) الا قولهم هذا والمعنى أنه لم يبق لهم شبهة تمنعهم عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن الا انكارهم أن يرسل الله بشرا (قل) جوابا لشبهتهم (لو كان في الارض ملائكة يمشون) كما يمشي بنو آدم (مطمئنين) ساكنين فيها (لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) لتمكنهم من الاجتماع به والتلقي منه وأما الانس فعامتهم عماة عن ادراك الملك والتلقف منه فان ذلك مشروط بنوع من التناسب والتجانس وملكا يحتمل أن يكون حالا من رسولا وأن يكون موصوفا به وكذلك بشرا والاول أوفق (قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم) على أني رسول الله اليكم باظهاره المعجزة على وفق دعواي أو على أني بلغت ما أرسلت به اليكم وأنكم عاندتم وشهيدا نصب على الحال أو التمييز (انه كان بعباده خبيرا بصيرا) يعلم أحوالهم الباطنة منها والظاهرة فيجازيهم عليها وفيه تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتهديد للكفار (ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه)

(قوله ولعله لم يذكر الملائكة الخ) أي المقصود من الآية بيان اعجاز القرآن وهو يثبت بعدم قدرة الجن والانس على الاتيان بمثله ولا يتوقف اعجازه على عدم اتيان الملائكة بمثله وههنا نظر وهو انه اذا قدر الملك على الاتيان بمثله فيمكن ان يكون القرآن من الملك أيضا فلم يثبت انه كلام الله تعالى فلم تثبت النبوة مع انها المقصود من الاعجاز والجواب ان الملك لا يأتي بالمعجز الى الكاذب على الله تعالى في دعوى النبوة (قوله ولانهم وسائط في اتيانه) يعني ان الملائكة وسائط في اتيانه فهم آتون به فلا يصح ان الملائكة لا يأتون بمثله (قوله لانه مؤول بالنفي) أي أبى أكثر الناس مؤول بالنفي لان معناه ما فعل أكثر الناس شيأ الا كفورا (قوله حتى تتخيروها على) أي ليس للانبياء والرسل ان يتحكموا على الله باظهار الآيات حتى تتخيروا أنتم على بالحكم على الله باظهار ما أنتم تريدونه ومعنى تتخيروا أي تختاروا وتحكموا على بالحكم على الله (قوله الا قولهم هذا) لا يخفى ان المراد من معنى هذا القول هو انكار بعث البشر لا نفس القول (قوله والاول أوفق) لان الانكار في قوله أبعث الله بشرا رسولا يتوجه الى بشرية الرسول لا الى الرسالة

يهـدونه (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم) يسحبون عليها أو يمشون بها روى أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم قال ان الذى أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم (عميا و بكما وصما) لا يبصرون مايقر أعينهم ولا يسمعون مايلذ مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم لانهم فى دنياهم لم يستبصروا بالآيات والعبر وتصاموا عن استماع الحق وأبوا أن ينطقوا بالصدق ويجوز أن يحشروا بعد الحساب من الموقف الى النار مؤفى القوى والحواس (مأواهم جهنم كلما خبت) سكن لهبها بأن أكلت جلودهم ولحومهم (زدناهم سعيرا) توقدا بان نبدل جلودهم ولحومهم فتعود ملتهبة مستعرة كأنهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء جزاهم الله بأن لا يزالوا على الاعادة والافناء واليه أشار بقوله (ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا) لان الاشارة الى ماتقدم من عذابهم (أولم يروا) أولم يعلموا (أن الله الذى خلق السموات والارض قادر على أن يخلق مثلهم) فانهم ليسوا أشد خلقا منهن ولا الاعادة أصعب عليه من الابداء (وجعل لهم أجلا لاريب فيه) هو الموت أو القيامة (فأبى الظالمون) مع وضوح الحق (الا كفورا) الا جحودا (قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى) خزائن رزقه وسائر نعمه وأنتم مرفوع بفعل يفسره مابعده كقول حاتم لو ذات سوار لطمتنى وفائدة هذا الحذف والتفسير المبالغة مع الايجاز والدلالة على الاختصاص (اذا لامسكتم خشية الانفاق) لبخلتم مخافة النفاد بالانفاق اذ لا أحد الا ويختار النفع لنفسه ولو آثر غيره بشئ فانما يؤثره لعوض يفوقه فهو اذن بخيل بالاضافة الى جود الله تعالى وكرمه هذا وان البخلاء أغلب فيهم (وكان الانسان قتورا) بخيلا لان بناء أمره على الحاجة والضنة بما يحتاج اليه وملاحظة العوض فيما يبذله (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) هى العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم وانفجار الماء من الحجر وانفلاق البحر ونتق الطور على بنى اسرائيل وقيل الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الثلاثة الاخيرة وعن صفوان ان يهوديا سأل النبى صلى الله عليه وسلم عنها فقال أن لا تشركوا بالله شيأ ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تمشوا ببرىء الى ذى سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود أن لا تعدوا فى السبت فقبل اليهودى يده ورجله فعلى هذا المراد بالآيات الاحكام العامة للملل الثابتة فى كل الشرائع سميت بذلك لانها تدل على حال من يتعاطى متعلقها فى الآخرة من السعادة أو الشقاوة وقوله وعليكم خاصة اليهود أن لا تعدوا حكم مستأنف زائد على الجواب ولذلك غير فيه سياق الكلام (فاسأل بنى اسرائيل اذ جاءهم) فقلنا له سلهم من فرعون ليرسلهم معك أو سلهم عن حال دينهم ويؤيده قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل على لفظ المضى بغير همز وهو لغة قريش واذ متعلق بقلنا أو سأل على هذه القراءة أو فاسأل يامحمد بنى اسرائيل عما جرى بين موسى وفرعون اذ جاءهم أو عن الآيات ليظهر للمشركين صدقك أو لتتسلى نفسك أو لتعلم أنه تعالى لو أتى بما اقترحوا لأصروا على العناد والمكابرة كمن قبلهم أو ليزداد يقينك لان تظاهر الادلة يوجب قوة اليقين وطمأنينة القلب وعلى هذا كان اذ نصبا بآتينا أو باضمار يخبروك على انه جواب الامر أو باضمار اذكر على الاستئناف (فقال له فرعون انى لاظنك ياموسى مسحورا) سحرت فتخبط عقلك (قال لقد علمت) يافرعون وقرأ الكسائى بالضم على اخباره عن نفسه (ماأنزل هؤلاء) يعنى الآيات (الا رب السموات والارض بصائر) بينات تبصرك صدقى ولكنك تعاند وانتصابه على الحال (وانى لأظنك يافرعون مثبورا) مصروفا عن الخير مطبوعا على الشر من قولهم ماثبرك عن هذا أى ماصرفك او هالكا قارع ظنه بظنه وشتان مابين

قوله فالمناسب أن يكون بشرا قيدا حتى يتوجه الانكار اليه كما هو المشهور من ان النفى يتوجه الى القيد وهذا يناسب أن يكون بشرا حالا حتى يكون قيدا (قوله لان الاشارة الى ماتقدم من عذابهم) هذا علة لقوله واليه أشار بقوله يعنى ذلك اشارة الى ماتقدمه من عذابهم وهو اعادة العذاب عليهم بعد ماخبت النار (قوله والدلالة على الاختصاص) يعنى لو أنتم تملكون خزائن رحمة الرب لمنعتم الصرف منها ولامسكتموها خشية الانفاق بخلاف مالو كان مالكها غيركم وهو الله تعالى (قوله على هذه القراءة) أى على قراءة سأل بلفظ الماضى كما قرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله وعلى هذا كان اذ نصبا بآتينا أو باضمار يخبروك أو باضمار اذكر) أى على ان يكون المراد سل يامحمد بنى اسرائيل الخ كان اذ منصوبا بآتينا الخ اذ لا يمكن جعله متعلقا بقوله فاسأل بنى اسرائيل اذ لا معنى لان يقال سل يامحمد فى اذ جاءهم أى فى زمان مجىء الآيات اياهم

الظنين فان ظن فرعون كذب بحت وظن موسى يحوم حول اليقين من تظاهر أماراته وقرئ وان اخالك يافرعون لمثبورا على ان المخففة واللام هي الفارقة (فأراد) فرعون (أن يستفزهم) أن يستخف موسى وقومه وينفيهم (من الارض) أرض مصر أو الارض مطلقا بالقتل والاستئصال (فاغرقناه ومن معه جميعا) فعكسنا عليه مكره فاستفززناه وقومه بالاغراق (وقلنا من بعده) من بعد فرعون أو اغراقه (لبني اسرائيل اسكنوا الارض) التي أراد أن يستفزكم منها (فاذا جاء وعد الآخرة) الكرة أو الحياة أو الساعة والدار الآخرة يعني قيام القيامة (جئنا بكم لفيفا) مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز سعداء كم من أشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى (و بالحق أنزلناه وبالحق نزل) أي وما أنزلنا القرآن الا ملتبسا بالحق المقتضي لانزاله وما نزل على الرسول الا ملتبسا بالحق الذي اشتمل عليه وقيل وما أنزلناه من السماء الا محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين ولعله أراد به نفي اعتراء البطلان له أول الامر وآخره (وما أرسلناك الا مبشرا) للمطيع بالثواب (ونذيرا) للعاصي بالعقاب فلا عليك الا التبشير والانذار (وقرآنا فرقناه) نزلناه مفرقا منجما وقيل فرقنا فيه الحق من الباطل فحذف الجار كما في قوله ويوما شهدناه وقرئ بالتشديد لكثرة نجومه فانه نزل في تضاعيف عشرين سنة (لتقرأه على الناس على مكث) على مهل وتؤدة فانه أيسر للحفظ وأعون في الفهم وقرئ بالفتح وهو لغة فيه (ونزلناه تنزيلا) على حسب الحوادث (قل آمنوا به أولا تؤمنوا) فان ايمانكم بالقرآن لا يزيده كمالا وامتناعكم عنه لا يورثه نقصا وقوله (ان الذين أوتوا العلم من قبله) تعليل له أي ان لم تؤمنوا به فقد آمن به من هو خير منكم وهم العلماء الذين قرؤا الكتب السابقة وعرفوا حقيقة الوحي وأمارات النبوة وتمكنوا من الميز بين المحق والمبطل أو رأوا نعتك وصفة ما أنزل اليك في تلك الكتب ويجوز أن يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية كأنه قيل تسل بايمان العلماء عن ايمان الجهلة ولا تكترث بايمانهم واعراضهم (اذا يتلى عليهم) القرآن (يخرون للاذقان سجدا) يسقطون على وجوههم تعظيما لامر الله أو شكرا لانجاز وعده في تلك الكتب ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم على فترة من الرسل وانزال القرآن عليه (ويقولون سبحان ربنا) عن خلف الموعد (ان كان وعد ربنا لمفعولا) انه كان وعده كائنا لا محالة (ويخرون للاذقان يبكون) كرره لاختلاف الحال والسبب فان الاول للشكر عند انجاز الوعد والثاني لما أثر فيهم من مواعظ القرآن حال كونهم باكين من خشية الله وذكر الذقن لانه أول ما يلقى الارض من وجه الساجد واللام فيه لاختصاص الخرور به (ويزيدهم) سماع القرآن (خشوعا) كما يزيدهم علما ويقينا بالله (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) نزلت حين سمع المشركون رسول الله يقول يا الله يا رحمن فقالوا انه ينهانا أن نعبد الهين وهو يدعو الها آخر أو قالت اليهود انك لتقل ذكر الرحمن وقد أكثره الله في التوراة والمراد على الاول هو التسوية بين اللفظين بأنهما يطلقان على ذات واحدة وان اختلف اعتبار اطلاقهما والتوحيد انما هو للذات الذي هو المعبود المطلق وعلى الثاني انهما سيان في حسن الاطلاق والافضاء الى المقصود وهو أجود لقوله (أياما تدعوا فله الاسماء الحسنى) والدعاء في الآية بمعنى التسمية وهو يتعدى الى مفعولين حذف أولهما استغناء عنه وأو للتخيير والتنوين في أيا عوض عن المضاف اليه وما صلة لتأكيد ما في أيا من الابهام والضمير في فله للمسمى لان التسمية له لا للاسم وكان أصل الكلام أياما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه فله الاسماء الحسنى للمبالغة والدلالة على ما هو الدليل عليه وكونها حسنى لدلالتها على صفات الجلال والاكرام (ولا تجهر بصلاتك) بقراءة صلاتك حتى تسمع المشركين فان ذلك يحملهم على السب واللغو فيها (ولا تخافت

(قوله واللام فيه لاختصاص الخرور به) هذا تقرير ناقص وفي الكشاف ان معنى الخرور للذقن السقوط على وجهه وانما ذكر الذقن لانه أول ما يلقى الارض للساجد فيفهم منه ان اللام لاختصاص الخرور بالوجه لان الذقن بمعنى الوجه وحينئذ اختصاص الخرور بالذقن ظاهر واما كلام المصنف فلا يفهم منه ان المراد بالذقن الوجه واما قول صاحب الكشاف انه أول ما يلقى الارض فالمراد انه أقرب أجزاء الوجه من الارض حال السجود والاولى ان يقال ان ذكر الذقن لافادة المبالغة في خرورهم لان وصول الذقن الى الارض عسير لا يكون الا بعد المبالغة في الخرور (قوله وهو أجود لقوله أياما تدعوا) أي أنسب اليه لان الحكم بالاستواء يناسب ان يكونا اسمين لذات واحدة كما هو مفهوم كلام اليهود لا أنهما اسمان لذاتين مختلفين كما زعم المشركون (قوله والدلالة على ما هو الدليل عليه) فان قوله تعالى فله الاسماء الحسنى دليل على ان تسميته بكل منهما حسن

(قوله نفى عنه الخ) فنفى الولد يدل على عدم الشريك من الجنس اختيارا ونفى الشريك من الملك يدل على عدم الشريك من غير الجنس اضطرارا ونفى الولد ونفى الولي من الذل يدل على عدم المعاون (قوله وفيه تنبيه الخ) فان قوله تعالى كبره تكبيرا معناه انسب الكبرياء والعظمة اليه ففيه اشارة الى انه تعالى أعظم وأكبر من ان يحمده الحامدون و يعرفه العارفون ﴿سورة الكهف﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ (قوله تنبيها على انه أعظم نعمائه الخ) أي تخصيص هذه النعمة التي هي القرآن بالذكر من سائر النعم على العباد دال على انه أشرف والا لزم ترجيح أحد المتساويين أو ترجيح المرجوح فان قيل الدليل المذكور على كون القرآن أفضل النعم مشترك بين القرآن و بين ارسال النبي صلى الله عليه وسلم لان النبي صلى الله عليه وسلم الهادي الى ما فيه كمال العبادة والداعي الى نظام صلاح المعاش والمعاد فيلزم ان يكون كل منهما أعظم قلنا كونه هاديا وداعيا بسبب القرآن فانه استفاد

بها) حتى لا تسمع من خلفك من المؤمنين (وابتغ بين ذلك) بين الجهر والمخافتة (سبيلا) وسطا فان الاقتصاد في جميع الامور محبوب روى ان أبا بكر رضي الله عنه كان يخفت و يقول أناجي ربي وقد علم حاجتي وعمر رضي الله عنه كان يجهر و يقول أطرد الشيطان وأوقظ الوسنان فلما نزلت أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر أن يرفع قليلا وعمر أن يخفض قليلا وقيل معناه لا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها بأسرها وابتغ بين ذلك سبيلا بالاخفات نهارا والجهر ليلا (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك) في الالوهية (ولم يكن له ولي من الذل) ولي يواليه من أجل مذلة به ليدفعها بموالاته نفى عنه أن يكون له ما يشاركه من جنسه ومن غير جنسه اختيارا واضطرارا وما يعاونه و يقويه ورتب الحمد عليه للدلالة على أنه الذي يستحق جنس الحمد لانه الكامل الذات المنفرد بالايجاد المنعم على الاطلاق وما عداه ناقص مملوك نعمة أو منعم عليه ولذلك عطف عليه قوله (وكبره تكبيرا) وفيه تنبيه على ان العبد وان بالغ في التنزيه والتمجيد واجتهد في العبادة والتحميد ينبغي أن يعترف بالقصور عن حقه في ذلك روي أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا أفصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الآية وعنه عليه السلام من قرأ سورة بني اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار ألف أوقية ومائتا أوقية والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

﴿سورة الكهف مكية وقيل الا قوله واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم الآية وهي مائة واحدى عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب) يعني القرآن رتب استحقاق الحمد على انزاله تنبيها على انه أعظم نعمائه وذلك لانه الهادي الى ما فيه كمال العباد والداعي الى ما به ينتظم صلاح المعاش والمعاد (ولم يجعل له عوجا) شيأ من العوج باختلال في اللفظ وتناف في المعنى أو انحراف من الدعوة الى جناب الحق وهو في المعاني كالعوج في الاعيان (قيما) مستقيما معتدلا لا افراط فيه ولا تفريط أو قيما بمصالح العباد فيكون وصفا له بالتكميل بعد وصفه بالكمال أو على الكتب السابقة يشهد بصحتها وانتصابه بمضمر تقديره جعله قيما أو على الحال من الضمير في له أو من الكتاب على أن الواو في ولم يجعل للحال

الامور الدينية منه فالقرآن هو الاصل واعلم ان صاحب الكشاف جعل ههنا أجزل النعماء نعمة الاسلام وانزال القرآن حيث قال لقن الله عباده كيف يحمدونه على أجزل نعمائه عليهم وهي نعمة الاسلام وما أنزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم (قوله شيأ من العوج) لان المنكر اذا كان داخلا في سياق النفي يفيد العموم (قوله وتناف في المعنى) لو فسر العوج في المعنى بما لا يقبله العقل السليم لكان أولى ليعم التنافي وغيره ولذا فسره صاحب الكشاف بنفي الاختلاف والتناقض عن معانيه وخروج شيء من الحكمة والاصابة فيه (قوله وهو في المعاني الخ) أي العوج بكسر العين يستعمل في المعاني كما ان العوج بفتح العين يستعمل في الاعيان أي الاجسام و يوافقه ما قاله الراغب ان العوج بالكسر دون يستعمل فيما يدرك بالبصيرة والعوج بالفتح يستعمل فيما يدرك بالبصر كالخشب المنتصب (قوله مستقيما لا افراط فيه ولا تفريط) أي ليس في القرآن الكريم افراط في الامر بالعبادات والنهي عن الاشياء ومبالغة في الاجتهاد بحيث يتعسر على البشر ولا تقصير في بيان الامور التي يجب ان تراعى بحسب الفعل والترك وعلى هذا لا يكون قيما تأكيدا لنفي العوج ولا عكسه بخلاف ما ذكره صاحب الكشاف حيث قال فان قلت ما فائدة الجمع بين نفي العوج والاستقامة وفي أحدهما غنى عن الآخر قلت فائدته التأكيد فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة وهو لا يخلو عن أدنى عوج بالتفتيش والتصفح هذا كلامه أقول يرد على هذا التقدير ان المناسب له تقديم القيم على نفي العوج حتى يكون نفي العوج محتاجا اليه لكونه مزيلا لما يتوهم من بقاء شيء من العوج واما اذا ذكر نفي شيء من العوج مطلقا

لا حاجة الى ذكر القيم والوجه ان يقال ان ذكر القيم لاجل ان لا يتوهم ان له عوجا ذاتيا لا بالجعل فان بعض الاشياء مما تنفر عنه الطباع السليمة و يستقبح لا بجعل الجاعل بل لصفة ذاتية (قوله ولذلك قيل فيه تقديم وتأخير) أى من جعل الواو للعطف وقيما حالا من الكتاب لزمه ان يقول بان فى هذا التركيب تقديما وتأخيرا فيكون قيما مقدما حقيقة مؤخرا لفظا (قوله فحذف الاول اكتفاء بدلالة القرينة) فيه ان القرينة لا تدل على اعتبار خصوص الكافرين بل على اعتبار عموم العاصين لان الانذار مناسب لمطلق العصاة وكذا المقابلة بالذين آمنوا وعملوا الصالحات وقد يقال المراد من البأس الشديد العذاب الذى بلغ الغاية وهو مخصوص بالكافرين (قوله وكرر الانذار متعلقا بهم الخ) أى بالمثبتين للولد التكرار حاصل بتعليق الانذار بهم وانما يفيد الاستعظام لكونه تخصيصا بعد تعميم (قوله أى بالولد) أى ليس لهم علم بما يترتب على كون الولد لله تعالى من المحالات (قوله أو بالله) عطف على قوله بالولد (قوله من غير علم بالمعنى الذى أرادوا به) أى من غير علم الأواخر منهم بالمعنى الذى اراده الأوائل منهم من اللفظ الذى كانوا يقولونه وانهم كانوا يقولون الابن على الاثر والاب على المؤثر فلم يفهم الأواخر ما أراده الأوائل فتوهموا ان مراد الأوائل من لفظ الابن الولد (قوله اذ لو علموه) هذا دليل يتعلق بكل من التقادير أى لو علموا ما يترتب على كون الولد ولد لما جوزوا الخ أو علموا ما فى الاتخاذ أو لو علموا ما أراد به الأوائل منهم لما جوزوا (قوله الذين تقولوه بمعنى التبنى) أى ليس المراد ان ليس

لا بائهم مطلقا علم به بل لآبائهم الذين يقولون بانه تعالى تبنى أحدا واما آباؤهم الذين يقولون بان لله تعالى ابنا بمعنى انه أوجده فهم عالمون (قوله لما فيها من التشبيه والتشريك) فان المتبنى من جنس المتبنى ومتبنى كل أحد شبيهه وشريكه فى الحقيقة ولوازمها الى غير ذلك من الزيغ مثل لزوم الجسمية والتحيز والامكان والحدوث اذ الولد من جنس الأب ولقائل ان يقول لم لا يجوز ان يكون اتخاذ الابن لا لما ذكر بل لعلة شرفه والتقرب الى الأب فى

دون العطف اذ لو كان للعطف لكان المعطوف فاصلا بين أبعاض المعطوف عليه ولذلك قيل فيه تقديم وتأخير وقرئ قيما (لينذر بأسا شديدا) أى لينذر الذين كفروا عذابا شديدا فحذف المفعول الاول اكتفاء بدلالة القرينة واقتصارا على الغرض المسوق اليه (من لدنه) صادرا من عنده وقرأ أبو بكر باسكان الدال كاسكان الباء من سبع مع الأشمام ليدل على أصله وكسر النون لالتقاء الساكنين وكسر الهاء للاتباع (ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا) هو الجنة (ما كثين فيه) فى الاجر (أبدا) بلا انقطاع (وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا) خصهم بالذكر وكرر الانذار متعلقا بهم استعظاما لكفرهم وانما لم يذكر المنذر به استغناء بتقدم ذكره (ما لهم به من علم) أى بالولد أو باتخاذه أو بالقول والمعنى أنهم يقولونه عن جهل مفرط وتوهم كاذب أو تقليد لما سمعوه من أوائلهم من غير علم بالمعنى الذى أرادوا به فانهم كانوا يطلقون الأب والابن بمعنى المؤثر والاثر أو بالله اذ لو علموه لما جوزوا نسبة الاتخاذ اليه (ولا لآبائهم) الذين تقولوه بمعنى التبنى (كبرت كلمة) عظمت مقالتهم هذه فى الكفر لما فيها من التشبيه والتشريك وايهام احتياجه تعالى الى ولد يعينه ويخلفه الى غير ذلك من الزيغ وكلمة نصب على التمييز وقرئ بالرفع على الفاعلية والاول أبلغ وأدل على المقصود (تخرج من أفواههم) صفة لها تفيد استعظام اجترائهم على اخراجها من أفواههم والخارج بالذات هو الهواء الحامل لها وقيل صفة محذوف هو المخصوص بالذم لان كبر ههنا بمعنى بئس وقرئ كبرت بالسكون مع الاشمام (ان يقولون الا كذبا فلعلك باخع نفسك) قاتلها (على آثارهم) اذا ولوا عن الايمان شبههم لما داخله

صفات الكمال وان لم يكونا من جنس واحد والاولى ان يقال لا معنى لاتخاذ الولد الا ان يكون وارثه وخليفة عنه وهذا فى حقه تعالى محال واما تقريب أحد غيره الى نفسه لمناسبات بينهما فلا وجه لجعله اتخاذ الولد (قوله وكلمة نصب على التمييز) من الضمير المبهم المستتر فيه كما فى نعم رجلا زيد (قوله يفيد استعظام اجترائهم الخ) لما كان من المعلوم ان الكلمة تخرج من أفواههم ففائدة التنبيه بهذه الصفة تفيد استعظامها فكان كبرها باعتبار هذه الصفة أى هى كلمة يجب ان لا يتكلم بها أحد فالتكلم بها لا يكون الا لعظم الجراءة (قوله والخارج بالذات هو الهواء الحامل لها) فان الكلمة لفظ هو كيفية صوت يحصل للهواء الخارج من الصدر فالخارج بالذات هو الهواء الذى يكيف بالكيفية المذكورة وخروج الكلمة بالعروض (قوله وقيل صفة محذوف هو المخصوص بالذم) والمعنى كبرت كلمة قول يخرج من أفواههم (قوله بالسكون مع الاشمام) أى بسكون الباء مع اشمام الضمة (قوله لعلك باخع نفسك) فان قلت ان معنى الترجى الذى هو معنى لعل لا يتصور فى المتكلم الذى هو الله تعالى ولا فى المخاطب الذى هو النبى صلى الله عليه وسلم اذ لا يكون راجيا لبخعه قلنا المراد أنت فى صورة من يرجى منه البخع كما قال فى تفسير لعلكم تتقون انه يجوز ان يكون حالا من ضمير خلقكم على معنى انه خلقكم فى صورة من يرجى منه التقوى (قوله شبهه الخ) أى شبه الله النبى عليه الصلاة والسلام بمن فارقته أعزته و وجه

الشبه ما حصل فى صدره من الوجد وهذا التشبيه مستفاد من قوله تعالى باخع نفسك فلذا قال فهو يتحسر على آثارهم أى توليهم و يبخع نفسه وجدا عليه ولذا جعل أسفا مفعولا لا مطلقا لفعل مقدر هو يتحسر (قوله للتأسف أو متأسفا) أى أسفا اما مفعول له بباخع لان البخع والتأسف فعلا فاعل واحد واما حال عنه (قوله فلا يجوز اعمال باخع الخ) يعنى اذا قرئ ان بالكسر كان باخعا للاستقبال فيوجد شرط عمله فينصب نفسك واما اذا قرئ ان بالفتح كان باخع للماضى لأن ان لم يؤمنوا للماضى لأن لم جعله للماضى فيكون المعنى لعلك بخعت نفسك لاجل عدم ايمانهم فى الماضى ولا يعمل فى المفعول الا اذا جعل باخع حكاية حال ماضية أى لتصور تلك الحالة فى ذهن المخاطب حتى كأنه واقع فى ذلك الزمان فيوجد شرط عمله فان قيل لم لا يجوز ان يكون ان لم يؤمنوا للماضى و باخع للحال والاستقبال والمعنى لعلك باخع نفسك فى الحال أو المستقبل لتوليهم فى الزمان الماضى قلنا تفوت المبالغة فى وجده صلى الله عليه وسلم على توليهم اذ التأكيد فى ان يكون البخع فى بدء زمان التولى لا بعده ومن هذا يعلم ان لم لا تقلب المضارع الى الماضى اذا اجتمعت مع ان الشرطية واذا اجتمعت مع ان الناصبة قلبتها الى المضى والفرق ان الناصبة قد تدخل على فعل ماض لفظا ومعنى كقوله تعالى لولا ان من الله علينا لخسف بنا واما ان الشرطية فليست كذلك فلقوتها غلبت على لم (قوله وهو من زهد فيه الخ) ماذكره يفيد

(٢١٦)

من الوجد على توليهم بمن فارقته أعزته فهو يتحسر على آثارهم و يبخع نفسه وجدا عليهم وقرئ باخع نفسك على الاضافة (ان لم يؤمنوا بهذا الحديث) بهذا القرآن (أسفا) للتأسف عليهم أو متأسفا عليهم والاسف فرط الحزن والغضب وقرئ أن بالفتح على لان فلا يجوز اعمال باخع الا اذا جعل حكاية حال ماضية (انا جعلنا ما على الارض) من الحيوان والنبات والمعادن (زينة لها) ولاهلها (لنبلوهم أيهم أحسن عملا) فى تعاطيه وهو من زهد فيه ولم يغتر به وقنع منه بما يزجى به أيامه وصرفه على ما ينبغى وفيه تسكين لرسول الله صلى الله عليه وسلم (وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا) تزهيد فيه والجرز الارض التى قطع نباتها مأخوذ من الجرز وهو القطع والمعنى انا لنعيد ما عليها من الزينة ترابا مستويا بالارض ونجعله كصعيد أملس لا نبات فيه (أم حسبت) بل أحسبت (أن أصحاب الكهف والرقيم) فى ابقاء حياتهم مدة مديدة (كانوا من آياتنا عجبا) وقصتهم بالاضافة الى خلق ما على الارض من الاجناس والانواع الفائتة للحصر على طبائع متباعدة وهيآت متخالفة تعجب الناظرين من مادة واحدة ثم ردها اليها ليس بعجيب مع أنه من آيات الله كالنزر الحقير والكهف الغار الواسع فى الجبل والرقيم اسم الجبل أو الوادى الذى فيه كهفهم أو اسم قريتهم أو كلبهم قال أمية بن أبى الصلت

وليس بها الا الرقيم مجاورا * وصيدهم والقوم فى الكهف هجد

أو لوح رصاصى أو حجرى رقت فيه أسماؤهم وجعل على باب الكهف وقيل أصحاب الرقيم قوم آخرون كانوا ثلاثة خرجوا يرتادون لاهلهم فأخذتهم السماء فأووا الى الكهف فانحطت صخرة وسدت بابه فقال أحدهم اذكروا أيكم عمل حسنة لعل الله يرحمنا ببركته فقال أحدهم

الحسن ولا يفيد الأحسنية لان من لم يكن على الطريق الذى ذكره لم يكن له حسن العمل والاولى ان يقال معناه ليبلو مراتب الاشخاص فى الزهد والقناعة فان للزهد عن الدنيا مراتب فان بعضهم يقتصرون على قدر الضرورة و بعضهم جاوز عنه (قوله وفيه تسكين لرسول الله صلى الله عليه وسلم) لانه يفهم ان مدار الامر على حسن العمل فلا ضير لغيره عند وجوده فلا يضرك تولى المشركين بل لك الدرجة العليا والسعادة العظمى لانك أحسن عملا من غيرك واما العمل الحسن لغيرك فهو نتيجة عملك ولا يخفى ان هذا تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم استعملت

(قوله تزهيد فيه) أى تزهيد وتقليل فى أخذ ما على الارض لانه لما صار آخر الى التراب لا ينبغى ان يكتسب و يجمع أكثر مما يحتاج اليه (قوله وقصتهم الخ) بيان ربط هذه القصة مع الآية السابقة (قوله ليس بعجيب خبر قصتهم) يعنى ان اتخاذ أنواع ما على الارض أعجب بمراتب غير متناهية من قصة أصحاب الكهف لكن شأن الانسان ان لا يتعجب مما يأنس به و يشاهد كثيرا بخلاف ما يشاهده نادرا (قوله مع انه من آيات الله كالنزر الحقير) ماذكره أولا يفيد ان قصة أصحاب الكهف بالنسبة الى الآيات المذكورة ليس بعظيم وههنا يدل على انه فى حد ذاته ليس بامر عظيم بل حقير و يمكن أن يكون ضمير مع انه راجع الى خلق ما فى الارض الخ يعنى أن خلق ما فى الارض مع انه عظيم بالنسبة الى حال أصحاب الكهف فهو حقير بالنسبة الى ممتنع آيات الله تعالى (قوله قال أمية بن أبى الصلت الخ) هذا دليل على أن الرقيم الكلب لانه ذكر أن الرقيم مجاور للوصيد الذى هو فناء البيت وقد يعلم مما يجىء من قوله تعالى وتقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد ان المجاور للوصيد الكلب

استعملت أجراء ذات يوم فجاء رجل وسط النهار وعمل فى بقيته مثل عملهم فاعطيته مثل أجرهم فغضب أحدهم وترك أجره فوضعته فى جانب البيت ثم مر بى بقر فاشتريت به فصيلة فبلغت ماشاء الله فرجع الى بعد حين شيخا ضعيفا لاأعرفه وقال ان لى عندك حقا وذكره لى حتى عرفته فدفعتها اليه جميعا اللهم ان كنت فعلت ذلك لوجهك فافرج عنا فانصدع الجبل حتى رأوا الضوء وقال آخر كان فى فضل وأصابت الناس شدة فجاءتنى امرأة فطلبت منى معروفا فقلت والله ما هو دون نفسك فأبت وعادت ثم رجعت ثلاثا ثم ذكرت لزوجها فقال أجيبى له وأغيثى عيالك فأتت وسلمت الى نفسها فلما تكشفتها وهممت بها ارتعدت فقلت مالك قالت أخاف الله فقلت لها خفته فى الشدة ولم أخفه فى الرخاء فتركتها وأعطيتها ملتمسها اللهم ان كنت فعلته لوجهك فافرج عنا فانصدع حتى تعارفوا وقال الثالث كان لى أبوان همان وكانت لى غنم وكنت أطعمهما وأسقيهما ثم أرجع الى غنمى فحبسنى ذات يوم غيث فلم أبرح حتى أمسيت فاتيت أهلى وأخذت محلبى فحلبت فيه ومضيت اليهما فوجدتهما نائمين فشق على أن أوقظهما فتوقعت جالسا ومحلبى على يدى حتى أيقظهما الصبح فسقيتهما اللهم ان كنت فعلته لوجهك فافرج عنا ففرج الله عنهم فخرجوا وقد رفع ذلك نعمان بن بشير (اذ أوى الفتية الى الكهف) يعنى فتية من أشراف الروم أرادهم دقيانوس على الشرك فابوا وهربوا الى الكهف (فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة) توجب لنا المغفرة والرزق والامن من العدو (وهيئ لنا من أمرنا) من الامر الذى نحن عليه من مفارقة الكفار (رشدا) نصير بسببه راشدين مهتدين أو اجعل أمرنا كله رشدا كقولك رأيت منك أسدا وأصل التهيئة احداث هيئة الشئ (فضربنا على آذانهم) أى ضربنا عليهم حجابا يمنع السماع بمعنى أنمناهم انامة لاتنبههم فيها الاصوات فحذف المفعول كما حذف فى قولهم بنى على امرأته (فى الكهف سنين) ظرفان لضربنا (عددا) أى ذوات عدد ووصف السنين به يحتمل التكثير والتقليل فان مدة لبثهم كبعض يوم عنده (ثم بعثناهم) أيقظناهم (لنعلم) ليتعلق علمنا تعلقا حاليا مطابقا لتعلقه أولا تعلقا استقباليا (أى الحزبين) المختلفين منهم أو من غيرهم فى مدة لبثهم (أحصى لما لبثوا أمدا) ضبط أمد الزمان لبثهم وما فى أى من معنى الاستفهام علق عنه لنعلم فهو مبتدا وأحصى خبره وهو فعل ماض وأمدا مفعول له ولما لبثوا حال منه أو مفعول له وقيل انه المفعول واللام مزيدة وما موصولة وأمدا تمييز وقيل أحصى اسم تفضيل من الاحصاء بحذف الزوائد كقولهم هو أحصى للمال وأفلس من ابن المذلق وأمدا نصب بفعل دل عليه أحصى كقوله

(قوله وقد رفع ذلك نعمان بن بشير) أى رفع نعمان بن بشير هذا الحديث المشتمل على قصة هؤلاء الثلاثة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى الصحيحين عن ابن عمر مثل هذا الحديث لكن على غير هذا الترتيب ومع زيادة ونقص فاذكر فى هذه الرواية ثالثا جعلاه فى المرتبة الاولى (قوله وقيل أصحاب الرقيم) هذا خلاف الظاهر اذ لو كان كذلك لكان المناسب أن يقال أصحاب الكهف وأصحاب الرقيم فاما مع عدم تكراره فالمتبادر أن يكون أصحاب الكهف والرقيم معا جعلوا احدا ولذا قال قيل (قوله أرادهم) أى كلهم (قوله رحمة توجب لنا المغفرة الخ) لايخفى أن المغفرة رحمة فالظاهر أن يقال رحمته هى المغفرة كما قاله صاحب الكشاف لكنه أراد بالرحمة عملا يوجب الامور المذكورة وصاحب الكشاف نظر الى أن الرحمة هى الامر الذى ينتفع به المخلوق فيشمل نفس المغفرة وغيرها ولعل فائدة ذلك انا نطلب من محض لطفك رحمة لا انا عملنا شيأ نستحق به المغفرة والرزق (قوله أو اجعل أمرنا كله راشدا) ففيه مبالغتان احداهما جعل الامر نفس الرشد فهو كزيد عدل لان الرشد مصدر والثانية تجريد الرشد من الامر فانتزع من الامر الرشد مثله (قوله بنى على امرأته) أى بنى الحجاب عليها (قوله ووصف سنين به الخ) أى فائدة وصف السنين به يحتمل أن يكون لافادة الكثرة أى سنين كثيرة ويحتمل التقليل أى سنين قليلة ووصفها بالقلة مع كونها أكثر من ثلثمائة لانها كبعض يوم عنده لقوله تعالى وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون واذا كان يوم عنده تعالى كألف سنة مما تعدون كان السنين المذكورة كبعض اليوم (قوله لتعلق علمنا تعلقا حاليا الخ) هذا دفع أن يتوهم حدوث علمه تعالى فلزم الجهل السابق تعالى عن ذلك فالمراد أن يحدث تعلق علمنا الذى هو الصفة الثابتة تعلقا حاليا أى نعلم ان الامر واقع فى الحال بعد ان علمنا فى الماضى أنه سيقع فى الاستقبال أى فى مستقبل الزمان يعنى انه تعالى علم فى الازل أنه يقع ذلك الشئ فيما لايزال واذا وقع ذلك الشئ تعلق علمه بانه واقع فى الحال فان قلت يفهم من قوله تعالى لنعلم الخ انه أمر عظيم حتى تصير سببا على بعثهم بعد اماتتهم فما وجه عظمه قلنا لما تعلق علمه تعالى فى الازل ببعثهم فى ذلك الزمان وجب بعثهم فيه والا لزم الجهل وهو مستلزم للعلم الحالى الذى ذكره المصنف (قوله ولما لبثوا حال منه) والتقدير أمدا كائنا للبثهم فما مصدرية (قوله وأمدا نصب بفعل دل عليه أحصى)

أى أحصى أمدا فيكون أحصى الاول اسم تفضيل وأحصى الثانى فعلا ماضيا بمعنى ضبط كما مر (قوله قومنا عطف بيان) لان المقصود ههنا جعل القوم محكوما عليهم بأنهم اتخذوا آلهة من دون الله الخ (قوله خبر فى معنى الانكار) ودليله لولا يأتون عليهم بسلطان بين (قوله وفيه دليل على أن ما لا دليل عليه من الديانات) أى من أصول الدين مردود ولا يصح التقليد فى الاصول

و يمكن أن يقال المراد من الديانات مطلق الامور الدينية أصولا وفروعا وأما كون شخص مقلد الآخر فى المذهب فليس من التقليد بلا دليل بل قول المجتهد دليل عليه (قوله جنوبيا) أى بابه مقابل القطب الشمالى وهو ذاهب الى جانب الجنوب (قوله فى مقابلة بنات نعش) أى بنات نعش الكبرى والصغرى التى تدور قريب القطب الشمالى (قوله وأقرب المشارق والمغارب) كل نقطة على الافق تطلع منه الشمس تسمى مشرقا ولما كان الكهف فى جانب شمال منطقة البروج كان الاقرب الى محاذاة الكهف مشرق رأس السرطان أى نقطة على الافق تطلع منها الشمس اذا كانت فى رأس السرطان أى أوله لان مشرق رأس السرطان أقرب الى القطب من سائر المشارق فلا جرم يكون أشد محاذاة للكهف من سائر المشارق فاذا طلعت من هذا المشرق يقع شعاعها فى الجانب الغربى من

* واضرب منا بالسيوف القوانسا * (نحن نقص عليك نبأهم بالحق) بالصدق (انهم فتية) شبان جمع فتى كصبى وصبية (آمنوا بربهم وزدناهم هدى) بالتثبيت (وربطنا على قلوبهم) وقويناها بالصبر على هجر الوطن والاهل والمال والجراءة على اظهار الحق والرد على دقيانوس الجبار (اذ قاموا) بين يديه (فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا) والله لقد قلنا قولا ذا شطط أى ذا بعد عن الحق مفرط فى الظلم (هؤلاء) مبتدأ (قومنا) عطف بيان (اتخذوا من دونه آلهة) خبره وهو اخبار فى معنى انكار (لولا يأتون) هلا يأتون (عليهم) على عبادتهم (بسلطان بين) ببرهان ظاهر فان الدين لا يؤخذ الا به وفيه دليل على أن ما لا دليل عليه من الديانات مردود وأن التقليد فيه غير جائز (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا) بنسبة الشريك اليه (واذ اعتزلتموهم) خطاب بعضهم لبعض (وما يعبدون الا الله) عطف على الضمير المنصوب أى واذا اعتزلتم القوم ومعبوديهم الا الله فانهم كانوا يعبدون الله ويعبدون الاصنام كسائر المشركين ويجوز أن تكون ما مصدرية على تقدير واذ اعتزلتموهم وعبادتهم الا عبادة الله وأن تكون نافية على أنه اخبار من الله تعالى عن الفتية بالتوحيد معترض بين اذ وجوابه لتحقيق اعتزالهم (فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم) يبسط الرزق لكم ويوسع عليكم (من رحمته) فى الدارين (ويهيئ لكم من أمركم مرفقا) ما ترتفقون به أى تنتفعون وجزمهم بذلك لنصوع يقينهم وقوة وثوقهم بفضل الله تعالى وقرأ نافع وابن عامر مرفقا بفتح الميم وكسر الفاء وهو مصدر جاء شاذا كالمرجع والمحيض فان قياسه الفتح (وترى الشمس) لو رأيتهم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لكل أحد (اذا طلعت تزاور عن كهفهم) تميل عنه ولا يقع شعاعها عليهم فيؤذيهم لان الكهف كان جنوبيا أو لان الله تعالى زوّرها عنهم وأصله تتزاور فأدغمت التاء فى الزاى وقرأ الكوفيون بحذفها وابن عامر ويعقوب تزور كتحمر وقرئ تزوار كتحمار وكلاهما من الزور بمعنى الميل (ذات اليمين) جهة اليمين وحقيقتها الجهة ذات اسم اليمين (واذا غربت تقرضهم) تقطعهم وتصرم عنهم (ذات الشمال) يعنى يمين الكهف وشماله لقوله (وهم فى فجوة منه) أى وهم فى متسع من الكهف يعنى فى وسطه بحيث ينالهم روح الهواء ولا يؤذيهم كرب الغار ولا حر الشمس وذلك لان باب الكهف فى مقابلة بنات نعش وأقرب المشارق والمغارب الى محاذاته مشرق رأس السرطان ومغربه والشمس اذا كان مدارها مداره تطلع مائلة عنه مقابلة لجانبه الايمن وهو الذى يلى المغرب وتغرب محاذية لجانبه الايسر فيقع شعاعها على جانبيه ويحلل عفونته ويعدل هواءه ولا يقع عليهم فيؤذى أجسادهم ويبلى ثيابهم (ذلك من آيات الله) أى شأنهم وايواؤهم الى كهف شأنه كذلك أو اخبارك قصتهم أو ازورار الشمس عنهم وقرضها طالعة وغاربة من آيات الله (من يهد الله) بالتوفيق (فهو المهتد) الذى أصاب الفلاح والمراد به اما الثناء عليهم أو التنبيه على أن أمثال هذه الآيات كثيرة ولكن المنتفع بها من وفقه الله للتأمل فيها والاستبصار بها (ومن يضلل) ومن يخذله (فلن تجد له وليا مرشدا) من يليه ويرشده (وتحسبهم أيقاظا) لانفتاح عيونهم أو لكثرة تقلبهم (وهم رقود) نيام

الكهف واذا غربت فى مغرب رأس السرطان تكون أقرب محاذاة الى الكهف من سائر المغارب لان هذا المغرب أقرب الى القطب الشمالى (قوله تطلع مائلة عنه مقابلة لجانبه الايمن) وهو الذى يلى المغرب تسمية الجانب الغربى باليمين باعتبار قربه ليمين الداخل فيه فيكون الجانب الشرقى شمالا مثل ما ذكر (قوله أو لكثرة تقلبهم) فى الكشاف قيل عيونهم ونقلبهم

(ونقلبهم) فى رقدتهم (ذات اليمين وذات الشمال) كيلا تأكل الارض ما يليها من أبدانهم على طول الزمان وقرئ ويقلبهم بالياء والضمير لله تعالى وتقلبهم على المصدر منصوبا بفعل يدل عليه وتحسبهم أى وترى تقلبهم (وكلبهم) هو كلب مر وابه فتبعهم فطردوه فانطقه الله تعالى فقال أنا أحب أحباء الله فناموا وأنا أحرسكم أو كلب راع مر وابه فتبعهم وتبعه الكلب ويؤيده قراءة من قرأ وكالبهم أى وصاحب كلبهم (باسط ذراعيه) حكاية حال ماضية ولذلك أعمل اسم الفاعل (بالوصيد) بفناء الكهف وقيل الوصيد الباب وقيل العتبة (لواطلعت عليهم) فنظرت اليهم وقرئ لواطلعت بضم الواو (لوليت منهم فرارا) لهربت منهم وفرارا يحتمل المصدر لانه نوع من التولية والعلة والحال (ولملئت منهم رعبا) خوفا يملأ صدرك بما ألبسهم الله من الهيبة أو لعظم أجرامهم وانفتاح عيونهم وقيل لوحشة مكانهم وعن معاوية رضى الله عنه أنه غزا الروم فمر بالكهف فقال لوكشف لنا عن هؤلاء فنظرنا اليهم فقال له ابن عباس رضى الله عنهما ليس لك ذلك قد منع الله تعالى منه من هو خير منك فقال لواطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فلم يسمع وبعث ناسا فلما دخلوا جاءت ريح فاحرقتهم وقرأ الحجازيان لملئت بالتشديد للمبالغة وابن عامر والكسائى ويعقوب رعبا بالتثقيل (وكذلك بعثناهم) وكما أنمناهم آية بعثناهم آية على كمال قدرتنا (ليتساءلوا بينهم) ليسأل بعضهم بعضا فيتعرفوا حالهم وما صنع الله بهم فيزدادوا يقينا على كمال قدرة الله تعالى ويستبصروا به أمر البعث ويشكروا ما أنعم الله به عليهم (قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم) بناء على غالب ظنهم لان النائم لا يحصى مدة نومه ولذلك أحالوا العلم الى الله تعالى (قالوا ربكم أعلم بما لبثتم) ويجوز أن يكون ذلك قول بعضهم وهذا انكار الآخرين عليهم وقيل انهم دخلوا الكهف غدوة وانتبهوا ظهيرة وظنوا أنهم فى يومهم أو اليوم الذى بعده قالوا ذلك فلما نظروا الى طول أظفارهم وأشعارهم قالوا هذا ثم لما علموا أن الامر ملتبس لا طريق لهم الى علمه أخذوا فيما يهمهم وقالوا (فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة) والورق الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة وقرأ أبو بكر وأبو عمرو وحمزة وروح عن يعقوب بالتخفيف وقرئ بالتثقيل وادغام القاف فى الكاف وبالتخفيف مكسورا والواو مدغما وغير مدغم ورد المدغم لالتقاء الساكنين على غير حده وحملهم له دليل على أن التزود رأى المتوكلين والمدينة طرسوس (فلينظر أيها) أى أهلها (أزكى طعاما) أحل وأطيب أو أكثر وأرخص (فليأتكم برزق منه وليتلطف) وليتكلف اللطف فى المعاملة حتى لا يغبن أو فى التخفى حتى لا يعرف (ولا يشعرن بكم أحدا) ولا يفعلن ما يؤدى الى الشعور (انهم ان يظهروا عليكم) أى يطلعوا عليكم أو يظفروا بكم والضمير للاهل المقدر فى أيها (يرجموكم) يقتلوكم بالرجم (أو يعيدوكم فى ملتهم) أو يصيروكم اليها كرها من العود بمعنى الصيرورة وقيل كانوا أولا على دينهم فآمنوا (ولن تفلحوا اذا أبدا) ان دخلتم فى ملتهم (وكذلك أعثرنا عليهم) وكما أنمناهم وبعثناهم لتزداد بصيرتهم أطلعنا عليهم (ليعلموا) ليعلم الذين أطلعناهم على حالهم (ان وعد الله) بالبعث أو الموعود الذى هو البعث (حق) لان نومهم وانتباههم كحال من يموت ثم يبعث (وأن الساعة لا ريب فيها) وأن القيامة لا ريب فى امكانها

لا وجه للاطلاع على موضع يوجب فرار المطلع سيما النبى صلى الله عليه وسلم (قوله ولذلك أحالوا الخ) أى اختلفوا بينهم ثم اتفقوا على ان الله أعلم بمدة لبثهم أو يكون القولان المتقدمان قول بعضهم والقول الثالث قول البعض الآخر (قوله بالتخفيف) أى تسكين الراء قالوا ذلك اشارة الى قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم وهذا اشارة الى ربكم أعلم بما لبثتم (قوله ويرد المدغم لالتقاء الساكنين على غير حده) الساكنان هما الراء والقاف المدغمة فى الكاف وانما كان على غير حده لان حد التقاء الساكنين أن يكون الاول حرف مد (قوله أو يصيروكم اليها كرها) فيه نظر فان المصير الى ملة الكفر كرها لا يوجب الكفر لان محل الايمان القلب فكيف يترتب عليه عدم الفلاح أبدا قلنا تصحيح ماذكر يكون بان يثبت أن الاكراه فى ذلك الزمان لا يرفع الحرج فان ثبت صح كلام المصنف والظاهر أن المراد من يعيدوكم فى ملتهم انهم يحتالون أنواع الحيل حتى يجلب اليكم الكفر وهو يوجب عدم الفلاح أبدا (قوله وأن الساعة لا ريب فى امكانها) قد فسر قوله تعالى وعد الله حق بان البعث حق وفسر قوله تعالى ان الساعة آتية لا ريب فيها بانه لا ريب فى امكانها فحينئذ توجه ان بعد تحقق حقيقة البعث لا حاجة الى ذكر امكان البعث بعده بل حق النظم أن يقال لا ريب فى امكان الشئ ثم بعد ذلك يقال انه متحقق والذى وصل اليه فهمى

والله أعلم أن يقال ان المراد بقوله وعد الله حق ان كل ما وعد الله حق لان من قدرته في البعث المذكور وهو بعث أصحاب الكهف بعد نومهم فهو في غاية القدرة فكل ما وعده يكون متحققا البتة وحينئذ يكون قوله تعالى وان الساعة لا ريب فيها انه لا ريب في تحققها فحينئذ يكون تخصيصا بعد تعميم وفيه بحث سيجيء (قوله فان من توفى الخ) لك أن تقول التوفى ممنوع لانه قال ان الله تعالى أنامهم والجواب أن المراد من التوفى ههنا الانامة كما قال تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها بقي أن يقال البعث من النوم ليس كاعادة الروح الى البدن المتفتت المنتشر اجزاؤه بل بينهما بون بعيد فكيف يدل الاول على الثاني وأما قول المصنف تبعا لصاحب الكشاف ان نومهم وانتباههم مثال من يموت ثم

يبعث غير واف بحصول العلم بحقيقة الساعة لما بينهما من التفاوت العظيم كما ذكرنا والذي يخطر لي والله أعلم انه يحتمل أن يكون المراد ان الله تعالى جعل الاطلاع على حال أصحاب الكهف من النوم الطويل في السنين مع حفظ أبدانهم ثم انتباههم سببا للعلم المطلعين عليهم بحقية الساعة يعني أنه تعالى حصل لهم العلم بحقية الساعة عند الاطلاع على حالهم وربط أحدهما بالآخر لما بينهما من التناسب وليس المراد ان العلم بحالهم لابد أن يكون مستلزما للعلم بتحقيقها (قوله ويتبين انهما يبعثان معا) فيه نظر اذ بعث الجسم عبارة عن تعلق الروح به وهذا المعنى غير ممكن في الروح فلا يكون البعث بمعنى واحد متعلقا بهما بل بمعنيين مختلفين فلزم استعمال لفظ واحد في محل واحد لمعنيين مختلفين وقد قال المصنف تبعا لصاحب الكشاف سابقا في سورة النساء ان الكلمة الواحدة لا تحمل على معنيين مختلفين عند جمهور الادباء والجواب ان المراد من البعث تصيير أحدهما على الحالة السابقة على الموت وهذا معنى واحد موجود في الروح والجسد فالجسد صار على حالته السابقة على الموت من تعلق الروح به وكذا الروح صار على حالته السابقة على الموت من تعلقه بالبدن (قوله وكان يعقوبيا) اعلم ان أئمة النصارى كانت يعقوب ونسطور وملكا وكلهم ذهبوا الى الاقانيم أي الاصول الثلاثة الأب والابن وروح القدس المعبر بها عندهم عن الوجود والحياة والعلم وقالوا ان الله تعالى جوهر واحد وهو هذه الاقانيم الثلاثة ثم ان الملكانية قالت أقنوم العلم اتحدت بجسد المسيح وتدرعت بناسوته بطريق الامتزاج كالخمر بالماء وقالت النسطورية اتحدت بطريق الاشراق كما تشرق الشمس من كوة على بلور وقالت اليعقوبية اتحدت

فان من توفى نفوسهم وأمسكها ثلثمائة سنين حافظا أبدانها عن التحلل والتفتت ثم أرسلها اليها قادر أن يتوفى نفوس جميع الناس ممسكا اياها الى أن يحشر أبدانهم فيردها عليها (اذ يتنازعون) ظرف لاعثرنا أي أعثرنا عليهم حين يتنازعون (بينهم أمرهم) أمر دينهم وكان بعضهم يقول تبعث الارواح مجردة وبعضهم يقول يبعثان معا ليرتفع الخلاف ويتبين أنهما يبعثان معا أو أمر الفتية حين أماتهم الله ثانيا بالموت فقال بعضهم ماتوا وقال آخرون ناموا نومهم أول مرة أو قالت طائفة نبني عليهم بنيانا يسكنه الناس ويتخذونه قرية وقال آخرون لنتخذن عليهم مسجدا يصلى فيه كما قال تعالى (فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا) وقوله ربهم أعلم بهم اعتراض اما من الله ردا على الخائضين في أمرهم من أولئك المتنازعين أو من المتنازعين في زمانهم أو من المتنازعين فيهم على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم أو من المتنازعين للرد الى الله بعد ما تذاكروا أمرهم وتناقلوا الكلام في أنسابهم وأحوالهم فلم يتحقق لهم ذلك حكي أن المبعوث لما دخل السوق وأخرج الدراهم وكان عليها اسم دقيانوس اتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك وكان نصرانيا موحدا فقص عليه القصص فقال بعضهم ان آباءنا أخبروا ان فتية فروا بدينهم من دقيانوس فلعلهم هؤلاء فانطلق الملك وأهل المدينة من مؤمن وكافر وأبصروهم وكلموهم ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم فماتوا فدفنهم الملك في الكهف وبنى عليهم مسجدا وقيل لما انتهوا الى الكهف قال لهم الفتى مكانكم حتى أدخل أولا لئلا يفزعوا فدخل فعمي عليهم المدخل فبنوا ثم مسجدا (سيقولون) أي الخائضون في قصتهم في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم من أهل الكتاب والمؤمنين (ثلاثة رابعهم كلبهم) أي هم ثلاثة رجال يربعهم كلبهم بانضمامه اليهم قيل هو قول اليهود وقيل هو قول السيد من نصارى نجران وكان يعقوبيا (ويقولون خمسة سادسهم كلبهم) قاله النصارى أو العاقب منهم وكان نسطوريا (رجما بالغيب) يرمون رميا بالخبر الخفي الذي لا مطلع لهم عليه واتيانا به أو ظنا بالغيب من قولهم رجم بالظن اذا ظن وانما لم يذكر بالسين اكتفاء بعطفه على ما هو فيه (ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم) انما قاله المسلمون باخبار الرسول لهم عن جبريل عليهما الصلاة والسلام وايماء الله تعالى اليه بان اتبعه قوله (قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل) واتبع الاولين قوله رجما بالغيب وبان أثبت العلم بهم لطائفة بعد ما حصر أقوال الطوائف في الثلاثة المذكورة فان عدم ايراد رابع في نحو هذا المحل دليل العدم مع

بطريق الانقلاب لجاودما بحيث صار الالهو المسيح (قوله مع ان الاصل ينفيه) فان الاصل فى كل شئ العدم حتى يثبت بدليل اوهيه
(قوله بان أدخل الواو على الجملة الواقعة صفة للنكرة الخ) قال صاحب المغنى الواو بهذا المعنى أى التأكيد والاثبات المذكور من أثبتها الزمخشرى ومن قلده وحملوا على ذلك مواضع الواو فيها كلها واو الحال نحو وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم وسبعة وثامنهم كلبهم والمسوغ لمجىء الحال من النكرة فى هذه الآيات امتناع الوصفية اذ الحال متى امتنع كونها صفة جاز مجيئها من النكرة ولهذا جاءت منها عند تقدمها عليها نحو فى الدار قائما رجل وعند جودها نحو هذا خاتم حديدا والمانع للوصفية فى الآيات اقترانها بالواو انتهى كلامه واذا ثبت جواز الحال عن النكرة بالشرط المذكور ولا حاجة الى القول بالوصفية مع الواو المشعر بعدمها قال الرضى الاعرف مجىء نعت النكرة المقطوع بالواو الدال على القطع والفصل اذ ظاهر النكرة يحتاج الى الوصف فلك القطع بحرف هو نص فى القطع أعنى الواو كقول الشاعر * ويأوى الى نسوة عطل وشعثا * انتهى كلامه وحينئذ نقول اما أن يكون الواو مشعرا بانقطاع ما بعدها عما قبلها أو مشعرا باتصاله به وعلى الاول ضعف قول الزمخشرى وعلى الثانى ضعف قول الرضى وغيره من النحاة فتأمل (قوله من

مع أن الاصل ينفيه ثم رد الاولين بان أتبعهما قوله رجما بالغيب ليتعين الثالث وبان أدخل فيه الواو على الجملة الواقعة صفة للنكرة تشبيها لها بالواقعة حالا من المعرفة لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على أن اتصافه بها أمر ثابت وعن على رضى الله عنه هم سبعة وثامنهم كلبهم وأسماؤهم يمليخا ومكشلينيا ومشلينيا هؤلاء أصحاب يمين الملك ومرنوش ودبرنوش وشاذنوش أصحاب يساره وكان يستشيرهم والسابع الراعى الذى وافقهم واسم كلبهم قطمير واسم مدينتهم افسوس وقيل الاقوال الثلاثة لاهل الكتاب والقليل منهم (فلا تمار فيهم الامراء ظاهرا) فلا تجادل فى شأن الفتية الاجدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو أن تقص عليهم ما فى القرآن من غير تجهيل لهم والرد عليهم (ولا تستفت فيهم منهم أحدا) ولا تسأل أحدا منهم عن قصتهم سؤال مسترشد فان فيما أوحى اليك لمندوحة عن غيره مع أنه لا علم لهم بها ولا سؤال متعنت تريد تفضيح المسؤل وتزييف ما عنده فانه مخل بمكارم الاخلاق (ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله) نهى تأديب من الله تعالى لنبيه حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وأصحاب الكهف وذى القرنين فسألوه فقال ائتونى غدا أخبركم ولم يستثن فأبطأ عليه الوحى بضعة عشر يوما حتى شق عليه وكذبته قريش والاستثناء من النهى أى ولا تقولن لاجل شئ تعزم عليه انى فاعله فيما يستقبل الا بأن يشاء الله اى الا متلبسا بمشيئته قائلا ان شاء الله أو الا وقت أن يشاء الله أن تقوله بمعنى أن يأذن لك فيه ولا يجوز تعليقه بفاعل لان استثناء اقتران المشيئة بالفعل غير سديد واستثناء اعتراضها دونه لا يناسب النهى (واذكر ربك) مشيئة ربك وقل ان شاء الله كما روى أنه لما نزل قال عليه الصلاة والسلام ان شاء الله (اذا نسيت) اذا فرط منك نسيان لذلك ثم تذكرته وعن ابن عباس ولو بعد سنة ما لم يحنث ولذلك جوز تأخير الاستثناء عنه وعامة الفقهاء على خلافه لانه لو صح ذلك لم يتقرر اقرار ولا طلاق ولا عتاق ولم يعلم صدق ولا كذب

غير تجهيل لهم والرد عليهم) المراد عدم التصريح بالتجهيل والرد والا فالتجهيل والرد يحصلان بان يقص القرآن عليهم لانه يعلم منه ما ذكر (قوله لان استثناء اقتران المشيئة بالفعل غير سديد الخ) فيكون المعنى انى فاعل ذلك الا أن يشاء الله ان أفعله فلزم منه انه ان شاء الله فعله لم يفعل وهذا غير سديد كما لا يخفى وان كان المعنى الا أن يشاء الله عدم فعلى لا يناسبه النهى بل لا وجه للنهى عنه وهذا معنى قوله واستثناء اعتراضها دونه الخ أى اعتراض المشيئة متجاوز عن الفعل بان

يتعلق بعدمه أى لو حمل الاستثناء على استثناء مانعية ارادة الله تعالى لفعله بان يشاء الله عدم فعله كان هذا الاستثناء لا يناسب النهى (قوله ولو بعد سنة ما لم يحنث) أى لو قال لم أفعل ذلك ولم يقل ان شاء الله متصلا فيمكن أن يقول ولو بعد سنة ما لم يحنث أى ما لم يخالف ما ذكر بان يفعل (قوله لم يتقرر اقرار ولا طلاق ولا عتاق) لانه لو صح الاستثناء متى شاء المقر أو المطلق أو المعتق فله أن يقول فى كل زمان ان شاء الله فاذا قال بطل ما قال سابقا من الاقرار والطلاق والعتاق فاذا قال زيد مثلا لفلان على كذا فلو كان للمقر أن يقول ان شاء الله متى شاء لم يثبت الاقرار لانه اذا قال الاستثناء بطل الاقرار وقس عليه الطلاق والعتاق (قوله ولم يعلم صدق ولا كذب) عدم العلم بالكذب ظاهر لانه اذا قال زيد افعل كذا غدا فلم يفعل لم يظهر كذبه اذ يمكن أن يقول غرضى افعل ان شاء الله وأما عدم العلم بالصدق ففيه نظر لانه اذا قال افعل كذا غدا وفعل علم الصدق والجواب أنه اذا جوز ما ذكروهو ذكر الاستثناء فى أى وقت كان لم يعلم صدق المخبر فيما ذكر ولا كذبه مثلا اذا قال زيد عمر وقائم لم يعلم صدقه ولا كذبه فيما ذكر وهو قوله عمرو قائم لانه يجوز أن يكون مراده ان شاء الله فيكون كلامه قضية متصلة فى الحقيقة وهو ان شاء الله عمرو قائم وعلى هذا لا يكون فى عمرو قائم حكم كما قرر فى المنطق

[illegible] فى الشرطية ليس فيه حكم واذا لم يكن فيه حكم لم يكن خبرا ولم يمكن اتصافه بالصدق ولا بالكذب فليتأمل (قوله وليس فى الآية والخبر) أى ليس فيهما أن الاستثناء الذى هو ان شاء الله متدارك به على القول السابق وهو قوله عليه السلام ائتونى غدا أخبركم لان ان شاء الله المذكور فى الحديث ليس متداركا به عن القول بالاخبار عن أصحاب الكهف وغيرهم المذكور فى السؤال عنهم من النبى صلى الله عليه وسلم بل هو استثناء عن شئ مقدر التقدير كلما نسيت ذكر الله اذكره حين التذكر ان شاء الله والغرض من هذا الكلام وهو قوله وليس فى الآية الخ دفع الاستدلال على جواز تأخير الاستثناء كما هو مذهب ابن عباس وتوضيحه ان الاستثناء الواقع فى الحديث وهو قوله عليه السلام بعد نزول الآية ان شاء الله استثناء على القول السابق وهو قوله عليه السلام ائتونى غدا أخبركم فكان هذا دليلا على جواز تأخير الاستثناء لان هذا الاستثناء وقع بعد أيام كثيرة فاجاب بقوله وليس فى الآية الخ (قوله كقصص الانبياء) هى

معجزة بالنسبة الى من كان فى عصره وغيره والاخبار بالغيوب

وليس فى الآية والخبر أن الاستثناء المتدارك به من القول السابق بل هو من مقدر مدلول به عليه ويجوز أن يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت الاستثناء مبالغة فى الحث عليه أو اذكر ربك وعقابه اذا تركت بعض ما أمرك به ليبعثك على التدارك أو اذكره اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسى (وقل عسى أن يهدين ربى) يدلنى (لاقرب من هذا رشدا) لاقرب رشدا وأظهر دلالة على أنى نبى من نبأ أصحاب الكهف وقد هداه لاعظم من ذلك كقصص الانبياء المتباعدة عنه أيامهم والاخبار بالغيوب والحوادث النازلة فى الاعصار المستقلة الى قيام الساعة أو لاقرب رشدا وأدنى خيرا من المنسى (ولبثوا فى كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا) يعنى لبثهم فيه أحياء مضروبا على آذانهم وهو بيان لما أجمل قبل وقيل انه حكاية كلام أهل الكتاب فانهم اختلفوا فى مدة لبثهم كما اختلفوا فى عدتهم فقال بعضهم ثلثمائة وقال بعضهم ثلثمائة وتسع سنين وقرأ حمزة والكسائى ثلثمائة سنين بالاضافة على وضع الجمع موضع الواحد ويحسنه ههنا أن علامة الجمع فيه جبر لما حذف من الواحد وأن الاصل فى العدد اضافته الى الجمع ومن لم يضف أبدل السنين من ثلثمائة (قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض) له ما غاب فيهما وخفى من أحوال أهلهما فلا خاف يخفى عليه علما (أبصر به وأسمع) ذكر بصيغة التعجب للدلالة على أن أمره فى الادراك خارج عما عليه ادراك السامعين والمبصرين اذ لا يحجبه شئ ولا يتفاوت دونه لطيف وكثيف وصغير وكبير وخفى وجلى والهاء تعود الى الله ومحله الرفع على الفاعلية والباء مزيدة عند سيبويه وكان أصله أبصر أى صار ذا بصر ثم نقل الى صيغة الامر بمعنى الانشاء فبرز الضمير لعدم لياقة الصيغة له أو لزيادة الباء كما فى قوله تعالى وكفى به والنصب على المفعولية عند الاخفش والفاعل ضمير المأمور وهو كل أحد والباء مزيدة ان كانت الهمزة للتعدية ومعدية ان كانت للصيرورة (ما لهم) الضمير لاهل السموات والارض (من دونه من ولى) من يتولى أمورهم (ولا يشرك فى حكمه) فى قضائه (أحدا) منهم ولا يجعل له فيه مدخلا وقرأ ابن عامر وقالون عن يعقوب بالتاء

المستقبلة معجزة بالنسبة الى الجائين بعده الناظرين لها (قوله على وضع الجمع موضع الواحد الخ) أى لفظ مائة يضاف الى المفرد فاضافته الى الجمع ههنا وهو سنين لجعله بمنزلة المفرد ويؤيده ما ذكر واعلم ان المصنف لم يذكر فائدة قوله تعالى وازدادوا تسعا مع انه يمكن أن يقال هذا المعنى باخصر مما ذكر وهو ان يقال ثلثمائة وتسع سنين وذكروا فيه أمرين أحدهما ان فوت العبارة عن هذا الوجه الى ما فى القرآن للاشارة الى أن مدة لبثهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا اذا اعتبرت ثلثمائة سنين قمرية لان التفاوت بين ثلثمائة سنين شمسية وثلثمائة سنين قمرية تسع سنين قمرية ودلالة اللفظ على هذا المعنى غير ظاهرة الثانى انهم لما استكملوا ثلثمائة سنين قرب أمرهم من الانتباه ثم اتفق ما أوجب ابقاءهم فى النوم بعد ذلك تسع سنين والاولى أن يقال يحتمل انهم انتبهوا زمانا قليلا ثم ارادوا النوم فناموا تسع سنين وحينئذ ظهر نسبة الازدياد (قوله تعالى قل الله أعلم بما لبثوا) فان قيل قد قال الله تعالى ولبثوا فى كهفهم ثلثمائة سنين فبعد ذلك علم الخلق مدة لبثهم بالتعيين فما وجه قوله تعالى قل الله أعلم بما لبثوا قلت يمكن الجواب من وجوه أحدها انه يمكن أن يكون مدة لبثهم ما ذكر تحقيقا ويمكن أن تكون تقريبا فالله أعلم بمدة لبثهم اذ تحقق عنده انه على أى وجه ولم يتحقق عند غيره الثانى ان السنين يمكن أن تكون شمسية ويمكن أن تكون قمرية والله أعلم بذلك على التحقيق دون غيره الثالث ان التسعة الزائدة ظاهره أن تكون سنين لكن يحتمل أن تكون غيرها بل شهورا أو أياما والله عالم بذلك على التعيين (قوله لعدم سياق الصيغة له) لان صيغة أمر المخاطب لا يستتر فيه ضمير الغائب (قوله والفاعل ضمير الامور الخ) الغرض ان معنى التركيب فى الاصل ما ذكر وان كان معناه فى الحال غيره بل هو بمعنى التعجب

(قوله أمره ان يلازم درسه و يلازم أصحابه) فيه ان الشرط المذكور مستلزم للمعطوف عليه دون المعطوف فتأمل و يمكن أن يقال لما دل ماذكر على أن القرآن معجز وعلى انه صلى الله عليه وسلم نبي ثبت وظهر نبوّته فلا حاجة الى ارضاء الاغنياء وامالة قلوبهم بان يطرد أصحابه الفقراء فلذا أمر بدرس القرآن وملازمة الاصحاب (قوله لتضمنه معنى نبا) من النبو (قوله حال من الكاف فى المشهورة) كذا فى الكشاف وهذا خلاف القاعدة المشهورة ان الحال يجب أن تكون عن الفاعل أو المفعول به الا أن يقال ان المضاف اليه المذكور يمكن أن يجعل فاعلا بتغيير التركيب وايراد مرادمقامه فتأمل (قوله بقوله واتبع هواه وجوابه مامر)

بالتاء والجزم على نهى كل أحد عن الاشراك ثم لما دل اشتمال القرآن على قصة أصحاب الكهف من حيث انها من المغيبات بالاضافة الى الرسول صلى الله عليه وسلم على انه وحى معجز أمره أن يداوم درسه و يلازم أصحابه فقال (واتل ما أوحى اليك من كتاب ربك) من القرآن ولا تسمع لقولهم ائت بقرآن غير هذا أو بدله (لا مبدل لكلماته) لا أحد يقدر على تبديلها وتغييرها غيره (ولن تجد من دونه ملتحدا) ملتجأ تعدل اليه ان هممت به (واصبر نفسك) واحبسها وثبتها (مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشىّ) فى مجامع أوقاتهم أو فى طرفى النهار وقرأ ابن عامر بالغدوة وفيه أن غدوة علم فى الاكثر فتكون اللام فيه على تأويل التنكير (يريدون وجهه) رضا الله وطاعته (ولا تعد عيناك عنهم) ولا يجاوزهم نظرك الى غيرهم وتعديته بعن لتضمينه معنى نبا وقرئ ولا تعد عينيك ولا تعد من أعداه وعداه والمراد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم أن يزدرى بفقراء المؤمنين وتعلو عينه عن رثاثة زيهم طموحا الى طراوة زى الاغنياء (تريد زينة الحيوة الدنيا) حال من الكاف فى المشهورة ومن المستكن فى الفعل فى غيرها (ولا تطع من أغفلنا قلبه) من جعلنا قلبه غافلا (عن ذكرنا) كأمية بن خلف فى دعائك الى طرد الفقراء عن مجلسك لصناديد قريش وفيه تنبيه على أن الداعى له الى هذا الاستدعاء غفلة قلبه عن المعقولات وانهماكه فى المحسوسات حتى خفى عليه أن الشرف بحلية النفس لا بزينة الجسد وأنه لو أطاعه كان مثله فى الغباوة والمعتزلة لما غاظهم اسناد الاغفال الى الله تعالى قالوا انه مثل أجبنته اذا وجدته كذلك أو نسبته اليه أو من أغفل ابله اذا تركها بغير سمة أى لم نسمه بذكرنا كقلوب الذين كتبنا فى قلوبهم الايمان واحتجوا على أن المراد ليس ظاهر ماذكر أولا بقوله (واتبع هواه) وجوابه مامر غير مرة وقرئ أغفلنا باسناد الفعل الى القلب على معنى حسبنا قلبه غافلين عن ذكرنا اياه بالمؤاخذة (وكان أمره فرطا) أى تقدما على الحق ونبذا له وراء ظهره يقال فرس فرط أى متقدم للخيل ومنه الفرط (وقل الحق من ربكم) الحق ما يكون من جهة الله لا ما يقتضيه الهوى ويجوز أن يكون الحق خبر مبتدا محذوف ومن ربكم حالا (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) لا أبالى بايمان من آمن ولا كفر من كفر وهو لا يقتضى استقلال العبد بفعله فانه وان كان بمشيئته فمشيئته ليست بمشيئته (انا أعتدنا) هيأنا (للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها) فسطاطها شبه به ما يحيط بهم من النار وقيل السرادق الحجرة التى تكون حول الفسطاط وقيل سرادقها دخانها وقيل حائط من نار (وان يستغيثوا) من العطش (يغاثوا بماء كالمهل) كالجسد المذاب وقيل كدردى الزيت وهو على طريقة قوله * فاعتبوا بالصيلم * (يشوى الوجوه) اذا قدم ليشرب من فرط حرارته وهو صفة

تمسك المعتزلة بان الاغفال ليس بالمعنى الذى اعتبره أهل السنة بوجهين الاول أن الغفلة لو كانت صادرة من الله تعالى لم يصح منه مؤاخذة العبد بها الثانى صدور الاغفال بالمعنى المذكور أولا من الله تعالى ينافى أن يكون اتباع الهوى من العبد بل يكون أيضا من الله تعالى تبعا للاغفال والجواب عن الاول مامر من أن الله تعالى مالك الملك على الاطلاق يفعل ما يشاء لا يقبح منه شئ ولا يتصور منه الظلم فله أن يغفل قلب العبد ثم يؤاخذه بالغفلة وعن الثانى أن نسبة اتباع الهوى الى العبد ليس بمعنى أن العبد موجده الحقيقى بل باعتبار كونه مظهرا له (قوله باسناد الفعل الى القلب) أى برفع القلب حتى يكون هو الفاعل لاغفلنا (قوله خبر محذوف) والتقدير الموحى اليك الحق كائنا من ربكم فيكون من ربكم حالا من الضمير المستتر فى الموحى

(قوله فانه وان كان بمشيئته الخ) يعنى أن الايمان والكفر وان كان بمشيئته أى مشيئة العبد فمشيئة الايمان أو الكفر ليست بمشيئته بل بمشيئة الله تعالى وفى هذا الكلام نظر اذ يفهم منه أن العبد بعد ان أوجد الله فيه مشيئة الايمان مثلا كان موجدا له بمشيئته وهو خلاف الواقع و يمكن أن يقال معناه انه وان فرض أن فعل العبد بمشيئته فمشيئته ليست بمشيئته و يمكن أيضا أن يقال ان للمشيئة دخلا فى فعله بطريق الكسب لا بطريق الخلق (قوله وهو على طريقة فاعتبوا بالصيلم) قال فى الصحاح أعتبنى فلان بمعنى أرضانى والصيلم الداهية فيكون المعنى ارضوا بالداهية فيكون تهكما

ثانيةلماءأوحال من المهل أوالضمير فى الكاف (بئس الشراب) المهل (وساءت) النار (مرتفقا) متكأ وأصل الارتفاق نصب المرفق تحت الخد وهو لمقابلة قوله وحسنت مرتفقا والافلا ارتفاق لاهل النار (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انالانضيع أجر من أحسن عملا) خبر ان الاولى هى الثانية بما فى حيزها والراجع محذوف تقديره من أحسن عملا منهم أو مستغنى عنه بعموم من أحسن عملا كما هو مستغنى عنه فى قولك نعم الرجل زيدأ و واقع موقعه الظاهر فان من احسن عملا لايحسن اطلاقه على الحقيقة الاعلى الذين آمنوا وعملوا الصالحات (أولئك لهم جنات عدن تجرى من تحتهم الانهار) وما بينهما اعتراض وعلى الاول استئناف لبيان الاجر او خبر ثان (يحلون فيها من اساور من ذهب) من الاولى للابتداء والثانية للبيان صفة لاساور وتنكيره لتعظيم حسنها من الاحاطة به وهو جمع أسورة أو اسوار فى جمع سوار (ويلبسون ثيابا خضرا) لان الخضرة احسن الالوان وأكثرها طراوة (من سندس واستبرق) مما رق من الديباج وماغلظ منه جمع بين النوعين للدلالة على ان فيها ماتشتهى الانفس وتلذ الاعين (متكئين فيها على الارائك) على السرر كما هو هيئة المتنعمين (نعم الثواب) الجنة ونعيمها (وحسنت) الارائك (مرتفقا) متكأ (واضرب لهم مثلا) للكافر والمؤمن (رجلين) حال رجلين مقدرين او موجودين هما اخوان من بنى اسرائيل كافر اسمه قطروس ومؤمن اسمه يهوذا ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار فتشاطرا فاشترى الكافر بها ضياعا وعقارا وصرفها المؤمن فى وجوه الخير وآل أمرهما الى ماحكاه الله تعالى وقيل الممثل بهما اخوان من بنى مخزوم كافر وهو الاسود بن عبد الاشد ومؤمن وهو أبو سلمة عبد الله زوج أم سلمة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم (جعلنا لاحدهما جنتين) بستانين (من أعناب) من كروم والجملة بتمامها بيان للتمثيل او صفة للرجلين (وحففناهما بنخل) وجعلنا النخل محيطة بهما مؤزرا بها كرومهما يقال حفه القوم اذا اطافوا به وحففته بهم اذا جعلتهم حافين حوله فتزيده الباء مفعولا ثانيا كقولك غشيته به (وجعلنا بينهما) وسطهما (زرعا) ليكون كل منهما جامعا للاقوات والفواكه متواصل العمارة على الشكل الحسن والترتيب الانيق (كلتا الجنتين آتت أكلها) ثمرها وافراد الضمير لافراد كلتا وقرئ كل الجنتين آتى اكله (ولم تظلم منه) ولم تنقص من اكلها (شيأ) يعهد فى سائر البساتين فان الثمار تتم فى عام وتنقص فى عام غالبا (وفجرنا خلالهما نهرا) ليدوم شربهما فانه الاصل ويزيد بهاؤهما وعن يعقوب وفجرنا بالتخفيف (وكان له ثمر) أنواع من المال سوى الجنتين من ثمر ماله اذا كثره وقرأ عاصم بفتح الثاء والميم وأبو عمرو بضم الثاء واسكان الميم والباقون بضمهما وكذلك فى قوله واحيط بثمره (فقال لصاحبه وهو يحاوره) يراجعه فى الكلام من حار اذا رجع (أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا) حشما واعوانا وقيل اولادا ذكورا لانهم الذين ينفرون معه (ودخل جنته) بصاحبه يطوف به فيها ويفاخره بها وافراد الجنة لان المراد ماهو جنته وهو ماتمتع به من الدنيا تنبيها على أن لاجنة له غيرها ولا حظ له فى الجنة التى وعد المتقون أو لاتصال كل واحدة من جنتيه بالاخرى او لان الدخول يكون فى واحدة واحدة (وهو ظالم لنفسه) ضار لها بعجبه وكفره (قال ما أظن أن تبيد) أن تفنى (هذه) الجنة (أبدا) لطول أمله وتمادى غفلته واغتراره بمهلته (وما أظن الساعة قائمة) كائنة (ولئن رددت الى ربى) بالبعث كما زعمت (لأجدن خيرا منها) من جنته وقرأ الحجازيان والشامى منهما أى من الجنتين (منقلبا) مرجعا وعاقبة لانها فانية وتلك باقية وانما أقسم على ذلك لاعتقاده أنه تعالى انما أولاه ما أولاه لاستئهاله واستحقاقه اياه لذاته وهو معه أينما تلقاه (قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذى خلقك من تراب)

يشابه المهل (قوله وهو لمقابلة قوله وحسنت مرتفقا) اذ لا ارتفاق لاهل النار اذالارتفاق الانتفاع (قوله أو واقع موقعه الظاهر) أى وقع الراجع الى المبتدأ اسما ظاهرا هو من أحسن عملا لانه متحد مع الذين آمنوا وعملوا الصالحات (قوله أولئك لهم الخ) عطف على قوله هى الثانية أى خبر ان الاولى وهو قوله تعالى ان الذين آمنوا ما انالانضيع الخ أو أولئك لهم وما بينهما وهو قوله تعالى انالانضيع الخ اعتراض (قوله جمع بين النوعين للدلالة الخ) أى الجمع بين النوعين من جنس واحد دل على حصول ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وذلك أن تقول ان أراد حصول كل ماتشتهى الانفس وتلذ الاعين فهو غير لازم مما ذكر وان أراد حصول بعضها فهذا حاصل لو اكتفى بواحد من النوعين من غير الجمع بينهما الا أن يقال ان استيفاء أنواع جنس واحد يدل على استيفاء أنواع الاجناس فتأمل (قوله وافراد الجنة الخ) أى ايرادها بصيغة المفرد لا التثنية مع انه ذكر سابقا أن له جنتين تنبيها على ماذكر اذ فيه اشارة خفية الى أن ليس له تعدد الجنة بل الجنة الواحدة فتأمل

لانه

(قوله لانه أصل مادته أو مادة أصله) أما الاول فلان مادة الشخص النطفة والنطفة حصلت من الغذاء وهو حاصل من التراب وأما الثانى فلان أصل النوع الانسانى آدم وهو من التراب (قوله لان منشأه الشك فى كمال قدرة الله تعالى) لا يخفى أن الكفر بالبعث وهو انكاره ليس منشؤه الشك فى كمال قدرته تعالى اذ انكار البعث عبارة عن نفى تحققه ولا يلزم من نفيه نفى القدرة عليه اذ كثير من الاشياء التى تحت قدرة القادر غير موجودة فان قيل لعل نفيه للبعث لانه نفى قدرته تعالى عليه قلنا لو سلم هذا

لانه أصل مادتك أو مادة أصلك (ثم من نطفة) فانها مادتك القريبة (ثم سواك رجلا) ثم عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال جعل كفره بالبعث كفرا بالله تعالى لان منشأه الشك فى كمال قدرة الله تعالى ولذلك رتب الانكار على خلقه اياه من التراب فان من قدر على بدء خلقه منه قدر أن يعيده منه (لكنا هو الله ربى ولا أشرك بربى أحدا) أصله لكن أنا فحذفت الهمزة بنقل الحركة أو دونه فتلاقت النونان فكان الادغام وقرأ ابن عامر ويعقوب فى رواية بالالف فى الوصل لتعويضها من الهمزة أو لاجراء الوصل مجرى الوقف وقد قرئ لكن أنا على الاصل وهو ضمير الشأن وهو بالجملة الواقعة خبرا له خبر أنا أو ضمير الله والله بدله وربى خبره والجملة خبر أنا والاستدراك من أكفرت كأنه قال أنت كافر بالله لكنى مؤمن به وقد قرئ لكن هو الله ربى ولكن أنا لا اله الا هو ربى (ولولا اذ دخلت جنتك قلت) وهلا قلت عند دخولها (ماشاء الله) الامر ماشاء الله أو ماشاء كائن على أن ما موصولة أو أى شئ شاء الله كان على أنها شرطية والجواب محذوف اقرارا بأنها وما فيها بمشيئة الله ان شاء أبقاها وان شاء أبادها (لاقوة الا بالله) وقلت لاقوة الا بالله اعترافا بالعجز على نفسك والقدرة لله وان ما تيسر لك من عمارتها وتدبير أمرها فبمعونته واقداره وعن النبى صلى الله عليه وسلم من رأى شيأ فأعجبه فقال ماشاء الله لاقوة الا بالله لم يضره (ان ترن أنا أقل منك مالا وولدا) يحتمل أن يكون أنا فصلا وأن يكون تأكيد المفعول الاول وقرئ أقل بالرفع على أنه خبر أنا والجملة مفعول ثان لترنى وفى قوله وولدا دليل لمن فسر النفر بالاولاد (فعسى ربى أن يؤتين خيرا من جنتك) فى الدنيا أو فى الآخرة لايمانى وهو جواب الشرط (ويرسل عليها) على جنتك لكفرك (حسبانا من السماء) مرامى جمع حسبانة وهى الصواعق وقيل هو مصدر بمعنى الحساب والمراد به التقدير بتخريبها أو عذاب حساب الاعمال السيئة (فتصبح صعيدا زلقا) أرضا ملساء يزلق عليها باستئصال نباتها وأشجارها (أو يصبح ماؤها غورا) أى غائرا فى الارض مصدر وصف به كالزلق (فلن تستطيع له طلبا) للماء الغائر ترددا فى رده (وأحيط بثمره) وأهلك أمواله حسبما توقعه صاحبه وأنذره منه وهو مأخوذ من أحاط به العدو فانه اذا أحاط به غلبه واذا غلبه أهلكه ونظيره أتى عليه اذا أهلكه من أتى عليهم العدو اذا جاءهم مستعليا عليهم (فأصبح يقلب كفيه) ظهرا لبطن تلهفا وتحسرا (على ما أنفق فيها) فى عمارتها وهو متعلق بيقلب لان تقليب الكفين كناية عن الندم فكأنه قيل فأصبح يندم أو حال أى متحسرا على ما أنفق فيها (وهى خاوية) ساقطة (على عروشها) بأن سقطت عروشها على الارض وسقطت الكروم فوقها عليها (ويقول) عطف على يقلب أو حال من ضميره (ياليتنى لم أشرك بربى أحدا) كأنه تذكر موعظة أخيه وعلم أنه أتى من قبل شركه فتمنى لو لم يكن مشركا فلم يهلك الله بستانه ويحتمل أن يكون توبة من الشرك وندما على ماسبق منه (ولم تكن له فئة) وقرأ حمزة والكسائى بالياء لتقدمه (ينصرونه) يقدرون على نصره

لا يلزم الشك فى كمال القدرة اذ لعله اعتقد أن البعث ممتنع وعدم القدرة على الممتنع لا ينافى كمال القدرة وفيه انه لما يقدر على البداءة فبأدنى تأمل يعلم قدرته على الاعادة فان شك فى امكانه نفى القدرة اذ امكانه يعلم بأدنى تأمل والاولى أن يقال انه علم كفره بشئ آخر هو شركه كما أخبر عنه تعالى بما سيجيء من قوله ولم أشرك بربى أحدا (قوله ظهر البطن) مفعول مطلق أى يقلب كفيه تقليبا خاصا (قوله أو حال من ضميره) فان قيل الفعل المضارع المثبت اذا وقع حالا لم تدخل الواو عليه قلنا ههنا مقدر والتقدير وهو يقول (قوله ويحتمل أن يكون توبة من الشرك) فان قيل بل هو توبة منه البتة لان التوبة من الشرك هو الندم عليه وهو المفهوم من ياليتنى لم أشرك لا يقال لا يكفى الندم فى التوبة بل العزم على أن لا يعود لانا نقول من ندم على المعصية من حيث كونها معصية لابد أن يكون عازما على تركها كما صرح به صاحب المواقف ووافقه شارحه بل يقال القول المذكور دال على الندم على الشرك لكن لا يكفى مجرد هذا فى التوبة بل لابد من الندم على المعصية من حيث كونها معصية ولعدم ندم القائل المذكور على الشرك لا لكونه معصية بل لانه يفضى الى هلاك ماله وبستانه ولما كان هذا الاحتمال ثابتا لم يجزم المصنف بان هذا القول توبة منه بل قال يحتمل الخ (قوله لتقدمه) أى لتقدم الفعل على المسند اليه المؤنث لان

القاعدة أن الفعل اذا أسند الى ظاهر المؤنث الغير الحقيقي يجوز تذكيره وتأنيثه (قوله أو لا يعبد غيره الخ) أي في هذا الوقت ولا يكون معبود غير الله تعالى (قوله فيكون تنبيها الخ) أي قوله ياليتني لم أشرك بربي أحدا لم يصدر عنه بسبب ندمه على الشرك بل للاضطرار والجزع فلا يوجب اسلامه ولهذا شبه قوله بقول المشركين الداعين لله خالصا من غير شريك اذا ركبوا في الفلك و اذا نجوا أظهروا الشرك يعني لما لم يكن لغير الله تعالى سلطان في ذلك المقام قال ذلك المشرك ما قال (قوله هي كماء) على هذا يكون المعنى ما يشبه الحياة كماء وفيه أن ما يشبه الحياة الدنيا ليس كماء بل هو نفس الماء اذ المقصود ههنا أن يبين أن حال الحياة الدنيا كالحال المستفاد مما ذكر بعد الكاف على ما سيجيء فالوجه أن يكون المراد من المثل الحال فيكون المعنى حال الحياة الدنيا كحال ماء ونظيره كثير في القرآن كقوله تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد نارا والمقصود مما ذكر ما سيجيء من قوله والمشبه به الخ فيكون المراد من الحال من الطرفين مجموع أمور (قوله ويندرج فيها ما فسرت به من الصلوات) فيه أن كلا من الامور المذكورة عمل من أعمال حسنة وقد قال الله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها فيكون للصلوات عشر أمثالها وكذا لغيرها من الاعمال فهي لا تكون ثمرتها أبد الآباد فان قلت هذا مما لا بد منه وقد يكون أزيد الى سبعمائة قلنا بقي السؤال لان التضعيف على أي قدر كان لا يوجب الثمرة ابد الآباد اللهم الا أن يقال والله يضاعف لمن يشاء بالقدر الغير المتناهي في المدة الغير المتناهية لمن يشاء من عباده فان فضله غير متناه ولو فسر الباقيات الصالحات بالاعتقادات التي هي عبارة عن الايمان وتوابعه ظهر ما قاله من بقاء الاثر أبد الآباد و يمكن أن لتحقق يقال ان المراد من الامثال العشرة كونها أمثالا في صفات مخصوصة وان كانت دائمة أبد الآباد والله أعلم فتأمل في هذا المقال (قوله بمعنى صير) أي جعل الحياة الدنيا مثل ماء (قوله ورف) يقال رف النبات أي اهتز نضارة وتلألؤا (قوله عكس للمبالغة في كثرته) أي للمبالغة في كثرة الماء فان المختلط بشيء يكون أقل من ذلك الشيء غالبا فاذا قيل فاختلط بنبات الارض لم يدل كثرة الماء واذا قيل اختلط به نبات الارض أفاد في الظاهر قلة النبات وكثرة الماء (قوله بل الكيفية المنتزعة الخ) وكذا المشبه الكيفية المنتزعة فانه حال الحياة الدنيا نشؤها وترقيها ثم الوقوف في الكمال ثم اليبس والشيخوخة ثم الفناء (قوله ومجيئه ماضيا الخ) أي مجيء حشرناهم بصيغة

بدفع الاهلاك أو رد المهلك أو الاتيان بمثله (من دون الله) فانه القادر على ذلك وحده (وما كان منتصرا) وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله منه (هنالك) في ذلك المقام وتلك الحال (الولاية لله الحق) النصرة له وحده لا يقدر عليها غيره تقريرا لقوله ولم تكن له فئة ينصرونه أو ينصر فيها أولياءه المؤمنين على الكفرة كما نصر فيما فعل بالكافر أخاه المؤمن و يعضده قوله (هو خير ثوابا وخير عقبا) أي لاوليائه وقرأ حمزة والكسائي بالكسر ومعناها السلطان والملك أي هنالك السلطان له لا يغلب ولا يمنع منه أو لا يعبد غيره كقوله تعالى فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فيكون تنبيها على أن قوله ياليتني لم أشرك كان عن اضطرار وجزع مما دهاه وقيل هنالك اشارة الى الآخرة وقرأ أبو عمرو والكسائي الحق بالرفع صفة للولاية وقرئ بالنصب على المصدر المؤكد وقرأ عاصم وحمزة عقبا بالسكون وقرئ عقبى وكلها بمعنى العاقبة (واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا) واذكر لهم ما يشبه الحياة الدنيا في زهرتها وسرعة زوالها أو صفتها الغريبة (كماء) هي كماء و يجوز أن يكون مفعولا ثانيا لاضرب على أنه بمعنى صير (أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض) فالتف بسببه وخالط بعضه بعضا من كثرته وتكاثفه أو نجع في النبات حتى روى ورف وعلى هذا كان حقه فاختلط بنبات الارض لكنه لما كان كل من المختلطين موصوفا بصفة صاحبه عكس للمبالغة في كثرته (فأصبح هشيما) مهشوما مكسورا (تذروه الرياح) تفرقه وقرئ تذريه من أذرى والمشبه به ليس الماء ولا حاله بل الكيفية المنتزعة من الجملة وهي حال النبات المنبت بالماء يكون أخضر وارفا ثم هشيما تطيره الرياح فيصير كأن لم يكن (وكان الله على كل شئ) من الانشاء والافناء (مقتدرا) قادرا (المال والبنون زينة الحيوة الدنيا) يتزين بها الانسان في دنياه وتفنى عنه عما قريب (والباقيات الصالحات) وأعمال الخيرات التي تبقى له ثمرتها أبد الآباد و يندرج فيها ما فسرت به من الصلوات الخمس وأعمال الحج وصيام رمضان وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر والكلام الطيب (خير عند ربك) من المال والبنين (ثوابا) عائدة (وخير أملا) لان صاحبها ينال بها في الآخرة ما كان يؤمل بها في الدنيا (و يوم نسير الجبال) واذكر يوم نقلعها ونسيرها في الجو أو نذهب بها فنجعلها هباء منبثا و يجوز عطفه على عند ربك أي الباقيات الصالحات خير عند الله و يوم القيامة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر تسير بالتاء والبناء للمفعول وقرئ تسير من سارت (وترى الارض بارزة) بادية برزت من تحت الجبال ليس عليها ما يسترها وقرئ وترى على بناء المفعول (وحشرناهم) وجمعناهم الى الموقف ومجيئه ماضيا بعد نسير وترى

المـاضي مع كونه مستقبلا يكون لأحد شيئين الاول ان يكون لتحقيق الحشر فكانه أمر قد وقع وتحقق كما في قوله تعالى ونفخ في الصور الثاني ان يكون للاشعار بتقدم الحشر على التسيير فكان مضي حشرنا بالنسبة الى التسيير وانما قال أو ولم يقل والدلالة الخ للدلالة على استقلال كل من الامرين (قوله وعلى هذا الخ) أي على هذا الوجه وهو ان يكون مضي حشرنا بالنسبة الى التسيير يكون حشرناهم حالا من فاعل نسير لان محصل المعنى نسير الجبال حال حشرنا لهم قبل واما على الوجه الاول فهو جملة مستقلة ليس قيد الماسبق (قوله شبه حالهم بحال الجند الخ) يفهم منه ان العرض ليس على حقيقته لان العرض على الشخص حقيقة عبارة عن ايراد شئ في نظر ذلك الشخص لا يكون قبل ذلك في نظره وملاحظته والله تعالى عالم بكل شئ في كل حين فلا وجه للعرض حقيقة بالنسبة اليه فيكون المراد ايرادهم في موضع واحد يطلع عليه الحكم ووجه الشبه ورودهم في موضع يطلع عليه الحكم (قوله على اضمار القول على وجه الخ) فعلى كونه حالا يكون المعنى وعرضوا على ربك يقول لهم لقد جئتمونا وعلى

الوجه الثاني يكون المعنى ونقول لهم يوم نسير الجبال لقد جئتمونا (قوله وان الانبياء كذبوكم) بالتخفيف أي يقولون لكم الكذب (قوله وبل للخروج من قصة الى أخرى) فالقصة الاولى حكاية تسيير الجبال والعرض وما يتعلق بهما والقصة الأخرى زعمهم الفاسد كذب الامور المذكورة وعدم الساعة وانما قال للخروج من قصة الى أخرى لا من جملة الى أخرى لان ماتقدم قصة مشتملة على جمل وكذا ما تأخر اذ هو مشتمل على نفي جميع مواعيد القيامة فكانه بل زعمتم ان لا بعث ولا حشر ولا وقوف ولا حساب الخ (قوله ينادون هلكتهم التي الخ) شبه هلكتهم بالشخص الذي يمكن طلب اقباله على الاستعارة بالكناية وجعل ايراد ياعليه استعارة تخييلية فهم طلبوا هلاكهم حتى يرى ماهم فيه (قوله كرره في مواضع أخر الخ) أي كرر الله تعالى حكاية أمر ابليس بالسجود وابائه وما يتعلق به في مواضع من القرآن منها ذكره تعالى ههنا وفي سورة البقرة وفي الاعراف وفي الاسراء وغيرها ونكتة التكرار جعل ذكره في مواضع مقدمة لما يجيء بعده من الامور المقصودة المناسبة لذلك المحل وذكر قصة ابليس ههنا انه لما ذكر حال المفتخرين والمتكبرين وسوء صنيعهم وحالهم مذكورة في ضمن حال أحد الرجلين اللذين جعل الله لاحدهما البستان المذكور ثم كفر بالله تعالى وتكبر على الرجل الآخر ذكر قصة ابليس للاشعار بان المفتخر تشبه بابليس حيث استكبر عن سجود آدم بعد أمر الله تعالى به أو لما بين حال المغرور بالدنيا وهو ذلك الرجل أيضا أو يكون المشار اليه بقوله تعالى واضرب لهم مثل الحياة الدنيا اذ فيه اشارة الى المغرورين بها أي بالحياة الدنيا وما يتعلق بها ذكر قصة ابليس المغرور (قوله فقيل كان من الجن) يعني لما توجه السؤال بان ابليس في زمرة الملائكة كما هو المفهوم من ظاهر قوله تعالى فسجدوا الا ابليس وليس من شأن الملك عصيان أمر الله تعالى بل طاعته كما أمر فلم خالف ابليس فقيل في الجواب انه ليس ملكا حقيقة

لتحقق الحشر أو للدلالة على أن حشرهم قبل التسيير ليعاينوا ويشاهدوا ما وعد لهم وعلى هذا تكون الواو للحال باضمار قد (فلم نغادر) فلم نترك (منهم أحدا) يقال غادره وأغدره اذا تركه ومنه الغدر لترك الوفاء والغدير لما غادره السيل وقرئ بالياء (وعرضوا على ربك) شبه حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان لا ليعرفهم بل ليأمر فيهم (صفا) مصطفين لا يحجب أحد أحدا (لقد جئتمونا) على اضمار القول على وجه يكون حالا أو عاملا في يوم نسير (كما خلقناكم أول مرة) عراة لا شئ معكم من المال والولد كقوله ولقد جئتمونا فرادى أو أحياء كخلقتكم الاولى لقوله (بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا) وقتا لانجاز الوعد بالبعث والنشور وأن الانبياء كذبوكم به وبل للخروج من قصة الى اخرى (ووضع الكتاب) صحائف الاعمال في الايمان والشمائل أو في الميزان وقيل هو كناية عن وضع الحساب (فترى المجرمين مشفقين) خائفين (مما فيه) من الذنوب (ويقولون ياويلتنا) ينادون هلكتهم التي هلكوها من بين الهلكات (مال هذا الكتاب) تعجبا من شأنه (لا يغادر صغيرة) هنة صغيرة (ولا كبيرة الا أحصاها) الا عدها وأحاط بها (ووجدوا ما عملوا حاضرا) مكتوبا في الصحف (ولا يظلم ربك أحدا) فيكتب عليه مالم يفعل او يزيد في عقابه الملائم لعمله (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس) كرره في مواضع لكونه مقدمة للامور المقصود بيانها في تلك المحال وههنا لما شنع على المفتخرين واستقبح صنيعهم قرر ذلك بانه من سنن ابليس او لما بين حال المغرور بالدنيا والمعرض عنها وكان سبب الاغترار بها حب الشهوات وتسويل الشيطان زهدهم أولا في زخارف الدنيا بأنها عرضة الزوال والاعمال الصالحة خير وأبقى من انفسها واعلاها ثم نفرهم عن الشيطان بتذكير ما بينهم من العداوة القديمة وهكذا مذهب كل تكرير في القرآن (كان من الجن) حال باضمار قد او استئناف للتعليل كانه قيل ماله لم يسجد فقيل كان من الجن (ففسق عن أمر ربه) فخرج عن امره بترك السجود

بل من الجن وادخاله فى الملائكة تغليب (قوله والفاء للسبب) يعنى هى مشعرة بان كونه من الجن سبب لفسقه عن امر ربه و يرد عليها انه اذا كانت الجنية سببا للفسق عن أمر الرب فلابد ان كل جنى كذلك لكنهم كالانس بعضهم مطيع و بعضهم عاص كما علم من الاخبار الواردة فى حالهم والجواب ان من شأن الجن الفسق لكن بعضهم يعصمه الله بعنايته به ويمكن ان يقال ان الجن على طباع مختلفة فشأن بعضهم الطاعة وشأن بعض آخر التمرد والطغيان وابليس كان من هذا الصنف فيكون معنى قوله تعالى كان من الجن كان من المتمردين بقرينة تمرده وطغيانه (قوله أعقيب ماوجد منه الخ) هذا التعقيب مستفاد من الفاء (قوله وسماهم ذرية مجازا) أى سمى الاتباع ذرية على سبيل المجاز (قوله وابليس وذريته) مخصوص بالذم (قوله ردا لاتخاذهم أولياء من دون الله شركاء

والفاء للسبب وفيه دليل على ان الملك لايعصى البتة وانما عصى ابليس لانه كان جنيا فى أصله والكلام المستقصى فيه فى سورة البقرة (أفتتخذونه) أعقيب ماوجد منه تتخذونه والهمزة للانكار والتعجب (وذريته) أولاده أواتباعه وسماهم ذرية مجازا (أولياء من دونى) فتستبدلونهم بى فتطيعونهم بدل طاعتى (وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا) من الله تعالى ابليس وذريته (ماأشهدتهم خلق السموات والارض ولاخلق أنفسهم) نفى احضار ابليس وذريته خلق السموات والارض واحضار بعضهم خلق بعض ليدل على نفى الاعتضاد بهم فى ذلك كما صرح به بقوله (وما كنت متخذ المضلين عضدا) أى أعوانا ردا لاتخاذهم أولياء من دون الله شركاء له فى العبادة فان استحقاق العبادة من توابع الخالقية والاشتراك فيه يستلزم الاشتراك فيها فوضع المضلين موضع الضمير ذما لهم واستبعادا للاعتضاد بهم وقيل الضمير للمشركين والمعنى ماأشهدتهم خلق ذلك وماخصصتهم بعلوم لايعرفها غيرهم حتى لوآمنوا اتبعهم الناس كما يزعمون فلا تلتفت الى قولهم طمعا فى نصرتهم للدين فانه لاينبغى لى أن أعتضد بالمضلين لدينى و يعضده قراءة من قرأ وما كنت على خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم وقرئ متخذا المضلين على الاصل وعضدا بالتخفيف وعضدا بالاتباع وعضدا كخدم جمع عاضد من عضده اذاقواه (و يوم يقول) أى الله تعالى للكافرين وقرأ حمزة بالنون (نادوا شركائى الذين زعمتم) أنهم شركائى وشفعاؤكم ليمنعوكم من عذابى واضافة الشركاء على زعمهم للتوبيخ والمراد ماعبد من دونه وقيل ابليس وذريته (فدعوهم) فنادوهم للاغاثة (فلم يستجيبوا لهم) فلم يغيثوهم (وجعلنا بينهم) بين الكفار وآلهتهم (موبقا) مهلكا يشتركون فيه وهو النار أو عداوة هى فى شدتها هلاك كقول عمر رضى الله عنه لايكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا اسم مكان أومصدر من وبق يوبق وبقا اذاهلك وقيل البين الوصل أى وجعلنا تواصلهم فى الدنيا هلاكا يوم القيامة (ورأى المجرمون النار فظنوا) فأيقنوا (أنهم مواقعوها) مخالطوها واقعون فيها (ولم يجدوا عنها مصرفا) انصرافا أومكانا ينصرفون اليه (ولقد صرفنا فى هذا القرآن للناس من كل مثل) من كل جنس يحتاجون اليه (وكان الانسان أكثر شئ) يتأتى منه الجدل (جدلا) خصومة بالباطل وانتصابه على التمييز (ومامنع الناس أن يؤمنوا) من الايمان (اذجاءهم الهدى) وهو الرسول الداعى والقرآن المبين (ويستغفروا ربهم) ومن الاستغفار من الذنوب (الا أن تأتيهم سنة الاولين) الا طلب أو انتظار أوتقدير أن تأتيهم سنة الاولين وهى الاستئصال

الخ) فان قيل لم يعبد أحد ابليس وذريته قلنا عبادته الاصنام فى الحقيقة عبادة الشيطان (قوله فان استحقاق العبادة من توابع الخالقية) فان العبادة غاية الخضوع وغاية الخضوع لاتنبغى لغير الخالق والازم استواء الخالق وغير الخالق فى غاية الخضوع والعقل يشهد بانه خطأ (قوله والاشتراك فيه يستلزم الاشتراك فيها) أى الاشتراك فى استحقاق العبادة يستلزم الاشتراك فى الخالقية (قوله والمعنى ما أشهدتم خلق ذلك الخ) فيه ان المذكور فى القرآن نفى أمرين خاصين وهو نفى احضارهم خلق السموت والارض وخلق أنفسهم ولا يلزم من نفى الخاص نفى العام وهو نفى اختصاصهم ببعض العلوم والذى يلوح لى والله أعلم انه تعالى قال ماأحضرت المشركين خلق شئ من السموات والارض وما اعتضدت بهم فى خلق

هذه الأمور العظام التى منها السموات التى فى غاية العظم الدالة على نهاية القدرة والغلبة فبالحرى ان لااعتضد بهم فى تقرير الدين الذى هو أهون من خلق تلك الامور بمراتب لاتحصى (قوله من كل جنس يحتاجون اليه) ولا يلزم منه ذكر كل شئ من الاشياء فى القرآن (قوله تعالى وكان الانسان أكثر شئ جدلا) فان قيل ماوجه ربط هذا الكلام بقوله تعالى ولقد صرفنا الخ قلنا ربطه انه مع انا نوردفى القرآن كل مايحتاجون اليه ونبين بيانا شافيا فيه يجادلون فيه ويخوضون فى الباطل (قوله يتأتى منه الجدل) صفة شئ وكانه قيل أكثر شئ يتأتى منه الجدل (قوله الا طلب أوانتظار الخ) الطلب و الانتظار اماحقيقتان بان يطلبوا العذاب عنادا

كما حكى الله تعالى عنهم بقوله جل وعلا وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم وأما مجازان بان يستعمل الانتظار والطلب بمعنى الاستحقاق والاستعداد (قوله وتذكير الضمير وافراده للمعنى) أى تذكير مفعول يفقهوه وافراده مع انه راجع الى الآيات للمعنى أى لتأويلها بالقرآن أو بالوحى (قوله البليغ المغفرة)

حذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه (أو يأتيهم العذاب) عذاب الآخرة (قبلا) عيانا وقرأ الكوفيون قبلا بضمتين وهو لغة فيه أو جمع قبيل بمعنى أنواع وقرئ بفتحتين وهو أيضا لغة يقال لقيته مقابلة وقبلا وقبلا وقبليا وانتصابه على الحال من الضمير أو العذاب (وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين) للمؤمنين والكافرين (ويجادل الذين كفروا بالباطل) باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات والسؤال عن قصة أصحاب الكهف ونحوها تعنتا (ليدحضوا به) ليزيلوا بالجدال (الحق) عن مقره ويبطلوه من ادحاض القدم وهو ازلاقها وذلك قولهم للرسل ما أنتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لأنزل ملائكة ونحو ذلك (واتخذوا آياتى) يعنى القرآن (وما أنذروا) وانذارهم أو والذى أنذروا به من العقاب (هزؤا) استهزاء وقرئ هزأ بالسكون وهو ما يستهزأ به على التقديرين (ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه) بالقرآن (فأعرض عنها) فلم يتدبرها ولم يتذكر بها (ونسى ما قدمت يداه) من الكفر والمعاصى ولم يتفكر فى عاقبتهما (انا جعلنا على قلوبهم أكنة) تعليل لاعراضهم ونسيانهم بانهم مطبوع على قلوبهم (أن يفقهوه) كراهة أن يفقهوه وتذكير الضمير وافراده للمعنى (وفى آذانهم وقرا) يمنعهم أن يستمعوه حق استماعه (وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا أبدا) تحقيقا ولا تقليدا لانهم لا يفقهون ولا يسمعون واذا كما عرفت جزاء وجواب للرسول صلى الله عليه وسلم على تقدير قوله مالى لا أدعوهم فان حرصه صلى الله عليه وسلم على اسلامهم يدل عليه (وربك الغفور) البليغ المغفرة (ذو الرحمة) الموصوف بالرحمة (لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب) استشهاد على ذلك بامهال قريش مع افراطهم فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (بل لهم موعد) وهو يوم بدر أو يوم القيامة (لن يجدوا من دونه موئلا) منجا ولا ملجأ يقال وأل اذا نجا ووأل اليه اذا لجأ اليه (وتلك القرى) يعنى قرى عاد وثمود وأضرابهم وتلك مبتدأ خبره (أهلكناهم) أو مفعول مضمر مفسر به والقرى صفته ولابد من تقدير مضاف فى أحدهما ليكون مرجع الضمائر (لما ظلموا) كقريش بالتكذيب والمراء وأنواع المعاصى (وجعلنا لمهلكهم موعدا) لاهلاكهم وقتا معلوما لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون فليعتبروا بهم ولا يغتروا بتأخير العذاب عنهم وقرأ أبو بكر لمهلكهم بفتح الميم واللام أى لهلاكهم وحفص بكسر اللام حملا على ما شذ من مصادر يفعل كالمرجع والمحيض (واذ قال موسى) مقدر باذكر (لفتاه) يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف عليهم الصلاة والسلام فانه كان يخدمه ويتبعه ولذلك سماه فتاه وقيل لعبده (لا أبرح) أى لا أزال أسير فحذف الخبر لدلالة حاله وهو السفر وقوله (حتى أبلغ مجمع البحرين) من حيث انها تستدعى ذا غاية عليه ويجوز أن يكون أصله لا يبرح مسيرى حتى أبلغ على أن حتى أبلغ هو الخبر فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه فانقلب الضمير والفعل وأن يكون لا أبرح هو بمعنى لا أزول عما أنا عليه من السير والطلب ولا أفارقه فلا يستدعى الخبر ومجمع البحرين ملتقى بحرى فارس والروم مما يلى المشرق وعد لقاء الخضر فيه وقيل البحران موسى وخضر عليهما الصلاة والسلام فان موسى كان بحر علم الظاهر والخضر كان بحر علم الباطن وقرئ مجمع بكسر الميم على الشذوذ من يفعل كالمشرق والمطلع (أو أمضى

مستفاد من صيغة الغفور (قوله استشهاد على ذلك) أى على كونه تعالى موصوفا بالرحمة بامهال قريش فانه تعالى لو لم يكن موصوفا بها لم يمهل قريشا مع شركهم وفرط عداوتهم لرسوله (قوله أو مفعول مضمر مفسر) يعنى مفعول أهلكنا المضمر المفسر باهلكناهم (قوله ولابد من تقدير مضاف فى أحدهما الخ) أى لابد من تقدير مضاف بان يقال لمعنى أهل تلك القرى (قوله لاهلاكهم وقتا معلوما الخ) جعل المهلك مصدرا بمعنى الاهلاك وهو على قراءة غير عاصم فانهم قرؤا بضم الميم وفتح اللام على ان يكون مصدرا على زنة المفعول (قوله حتى أبلغ مجمع البحرين من حيث الخ) عطف على حاله أى لدلالة حاله ولدلالة قوله فان حتى تدل على الغاية وهى تستدعى ذا غاية (قوله ويجوز أن يكون أصله الخ) الباعث على هذا التكلف ان البراح هو الزوال وهو غير مسند الى موسى بل الى سيره فى الحقيقة فاسناده اليه على ما هو الظاهر يستدعى تكلفا وقوله فانقلب الضمير والفعل معناه انقلب ضمير المتكلم البارز الى المستتر وانقلب فعل الغائب الى المتكلم (قوله فلا يستدعى الخبر) لان لا يزول ليس من الافعال التى تستدعى خبرا (قوله على الشذوذ من يفعل الخ) أى المجمع بكسر الميم مجمع بفتح الميم شاذ كالمشرق والمطلع بكسر الراء واللام من يشرق ويطلع بضمهما شاذان وعبارة

الكشاف وهو فى الشذوذ من يفعل كالمشرق والمطلع من يفعل (قوله حتى أبلغ الا ان أمضى) فيكون أو بمعنى الا كما فى قوله لالزمنك أوتعطيني حقي وانما لم يجعلها بمعنى الى أن اذ لا وجه له اذ كان المعنى حتى الى ان أمضى حقبا وهو غير صحيح لاجتماع حرفين للغاية وان كان متعلقا بقوله لا أبرح كان المعنى لا أبرح أسير الى أن أمضى حقبا فكان جزما بسير الحقب وهو مناف لقوله تعالى حتى أبلغ مجمع البحرين (قوله فوات المجمع) أي فوات المجمع ليعتقد بانه لا يحصل الجمع (قوله يبتغى علم الناس الى علمه) أى

حقبا) أو أسير زمانا طويلا والمعنى حتى يقع اما بلوغ المجمع أو مضى الحقب أو حتى أبلغ الا أن أمضى زمانا أتيقن معه فوات المجمع والحقب الدهر وقيل ثمانون سنة وقيل سبعون روى أن موسى عليه الصلاة والسلام خطب الناس بعد هلاك القبط ودخوله مصر خطبة بليغة فاعجب بها فقيل له هل تعلم أحدا أعلم منك فقال لا فاوحى الله اليه بل أعلم منك عبدنا الخضر وهو بمجمع البحرين وكان الخضر فى أيام افريدون وكان على مقدمة ذى القرنين الاكبر و بقى الى أيام موسى وقيل ان موسى عليه السلام سأل ربه أى عبادك أحب اليك قال الذى يذكرنى ولا ينسانى قال فاى عبادك أقضى قال الذى يقضى بالحق ولا يتبع الهوى قال فاى عبادك أعلم قال الذى يبتغى علم الناس الى علمه عسى أن يصيب كلمة تدله على هدى أو ترده عن ردى فقال ان كان فى عبادك أعلم منى فادللنى عليه قال أعلم منك الخضر قال أين أطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال كيف لى به قال تأخذ حوتا فى مكتل فحيث فقدته فهو هناك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرنى فذهبا يمشيان (فلما بلغا مجمع بينهما) أى مجمع البحرين و بينهما ظرف أضيف اليه على الاتساع أو بمعنى الوصل (نسيا حوتهما) نسى موسى عليه الصلاة والسلام أن يطلبه و يتعرف حاله و يوشع أن يذكر له ما رأى من حياته ووقوعه فى البحر روى أن موسى عليه السلام رقد فاضطرب الحوت المشوى ووثب فى البحر معجزة لموسى أو الخضر وقيل توضأ يوشع من عين الحياة فانتضح الماء عليه فعاش ووثب فى الماء وقيل نسيا تفقد أمره وما يكون منه أمارة على الظفر بالمطلوب (فاتخذ سبيله فى البحر سربا) فاتخذ الحوت طريقه فى البحر مسلكا من قوله وسارب بالنهار وقيل أمسك الله جرية الماء على الحوت فصار كالطاق عليه ونصبه على المفعول الثانى وفى البحر حال منه أو من السبيل ويجوز تعلقه باتخذ (فلما جاوزا) مجمع البحرين (قال لفتاه آتنا غداءنا) ما تتغدى به (لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) قيل لم ينصب حتى جاوز الموعد فلما جاوزه وسار الليلة والغد الى الظهر ألقى عليه الجوع والنصب وقيل لم يعى موسى فى سفر غيره و يؤيده التقييد باسم الاشارة (قال أرأيت اذ أوينا) أرأيت ما دهانى اذ أوينا (الى الصخرة) يعنى الصخرة التى رقد عندها موسى وقيل هى الصخرة التى دون نهر الزيت (فانى نسيت الحوت) فقدته أو نسيت ذكره بما رأيت منه (وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره) أى وما أنسانى ذكره الا الشيطان فان أن أذكره بدل من الضمير وقرئ أن أذكركه وهو اعتذار عن نسيانه بشغل الشيطان له بوساوسه والحال وان كانت عجيبة لا ينسى مثلها لكنه لما ضرى بمشاهدة أمثالها عند موسى وألفها قل اهتمامه بها ولعله نسى ذلك لاستغراقه فى الاستبصار وانجذاب شراشره الى جناب القدس بما عراه من مشاهدة الآيات الباهرة وانما نسبه الى الشيطان هضما لنفسه أو لان عدم احتمال القوة للجانبين واشتغالها باحدهما عن الآخر يعد من نقصان (واتخذ سبيله فى البحر عجبا) سبيلا عجبا وهو كونه كالسرب أو اتخاذا عجبا والمفعول الثانى هو الظرف وقيل هو مصدر فعله المضمر أى قال فى آخر كلامه أو موسى فى جوابه عجبا تعجبا من

يطلب انضمام علم الناس الى علمه (قوله و بينهما ظرف أضيف اليه الخ) بان يخرج الظرف عن الظرفية فصار المعنى محل جمع بينهما أو يكون بمعنى الموصل فيصير المعنى محل جمع وصلهما وفيه انه يكفى أن يقال محل اجتماعهما أو محل وصلهما ولا يلائم اجتماع الجمع والوصل ولذا لم يذكر صاحب الكشاف هذا الوجه (قوله وقيل نسيا تفقد أمره وما يكون منه الخ) أى نسيا ان يترصدا حال الحوت فى ذلك الوقت و ينتظرا حصول ما يكون فوزا بالمطلوب الذى هو التقاء الخضر (قوله فصار كالطاق) أى حصل فى الماء جوف خال كالسرب فى الارض سكن فيه الحوت (قوله وانما نسب الى الشيطان الخ) فيه انه يلزم من كلا الوجهين الكذب وهو لا يناسب نبيا مرسلا ولا ضرورة الى اثبات التجوز والتكلف ولو كان القول منه على ما ذكره

المصنف لوجب أن يكون بدله أن يقول ولم أستطع تذكره فان فيه أيضا هضما للنفس مع الاختصار (قوله والمفعول الثانى هو الظرف) هذا على التقدير الثانى اذ عليه عجبا صفة للمفعول المطلق المحذوف فوجب أن يكون الظرف مفعولا ثانيا اذ ليس شئ آخر يصح ان يكون كذلك (قوله وقيل هو مصدر فعله المضمر) فيكون التقدير عجبت تعجبا من تلك الحالة (قوله أى قال فى آخر كلامه عجبا) أى هذا اللفظ لتعجبه من تلك الاية

(قوله مما يختص بنا ولا يعلم الا بتوفيقنا الخ) فان قيل فيه ان كل علم لا يعلم الا بتوفيق الله تعالى فالاولى ان يقال هو علم يختص به تعالى لا يعرفه الا من اصطفاه الله تعالى من عباده قلنا هذا السؤال انما يرد اذا كان التوفيق بتقديم الفاء على القاف وأما اذا كان بالعكس وهو الواقع ههنا فلا يرد لان المراد مما لا يعلم الا بتوقيف الله ما لا يحصل بالكسب ولا يكون تحت اختيار الشخص (قوله وهو في موضع الحال من الكاف) والتقدير كائنا على شرط تعليمك اياى (قوله ومفعول علمت العائد المحذوف) لان التقدير

تلك الحال وقيل الفعل لموسى أى اتخذ موسى سبيل الحوت فى البحر عجبا (قال ذلك) أى أمر الحوت (ما كنا نبغ) نطلب لانه أمارة المطلوب (فارتدا على آثارهما) فرجعا فى الطريق الذى جا آ فيه (قصصا) يقصان قصصا أى يتبعان آثارهما اتباعا أو مقتصين حتى أتيا الصخرة (فوجدا عبدا من عبادنا) الجمهور على أنه الخضر واسمه بليا بن ملكان وقيل اليسع وقيل الياس (آتيناه رحمة من عندنا) هى الوحى والنبوّة (وعلمناه من لدنا علما) مما يختص بنا ولا يعلم الا بتوفيقنا وهو علم الغيوب (قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن) على شرط أن تعلمنى وهو فى موضع الحال من الكاف (مما علمت رشدا) علما ذا رشد وهو اصابة الخير وقرأ البصريان بفتحتين وهما لغتان كالبخل والبخل وهو مفعول تعلمنى ومفعول علمت العائد المحذوف وكلاهما منقولان من علم الذى له مفعول واحد ويجوز أن يكون رشدا علة لأتبعك أو مصدرا باضمار فعله ولا ينافى نبوّته وكونه صاحب شريعة أن يتعلم من غيره ما لم يكن شرطا فى أبواب الدين فان الرسول ينبغى أن يكون أعلم ممن أرسل اليه فيما بعث به من أصول الدين وفروعه لا مطلقا وقد راعى فى ذلك غاية التواضع والادب فاستجهل نفسه واستأذن أن يكون تابعا له وسأل منه أن يرشده وينعم عليه بتعليم بعض ما أنعم الله عليه (قال انك لن تستطيع معى صبرا) نفى عنه استطاعة الصبر معه على وجوه من التأكيد كأنها مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك واعتذر عنه بقوله (وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا) أى وكيف تصبر وأنت نبىّ على ما أتولى من أمور ظواهرها مناكير وبواطنها لم يحط بها خبرك وخبرا تمييز أو مصدر لان لم تحط به بمعنى لم تخبره (قال ستجدنى ان شاء الله صابرا) معك غير منكر عليك (ولا أعصى لك أمرا) عطف على صابرا أى ستجدنى صابرا وغير عاص أو على ستجدنى وتعليق الوعد بالمشيئة اما للتيمن وخلفه ناسيا لا يقدح فى عصمته أو لعلمه بصعوبة الامر فان مشاهدة الفساد والصبر على خلاف المعتاد شديد فلا خلف وفيه دليل على أن أفعال العباد واقعة بمشيئة الله تعالى (قال فان اتبعتنى فلا تسألنى عن شئ) فلا تفاتحنى بالسؤال عن شئ أنكرته منى ولم تعلم وجه صحته (حتى أحدث لك منه ذكرا) حتى أبتدئك ببيانه وقرأ نافع وابن عامر فلا تسألنى بالنون الثقيلة (فانطلقا) على الساحل يطلبان السفينة (حتى اذا ركبا فى السفينة خرقها) أخذ الخضر فأسا فخرق السفينة بأن قلع لوحين من ألواحها (قال أخرقتها لتغرق أهلها) فان خرقها سبب لدخول الماء فيها المفضى الى غرق أهلها وقرئ لتغرق بالتشديد للتكثير وقرأ حمزة والكسائى ليغرق أهلها على اسناده الى الاهل (لقد جئت شيأ امرا) أتيت أمرا عظيما من أمر الامر اذا عظم (قال ألم أقل انك لن تستطيع معى صبرا) تذكير لما ذكره قبل (قال لا تؤاخذنى بما نسيت) بالذى نسيته أو بشئ نسيته يعنى وصيته بان لا يعترض عليه أو بنسيانى اياها وهو اعتذار بالنسيان أخرجه فى معرض النهى عن المؤاخذة مع قيام المانع لها وقيل أراد بالنسيان الترك أى لا تؤاخذنى بما تركت من وصيتك أول مرة وقيل انه من معاريض الكلام والمراد شئ آخر نسيه (ولا ترهقنى من أمرى عسرا)

ما علمته (قوله وكلاهما منقولان من علم الذى له مفعول واحد الخ) وهو ان يكون علم بمعنى عرف (قوله ويجوز ان يكون رشدا علة لاتبعك) أى يكون رشدا مفعولا له لا تبعك فان الاتباع والرشد وهو الاهتداء الى الخير فعلا فاعل واحد (قوله على وجوه من التأكيد) أحدها ايراد الجملة الاسمية الثانى ايراد ان عليها الثالث ايراد لن على الفعل فانه يفيد التأكيد كما صرح به الزمخشرى فى الكشاف وتبعه الرضى وقال صاحب المغنى كون لن للتأكيد دعوى بلا دليل (قوله على ما أتولى) متعلق بقوله كيف تصبر أى كيف تصبر على ما أتولى وأنت نبى (قوله وتعليق الوعد بالمشيئة الخ) لما كان كل أمر لا يكون وقوعه الا بمشيئة الله تعالى لا يحتاج الوعد المذكور الى ذكر التعليق بالمشيئة لانه معلوم انه متعلق به فالتصريح بالتعليق لا بد

ان يكون لنكتة هى ما ذكر والتيمن ظاهر وأما العلم بصعوبة الامر فلان القول بانى أفعل كذا دال على تحقق الوقوع ظاهرا فلما علم صعوبة الاتباع توسل بالاستثناء الدال على عدم تيقن وقوعه لاجل صعوبته (قوله وفيه دليل الخ) لانه لما كان الاتباع بمشيئته كان كل فعل كذلك اذ لا فرق بين فعل وفعل فتأمل (قوله بالذى نسيته أو شئ نسيته) يعنى يجوز ان تكون ما موصولة وان تكون موصوفة (قوله وقيل انه من معاريض الكلام الخ) أى موسى عليه السلام لم ينس الوصية المذكورة لكن أورد الكلام فى صورة دلت على

ولا تغشني عسرا من أمري بالمضايقة والمؤاخذة على المنسي فان ذلك يعسر على متابعتك وعسرا مفعول ثان لترهق فانه يقال رهقه اذا غشيه وأرهقه اياه وقرئ عسرا بضمتين (فانطلقا) أي بعد ما خرجا من السفينة (حتى اذا لقيا غلاما فقتله) قيل فتل عنقه وقيل ضرب برأسه الحائط وقيل أضجعه فذبحه والفاء للدلالة على أنه كما لقيه قتله من غير ترو واستكشاف حال ولذلك (قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس) أي طاهرة من الذنوب وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ورويس عن يعقوب زاكية والاول أبلغ وقال أبو عمرو الزاكية التي لم تذنب قط والزكية التي أذنبت ثم غفرت ولعله اختار الاول لذلك فانها كانت صغيرة لم تبلغ الحلم أو أنه لم يرها قد أذنبت ذنبا يقتضي قتلها أو قتلت نفسا فتقاد بها نبه به على أن القتل انما يباح حدا أو قصاصا وكلا الامرين منتف ولعل تغيير النظم بأن جعل خرقها جزاء واعتراض موسى عليه السلام مستأنفا في الأولى وفي الثانية قتله من جملة الشرط واعتراضه جزاء لان القتل أقبح والاعتراض عليه أدخل فكان جديرا بأن يجعل عمدة الكلام ولذلك فصله بقوله (لقد جئت شيأ نكرا) أي منكرا وقرأ نافع في رواية قالون وورش وابن عامر ويعقوب وأبو بكر نكرا بضمتين (قال ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا) زاد فيه لك مكافحة بالعتاب على رفض الوصية ووسما بقلة الثبات والصبر لما تكرر منه الاشمئزاز والاستنكار ولم يرعو بالتذكير أول مرة حتى زاد في الاستنكار ثاني مرة (قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني) وان سألت صحبتك وعن يعقوب فلا تصحبني أي فلا تجعلني صاحبك (قد بلغت من لدني عذرا) قد وجدت عذرا من قبلي لما خالفتك ثلاث مرات وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أخي موسى استحيا فقال ذلك لو لبث مع صاحبه لابصر أعجب الاعاجيب وقرأ نافع من لدني بتحريك النون والاكتفاء بها عن نون الدعامة كقوله

* قدني من نصر الخبيبين قدي *

وأبو بكر لدني بتحريك النون واسكان الدال اسكان الضاد من عضد (فانطلقا حتى اذا أتيا أهل قرية) قرية انطاكية وقيل أيلة البصرة وقيل باجروان ارمينية (استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما) وقرئ يضيفوهما من أضافه يقال ضافه اذا نزل به ضيفا وأضافه وضيفه أنزله وأصل التركيب للميل يقال ضاف السهم عن الغرض اذا مال (فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض) يداني أن يسقط فاستعيرت الارادة للمشارفة كما استعير لها الهم والعزم قال

يريد الرمح صدر أبي براء * ويعدل عن دماء بني عقيل

(وقال) ان دهرا يلم شملي بجمل * لزمان يهم بالاحسان

وانقض انفعل من قضضته اذا كسرته ومنه انقضاض الطير والكواكب لهويه أو افعل من النقض وقرئ أن ينقض وأن ينقاص بالصاد المهملة من انقاصت السن اذا انشقت طولا (فأقامه) بعمارته أو بعمود عمده به وقيل مسحه بيده فقام وقيل نقضه وبناه (قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا) تحريضا على أخذ الجعل لينتعشا به أو تعريضا بأنه فضول لما في لو من النفي كأنه لما رأى الحرمان ومساس الحاجة واشتغاله بما لا يعنيه لم يتمالك نفسه واتخذ افتعل من تخذ كاتبع من تبع وليس من الاخذ عند البصريين وقرأ ابن كثير والبصريان لتخذت أي لأخذت وأظهر ابن كثير ويعقوب وحفص الذال وأدغمه الباقون (قال هذا فراق بيني وبينك) الاشارة الى الفراق الموعود بقوله فلا تصاحبني أو الى الاعتراض الثالث أو الوقت أي هذا الاعتراض

ذكر من أن الزاكية أعلى من الزكية فان من لم يقارف الذنب أصلا أعلى ممن قارفه ثم استغفر (قوله وكلا الامرين منتف) اما الحد فلانه لم يذنب ذنبا يستحق الحد وأما القصاص فلانه لم يقتل نفسا (قوله لان القتل أقبح الى قوله فكان جديرا الخ) أي جعل اعتراض موسى عليه السلام في المرة الثانية نفس الجزاء وعمدة الكلام لان الجزء الثاني من الكلام لمزيد الاهتمام به وقوته في الاعتراض بخلاف المرة الاولى والمراد بجعله عمدة الكلام ان يكون الاعتراض من جملة الكلام الاول الذي ألقي الى المخاطب لمزيد الاهتمام (قوله ولذلك فصله الخ) أي لاجل ان الاعتراض بالقتل أقبح جعل آخر هذه الآية نكرا وجعل فاصلة الآية السابقة امرا لان كون الشيء نكرا أبلغ من كونه امرا (قوله لما فيه من معنى النفي) يعني ما فيه من معنى النفي يدل على عدم المشيئة فان لو شئت يستلزم المشيئة لما قالوا ان لو لانتفاء أحد الشيئين لانتفاء الآخر

(قوله تحريضا على أخذ الجعل أو تعريضا بأنه فضول) اما التحريض فظاهر وأما التعريض فلانه لما لم يأخذ الجعل سبب مقابلا لاعمله فهو فضول (قوله الاشارة الى الفراق الموعود بقوله فلا تصاحبني) فيه انه يلزم منه اتحاد المبتدأ والخبر لان الفراق الموعود معناه

الفراق بيني وبينك فكأنه قيل الفراق بيني وبينك فراق بيني و بينك والاولى الاقتصار على الوجه الأخ الخ (قوله واضافة الفراق الى البين الخ) هذا يدل على ان ما اختاره ابن الحاجب من ان الاضافة قد تكون بمعنى فى ضعيف اذ لو جاز ماذكر لم يحتج ههنا الى الاتساع بل يقال أضيف المصدر الى البين الذى هو الظرف بتقدير فى كما فى ضرب اليوم على ما اختاره ولاجل ضعفه وكونه خلاف الجمهور رده الرضى (قوله على سبيل التقييد والتعميم) اما التقييد فالمراد به ان مسكنة الملاك مع قيد كون الملك المذكور وراءهم سبب لما ذكر واما التعميم فلدلالته على ان الاصل رعاية حال المساكين وخوف الغصب منهم لما ذكر (قوله والمعنى عليها)

سبب فراقنا أو هذا الوقت وقته واضافة الفراق الى البين اضافة المصدر الى الظرف على الاتساع وقد قرئ على الاصل (سانبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا) بالخبر الباطن فيما لم تستطع الصبر عليه لكونه منكرا من حيث الظاهر (أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر) لمحاويج وهو دليل على أن المسكين يطلق على من يملك شيأ اذا لم يكفه وقيل سموا مساكين لعجزهم عن دفع الملك أو لزمانتهم فانها كانت لعشرة اخوة خمسة زمنى وخمسة يعملون فى البحر (فاردت أن أعيبها) ان أجعلها ذات عيب (وكان وراءهم ملك) قدامهم أو خلفهم وكان رجوعهم عليه واسمه جلندى بن كركر وقيل منوار بن جلندى الازدى (يأخذ كل سفينة غصبا) من أصحابها وكان حق النظم أن يتأخر قوله فاردت أن أعيبها عن قوله وكان وراءهم ملك لان ارادة التعيب مسببة عن خوف الغصب وانما قدم للعناية أو لان السبب لما كان مجموع الامرين خوف الغصب ومسكنة الملاك رتبه على أقوى الجزأين وأدعاهما وعقبه بالاخر على سبيل التقييد والتتميم وقرئ كل سفينة صالحة والمعنى عليها (وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما) أن يغشيهما (طغيانا وكفرا) لنعمتهما بعقوقه فيلحقهما شرا أو يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع فى بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر أو يعديهما بعلته فيرتدا باضلاله أو بممالأته على طغيانه وكفره حباله وانما خشى ذلك لان الله تعالى أعلمه وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن نجدة الحرورى كتب اليه كيف قتله وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن قتل الولدان فكتب اليه ان كنت علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك أن تقتل وقرئ فخاف ربك أى فكره كراهة من خاف سوء عاقبته ويجوز أن يكون قوله فخشينا حكاية قول الله عز وجل (فاردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه) أن يرزقهما بدله ولدا خيرا منه (زكاة) طهارة من الذنوب والاخلاق الرديئة (وأقرب رحما) رحمة وعطفا على والديه قيل ولدت لهما جارية فتزوجها نبى فولدت له نبيا هدى الله به أمة من الأمم وقرأ نافع وأبو عمرو يبدلهما بالتشديد وابن عامر ويعقوب وعاصم رحما بالتخفيف وانتصابه على التمييز والعامل اسم التفضيل وكذلك زكاة (وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة) قيل اسمهما أصرم وصريم واسم المقتول جيسور (وكان تحته كنز لهما) من ذهب وفضة روى ذلك مرفوعا والذم على كنزهما فى قوله والذين يكنزون الذهب والفضة لمن لا يؤدى زكاتهما وما تعلق بهما من الحقوق وقيل من كتب العلم وقيل كان لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله (وكان أبوهما صالحا) تنبيه على أن سعيه ذلك كان لصلاحه قيل كان بينهما وبين الاب

أى معنى الكلام على مقتضى هذه القراءة فان الصالحة وان لم تذكر فى القراءة المشهورة اعتبر معناها اذ يعلم من الآية انه غصب كل سفينة صالحة لا انه غصب كل سفينة صالحة وغيرها اذ لو كان كذلك لما كان لتعييبها فائدة (قوله ويجوز ان يكون قوله فخشينا حكاية الخ) أى يجوز ان يكون قول الخضر فخشينا الخ حكاية عما قال الله تعالى فكأنه قال الخضر واما الغلام فكان أبواه مؤمنين فقال ربك خشينا (قوله رحما بالثقل) أى بتحريك الحاء واما الباقون فقرؤا بسكون الحاء (قوله روى ذلك مرفوعا) أى مرفوعا الى النبى صلى الله عليه وسلم (قوله والذم على كنزهما فى قوله تعالى والذين يكنزون الخ) جواب سؤال وهو ان الله عز وجل وصف أباهما بالصلاح مع وصفه بالكنز لان الظاهر ان الاب هو الكانز كما فهم من التفسير والحال ان كنز الذهب والفضة مذموم فاجاب بان ما ورد من الذم هو لمن يكنزهما ولم يؤد زكاتهما (قوله وما تعلق بهما من الحقوق) كما اذا تعلق به الدين الذى على صاحبه بان أفلس أو مات وتعلق الدين بما كنز من الذهب والفضة (قوله وقيل من كتب العلم) معطوف على من ذهب وفضة وتقدير الكلام قالوا ان الكنز من ذهب وفضة وقيل الخ (قوله تنبيه الى ان سعيه) أى سعى الخضر بمجرد صلاح الاب وفيه ان حفظ مال الولدان مطلقا محمود الا ان يقال السعى المذكور وهو اقامة الجدار لصلاح الاب (قوله وقيل كان بينهما وبين الاب

الذی حفظا فیه) أی حفظ الولدان لاجل صلاحه (قوله ولعل اسناد الارادة أولا الخ) یعنی قال الخضر أولا فاردت أن أعیبها لان العیب فعله ونسب ثانیا الارادة الیه والی الله تعالی فقال فأردنا لان مادخل علیه الارادة وهو ابدال الغلام انما یحصل بقتله الذی هو فعله وایجاد الولد الآخر الذی هو محض فعل الله تعالی ونسب ثالثا الارادة الی الله تعالی لان ابقاء الوالدین وحفظ الکنز لادخل للخضر فیهما (قوله أولا لان الاول فی نفسه شر الخ) أی تعییب السفینة شر فی حد ذاته وان کان خیرا بالنظر الی مقصود الخضر (قوله أو لاختلاف حال العارف الخ) فالخضر فی أول الامر نظر الی محض الواسطة فنسب الارادة الی نفسه ثم ترقی ثانیا فنسب الفعل الی الله تعالی والواسطة معا ثم ترقی ثالثا فقطع النظر عن الوسائط وجعل نظره خالصا الی الله تعالی هذا توضیح مقصوده ولا یخفی ان قطع النظر عن الوسائط لایناسب حال العارف سیما الخضر (قوله ومن فوائد هذه القصة ان لایعجب المرء بعلمه) فان موسی علیه السلام مع کمال علمه تعلم من الخضر (قوله ولا یبادر الخ) فان موسی علیه السلام بادر الی الانکار وکان فی کل ما أنکر سر خفی علیه (قوله وان یداوم علی التعلم) اذ فوق کل ذی علم علیم (قوله ویتذلل للمعلم) کما ان موسی تذلل للخضر حین قال لا تؤاخذنی بما نسیت الخ (قوله ویراعی الادب فی المقال) کما راعی الخضر حیث نسب الارادة الی نفسه الی آخر ما ذکر (قوله وان یتنبه المجرم علی جرمه) فان الخضر نبه

الذی حفظا فیه سبعة آباء وکان سیاحا واسمه کاشح (فاراد ربک أن یبلغا أشدهما) أی الحلم وکمال الرأی (ویستخرجا کنزهما رحمة من ربک) مرحومین من ربک ویجوز أن یکون علة أو مصدرا لاراد فان ارادة الخیر رحمة وقیل متعلق بمحذوف تقدیره فعلت ما فعلت رحمة من ربک ولعل اسناد الارادة أولا الی نفسه لانه المباشر للتعییب وثانیا الی الله والی نفسه لان التبدیل باهلاک الغلام وایجاد الله بدله وثالثا الی الله وحده لانه لامدخل له فی بلوغ الغلامین أو لان الاول فی نفسه شر والثالث خیر والثانی ممتزج أو لاختلاف حال العارف فی الالتفات الی الوسائط (وما فعلته) وما فعلت ما رأیته (عن أمری) عن رأیی وانما فعلته بامر الله عز وجل ومبنی ذلک علی أنه اذا تعارض ضرران یجب تحمل أهونهما لدفع أعظمهما وهو أصل ممهد غیر أن الشرائع فی تفاصیله مختلفة (ذلک تأویل ما لم تسطع علیه صبرا) أی ما لم تستطع فحذف التاء تخفیفا ومن فوائد هذه القصة أن لایعجب المرء بعلمه ولا یبادر الی انکار ما لم یستحسنه فلعل فیه سرا لایعرفه وأن یداوم علی التعلم ویتذلل للمعلم ویراعی الادب فی المقال وأن ینبه المجرم علی جرمه ویعفو عنه حتی یتحقق اصراره ثم یهاجر عنه (ویسئلونک عن ذی القرنین) یعنی اسکندر الرومی ملک فارس والروم وقیل المشرق والمغرب ولذلک سمی ذا القرنین أو لانه طاف قرنی الدنیا شرقها وغربها وقیل لانه انقرض فی أیامه قرنان من الناس وقیل کان له قرنان أی ضفیرتان وقیل کان لتاجه قرنان ویحتمل أنه لقب بذلک لشجاعته کما یقال الکبش للشجاع کانه ینطح أقرانه واختلف فی نبوته مع الاتفاق علی ایمانه وصلاحه والسائلون هم الیهود سألوه امتحانا أو مشرکو مکة (قل سأتلو علیکم منه ذکرا) خطاب للسائلین والهاء لذی القرنین وقیل لله (انا مکناله فی الارض) أی مکنا له أمره من التصرف فیها کیف شاء فحذف المفعول (وآتیناه من کل شیء) أراده وتوجه الیه (سببا) وصلة توصله الیه من العلم والقدرة والآلة (فاتبع سببا) أی فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا یوصله الیه وقرأ الکوفیون وابن عامر بقطع الالف مخففة التاء (حتی اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فی عین حمئة) ذات حمأ من حمئت البئر اذا صارت ذات حمأة وقرأ ابن عامر وحمزة والکسائی وأبو بکر حامیة أی حارة ولا تنافی بینهما لجواز أن تکون العین جامعة للوصفین أو حمیئة علی أن یاءها مقلوبة عن الهمزة لکسر ما قبلها ولعله بلغ ساحل المحیط فرآها کذلک اذ لم یکن فی مطمح بصره غیر الماء ولذلک قال وجدها تغرب ولم یقل کانت تغرب وقیل ان ابن عباس سمع معاویة یقرأ حامیة فقال حمئة فبعث معاویة الی کعب الاحبار کیف تجد الشمس تغرب قال فی ماء وطین کذلک نجده فی التوراة (ووجد عندها) عند تلک العین (قوما) قیل کان لباسهم جلود الوحش وطعامهم

موسی علی ما صدر عنه من السؤال أی ینبغی أن ینبه المجرم علی جرمه حتی یتحقق اصراره فانه لو لم ینبه علی جرمه لاحتمل ان یکون صدوره عنه بسهو أو نسیان فاما اذا نبه علی ما صدر منه مما لاینبغی ثم عاد الی فعله یتحقق تعمده واصراره علی جرمه فیهاجر المنبه عنه أی عن المجرم أی یترکه کما هاجر الخضر عن موسی (قوله یعنی اسکندر الرومی) قال الامام فی جعل ذی القرنین اسکندر اشکال قوی وهو انه کان تلمیذ الارسطاطالیس وکان علی مذهبه فتعظیم الله تعالی ایاه یوجب الحکم بان مذهب ارسطاطالیس حق وذلک مما لاسبیل الیه (قوله وقیل لله) فیکون المعنی سأتلو علیکم من الله ذکره لان ما یجیء هو مقول الله تعالی وفعله (قوله فاراد بلوغ المغرب فاتبع سببا) انما قدر هذا بقرینة قوله تعالی حتی اذا بلغ مغرب الشمس

(قوله ويؤيد الاول قوله الخ) وجه التأييد انه يعلم من الكلام ان بعضهم آمن ولا يكون الا بعد الدعوة ففهم منه اختيار الدعوة حتى
يظهر اصرار البعض وايمان آخرين (قوله ويجوز ان يكون اما واما للتقسيم دون التخيير الخ) المعنى على

وطعامهم ما لفظه البحر وكانوا كفارا فخيره الله بين أن يعذبهم أو يدعوهم الى الايمان كما حكى
بقوله (قلنا ياذا القرنين اما أن تعذب) أى بالقتل على كفرهم (واما أن تتخذ فيهم حسنا) بالارشاد
وتعليم الشرائع وقيل خيره الله بين القتل والاسر وسماه احسانا فى مقابلة القتل ويؤيد الاول قوله (قال
أما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا) أى فاختار الدعوة وقال أما من دعوته
فظلم نفسه بالاصرار على كفره أو استمر على ظلمه الذى هو الشرك فنعذبه أنا ومن معى فى الدنيا بالقتل
ثم يعذبه الله فى الآخرة عذابا منكرا لم يعهد مثله (وأما من آمن وعمل صالحا) وهو ما يقتضيه الايمان
(فله) فى الدارين (جزاء الحسنى) فعلته الحسنى وقرأ حمزة والكسائى ويعقوب وحفص جزاء منونا
منصوبا على الحال أى فله المثوبة الحسنى مجزيا بها أو على المصدر لفعله المقدر حالا أى يجزى بها جزاء
أو التمييز وقرئ منصوبا غير منون على أن تنوينه حذف لالتقاء الساكنين ومنونا مرفوعا على أنه
المبتدأ والحسنى بدله ويجوز أن يكون اما واما للتقسيم دون التخيير أى ليكن شأنك معهم اما التعذيب
واما الاحسان فالاول لمن أصر على الكفر والثانى لمن تاب عنه ونداء الله اياه ان كان نبيا فبوحى
وان كان غيره فبالهام أو على لسان نبى (وسنقول له من أمرنا) مما نأمر به (يسرا) سهلا ميسرا غير
شاق وتقديره ذا يسر وقرئ بضمتين (ثم أتبع سببا) ثم اتبع طريقا يوصله الى المشرق (حتى اذا بلغ
مطلع الشمس) يعنى الموضع الذى تطلع الشمس عليه أولا من معمورة الارض وقرئ بفتح اللام على
اضمار مضاف أى مكان مطلع الشمس فانه مصدر (وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا)
من اللباس أو البناء فان أرضهم لا تمسك الابنية أو أنهم اتخذوا الاسراب بدل الابنية (كذلك) أى
أمر ذى القرنين كما وصفناه فى رفعة المكان وبسطة الملك أو أمره فيهم كأمره فى أهل المغرب من
التخيير والاختيار ويجوز أن يكون صفة مصدر محذوف لوجد أو نجعل أو صفة قوم أى على قوم مثل
ذلك القبيل الذين تغرب عليهم الشمس فى الكفر والحكم (وقد أحطنا بما لديه) من الجنود والآلات
والعدد والاسباب (خبرا) علما تعلق بظواهره وخفاياه والمراد أن كثرة ذلك بلغت مبلغا لا يحيط به الا علم
اللطيف الخبير (ثم أتبع سببا) يعنى طريقا ثالثا معترضا بين المشرق والمغرب آخذا من الجنوب الى الشمال
(حتى اذا بلغ بين السدين) بين الجبلين المبنى بينهما سده وهما جبلا ارمينية واذربيجان وقيل جبلان
منيفان فى أواخر الشمال فى منقطع أرض الترك من ورائهما يأجوج ومأجوج وقرأ نافع وابن عامر
وحمزة والكسائى وأبو بكر ويعقوب بين السدين بالضم وهما لغتان وقيل المضموم لما خلقه الله تعالى
والمفتوح لما عمله الناس لانه فى الاصل مصدر سمى به حدث يحدثه الناس وقيل بالعكس وبين ههنا
مفعول به وهو من الظروف المتصرفة (وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا) لغرابة لغتهم
وقلة فطنتهم وقرأ حمزة والكسائى لا يفقهون أى لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لتلعثمهم فيه
(قالوا ياذا القرنين) أى قال مترجمهم وفى مصحف ابن مسعود قال الذين من دونهم (ان يأجوج
ومأجوج) قبيلتان من ولد يافث بن نوح وقيل يأجوج من الترك ومأجوج من الجيل وهما اسمان
أعجميان بدليل منع الصرف وقيل عربيان من أج الظليم اذا أسرع وأصلهما الهمز كما قرأ عاصم ومنع
صرفهما للتعريف والتأنيث (مفسدون فى الارض) أى فى أرضنا بالقتل والتخريب واتلاف الزرع
قيل كانوا يخرجون أيام الربيع فلا يتركون أخضر الا أكلوه ولا يابسا الا احتملوه وقيل كانوا يأكلون

التخيير انك تخير بين ان تدعو جميعهم أو تقتل جميعهم والتقسيم بان يعذب بعضهم بعد الدعوة ويحسن مع بعضهم (قوله وقرئ بفتح اللام على اضمار مضاف الخ) قال صاحب الصحاح المطلع والمطلع أيضا موضع الطلوع وعلى هذا لا حاجة الى تقدير مضاف (قوله أخذ من الجنوب الى الشمال) هذا يفهم من قوله تعالى حتى اذا بلغ بين السدين لان ما بين السدين فى اقاصى جهة الشمال فالظاهر انه سار من الجنوب الى الشمال حتى انتهى الى ما هو من اقاصى قطب الشمال (قوله لانه فى الاصل مصدر الخ) قال صاحب الكشاف ما كان من خلق الله فهو مضموم لان السد بالضم بمعنى مفعول أى هو مما فعله الله وخلقه والسد بالفتح مصدر سمى به حدث مما يحدثه الناس لان الحدوث فيما يحدثه الناس أظهر والسد بالضم مفعول فهو أنسب بان ينسب الى الله تعالى لان المفعول فى الحقيقة مفعوله (قوله وقيل بالعكس) ووجهه ان السد بالفتح فعل فى الاصل
ولا فاعل الا الله تعالى واما السد بالضم فهو المفعول اذ المتبادر من المفعول ما فعله الناس كما يقال المصنوع لما صنعوه (قوله ومنع صرفهما
للتعريف والتأنيث) بان يكونا اسمي قبيلتين

الناس (فهل نجعل لك خرجا) جعلا نخرجه من أموالنا وقرأ حمزة والكسائي خراجا وكلاهما واحد
كالنول والنوال وقيل الخراج على الارض والذمة والخرج المصدر (على أن تجعل بيننا و بينهم سدا)
يحجز دون خروجهم علينا وقد ضمه من ضم السد بن غير حمزة والكسائي (قال ما مكني فيه ربي خير)
ما جعلني فيه مكينا من المال والملك خير مما تبذلون لى من الخراج ولا حاجة بي اليه وقرأ ابن كثير مكنني
على الاصل (فاعينوني بقوة) أى بقوة فعلة أو بما أتقوى به من الآلات (أجعل بينكم و بينهم ردما)
حاجزا حصينا وهو أكبر من السد من قولهم ثوب مردم اذا كان رقاعا فوق رقاع (آتوني زبر الحديد)
قطعه والزبرة القطعة الكبيرة وهو لا ينافي رد الخراج والاقتصار على المعونة لان الايتاء بمعنى المناولة
و يدل عليه قراءة أبي بكر ردما ائتوني بكسر التنوين موصولة الهمزة على معنى جيئوني بزبر الحديد
والباء محذوفة حذفها في أمرتك الخير ولان اعطاء الآلة من الاعانة بالقوة دون الخراج على العمل
(حتى اذا ساوى بين الصدفين) بين جانبي الجبلين بتنضيدها وقرأ ابن كثير وابن عامر والبصريان
بضمتين وأبو بكر بضم الصاد وسكون الدال وقرئ بفتح الصاد وضم الدال وكلها لغات من الصدف
وهو الميل لان كلا منهما منعزل عن الآخر ومنه التصادف للتقابل (قال انفخوا) أى قال للعملة انفخوا
فى الاكوار والحديد (حتى اذا جعله) جعل المنفوخ فيه (نارا) كالنار بالاحماء (قال آتوني أفرغ عليه
قطرا) أى آتوني قطرا أى نحاسا مذابا أفرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني عليه و به تمسك
البصريون على أن اعمال الثاني من العاملين المتوجهين نحو معمول واحد أولى اذ لو كان قطرا مفعول
آتوني لاضمر مفعول أفرغ حذرا من الالباس وقرأ حمزة وأبو بكر قال ائتوني موصولة الالف (فما
اسطاعوا) بحذف التاء حذرا من تلاقى متقاربين وقرأ حمزة بالادغام جامعا بين الساكنين على غير
حده وقرئ بقلب السين صادا (أن يظهروه) أن يعلوه بالصعود لارتفاعه وانملاسه (وما استطاعوا له
نقبا) لثخنه وصلابته قيل حفر للاساس حتى بلغ الماء وجعله من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من
زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى ساوى أعلى الجبلين ثم وضع المنافيخ حتى صارت كالنار فصب
النحاس المذاب عليه فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا وقيل بناه من الصخور مرتبطا
بعضها ببعض بكلاليب من حديد ونحاس مذاب فى تجاويفها (قال هذا) هذا السد أو الاقدار على
تسويته (رحمة من ربي) على عباده (فاذا جاء وعد ربي) وقت وعده بخروج يأجوج ومأجوج أو
بقيام الساعة بان شارف يوم القيامة (جعله دكا) مدكوكا مبسوطا مسوى بالارض مصدر بمعنى مفعول
ومنه جمل أدك لمنبسط السنام وقرأ الكوفيون دكاء بالمد أى أرضا مستوية (وكان وعد ربي حقا)
كائنا لا محالة وهذا آخر حكاية قول ذى القرنين (وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض) وجعلنا بعض يأجوج
ومأجوج حين يخرجون مما وراء السد يموجون فى بعض مزدحمين فى البلاد أو يموج بعض الخلق فى
بعض فيضطربون و يختلطون انسهم وجنهم حيارى و يؤيده قوله (ونفخ فى الصور) لقيام الساعة
(فجمعناهم جمعا) للحساب والجزاء (وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا) وأبرزناها وأظهرناها
لهم (الذين كانت أعينهم فى غطاء عن ذكرى) عن آياتي التي ينظر اليها فاذكر بالتوحيد والتعظيم
(وكانوا لا يستطيعون سمعا) استماعا لذكرى وكلامي لافراط صممهم عن الحق فان الاصم قد يستطيع
السمع اذا صيح به وهؤلاء كأنهم أصمت مسامعهم بالكلية (أفحسب الذين كفروا) أفظنوا
والاستفهام للانكار (أن يتخذوا عبادى) اتخاذهم الملائكة والمسيح (من دوني أولياء) معبودين
نافعهم أو لا أعذبهم به فحذف المفعول الثاني كما يحذف الخبر للقرينة أو سد أن يتخذوا مسد مفعوليه
وقرئ أفحسب الذين كفروا أى أفكافيهم فى النجاة وأن بما فى حيزها مرتفع بانه فاعل حسب فان

(قوله وهو لا ينافى رد الخراج) أى طلب ايتاء زبر الحديد غير مناف لرد الخراج لان اداء الخراج ان لا يقبل تملك عين من الاعيان وطلب ايتاء زبر الحديد طلب مناولته وان لم يكن ملكا للطالب و يدل عليه أى على ان الايتاء ليس بمعنى الاعطاء والتمليك ايتوني بوصل الهمزة فان من المعلوم انه من المناولة (قوله ولان اعطاء الآلة من الاعانة بالقوة الخ) هذا وجه آخر لنفى منافاة رد الخراج مع طلب ايتاء زبر الحديد وتوضيحه ان رد الخراج عدم قبول الأجرة على العمل وطلب آلات العمل غير طلب الاجرة (قوله حذرا من الالباس) فانه لو لم يضمر جاز فى هذا التركيب ان يكون قطرا معمولا للفعل الاول فلزم الالتباس فى ان قطرا هو مفعول الاول أو الثاني واما اذا اضمر ارتفع الالتباس (قوله فحذف المفعول الثاني الخ) وهو نافعهم أو لا أعذبهم به أى أفحسب الذين كفروا اتخاذ عبادى معبودين نافعهم أو لا أعذبهم به وفى هذا جواز

الاقتصار على أحد مفعولي أفعال القلوب وهو مذهب صاحب الكشاف (قوله أو خبره) أي يكون ان اتخذوا عبادى خبر الحسب على معنى الانكار اى ليس بكاف (قوله وفيه تهكم وتنبيه الخ) أما الاول فلان النزل هو الطعام الذى يكون للنزيل فاستعارة النزل الذى هو الطعام لجهنم استعارة تهكمية كما فى قوله تعالى فبشرهم بعذاب أليم وأما الثانى فلان النزل طعام يقدم أول الامر وما حصل بعده ليس نزلا فيكون النزل قليلا بالنسبة الى غيره فان قيل فما العذاب الذى يستخف دونه جهنم قلنا لعله عذاب الارواح بالاعتقادات الباطلة والاخلاق الردية والحسرات وغيرها (قوله لانه من أسماء الفاعلين أو لتنوع أعمالهم) فالاول ان يكون الاعمال جمع عامل كالاشهاد جمع شاهد واذا كان التمييز صفة وجبت مطابقته للمميز وأما اذا لم يكن من أسماء الفاعلين بل يكون مصدرا فلا يجمع الا اذا قصد الانواع (قوله ومحله الرفع على الخبر المحذوف) كأن سائلا يقول من الاخسرون أعمالا فقيل الذين ضل سعيهم والجر بأن يكون بدلا من الاخسرين والنصب بأن يكون التقدير أذم الذين ضل سعيهم (قوله بالقرآن أو بدلائله الخ) فالاول الآيات

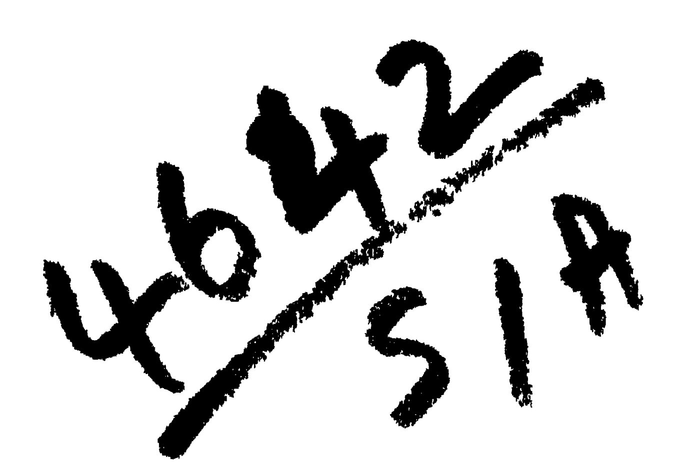
النعت اذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل فى العمل أو خبره (انا أعتدنا جهنم للكافرين نزلا) ما يقام للنزيل وفيه تهكم وتنبيه على أن لهم وراءها من العذاب ما تستحقر دونه (قل هل ننبئكم بالاخسرين أعمالا) نصب على التمييز وجمع لانه من أسماء الفاعلين أو لتنوع أعمالهم (الذين ضل سعيهم فى الحيوة الدنيا) ضاع و بطل لكفرهم وعجبهم كالرهابنة فانهم خسروا دنياهم وأخراهم ومحله الرفع على الخبر المحذوف فانه جواب السؤال أو الجر على البدل أو النصب على الذم (وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) بعجبهم واعتقادهم أنهم على الحق (أولئك الذين كفروا بآيات ربهم) بالقرآن أو بدلائله المنصوبة على التوحيد والنبوة (ولقائه) بالبعث على ما هو عليه أو لقاء عذابه (فحبطت أعمالهم) بكفرهم فلا يثابون عليها (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) فنزدرى بهم ولا نجعل لهم مقدارا واعتبارا أو لا نضع لهم ميزانا يوزن به أعمالهم لانحباطها (ذلك) أى الامر ذلك وقوله (جزاؤهم جهنم) جملة مبينة له ويجوز أن يكون ذلك مبتدأ والجملة خبره والعائد محذوف أى جزاؤهم به أو جزاؤهم بدله وجهنم خبره او جزاؤهم خبره وجهنم عطف بيان للخبر (بما كفروا واتخذوا آياتى ورسلى هزوا) أى بسبب ذلك (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا) فيما سبق من حكم الله ووعده والفردوس أعلى درجات الجنة وأصله البستان الذى يجمع الكرم والنخل (خالدين فيها) حال مقدرة (لا يبغون عنها حولا) تحولا اذ لا يجدون أطيب منها حتى تنازعهم اليه أنفسهم ويجوز أن يراد به تأكيد الخلود (قل لو كان البحر مدادا) ما يكتب به وهو اسم ما يمد به الشئ كالحبر للدواة والسليط للسراج (لكلمات ربى) لكلمات علمه وحكمته (لنفد البحر) لنفد جنس البحر باسره لان كل جسم متناه (قبل أن تنفد كلمات ربى) فانها غير متناهية لا تنفد كعلمه وقرأ حمزة والكسائى بالياء (ولو جئنا بمثله) بمثل البحر الموجود (مددا) زيادة ومعونة لان مجموع المتناهيين متناه بل مجموع ما يدخل فى الوجود من الاجسام لا يكون الا متناهيا للدلائل القاطعة على تناهى الابعاد والمتناهى ينفد قبل أن ينفد غير المتناهى لا محالة وقرئ ينفد بالياء ومددا بكسر الميم جمع مدة وهى ما يستمده الكاتب ومدادا وسبب نزولها أن اليهود قالوا فى كتابكم

القولية والثانى الآيات الفعلية ويمكن أن تكون عامة للقولية والفعلية أيضا (قوله بالبعث على ما هو عليه) أى بالبعث على ما هو عليه فى الحقيقة وهو بعث الابدان احياء يوم الحشر والجزاء على الاحوال التى أخبرت عنها الشريعة الحقة لا على ما قاله أهل الكتاب من انهم لن تمسهم النار الا أياما معدودة وقد سبقت الاشارة الى أهل الكتاب بقوله كالرهبانية ولا كما قالته الفلاسفة من ان البعث بتجرد الروح عن البدن وعودة الارواح المجردة (قوله فنزدرى بهم الخ) هذا يجعل الوزن مجازا والوجه الثانى بأن يكون المراد الوزن الحقيقى (قوله أو لا نضع لهم ميزانا الخ) صريح فى أن أعمال الكفار لا تدخل فى الميزان لحبوطها (قوله ويجوز أن يكون ذلك مبتدأ الخ) فذلك اشارة الى كفرهم (قوله أى الامر ذلك) فيكون المراد من الامر الجزاء ومن ذلك جهنم حتى يكون جزاؤهم جهنم مبينة له ولما كانت الاولى مبهمة فى الظاهر احتاجت الى مبين (قوله وأصله البستان الخ) هذا غير مطابق لما فى الصحاح لانه قال الفردوس البستان (قوله حال مقدرة) لان الخلود لا يتحقق بالفعل بل أمر مقدر متصور فانهم يقدرون فى أنفسهم خلودهم فى الجنة (قوله اذ لا يجدون أطيب منها) لو قال لا يتصورون أطيب منها حتى يبغون عنها حولا لكان أولى فانه قد يتصور الشخص أحسن مما كان ويبغى التحول اليه (قوله لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى) يعنى لنفد البحر مع عدم نفاد كلمات ربى فلا يلزم امكان نفاد كلمات الرب (قوله وسبب نزولها الخ) يعنى ان الحكمة خير كثير وهذه الكثرة لا تنافى القلة لانها وان كانت كثيرة فهى بالنسبة الى كلمات الله قليلة

ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا وتقرؤن وما أوتيتم من العلم الا قليلا (قل انما أنا بشر مثلكم) لا أدعى الاحاطة على كلماته (يوحى الى انما الهكم اله واحد) وانما تميزت عنكم بذلك (فمن كان يرجو لقاء ربه) يؤمل حسن لقائه أو يخاف سوء لقائه (فليعمل عملا صالحا) يرتضيه الله (ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) بان يرائيه أو يطلب منه أجرا روى أن جندب بن زهير قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انى لاعمل العمل لله فاذا اطلع عليه سرنى فقال ان الله لا يقبل ما شورك فيه فنزلت تصديقا له وعنه عليه الصلاة والسلام اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء والآية جامعة لخلاصتى العلم والعمل وهما التوحيد والاخلاص فى الطاعة * وعن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأها عند مضجعه كان له نورا فى مضجعه يتلألأ الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم فان كان مضجعه بمكة كان له نورا يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء

(قوله يأمل حسن لقائه) أى البعث على وجه حسن (قوله بأن يرائيه أو يطلب منه أجرا) أى يرائى أحدا غير الله أو يطلب من ذلك الاحد أجرا (قوله ان الله لا يقبل ما شورك فيه) هذا يدل ظاهرا على عدم قبول عمل كان صنعه خالصا لله ثم اذا اطلع عليه بعد ذلك حصل السرور وليس كذلك على ما هو مذهب أهل السنة من عدم حبوط الاعمال فيجب حمله على ما اذا عمل عملا مقرونا بالسرور على الاطلاع

﴿تم الجزء الثالث من تفسير البيضاوى ويليه الجزء الرابع أوله سورة مريم﴾



فهرست الجزء الثالث من تفسير البيضاوى

﴿تمت﴾

4642
51A